النُسخة الفَريدة الكاملة والمُحققة والمهذبة لكتاب

دَعوةُ المُقاوَمةِ الإسلاميَّةِ العالميَّة

من أجل الجيل الثالث من الجهاديين

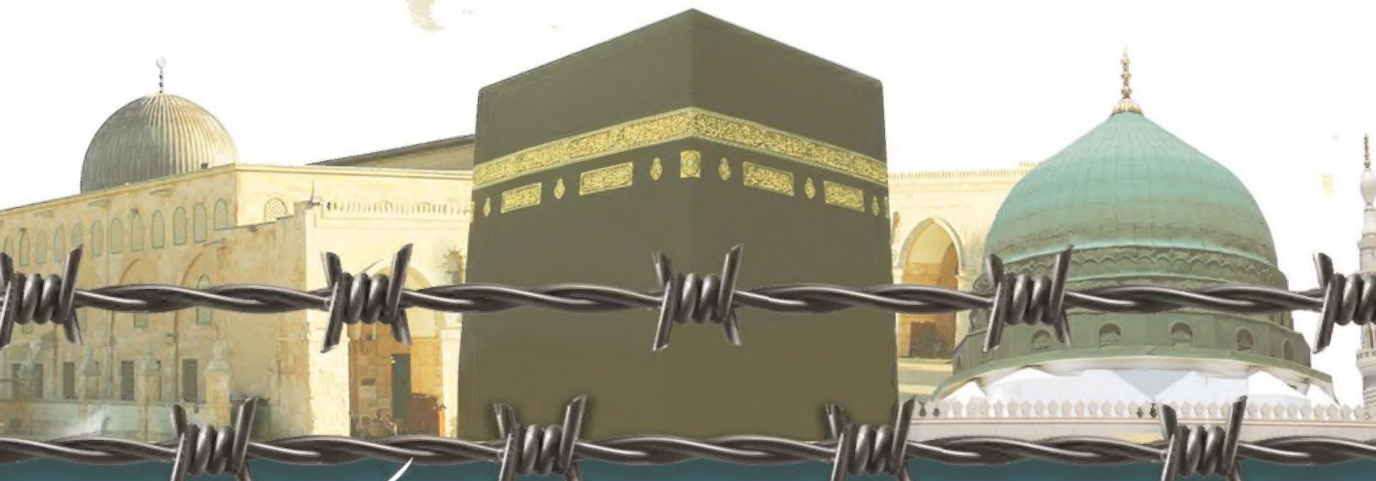
تأليف

الشيخ عُمر عبد الحكيم أبو مُصعب السُّوري

"فك الله أسره"

حققهُ وهذَّبهُ

أبو العباس القلموني



مكتبة الجيل الثالث

النسخة الإلكترونية

٢٠١٨م - ١٤٣٨هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

دعوة المقاومة الإسلامية العالمية

الفصل الرابع

الصِّرَاع مع الرُّوم ومعادلات القوى فيه عبر التّاريخ

الفصل الخامس

مختصر مسار الصّحوة الإِسْلَاميّة المعاصرة

«١٩٣٠-٢٠٠٣» م

الفصل السادس

مسار التّيار الجهاديّ وتجاربه

«١٩٦٠-٢٠٠١» م

الفصل السابع

حصاد التّيار الجهاديّ في أربعين عاماً

«١٩٦٣-٢٠٠٣» م

الفصل الرابع

الصِّرَاع مع الرُّوم

ومعادلات القوى فيه عبر التّاريخ

عن ثوبان أن رسول الله ﷺ قَالَ:

«يُوشِكُ الْأُمَمُ أَنْ تَدَاعَى عَلَيْكُمْ كَمَا تَدَاعَى الْأَكَلَةُ إِلَى قَصْعَتِهَا»، فَقَالَ قَائِلٌ: وَمِنْ قِلَّةٍ نَحْنُ يَوْمَئِذٍ؟ قَالَ: «بَلْ أَنْتُمْ يَوْمَئِذٍ كَثِيرٌ، وَلَكِنَّكُمْ غُثَاءٌ كَغُثَاءِ السَّيْلِ، وَلَيَنْزَعَنَّ اللهُ مِنْ صُدُورِ عَدُوِّكُمُ الْمَهَابَةَ مِنْكُمْ، وَلَيَقْذِفَنَّ اللهُ فِي قُلُوبِكُمُ الْوَهْنَ»، فَقَالَ قَائِلٌ: يَا رَسُولَ اللهِ، وَمَا الْوَهْنُ؟ قَالَ: «حُبُّ الدُّنْيَا، وَكَرَاهِيَةُ الْمَوْتِ»[1].

وعن رسول الله ﷺ أنه قَالَ: «فَارِسُ نَطْحَةٌ أَوْ نَطْحَتَانِ ثُمَّ لَا فَارِسَ بَعْدَهَا أَبَدًا وَالرُّومُ ذَاتُ الْقُرُونِ أَصْحَابُ بَحْرٍ وَصَخْرٍ كُلَّمَا ذَهَبَ قَرْنٌ خَلَفَ قَرْنٌ مَكَانَهُ، هَيْهَاتَ إِلَى آخَرِ الدَّهْرِ هُمْ أَصْحَابُكُمْ مَا كَانَ فِي الْعَيْشِ خَيْرٌ»[1].

(١) رواه أبو داود (٤٢٩٧)، وأحمد (٢٢٣٩٧) وحسنه الأرنؤوط، وصححه الألباني السلسلة الصحيحة (٩٥٨).

(١) رواه ابن أبي الشّيبة في مصنّفه (١٩٣٤٢)، وابن حمّاد في الفتن (١٣٤٦) بنحوهِ، وقال الألباني: رجاله ثقات لكنه مرسل وعليه فهو ضعيف (الضعيفة – ٣٩٩٩).

الفَصْلُ الرَّابِعُ:

الصِّرَاع مع الرُّوم ومعادلات القوى فيه عبر التّاريخ

كما تبين لنا من الفَصل السابق فقد استمر صِرَاع المُسلِمِين مع الرُّوم منذُ عهد النبيّ ﷺ وإلى يومنا هذا وما زال، وقد أخبر رسول الله ﷺ في بعض الآثار الّتي تعتبر من معجزات نبوته ﷺ عن أن قتالنا معهم قتال أزلي مستمر إلى قيام السَّاعة ومن تلك الآثار:

جاء في مسند الحارث وزوائد الهيثمي ج٢ / ص ٧١٣:

باب قتال فارس والرُّوم: حدثنا معاوية بن عمرو ثنا أبو إسحاق عن الأوزاعي عن يحيى بن أبي عمرو عن ابن محيريز قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: «فَارِسُ نَطْحَةٌ أَوْ نَطْحَتَانِ ثُمَّ لَا فَارِسَ بَعْدَهَا أَبَدًا وَالرُّومُ ذَاتُ الْقُرُونِ أَصْحَابُ بَحْرٍ وَصَخْرٍ كُلَّمَا ذَهَبَ قَرْنٌ خَلَفَ قَرْنٌ مَكَانَهُ هَيْهَاتَ إِلَى آخَرِ الدَّهْرِ هُمْ أَصْحَابُكُمْ مَا كَانَ فِي الْعَيْشِ خَيْرٌ»(١).

جاء في مسند الإمام أحمد رحمه الله:

حَدَّثَنَا حَسَنُ بْنُ مُوسَى حَدَّثَنَا ابْنُ لَهِيعَةَ حَدَّثَنَا الْحَارِثُ بْنُ يَزِيدَ عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ جُبَيْرٍ أَنَّ الْمُسْتَوْرِدَ قَالَ بَيْنَا أَنَا عِنْدَ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ فَقُلْتُ لَهُ سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «أَشَدُّ النَّاسِ عَلَيْكُمُ الرُّومُ، وَإِنَّمَا هَلَكَتُهُمْ مَعَ السَّاعَةِ»(٢) فَقَالَ لَهُ عمرو: أَلَمْ أَزْجُرْكَ عَنْ مِثْلِ هَذا.

وفعلا فقد صدّقت أحداث التّاريخ ما كانَ قد أخبر به رسول الله ﷺ، فما أن قامت دولة الإِسْلَام عَلى عهد النبيّ ﷺ حتَّى بدأ اشتباك الْمُسلِمِين مع الرُّوم وتتابع ذلك كما أوجزنا سابقا بلا توقف حتَّى يومنا هذا، فقد قرأت في إحدى الصّحف أيّام حرب الخليج الثّانية، (عاصفة الصَّحرَاء وتحرير

---

(١) رواه ابن أبي الشّيبة في مصنّفه (١٩٣٤٢)، وابن حمّاد في الفتن (١٣٤٦) بنحوه، وقال الألباني: رجاله ثقات لكنه مرسل وعليه فهو ضعيف (الضعيفة – ٣٩٩٩).

(٢) رواه أحمد (١٨٠٢٣) وضعفه الأرنؤوط، والألباني في (الضعيفة– ٢٧٨٤).

الكويت) أن بعض المؤرخين قد أحصى الحُرُوب الّتي قامت بين المُسلِمِين والرُّوم، فبلغت أكثر من ٣٦٠٠ حرب بين مختلف دول الإِسْلَام ودول الرُّوم! خلال ١٤١٠ سنين.

فقد قاتل المُسلِمُون أمما كثيرة، من الفرس والترك والسند والهند والمغول والصين، وغيرهم وقد كانت جميعها حُرُوبا وصدامات محدودة بتاريخها وزمانها، ولكن التّاريخ أثبت أنها الرُّوم ذات القرون كلما هلك قرن خلف مكانه قرن وكلما تلاشت دولة منهم آلت القيادة إلى أُخرى، فهم أهل جُيُوش البر والبحر، وما زلنا وإياهم في قتال وسيبقى ذلك إلى قيام السَّاعة، فحتى اليَهُوْد سينتهي القِتَال معهم بإبادتهم في معركة الحجر والشجر، وحتى يأجوج ومأجوج سينتهي القِتَال معهم حيث يهلكهم الله تَعَالَى، ولكنهم الرُّوم ودولهم وممالكهم والقتال معهم إلى قيام السَّاعة كما جاء في الحديث وهم أشد النّاس عَلى المُسلِمِين، بل تقوم السَّاعة والرُّوم أكثر النّاس كما في الحديث الصَّحِيح رغم أنها لا تقوم إلا عَلى شرار الخلق وهم غالبيتهم وما ذاك إلا لأنّهم حازوا من الخصال – بقدر الله – ما مكنهم من البقاء.

فقد جاء في صحيح مسلم: قَالَ الْمُسْتَوْرِدُ الْقُرَشِيُّ، عِنْدَ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ: سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ، يَقُولُ: «تَقُومُ السَّاعَةُ وَالرُّومُ أَكْثَرُ النَّاسِ» فَقَالَ لَهُ عَمْرٌو: أَبْصِرْ مَا تَقُولُ، قَالَ: أَقُولُ مَا سَمِعْتُ مِنْ رَسُولِ الله ﷺ، قَال: (لَئِنْ قُلْتَ ذَلِكَ، إِنَّ فِيهِمْ لَخِصَالًا أَرْبَعًا: إِنَّهُمْ لَأَحْلَمُ النَّاسِ عِنْدَ فِتْنَةٍ، وَأَسْرَعُهُمْ إِفَاقَةً بَعْدَ مُصِيبَةٍ، وَأَوْشَكُهُمْ كَرَّةً بَعْدَ فَرَّةٍ وَخَيْرُهُمْ لِمِسْكِينٍ وَيَتِيمٍ وَضَعِيفٍ، وَخَامِسَةٌ حَسَنَةٌ جَمِيلَةٌ: وَأَمْنَعُهُمْ مِنْ ظُلْمِ الْمُلُوكِ)[1].

ومن المفيد ونحن نتصدى في البحث للإجابة عَلى السّؤال الهام، الّذي كتب الكتاب من أجله وهو: (**كيف نواجه أعداءنا في عالم ما بعد سِبتَمبر بقيادة أمريكا ؟**) أي كيف نتصدى للحملات الصّليبيّة اليَهُوْدية الثّالثة بنجاح إن شاء الله، من المفيد أن نعرض للمحطات الرَّئيسيَّة في صدامنا مع الحملات الصّليبيّة السَّابقة، لنتلمس مفاتيح النّصر والهزيمة فيها، عبر دراسة تحليلية هادفة، وهي مادة هذا الفَصل إن شاء الله.

---

(١) رواه مسلم (٢٨٩٨).

كيف سارت تلك الحملات الأولى والثّانية وهذه الثّالثة الأخيرة؟ من كانَ أطرافها من جانب الرُّوم؟ من قام بالمُوَاجَهة والدفع والمُقاوَمة من جانب المُسلِمِين؟ من كانَ معنا ومن كانَ علينا من داخلنا ومن خارجنا خلالها؟

ولن أقف هنا مع تفاصيل أحداث التّاريخ، فهو مسجل معروف في مراجعه، ولا سيما تاريخ الحُرُوب الصّليبيّة الأولى وكذلك الثّانية الّتي تمثل تاريخ العَرَب الحديث، وقد مر نبذة عن ذلك في الفَصل السابق، ولكني سأكتفي هنا بالتحليل واستقصاء العبر واستخلاص الدُّروس.

فهذا الفَصل من أهمّ مرتكزات دعوة المُقاوَمة في مجال فقه الواقع واستكشاف أسباب النّصر والهزيمة.

وسنأخذ من التّاريخ المحطات الرَّئيسيَّة الثّلاثة لحملات الرُّوم عَلى المُسلِمِين، ونعتبر لها تقسيما تاريخيا نظريا، حيث نلاحظ أنها كانت عَلى الشّكل التّالي:

- **الحملات الصّليبيّة الأولى** (من منتصف القرن الحادي عشر وإلى نهاية القرن الثّالث عشر الميلادي تقريبا)، عَلى سواحل بلاد الشّام ومصر وكان فيها احتلال بيت المَقْدِس.
- **الحملات الصّليبيّة الثّانية** (١٨٠٠-١٩٧٠) تقريبا، عَلى مكوّنات الدّولة العُثْمَانِيّة والعالم الإِسْلَاميّ ولاسيما العالم العربيّ بعد معاهدة (سيكس-بيكو١٩١٩) ووعد بلفور (١٩١٧).
- **الحملات الصّليبيّة الثّالثة** (١٩٩٠- ٢٠٠٤ وما زالت) عَلى العالم الإِسْلَاميّ عامة والشرق الأوسط خاصّة.

وهناك ملاحظة واضحة وهي أن مركز الصِّرَاع كانَ في الحملات الصّليبيّة الثّلاثة يدور في بلاد الشّام وما جاورها من بلاد العراق ومصر وجَزِيرَة العَرَب بشكل رئيسي، وهناك كانت مفاتيح النّصر والهزيمة لكلا الطّرفين.

ولا ننسى أن ساحة الصِّرَاع الحديث (منذ ا القرن السّادس عشر وإلى اليَوْم) مع الرُّوم المعاصرين عموما، قد امتدت عَلى طول رقعة العالم الإِسْلَاميّ وعرضه واستهدفت كافّة بلاده من أقصى جزر

الفلبين في المحيط الهادي شرقا وإلى أقصى سواحل مراكش وموريتانيا عَلى ضفاف الأطلسي غربا، ومن وسط آسيا والقرم والبلقان وشمال أفريقيا شمالا، وإلى أواسط أفريقيا وجنوب شرق آسيا وإندونيسيا جنوبا.

المرجعيات عند المُسلِمِين:

وقبيل أن ندخل إلى دراسة الحملات الصّليبيّة الثّلاثة ومعادلات القوى فيها، من المفيد أن نلفت النَّظر إلى مفهوم المرجعية والقيادة لدى المُسلِمِين عبر التّاريخ الإِسْلَاميّ لأن ذلك يساعد كما سنرى عَلى فهم إدارة ذلك الصِّرَاع.

فبحسب المفهوم المتفق عليه فإن **(أولي الأمر)** كمصطلح سياسي شَرعِيّ لدى المُسلِمِين، هم **العُلَماء والأمراء**، وبحكم النّصوص الشَّرعيَّة وما دأب عليه الحال فقد شكل رؤوس النّاس وقياداتهم ولاسيما زعماء القبائل والعشائر الكبرى وأصحاب الرَّأي وذوي الأحلام والنهى منهم، القطب الثّالث في المرجعية لدى المُسلِمِين إلى جانب الأمراء والعُلَماء، وهكذا يمكن تحديد المرجعية لدى المُسلِمِين عبر تاريخهم، بثلاثة مرجعيات، هيَ بحسب أهميتها كما يلي:

المرجعية السّياسيّة: وتتكون من الخَليفَة الشَّرعيّ حال وجوده أو من السّلاطين والملوك والأمراء من أصحاب الحكم والسلطان حال تعدد الممالك الّتي غلبت عَلى معظم التّاريخ الإِسْلَاميّ.

المرجعية الدّينيّة: وتتكون من علماء الدّين الإِسْلَاميّ حيث آلت هذه المرجعية إلى علماء وأئمة المذاهب الأربعة وكبار علمائهم وفقهائهم المتبوعين عبر التّاريخ الإِسْلَاميّ، ثمّ ظهرت القيادة الروحية للطرق الصوفية ومَشَايخها ذوي الأتباع والنفوذ، وكثيرا ما كانَ أئمة المذاهب أنفسهم أئمة للطرق الصوفية المتبوعة في أغلب رقعة العالم الإِسْلَاميّ.

المرجعية الاجتماعيَّة: وتكونت في الغالب من رؤساء القبائل والعشائر الّتي تكون البنية الأساسيّة للمجتمعات العربيَّة والإِسْلَاميّة.

وهكذا كانَ عبر التّاريخ الإِسْلَاميّ في حالات الوحدة السّياسيّة تحت خليفة واحد أو خلال فرقتها تحت سلطان ملوك وأمراء متعددين.

فإن النّاس رجعوا في قيادتهم وإتباعهم دائما ولاسيما عند الملمات الكبرى إلى هذه المرجعيات.

ولست هنا بصدد الاستطراد في تحليل ذلك ودوره في التّاريخ الإِسْلَاميّ وآثاره السّياسيّة والاجتماعيَّة إلا بالقدر اللازم لفهم بنية المُقاوَمة في المجتمعات الإِسْلَاميّة ضدّ الحملات الصّليبيّة، ودور هذه المرجعيات في ذلك.

كما أن من الضَّروري أن أوضح أن هذا التقييم الدراسي القائم عَلى الملاحظة والاستنتاجات، ليس تقييما للصواب والخطأ في مناهج تلك التَّجَمُّعات لا من النَّاحية العقليَّة ولا من وجهة النَّظر الشَّرعيَّة، فقد يفيد البحث أن شريحة معينة أو مذهبا معينا كانَ له دور في المُقاوَمة نذكره بحسب أهميته، من دون أن يكون ذلك- كما يفترض أن ذلك مفهوم- تزكية لتفاصيل معتقدات ونهج وطريقة تفكير أصحاب تلك الظَّاهِرة، فهو تقييم وتصنيف دراسي وليس تقييم ترجيح وتصويب للمناهج والمعتقدات عَلى سبيل تحديد الصواب من عدمه، وفق موازين السّياسة الشَّرعيَّة.

وأعتقد أنه في حين يجهل أكثر المُسلِمين اليَوْم دور هذه المرجعيات وتماسكها وأثر ذلك عَلى تماسك الأُمّة وقدرتها عَلى المُقاوَمة، فإن العدوّ قد أدرك ذلك وعمل عَلى تحطيم هذه المرجعيات الثّلاثة ما وسعه ذلك، واخترع بدائل لها أو أفسدها وجعلها تخدم أغراضه كما سنرى بالسير مع تلك الحملات في الدّراسة التحليلية التّالية.

الحملات الصّليبيّة الأولى (١٠٥٠-١٢٩١)

المستخلص عَلى سبيل النبذة من المراجع التارِيخِيَّة، أنه لما ضعفت خلافة بني العبّاس وصار النفوذ من حول الخَليفَة العبّاسي للقادة والجند الّذين كانَ معظمهم خلال النصف الثّاني من تاريخها من الأتراك الّذين نصبوا سلطانا منهم كانَ الحاكم الفعلي لمركز الخِلافَة وما حولها، وانحصر نفوذ الخَليفَة في الغالب في قصره أو في بغداد وما حولها، ومع الوقت استقل الأمراء الّذين يتبعون للخليفة نظريا في أطراف دولة الخِلافَة بدول وممالك متعددة، كثيرا ما تصارعت فيما بينها أو تصارع كبراؤها عَلى الملك والسلطان فيها، وتقسمت تلك الممالك في كثير من الأحيان لتشتمل عَلى مجرد مدن صغيرة أو حتّى قلاع وحصون، فمملكة في الموصل، وأخرى في بيروت، وثالثة في طرابلس، ورابعة في حلب، وأخرى

في دمشق وهكذا، وسيطرت الشّيعة عَلى بلاط الخَليفَة ببغداد، وانتشر القرامطة في الخليج العربيّ، وسيطر الإسماعيلية والنصيرية من غلاة الشّيعة عَلى سواحل الشّام وقامت الدّولة العبيدية الّتي نسبت نفسها للفاطمية وأقامت خلافة مستقلة لها في مصر استمرت ما يقرب من قرنين.

خلال ذلك الوقت مطلع القرن الحادي عشر الميلادي أطلق بابا الفاتيكان نداءه إلى ملوك أوروبّا بضرورة تخليص بيت المَقْدِس وصليب الصلبوت - الّذي يزعمون كذبا أن المسيح صلب عليه- من أيدي (الكفّار) – يقصد المُسلِمين- وسرعان ما استجاب الملوك من مختلف أوروبّا ولاسيما إنجلترا وفرنسا وألمانيا للنداء لمصالح سياسيّة واقتصاديَّة كما يذهب كثير من المؤرخين ولم تكن الرّوح الصّليبيّة غائبة عن دوافعهم أيضا، وتعاون قيصر القُسطَنْطينيَّة مع تلك الحملات بتزويدها بالمؤن عند مرورها من أراضيه في شرق أوربّا وآسيا الصغرى وكذلك بوضع الأسطول الرُّوماني في خدمتهم.

وهكذا تتالت الحملات الصّليبيّة الّتي يؤرخ لها المؤرخون بسبع حملات رئيسيَّة عَلى سواحل الشّام وجنوب غرب الأنضول(في منطقة الرها وهي ما بين أدنه ولواء اسكندرون في تركيا اليَوْم) ومصر أخيرا عبر مائتي سنة، وتمكن الصّليبيّون خلالها من احتلال بيت المَقْدِس وإقامة إمارة مركزية فيه، وتمكنوا من إقامة العديد من الإمارات الصّليبيّة المستقلة عن بعضها بحسب ارتباطها بملوك أوروبّا المتعاونين عَلى المُسلِمين المتصارعين فيما بينهم في كثير من الأحيان.

كانت الإمارات الإِسْلَاميّة المحاذية للإمارات الصّليبيّة ضعيفة مفككة متصارعة فيما بينها، كإمارات حلب وحماة ودمشق وحمص والموصل، وقد شهدت الكثير من الانقلابات والتصارع الداخلي، وأذاق الأمراء والسلاطين فيها شعوبهم ويلات المكوس وأنواع المظالم، وهكذا احتل الصّليبيّون المناطق الواقعة بحسب مصطلحات الجغرافيّا المعاصرة منطقة لواء الاسكندرون والساحل السّوري غرب الشّام من الجبل إلى البحر المتوسط ومنطقة لبنان وفلسطين بالكامل، ولم يستطع الخَليفَة العبّاسي الضعيف في بغداد أن يفعل شيئا، ولم يحرك الخَليفَة الفاطمي في القاهرة ساكنا، بل شهد تاريخ الفاطميين تعاونا مع الصّليبيّين، كما سجل التّاريخ تعاون النصيرية الّذين يسكنون الجبال الغربيّة في

محاذات الساحل في سوريا مع الصّليبيّين أيضا حيث قاتلوا إلى جانبهم، وشهد العالم الإِسْلَاميّ خاصّة والمشرق العربيّ عامة حالة شديدة الاضطراب والضّعف في تلك الفترة.

ولكن الوثائق التارِيخِيَّة الّتي تثبت هذا الحال المتدهور عَلى صعيد المرجعية السّياسيّة تثبت في الوقت ذاته أن تلك الفترة كانت تشهد ازدهارا علميا برز فيه الكثير من العُلَماء الكبار والأئمة والخطباء، وحملت المساجد مسؤولية المرجعية الدّينيّة ومسؤولية سياسة النّاس إلى جانب المرجعية الاجتماعيَّة بعيدا عن مفاسد القصور وصراع الأمراء.

حيث كانت البنية الاجتماعيَّة القبلية متماسكة سليمة البنيان، وهكذا رجع النّاس إلى رؤوسهم من العُلَماء ورؤوس القبائل وصدروا عن رأيهم.

ومع قدوم الصّليبيّين هب العُلَماء والخطباء يحثون النّاس عَلى الجِهَاد ويطرقون أبواب الأمراء يحرضونهم عَلى القِتَال، بدءا من باب الخَليفَة في بغداد وصولا إلى أبواب أمراء الشّام، ولكن المراجع التارِيخِيَّة تروي قصصا مؤسفة من حالة التفكك وفساد أنواع الأمراء وحكام المدن والحصون، وقد ذكر بعض المؤرخين من قصص تلك المَرحَلَة، أن العُلَماء جالوا المساجد واستحثوا النّاس وجمعوا أموالا من أجل بناء جيش للجِهَاد، وطرقوا أبواب الأمراء بحثا عن أهل لهذه المهمة، فلم يرحب بهم أحد من الأمراء حتَّى سمعوا بأحدهم عَلى أنه مظنة خير ونخوة، فذهبوا إليه ودفعوا إليه المال بعد أن وعدهم خيراً، ثمّ رجعوا إليه ولم يعثروا عليه فبحثوا عنه شهرا في بادية الشّام فوجدوه قد خرج للصيد وبنى بأموالهم الّتي جمعت لجِهَاد الصّليبيّين قصرا في البادية ليأوي إليه مع ندمائه وحاشيته في ليالي الصيد والقنص!!

وروى المؤرخون أن حال أكثر الأُمّة آنذاك كانَ انصرافا إلى الدُّنيَا وزخرفها ورووا كيف أن الخطباء والوعاظ كانوا يلهبون حماس النّاس في المساجد الّتي كانت تضج بالبكاء والعويل، حتَّى ما إذا خرج الرّجال من المَسجِد عاد كلّ إلى دنياه لا يلوي عَلى شيء، وكأنما يعيد التّاريخ نفسه اليَوْم!!

وسرعان ما أفاقت الأُمّة من الصدمة وعملت المرجعية الدّينيّة عملها في الأُمّة، حيث تروي الكتب الّتي أرخت لتلك المَرحَلَة كيف قامت هذه المرجعية الدّينيّة بشحذ همة رجال الأُمّة وكيف

تجاوبت المرجعية الاجتماعيَّة ورؤوس القبائل والعشائر في الشّام وما حولها مع نداءات الجِهَاد، وباشرت نخب الأُمّة آنذاك بالاشتباك مع الصّليبيّين منذُ اليَوْم الأوّل، إلى أن تصاعدت المُقاوَمة.

واستردت الأُمّة مرجعيتها السّياسيّة بسرعة بقيام أحد أمراء شمال الشّام وهو الأتابك الأمير المُجَاهد (عماد الدّين زنكي) الّذي تصدى للصليبيين شمال غرب الشّام واستطاع إسقاط إمارة الرها الصّليبيّة، فلمع نجمه والتف المُجَاهدون وبعض الأمراء حوله وبدأت تتكون نواة الدّولة الزنكية الّتي كانت عاصمتها في البداية الموصل (شمال غرب العراق عَلى حدود الشّام) ثمّ انتقلت إلى حلب (شمال غرب الشّام) في عهد ابنه الملك (نور الدّين محمود زنكي) رحمه الله، الّذي تولى بعد أن اغتال الحشاشون الباطنية من نصيرية الشّام أباه، فتولى الإمارة وامتد سلطانه ليشمل شمال العراق وسوريا والأردن ولتقوم الدّولة الزنكية وليحمل نور الدّين عَلى عاتقه مهمة بناء القَاعِدَة الأساسيّة للجِهَاد ضدّ الصّليبيّين في المشرق، حيث يعود الفضل إليه رحمه الله في كلّ الأمجاد الّتي حصلت فيما بعد عَلى يد صلاح الدّين، وتاريخ هذه الفترة مشهور جدا، قد تناولته الكتب ووسائل الإعلام والأفلام والمسلسلات التلفزيونية بما يغني عن الترديد والاستطراد.

فقد قضى الملك الزاهد نور الدّين حياته مُجَاهدا للصليبيين في الشّام، محققا الانتصار تلو الآخر وامتد سلطان الزنكيين إلى دمشق الّتي صارت عاصمتهم بعد حلب في الجِهَاد.

واهتم الصّليبيّون بالاستحواذ عَلى مصر لما لها من أثر في دعم من يستحوذ عليها في الصِّرَاع عَلى الشّام، حيث أغراهم ضعف الفاطميين ومكاتبة بعض كبار وزرائهم للصليبيين في بيت المَقْدِس يستقدمونهم إلى مصر ويعدونهم بتسليمها، وأدرك نور الدّين أهمية السباق إلى مصر فأرسل جيشه إليها بقيادة القائد الكردي (أسد الدّين شيركوه) ليدعم جيش الخَليفَة الفاطمي ضدّ الحملة الصّليبيّة المرتقبة عَلى مصر، واصطحب أسد الدّين معه ابن أخيه القائد الناشئ (صلاح الدّين الأيوبي) رغم كراهته لمغادرة الشّام، ولكن أقدار المجد كانت بانتظاره في مصر.

توفي أسد الدّين شيركوه الّذي كانَ الخَليفَة الفاطمي يستقوي به عَلى وزرائه المتصارعين عَلى السُّلطَان والمتآمرين مع الصّليبيّين، فاختار الخَليفَة الفاطمي صلاح الدّين لمنصب الحاجب الّذي يرأس

الوزراء ظنا منه أنه يستطيع السّيطرة عليه لصغر سنه ولكونه غريبا عن مصر، وليستقوي بجيشه عَلى أمراء الفاطميين، وحصلت الحملة الصّليبيّة عَلى مصر واستبسل صلاح الدّين وجيش الشّام ومصر، وأمدهم نور الدّين بالمدد فتمكنوا من صد الحملة الصّليبيّة الّتي هاجمتهم برا وبحرا بمساعدة أسطول الرُّوم القادم من القُسطَنْطينيَّة، وبعيد النّصر بقليل توفي آخر الخُلَفَاء الفاطميين حيث أعلن صلاح الدّين نهاية الخِلافَة الفاطميّة، وخطب الجمعة باسم الخَليفَة العبّاسي وأعاد المذهب السني الشّافعي إلى مصر، وتوطد ملكه فيها، حتَّى خشي نور الدّين ومعاونوه في دمشق من استقلال صلاح الدّين بملك مصر، فأرسل إليه مرات يستقدمه، فأبطأ صلاح الدّين عليه، حتَّى هم نور الدّين بالخروج إلى مصر بجيشه ليضمن ضمها إلى مملكته من أجل توحيد مصر والشّام في الجِهَاد ضدّ الصّليبيّيّن.

وكان من قدر الله ولطفه أن توفي نور الدّين الملك الزاهد المُجَاهد، فأعلنت أسرته ولده اسماعيل ولي عهد له، وكان طفلا في الحادية عشر من عمره، فنزل صلاح الدّين إلى دمشق معترفا بإسماعيل ومن أجل مناقشة مُوَاجَهة الصّليبيّيّن واجتمع أهل الحلّ والعقد من علماء وقادة مصر والشّام عَلى بيعة صلاح الدّين الأيوبي سلطانا عَلى بر مصر والشّام، حيث اقتنعوا بعدم صلاحية أن يؤول الأمر إلى طفل في ظروف مُوَاجَهة الصّليبيّيّن، وضرورة قيام سلطان قوي لولاية أمر المُسلِمِين وقيادة الجِهَاد، وبذلك قامت الدّولة الأيوبية.

وعمد صلاح الدّين إلى مكاتبة الأمراء في الحجاز واليمن وشمال إفريقيا وكذلك ملوك السلاجقة في الري شمال العراق، وكذلك توطدت علاقته بالخليفة العبّاسي في بغداد محأولاًرص صفوف الأُمّة في المُوَاجَهة المقبلة، حيث كانَ صلاح الدّين قد عقد هدنة مؤقتة مع الصّليبيّيّن حتَّى يفرغ من القضاء عَلى فتن صغار الأمراء من الفاطميين في مصر والمتناحرين عَلى الإقطاعيات والحصون في الشّام، ثمّ نقض الصّليبيّون الهدنة بإغارة قائدهم (أرناط) عَلى قافلة للحجاج جنوب الأردن فنقضت الهدنة واشتعل القِتَال وتتالت انتصارات صلاح الدّين وتتوجت بمعركة حطين ثمّ بفتح بيت المَقْدِس لينصب صلاح الدّين منبر الجمعة الرائع الّذي كانَ نور الدّين زنكي رحمه الله قد أمر بصناعته ليضعه في المَسجِد الأقصى لأول خطبة جمعة بعد الفتح، وكان القدر أن ينصب في عهد صلاح الدّين ويخطب

عليه إمام مسجد الجمعة في حلب الّذي كانَ قد بشر بالفتح الّذي تمَّ سنة ٥٨٣ هجرية، في نفس الموعد الّذي بشربه الشَّيْخ!!

ولما أدركت الوفاة صلاح الدّين، قسم المملكة بين أبنائه الّذين سرعان ما اختلفوا فيما بينهم ليؤول الملك إلى أخيه الملك العادل الّذي تولى ملك مصر والشّام وحصلت في عهده آخر الحملات الصّليبيّة الّتي كانت عَلى مصر، والَّتي قادها ملك فرنسا (لويس التّاسع) الّذي أسره الملك العادل وأودعه السّجن في المَنصُورَة، ثمّ أطلق سراحه، وهناك كتب بعد تفكر وتأمل في تاريخ قرنين من الحملات الصّليبيّة العسكريّة كتب ملاحظاته في فشل الغزو العسكريّ للشرق الإِسْلَاميّ وضرورة العمل عَلى الغزو الفكريّ حيث شكلت ملاحظاته الأرضية الأولى للحملات الصّليبيّة المعاصرة الّتي قامت عَلى التبشير والتغريب ثمّ الإستعمار بعد ذلك بخمسة قرون،

ثمّ توفي الملك العادل بعد أن حمل مهمة جِهَاد الصّليبيّين، ثمّ لما آل الأمر إلى الملك الصّالح اسماعيل الّذي صار سلطانا عَلى الشّام، وإلى عمه الملك نجم الدّين أيوب الّذي صار ملكا عَلى مصر، وتواطأ اسماعيل مع الصّليبيّين واستعان بهم ضدّ نجم الدّين في مصر وأعطاهم عددا من القلاع والحصون، وسمح لهم بشراء السّلاح من أسواق دمشق، فوقف له بالمرصاد سلطان العُلَماء في زمانه (العز بن عبد السَّلام) عالم دمشق، فسجنه ثمّ أطلق سراحه فارتحل إلى مصر ليتابع سيرة الاحتساب والأمر بالمعروف والنهي عن المُنكر عَلى سلطان مصر الّذي آواه وأكرمه.

واستكثر الأيوبيون في مصر من العبيد والمماليك فحشدوا منهم المئات والآلاف، واتخذوا منهم الجند والقواد، وصارت قوة كلّ أمير من أمراء مصر والشّام من الأيوبيين بعدد عبيده ومماليكه الّذين كانَ كثير منهم من وسط آسيا وبلاد التركستان، وأغرى قادة المماليك ما هم عليه من القوّة وما عليه حال ملوكهم وأمرائهم الأيوبيين من التفسخ والضّعف فانقلبوا عليهم واستلموا الحكم في مصر والشّام تبعا لذلك، بعد وفاة نجم الدّين أيوب أثناء معركة المَنصُورَة (١٢٥٠م)، حيث تزوجت زوجته (شجرة الدر) بكبير قواده من المماليك ثمّ تنازلت له عن الملك، لتقوم بذلك الدّولة المملوكية، وكان لسلطان العُلَماء العز بن عبد السَّلام رحمه الله القصة التارِيخِيَّة المشهورة، حيث لم يفت بصحة ولايتهم لأنّهم

عبيد غير أحرار، واضطروا للنزول عَلى فتواه بضرورة بيعهم ورد ثمنهم لبيت مال المُسلِمِين حتَّى صاروا أحرارا وصحت ولايتهم!!

وحملت دولة المماليك راية الجِهَاد ضدّ التّتار الّذين كانوا قد اجتاحوا المشرق وأسقطوا بغداد واستباحوا مدن الشّام، وقرعوا أبواب مصر، فنهض لهم سلطانها المملوكي المُجَاهد (قطز) الّذي لم يفت له سلطان العُلَماء بالأخذ من أموال العامّة لشراء السّلاح، إلا بعد أن وضع ماله وأخذ مال أمراء المماليك لذلك الغرض، فأفتاه وحرض المُسلِمِين عَلى الجِهَاد في مصر والشّام وكانت موقعة عين جالوت أول هزيمة استراتيجية للتتار، أدت إلى بداية تراجعهم.

وخلف الملك الظَّاهِر بيبرس قطز عَلى السُّلطَان بعد أن اغتاله وهم عائدون من عين جالوت ليظفر بالملك وبهجة النّصر! ومع ذلك حمل بيبرس مسؤولية جِهَاد الصّليبيّن في الشّام زهاء ٢٧، إلى أن أجلاهم عن آخر حصونهم، حيث تمَّ الجلاء الكامل في عهد السُّلطَان خليل بن قلاوون وانتهت بذلك الحملات الصّليبيّة الأولى (١٢٩١).

والمستخلص من مسار هذه الحملات دُروس وعبر كثيرة وما يخصنا لهذا البحث هو معرفة ما كانَ من أمر المرجعيات الّتي تولت إدارة المُوَاجَهة في الطّرف الإِسْلَاميّ:

١- **المرجعية السّياسيّة**: كانت غائبة ابتداء، ثمّ تكونت عبر الزنكيين ثمّ الأيوبيين ثمّ المماليك.

٢- **المرجعية الدّينيّة**: تولت المُوَاجَهة إلى أن قامت المرجعية السّياسيّة، ثمّ وقفت ردءا لها إلى نهاية المُوَاجَهة،

٣- **المرجعية الاجتماعيَّة**: وقفت إلى جانب المرجعيتان، واكتمل النصاب، فواجهت الأُمّة الإِسْلَاميّة أمة الصّليبيّن.

و كانت معادلة المُوَاجَهة في الحملات الصّليبيّة الأولى باختصار:

أمة الإِسْلَام × أمة الصليب ← انتصرت أمة الإِسْلَام

لم تواجه أمة الإِسْلَام بشرائح قليلة، ولا بعِصَابات صغيرة، ولا بتنظيمات محدودة لا سرية ولا علنية، لقد وقفت الأُمّة بكاملها للحملات الصّليبيّة وهزمتها، ولم يعطل صِرَاع الأمراء والسلاطين عَلى الملك ولا خور عامة الأُمّة وقعودها عن الجِهَاد.

الحملات الصّليبيّة الثّانية (١٧٩٨-١٩٧٠)

أقامت الحملات الصّليبيّة الأولى في المشرق العربيّ زهاء مائتي سنة، مكنتهم من الاحتكاك عن قرب بالحضارة الإِسْلَاميّة، ليس عسكريّاً فحسب، فقد كانَ هناك كثير من فترات الهدنة، كما قامت كثير من العلاقات التجاريَّة بين الإمارات الصّليبيّة والإِسْلَاميّة من حولها، وتمكن كثير من الرحالة ورجال الدّين الأوربيين أن يزوروا بلاد المُسلِمِين ويطلعوا عَلى البون الشاسع في التَّفكير والتطور والنّظام السّياسيّ والإقتصادي والحياة الاجتماعيَّة والثَّقافيَّة، كما تمكنوا من نقل كثير من المخطوطات والكتب حتَّى عد المؤرخون الأوربيون الحملات الصّليبيّة من أسباب عصر النهضة في أوروبّا ونهاية العصور الوسطى،

وفي أواخر أيّام الحملات أدرك ملوك النّصَارى ألا سبيل لهم إلى البقاء، وبدؤوا يعيدون التَّفكير في طريقة غزوا المُسلِمِين والتعامل معهم،

وفي الحملات الأخيرة عَلى مصر(١٢٤٩ ميلادية)، وقع (لويس التّاسع) ملك فرنسا أسيرًا مع آلاف من جنوده الصّليبيّن بيد المماليك، وأودع السّجن، وهناك كانَ لديه فسحة من التأمل ليضع أسس هامة لتفكير الصّليبيّن في كيفِيَّة غزو المُسلِمِين، وكتب توجيهاته الهامة تلك والَّتي كانَ خلاصتها:

(إن المُسلِمِين لا يهزمون ما دامت عقيدتهم قائمة ويجب أن تبدأ الحَرب عَلى المُسلِمِين بحرب الكلمة)

ثمّ ما لبثت الحملات الصّليبيّة الأولى أن انتهت كليا بسقوط عكا سنة (٦٤٠هجرية - ١٢٩١ ميلادية)،

وهكذا أدرك الغرب الصّليبيّ أنه لا يمكن التغلب عَلى المُسلِمِين بالقهر والقوة العسكريّة لأن ذلك يستفز لديهم بسبب المشاعر الدّينيّة وطبيعة عقيدتهم كلّ أسباب المُقاوَمة والقتال، وأن السبيل إلى ذلك هو غزوهم فكرياً وتغيير طريقتهم في الاعتقاد والتَّفكير لتجفيف جُذُور قوتهم وقدرتهم عَلى المُقاوَمة ومن ثمّ يسهل الاستيلاء عليهم عسكريّاً.

الغزو الفكريّ للمسلمين ونتائجه العمليّة في الميدان السّياسيّ:

انتهت الحملات الصّليبيّة الأولى نهاية القرن الثّالث عشر، وابتدأت الثّانية مطلع الثّامن عشر، فكيف استفاد الصّليبيّون من مدّة ٥٠٠ سنة للإعداد والتخطيط للعودة عَلى خبرة ومعرفة ؟!

منذ عادت بقايا الحملات الصّليبيّة مدحورة إلى أوربّا انكب العُلَماء والمفكرون الأوربيون عَلى دراسة خُلاصة حضارتنا العربيَّة والإِسْلَاميّة ونشطت حركة الترجمة وقامت مراكز وجامعات الإستشراق وهو التخصص في الدّراسة الشرقية، ومع انهيار الحكم الإِسْلَاميّ للأندلس ١٤٩٢م، حصل مثل ذلك وخلال القرون السَّادس عشر والسَّابع والثَّامن عشر نشطت حركة الرحالة والكشافة والمستشرقين، ثمّ نشأت حركات التبشير برعاية البابا ودعم وتسابق ملوك أوربّا عَلى دعم المهام المقدّسة للبحارة والمكتشفين، وعلى مدى هذه القرون الطويلة توغل هَؤُلَاءِ البحاثة والبعثات الإستشراقية والاستكشافية في كافّة أرجاء العالم العربيّ والإِسْلَاميّ وقدموا الدراسات والأبحاث ونقلوا الكتب والمخطوطات الّتي تجمعت في جامعات ومراكز دراسات استشراقية عملاقة تخصصت في دراستنا.

وأذكر عَلى سبيل المثال من ذلك أَنّي دخلت مكتبة جامعة الدراسات الشرقية في لندن للبحث عن كتب في التّاريخ السّياسيّ المعاصر للجزائر، فلما دخلنا إلى دليل كمبيوتر المكتبة علمت أن المكتبة تحوي عَلى ما طوله ١١٤ كم من الرفوف المرصوصة بالكتب من مختلف الدراسات واللغات من العربيَّة وسواها ! ولما طلبت منه كتب عن الجَزَائِر، علمت بوجود (٣٠٠٠٠) كتاب عن الجَزَائِر بمختلف اللغات، فلما حددنا اللغة العربيَّة أذكر أنها كانت ما يربوا عن ٥٠٠٠ كتاب فلما حددنا المطلوب باللغة العربيَّة عن التّاريخ السّياسيّ المعاصر للجزائر عثرت عَلى ٢٦٣ كتاب، ووجدت

ضالتي من وثائق مرحلة الاستقلال في عشرات الكتب منها !! فتأمل، وقد عرفت بالصدفة أن المكتبة تحوي ٦٠٠٠ مخطوطة بلغة البشتون تعود لتواريخ مختلفة ولك أن تتساءل، كم من البشتون يعرف قراءة لغتهم المكتوبة ؟! فيما درسها علماء أوربّا وقرؤوا مخطوطاتها !

ولقد رأيت مثل ذلك في مركز(جورج بومبيدو) في باريس وهو مكتبة مقروءة مسموعة مرئية تحتوي مئات آلاف الكتب والأبحاث والدراسات، وسعت عن مثل ذلك عن جامعات هولندا وألمانيا ويرها، ورأيت في أسبانيا مكتبة (الأوسكوريال) قرب مدريد حيث تحتوي زهاء خمسين ألف مخطوطة عربيَّة، عدا ما تحتويه مكتبة الفاتيكان وسواها من مراكز التبشير والتنصير.

باختصار؛ لقد توغل الإستعمار الحديث في بلادنا بعد أن امتلك معلومات في كافّة المناحي وقرأنا وفهمنا كما يقرأ خطوط كفه، لقد تحركوا بعلمية وعملية، إنهم الرُّوم وخصالهم، هَؤُلَاءِ الّذين لا يعرف أكثرنا عنهم إلا ظاهر قشرتهم الحَضَاريَّة حاليا من الانحلال والفجور والمجون، ولكن القَاعِدَة الحَضَاريَّة لهذه الأمم الرُّومية أعقد من ذلك بكثير، ولا بُدَّ من أن نعرفهم كما عرفونا ونقاومهم عَلى بصيرة كما غزونا عَلى بصيرة ومعرفة.

وقد كتب بعض المؤرخين والبحاثة العَرَب والمُسلِمين عددا من الكتب حول الإستشراق وعلاقته بالاستعمار وحركات التبشير وعلاقتها بالاستعمار، مما يندهش له المرء من ترابط هذه المواضيع الثّلاثة، وهكذا بدأ الغزو الفكريّ لبلادنا مع قدوم حملة نابليون (١٧٨٩م)، وبدأ تغلغل الماسون في البلاد العربيَّة والخِلافَة العُثْمَانِيّة، وبدأت رياح التغريب والإستعمار الفكريّ تهب عَلى بلادنا قبل الإستعمار الّذي أتى بزخمه أواسط القرن التّاسع عشر ومطلع القرن العِشرين، وكان قد بدأ منذُ القرن السَّادس عشر يقضم أطراف العالم الإِسْلَامِيّ.

وعلى منحى مواز للغزو الفكريّ دأبت طلائع الإستعمار عَلى صناعة الصنائع الاستعماريّة وإقامة علاقاتها بمختلف شرائح المجتمع ولاسيما قطاع أمرائه وعلمائه وهكذا تسللوا إلى الجملة العصبية للجسد الإِسْلَامِيّ الّذي كانَ يرتمي مريضا يحتضر مع الخِلافَة العُثْمَانِيّة، فلما نضجت الطبخة الاستعماريّة الكبرى، أعان الإستعمار عَلى غزواته ما حققته أوربّا مما أسلفنا من النهضة العلمية والثَّورة

الصناعية والتطور في مجال السّلاح ووسائل النقل السريعة، وهكذا دهمنا الإستعمار وقد توفر له كلّ شيء وتساقطت بلاد المُسلِمِين بأسهل مما تسقط العاصفة أوراقا صفرا لشجرة مريضة قد نخر السوس ساقها وتآكلت جُذُورها ودب العطب في كلّ مناحي حضارتها دينيا وفكريا وسياسيّاً وعلى كلّ صعيد.

لقد أوصلتها السنن لأن يتحقق لنا ما أخبر به بن خلدون من قيام الممالك وزوالها واندثارها، وهكذا شهدت الحضارة نقلتها الرَّابعة بحسب توينبي كما أسلفنا في الفَصل السابق من الشّرق الإِسْلَاميّ إلى أوربّا الغربيّة الصّليبيّة ووريثتها أمريكا.

بداية الحملات الصّليبيّة الثّانية:

ويمكن التّاريخ للحملات الصّليبيّة الثّانية ودفعتها الرَّئيسيَّة بمطلع القرن التّاسع عشر حيث انطلقت حملة نابليون إلى مصر سنة ١٧٨٩، مع أن انطلاقهم نحو أطراف العالم الإِسْلَاميّ وتمكنهم من إنشاء رؤوس جسور وقواعد بحرية عَلى شواطئ بلاد المُسلِمِين واحتلال الجزر البعيدة في أطراف العالم الإِسْلَاميّ يرجع إلى أواسط القرن السَّادس عشر، حيث وصلت بهم الجرأة أن ينشئوا مُستَعمرات لهم عَلى شواطئ جَزِيرَة العَرَب وحتى عَلى التَّفكير في غزو الحرمين كما حاول الأسطول البرتغالي ذلك، ولكن العُثْمَانِيّين وقوتهم البحرية المسيطرة أفشلت المحاولة، وما لبث العُثْمَانِيّون أن سيطروا عَلى البحر المتوسط والبحر الأحمر وبحر العَرَب، وبعد أن سيطر الإنجليز عَلى مُستَعمرات البرتغال عَلى سواحل إفريقيا والهند والجزر الواصلة إلى الفلبين، وبعد احتلالهم لشبه القارة الهندية، تمكنوا من احتلال السواحل الجنوبية للجَزِيرَة العربيَّة وسواحل الخليج العربيّ – الفارسي- وأقاموا بالتّعاون مع مشيحات الخليج محميات لهم تتبع عمليا التاج البريطاني، ولم يتجرؤوا – لفهمهم الحضاري واستيعابهم- عَلى التَّفكير في احتلال قلب الجَزِيرَة العربيَّة ولاسيما الحجاز، لوجود المقدّسات فيها وخشية وجود الخِلافَة المركزية(العُثْمَانِيّة) ولو شكليا، وخشية أن يستفز إعلان الجِهَاد العام من قبلها دفاعا عن الحرمين المُسلِمِين ضدّ بَرِيطَانيَا في مناطق هيَ في غنى عن الصدام معهم فيها.

ثمّ بدأ التسابق الفرنسي – البريطاني بشكل سافر عَلى قلب العالم الإِسْلَاميّ جنوب المتوسط في بلاد الشّام ومصر وشمال أفريقيا والجَزِيرَة العربيَّة فاحتل نابليون مصر مطلع القرن التّاسع عشر

وزحف إلى جنوب فِلَسطِين كما احتلت فرنسا تونس والجَزَائِر وأجزاء من شمال مراكش ما بين ١٨٣٠- ١٨٤٤م، كما دخلت أسبانيا الصَّحرَاء المغربية ومنطقة الريف سنة ١٨٦٠م.

وبلغت الحملات الصّليبيّة الثّانية نقطة الذروة بعيد الحَرب العَالَمِيّة الأولى وخسارة الدّولة العُثمَانِيّة للحرب إلى جانب ألمانيا بعد سيطرة الماسون عَلى إدارتها، والحجر عَلى آخر خلفائها السُّلطَان عبد الحميد، فأبرمت معاهدة أو مؤامرة سيكس بيكو سنة ١٩١٧ وفي نفس السنة صدر وعد بلفور عن وزارة المُستَعمرات البريطانيَّة بإعطاء فِلَسطِين وطنا قوميا لليهود بعد أن تسيطر عليها بَرِيطَانيَا بحسب الاتفاقية الّتي جعلت فِلَسطِين في حصتها.

وهكذا سقط المشرق العربيّ كله تحت احتلال جُيُوش الحملات الصّليبيّة الثّانية تحت مسمّى الاستعمار الحديث، فدخل الجنرال الفرنسي (غورو) دمشق سنة ١٩٢٠ واحتلت فرنسا سوريا وكان لبنان ضمنها، ودخل الجنرال الإنجليزي (اللنبي) القُدس سنة ١٩٢١، واحتل الجيش البريطاني فِلَسطِين وشرقي الأردن والعراق بعد أن غدرت بَرِيطَانيَا بالشريف حسين ونكثت بوعودها الّتي كانَ قد أبرمها معه وزيرها (مكماهون) من أجل كسب معاونته وجر العَرَب للانقلاب عَلى الأتراك العُثمَانِيّين، حيث خدع الشريف حسين وظن أن بَرِيطَانيَا سوف تعاونه عَلى إقامة خلافة عربيَّة عَلى أنقاض العُثمَانِيّة تشمل جَزِيرَة العَرَب والعراق والشّام فقاد ما عرف باسم الثَّورة العربيَّة الكبرى حيث قاتل العَرَب في الحجاز والشّام إخوانهم الأتراك من جنود الخِلافَة بدعم وتعاون من الإنجليز، وكانت بَرِيطَانيَا قد احتلت مصر والسُّودَان قبل ذلك فيما آلت ليبيا إلى إيطاليا (١٩٠٤م).

هذا عن العالم العربيّ، أما في العالم الإِسْلَاميّ فقد تقاسمته أوربّا الاستعماريّة كذلك، فصارت الهند وبلاد السند (باكستان) وإيران تحت الاحتلال البريطاني، ووُضعت تركيا باسم الاستقلال والجمهوريّة تحت حكم يهود الدونمة بإشراف اليَهُوْدي (مصطفى كمال أتاتورك) الّذي أقام الجمهوريّة التركية وأعلن إسقاط الخِلافَة، وتخلت بذلك تركيا عن إرثها في الدّول العربيَّة والإِسْلَاميّة للعالم الصّليبيّ، فيما تقاسمت فرنسا وبريطانيا الدّول الإِسْلَاميّة في وسط إفريقيا.

أما روسيا فقد انطلق قياصرتها منذُ أواسط القرن السَّادس عشر في حركة استعماريّة التهمت الممالك الإِسْلَاميّة واحدة تلو الأخرى فاحتلت روسيا بلاد القرم والبشكير وتتارستان وبلاد القفقاس؛ الشِّيشَان وداغستان وجورجيا وأذربيجان وانطلقت شرقا لتبتلع تركمانستان وأوزبكستان وطاجيكستان وقيرغيزستان وكازاخستان وكانت قد استولت عَلى سيبيريا بالكامل وحطت جُيُوش القياصرة رحالها عَلى ضفاف نهر جيحون عَلى حدود أفغانستان سنة ١٩٠٤ بعد أن كانت قد أسقطت عواصم الإِسْلَام الكبرى؛ مثل: مرو وبخارى وترمذ وسمرقند وطشقند... ثمّ ورثت روسيا الشُّيُوعِيّة بعد الثَّورة البلشفية ١٩١٧م تلك المُستَعمرات بعد أن قضت عَلى الأسرة القيصرية وكان لليهود الرُّوس دور رئيسي في الثَّورة الشُّيُوعِيّة فكرا وتنفيذا.

أما بلاد نجد والحجاز فقد استولت عليها بَرِيطَانيَا بطريقة ذكية تتناسب مع قدسية الحرم، فقد تبنت بَرِيطَانيَا أميرا شابا من أسرة آل سعود الّتي كانت قد لجأت إلى الكويت بعد سقوط الدّولة السّعُودِيّة الثّانية، حيث تعرفت وزارة المُستَعمرات عَلى عبد الرَّحمٰن آل سعود عن طريق عميلهم الأكبر في الكويت (مبارك الصباح) الّذي يدعوه قادة التنصير في جَزِيرَة العَرَب بـ (مبارك العظيم) جراء ما قدم لهم من خدمات وتسهيلات للتنصير في جَزِيرَة العَرَب[1]، وهكذا عرضت بَرِيطَانيَا عَلى عبد الرَّحمٰن آل سعود معاونتها لاستعادة ملك أجداده في نجد، فقدم لهم بسبب كبر سنه ولده عبد العزيز سنة ١٨٩٨، فمولت بَرِيطَانيَا حملته الأولى عَلى نجد سنة ١٩٠١ ثمّ ونتيجة ما لاقاه من الصعوبات تبنى عبد العزيز فكرة إحياء الدّعوة الوهابية وعاود الكرة في السنة التّالية، وتمكن بمساعدة بَرِيطَانيَا الّتي أمدته بالمال والخبراء والضُّبَّاط الإنجليز وبسبب زعمه حمل راية الدّعوة الوهابية حصل عبد العزيز عَلى مساعدة جماعات (الإخوان) حملة الدّعوة الوهابية الّذين ساعدوه فتمكن من دخول نجد والاستيلاء عليها، وبعد تفكير عميق تخلت بَرِيطَانيَا عن (الأشراف) في الحجاز لصالحه لتضع كامل بلاد نجد والحجاز ومعظم جَزِيرَة العَرَب تحت سلطة عبد العزيز بن عبد الرَّحمٰن آل سعود الّذي أعلنته بَرِيطَانيَا سلطانا عَلى نجد والحجاز سنة ١٩٣٥ لتقوم (الدّولة السّعُودِيّة الثّالثة)، وأبرم التاج البريطاني

(١) انظر محاضرة (صانعوا الخيام) للشيخ سلمان – رزقه الله – العودة.[المؤلف]

مع عبد العزيز اتفاقية تبعية يلتزم فيها بان لا يخرج عن مشورتهم وأوامرهم وأن لا يبرم معاهدة ولا اتفاقا إلا بإذنهم مقابل كفالة التاج البريطاني لعرشه مدّة حياته ولأبنائه وراثيا من بعده، ثمّ أمدت بَرِيطَانيَا عبد العزيز ليحارب الإخوان وساعدته بالطائرات فقضى عَلى بقيتهم في معركة(السبيلة) الشهيرة، ليخلوا له الجو ويدخل من تبقى من حملة الدّعوة الوهابية تحت عباءة سلطانه وملكه.

وبعد أن سيطرت بَرِيطَانيَا عَلى فِلَسطِين تعاونت بشكل كثيف مع الوكالة اليَهُوْدية للهِجرَة الّتي أقامتها الحركة الصّهيونيّة، وضخت في فِلَسطِين مئات آلاف اليَهُوْد الّذين شحنتهم السفن من مختلف الدّول الأوربية ولم يكن عدد اليَهُوْد الأصليين في فِلَسطِين يجاوز ١٥٠٠٠ نسمة عندما احتلتها بَرِيطَانيَا، وشعر المُسلِمُون بالخطر الداهم وقامت الثَّورة الّتي قادها الشَّيْخ عز الدّين القسام ﵀ الّذي قدم من الساحل السّوري لإحياء الجِهَاد في فِلَسطِين سنة ١٩٣٦، واشتعلت المعارك بين المُسلِمِين واليَهُوْد، فاستنجدت بَرِيطَانيَا بعبد العزيز آل سعود لإخماد الثَّورة، فأرسل ابنه ووزير خارجيته فيصل من أجل إقناع الفلسطينيين بوقف الثَّورة وإعلان الهدنة، فاقنع فيصل زعمائها بالوثوق بوعود (صديقتنا بَرِيطَانيَا) عَلى حد زعمه، وهكذا أجهضت الثَّورة الرَّئيسيَّة الّتي وقفت في وجه حملات التهجير والتهويد في فِلَسطِين، ثمّ تتابعت جهود مختلف الدّول الأوربية في دعم وكالة الهِجرَة اليَهُوْدية وإمداد اليَهُوْد بالمال والسّلاح حتَّى وصل عددهم سنة ١٩٤٧ إلى ٦٥٠ ألف نسمة، وتمت مسرحيَّة دخول الجُيُوش العربيَّة وهزيمتها في فِلَسطِين سنة ١٩٤٧ فأعلن اليَهُوْد ميلاد دولة إسرائيل لتسارع الجَمعيَّة العامّة للأمم المتحدة وبمباركة من دول أوروبّا وأمريكا وروسيا للاعتراف بها.

وهكذا زرعت الحملات الصّليبيّة الثّانية الكيان السرطاني اليَهُوْدي في أقدس مقدّسات المُسلِمِين واحتل اليَهُوْد نصف مدينة القُدس بعد أن استولت بَرِيطَانيَا الصّليبيّة عَلى بلاد نجد والحجاز بصورة غير مباشرة عبر صك الملك الوراثي في عبد العزيز وأبنائه.

إذن...

لقد سقط العالم العربيّ والإِسْلَامِيّ برمته تحت الإحتلال الغربيّ الّذي لم يخف هويته الصّليبيّة، فقد صاح الجنرال اللنبي وهو يركز علم بَرِيطَانيَا ذي الصّليبيّن عَلى قمة جبل الزّيتون في بيت المَقْدِس

قائلا: (**الآن انتهت الحُرُوب الصّليبيّة**)، وكذلك ذهب الجنرال غورو الفرنسي إلى ضريح صلاح الدّين وضرب قبره بالسيف وكسر قطعة منه وقال له: (**ها قد عدنا يا صلاح الدّين**)، وصرح موسوليني حاكم إيطاليا الاستعماريّة بأنه يحمل أمجاد الرُّومان إلى جنوب المتوسط، وهكذا كانَ سلوك باقي الدّول الأوربية حيث ذهبت.

واستمرت هذه الحملات في احتلالها المباشر العَلنيّ طيلة ما سمي بمرحلة الإستعمار القديم، إلى أن أدت الثورات الجهاديّة، والحركات التحررية إلى إجبار الدّول المُستَعمرة عَلى تغيير أسلوبها إلى مرحلة الإستعمار الحديث، لتتابع الحملات فتكها بكافة بلاد العالم الإِسْلَاميّ بشكل أذكى وأدهى، فبدأ إعلان استقلال الدّول العربيَّة والإِسْلَاميّة منذُ مطلع الأربعينات وكان آخرها دولة الإمارات العربيَّة المتحدة، الّتي أعلن (استقلالها!!) سنة ١٩٧٣، أما الممالك الإِسْلَاميّة الّتي احتلها الرُّوس فلم ينفك عن الإحتلال المباشر إلا بعضها عند تفكك الاتحاد السوفييتي سنة ١٩٩٠م.

وكما أسلفت فإن استقلال تلك البلاد كانَ شكليا، وأدى قيام روسيا وأمريكا كدولتين عظميين إلى أن ترث كلّ منهما القيام بمهام الإستعمار الحديث في معظم تلك الدّول ولم يبق لفرنسا وبريطانيا إلا بعض الفتات الاستعماريّ هنا وهناك.

وقد سجل التّاريخ الحديث أن الثورات الجهاديّة الّتي قارعت الاستعمار وواجهت الحملات الصّليبيّة الثّانية قد اشتعلت في كافّة بلاد العالم الإِسْلَاميّ، ولم تترك الاستعمار ينعم بالهدوء، فكانت الثورات ما تلبث أن تهدأ لتندلع من جديد، فقد أجبرت ثورات العُلَماء بَرِيطَانيَا عَلى الرحيل مبكرا عن أفغانستان، ثمّ جلت عن الهند وباكستان بعد احتلال دام قرابة قرنين، وكذلك أجبرتها ثورات العراق ومصر والسُّودَان وعدن عَلى الرحيل بعد خسائر كبيرة، وكذلك خرجت فرنسا من الجَزَائِر وتونس والمغرب وسوريا بعد خسائر فادحة، وبنفس الطَّريقة خرجت إيطاليا من ليبيا وكذلك أسبانيا من المغرب... وهلم جرا.

والدارس لمسار الحملات الصّليبيّة الثّانية يجد بعض النقاط الهامة في الإختلاف وتطوير الصّليبيّين لأساليبهم بين الحملتين الأولى والثّانية، ومن أهمّ ذلك:

أن الحملات الصّليبيّة الأولى كانت ذات بعد ديني أساسا ممتزج ببعد اقتصادي ثانوي، في حين كانت الحملات الثّانية ذات بعد ديني صليبي واقتصادي استعماريّ وسياسي من أجل الصِّرَاع عَلى النفوذ، وكذلك ذات بعد حضاري يقصد إلى نشر ثقافة المُستَعمر ونظمه العلمانيّة في البلاد المُستَعمرة.

أن الحملات الصّليبيّة الأولى تركزت عَلى سواحل المشرق والشّام فقط، في بيت المَقْدِس وأكنافه وسواحل سوريا ولبنان، في حين استهدفت الحملات الصّليبيّة الثّانية كامل بلاد العالم العربيّ والإِسْلَاميّ، وتركزت في الشّرق الاوسط وفي دعم إسرائيل في بيت المَقْدِس.

أن الحملات الصّليبيّة الأولى استهدفت الأرض باحتلالها، في حين استهدفت الحملات الثّانية احتلال الأرض والإنسان المسلم الّذي قصدته بالمسخ والتغيير في كافّة أبعاد مكوّناته الحَضَاريَّة.

وهذه أهمّ الملاحظات؛ وهي أن الحملات الأولى تمت في حالة جهالة تامة من قبل المُستَعمرين الصّليبيّين بالأرض الإِسْلَاميّة وسكانها وكامل مكوّناتهم الحَضَاريَّة والدّينيّة والثَّقافيَّة، في حين تمت الحملات الثّانية بناء عَلى معرفة تفصيلية ودراسات متعمقة مكنتهم من الدخول عَلى بصيرة توغلوا فيها وفق خرائط واضحة المعالم للأرض والشّعوب وتركيبتها النّفسية والعرقية والدّينيّة وكامل مواصفاتها، وهذه نقطة تحتاج الوقفة التّالية:

فماذا كانَ من شأن المرجعيات الثّلاثة في قيادة المجتمعات العربيَّة والإِسْلَاميّة؟؟

حالة المرجعيات الإِسْلَاميّة خلال الحملات الصّليبيّة الثّانية:

على صعيد المرجعيات السّياسيّة:

كانت قد سقطت تماما بسقوط الخِلافَة العُثْمَانِيّة عمليا (منذ نهايات القرن الثَّامن عشر) ثمّ رسميا (١٩٢٤م) وكان حال القيادة السّياسيّة لا يقل إن لم يزد سوءا في الغالب عن أحوال أمراء المشرق المتنازعين أيّام غزو الصّليبيّين والتّتار، وبالإمكان القول أن المُسلِمين كانوا بلا مرجعية سياسيّة عمليا.

عَلى صعيد المرجعية الدّينيّة:

فقد كانت المرجعية ما تزال حية، وتمثلت في تلك المَرحَلَة بأئمة المذاهب الفقهيّة، ومراكز الإشعاع الدّيني ككبريات المساجد في كلّ بلاد المُسلِمين، وبرزت في هذه المَرحَلَة الطرق الصوفية

كمرجعية دينية في أكثر بلاد المُسلِمين، حيث كانت الصوفية قد ازدهرت خلال المَرحَلَة العُثمَانِيّة وما سبقها، وهكذا قام العُلَماء وأئمة الصوفية بدعوة العامّة للجِهَاد والمُقاوَمة وقادوا تلك الانتفاضات الجهاديّة بأنفسهم.

على صعيد المرجعية الاجتماعيَّة:

فقد كانَ النّظام القبلي العشائري مازال متماسكا في معظم العالم العربيّ والإِسْلَاميّ وكان متداخلا جدا مع المرجعية الدّينيّة مما وفر القَاعِدَة الشعبيَّة لوقود الثَّورة.

وهكذا عمت الثورات عَلى الإستعمار العالم الإِسْلَاميّ بأكمله، مثل ثورة الإِمَام شامل في القفقاس عَلى الرُّوس والَّتي استمرت زهاء أربعين سنة وكذلك ثورات الأوزبك وغيرهم في وسط آسيا والَّتي أخمدها الرُّوس بكل قسوة، فتحول المُسلِمُون في جِهَادهم إلى الحفاظ عَلى دينهم وقومياتهم سرا، وما زالت الثورات تندلع ضدّ الرُّوس طوال تاريخهم، وكذلك قامت ثورات ضدّ الإنجليز قادها (علماء الديوبند) وأئمة المذهب الحنفي والطرق الصوفية في شبه القارة الهندية وبلاد السند وأفغانستان الّتي انتهت بجلائهم، وكذلك واجه الإنجليز ثورات العراق والثَّورة المهدية في السُّودَان والانتفاضات الّتي قادها علماء الأزهر في مصر، وكذلك ثورة علماء اليمن عَلى الإنجليز، كما واجهت فرنسا ثورة ضارية في الجَزَائِر وكذلك اعمال مقاومة كثيرة في المغرب وسوريا وبعض البلاد الإفريقية كما قام عبد الكريم الخطابي بجِهَاد الإسبان وتحالف جُيُوش أوربّا في الريف المغربي وهزم في معركة أنوال الشهيرة جُيُوش خمس دول أوربية مجتمعة أسر فيها آلاف الجنود وأكثر من مئة جنرال، وكذلك قاد عمر المختار والسنوسيين الجِهَاد ضدّ إيطاليا في ليبيا لأكثر من أربعين سنة، وكذلك كانَ الأمر في مختلف بلدان العالم الإِسْلَاميّ.

وهكذا ورغم غياب المرجعية السّياسيّة، تمكنت المرجعيتان الدّينيّة والاجتماعيَّة من لم شمل الأُمّة، وإطلاق المُقاوَمة عبر حُرُوب العِصَابات الجهاديّة وأنواع المُقاوَمة المدنيّة والعصيان وأعمال التظاهر والكفاح السّياسيّ، مما أدى في نهاية المطاف إلى إجبار المُستَعمرين عَلى الرحيل وإعطاء تلك

البلاد استقلالها، ولكن بعد أن تمكن الاستعمار من وضع أسس المَرحَلَة التّالية من الحملة الصّليبيّة الثّانية بأسلوب ماكر خبيث، وهو ما عرف باسم الاستعمار الحديث.

وكانت معادلة القوى في صِرَاع المُسلِمِين مع الحملات الصّليبيّة الثّانية خلال مرحلة الاستعمار العسكريّ إلى الاستقلال بعد أن دخل اليَهُوْد فيها بشكل أساسي منذُ الحَرب العَالَمِيّة الأولى فصارت المعادلة عَلى الشّكل التّالي:

أمة الصليب + أمة اليَهُوْد × أمة الإِسْلَام ← انتصرت أمة الإِسْلَام

ومرة أُخرى يمكننا القول هنا أن المُقاوَمة والمُوَاجَهة لم تكن من فعل عِصَابات محدودة ولا تنظيمات سرية ولا نخب عقدية فقط وإنما شملت أمة الإِسْلَام في كلّ قطر حيث التفت حول زعماء الجِهَاد والثَّورة، فلما كانت قضية الصِّرَاع قضية أمة في مُوَاجَهة أمم تأهلت الأُمّة للانتصار ورحل الاستعمار.

وهنا ينتقل الحديث إلى مرحلة الاستعمار الحديث ما بين الحملتين الصّليبيّتين الثّانية والثّالثة والّتي تناولتها في المحاضرات السَّابقة الّتي غطت هذا البحث تحت عنوان المَرحَلَة الثّانية من الحملات الصّليبيّة، ثمّ أجد الآن أنها مرحلة مستقلة مهدت للحملات الثّالثة ولذلك سأتناولها هنا بعنوان مستقل هو ما يلي.

مرحلة الاستقلال السّياسيّ (الشكلي) وقيام الاستعمار الحديث

خلال المَرحَلَة الممتدة ما بين حصول الاستقلال في البلاد العربيَّة والإِسْلَاميّة، وقيام النّظام العَالَمِيّ الجَدِيد (١٩٩٠م) أي منذُ الأربعينات إلى السبعينات بحسب استقلال الدّول وإلى سقوط الاتحاد السُّوفيتيّ وتفرد أمريكا بإدارة العالم وقيادة الرُّوم المعاصرين، تحولت الدّول الأوربية وروسيا وأمريكا اللتان دخلتا عَلى خط الاستعمار تحولت إلى مرحلة عرفت بمصطلح الإستعمار الحديث، والّذي لم تنفك منه بلاد العَرَب والمُسلِمِين إلى يومنا هٰذا، حيث ورثت أمريكا وإدارتها الصّهيونيّة مهمة قيادة الحملات الصّليبيّة الثّالثة كما سنبين لاحقا إن شاء الله.

أما عن هذه المَرحَلَة، فاستكمالا لما كانَ المُستَعمرون الأوربيون قد قرروه من الغزو الفكريّ للمسلمين من أجل إحكام السّيطرة عليهم، لم يضيع المُستَعمرون الوقت واستفادوا من تجربهم السَّابقة

وما أسسوه من مشاريع التبشير والاستشراف والاستعمار، فقد قدمت مع جحافل الاحتلال الأولى وسائل الغزو الفكريّ والثقافي، فافتتحت المدارس التبشيرية والجامعات الغربيّة وأنشئت المطابع والأندية الاجتماعيَّة والثَّقافيَّة، والصّحف ودور النشر، ونشر الاستعمار أفكار التغريب والعلمانيّة وأنشأ الأحزاب الوطنيّة عَلى أساسها ليؤهلها لمرحلة الاستقلال، وشجع الاستعمار عبر النَّشَاطات الأدبية والفكريّة والثَّقافيَّة عمليَّات التغريب، كما فتح البَاب عَلى مصراعيه لخروج الشَّبَاب المثقف إلى الدّول المُستَعمرة من أجل إكمال دراساتهم الجامعية والعليا، ليعودوا محملين بأفكاره وثقافته وقد بهرتهم حضارته وملئت قلوبهم وعقولهم ولم يبق لهم من النسبة إلى أمتهم إلا لون البشرة ولغة اللسان !! وقد أسفرت هذه الجهود عبر مرحلة الإستعمار الّتي استغرقت عقودا في بعض البلاد، وجاوزت القرن في بلاد أُخرى كما في الجَزَائِر وشبه القارة الهندية، بل أكثر من ذلك في مناطق أُخرى كوسط وأطراف آسيا وبعض بلاد أفريقيا، وأثمرت هذه الجهود الاستعماريّة بالغة الذكاء عن نتائج غاية في الأهمّيّة كونت مقوّمات الاستعمار الحديث ومهدت للحملات الصّليبيّة الثّالثة، ومن تلك النتائج:

أنشأ المُستَعمر عَلى عينه نخبا سياسيّة في بلادنا وأهلها لتحل محله وتسهر عَلى حراسة مصالحه وتقوم بأعبائه بأبنائنا، فتحقق له المكاسب ولا يتحمل خسائر المُوَاجَهة مع المُقاوَمة، لأن هذه النُّخبَة الوطنيّة تبدو أمام شعوبها راعية الاستقلال.

إختار الإستعمار بحسب أحوال كلّ بلد شكل السّلطة؛ إما أسرا حاكمة تتوارث الملك كما في بلاد جَزِيرَة العَرَب والأردن والمغرب بكفالته وإشرافه، وإما أحزابا سياسيّة تتداول السّلطة عبر حياة نيابية مسرحيَّة كما في الهند وباكستان وبعض الدّول العربيَّة، في حين اختار طريقة الانقلابات والدكتاتوريات العسكريّة لبلاد أُخرى، كما مصر وسوريا والعراق، كما أوجد نوعا من الدكتاتوريات المدنيّة في صنف ثالث، لتتولى تلك السُّلطات الحكم من بعد رحيله فيما عرف بمرحلة الإستقلال.

أشرف المُستَعمر عبر تسليط الضوء الإعلاميّ والمسرحيات السّياسيّة والعسكريّة أحيانا عَلى صناعة هذه النخب الّتي قرر الاعتماد عليها لتبدو أمام شعوبها وكأنها صانعة الإستقلال، وتمت سرقة الجهود الجهاديّة الّتي قام بها العُلَماء والمرجعيات الدّينيّة والشّعوب الّتي جاهدت تحت شعار الإِسْلَام

من أجل تحقيق الاستقلال، وهكذا سارت المظاهرات المصفقة من قطعان البشر الّتي مسخها الاستعمار مع الوقت لتحمل أفكار القوميّة والوطنيّة وتنتمي إلى تيارات الفكر السّياسيّ الغربيّ من اشتراكية وديمقراطية وشيوعية ولبرالية رأسمالية وسواها، وهكذا أعلن الإستقلال الشكلي في بلادنا وطبّلت الشّعوب وزمّرت للأصنام المصطنعة الّتي حملت عَلى عاتقها مهمة استمرار المَرحَلَة الثّانية من الحملات الصّليبيّة الثّانية وسيطر الاستعمار الحديث عَلى بلادنا بشكل كامل.

ربط المُستَعمر هذه الأنظمة الّتي صممها ورسم حدود بلادها وشكل بنيتها به عبر أساليب عديدة من أهمّها إقامة القواعد العسكريّة لجُيُوشه في أكثر تلك البلاد بحيث يستطيع نشرها وإعادة السّيطرة متى شاء ومن أجل استخدامها في صراعاته الدّولية، كما ربط تلك الأنظمة والبلاد (المستقلة!) بالمعاهدات السّياسيّة والاقتصاديَّة والعسكريّة والثَّقافيَّة والأمنيّة بطريقة تضمن له تبعيتها أكثر من فترة الاستعمار العسكريّ.

أقام المُستَعمر عبر شركاته الاحتكارية الكبرى، وما قيدنا به من الاتفاقيات الاقتصاديَّة وما وضعنا به تحت الإشراف القسري بمؤسسات النقد الدّولي، ما شكل عمليا إخطبوطا أمسك بكافة مقدرات بلادنا وضمن له نهب ثرواتنا ولاسيما النفطية والغازية والثّروات المعدنية، وأنشا مع عملائه وشركائه من أبناء وطننا الّذين تكونوا من رجال السّلطة وكبار التجار، وبهذا قام الإستعمار الاقتصاديّ بامتصاص دماء شعوبنا وقوت أبنائنا، ليحصل عَلى ما جاء من أجله بجُيُوشه الجرارة ولكن دونما خسائر ولا عساكر في هذه المَرحَلَة.

نشر المُستَعمر مؤسسات التنصير وحماها، فتعرضت بلاد العالم الإِسْلَاميّ لحملات كثيفة من التنصير لم تثمر في قلب العالم الإِسْلَاميّ والعربي إلا عن تشكيك بعض المُسلِمِين بدينهم وإضعاف ارتباطهم به ولكنها نجحت في أطراف العالم الإِسْلَاميّ كأواسط إفريقيا وجنوب شرق آسيا كالفلبين وإندونيسيا وبنغلادش وبورما حيث تنصر عشرات الملايين من المُسلِمِين!

عمل الإستعمار الحديث عبر نوابه الأشاوس هَؤُلَاءِ! عَلى استبعاد الشّريعة الإِسْلَاميّة والحكم بما أنزال الله في بلاد المُسلِمِين، وقام أبناؤنا الّذين تخرجوا من كليات الحقوق والقانون في جامعات

الغرب، بوضع دساتير وتشريعات وقوانين مبنية عَلى أصول القانون الغربيّ والحضارة الرُّومانية ودساتيرها الوثنية، وقام هَؤُلَاءِ (المشرّعون) الّذين اغتصبوا (حق الألوهية والتَّشريع) بسن القوانين وصياغة الدساتير الّتي استمدت من القانون الفرنسي والبريطاني وصارت أساس بنية السُّلطات والهيكل السّياسيّ في بلاد المُسلِمِين.

عمل المُستَعمر نتيجة دراسة متعمقة لشعوبنا ومكوّناتها الدّينيّة والاجتماعيَّة والحَضَاريَّة عموما عَلى تحطيم المرجعيات الثّلاثة الّتي تحدثنا عنها والَّتي تولت هزيمته في الحملتين الصّليبيّتين الأولى والثّانية:

فأما المرجعية السّياسيّة:

فقد أسقطت الخِلافَة ثمّ تولى المُستَعمر بنفسه المرجعية السّياسيّة، ثمّ تولى تسليمها إلى من نصبهم من الملوك والرؤساء والأمراء والسلاطين ليتبعوه في كلّ شيء فيحكمون بقوانينه، ويقيمون نظامهم السّياسيّ عَلى أصوله، ويبنون أفكارهم وأحزابهم عَلى أفكاره المستوردة، ويرتبطون به بكل أواصر الوَلَاء والمودة، وهكذا دمرت المرجعية السّياسيّة للمسلمين وغابت نِهَائِيًّا منذُ سقوط الخِلافَة حتَّى بشكلها الرمزي ١٩٢٤ م.

وأما المرجعية الدّينيّة:

فقد ركز المُستَعمر حربه عَلى المساجد والعُلَماء والهيئات الدّينيّة المستقلة عند الحُكُومَات كالأزهر في مصر، وجمعيات علماء الإِسْلَام ومؤسساتهم المختلفة، فاستمال نوابه عبر سيف المعز وذهبه كثيرا من أقطاب الوسط الدّيني ورجالاته وعلمائه، واستحوذت حُكُومَات الإستقلال بعد الإستعمار عَلى المؤسسات الدّينيّة ودمجتها في وزارة سميت وزارة الأوقاف أو الشؤون الدّينيّة أو ما شابهه.

وأنشأت أكثر الحُكُومَات مرجعيات دينية منافقة تعمل بأمر السُّلطَان وتصدر الفتاوى المفضلة بحسب الإرادات الملكية والرئاسية كما حصل لإدارة الأزهر في مصر والزَّيتونة في تونس وهيئة كبار العُلَماء والأمر بالمعروف والقضاء الأعلى والدّعوة والإرشاد في السّعُودِيّة وقس عليها ما جرى في سواها.

وعمدت أجهزة الإعلام وسياسات الدّولة إلى تشويه كلّ من أبى من العُلَماء المخلصين وأئمة المساجد المستقلين والعُلَماء وطلاب العلوم الشَّرعيَّة فقطعت أرزاقهم وحاصرتهم ماديا ومعنويا، ومع الوقت حولتهم في نظر المجتمع (المتحضر) كما يسمونه ويروجون في الإعلام إلى نموذج مضحك من التخلف والنفعية والبعد عن الواقع، وهكذا راقبت الحُكُومَات المساجد وفرضت خطب الجمعة واستوعبت بشكل أو بآخر هذه المرجعية الدّينيّة الّتي كانت الملاذ الأخير للأمة، ونجحت هذه الخطة الاستعماريّة بشكل متفاوت بحسب بلاد المُسلِمِين فقد كانَ نجاحها باهرا في العالم العربيّ ولاسيما الشّام ومصر وشمال أفريقيا وبلاد الجَزِيرَة، وكان تاما كاملا كما في تركيا في، حين كانَ أقل من ذلك في بعض البلاد، ومحدودا كما في أفغانستان والباكستان وما شابهها من الظّروف، ولكن بالإجمال؛ تمَّ تدمير أو شل المرجعية الدّينيّة الكلاسيكية الّتي حفظت للمسلمين المحرك الوجداني للمقاومة عبر التّاريخ.

ومن الإنصاف أن نقول ونذكر أنه رغم الدَّور البارز الّذي لعبته المرجعيات الدّينيّة في مقارعة الإحتلال إلا أنها كانت ومنذ المَرحَلَة العُثمَانِيّة تسير نحو التخلف وتعتريها الأمراض والعلل عَلى صعيد انتشار البِدَع والطرق الصوفية الغالية والمتحللة والداعية إلى الخنوع، كما أصاب المرجعية الدّينيّة عموما البعد عن المنهج العلمي الشَّرعيّ والتخلف في مجالات الإبداع والاجتهاد، مما سهل عَلى المُستَعمر والحُكُومَات عزلها وتفكيكها مع الوقت، بل استطاع المُستَعمر أيّام الاستعمار أن يستميل كثيرا منها إلى صفه ويكون طبقة من علماء الاستعمار تضاهي طبقة علماء السُّلطَان وتجاوزها في الاثر والضرر عَلى الأُمَّة وبدا أن هذه المرجعية الدّينيّة ذاتها بحاجة إلى ثورة تجديد تعيدها لأصولها الصَّحِيحة ونضارتها وجدارتها التارِيخِيَّة.

أما عَلى صعيد المرجعية الاجتماعيَّة:

فقد تمَّ تفكيكها مع قيام الدّول الحديثة والمدن الكبرى وهِجرَة العمال والطلاب والموظفين من الأرياف إلى المدن بسبب طبيعة المجتمع المدني المعاصر، مما أدى لتحلل القبائل وضعفت الروابط العشائرية وتهلهلت وعجزت عن أن تكون رابطة عصبية تمكن زعماءها ورؤوسها من لعب دور مركز ثقل في الأحداث والتغيرات السّياسيّة، وقد تفاوت هذا التحلل من بلد لآخر، ففي حين ما تزال

القبلية مسيطرة قوية في بعض البلدان مثل أفغانستان واليمن وبعض أطراف جَزِيرَة العَرَب وإفريقيا، تفككت هذه الروابط بشكل شبه كامل، وغاب أثر هذه المرجعية تماما وزال في معظم باقي الدّول نتيجة التّحولات الاجتماعيَّة والاقتصاديَّة المعاصرة.

وهكذا قامت أنظمة الرِّدَّة في العالم العربيّ والإِسْلَاميّ لتتولى حكم شعوبها بالحديد والنار وتقوم بكافة مهام الإستعمار لصالحه من أجل الحفاظ عَلى عروشها.

فمن الّذي واجه مصائب هذه المَرحَلَة الماكرة من الحملات الصّليبيّة الثّانية بإدارة نوابها من الحكَّام المرتدّين؟ لاسيما بعد تحطم الهياكل الأساسيّة لمرجعيات الأُمّة وانهيار مقوّمات الصمود والمُقاوَمة فيها؟!

لقد قامت بعض الأحزاب المعارضة لأنظمة الحكم هذه، بمناوأة الإستعمار في أهدافه السّياسيّة والاقتصاديَّة، ولكن معظم تلك الأحزاب قامت أيضا عَلى نفس الأفكار الوافدة من الغرب، وتبنى معظمها في العالم العربيّ والإِسْلَاميّ الإيديولوجيات القوميّة اليسارية أو الليبرالية الدِّيمقراطيَّة، ولأن هذه المعارضات هيَ أيضا صنائع استعماريّة من النَّاحية الفكريّة، أمكن للمُستَعمر أن يستعملها ويوظفها أو يقضي عليها، أو يعطيها فرصة استلام السّلطة للانقلاب عَلى الحكم القائم واستبداله بحكم جديد من تلك الأحزاب العلمانيّة والمعارضات السّياسيّة، كما حصل في سلسلة الانقلابات العسكريّة في سوريا ومصر والباكستان والجَزَائِر والعراق واليمن وليبيا، وفي كثير من البلاد الإفريقية أو في جنوب شرق آسيا، وفسح الاستعمار المجال لشيء من التبادل الديمقراطي للسلطة في بعض البلاد، فحلت أحزاب المعارضات محل أحزاب الحُكُومَات بالتداول، ولكن الحال العام ومقوّمات الارتباط بالاستعمار لم تختلف في شيء يذكر، في حين حافظ الإستعمار الحديث عَلى قبضته بالاستغلال الاقتصاديّ وامتصاص الثّروات وعلى سيطرته عَلى مركز الإشعاع الصّليبيّ والفكريّ الغربيّ عبر حُكُومَات بالية حفظ لها شكلها الخارجي وحكم كلّ شيء من خلالها، ولم يسمح لأي شكل من أشكال التداول الحقيقي للديمقراطية الّتي طبقت في بلاده.

لقد شهد العالم العربيّ والإِسْلَاميّ خلال مرحلة الخمسينيات والستينيات والسَّبعينيَّات تنامي المد القومي واليساري إلى أقصى حالاته، حيث وصل للسلطة في العديد من البلدان، فأدخل البلاد حيث وصل في حالة من التبعية للاتحاد السوفييتي مع شيء من الموازنة مع المصالح والارتباطات مع الغرب كما حصل في مصر والجَزَائِر وسوريا واليمن الجنوبي والصّومال وغيرها، وشهدت مرحلة الحَرب الباردة والصِّرَاع بين القطبين حالة انعكست عَلى بلادنا بالاضطراب السّياسيّ نتيجة تبعية الأحزاب القوميّة والوطنيّة واليسارية وكذلك الليبرالية بحسب تبعيتها للشرق أو للغرب، بحسب صِرَاع تلك البيادق عَلى السّلطة والنفوذ والعمالة للجهات الخارجيّة الّتي تمدها بالدعم المادي أو المعنوي والسّياسيّ من أجل الوصول لسلطة.

وهكذا عانت الشّعوب الإِسْلَاميّة من كافّة تلك الخيارات الّتي سمح لها الشّرق أو الغرب الصّليبيّ بالتنافس، في حين حكمت جميعها بأمر من أسيادها عَلى التوجّهات الإِسْلَاميّة بالإقصاء ومنعتها من أن تشكل مرجعية دينية تنهض بالأُمّة إلى مستوى مُوَاجَهة الانهيار الّذي غدا شاملا في كلّ منحي الحياة.

وخلال هذه الفترة تمددت إسرائيل لتلتهم باقي فِلَسطِين والشطر المتبقي من القُدس بل ولتحتل أجزاء من الدّول العربيَّة المجاورة تزيد مساحتها عَلى ستة أضعاف مساحة فِلَسطِين عبر حُرُوب مسرحيَّة كانَ أهمّها نكسة (٥ يونيو حزيران ١٩٦٧)، حيث أصبحت إسرائيل بعدها واقعا مريرا يستنزف مقدرات الأُمّة ويمرغ كبرياءها ويرهق واقعها السّياسيّ ويوفر لفراعنتها مادة المزايدات عَلى شعوبها.

ولأن الله تَعَالَى قد قضى بحفظ دينه وكتابه وببقاء طائفة ظاهرة عَلى الحقّ في هذه الأُمّة تقاتل عَلى هذا الدّين لا يضرها من خذلها ولا من خالفها وهم عَلى ذلك، نشأ في هذه الأُمّة ومنذ الأيّام الأولى لسقوط الخِلافَة، بذور الصّحوة الإِسْلَاميّة والنهضة المباركة في هذه الأُمّة عَلى شكل مدارس متنوعة المناهج والمشارب، ولكنها تسعى لهدف واحد هو إعادة الأُمّة إلى دينها وشريعتها وحكم ربها، وسأترك

التفصيل في ظاهرة الصّحوة للفصلين القادمين، ولكن أكتفي هنا بذكر معادلة المُوَاجَهة وأطراف الصِّرَاع في تلك الفترة بين الصّليبيّين وقوى المُقاوَمة في هذه الأُمّة.

فقد انتشرت ظاهرت الصّحوة الإِسْلَاميّة بأشكال شتّى، فكان أبرزها ما قام عَلى شكل أحزاب سياسيّة دخلت المعترك السّياسيّ سعيا إلى السّلطة من أجل تطبيق الشّريعة، وقام بعضها عَلى شكل مدارس فكريّة عقدية أو شكل جمعيات أو جماعات إصلاحية تهدف إلى إصلاح الفرد والمجتمع كي يتأهل لحكم الشّريعة، في حين قامت في أماكن أُخرى عَلى شكل أئمة وخطباء شعبيين وعلماء عامة ودعاة إصلاح، ووصلت في بعض الأحيان لتأخذ شكل المواجهات المُسلّحة مع الحُكُومَات المرتدّة. وكان لهذه الظَّاهِرة إنتاجها الأدبي وكتابها ومفكروها ورموزها، وانعكس الصِّرَاع الحضاري عَلى كثير من شرائح المجتمع بالرغبة بالتدين وانتشرت مظاهر الحجاب واللحى وانتشر الكتاب الإِسْلَاميّ وبعض العادات والأعراف الدّينيّة الّتي بدأت تغزو كافّة المجتمعات العربيَّة والإِسْلَاميّة.

وأحس الغرب الصّليبيّ والشرق الملحد الداعم لأنظمة الحكم المختلفة بالخطر، ودق ناقوسه وأوعز للحُكُومَات بدء حملات المُوَاجَهة والتصفية لهذه البذرة الحية الناشئة، لقطع جُذُورها قبل أن يسمق جذعها وتورق أغصانها وتوتي أكلها، وهكذا تحول الصدام في الأُمّة من كونه مع الإستعمار مباشرة ليصبح صداما بين أفراد وجماعات الصّحوة وبين الحُكُومَات المرتدّة صنيعة الاستعمار واتخذ هذا الصدام أشكالا عديدة من القمع والسّجون وحل الأحزاب وإغلاق الصّحف والجَمعيّات، ووصل في بعض الأحيان إلى مواجهات مسلحة عنيفة.

وخلال الفترة الممتدة من بدايات الاستقلال وإلى قيام النّظام العَالَمِيّ الجَدِيد وانطلاق الحملات الصّليبيّة الثّالثة بزعامة أمريكا، كانت بلاد العالم الإِسْلَاميّ جميعها تقريبا ميدانا مختلف السخونة والغليان لهذا الصِّرَاع الّذي صارت معادلته بعد دخول طرف جديد فيها عَلى الشّكل التّالي:

أمة الصليب + أمة اليَهُوْد + طائفة(حُكّام) الرِّدَّة × الصّحوة الإِسْلَاميّة ← هزمت الصّحوة

والملاحظ عَلى هذه المعادلة أمور في غاية الأهمّيّة، غيرت طبيعة قوى الصِّرَاع ونتيجته عما حصل في الحملتين الصّليبيّتين الأولى والثّانية ومن ذلك:

أولا: اختفاء دور الصّليبيّين واليَهُوْد في المُوَاجَهة المعلنة ليصبح إدارة ودعما من وراء الستار وتصدرت طائفة الرِّدَّة بقيادة الحكَّام من أوليائهم لمهمة المُوَاجَهة.

ثانيا: خروج الأُمّة وشعوبها من المُوَاجَهة لعدم ظهور العدوّ الحقيقي، وأخذ الصِّرَاع شكلا من أشكال الفتنة والاقتتال بين الحاكم وبعض طبقات المحكومين.

ثالثا: وقوع مهمة المُوَاجَهة مع هذه القوى الجبارة عَلى عاتق الصّحوة الإِسْلَاميّة الّتي لم تكن تشكل إلى قوى جزئية تعد بالعشرات أو المئات أو الآلاف عَلى أحسن الأحوال بحسب كلّ بلد مما أدى إلى سحقها أو إخراجها عن مسارها وإفشالها في تحقيق أهدافها.

رابعا: برز الدَّور الهام في هذه المَرحَلَة من الصِّرَاع للمؤسسة الدّينيّة الرَّسميَّة وكتيبة علماء السُّلطَان لتؤكد وتساعد عَلى خروج الأُمّة من المَعْرَكة وانحصارها في الفئات القليلة للظاهرين عَلى الحقّ، حيث قامت هذه المؤسسة بإصباغ صفة الشَّرعيَّة والشَّهَادة بالإِسْلَام والإيمان عَلى الحكَّام المرتدّين وأضفت عليهم لقب (أولياء أمور شرعيين) وبالتالي أكدت القناعة لدى العامّة بأن الخروج عليهم حرام وأن مواجهتهم فتنة وأن علاقتهم بالغرب وما يبرمون من المعاهدات الاستعماريّة هيَ ضمن صلاحياتهم بصفتهم أئمة شرعيون، وهذا ما باركه الغرب وسعى إلى تحقيقه.

وهكذا تصاعدت وتيرة الصدام بين تلك الحُكُومَات والصّحوة الإِسْلَاميّة بمختلف مدارسها ولاسيما المدرسة الجهاديّة المُسلّحة منذُ أواسط الستينات، ولكن الّذي حصل في نهاية هذا الصِّرَاع أنه لم يأتي عام ١٩٩٠م إلا وقد دحر نواب الإستعمار وطلائع الصّليبيّين من حكامنا المرتدّين قوى الصّحوة بمساعدة أسيادهم المُستَعمرين وبدعم استراتيجي من أجهزتهم الدّينيّة المنافقة وآلاتهم الإعلاميَّة الرهيبة، حيث استطاعوا دحر مختلف مدارس الصّحوة الإِسْلَاميّة وإيصالها إلى الفشل عمليا ومنعها من تحقيق أهدافها وحشرها في عنق زجاجة الأزمة، في حين وقفت شرائح الأُمّة من هذه المَعْرَكة المصيرية موقف المتفرج بكل بلادة تتجرع القهر وتتقلب في ألوان الاضطهاد وتعيش نكد العيش.

ومن المفيد جدا أن نعرض لخلاصة البرنامج الاستعماريّ في الغزو الفكريّ منذُ بداية الحملات الصّليبيّة الثّانية بقيادة أوربّا، وإلى قيام الحملات الصّليبيّة الثّالثة الأخيرة بقيادة أمريكا.

مسار المأساة وأسبابها بين الحملتين الصّليبيّتين الثّانية والثّالثة (١٧٩٨ م – ١٩٩٠م)

سأعتمد في بناء هذه الفقرة عَلى بعض الكتب البالغة الأهمّيّة الّتي لخص فيها شيخنا الشّهيد عبدالله عزام رحمه الله خُلاصة أسباب وطبيعة الإنقلاب الشّامل الّذي حصل في أحوال العَرَب والمُسلِمين خلال هذه الفترة، وهي كتاب (خط التّحول التّاريخي)، وكتاب (أضواء عَلى القوميّة العربيَّة) وكتاب (السرطان الأحمر)، حيث تشكل مادة هذه الكتب أساسا في فهم أسباب ما نحن فيه مما نعيشه اليَوْم، وفهم بَرَامج الحملات الأمريكيّة الحالية، الّتي سرعان ما يكتشف المرء بقراءته لهذه الكتب:

أن برنامج الأمريكان اليَوْم مطلع القرن الحادي والعشرين، حول الشّرق الأوسط الكبير، وبَرَامج تغيير المناهج التّعليميّة والدّينيّة، وبَرَامج رامسفيلد (لحرب الأفكار)، ما هيَ إلا عبارة عن تطبيق مكرر- ولكن بحماقة - لبرنامج الإستعمار الأوربي خلال القرنين الثّامن عشر والتاسع عشر من قبل.

حيث سأنقل مقاطع واسعة منها باختصار وتصرف طفيف، وأضع تلك النقول بين قوسين [..] مشيرا إلى مكانها في المصدر وهو: (موسوعة الذخائر العظام فيما أثر عن عبدالله عزام)، وأضع تعليقاتي وإضافاتي في ثناياها بين قوسين {..}. وقد كفتني كتبه الثّلاثة هذه – رَحِمَهُ اللهُ رحمة واسعة – عن العودة اللازمة لعشرات المراجع الّتي تغطي تاريخ وأحداث تلك الفترة، وهو أمر غير متيسر لي الآن ونحن نعيش مرحلة المخابئ والمطاردات الأمريكيّة – أخزاهم الله –، وأعيد التنويه إلى أن تراث الشَّيْخ عبدالله يحتوي من الكنوز السّياسيّة والفكريّة والشَّرعيّة ما يجعله ركنا أساسيا للتربية الفكريّة والمنهجيّة للمُجَاهدين في هذا الزّمان، فجزاه الله ما هو أهله.

قَالَ الشَّيْخ عبدالله عزام رحمه الله: [لقد شهدت المنطقة الإِسْلَاميّة خلال القرون الثّلاثة الماضية، تغيرا بدأ بطيئا ثمّ أخذ يشتد تدرجيا حتَّى إذا بدأ النصف الأوّل من القرن العِشرين بلغ التَّغيير قمته،

وأصبح سبيل التقليد للغرب عارما، حتَّى أصبح الناظر لأول وهلة يحسب أن هذا السيل الجارف لا يمكن الوقوف في وجهه، وأن محاولة التّصَدّي له هو ضرب من العبث الضائع أو الانتحار الواضح، وكانت معركة التَّغيير عَلى ثلاثة أطوار:

الطور الأوّل: اللقاء بين الغرب والشرق في ميدان القِتَال.

الطور الثّاني: المَعْرَكة بين الغرب والشرق في ميدان الفكر والثّقافة والدّين.

الطور الثّالث: المَعْرَكة بين أبناء الشّرق أنفسهم في ميادين الفكر والدّين والسّياسة.

(١) - أما الطور الأوّل:

فكان للغرب صولات وجولات إبَّان الحُرُوب الصّليبيّة، ثمّ انتهت بهزيمته نهَائِيًّا وخروجه مهزوما مدحورا.

(٢) - أما الطور الثّاني:

فقد اتبع الغرب أساليب عديدة، واستعمل وسائل كثيرة لإماتة المُسلِمِين موتا بطيئا، وكان هدفه في هذا الطور غسل أدمغة المُسلِمِين من إسلامهم وإخراجهم بهدوء من دين الله إلى دين الطَّاغوت، دون إثارة ضجة ولا صخب.

وتولت الأجهزة الغربيّة تربية طبقة بديلة لهم في جميع المجالات، وسلمت مقاليد الأمور لهم، وأبعدت الصادقين عن أجهزة التوجيه والبناء وأصبحت دوائر التّعليم والإعلام - الصحافة والراديو ومن ثمّ التلفزيون - بأيدي الطّبقة المنسلخة عن الشّرق (المسلم) المعلنة لولائها للغرب (الصّليبيّ الملحد).

ويمكن أن تتخلص مهمة هذه الفترة بكلمة جب - المستشرق الإنجليزي -:

(هذا - التّعليم - هو السبيل الوحيد لفرنجة البلاد الإِسْلَاميّة وتغريبها، لقد كانَ التركيز قويا لإنشاء الطّبقة الّتي تأخذ نهَائِيًّا بوجهة نظر لا سلطان للدين عليها، وحينئذ يمكن الجلاء عن أرضها وتسليمها زمام السّلطة فيها لأنها امتداد لفكر المحتل).

وكذلك تمثلها كلمة (لورد ميكالي) رئيس اللجنة التّعليميّة في الهند -:

(يجب أن ننشيء جماعة تكون ترجمانا بيننا وبين الملايين من رعيتنا وستكون هذه الجماعة هندية اللون والدم إنجليزية الذوق والرّاي واللغة والتَّفكير).

وهي نفس كلمة (اللورد ليد) – المعتمد البريطاني عن كلية فيكتوريا سنة (١٩٣٦م):

(ومتى تسنى للجمهور بأن يعرف هذه الكلية يتنبه الآباء أن تعليم أولادهم فيها ينمي فيهم من الشعور الإنجليزي ما يكون كافيا لجعلهم صلة للتفاهم بين الشرقي والغربيّ).

(٣) – أما الطور الثّالث:

(طور الإستقلال الوطني) كما يحلو لهم أن يسموه، ومجيء الأنظمة المحليَّة، والعسكريّة بالذات، فقد كانَ هذا الطور أشد الأطوار تأثيرا، وفرضت الحضارة الغربيّة بالقوة العسكريّة الّتي تسمَّى بالوطنيّة والتقدمية والشعبيَّة، وهذه الأنظمة الّتي جاءت بضجة الزفاف الوطني، والَّتي قدمت إلى الأُمّة بأهازيج شعبيَّة حماسية، وتحت هذا الضجيج والصخب قام أبناء الوطن – المستغربين – الحاكمين بنصب المشانق وسحق المبادىء واجتثاث القيم، وإبادة العُلَماء والمخلصين.

ولقد لقي الصادقون من أبناء جلدتهم الحاكمين – من العذاب والاضطهاد – أضعاف أضعاف ما رأوه أيّام الإنجليز والفرنسيين، ويكفي أن نضرب أمثلة لهذا:

ما لقيه الباتان[1] عَلى يد أمان الله خان في أفغانستان.

ما لقيه الأكراد عَلى يد مصطفى كما أتاتورك في تركيا.

ما عاناه الإخوان المُسلِمُون عَلى يد عبد النّاصر وزبانيته في مصر.

وما يواجهه الصادقون عَلى أيدي الأنظمة العسكريّة المنبثة في أرجاء العالم العربيّ والإِسْلَاميّ فهي نسق واحد ونموذج واحد في محاربة الحقّ وأهله ينسجون عَلى منوال سابقيهم ويسيرون عَلى نهجهم.

وإن صورة القسوة والوحشية الّتي عامل بها الغرب أبناء المُسلِمِين لتبدو هزيلة صغيرة بجانب الصُّورة الّتي عاملهم بها الحكَّام المحليون (الإنجليز السمر).

---

(١) الباتان : لفظ بلغة الأوردو واللهجة البنجابية يقصدون به البشتون .

خطوط التَّغيير:

هذا وقد سار التَّغيير في العالم الإِسْلَاميّ في خطوط ثلاثة متوازنة:

١- الخط الأوّل: خط الإفساد الأخلاقي.

٢- الخط الثّاني: خط محاربة مصادر التَّشريع الإِسْلَاميّ وتمييع النّصوص.

٣- الخط الثّالث: خط التمزيق الأُمّة الإِسْلَاميّة.

أما الخط الأوّل: الإفساد الخلقي:

فيتخلص في كلمة زويمر – رئيس المبشرين – في مؤتمر القُدس سنة (١٩٣٤م):

(... نريد أن نخرج جيلا لا صلة له بالله، ولا صلة له بالأخلاق الّتي تقوم عليها الأمم).

فكان التركيز عَلى المرأة وإخراجها، وعمل الإتحادات النسائية والمسرح والغناء والتمثيل ومعاهد الفنون الجميلة، والمعاهد الرِّيَاضية للبنات، ونشر العري والمسا بح ودور الأزياء، والصُّورة العارية، ودكاكين التجميل، حتَّى أصبحت المرأة كما قَالَ (موروبيرجر) في كتابه – العالم العربيّ اليَوْم: (**إن المرأة المسلمة المتعلمة هيَ أبعد أفراد المجتمع عن تعاليم الدّين وأقدر أفراد المجتمع عَلى جر المجتمع كله بعيدا عن الدّين**).

وقد بدأت ثورة المرأة عَلى الإِسْلَام بوضوح في مصر إبتداءا من منيرة ثابت: (أول صحفية مصرية) والَّتي يسمونها (الفتاة الثائرة) وكانت صديقة لسعد زغلول وتستطيع أن تتدخل في توجيه دفة الحكم.

ثمّ جاءت هدى شعراوي وقامت في ثورة سنة (١٩١٩) بمظاهرة نسائية، وأحرقن الحجاب في الشَّوارع العامّة، وكانت (صفية زغلول) زوجة سعد زغلول أول زوجة زعيم تظهر سافرة في المحافل العامّة وسمت نفسها عَلى الطَّريقة الإنجليزية باسم زوجها وأطلقت عَلى نفسها لقب (أم المصريين).

ولقد كانَ زوجها سعد زغلول زعيما من زعماء الحركة النسائية ويقول: (لقد شاركت صديقي قاسم أمين في أفكاره الّتي ضمنها كتابه (المرأة الجَدِيدة).

وصدرت الصّحف تدافع عن حقوق المرأة منها (فتاة الشّرق) ومجلات (الهلال) و(المقتطف) و(المصور).

ونادى (لطفي السيد) بالتّعليم المختلط وفرضه عَلى الجامعة المصريَّة، ولذا فقد أشادت (هدى شعراوي) بهذا الفعل، ثمّ أيده طه حسين وسمير القلماوي، وغيرهم.

وفي تركيا سنة (١٩٢٩) صدر قرار حرَّم تعدد الزوجات وقضى عَلى الحجاب، ونظام الحريم، وقانون الطلاق وخرجت المرأة في مدن تركيا باللباس العاري.

وفي سنة (١٩٦٥) أصدر الحبيب بورقيبة قرارات مشابهة في تونس، وهكذا في باقي البلاد.

أما الخط الثّاني: (التشكيك في مصادر التَّشريع الإِسْلَاميّ وتمييع نصوصها)

فقد تمثل في الهجوم على:

القرآن نفسه: وتميز القرآن المكي، والتشكيك بالمدني وسلخ القرآن عن الوحي، واعتبار الوحي انفعالا نفسيا وحالات عصبية.

وكان أول من جاهر من ذراري الْمُسلِمِين بإنكار ربانية القرآن ورفع عقرته بجحود المصدر الإلهي للقرآن هو(طه حسين) في كتابه (الشعر الجاهلي) الّذي اتبع فيه مصدر التشكيك الّذي ورثه عن ديكارت.

السنة المشرفة: وقد كانَ التركيز في عدائها لتحطيمها كمصدر أساسي لشرح القرآن وبيان مجمله وتقييد مطلقه وتخصيص عمومه.

وقد جاء الهجوم عَلى السنة من نواح كثيرة أهمّها:

التعرض لشخصية الرَّسُول ﷺ والنيل منها.

التركيز عَلى صحيح البُخَارِيّ باعتباره أصح كتاب بعد كتاب الله والتشكيك فيه: وقد كتب (أبو ريا – أضواء عَلى السنة المحمّدية –) (وصالح أبو بكر – الإسرائيليات في البُخَارِيّ –) وكتبت مجلة العربيّ (راجعوا البُخَارِيّ فليس كلّ ما فيه صحيح).

التركيز عَلى النيل من شخصيّة أبي هريرة كأكثر راوٍ عن رسول الله ﷺ روايةً، والطّعن بشخصيّة السّيدة عائشة كمصدر غنيٍّ من مصادر نقل هذا الدّين.

والآن هناك دعوة عريضة تتبناها بعض الأنظمة مثل (القذافي) في ليبيا لنبذ السنة نهَائِيّاً.

اللغة العربيَّة: باعتبارها لغة القرآن فنادوا:

نبذ قواعد اللغة (النحو والصرف) وقد نادى بهذا سلامه موسى، وطه حسين، وتوفيق الحكيم صاحب قاعدة (سكِّن تسلم).

العامية بدل الفصحى: ابتداء من (ونلهلم سبيتا) (الألماني: مدير دار الكتب المصريَّة)، ثمّ (ويلمور) القاضي الإنجليزي، و(نليكوكس) – المهندس الزراعي الإنجليزي – وأخيرا جاء سلامة موسى، وقاسم أمين، ثمّ كتب بالعامية المصريَّة كلّ من يوسف السباعي وإحسان عبد القدوس.

اتخاذ الأحرف اللاتينية بدل العربيَّة: ونادى بهذا عبد العزيز فهمي – مصر – وسعيد عقل – لبنان –.

وأما مصطفى كمال أتاتورك فقد نفذ هذا الأمر بالحديد والنار.

د- (الدعاية) للشعر المنثور بدل الشعر الموزون، {لكون الشعر العمودي أحد أهمّ أوعية اللغة العربيَّة}.

التّاريخ الإِسْلَاميّ: والتركيز عَلى الشُّبُهات فيه وتضخيم مساحة الإختلاف بين الصّحابة ﷺ، والتركيز عَلى أن الدّولة العبّاسيّة هيَ دولة الإماء والخمور والغلمان خاصّة في عهد الرَّشِيد {كما روج لذلك} – كتاب الأغاني للأصفهاني – ثمّ تشويه تاريخ الدّولة العُثمَانِيّة الإِسْلَاميّة واعتباره نوعا من الإستعمار.

استبدال الثّقافة الغربيّة بالثّقافة الإِسْلَاميّة:

ففي مصر – قائدة العالم العربيّ – أوصى المؤتمر التبشيري المنعقد سنة (١٩٠٦) بإنشاء جامعة علمانية تناهض الأزهر الّذي (يهدد الكنيسة بالخطر) ولتكن هذه الجامعة عَلى غرار الجامعات الفرنسية، فقامت الجامعة المصريَّة (١٩٠٨م) واستلم رئاستها بعد فترة لطفي السيد.

وقد ظهرت كتابات تنادي بالذوبان بالغرب مثل كتابات طه حسين في كتابه (مستقبل الثّقافة في مصر) حيث يقول: (**علينا أن نسير سيرة الأوروبيين ونسلك طريقهم لنكون لهم أندادا ولنكون لهم شركاء في الحضارة، خيرها وشرها، حلوها ومرها، ما يُحب منها وما يُكره، وما يُحمد منها وما يُعاب**).

وقد بدأ هذا الخط أيّام (محمّد علي باشا) من خلال كتابة رفاعة الطهطاوي في (تخليص الإبريز بتلخيص باريز) واشتدت الدّعوة إليه أيّام الخديوي إسماعيل وظهر خط إسماعيل في كتابات (محمّد عثمان جلال) خليفة الطهطاوي، ووضع إسماعيل نظاما للأزهر سنة (١٨٧٢م) وجاء دنلوب واستلم التوجيه في وزارة المعارف وأقصى الإِسْلَام نهَائِيًّاً عن المدارس وازدرى الأزهر وحاول الحط من مكانته فكان حامل شهادة اللغة الإنجليزية يأخذ شهريا (١٢) جنيه وحامل شهادة اللغة العربيَّة يأخذ (٤) جنيهات، وأما الأزهري يأخذا (١١٢) قرشا مصريا.

ثمّ ظهرت مدارس كثيرة في هذا الشأن:

المدرسة الأولى (مدرسة الذوبان في الغرب نهَائِيًّا) وقطع الصلة بالإِسْلَام ومن أبرز الأسماء في هذا الشأن: طه حسين، سلامه موسى، لطفي السيد وصهره إسماعيل مظهر، وعبد العزيز فهمي.

مدرسة الخلط والترقيع (بين الإِسْلَام والثّقافة الغربيّة) ويتزعمها (الشَّيْخ جمال الدّين الأفغاني ومحمّد عبده).

وارتفعت في هذا المجال دعوات وعلت أصوات بشعارات كبيرة منها:

التطوير: ومعناه تمييع النّصوص الإِسْلَاميّة، وإدخال الإلحاد والعلمانيّة الغربيّة بالثوب المقنع البراق، ومن هذا القانون تطوير الأزهر الّذي صدر أيّام عبد النّاصر فكان ضربة قاصمة له.

ومعنى التطوير كذلك بناء قنطرة فوق الهوة الّتي صنعها الإِسْلَام بين الشّرق والغرب من أجل الوصول إلى التفاهم والتّواصل وبالتالي تؤدي إلى تمزيق العالم الإِسْلَاميّ كما يقول جب: (**لعل الآراء الجَدِيدة وحاجات الحياة ستنجح أخيرا في تشتيت المجتمع الإِسْلَاميّ وتمزيق وحدته**).

الاتّصال بالثّقافة اليونانية كأساس من أسس التطوير.

رفع شعار الحريَّة: وقد قامت الحُكُومَات العلمانيّة في العالم الإِسْلَاميّ بتوفير الحريَّة الفكريّة إذا استعملها النّاس ضدّ الدّين.

الدّعوة إلى دين عالمي: كما نادى به: (كالغرلي): ومعنى الدّين العَالَمِيّ إنهاء الإِسْلَام نهَائِيًّا وذوبانه في بوتقة اليَهُوْدية العَالَمِيّة.

التقارب بين الأديان: كما نادى بذلك (آصف عَلى قبطي الإسماعيلي) وأصبحت المؤتمر تعقد من أجل هذا الشأن.

الدّعوة إلى أنواع للإسلام: كالإِسْلَام الكلاسيكي، والإِسْلَام الحديث كما قَالَ فضل الرَّحْمٰن الهندي، وبه قَالَ أحمد خان مؤسس الكلية المحمّدية الإنجليزية الشرقية (نشر الإِسْلَام الحديث المتأثر بالمذاهب الغربيّة) وكذلك تكرار أسماء الإِسْلَام الهندي والإِسْلَام الباكستاني والإِسْلَام التركي.

العلمانيّة (secularism) (اللادينية) وذلك ليصبح الإِسْلَام كالمسيحية تماما لا صلة له بالحياة كما جاء في كتاب (الإِسْلَام وأصول الحكم) علي عبد الرازق.

الإصلاح الدّيني: كما يسمونه، كما حصل في برنامج (التحطيم الكمالي للإسلام) باسم الإصلاح الدّيني كما يسميه (سميث) و(بروكلمان) وغيرهم من المستشرقين، ومعنى الإصلاح الدّيني تغيير نصوص الإِسْلَام نصوص جديدة ويبقى عليه اسم الإِسْلَام.

وقد كانَ الإستعمار والإستشراق والتبشير هذه الأصابع الثّلاثة للأخطبوط المعادي للإسلام تسير جنبا إلى جنب.

وقد عقدت الجامعات الأمريكيّة بالذات عدّة مؤتمرات لمحاربة الإِسْلَام عَلى رأسها المؤتمرات الّتي عقدت في جامعة (برنستون) في أمريكا.

مؤتمر جامعة بن ستون سنة (١٩٤٧م) واسمه (الشّرق الأدنى مجتمعه وثقافته).

مؤتمر جامعة برنستون سنة (١٩٥٣م) واسمه (الثّقافة الإِسْلَاميّة والحياة المعاصرة)

مؤتمر لاهور الّذي عقد سنة (١٩٥٥م) بترتيب المستشرقين الغربيّين وفشل تماما.

الخط الثّالث: خط التمزيق للأمة المسلمة:

ومن وسائله:

القوميّة: العربيَّة والكردية والهندية.

الدعوات العَالَمِيّة: كالشُّيُوعِيّة.

الدعوات الإنسانية الماسونية – اليَهُوْدية – وفروعها مثل نوادي الليونز، والروتاري، شهود يهوه، بني برث، (أبناء العهد).

الفرق (الكافرة) المنسوبة للإسلام: مثل: القاديانية – البابية – البهائية – النصيرية- الدروز...]. أهـ.

خط التّحول التّاريخي:

[إن أخطر ما تعرضت له الأُمّة الإِسْلَامية هو عمليَّة التّحول الداخلي أي الهزيمة الروحية والنّفسية والعقليَّة أمام أعدائها، فاستخذت أمام الأصنام، وركعت عَلى أقدام الطغاة، وأصابها الوهن الّذي عرفه رسول الله ﷺ بأنه «حُبُّ الدُّنْيَا، وَكَرَاهِيَةُ الْمَوْتِ»، ففي الحديث الصَّحِيح: الّذي رواه أحمد: «يُوشِكُ الْأُمَمُ أَنْ تَدَاعَى عَلَيْكُمْ كَمَا تَدَاعَى الْأَكَلَةُ إِلَى قَصْعَتِهَا»، **فَقَالَ قَائِلٌ: وَمِنْ قِلَّةٍ نَحْنُ يَوْمَئِذٍ؟ قَالَ**: «بَلْ أَنْتُمْ يَوْمَئِذٍ كَثِيرٌ، وَلَكِنَّكُمْ غُثَاءٌ كَغُثَاءِ السَّيْلِ، وَلَيَنْزَعَنَّ اللهُ مِنْ صُدُورِ عَدُوِّكُمُ الْمَهَابَةَ مِنْكُمْ، وَلَيَقْذِفَنَّ اللهُ فِي قُلُوبِكُمُ الْوَهْنَ»، **فَقَالَ قَائِلٌ: يَا رَسُولَ اللهِ، وَمَا الْوَهْنُ؟ قَالَ**: «حُبُّ الدُّنْيَا، وَكَرَاهِيَةُ الْمَوْتِ»[1].

- فكيف أصبحت ﴿خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ غثاءا؟
- وكيف أصبح الخير النافع زبدا وجفاءا؟
- وكيف خلفت الأسود قرودا؟
- وكيف ولدت ليوث الغاب خنازيرا؟

(١) رواه أبو داود (٤٢٩٧)، وأحمد (٢٢٣٩٧) وحسنه الأرنؤوط، وصححه الألباني السلسلة الصحيحة (٩٥٨).

إن أخطر ما يمكن أن تصاب به الأمم هو هزيمتها في أعماقها، فهذا هو الداء القاتل، إن أشد رمية أصابت الأُمّة في مقتلها هيَ فقدان الثقة بنفسها، فالشّعوب إنما تنتصر يوم أن تتفاعل بمبادئها وتحيا بعقائدها وتستعلي بدينها، ولن تهزم أمة تلتف عَلى عَقِيْدَة صحيحة تعيش من أجلها وتجاهد لإحيائها مهما كانَ أعداؤها، ومهما تألبت عليها القوى، وهذا المبدأ هو الّذي سطره ربّ العزة في سبب النّصر والهزيمة إذ يقول سبحانه:

﴿أَوَلَمَّا أَصَابَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّىٰ هَٰذَا ۖ قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٦٥﴾﴾ [آل عمران] فالهزيمة تبدأ داخليَّة ثمّ تنعكس عَلى ساح المَعْرَكة، والخلل يبدأ في أعماق النّفس ثمّ نرى آثاره اندحارا في ميادين الحياة، سلوكا وأخلاقا ومعاملة، فكيف تمت عمليَّة التحويل ؟!

أوربّا وحرب الكلمة بدل حرب السّيف:

في الحملات الأخيرة عَلى مصر (١٢٤٩ ميلادية)، آخر أيّام الأيوبيين وأول أيّام المماليك، وقع (لويس التّاسع) ملك فرنسا أسيرا وأودع سجن القلعة، وهناك كانَ لديه فسحة من التأمل ليضع أسس هامة لتفكير الصّليبيّن في كيفِيَّة غزو المُسلِمِين، وكتب توجيهاته الهامة تلك والَّتي كانَ خلاصتها:

(إن المُسلِمِين لا يهزمون ما دامت عقيدتهم قائمة ويجب أن تبدأ الحَرب عَلى المُسلِمِين بحرب الكلمة).

وهكذا أدرك ملوك النّصَارى ألا سبيل لهم إلى البقاء، وبدؤوا يعيدون التَّفكير في طريقة غزوا المُسلِمِين والتعامل معهم.

و كانت حملة نابليون عَلى مصر نقطة بارزة في تحول المَعْرَكة وأساليبها، فلقد غزا نابليون مصر (١٧٩٨م) مدججا بأحدث الأَسْلِحة الفرنسية ومدافعها ورشاشاتها، ودخلت الخيل الأزهر وداست سنابكها الحصير الّذي خرج عشرات الألوف من علماء الأُمّة، فانتفض الأزهر وهب دفاعا عن كرامة هذا الدّين وأقض مضجع نابليون وأرق أجفانه ولم يستطع الاستقرار رغم العملاء الّذين وقفوا بجانبه

كيعقوب القبطي ومن وقف معه الأروام ونصارى الشّام وغيرهم، وأخيرا انقض (سليمان الحلبي) عَلى (كليبر) نائب نابليون الّذي خلفه في مصر وقتله.

وكان خروج الفرنسيين من مصر من أبرز المعالم في أوروبّا الحديثة، إذ أدت إلى تصميم أوروبّا عَلى خوض معركة اللسان بدل معركة السنان، واتجهت إلى نزع هذا الدّين من أعماق هذه الأُمّة ليغرسوا بدله القوميّة والعصبية وغيرها من الشعارات لمحاولة لملأ الفراغ.

فقد جاء في مؤتمر (الشّرق الأدنى وثقافته) الّذي أقامه مجموعة من المستشرقين في جامعة أمريكية جاء في:

(أنّنا في كلّ بلد إسلامي دخلناه نبشنا الأرض حتَّى نخرج أثار ما قبل الإِسْلَام ونحن لا نطمع أن يرتد المسلم عن عَقِيْدَة الإِسْلَام إلى عَقِيْدَة ما قبل الإِسْلَام ولكن يكفي تشتيت ولائه).

وجاء في تقرير أحد معاهد الإرساليات بقلم نبيه أمين فارس:

(بينما كانَ الشّرق الأدنى مطمحا لأفكار بناء الإمبراطوريات كانَ أيضا مطمح جماعة أُخرى من النّاس تنشد أن تنجز عن طريق الكلمة ما عجز أجدادهم الصّليبيّون عن تحقيقه عن طريق السّيف).

{ولنضرب مثالا عن ذلك بما بدأ في عقر دار لإسلام ن الإفساد، في مصر والشّام}

محمّد علي باشا (وريث نابليون) (١٩٠٤-١٩٤٩):

وجاء محمّد علي باشا ليعمل ما عجز عن عمله نابليون، وأراد أن يحول مصر قطعة من فرنسا، وبدأ بإرسال البعثات إلى فرنسا لتغسل أدمغة المبعوثين، ومن بين الّذين ذهبوا هناك (رفاعة الطهطاوي) الّذي عاد داعية للثقافة الغربيّ وكتب (تخليص الإبريز في تلخيص باريز) ونقل القانون الفرنسي، واتخذ محمّد علي باشا رجلا فرنسيا – وهو طبيب – مستشارا له وكان اسم هذا الرجل (كلوت بك) وكان لهذا الفرنسي تأثيرا كبيرا في تغريب مصر، وفي عهد محمّد علي أدخلت القوانين الفرنسية لتحل تدريجيا محل الشّريعة الإِسْلَاميّة، وكان جلساءه الخاصين من السياح والقناصل والمبشرين، ومن أعمق الآثار السيئة الّتي حلت أيّام محمّد علي باشا أنه فتح أبواب مصر والشّام –

عندما خضعت له - للمبشرين النّصَارى، فقد كانت موصدة دون هَؤُلَاءِ بسبب صرامة الدّولة العُثمَانِيّة وحزمها في هذا الموضوع ومنعها للمبشرين.

وكان نتيجة دخول المبشرين للشام أن أنشأوا جامعتين في لبنان:

الأولى: الكلية السوريّة الإنجيلية الّتي أنشأها البروتستانت ثمّ أصبح اسمها (الجامعة الأمريكيّة) - بيروت.

الثّانية: كلية العزير الّتي أنشأها الكاثوليك ثمّ أصبح أسمها (الجامعة اليسوعية).

ولقد كانت الجامعة الأمريكيّة نقطة الانطلاق لكثير من الآراء والاتجاهات المنحرفة الّتي تركت أثارا عميقة في عمليَّة تحويل العالم العربيّ، ومن هذه الاتجاهات الإتجاه القومي الّذي كانَ يراد له أن يحل محل عَقِيْدَة الإِسْلَام في القلوب لملء الفراغ الّذي خلفه الإِسْلَام بعد أن انحسر في جميع مناحي الحياة.

جاء في كتاب المجتمع العربيّ / جامعة بيروت / كلية الآداب:

(إن أول جَمعيَّة بدأت تدعو إلى القوميّة العربيَّة هيَ جَمعيَّة مسيحية أوحى بفكرة تأسيسها رجل يسمى (الياس حبالين) من بلدة ذوق مكايل، وكان أستاذا للغة الفرنسية يدرسها في الجامعة الأمريكيّة لطلاب صف، فيهم إبراهيم اليازخي ويعقوب صروف وشاهين مكاريوس وكان الأستاذ معجبا بالثَّورة الفرنسية).

وأصبحت القوميّة العربيَّة بفضل قادتها ودعاتها ومعظمهم من النّصَارى دينا جديدا حلّ محل الإِسْلَام كما قَالَ علي ناصر الدّين في مقدمة كتبه قصة العَرَب، هامش ص: ٣٨ **(العروبة نفسها دين عندنا نحن القوميين العَرَب المُؤمِنِين العريقين من مُسلِمِين ومسيحيين، لئن كان لكل عصر نبوته المقدّسة، فالقومية العربيَّة هيَ نبوة هذا العصر)**.

وقدمت لنا الجامعة الأمريكيّة ومدارسها في المنطقة قادة الأحزاب القوميّة في المنطقة: فأسس حزب القوميين السوريين: أنطون سعادة ومن بعده أسد أشقر ثمّ جورج عبد المسيح.

وأسس حزب البعث: ميشيل عفلق النّصراني، زكي الأرسوزي النصيري، ورئس حزب القوميين العرَب: جورج حبش بتوجيه من أستاذه قسطنطين زريق – الأستاذ في الجامعة الأمريكيّة.

جاء في البروتوكول الخامس من بروتوكولات حكماء صهيون: (لقد بذرنا الخلاف بين كلّ واحد وغيره في جميع أغراض الأمميين الشّخصيَّة والقومية خلال عشرين قرنا).

وقد نجحت الدّول الغربيّة في توجيه محمّد عَلى باشا لتأدية أكبر خدمة للغرب ومنها:

١. **زلزلة سلطة الدّولة العُثمَانِيّة الإِسْلَاميّة عَلى الشّرق ومحاربة تركيا في موطن كثيرة.**
٢. **تنشيط حركة التبشير النّصراني في المنطقة.**
٣. **تحويل مصر وسوريا إلى دول متغربة بتفكيرها وحياتها.**
٤. **ضرب الحركة الإِسْلَاميّة الّتي ظهرت في الجَزِيرَة العربيَّة (الحركة الوهابية).**
٥. **إدخال القوانين الغربيّة لتطبيق عَلى المُسلِمِين.**

وكل القضايا الّتي فعلها (الخمسة المتقدمة) خطيرة وأحدثت أثرا كبيرا في حياة المُسلِمِين خاصّة فيما يتعلق بإدخال الدّين الجَدِيد (دين نابليون) أي القوانين الفرنسية وخلطها بالقانون الإلهي فأنشأ دينا جديد خليطا من (الدّين الفرنسي والدّين الإِسْلَاميّ) وكان ساعده الأيمن في تبديل دين الله هو رفاعة الطهطاوي، وأما أستاذه الكبير فهو الدكتور (كلوت) الّذي وجه الحياة المصريَّة في أكثر مناحيها، وأما بالنسبة لضرب الحركة والوهابية (دعوة التّوحيد) في الجَزِيرَة العربيَّة فأرسل محمّد علي ابنه إبراهيم باشا سنة (١٢٣١هـ) (سنة ١٨١٥م) إلى جَزِيرَة وفي سنة (٢٣٣هـ) (١٨١٧م) فدخل إبراهيم باشا (الدرعية) عاصمة الدّعوة، وقضى عَلى الحركة الوهابية.

وقبل أن نطوي صفحة محمّد علي باشا لا بُدَّ من وقفة عند رفاعة الطهطاوي الّذي كانَ له اكبر الأثر في عمليَّة التحويل.

لقد أقام الطهطاوي (أحد أعضاء بعثات محمّد عَلى إلى باريس) في باريس من (١٨٢٦-١٨٣١) فرجع وكتب كتابه (تخليص الإبريز في تلخيص باريز) الّذي كتبه أثناء إقامته في فرنسا وعرضه عَلى

أستاذه (جومار)، وأبدى إعجابه الشديد بفرنسا، وقد قام في تخليص الإبريز بترجمة الدستور الفرنسي وبتمجيد الثَّورة الفرنسية الّتي حطمت الكنيسة وأحالتها إلى ركام من مخلفات التّاريخ.

وفي زمن الخديوي إسماعيل كانَ الطهطاوي عضده الأيمن في الإفساد والتغريب وكتب زمنه كتابيه (منهاج الألباب المصريَّة في مناهج الآداب العصرية) و(المرشد الأمين للبنات والبنين) وهو يبدي اهتماما ظاهرا بالتّاريخ الفرعوني ويسمى رمسيس الثّاني (فرعون سيدنا موسى): **(فخر الدّولة المصريَّة في الأزمان الجَاهِليَّة ومصباح تاريخها)**، ولا ينقضي عجب المسلم وهو يرى الطهطاوي يعرض نظام الشركات والمصاريف الربوية دون تعليق، ويرى أن الرقص الفرنسي نوع من الشلبنة (الأناقة والفتوة والرِّيَاضة ويعجب بالمرح ويشجع الطهطاوي عَلى اختلاط الجنسين، وتعليم الفتيات دون قيود ولا التزام بحدود شرعيّة ومنع تعدد الزوجات وتحديد الطلاق وأصبح يردد شعارا جديدا (أخوة الوطن)، هذا الشَّعَار الّذي أصبح دينا لدعاة القوميّة والعنصرية فيما بعد.

والطهطاوي شأنه شأن معاصره (خير الدّين التونسي) الّذي ألف كتاب (أقوم المسالك في معرفة أحوال الممالك) هما أول رسل الحضارة الغربيّة في بلادنا اللذين عملا كطلائع لهدم صرح الإِسْلَام العظيم في نفوس أبنائه.

صالون الأميرة نازلي فاضل:

كانت نازلي ابنة مصطفى فاضل – أخ إسماعيل باشا – وكان مصطفى وليا للعهد ثمّ أقصاه إسماعيل فسافر إلى تركيا ثمّ إلى أوروبّا وهناك تربت ابنته نازلي وأتقنت عدّة لغات وتزوجت أحد وزراء تونس ثمّ عادت إلى مصر لتعمل بها من التخريب ما عجزت عنه الدوائر الغربيّة، ففتحت صالونها ملتقى هواة السّلطة ومحط أنظار الّذين يحلمون بالعلو في الأرض، لأن الصالون أصبح يحظى برعاية (كرومر) – المعتمد البريطاني في مصر – وكان الرواد الدائمون لهذا الصالون ممن يتطلعون إلى الانتفاع بجاه الأميرة وبمالها.

من بين هَؤُلَاءِ الّذي يعتبرون علية مجلسها:

- **سعد زغلول**: الّذي جاء من الشارع – دون جاه ولا علم ولا مال – وتولى رئاسة مكتبها وبقي حتَّى سن السَّادسة والثلاثين لم يتزوج ثمّ تزوج (صفية ابنة مصطفى فهمي) رئيس وزراء الإحتلال البريطاني لبضعة عشرة عاماً، والغريب أن هذا الزواج من ابنة رئيس الوزراء الّتي لا تتجاوز الخامسة عشرة من عمرها، وأصبحت (صفية) فيما بعد تحمل اسم (**صفية زغلول**) وتكنى (**بأم المصريين**).

ومن رواد الصالون: الشَّيْخ **جمال الدّين الأفغاني وتلميذه الشَّيْخ محمّد عبده**ولقد اطلعت عَلى رسالة بين الشَّيْخين عن الأميرة مما يدمي القلب عن حالة قادة الفكر الإِسْلَاميّ!! في ذلك الوقت.

ومن رواد الصالون كذلك:

لطفي الخولي، ثمّ جيء **بقاسم أمين** الّذي رد مرّة عَلى أحد الفرنسيين (دار كور)، وقد نال هذا الفرنسي من مكانة المرأة في الإِسْلَام، فقام أمين ورد عليه وبين أن الإِسْلَام أعطى المرأة مكانتها اللائقة وحفظ وظيفتها الأساسيّة واحتشامها بلباسها، وبسبب هذه المقالة أوغر سعد زغلول ومحمّد عبده صدر الأميرة نازلي عَلى قاسم أمين لأن كلامه ينال من مقام الأميرة لأنها تدعو إلى العري والتهتك، ثمّ اقترحوا حلا لرضا الأميرة عليه بأن يكتب كتابا عن المرأة فخرج سنة (١٩٠٠م) بكتاب (تحرير المرأة) الّذي اشترك في كتابته قاسم أمين والشَّيْخ محمّد عبده، وقبل سَنَوات اكتشف هذا السر فقد أعلن حفيد محمّد عبده أن جده هو كاتب كتاب (تحرير المرأة) ومعنى تحرير المرأة: تحريرها من القيم والمبادئ والحياء والخلق.

وبقيت بَرِيطَانيَا ترعى هذا الصالون ورواده حتَّى أوصلوهم إلى سدة الحكم:

فقد أصبح محمّد عبده مفتيا للديار المصريَّة، وأصبح سعد زغلول وزيرا للمعارف ثمّ رئيسا للوزراء وأضحى لطفي السيد (أستاذ الجيل) رئيسا للجامعة المصريَّة وفرض الاختلاط بين الجنسين في الجامعة.

ولطفي سيد: هذا هوا الّذي سخر صحيفته المسماة (بالجريدة) لتكريس آراء كرومر والدّفاع عنها، والدّعوة إلى الفرعونية وصياغة شخصية مصرية ذات طابع مميز.

وقد كانَ صنائع صالون نازلي فاضل يتبنون هذا بفصل مصر عن العالم العربيّ الإِسْلَاميّ.

فمثلا سعد زغلول أجاب عن سؤال حول الوحدة العربيَّة قائلا: (إنها وحدة بين أصفار)، وسار في هذا الخط طه حسين الّذي قَالَ: (**إن الدّين واللغة لا يصلحان أساسا للوحدة السّياسيّة، وإن المصري فرعوني قبل أن يكون عربيا**)، وقد نشر هذا الحديث (سلامة موسى) في صحيفته (المجلة جديدة) (١٩٢٨م) لأنه كان يسير في نفس الخط.

وقال طه حسين (**لو وقف الإِسْلَام بيني وبين فرعونيتي لنبذت إسلامي**).

وفي سنة (١٩٢٧م) مات زغلول ليأتي النحاس رئيسا للوفد، حيث فرضته الدبابات البريطانيَّة في ٤ فبراير سنة ١٩٤٢ رئيسا للوزراء رغم أنف الملك فؤاد.

- **صفية زغلول (أم المصريين) وهدى الشعراوي**، ولقد كانَ لصفية وهدى أثر كبير في إفساد فطرة المصريَّة الطيبة، أما صفية فكانت تدير عجلة الفساد من فوق سدة الحكم بسبب كون زوجها رئيسا للوزراء، وهي كما ذكرنا ابنة مصطفى فهمي رئيس الوزراء من قبل.

أما هدى شعراوي فهي ابنة سلطان باشا الّذي وقف بجانب الإنجليز ضدّ الثّورة العرابية وقد استلم من الإنجليز مبلغا ضخما لقاء عمالته ثمّ أصابه السرطان وقبل أن يموت زوج ابنته من رجل ثري اسمه (علي شعراوي) في الخمسينات من عمره فأصبح اسمها (هدى شعراوي) وكان علي شعراوي من عملاء الإنجليز **وقد أُخذت هدى إلى أوربّا ولدى عودتها من رحلتها، وعلى سلم الباخرة نزعت خمارها (منديل الرأس) ووضعته تحت قدميها وقالت: انتهى عصر الظلام إلى الأبد، وشكلت (جمعيَّة السيدات المصريات)**.

كرومر حاكم مصر البريطاني والقس دنلوب:

أما كرومر فهو المعتمد البريطاني الّذي يدير مصر منذُ الاحتلال سنة ١٨٨٢ إلى ١٩٠٦، وقال الدكتور النشار (**أعلن كرومر منذُ مجيئه إلى مصر أنه سيهدم القرآن والكعبة والأسرة الإِسْلَاميّة والأزهر**)[1].

---

(١) لاحظ قوله وتفاصيل ما سيأتي من بَرَامج الأوربيين في ما أسموه (حرب الكلمة) منذُ القرن التّاسع عشر. وقارن برنامج (كرومر) الحاكم البريطاني لمصر منذُ (١٨٨٢)، مع برنامج (بريمر) الحاكم الأمريكيّ للعراق منذُ (٢٠٠٣).

ركز كرومر في هجومه عَلى الدّولة العُثمَانِيّة وحمل عَلى الإِسْلَام من خلال تركيا الّتي تمثله، ونشر الإنجليزية، وحارب العربيَّة، ونادى بفكرة مصر للمصريين، وحط من قيمة الأزهر ورجاله رقى طبقة المتفرنجين، وكان يقول: (**سوف يجد محبو الوطنيّة أحسن أمل لهم في ترقي أتباع محمّد عبده للحصول عَلى مصر مستقلة بالتّدرّج**)(١).

ألف كرومر كتاب (مصر الحديثة New Egypt) وادعى أن الإِسْلَام مناف للحضارة ويعلم أتباعه الحقد عَلى مخالفيهم !! وهو ينافي العمران ويبيح الطلاق ويحرم الربا والخمر.

كانَ لطفي السيد أحد الّذين حملوا لواء الدّفاع عن كرومر وسياسته في صحيفته (الجريدة)، وصحيفة المقطم.

أما دوجلاس دنلوب:

فهو أحد سيئات كرومر الكبرى، فلقد شجع كرومر المبشرين في مصر والسُّودَان إلا أنه عندما رأى طريقتهم الساذجة في التعرض للنّاس في الشّوارع خشي أن يُؤَدِّي عملهم هذا إلى يقظة النّاس ومن ثمّ تتفجر ثورة وطنيّة بحمية إسلاميّة، فحد من نشاطهم، فرفع المبشرون تقرير إلى الحكومة البريطانيَّة فأرسلت بَرِيطَانيَا عتابا إلى كرومر فرد عَلى المبشرين بأني سأعمل عن طريق راهب واحد أضعاف عملكم، وأحضر دنلوب سنة (١٨٨٩) وهو راهب تخرج من كلية لاهوت بَرِيطَانيَة وعينه كرومر (١٨٩٧) سكرتيرا للمعارف، ثمّ سنة (١٩٠٦) عين مستشارا لوزارة المعارف، وقد كانَ دنلوب هو الوزير الفعلي.

وكان ينفذ سياسة كرومر (**عقل بريطاني وأيدي مصرية**)(٢) ويرفع شعار سيده:

واستراتيجية (رامسفيلد) و(رايس) لـ(حرب الأفكار) و(تطوير المجتمعات) العربيَّة والإِسْلَاميّة دينيا وثقافيّاً وسياسيّاً واجتماعيا ! لتكتشف أن ما يجري الآن هو مجرد فصل لاحق لفصل سابق..ولم يختلف إلا الغباء في التطبيق الأمريكيّ الّذي يقوم علىٰ الحمق والجهل والبطش وهمجية الكاوبوي الّذي حرم ثقافة الأوربيين ومكرهم ![المؤلف].

(١) الآن (عراق) مستقلة بالتّدرّج !! [المؤلف].

(٢) الآن (عقل أمريكي يهودي بريطاني).. وأيدي عراقية وأردنية وسعودية وباكستانية ومصرية....إلىٰ آخر قافلة السوائم !! [المؤلف]

(متى توارى القرآن ومكّة من بلاد العَرَب يمكننا حينئذ أن نرى العربيّ يتدرج في سبيل الحضارة)[1].

وقد حارب دنلوب اللغة العربيَّة والأزهر، وشجع الإنجليزية وأصبح تدريس العلوم والرِّيَاضيات والكيمياء والجغرافيّا بالإنجليزية وحارب التّعليم العالي بحجة أن المصريين لا يصلحون للتعليم العالي وحارب الكتب الإِسْلَاميّة أو الّتي فيها عاطفة إسلاميّة مثل كتب علي مبارك وعبد العزيز جاويش.

وأخطر ما عمله دنلوب، أنه رسم المناهج الّتي أصبحت مثلا يحتذى للدول العربيَّة وقسم التّعليم إلى قسمين:

- **ديني: وجعله خاصا بالأزهر ومعاهده.**
- **ومدني: حارب فيه كلّ كلمة دينية، ومنع من توظيف خريجي الأزهر – أهل العلم الحقيقي–** وإذا احتاج إلى بعضهم كانَ يدفع للواحد ١١٢ قرشا مصريا في الشهر، هكذا كانت الحال في مصر – رائدة العالم العربيّ – أواخر القرن التّاسع العشر وأوائل القرن العِشرين.

ففي السّياسة: يرجع الأمر إلى الإنجليز فمعتمدهم هو الحاكم الفعلي للبلد وأما الخديوي فلا يملك من أمره شيئا.

وفي الاقتصاد: خيرات مصر تصب في جيوب الإنجليز.

والأزهر: مقصى عن توجيه دفة الحياة.

الإعلام: الإذاعة مديرها لطفي السيد وأمثاله كما أنه مدير الجامعة، والصّحف اليومية والدَّورية، والمجلات معظمها بي النّصَارى كالأهرام، والمقطم، والمقتطف، الهلال، ما ينوف عَلى عشرين منها بأيدي النّصَارى، ووزارة المعارف والمناهج: بيد دنلوب.

---

(١) الآن تطالب أمريكا بحذف ما تسميه آيات وسور الجِهَاد والتّحريض علىٰ الكراهية من مناهج التّعليم، وتروج لمصحف مختصر تريد نشره أسموه (فرقان الحقّ) !!يحرض علىٰ التسامح بين الذئاب والنعاج ! وتدخل الحُكُومَات الأئمة في دورات تأهيلية لتجنب التطرف ! [المؤلف]

والجامعة: بيد لطفي السيد، ثمّ جاء طه حسين ليواصل الدَّور من خلال كتبه (الشعر الجاهلي) و(الأدب الجاهلي) لينكر ربانية القرآن وأطلق كلمته.

(للتوراة أن تحدثنا عن إبراهيم وإسماعيل وللقرآن أن يحدثنا عن إبراهيم وإسماعيل ولكنا لا نرى هذين مصدرا تاريخيا موثوقا) ثمّ استلم الجامعة، ثمّ المعارف قَالَ بعضهم (انتهى عهد دنلوب وابتدأ عهد طه حسين).

وفي أواخر القرن التّاسع عشر حصل أخطر حدث في العصر الحديث وهو مؤتمر بال (١٨٩٧م) الّذي عقده هرتزل في سويرا.

مؤتمر بال في سويسرا / ١٨٩٧ / :

يكاد كثير من مفسري التّاريخ يجمعون أن مؤتمر بال يعتبر أخطر حادث في العصر الحديث، وهو نقطة التّحول بالنسبة للعالم الإِسْلَاميّ، إذ دأبت بعده اليَهُوْدية العَالَمِيّة عَلى تنظيم الخطط وإحكام الأحابيل والشباك الّتي تصطاد بها المُسلِمِين للوصول إلى أرض الميعاد.

وأما هرتزل فهو صحفي يهودي نمساوي ولد سنة (١٨٦٠) وفي سنة (١٨٩٤) حضر محاكمة الضابط اليَهُوْدي (دريفوس) الّذي يحمل الجنسية الفرنسية حيث اتهم هذا الضابط بالتعامل مع ألمانيا وحكمت عليه بجريمة الخيانة عشر سَنَوات مع تجريده من مناصبه العسكريّة، ولقد أثرت المحاكمة في نفس هرتزل، إذ ظن أن دريفوس حكم ظلما بسبب دينه اليَهُوْدي وقال – من شاء أن يُنصف في هذا المجتمع فلينتصر – وصمم أن يعمل من أجل إنشاء وطن لليهود، وبعد هذا الحدث بسنة أي سنة (١٨٩٥م) أصدر كتابه (الدّولة اليَهُوْدية) وهو شبيه بالكتاب الّذي أصدره موسى هيس (من روما إلى القُدس).

وفي سنة (١٨٩٧) استطاع أن يجمع المنظمات الصّهيونيّة في مؤتمر صهيوني عالمي في بال، وأعلن هرتزل في نهاية المؤتمر أن الدّولة اليَهُوْدية قامت وحدد لذلك زمنا لا يتعدى خمسين سنة.

وانبثقت عن هذا المؤتمر (بروتوكولات حكماء صهيون) الّتي تعتبر أخطر الوثائق في العصر الحديث، ومعظم التدمير الّذي حلّ بالبشرية في القرن العِشرين كانت بسببها.

من نصوص من البرتوكولات:

البرتوكولات الثّاني (لا تحسبوا أن تصريحاتنا كلمات جوفاء، نحن الّذين رتبنا نجاح دارون – من قبل – وإن فرويد منا، وإن ماركس ونيتشة منا، وسنبقى ننشر آراءهم لما لها من أثر هدام عَلى الفكر الأمي)، (الفكر الأمي) يعني فكر الأمم غير اليَهُوْدية، وقد أشار القرآن إلى طبيعة اليَهُوْد هذه فقال تَعالَى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [آل عمران]

ليس من حرج ولا إثم علينا – اليَهُوْد – إذا أسأنا إلى الأمم الأخرى غير اليَهُوْدية.

البرتوكول الثّالث: (سننشر بين الشّعوب أدبا قذرا مريضا يهدم الأسرة، وسنستمر بالترويج لهذا الأدب، يجب أن نعمل – لتنهار – الأخلاق في كلّ مكان فتسهل سيطرتنا.

إن فرويد منا وسيظل يعرض العلاقات الجنسية في ضوء الشّمس لكي لا يبقى في نظر الشَّبَاب شيء مقدّس ويصبح همه ارواء غريزته الجنسية وعندئذ تنهار الأخلاق في كلّ مكان ونستولي عَلى العالم وهو مخدر).

البرتوكول الرَّابع: (سننزع فكرة الله من أذهان المسيحيين ونضع بدلها أرقاما حسابية وضرورات مادية).

وخلاصة البرتوكولات تتخلص في كلمة (أوسكار ليفي) الّتي قالها بتبجح وصلف:

(نحن اليَهُوْد سادة العالم ومفسدوه ومحركوا الفتن فيه وجلادوه).

وكانت طريقة اكتشاف البرتوكولات أن روسيا علمت أن اليَهُوْد يخططون ضدها فأرسلت لاقتحام مقر حكماء صهيون وبالفعل وبخطة محكمة أوقدوا النيران حول العمارة فهرب اليَهُوْد من العمارة فاقتحموها وأخرجوا ما استطاعوا أن يخرجوه من الأوراق ثمّ أحضرتها روسيا، وقام الدكتور (نيلوس) بتحليلها وتوقع نيلوس سقوط القيصرية في روسيا، وسقوط الدّولة العُثْمَانِيّة.

وقد كانَ البرتوكول الرَّابع عشر يقول: (يجب علينا أن نحطم كلّ عقائد الأديان) .

السُّلطَان عبد الحميد يعرقل عَلى اليَهُوْد الطّريق إلى فِلَسطِين:

إن معظم الأحداث الكبرى الّتي جرت في المنطقة الإِسْلَاميّة – العربيّة خاصّة – كانت ترمي إلى الهدف الكبير الّذي وضعه هرتزل ومن ورائه اليَهُوْد نصب أعينهم وهو الوصول إلى أرض الميعاد كانَ أمام اليَهُوْد عقبة كأداء لا يمكن تجاوزها وهي الدّولة العُثمَانِيّة وعلى رأسها السُّلطَان عبد الحميد الثّاني الّذي حكم بين (١٨٧٦-١٩٠٩)

حاول اليَهُوْد أولاً إغراء السُّلطَان الصّالح عبد الحميد، فالسلطان عبد الحميد وصل إلى الخِلافَة في وقت كادت الماسونية تأخذ بخناق الدّولة.

ولنرجع إلى هرتزل الّذي توجه إثر انتهاء مؤتمر بال سنة (١٨٩٧) لمقابلة السُّلطَان عبد الحميد وأخذ معه حاخام القُسطَنْطينيَّة (موسى ليفي) وعرضوا عَلى السُّلطَان عروضا منها:

١- إنشاء أسطول عُثمَانِيّ.
٢- دعم سياسة العُثمَانِيّين في العالم الخارجي.
٣- مساعدة اليَهُوْد للسلطان في تحسين أوضاعه المالية.
٤- إنشاء جامعة عُثمَانِيّة في القُدس.

قَالَ هرتزل: (مثلا لو رضي مولانا وباع لنا الأراضي الّتي ليس لها مالكون في فِلَسطِين بالثَّمن الّذي يقدره) فغضب السُّلطَان وقال: (إن أراضي الوطن لا تباع، إن البلاد الّتي امتلكت بالدِّماء لا تباع إلا بالثَّمن نفسه).

ولم ييأس هرتزل وقابل السُّلطَان مرّة ثانية (١٩٠١) وفي هذه المرة عرضوا عَلى السُّلطَان نفسه (١٥٠) مائة وخمسين مليونا من الجنيهات الذهبية الإنجليزية فقال (إنكم لو دفعتم ملء الأرض ذهبا – فلن أقبل بتكليفكم هذا بوجه قطعي، لقد خدمت الملة الإِسْلَاميّة والأُمّة المحمّدية ما يزيد عَلى ثلاثين سنة، فلن أسود صحائف المُسلِمِين آبائي وأجدادي من السّلاطين والخُلَفَاء العُثمَانِيّين).

ولقد كانت المقابلة هذه المرة مع (قره صو) المحامي اليَهُوْدي الماسوني الّذي أشرف عَلى محفل سالونيك.

ولقد نقلت بعض المصادر أن السُّلطَان صاح في وجه هرتزل (أخرج من وجهي يا سافل) وصاح بالحاجب الّذي أدخله قائلا (أما كنت تعلم ما يريده هذا الخنزير مني)

فطار هرتزل مع قره صو إلى إيطاليا وأرسل (قرة صو) برقية إلى السُّلطَان: (ستدفع الثَّمن هذه المقابلة من نفسك وعرشك).

يقول هرتزل في مذكراته: (ونصحني السُّلطَان عبد الحميد بأن لا أتخذ أية خطوة أُخرى في هذا السبيل لأنه لا يستطيع أن يتخلى عن أي شبر واحد من أرض فِلَسطِين إذ هيَ ليست ملكا له، بل هيَ لأمته الإِسْلَاميّة الّتي قاتلت من أجلها وروت التربة بدماء أبنائها.... وقال عبد الحميد: إن عمل المبضع في بدني لأهون علي من أن أرى فِلَسطِين تقتطع من إمبراطوريتي، ثمّ قَالَ: وفر نقودك يا هرتزل فعندما يذهب عبد الحميد ستأخذون فِلَسطِين مجانا).

وبعد هذا صمم اليَهُوْد عَلى الإطاحة بعبد الحميد وفي سنة (١٩٠٤) فجروا عربة أمام المَسجِد الّذي يصلي فيه السُّلطَان صلاة الجمعة ونجاه الله من الموت وقتل كثير من النّاس.

وتكالب الماسون عَلى إقصائه، ودفعت الماسونية بعملائها إلى أن تصدروا المناصب العليا في الدّولة أمثال طلعت باشا، أنور باشا – وزير الحَربية – أرستيدي باشا – رومي أصبح وزيرا للنافعة، جمال باشا – حاكم الشّام – مصطفى كما باشا قائد جبهة الشّرق العربيّ في الحَرب العَالَمِيّة الأولى جاويد باشا (دافيد باشا) – وزير المالية.

(حسين جاهد يالشين) أحد أعضاء لجنة التوفيق الثّلاثة (أمريكي وفرنسي وتركي) بين العَرَب واليَهُوْد وأصبح السُّلطَان يجد نفسه يوما بعد يوم محاطا برجال اشترتهم الماسونية من خلال جَمعيَّة (الإتحاد والترقي) وأصبحت قبضته تخف تدريجيا حتَّى استطاعوا أن يجبروه عَلى إعلان الدستور، فأنشأ مجلس المبعوثان (مجلس النواب) الّذي دخله اليَهُوْدي والنّصراني والمسلم وجاء (قره صو) إلى مجلس المبعوثان.

وكان إعلان الدستور نصرا للنصارى واليَهُوْد في كلّ الأرض حتَّى أهدى جورجي زيدان النّصراني – دار الهلال – كتابه الإنقلاب العُثمَانِيّ إلى الأبطال !!؟ أعلنوا الدستور سنة (١٩٠٨) ثمّ استطاع الماسون

أن يحركوا الجيش بقيادة محمود شوكت – العربيّ واجتمع مجلس النواب لينتزعوا قرارا بالإطاحة بالسلطان. ولقد كانت أصابع ناحوم حاييم (حاخام القُسطَنْطينيَّة) بارزة في الأمر، وقدم كتاب الخلع إلى السُّلطَان عبد الحميد ثلاثة.

١- قره صو.٢-أستيدي باشا.٣- عارف حكمت الّذي كانت أمه خادمة في قصر السُّلطَان فأخذ السُّلطَان ابنها هذا – عارف – وأدخله في البحرية حتَّى أصبح ياورا في البحرية.

كانَ إقصاء السُّلطَان عبد الحميد عن الخِلافَة في نيسان سنة (١٩٠٩) وكانت هذه أكبر طعنة وجهت للإسلام، وفي تلك الليلة الّتي نزل فيها السُّلطَان عبد الحميد عن سدة الحكم نستطيع القول بأن: الإِسْلَام الفعلي أزيل من الوجود والشهود وسقطت فِلَسطِين – حقيقية – في يد اليَهُوْد.

يقول أنور باشا – أحد أقطاب الماسونية والإنقلاب عَلى السُّلطَان عبد الحميد مخاطبا جمال باشا أتعرف يا جمال ما هو ذنبنا؟

نحن لم نعرف السُّلطَان عبد الحميد فأصبحنا آله في يد الصّهيونيّة واشترتنا الماسونية العَالَمِيّة، نحن بذلنا جهودنا للصهيونية فهذا ذنبنا الحقيقي.

ويقول برنارد لويس: (لقد تعاون الإخوة الماسون واليَهُوْد سرا عَلى إزالة السُّلطَان عبد الحميد لأنه كان معارضا قويا لليهود، إذا رفض بشدة إعطاء أي شبر أرض لليهود في فِلَسطِين.

تركيا بعد السُّلطَان عبد الحميد:

سقط السُّلطَان الصّالح عبد الحميد بفعل الماسونية اليَهُوْدية وأصبحت تركيا تسير من قبل (جَمعيَّة تركيا الفتاة، وجَمعيَّة الاتحاد والترقي) الّتي أضحت لعبة بيد الماسونية، فقد كانت القوميّة التركية الّتي يدعو إليها حزب الإتحاد والترقي بيد اليَهُوْد .

وهكذا توالت النكبات عَلى تركيا، الخِلافَة ضعيفة تلعب بها جَمعيَّة الاتحاد والترقي – الدعاة القوميون – هَؤُلَاءِ علمانيون لا متدينون، المحافل الماسونية تنتشر انتشار النار في الهشيم، الديون تتراكم، ومن وراء ذلك كله الأصابع اليَهُوْدية الّتي صممت الإطاحة بتركيا لتصل إلى أرض الميعاد.

مصطفى كمال يحطم تركيا ويلغي الخِلافَة:

وخرجت تركيا محطمة من الحَرب العَالمِيّة الأولى وتقاسمت الدّول الكبرى ورثة الرجل المريض! كما كانوا يطلقون عَلى تركيا، واستراحت أوروبّا من هذا الغول الرهيب الّذي كانَ يقض مضاجعها لقرون طويلة.

وجاء مصطفى كمال بعد هزيمته في جبهته في الشّرق العربيّ وبرزت شخصيته كقائد عسكريّ من خلال بعض الإشتباكات العسكريّة مع اليونان، وانطلقت الأقلام لتبرز مصطفى كمال، وهناك بعض المحللين التّاريخيين والسّياسيّين يرون أن سكوت دول الحلفاء الثلاث الّتي كانت تعسكر قوّاتها عَلى مقربة من أرض المَعْرَكة كانَ لخطة وهي إبراز مصطفى كمال من أجل دور الّذي ينتظره وهو محاربة الإِسْلَام وإسقاط الخِلافَة.

وانسحبت دول الحلفاء من تركيا وعندما وقف مجلس العموم البريطاني في وجه كرزون الّذي وافق عَلى سحب جُيُوش الحلفاء من تركيا قائلين ستعود تركيا مرّة أُخرى لاحتلال أوروبّا فقال: اطمئنوا .. (لن تقوم لتركيا قائمة بعد أن جردناها من الإِسْلَام والخِلافَة).

حالة العالم الإِسْلَاميّ بعد منتصف القرن التّاسع عشر (إلى منتصف القرن العِشرين):

كانَ العالم الإِسْلَاميّ في النصف الأوّل من القرن العِشرين نائما في سبات عميق مستسلما للذل قد استمرأ السياط الّتي بيد جلاديه تلهب ظهره.

وقد اتفق الغرب الّذي يقبض بخناق العالم الإِسْلَاميّ عَلى أمرين:

أن لا تقوم للإسلام قائمة.

أن تقوم الدّولة اليَهُوْدية في فِلَسطِين.

والعالم الإِسْلَاميّ قسمان: العالم الإِسْلَاميّ العربيّ، والعالم الإِسْلَام غير العربيّ.

- **أحوال العالم الإِسْلَام العربيّ:**

أما العالم الإِسْلَاميّ العربيّ: فقلبه النابض مصر وهي في قبضة بَرِيطَانيَا وقد رأينا كيف عاثوا بها فسادا عن طرق أسرة محمّد علي وعن طريق صنائعهم فيها، وكانت الأردن والعراق وفلسطين تحت وطأة الإحتلال البريطاني كذلك، ولم يكن حالها أحسن من حال سابقتها مصر.

وأما فرنسا: فكانت تتحكم بسوريا ولبنان والشمال الأفريقي، حيث صممت أن تحول الشمال الأفريقي إلى ماخور كبير من مواخير باريس من تونس حتَّى طنجة، وفرضت اللغة الفرنسية وأخرجت الظهير البربري (القانون البربري) في ١٦ مايو سنة ١٩٣٠ الّذي قضى بتنفيذ الأحكام العرفية البربرية وقانون الأحوال الشَّخصيَّة البربرية بدل الشّريعة الإِسْلَاميّة، وذلك للتفريق بين العَرَب والبربرية، وتحويل البلد إلى ساحة نزاع عرقي وسلخ المُسلِمِين عن دينهم.

وفي نفس الوقت أثار سعيد عقل، ويوسف السودا، وفيكتور خلاط، شبح الفنيقية، وإحياء أسماء هاينبال، وصناعة حزب القوميين السوريين، وإعلان أن لبنان لا ينتمي إلى العَرَب بل هو جزء من حضارة البحر المتوسط.

وفي مصر: يثير سلامة موسى وطه حسين الفرعونية، وأعلن طه حسين في مستقبل الحضارة في مصر: أن مصر جزء من حضارة المتوسط (الأوروبية) وليست عربيَّة فهي أقرب إلى حضارة إيطاليا وفرنسا واليونان منها إلى جَزِيرَة العَرَب، ويجب تقليد الأوربيين في مأكلهم ومشروبهم وملبسهم وحياتهم.

وأما فِلَسطِين: فهي تحت إدارة المندوب السامي البريطاني- اليَهُوْدي (هربرت صموئيل)، الّذي يمهد لإقامة دولة اليَهُوْد فيها، ولذا فإنه يغرق المدن الكبرى بالمسارح والسينما والأندية الليلية بالإضافة إلى التحكم بالمناهج المدرسة العلمانيّة وإقصاء التّربية الإِسْلَاميّة والتّاريخ الإِسْلَاميّ عن الحياة المدرسية، وكانت الإذاعة بأيديهم.

وأما النصيريون في سوريا: فكانت فرنسا بالإضافة إلى ما تقدم من وسائل بَرِيطَانيَا في عمليَّة التَّغيير، كانت ترعى طائفة النصيريين الّذين سمتهم العلويين ليختلط أمرهم لدى المُسلِمِين، وهذه الطَّائِفَة الّذين كانوا قد اتخذوا من بينهم إلها وهو (سليمان المرشد) وقد كانَ راعيا للبقر واتخذ رسولا اسمه (سليمان الميدة) كانَ يعمل راعيا للجمال، وسليمان المرشد هذا من قرية (جوبا يرغال) شرقي

اللاذقية، وكان المستشار الفرنسي يسجد له مع الساجدين ليزيد أتباعه غيا، وقد صنع له جلبابا فيه مصابيح كهربائية تضيء فيسجد له الأتباع !

أحوال بقية المُسلِمِين في العالم الإِسْلَاميّ:

أما عن المُسلِمِين في بقية العالم الإِسْلَاميّ فحدث عنهم ولا حرج، فزيادة عن الجهل المطبق الّذي يتضور فيه غالبية المُسلِمِين، شجعت الدّول الاستعماريّة وعلى رأسها بَرِيطَانيَا الطرق الصوفية المنحرفة الّتي لا تفهم من الإِسْلَام إلا العزلة السلبية والصّبر عَلى الإتسعمار، لأنها بتلاء من الله، والتمسح بالقبور وإقامة الأضرحة ورفع الرّايات فوقها من أجل التبريكات، وإشغال الشعب بعيد ميلاد المَشَايخ وتتويجهم ثمّ الدعوات حول قبورهم والحلف بأسمائهم وإهداء الزهور عَلى أنصابهم.

وزيادة عَلى هذا فقد ابتدعت نبوات جديدة وظيفتها إلغاء الجِهَاد، وترسيخ الوَلَاء لبريطانيا.

١ - **ففي الهند**: أبرزت (ميرزا غلام أحمد) القادياني، وهذا المتنبىء ولد سنة (١٨٤٠) في قاديان وأصيب في شبابه بالهستيريا، وفي سنة (١٨٨٤) أعلن حرمة الجِهَاد ضدّ الإنجليز في كتابه (براهين أحمدية).

وفي المَرحَلَة الثّانية: أعلن تشبهه بالمسيح سنة (١٨٩١) وأصدر ثلاثة كتب (فتح الإِسْلَام توضيح مرام، إزالة أوهام)، وقال: أنه المسيح الموعود.

وفي المَرحَلَة الثّالثة أعلن أنه نبي سنة ١٩٠٠، وقد ادعى أن الله جمع جميع الأنبياء في شخصه.

قَالَ بشير محمود (أحد الدعاة القاديانيين): (غلام احمد أفضل من بعض أولي العزم من الرسل)!!

ولقد تبعه الكثيرون ليبايعوه عَلى الوَلَاء لبريطانيا، يقول محمود أحمد (خليفة ميرزا غلام أحمد في رسالته: (هدية لسمو الأمير ويلز نجل جورج الخامس سنة ١٩٣١):

(أنا أرحب بك وأؤكد لك أن الجماعة الأحمدية وفية لبريطانيا وستبقى وفية - إن شاء الله - وإن منهج هذه الجماعة منذُ تأسيسها أن تطيع الحكومة القائمة بَرِيطَانيَا وهذا شرط البيعة فيها).

جاء في كتاب (ترياق القلوب) لميرزا غلام أحمد: (لقد قضيت عمري في تأييد الحكومة الإنجليزية ونصرتها، وألفت في منع الجِهَاد ووجوب طاعة أولي الأمر الإنجليز من الكتب والنشرات ما لو جمع لملأ خمسين خزانة، وقد نشرت جميع هذه الكتب في البلاد العربيَّة ومصر والشّام وكابل).

٢- البابية والبهائية في إيران:

وهذا دين آخر رعته بَرِيطَانيَا وحرصت عَلى نشره روسيا من أجل تمييع العَقِيْدَة الإِسْلَاميّة، والبابية مؤسسها شيعيّ يدعى (ميرزا علي محمّد الشيرازي) تلقب بالباب واشتق اسمه من الحديث الموضوع (أنا مدينة العلم وعلي بابها)، وادعى النبوة أولا، ثمّ ادعى أنه المظهر لله، ثمّ أسس تلميذه (البهاء) دين البهائية.

وفي سنة ١٨٤٨ عقد البهائية مؤتمر بدشت، وأعلنت البابية نسخ الشّريعة الإِسْلَاميّة بالبابية، ثمّ أعدم البهاء، وتفرقت جماعته إلى فرق (في نواحي إيران).

ولا يفوتنا أن ننبه إلى أن النواة الأولى لأتباع البَاب كانَ لليهود فيها عدد كبير منهم، وقد كانَ قسم من أعمال السفارة الرُّوسية في طهران منحصرا في تهيئة الألواح وتنظيم أعمال البابية.

وقد مرت دعوة البهاء بثلاثة أطوار، الأوّل ادعى فيه أنه عيسى ﷺ، ثمّ ادعى النبوة ثمّ ادعى الألوهية.

مدرسة مد الجسور نحو الغرب:

لقد اشرنا أكثر من مرّة إلى أن الغرب آثر أن لا يستعمل القوّة إلا في حالات الضَّرورة القصوى لأنها درك أن بإمكانه أن يصنع من خلال ربائبه من أبناء البلد أضعاف ما تحققه جنده وأساطيله الجوية والبحرية.

ولقد رأى الإنكليز- بالذات – أن من أفضل الطرق لضرب جُذُورهم في أرض المُسلِمِين هو إقامة مدارس تقوم بردم الهوة بين الغرب المشرك والشرق المسلم بتمييع الحواجز وإزالة الفواصل

وتقريب الشقة بين الإيمان الناصع والكفر الصريح بتلبيس الأمور واختلاط الشارات وهدم الفوارق بين المُسلِمين والكافرين (١)، ومن هذه المدارس:

مدرسة محمّد عبده في مصر.

مدرسة أحمد خان، وعلى طريقته وحيد الدّين خان، (في الهند).

مدرسة محمّد عبده في مصر:

يختلف المفسرون لأحداث التّاريخ حول شخصية محمّد عبده وفي تحليل مواقفه السّياسيّة وصلته بالاحتلال البريطاني (٢):

فمنهم من يغالي فيه ويرى فيه المصلح الّذي أيقظ مصر من سباتها العميق، وأنه بذل وسعه في إصلاح الأزهر، وأنه كانَ لا يستطيع مُوَاجَهة بَرِيطَانيَا فاضطر إلى مهادنتها من أجل حماية الأوقاف الإِسْلَاميّة والقيام بالإصلاح الجذري للأزهر والعُلَماء، ومن هَؤُلَاءِ تلميذه محمّد رضا، ومحمّد البهي.

ومنهم من يرى أنه قام بدور كبير في خدمة بَرِيطَانيَا أكثر من العلمانيين الصرحاء، وذلك لأنه مد الجسور بين النّفسية المصريَّة الإِسْلَاميّة والنّفسية الإنجليزية الحاقدة، واستطاع أن يقنع الكثيرين أنه لا بُدَّ من التّعاون مع بَرِيطَانيَا.

ومن أصحاب هذا الرَّأي الشَّيْخ عليش شيخ الأزهر الّذي كفر محمّد عبده.

ومهما يكن من أمر فهناك قضايا كبرى لا نستطيع إغفالها في حياة محمّد عبده:

---

(١) الآن تقوم أمريكا بنفس البرنامج، عن طريق افتتاح المراكز الثّقافيَّة، والمؤسسات العلمية والبحثية العالية، وعن طريق أخذ الطلبة المتفوقين دراسيا، وأبناء الأغنياء والشخصيات السّياسيّة والاجتماعيَّة في بعثات دراسية إلىٰ أمريكا لغسل عقولهم وإعادتهم بعقول وثقافة وتبعية روحية لأمريكا، وتصرح أمريكا في دعايتها لبَرَامج تلك البعثات، أن هَؤُلَاءِ الخريجين سيتسلمون مهمة إدارة بلادهم في كلّ المجالات، وسيكونون زعماء بلادهم في المستقبل ! [المؤلف]

(٢) أما نحن فلا نختلف، ولا ريب عندنا أن محمد عبده كانَ ماسونيا عميلا لبريطانيا مرتدا ملحدا في دين الله، ونحن متفقون مع شيخ الأزهر في زمانه (الشَّيْخ عليش) ﷺ، حيث كفره علنا وبين وجوه ردته – قاتله الله – وسامح الطيبين المغفلين المخلصين، المخدوعين به. [المؤلف]

١- دخوله الماسونية وهذا أثبته له حتَّى تلميذه وأثبت حصوله عَلَى أوسمة في الماسونية من الملحق الثقافي الأمريكيّ في المحفل الماسوني اللبناني.

٢- وقوفه بجانب كرومر ضدّ الخديوي عباس، ومكانته الرفيعة لدي الإنكليز وتدخلهم لدعمه في كلّ ملمة به، كما خصوه بمنصب الإفتاء في مصر وحصروه فيه.

٣- كانَ محمّد عبده من رواد صالون الأميرة نازلي كما أسلفنا، وقد حفظت صور لمحمّد عبده يخالط فيها بعض نساء الإفرنج وغيرهن من خليعات مصر في ذلك الزّمان.

٤- كانَ كرومر يقول للخديوي عباس:

(إسمح لي أن أقول أنه مادام لبريطانيا العظمى نفوذ في مصر، فإن الشَّيْخ محمّد عبده يكون هو المفتي حتَّى يموت).

وقد جاء في كتاب كرومر (مصر الحديثة):

(إن محمّد عبده كانَ مؤسسا لمدرسة حديثة قريبة الشبه من تلك الّتي أَسَّسَها السيد أحمد خان في الهند مؤسس جامعة عليكرة).

يقول المستشرق الإنكليزي (هاملتون جب) في كتابه: (أين يتجه الإِسْلَام):

(ومن ناحية أُخرى نجد أن الشَّيْخ محمّد عبده قد صنع جسرا فوق الهوة الّتي تفصل التّعليم التقليدي الجاف عن التّعليم المصري الخاضع لمذهب العقليين الّذي غزا الشّرق والغرب).

لا أشك أن تفسير محمّد عبده للقرآن والّذي نقله تلميذه محمّد رضا يدل عَلَى الهزيمة الروحية أمام ضغط الغرب الجاثم عَلَى صدور المُسلِمِين واستحياء من المستشرقين، حيث أول الملائكة بالقوى الطبيعيّة، وفسر سجودهم لآدم بتسخير قوى الأرض له، وأول الجن بالميكروبات، والطير الأبابيل بمخلوقات من جنس البعوض والذباب، والحجارة مت سجيل بالجراثيم!

فأين كانَ محمّد عبده من قوله تَعَالَى:

﴿وَلَا تَرْكَنُوٓاْ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنْ أَوْلِيَآءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿١١٣﴾﴾ [هود]

مدرسة أحمد خان بهادور في الهند:

لقد أقلق بَرِيطَانيَا وجود علماء صادقين مُجَاهدين في شبه لقارة الهندية من أمثال الشَّيْخ (أحمد بن عرفان الشّهِيد ١٨٤٢م)(١) الّذي ألهب شعلة الحماس والجِهَاد في نفوس المُؤمِنِين في الربع الأوّل من القرن التّاسع عشر، ولذلك لجأت إلى تربية صنائع دينية تمسح من الأذهان فكرة الجِهَاد فاخترع تعددا من المدارس مثل:

القاديانية، وقدمت ميرزا غلام أحمد عَلى أنه نبي ينسخ الجِهَاد.

أحمد خان، العلماني الّذي نادى بإلغاء الجِهَاد أيضا، وقد ولد أحمد خان هذا سنة ١٨١٧في دهلي، ثمّ عمل في خدمة بَرِيطَانيَا أمينا في الحكم الجنائي ١٨٣٧، ولدى قيام المُسلِمِين بالجِهَاد سنة ١٨٥٧، وقف أحمد خان ضدّ الثَّورة الإِسْلَاميّة، وخلص كثيرا من البريطانيين من القتل، ودفع مبلغا ضخما من ماله لإنقاذهم، وألف كتابا عن أسباب الثَّورة أنحى فيه باللائمة عَلى المُسلِمِين الجهلة.

وقد منحته بَرِيطَانيَا وسام نجمة الهند، وفي سنة ١٨٧٥ أنشأ (الكلية الشرقية الإنجليزية) في عليكرة، واسمها الآن (الجامعة الإِسْلَاميّة)، وهلك سنة ١٨٩٨.

ومن أهمّ محاولات أحمد خان:

إنشاء دين جديد تنصهر فيه الأديان الثّلاثة (الإِسْلَام، النّصرانية، اليَهُوْدية).

محاولة إثبات صحة الأناجيل، وكتب في هذا كتابا سنة ١٨٦٢ أسماه تبيان الكلام.

نادى بالمذهب الطبيعي الدهري، وقال أن جميع الأنبياء كانوا طبيعيين لا يعتقدون بالإله- والعياذ بالله- ولقب نفسه بالطبيعي.

زعم أن النبوات تكتسب بالرِّيَاضة الروحية، إلغاء فريضة الجِهَاد.

مدرسة وحيد الدّين خان في دلهي بالهند:

وقد أشد وحيد خان بسلفه أحمد خان، وكان من أفكاره الّتي جاءت في كتبه:

---

(١) انظر كتاب (إذا هبت ريح الإيمان) للشيخ علي الطنطاوي.

١- الدّعوة إلى إنشاء مركز عالمي عصري بشرط أن يبتعد عن السّياسة بكل شكل.

٢- ترك الدُّنيَا لأهلها وتذكير النّاس بالموت فقط.

٣-إلغاء الجِهَاد والدّعوة لترك مُوَاجَهة الغرب، والدّعوة إلى الإستكانة والذل والصّبر.

٤- أن الأنبياء بعثوا للمؤمنين الفاسدين.

المستشرق الإنكليزي (جب) يكتب عن العالم الإِسْلَامِيّ سنة ١٩٣٢:

خلال الثلث الأوّل من القرن العِشرين، نجح اليَهُوْد وحلفاؤهم الغربيّين في مجالات شتّى في العالم الإِسْلَامِيّ.

فقد أسقطوا الخِلافَة العُثْمَانِيّة، وزجوا بتركيا في الحَرب العَالَمِيّة الأولى، فحطموها وتقاسموا ممتلكاتها، وقد وقف الزعماء العَرَب بسذاجتهم إلى جانب الحلفاء والإنجليز خاصّة ضدّ إخوانهم المُسلِمِين الأتراك العُثْمَانِيّين، ظنا منهم أنهم سف يساعدوهم عَلى قيام مملكة عربيَّة مستقلة! ولمن الحقائق الّتي سبق أن أشار إليها القرآن كانت غير ذلك! يقول لورنس (رجل الإستخبارات البريطاني) الّذي رتب الثَّورة العربيَّة الكبرى ضدّ العُثْمَانِيّين لمساعدة بَرِيطَانيَا الّتي أغدقت الوعود الكاذبة للشريف حسين والي مكّة والحجاز آنذاك، يقول: (**كنت أعلم أنّنا إذا كسبنا الحَرب فإن عهودنا للعرب ستصبح أوراقا ميتة، ولو كنت ناصحا شريفا للعرب لنصحتهم بالعودة إلى بيوتهم، لقد كانَ قادة الحركة العربيَّة يفهمون السّياسة الخارجيّة فهما عشائريا بدويا، وكان البريطانيون والفرنسيون يقومون بمناورات جريئة اعتمادا عَلى سذاجة العَرَب وضعفهم وبساطة قلوبهم وتفكيرهم، وكان لهم ثقة بالعدو، إنني أكثر ما أكون فخرا أن الدَّم الإنكليزي لم يسفك في المعارك الثلاثين الّتي خضناها، لأن جميع الأقطار الخاضعة لنا لم تكن تساوي في نظري موت إنكليزي واحد**).

لقد قَالَ ويزمن بعد ذلك: (**لقد قدم لورنس خدمات جليلة لليهود**)!

ثمّ بدأ الغرب عن طريق التّعليم ينفث الم في أوصال هذه الأُمّة، فأفسد الناشئة، وأفسد النِّسَاء وحطم المكوّنات الأسرية، وأدخل أندية الماسون والروتاري في نخبة المجتمعات، ونشر الفسوق عبر المسرح والسينما ووسائل الإعلام.

يقول المستشرق **الإنكليزي جب** في كتابه وجهة العالم الإِسْلَاميّ:

[عن (**التّعليم**) (1): **إن هذا هو السبيل الوحيد لفرنجة بلاد المُسلِمِين وتغريبها، لقد كانَ التركيز قويا لإنشاء الطّبقة الّتي تأخذ نهَائِيّاً بوجهة نظر لا سلطان للدين عليها، وحينئذ يمكن الجلاء عن أراضيها وتسليمها زمام السّلطة فيها لأنها امتداد لفكر المحتل**] !.

ويقول: [**إن المدارس والمعاهد لا تكفي فليست إلا الخطوة الأولى ويجب صرف الاهتمام إلى خلق رأي عام بالاعتماد عَلى الصحافة، فهي أقوى الأدوات الأوربية وأعظمها نفوذا في العالم الإِسْلَاميّ، ومديرو الصّحف القوميّة معظمهم من التقدميين والصّحف تتميز بنزعة علمانية غالبة كما يرى**] !

ويضيف بأن التّعليم والصحافة قد ترك المُسلِمِين لا دينيين إلى حد بعيد: [**إن العالم الإِسْلَاميّ سيصبح خلال فترة قصيرة لا دينيا في كلّ مظاهر حياته**]

ويبدي جب تخوفه من ناحيتين:

١- **المعاهد الدّينيّة.**

٢- **الحركات الإِسْلَاميّة**: الّتي يرى أنها تتطور بسرعة مذهلة مدهشة، وتنفجر انفجارا مفاجئا قبل أن يتبين المراقبون من إماراتها ما يدعوهم إلى الريبة في أمرها.

و يقول: [**إن الحركات الإِسْلَاميّة لا ينقصها إلا الزعامة وظهور صلاح الدّين**] !

---

(١) انتبه لاهتمام الإستعمار الأوربي بالتّعليم، ولتصريحهم بلا خفاء عن أهدافهم من وراء ذلك، وتذكر الإلحاح والإجبار الّذي تمارسه أمريكا اليَوْم لإعادة مسخ ما مسخ من مناهج التّعليم.وعقد الحُكُومَات العربيّة والإِسْلَاميّة بضغط من أمريكا عشرات المؤتمرات تحت الشّعَار الخادع: (تطوير مناهج التّعليم). [المؤلف]

زعيم المبشرين (زويمر) يصف المُسلِمِين الّذين يريدهم الغرب سنة ١٩٣٣[١]:

يقول زويمر مخاطبا المبشرين في مؤتمر القُدس سنة 1933:

[۞.. إن مهمتكم هيَ إخراج المسلم من الإسْلاَم ليصبح مخلوقا لا صلة له بالله، وبالتالي لا صلة تربطه بالأخلاق الّتي تعتمد عليها الأمم في حياتها، وبذلك تكونون أنتم طليعة الفتح الاستعماريّ في الممالك الإسْلاَميّة، هذا ما قمتم به خلال الأعوام المئة السَّابقة خير قيام.

۞ لقد قضينا في هذه الحقبة من الدهر منذُ الثلث الأخير من القرن التّاسع عشر إلى يومنا هذا علىَ جميع بَرَامج التّعليم في الممالك الإسْلاَميّة، ونشرنا في تلك الربوع مكامن التبشير والكنائس والجَمعِيّات والمدارس المسيحية، تلك الّتي تهيمن عليها الدّول الأوربية والأمريكيّة.

۞ أنتم أعددتم بوسائلكم جميع العقول في الممالك الإسْلاَميّة إلى قبول السّير في الطّريق الّذي مهدتم له كلّ تمهيد.

۞ إنكم أعددتم شبابا في ديار الإسْلاَم لا يعرف الصلة بالله، ولا يريد أن يعرفها، وأخرجتم المسلم من الإسْلاَم ولم تدخلوه في المسيحية، وبالتالي جاء النشء الإسْلاَميّ طبقا لما أراد له الإستعمار، لا يهتم للعظائم، ويحب الراحة والكسل، ولا يصرف همه في الدُّنيَا إلا في الشَّهَوَات، فإذا جمع المال فللشهوات، وإن تبوأ أسمى المراكز ففي سبيل الشَّهَوَات يجود بأغلى ما يملك.] !

ويقول زويمر:

[إن السّياسة الاستعماريّة لما قضت منذ1882م علىَ بَرَامج التّعليم في المدارس الابتدائية، أخرجت منها القرآن، ثمّ تاريخ الإسْلاَم، وبذلك أخرجت ناشئة لا هيَ مسلمة، ولا هيَ مسيحية، ولا هيَ يهودية، ناشئة مضطربة، مادية الأغراض، لا تؤمن بعَقِيْدَة ولا تعرف حقا، فلا للدين، ولا للكرامة، ولا للوطن حرمة] ! أهـ.

لقد وصف(زويمر) الجيل خلال القرن التّاسع عشر والثلث الأوّل القرن العِشرين وصفا دقيقا، ولكنه خاب فأله فيما بعد، ولم يصدق ظن (جب)، الّذي رأى أن الشّرق المسلم سيصبح علمانيا عن قريب.

---

(١) إقرأ وتمعن وستفهم: أنه لم يتبدل أي شيء في برنامج الإستعمار بين الرُّوم الصليبيّن الأوربيين، والرُّوم المتصهينين الجدد الأمريكيّين، اللهم إلا ما أشرنا إليه من خصائص الكاوبوي الأمريكيّ، وثلاثيته: الحمق والجهل والبطش، لأنه يستعجل النَّتِيجَة، ولأنهم قزم بلا تاريخ ولا حضارة. [المؤلف]

لقد كانَ الله – عَزَّ وَجَلَّ – لهم بالمرصاد، (فقد نهضت الصّحوة الإِسْلَامية بمدارسها المختلفة، ثمّ أفرزت الصّحوة الجهاديّة، وعادت الأُمّة تلتمس الخلاص في طريق القرآن).

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ لِيَصُدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ ٣٦﴾ [الأنفال]. أهـ[1]

الدّعوة القوميّة بداية القرن العِشرين:

وأما دعاة القوميّة العربيَّة فبالإضافة إلى نصارى الشّام في القاهرة الّذين تولوا توجيه الفكر في مصر كلها ! فقد كانَ يعمل هناك في المركز الآخر في باريس بعض النّصَارى السوريين ومنهم: نجيب عازوري، وهو نصراني سوري ألف سنة (١٩٠٤) جَمعيَّة (عصبة الوطن العربيّ) في باريس، وكان هدفها الّذي أعلنته تحرير الشّام والعراق من السّيطرة التركية، ونشر سنة (١٩٠٥) كتاب (يقظة الأُمّة العربيَّة) باللغة الفرنسية، وأصدر بالاشتراك مع الكتاب الفرنسيين مجلة (الاستقلال العربيّ) حيث صدر العدد الأوّل منها في أبريل سنة (١٩٠٧)، وتوقفت بعد إعلان دستور سنة (١٩٠٨).

يقول ساطع الحصري احد كبار الكتاب القوميين: (إن القوميّة ابتدأت بنجيب عازوري الّذي وضع آماله العربيَّة السوريّة في فرنسا أولاً وفي إنجلترا ثانياً) وكانت أعمال نجيب عازوري تمهيدا لمؤتمر باريس سنة (١٩٣١).

مؤتمر باريس سنة (١٩١٣):

يكاد كثير من كتاب القوميّة العربيَّة يعتبرون مؤتمر باريس أساسا للقومية الحديثة، وكان عدد المشتركين (٢٤) عضوا نصفهم من المسيحيين ونصفهم من أبناء المُسلِمِين، ويقول عنه أنيس الصايغ بأنه كانَ خاليا من المطالبة بالاستقلال حتَّى لا تحرج بعض الدّول الأوربية الّتي كانت تشجع الحركة القوميّة وتمدها بالأموال، وقد صرح الزهراوي رئيس المؤتمر لمراسل جريدة (الطان: Le tamp) الفرنسية بأنه ليس للمؤتمر علاقة بولايات العَرَب غير العُثْمَانِيّة – أي الشمال الأفريقي –، فإن فرنسا

---

(١) (الذخائر العظام – ج١/ ٩٠٨– ٩٣٩).

تشرف عَلى المؤتمر وهي تحكم الشمال الأفريقي، وشكر وزراة الخارجيّة الفرنسية، ورفض المؤتمر إشراك مصر في المؤتمر، وقد طالبوا بجعل اللغة العربيَّة رسمية في البلاد العربيَّة واضطرت الحكومة الاتحادية أن تفاوضهم بإدخال (٣) وزراء عرب وخمسة من الولاة العَرَب كذلك في سلك الدّولة.] أهـ.

عوامل هامة في تطور الحركة القوميّة:

هنالك عوامل هامة كانَ لها أثر كبير في تأجيج نار القوميّة العربيَّة في الرَّابع الأوّل من القرن العِشرين، ومن أهمّ هذه العوامل:

استلام جَمعيَّة الإتحاد والترقي الحكم في تركيا بعد إسقاط السُّلطَان عبد الحميد في (٢٧) نيسان سنة (١٩٠٩)، وبدأت المناداة بالقومية الطورانية التركية، ومن فلاسفتها خالدة أديب – اليَهُوْدية – الّتي أصبحت فيما بعد وزيرة للمعارف، وكذلك ضيا كوك ألب وهو تلميذ اليَهُوْدي دوركايم وتلميذ اليَهُوْدي الآخر مويز ألب، ومن المعلوم أن قادة الإتحاد والترقي كلهم عَلى الإطلاق من الماسون، وليس منهم واحد مسلم الأصل أو تركي العرق، فأنور بولندي، جاويد – يهود دونمة – كاراسو – يهودي أسباني، وبدأت جَمعيَّة الإتحاد والترقي بفرض عمليَّة التتر يك عَلى جميع المحافظات العربيَّة وغيرها، ففرضت التركية في الدواوين والمدارس والمناهج، وبدأت عمليَّة التتريك كذلك في أجهزة الدّولة، وقد ظهر هذا واضِحاً في انتخابات مجلس النواب (المبعوثان) الّذي انتخب عَلى أثر إعلان الدستور سنة (١٩٠٨) فأشرفت جَمعيَّة الإتحاد والترقي عَلى الإنتخابات لتكون النَّتِيجَة في جانب الجنس التركي، فكانت النَّتِيجَة أن نجح (١٥٠) من الأتراك و(٦٠) من العَرَب، بينما العَرَب متفوقون في عدد السّكّان بنسبة (٥: ٢).

وفي غمرة الفرحة بتكبيل أيدي السُّلطَان عبد الحميد أنشئت (جَمعيَّة الإخاء العربيّ العُثمَانِيّ) وفي (٢) أيلول سنة (١٩٠٨) بعد الدستور بشهر، فعاشت هذه الجَمعيَّة ثمانية أشهر ثمّ حلتها الجَمعيَّة الإتحادية.

وقد أدت عمليَّة التتريك الجَبريّ عَلى يد يهود الدونمة إلى ردود فعل عنيفة لدى العَرَب بإنشاء الجَمعِيّات السرية والعلنية.

تشكيل الجَمعِيّات العلنية والسرية الّتي تنادي بالقومية العربيَّة، وتنادي بفصل الدّول العربيَّة عن الأتراك، ولو عَلى الأقل عبر الحكم الذاتي في داخل الدّولة العُثمَانِيّة، بحيث يكون للعرب إدارة أمورهم الداخليَّة من تعليم واقتصاد وثقافة، ومشاركة الدّولة العُثمَانِيّة في الأمور الخارجيّة كالدّفاع وغيرها.

٣- تولية جمال باشا واليا عَلى بلاد الشّام، وكانت خالدة أيب اليَهُوْدية أمينة سره، وقد اضطر جمال باشا أن يهادن العَرَب ويحسن إليهم في بداية الحَرب الكبرى، لئلا ينضم العَرَب إلى مُعَسْكَر الحلفاء ضدّ تركيا، وقد استلم جمال باشا قيادة الجيش الرَّابع في سوريا، وكان يحس بوجود التَّجَمُّعات القوميّة السرية في بلاد الشّام ويعلم أن العَرَب قد ضاقوا ذرعا بتصرفات الاتحاديين وبتعصبهم لتركيا، فكان العَرَب يبحثون عن مخرج، واتصل زعماؤهم بفرنسا، مما جعل جمال باشا يقتحم السفارة الفرنسية في كلّ من بيروت ودمشق ويضبط وثائق فيها تثبيت اتصال قادة التَّنظِيمات والجَمعِيّات بفرنسا وتنادي بانفصال سوريا عن العُثمَانِيّين، إلا أن جمال باشا أراد أن يغض الطّرف عن القضية طمعا في وقوف العَرَب لجانب تركيا في الحَرب.

وبعد إحساس جمال بنية الشريف حسين بدخول الحَرب ضدّ تركيا إلى جانب بَرِيطَانيَا استشاط جمال باشا غضبا وأمر بإعدام (١١) شخصية عربيَّة في (٢١) آب سنة (١٩١٥) بعد المحاكمة العسكريّة في (عاليه) في لبنان.

وفي (٦) أيار سنة (١٩١٦) شنق (٢١) شخصية عربيَّة أُخرى منهم عبد الحميد الزهراوي (رئيس مؤتمر باريس وعضو مجلس الأعيان التركي)، وسليم الجَزَائِري مساعد عزيز المصري في الجَمعيَّة القحطانية، وكانت كذلك للمرة الثّانية في عاليه.

ولقد أحدثت هذه الإعدامات هزة عنيفة في العالم العربيّ، وقد نفذ جمال باشا الإعدام بعد توسط الشريف حسين وابنه فيصل، إلا أنه لم يصغ إليهما، وقد كانَ الأمير فيصل بن الحسين آنذاك في دمشق فرمى كوفيته عَلى الأرض وداسها وقال: (طاب الموت يا عرب).

٤- دخول الشريف حسين الحَرب العَالَمِيّة إلى جانب بَرِيطَانيَا ضدّ تركيا، فقد بقي الشريف حسين في تركيا ستة عشر عاماً، وكان السُّلطَان عبد الحميد يخشى منه، وبعد إعلان الدستور سنة (١٩٠٨) اختارته جَمعيَّة الإتحاد والترقي ليكون أميرا لمكّة، وعارض عبد الحميد في هذا التعيين.

وقد كانَ إعلان الدستور في (٢٤) تموز سنة (١٩٠٨) بعد مؤتمرات طويلة المدى أدارها أعضاء جَمعيَّة الإتحاد والترقي الّذين كانَ معظمهم من اليَهُوْد الدونمة أو الأتراك المتهودين الّذين تلعب بهم أصابع الماسونية في محافل سالونيك، وقد كانت الجَمعيَّة تعقد اجتماعاتها في بيوت اليَهُوْد المنتمين إلى الجنسية الإيطالية.

فقد كتب ستون وستون يقول:

(إن الحقيقة البارزة في تكوين جَمعيَّة الإتحاد والترقي أنها غير تركية وغير إسلاميّة، فمنذ تأسيسها لم يظهر بين زعمائها وقادتها عضوا واحد من اصل تركي صاف، فأنور باشا هو ابن رجل بولندي مرتد، وكان جاويد من الطَّائِفَة اليَهُوْدية المعروفة (دونمة)، وكراسو من اليَهُوْد الإسبان القاطنين في مدينة سالونيكا، وكان طلعت باشا من أصل غجري اعتنق الإِسْلَام دينا، وأما أحمد رضا أحد زعمائهم في تلك الفترة فكان نصفه غجريا إلى جانب كونه من أتباع مدرسة كونت الفلسفية).

ويضيف ستون وتسون قائلا: إن أصحاب العقول المحركة وراء الحركة كانوا يهودا أو مُسلِمِين من أصل يهودي، وأما العون المالي فكان يجيئهم عن طريق (الدونمة) ويهود سالونيكا الأثرياء.... كما أنه كانت تأتيهم معونات مالية من الرأسمالية الدّولية – أو الشبيهة بالدّولية – من فينا وبودبست وبرلين من باريس ولندن).

ويقول هربرت أبري:

(كانَ يهود سالونيكا ويعرفون (بالدونمة) – أي المرتدّون – شركاء الثَّورة التركية الحقيقيين، وهَؤُلَاءِ هم من العرق اليَهُوْدي، ولكن معتقدهم قد لا يكون يهوديا أصلا، والاعتقاد الشائع بين النّاس هو: أنهم مسلمون بالإسم، وأما بالفعل فإنهم من أتباع توراة موسى، وفي تلك الفترة الّتي نحن بصددها لم يعرف أحد من النّاس شيئا عنهم، سوى قلة من العُلَماء المختصين بدراسة الشّرق الأدنى،

ولم يكن أحد من النّاس يجرؤ أن يتنبأ أن هذه اليَهُوْدية المعروفة (بالدونمة) ستلعب دورا رئيسيا في ثورة كانَ لها نتائج خطيرة في سيرة التّاريخ).

وقد كانَ الشريف حسين يتلمس المناسبة للتخلص من الحكم التركي، خاصّة وأنه أحس أن الاتحاديين سنة (١٩١٤) يريدون التّخلّص منه وكان عبدالله بن حسين آنذاك نائبا في البرلمان التركي، وقد اتصل بكتشنر (المعتمد البريطاني في مصر) وبـ(رونالدستورز) المستشار الشرقي في دار الاعتماد البريطاني، وأطلعه عَلى النفور الشديد بين أبيه وبين الأتراك وسأله عن إمكانية وقوف بَرِيطَانيَا بجانب الشريف فيما إذا أعلن الشريف الحَرب عَلى تركيا، إلا أنه لم يلق أي تشجيع منهما، وقال له كتشنر: ليس من المحتمل أن تقف بَرِيطَانيَا بجانب أبيك.

(وكان الأمير عبدالله نفسه عضوا في إحدى الجَمعِيّات السرية، وكان مؤمنا بفوائد التفاهم الإنجليزي العربيّ ومتحمسا له) ونشبت الحَرب الكبرى في آب سنة (١٩١٤)، وكان عبدالله متحمسا لإعلان الحَرب عَلى تركيا، بينما كانَ الأمير فيصل يرى الوقوف معها، وفي سنة (١٩١٥) زار فيصل دمشق واستانبول، وفي دمشق انضم إلى جَمعيَّة (العربيَّة الفتاة) وأقسم عَلى نصرتها.

وأعلن الشريف الحَرب عَلى تركيا يوم الاثنين (٥) حزيران سنة (١٩١٦م)

وسبحان ربي! فقد كانت هزيمة العَرَب في يوم الاثنين (٥) حزيران سنة (١٩٦٧م).

ومن جانب قبر حمزة بن عبد المطلب ﷺ بالمدينة أعلن الحَرب بعد أو وعدته بَرِيطَانيَا باستقلال بلاد العَرَب وبتتويجه ملكا عليها، وكان كتشنر قد أصبح وزيرا للحربية البريطانيَّة، واستلم مكماهون معتمدا بَرِيطَانيَا في مصر، وحدثت المكاتبات المعروفة بينه وبين مكماهون، ووعدوه بملك البلاد العربيَّة بعد استقلالها.

واندفع الشريف حسين بكل طاقته يؤجج نار الحمية العربيَّة ضدّ الأتراك، وهُزم الأتراك، وحصلت اتفاقية سيكس بيكو لتقسيم البلاد العربيَّة بين بَرِيطَانيَا وفرنسا، وأعطيت فِلَسطِين لليهود بوعد بلفور، وكان الجزاء الجميل للشريف حسين أن نفته بَرِيطَانيَا ست سَنَوات وسلبت ملكه، ولقد

كانت الصدمة عنيفة لأعِصَاب الشريف حتَّى داهمه الفالج وذاب جسده حسرة وألما، وكان يصب جام غضبه طيلة حياته عَلى مكماهون ولويد جورج – الوزير البريطاني المعروف.

يقول جورج انطونيوس:

(لقد زرته قبل موته بأشهر سنة (١٩٣١م)، وقد قلصه الفالج وابيض وجهه الوسيم من شحوب الموت، فقال لي: الإنجليز يا ولدي قوم شرفاء في أقوالهم وأفعالهم، في السراء والضراء: شرفاء، ما عدا صاحب السعادة الموقر الهمام لويد جورج فهو أشبه بالبهلوان وبالثعلب، أقول: ثعلب، حاشا مقامك رحم الله صاحب السعادة كتشنر).

كانت هذه النَّتِيجَة الأسيفة الأليمة للتعاون مع الإنجليز، وصدق الله العظيم:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تُطِيعُواْ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَرُدُّوكُمۡ عَلَىٰٓ أَعۡقَٰبِكُمۡ فَتَنقَلِبُواْ خَٰسِرِينَ ١٤٩ ﴾ [آل عمران]

ولقد حذر بعض الصادقين العقلاء الشريف حسين من مغبة غدر الإنجليز ومن هذه الفاجعة المتوقعة، فد كتب شكيب أرسلان إلى الشريف عندما بلغه عزمه لغزو سوريا مع جُيُوش الحلفاء قائلا: **(أتقاتل العَرَب بالعرب أيها الأمير حتَّى تكون ثمرة دماء قاتلهم ومقتولهم استيلاء إنجلترا عَلى جَزِيرَة العَرَب وفرنسا عَلى سوريا واليَهُوْد عَلى فِلَسطِين).**

يقول لورنس في أعمدة الحكمة السبعة: (لقد كنت أعلم أنّنا إذا كسبنا الحَرب إن عهودنا للعرب ستصبح أوراقا ميتة، ولو كانت ناصحا شريفا للعرب لنصحتهم بالعودة إلى بيوتهم، لقد كانَ قادة الحركة العربيَّة يفهمون السّياسة الخارجيّة فهما عشائريا بدويا،

وكان بَرِيطَانيَا والفرنسيون يقومون بمناورات جريئة اعتمادا عَلى سذاجة العَرَب وضعفهم وبساطة قلوبهم وتفكيرهم ولهم ثقة بالعدو، إنني أكثر فخرا أن الدَّم الإنجليزي لم يسفك في المعارك الثلاثين الّتي خضتها، لأن جميع الأقطار الخاضعة لنا لم تكن تساوي في نظري موت إنجليزي واحد).

ويقول وايزمان (لقد قدم لنا لورنس خدمات جليلة)، هذا هو لورنس الّذي كانوا يسمونه – ملك العَرَب غير المتوج.

وصلت جَمعيَّة الإتحاد والترقي إلى الحكم واستراحت من الغول الرهيب الّذي طالما أقض مضجعها وأرق أجفانها (عبد الحميد) وأصبحت تركيا الإِسْلَاميّة دمية في يد اليَهُوْدية تحركها كيف شاءت وأنى أرادت.

وأصبحت مقاطعاتها حمى مستباحا للذئاب الغربيّة من أعداء الإِسْلَام، وأصبح هذه المارد الجبار (الدّولة العُثْمَانِيّة) يؤكل شلوا شلوا، فابتلع الغرب أولاً دول البلقان: النمسا والمجر والبوسنة والهرسك في تشرين الأوّل سنة (١٩٠٨) -أي بعد تسلم الإتحاد والترقي زمام الأمور- وبعد إعلان الدستور بشهرين فقط، وانفصلت بلغاريا، واعتدت إيطاليا عَلى ليبيا في خريف سنة (١٩١١) ثمّ نشبت الحَرب البلقانية سنة (١٩١٢)، وفي هذه السَنَوات القليلة فقدت الدّولة العُثْمَانِيّة جميع ولاياتها في أوربّا (ماعدا تراقيا الشرقية)، وفقدت ذلك الجزء من ليبيا الّذي يتألف من ولايتي طرابلس الغرب وبني غازي – لقد انسحبت تركيا من ليبيا بمؤامرة خيانة مكشوفة لا تخفي عَلى كلّ ذي عينين، ولا يفوتنا أن نذكر أن اليَهُوْد الإيطاليين هم أساتذة المحافل الماسونية في سالونيك، وفي بيوت هَؤُلَاءِ اليَهُوْد الإيطاليين كانت تعقد اجتماعات جَمعيَّة الإتحاد والترقي، فليس كبيرا أن تعطي جَمعيَّة الإتحاد والترقي ليبيا هدية متواضعة إلى إيطاليا كرد جميل عَلى صنيعهم السابق الكبير.

وفضلا عن هذه الخسارة فقدت كريت، وكانت ميزانية تركيا تنوء بأعباء النفقات العسكريّة.

القوميّة بعد الحَرب الأولى (١٩١٤ – ١٩١٨):

تعتبر وقفة العَرَب بجانب الحلفاء ضدّ تركيا المسلمة نقطة تحول كبرى في الفكر القومي والتجمع عَلى أساس القوميّة، إذ لم يكن الإنجليز يحلمون في يوم من الأيّام أن يقف العَرَب بجانبهم بوصفهم كفار ضدّ بني دينهم وعقيدتهم (الأتراك المُسلِمُون).

يقول لورنس: (رجل المخابرات البريطاني وملك الصَّحرَاء العربيَّة كما يسمونه):

(وأخذت أفكر طيلة الطّريق إلى سوريا وأتساءل: هل تتغلب القوميّة ذات يوم عَلى النزعة الدّينيّة؟ وهل يغلب الاعتقاد الوطني المعتقدات الدّينيّة ؟ وبمعنى أوضح: هل تحل المثل العليا السّياسيّة مكان الوحي والإلهام، وتستبدل سوريا مثلها الأعلى الدّيني بمثلها الأعلى الوطني؟).

ويعتبر الغرب هذا الموقف نقطة تحول إلى مرحلة جديدة في التَّفكير القومي.

كتبت (الايكونومست) في حزيران سنة (١٩٦٢) تحت عنوان (الإِسْلَام ضدّ القوميّة) مايلي:

(لقد وضع العَرَب منذُ الحَرب العَالَمِيَّة الأولى القوميّة في المكان الأوّل حين قاتلوا بجانب الإنجليز – الكفّار – من أجل التحرر من المُسلِمِين الأتراك، باستثناء من (الإخوان المُسلِمِين) فليس هناك في العالم العربيّ اليَوْم أناس ذوو تفكير سياسي يضعون مجتمع الدّول الإِسْلَاميّة فوق قوميتهم العربيَّة).

ولكن بعد الحَرب الأولى إن كانت التَّجربة القوميّة مريرة إلا أنه برز عامل جديد وهو: جثوم الإستعمار بثقله عَلى كاهل العالم العربيّ، وأصبح هذا العامل وترا جديدا يعزف عليه دعاة القوميّة ومفكروها، خاصّة بعد ازدياد الهِجرَة اليَهُوْدية إلى فِلَسطِين وقيام ثورة سنة (١٩٣٦) فِلَسطِين.

فهناك نقاط بارزة ما بين الحَربيين الأولى والثّانية أدت إلى ازدياد التَّفكير القومي أهمّها:

الإستعمار البريطاني والفرنسي وقد نقل معه:

العلمانيّة (اللادينية) إلى أجهزة الدّولة، ورفع الطّبقة المزقة اجتماعيا، المتفلتة أخلاقيا، المستعدة للنفاق وإيقاد البخور وإشعال الشموع للحاكم، الجَدِيد وأصبحت هذه الطّبقة هيَ المُستَعمر الجَدِيد وإن كانت من أبناء المنطقة.

المناداة بالأفكار القوميّة كبديل للإسلام وكأساس للتفكير والتجمع والتنفير من الإتجاه الدّيني، وأخذ العبرة من التّاريخ الأسود المرير لرجال الدّين في العصور الوسطى في أوربّا.

أصبح نغم التحرر من الإستعمار مادة دسمة للطبقات الناقمة عَلى الإِسْلَام والّتي تريد أن تجعل من بعض فترات الحكم التركي صورة للإسلام الّذي يمثل الجمود والتأخر والانحطاط!!

إسقاط الخِلافَة عَلى يد مصطفى كمال أتاتورك، وما تبع ذلك من تفكير جدي بإنشاء تنظيم حركي إسلامي لإعادة الخِلافَة وقيام حركة (الإخوان المُسلِمِين) عَلى يد حسن البنا.

٣- بروز التَّفكير القومي عَلى شكل تنظيمات يقودها المسيحيون، وبروز حزب البعث، والقوميين العَرَب، والقوميون، السوريون عَلى السطح، وكانت الجامعة الأمريكيّة محضنا دافئا لكثير من هذه الأفكار)] أهـ.(١)

ولنعرض إلى نموذج من نماذج الفكر القومي العربيّ ومنهجه السّياسيّ الّتي ازدهرت أشباهها في العالم العربيّ والإِسْلَاميّ:

حزب البعث العربيّ الاشتراكي:

تكون حزب البعث الاشتراكي من حزبين:

١- **حزب البعث العربيّ**: وقد أسسه الأرسوزي وعفلق.

٢- **الحزب العربيّ الاشتراكي**: الّذي أسسه سنة (١٩٣٨) عثمان الحوراني، ثمّ آلت قيادته إلى أكرم الحوراني، وقد انضم أكرم الحوراني سنة (١٩٣٦) إلى الحزب السّوري القومي وانسحب منه سنة (١٩٣٨) لينضم إلى حزب الشَّبَاب العربيّ الاشتراكي.

وفي (٢٦/ ١/ ١٩٥٢) انضم الحزبان الأوّل والثّاني فكونا حزب البعث العربيّ الاشتراكي.

حزب البعث العربيّ:

اختلف في المؤسس، فمنهم من قَالَ ميشيل عفلق وصلاح البيطار، ومنهم من قَالَ زكي الأسوزي، إلا أن حركة (٢٣) شباط الّتي عملها صلاح جديد النصيري سنة (١٩٦٦) في سوريا أحلت الأرسوزي أبًا روحياً للحزب، والبعث هو وارث (عصبة العمل القومي) وهي عبارة عن نواة تنظيمي كلّ من عفلق والأسوزي، وقد بقيت هذه العصبة من (١٩٣٢ - ١٩٣٩).

وفي سنة (١٩٣٩) انسحب الأرسوزي منها وشكل الحزب القومي العربيّ).

أما زكي الأرسوزي: **فهو** رجل نصيري، ملحد، لا يتكلم العربيَّة**!** متأثر بمباديء الثَّورة الفرنسية والنازية، وخاصة كتاب نيتشة: (هكذا تلم زرداشت) عن موت الإله ونشوء الإنسان

---

(١) الذخائر العام: (ج١/ ٨٨٢-٨٨٩).(خط التحول التاريخي لعبدالله عزام)

السوبرمان، بدأ يتعلم العربيَّة بعد سنة (١٩٤٠) ! وكان الأرسوزي يرى الجَاهِليَّة العربيَّة مثله الأعلى، ويعتبرها المَرحَلَة العربيَّة الذهبية.

يقول سامي الجندي (ناقشته سنة (١٩٤٦) بالقرآن فعاب علي نزعتي الدّينيّة).

مبادئ الحزب البعث:

المنقولة عن مباديء الحزب القومي الّذي شكله الأرسوزي سنة (١٩٣٩) ورمزه النمر.

١- العَرَب أمة واحدة.

٢- للعرب زعيم واحد يتجلى من إماكانات الأُمّة العربيَّة يمثلها ويعبر عنها.

٣- العروبة وجداننا القومي، مصدر المقدّسات، عنه تنبثق المثل العليا، وبالنسبة إليه تقدر قيم الأشياء.

٤- العربيّ سيد القدر، وفسرها الأرسوزي مستشهدا بالإنجيل: (لا تسقط شعرة من رؤوسكم إلا بأمر أبيكم الّذي في السموات).

يقول الجندي:

(وفي ٢٩/ ١١/ ١٩٤٠، كنا في غرفة فقال الأرسوزي: أرى أن نؤسس حزبا نسميه حزب البعث العربيّ).

(أصبحت مباديء الحزب القومي هيَ مباديء حزب البعث العربيّ هيَ هيَ).

ويقول سامي الجندي:

(كنا عصاة تمردنا عَلى كلّ القيم القديمة، أعداء لكل ما تعارف عليه البشر، ألحدنا بكل الطقوس والعلاقات والأديان).

(اتهمنا بالإلحاد وكان ذلك صحيحا أيضا، رغم كلّ ما زعم البعثيون فيها بعد من مزاعم التبرير).

أما مشيل عفلق:

وفي آذار سنة (١٩٤٩) جاء حسني الزعيم فأيده البعث، ثمّ اختلفوا معه فألقى ميشيل عفلق في السّجن، فكتب مذكرة استعطاف له فخرج ثمّ جاء (الحناوي) بعد حسني الزعيم فاختار ميشيل وزيرا

للمعارف، فاغتنمها فرصة ليرسل البعثيين في بعثات دراسية إلى فرنسا، فعادوا واستلموا الجامعات والإدارات.

كانَ الصِّرَاع عَلى أشده بين قادة الحزب، حتَّى أنه في انتخابات سنة (١٩٥٥) للمؤتمر القطري كانوا يقولون (عفلق جاسوس إنجليزي، والحوراني فرنسي، والبيطار عميل لأكثر من دولة).

أما الاتهامات بالسرقة والجرائم الخلقية فحدث عنها ولا حرج.

وهنا نسجل بعض الملاحظات:

١-لقد كانَ الحزب مأوى يتجمع فيه كلّ الناقمين عَلى الإِسْلَام أو الطامعين في الحكم، فانتبه النصيريون إليه ودخلوه ليكون سلما إلى دولتهم النصيرية، ودخل فيه الإسماعيليون مثل سامي الجندي وعبد الكريم الجندي.

والدروز: مثل سليم حاطوم.

واليَهُوْد: مثل أحمد رباح الّذي كانَ رئيسا للحزب في دمشق.

و إيلي كوهين: ضابط المخابرات الإسرائيلي الّذي ذهب إلى الأرجنتين، وأقام صداقة مع أمين الحافظ، ثمّ دخل سوريا باسم (كامل أمين ثابت)، وسكن حي (أبو رمانة) في دمشق، وأصبح شقته الحصن الحصين الّذي يأوي إليه قادة البعث وفوق أسرة كوهين شرب نخب النّصر سليم حاطوم وعبد الكريم زهر الدّين يوم الإنقلاب البعثي (٨ آذار ١٩٦٣)، وعرضت عَلى كوهين الوزارة، واستشار بن غوريون رئيس وزراء إسرائيل فلم يوافق، وكان يسمى الشاب الثّوريّ الأوّل، وكان الشخص المدني الوحيد الّذي يدخل المطارات والقواعد العسكريّة، وأخيرات اكتشفت السفارة الهندية أن يهودي من خلال الإشارات اللاسلكية الّتي يرسلها إلى إسرائيل يوميا، وكانت فضيحة عالميّة، وحوكم كوهين، وكان الّذي يحاكمه هم تلاميذه وربائب حجره، ولعله وعد بأن يخلي سراحه إذا أخفى مصائب الحزب البعثي الحاكم، وكان سليم حاطوم هو رئيس المحكمة العسكريّة الّتي حاكمته، وبسرعة فائقة طويت القضية، وأعدم كوهين ليطوي في صدره مآسي ونكبات الصبية البعثيين الّذي تديرهم اليَهُوْدية العَالَمِيّة من خلال المرأة والكأس.

٢-إن المؤسسين الحزب البعث ليسوا مُسلِمِين أصلا فزكي الأرسوزي نصيري ملحد، وميشيل عفلق مسيحي – قيل أنه يوناني الأصل.

٣-إن مباديء حزب البعث كفر صريح، (العروبة مصدر المقدّسات، عنه تنبثق المثل العليا، وبالنسبة إليه تقدر قيم الأشياء، العربيّ سيد القدر) فالمثل العليا هيَ العروبة وليس الإِسْلَام أو القرآن والسنة.

٤-كانَ أتباع البعث الأوائل ملحدين، أعداء للأديان جميعا، قَالَ سامي الجندي في كتابه البعث: (لقد كنا خوارج عَلى الشرائع الّتي تعارف عليها النّاس فنسفناها جميعا).

٥-ويقول: (إن الحزب رغم ادعائه القوميّة والوطنيّة لم يعد دراسة عن القضية الفلسطينية أخطر قضية العربيَّة في العصر الحديث).

٦-لقد تسلق النصيريون عَلى سلم البعث فاستطاعوا أن يستلموا البلد عسكريّاً ومدنيا، وفي (٢٢) شباط سنة (١٩٦٦) قام صلا جديد – النصيري–بإقصاء عناصر أهل السّنّة من مراكز القوى – وفي سنة (١٩٧٠) عندما جاء حافظ الأسد – بالحركة التصحيحية جعل الدّولة نصيرية خالصة.

٧-إن الأحزاب القوميّة ليس لها أيديولوجية (عَقِيْدَة) تجاه الكون والإنسان والحياة، ولذا بقيت إطارا فقط دون مضمون، ولذا اضطرت أن تملأ فراغها العقائدي بالماركسية والاشتراكية، ولذا فإن الأحزاب القوميّة كلها أصبحت: (عربيَّة الإطار والمظهر شيوعية الحقيقيَّة والمخبر) وهذا الّذي أقر به جلال السيد في كتابه (حقيقة القوميّة العربيَّة) بأن هنالك تيار عفوي قام بصياغة المواضيع الاقتصاديَّة، لأن الرواسب قد أطلت تحت ستار التقدمية والاشتراكية وبأن الشُّيُوعِيّة هيَ حقيقة هذا التّيار.

٨-لقد انتحر الحزب بمجرد وصوله إلى الحكم، ولقد انتقد ميشيل عفلق سنة (١٩٦٥) في سوريا تسلط العسكريّين عَلى الحزب وإقصاء المدنيين من اللجان المركزية للحزب، فطرد عفلق، بل حكم عليه بالإعدام هو والمؤسس الآخر صلاح البيطار، ثمّ لوحق البيطار حتَّى اغتالته النصيرية في منفاه في باريس سنة (١٩٨١)، وأما عفلق فقد احتضنه البعث العراقي بعد وصوله إلى الحكم

في إنقلاب (١٩٦٨) عَلى عبد الرَّحمٰن عارف، فجاء به تلميذه صدام حسين الّذي أصبح نائبا لرئيس الجمهوريّة ثمّ بالتالي رئيسا لجمهوريّة العراق.

* وقد سئل صدام حسين في مقابلة صحيفة له طبعت ووزعت في الأردن سنة (١٩٨١):

ما علاقتك بميشيل عفلق ؟ فرد صدام: **(علاقة الابن بأبيه، ولولا ميشيل ما كانَ صدام شيئا)**، ومن المعروف أن صداما كانَ حارسا خاصا لميشيل عفلق من بداية الستينات، وكان ميشيل يستعمله لتصفية خصومه السّياسيّين، وفي سنة (١٩٧٩) صفى الرَّئيس صدام حسين – منذُ الأيّام الأولى لحكمه – معظم قادة الحزب لمعارضتهم المبدئية لرئاسته.

وكتب عن مأساة الحزب بعض قادته مثل الدكتور منيف الرزاز (التَّجربة المرة)، ومطاع الصفدي (حزب البعث مأساة المولد ومأساة المصير).

لقد انتهى الحزب في سوريا إذ تسلق عله النصيريون ثمّ قتلوه، وأصبحوا يتفكهون بالتعدي عَلى كلّ الأديان والقيم المباديء، فاستعانوا أولاًبذراري المُسلِمين الداخلة في حزب البعث، ثمّ صفوهم تدريجيا، وأصبح الكفر هو شعار الدّولة في كلّ الأجهزة: كتب إبراهيم خلاص في مجلة جيش الشعب السوريّة (٢٥/ ٤/ ١٩٦٧):

(والطريق الوحيد لتشييد حضارة العَرَب وبناء المجتمع العربيّ هيَ خلق الإنسان الاشتراكي العَرَب الجَدِيد الّذي يؤمن أن الله والأديان والإقطاع ورأس المال والاستعمار والمتخمين وكل القيم الّتي سادت المجتمع السابق ليست إلا دمي محنطة في متاحف التّاريخ)، تَعَالَى الله عما يلحد المجرمون.

وقال شفيق الكمالي يمدح صداما:

تبارك وجهك القُدسي فينا ✿ كوجه الله ينضح بالجلال

{ أستغفر الله العظيم وأتوب إليه !! وتعالى الله عما افترى هذا الكلب الّذي سرعان ما لاقى جزاءه في الدُّنيَا قبل الآخرة، **ولتوفيق الكمالي مع صدام قصة هيَ في الحقيقة من آيات الله، ففي الحَرب العِرَاقيَّة الإيرانية ١٩٧٩-١٩٨٦ عرض الخميني وقف الحَرب مقابل استقالة صدام، وفي إحدى جالسته الخاصّة، قَالَ هذا الشاعر توفيق الكمالي لجلسائه، لو أن سيادة الرَّئيس قبل وحقن الدِّماء، ورفعت**

الإستخبارات التقرير، فاستدعى صدام الكمالي، الّذي اعترف باقتراحه معتذرا بأنه رأي أن ذلك سيكون من فضائل الرَّئيس الكثيرة عَلى الأُمّة، فأمره صدام أن يمد لسانه، وأخذه بيده وقطعه بمدية حادة، وهكذا ألقي صدام اللسان الّذي شبه وجهه القذر، بوجهه سُبحَانَهُ وتَعَالَى، فألقي في المزبلة الّتي يستحقها بيد ذات الطَّاغية الّذي امتدحه، فسبحان الله ربّ العَالمِيّن، وقد سمعت هذه القصة من أحد تسجيلات الشَّيْخ عبدالله عزام رحمه الله.}

وعندما دخلت قوَّات البعث حماة سنة (١٩٦٤) كانت تهزج قائلة:

هاتْ سلاح خُذْ سلاح ۞ دين محـــمّدْ ولّى ورَاح

وفي سنة (١٩٨٠) خرجت سَرايا الدّفاع والحزبيون يهتفون (سقط الله) (الأسد ربنا) (لا إله إلا الوطن ولا رسول إلا البعث) (لا إله إلا ساجي – ابن سليمان المرشد –الّذي ادعى الألوهية بين النصيرية في الأربعينات!).

{وفي النصف الثّاني فمن الثمانينات، وبعد القضاء عَلى الثَّورة الجهاديّة في سوريا، خرجت مظاهرة بعثية نصيرية في مدينة حمص الّتي يضم ثراها قبور عشرات آلاف الصّحابة رضي الله عنهم، وكانوا يهتفون:

(حلَّك يا الله حلَّك..تعين حافظ محلك).

(حلك) تعني بلهجة تلك المنطقة (حان لكَ)، أي (آن لله) أن يستخلف حافظ الأسد ربا مكانهُ، – أستغفر الله العلي العظيم– ولعنة الله عَلى الطغاة الملحدين}

٩–لقد ابتدأ حزب البعث مع بداية الحَرب الثّانية (١٩٣٩)، وكانت النازية والفاشستية تملأ برنينها العالم وذا فقد تأثر بها، فمثلا كانَ زكي الأرسوزي متأثر بنيتشة فيلسوف النازية، وخاصة بكتابه (هكذا تكلم زرداشت عن موت الإله....) وأما عفلق فهو متأثر كذلك (بنيتشه) و(جيد)، فجاءت أفكارهم تلخيصيا للإلحاد والقلق الّذي كانَ يعاني منه نيتشه الّذي كانَ يسمي المسيحية (دين الكلاب العرجاء)، وأهم سمات فلسفة نيتشة تتخلص في ثلاثة نقاط:

١–الإلحاد.

٢- إن فكرة القيامة هيَ الّتي جعلت من المسيحية (أخلاق العبيد) إذا أن، حقد الضّعفاء تجاه الأقوياء جعلهم يوحون لهم بفكرة الآخرة، فاستسلم الأقوياء للأساطير، وعم ظلام المسيحية العالم.

٣-اليأس والقلق: اللذان هما شرطان دائمان للعظمة الإنسانية.

وإليك مقارنة بين كلام عفلق وكلام النازية والفاشستية:

١ -(البعث قدر الأُمّة العربيَّة) يقابل كلام موسوليني (الفاشستية هيَ قدر الأُمّة الإيطالية) وهو الحقّ الإلهي عند هتلر، وهو نفس كلام ترو تسكي: (إن الحزب الشُّيُوعِيّ لا يخطئ لأنه تجسيد للحتمية التارِيخِيَّة).

٢-إن العَقِيْدَة البعث لا يمكن الوصول إليها بالعقل ولكن بالإيمان وحده) يقابل كلام موسوليني (الفاشستية لا تنافس، إنها تدرك بالإحساس).

٣-(إن القدر الّذي حملنا رسالة البعث أعطانا الحقّ في أن نأمر بقوة ونتصرف بقسوة) وهو نفس الكلام موسوليني (إن القدر الّذي حملنا رسالة الفاشستية أعطانا الحقّ في أن نأمر بقوة، ونتصرف بقسوة).

٤ -(إن البعث هو الطليعة، وعلى الجماهير أن تمشي وراءها)، وهو نفس كلام موسوليني (إن الفاشستية هيَ حكم الصفوة المختارة وعليها أن تقود الجماهير).] أهـ.[1]

{ تذكرني هذه الشواهد، بما لفت نظري أثناء دراستي التّاريخ في جامعة بيروت، ما وجدته في أحد الكتب المقررة عن وحدة إيطاليا، وجدت تشابها كبيرا بين فكر وأعمال أحد دعاة القوميّة والوحدة الإيطالية – لا يحضرني اسمه الآن – وما كنا نسمعه من أفكار عفلق والأرسوزي وحزب البعث في سوريا، ومن ذلك الشَّعَار الثلاثي، وتسمية جريدتهم البعث، وغير ذلك، ولا أشك الآن أن أفكار البعث صنعت في أقبية الماسونية، ومؤامرات الصّليبيّة، حتَّى أَنّي قرأت في إحدى الصّحف أن البابا قَالَ لعفلق في إحدى لقاءاته معه: لقد نجحت يا ميشيل فيما فشلت فيه الحُرُوب الصّليبيّة !

---

(١) الذخائر العظام للشيخ عبدالله عزام: (ج١/ ٨٨٩-٨٩٢)، (خط التحول التاريخي لعبدالله عزام).

ثمّ كانت تجربة عبد النّاصر والضُّبَّاط الأحرار، ودعواهم القوميّة العربيَّة نموذجا شبيها في مصر لما سلف من نموذج البعث في سوريا والعراق. }

الانقلابات العسكريّة والقومية:

إن الأفكار الجَدِيدة لا بُدَّ لها من قيادات عسكريّة تفرض آراءها بالقوة، وبهذه الطَّريقة استبدل الإِسْلَام بالقومية والإشتراكية.

ولذا فقد أوصت الدوائر الغربيّة في بلادنا والمستشرقون بوجوب المجيء بقيادت شابة عسكريّة يفرض من خلالهم ما يريد الغرب من مبادىء.

يقول قسطنطين زريق:

(إن العَرَب لا بُدَّ لهم في عهدهم الجَدِيد من قيادة قديرة وتقدمية، وأن عليهم أن ينبذوا من تقاليدهم العناصر الرجعية، وعندئذ فقط تستطيع الطَّائِفَة المستنيرة أن تواصل كفاحها ضدّ العناصر الرجعية بالتّعاون مع الغرب).

ويقول جب:

(إن نجاح التطور يتوقف إلى حد بعيد عَلى القادة والزعماء في العالم الإِسْلَاميّ وعلى الشَّبَاب منهم خاصّة).

وفكرة القوميّة قضية جذابة براقة تستطيع أن تخدع الجماهير بسهولة باسم التحرر والتقدم والوطنيّة.

يقول جب: (إن الأسلوب الّذي استطاعت به طبقة المتغربين تأمين الثَّابِتة عَلى السّلطة في الدّولة، فالقومية هيَ فكرة غربية تماما).

ومن المعلوم أن العسكريّين لا علم لهم بإدارة الأمم ولا رعاية الشّعوب ولا سياسة الجماهير، ولذا تدار البلاد من خلالهم، لقد وصف (ستيف ميد) المبعوث من وزارة الخارجيّة الأمريكيّة فئة العسكر لانقلاب سنة (١٩٥٢) في مصر وصفا دقيقا يصلح لكل العسكريّين فيقول:

(إن هَؤُلَاءِ الأولاد يظنُّون أنفسهم أعضاء عِصَابة (روبين هود) الهزلية، وهم فرحون بأنهم يحملون صفة (أبطال الثَّورة)، ولكني لم أجد واحد استطاع أن يشرح لي ما هو هدف هذه الثَّورة، إنهم لا يهتمون بالسّياسة، ولعلّ هذا من حظنا نحن وعبد النّاصر معنا، إنهم بحاجة إلى من يقول لهم ماذا يفكرون ويعملون).

ولقد سأل بعض ضباط الجيش عبد الحكيم عامر – غداة إطلاق النار عَلى عبد النّاصر في ميدان المنشية – سنة (١٩٥٤) عما حققته الثَّورة وأسباب الحادث فقال في صراحة (إنه لا يعرف عما تحققه الثَّورة، وأن جمال هو الّذي خطط ونفذ، وهو الّذي يعرف خطوات المستقبل).

ويقول مورو بيرجر في كتابه (العالم العربيّ اليَوْم):

(إن النُّخبَة العسكريّة في الشّرق الأدنى في مصر والسُّودَان والعراق وتركيا وإيران وباكستان كانت عوامل هامة في جلب التَّغير، فأصبح العَرَب متغربين بدون أن يتكلفوا الذهاب إلى أوربّا)، يقول مايلز كوبلاند:

(إن عبدا النّاصر لو لم يكن قد ولد فإن لعبتنا كانَ عليها أن تخلقه أي تربي حاكما دكتاتوريا مثله)،

ولذلك فإن مناداة عبد النّاصر بالقومية سنة (١٩٥٤) كانَ بإشارة أمريكا كما بين ذلك مايلز كوبلاند – رجل المخابرات الأمريكيّ –، ولقد كانَ لمناداة عبد النّاصر أثرا بالغا في العالم العربيّ، وما كانَ للقومية أن يكون لها هذا الانتشار لولا مصر وزعيمها، ولقد مهد عبد النّاصر لهذا الانتشار القومي وكذلك نجاح البعث وتغلغل الشُّيُوعِيّة وانحسار الإِسْلَام من المنطقة كلها، ولكن الأفكار الّتي فرضت عَلى المنطقة بالقوة اجتثت من فوق الأرض – كشجرة خبيثة اجتثت من فوق الأرض مالها من قرار – كما يقول بنارد لويس:

(إن أخذ أي نظام سياسي جاهز ليس فقط من بلد مختلف بل من حضارة مختلفة وفرضه بواسطة الغربيّين أو الحكَّام المتغربين في الشّرق عمل خاطىء، فلقد فرضت الدِّيمقراطيَّة بأوامر وفرمانات

الحاكم المطلق، فكانت النَّتِيجَة قيام نظام لا صلة له بماضي أو بحاضر البلد، ولا صلة له بحاجات مستقبلة)[1].

ولقد نادى (كوك ألب) التركي، بفصل الدّين عن الدّولة (علمانية الدّولة)، ونادى بوجوب أخذ ثقافة الغرب بحذافيرها، ومع الاحتفاظ بالثّقافة القوميّة أو بعبارة أدق هو يريد إقصاء الإِسْلَام نهَائِيًّا عن الحياة مع عدم السماح للنَّاس أن يسموا هذا العمل إلحادا أو زندقة، بل عَلى النّاس أن يسموا هدم الإِسْلَام سلاما.

ويعتبر الغربيّون كوك ألب (واضع الأسس النَّظريَّة للدولة التركية الحديثة) كما يقول هارولد سميث]أهـ.

القوميّة التركية الطورانية:

لقد بذرت البذور الأولى للقومية التركية في داخل الأكاديمية العسكريّة في (استانبول) مع الأساتذة العسكريّين الألمان الّذين وفدوا إلى الكلية ليدربوا الأتراك الّذين كانوا بحاجة إلى جيش قوي مدرب عَلى وسائل القوّة الحديثة وأساليب القِتَال العالية، خاصّة وأن تركيا تقاتل العالم بأسره، والّذي يرميها عن قوس واحدة، فقد وصلت بعثة عسكريّة ألمانية سنة (١٨٨٣) يرأسها الكولونيل (فون درجولسن) وبقي يعمل قرابة ثلاث عشرة سنة تمَّ خلالها بذر بذرة القوميّة.

وأما العامل الثّاني لنشوء القوميّة الطورانية فهو: هِجرَة اللاجئين المجريين والبولنديين إلى تركيا بعد فشل ثورتهم سنة (١٨٤٨)، واعتناق هَؤُلَاءِ الإِسْلَام، حيث أصبحوا من الطّبقة المتنفذة في الدّولة، ومن هَؤُلَاءِ (قسطنطين بورزيكي)، وقد سمى نفسه بعد ذلك مصطفى جلال الدّين باشا، فلقد كانَ هذا الرجل هو رأس الأفعى القوميّة الّتي نقلت سمها إلى عقول ونفوس الأتراك، يقول برنارد لويس:

---

(١) وهذا بالضبط ما تفرضه أمريكا اليَوْم فرضا في البلاد العربيَّة والإِسْلَاميّة وهو ما تسميه الشّرق الأوسط الكبير! [المؤلف]

(ولقد عمل يورزيسكي عَلى نقل القوميّة البولونية ووضعها في قالب تركي، وساعده عَلى هذا العمل ما عرضه من أعمال المستشرقين الغربيّين الباحثين في الشئون التركية، وكان لها تأثير هام في تقدير التّاريخ التركي القديم، والاعتقاد بالهويّة المميزة).

ولا يفوتنا أن نعود فنذكر بأن أعضاء (جَمعيَّة الإتحاد والترقي) كلهم ماسون (منظّمة يهودية عالميّة)، وأن يهود سالونيك هم اليد المحركة لهذه الجَمعيَّة، ونعود مرّة أُخرى فنذكر بكلام ستون وتسون: (إن الحقيقة البارزة في تكوين جَمعيَّة الإتحاد والترقي أنها غير تركية وغير إسلاميّة) فأطاحت بعبد الحميد وبتركيا وبالإِسْلَام.

ولقد كانَ لهذه الدّعوة إلى القوميّة التركية أثر سيء انعكس في نفوس الشّعوب الإِسْلَاميّة الّتي تخضع للسيادة العُثمَانِيّة، وبدأوا يطالبون بالاستقلال ويشكلون الجَمعِيّات السرية لمحاربة تركيا، خاصّة بعد السُّلُوك المشين الغريب الّذي سارت عليه جَمعيَّة الإتحاد والترقي، وكان عَلى رأس هذه الشّعوب (العَرَب) الّذين اتخذوا من هذا السُّلُوك مبررا للوقوف بجانب بَريطَانيَا ضدّ الأتراك في الثَّورة العربيَّة الكبرى بقيادة الشريف حسين، وكان لهذا نتائج وخيمة عَلى العالم الإِسْلَاميّ.

يقول توينبي:

(إن الضُّبَّاط في تركيا الحميدية هيَ الطّبقة الوحيدة الّتي استطاعت أن تفتح نافذة فكريّة دائمة تنفذ عن طريقها التّأثيرات الغربيّة، لذلك ففي سنة (١٩٠٨) وبعد ثلاثين عاماً من حكم استبدادي مظلم كانَ الجيل التركي الجَدِيد من العسكريّين هو رأس الحَربة لهجوم الليبرالية الغربيّة عَلى تركيا).

مقارنة بين القوميّة الطورانية والقومية العربيَّة:

لقد التقت القوميّة الطورانية والعربيَّة عَلى أشياء أهمّها:

أن الغرض من كلّ منهما هو القضاء عَلى تركيا المسلمة، وعلى السُّلطَان عبد الحميد بالذات.

لقد بدأت القوميتان في وقت واحد تقريبا وإن كانت القوميّة العربيَّة تقدمت قليلا عَلى الطورانية.

القوميتان علمانيتان اتفقا عَلى استبعاد الإِسْلَام عن الحياة.

إن كلا من القوميتين نشأتا في محا ضن أجنبية، فالقومية العربيَّة نشأت في المحاضن الأمريكيّة وفي الجامعة الأمريكيّة، بينما الطورانية نشأت في المحافل الماسونية اليَهُوْدية الّتي يشرف عليها اليَهُوْد الإسبان والبولنديون الإيطاليون.

إن الرواد الأوئل لكل من الدّولتين لم يكونوا مُسلِمِين أصلا ولا من الجنس الّذي يدعون إلى قوميته، فمثلا (بورزيكي) الّذي سمى نفسه مصطفى جلال الدّين – بولندى الأصل – عمل عَلى نقل القوميّة البولندية وصبها في قالب تركي، ومنذ تأسيس جَمعيَّة الإتحاد والترقي لم، لم يظهر بين زعمائها وقادتها واحد من أصل تركي صاف، فأنور باشا بولندي مرتد، وجاويد من الطَّائِفَة اليَهُوْدية (الدونمة)، وكراسو (من اليَهُوْد الإسبان) في سالونيك، وطلعت باشا من أصل غجري، وأما أحمد رضا فنصفه شركسي ونصفه مجري ومتأثر بـ (كونت).

الرواد الأوائل للقومية العربيَّة كانوا جمعيا من غير المُسلِمِين من بطرس البستاني، وناصيف وابنه إبراهيم اليازجي، والشدياق وأديب إسحق ونقاش وشميل وتقلا وصروف وزيدان ونمر ومشاقة، كلّ هَؤُلَاءِ عَلى الإطلاق من النّصَارى، ثمّ جاء القرن العشرون وكان من قادتهم: زكي الأرسوزي (نصيري تركماني) وميشيل عفلق (نصراني) ٠ قادة البعث، وأنطو ن سعادة وجورج عبد المسيح من قادة الحزب القومي السّوري حبش – من قادة القوميين العَرَب. وكلهم نصارى !!

يقول الكاردينال بريتولي للبابا: (**إن المسيحية في الشّرق هيَ الّتي زرعت الحركات الثّوريّة وحركات التَّغيير، وإن أسماء مثل ميشيل عفلق، وأنطوان سعادة، وجورج حبش قد تفسر لك ما أعنيه**).

إن الأصابع الماسونية– اليَهُوْدية – كانت تحرك طلائع الحركتين، فالخمسة الأوائل الّذين أنشأوا (جَمعيَّة بيروت السرية) كلهم من الماسون، وكذلك الّذين نادوا بالقومية الطورانية هم من الماسون.

هناك بعض الرؤوس المدبرة للإطاحة بالإِسْلَام في تركيا، انتقلت لتواصل عملها في القاهرة ! فمثلا عزيز المصري كانَ في جَمعيَّة الإتحاد والترقي، ثمّ أنشا (الجَمعيَّة القحطانية) و(جَمعيَّة العهد)، والحاخام اليَهُوْدي في استانبول – ناحوم حاييم _إنتقل إلى القاهرة بعد إسقاط الخِلافَة في تركيا وكان

له تأثير في السّياسة المصريَّة، أيّام عبد النّاصر، وكذلك اسماعيل أحمد أدهم، جاء من تركيا إلى مصر وألف كتاب (لماذا أنا ملحد) وأسس (المجمع الشرقي لنشر الإلحاد).

تأثرت القوميّة العربيَّة بالنَّظريات الأمريكيّة، وتأثرت الطورانية بالثَّورة الفرنسية، يقول فيليب حتَّى: (كانَ من نتاج الاحتكاك بين العقليَّة السوريّة والنتاج الفكريّ الغربيّ أن تولدت مبادئ القوميّة العربيَّة الشّاملة، واستمدت وحيها بالأكثر من النَّظريَّات الأمريكيّة، بخلاف القوميّة التركية الّتي جاءت متأخرة عن العربيَّة والَّتي استمدت إلهامها من مبادئ الثَّورة الفرنسية).

كانت الأصابع اليَهُوْدية بارزة في القوميّة التركية، لا يزال اليَهُوْد يحرصون عَلى ربط العَرَب بقوميتهم، يقول (أبا إيبان) - الّذي كانَ وزير خارجية إسرائيل - في محاضرة له في جامعة برنستون الأمريكيّة: (يحاول بعض الزعماء العَرَب أن يتعرف عَلى نسبة المد الإِسْلَاميّ بعد الهزيمة الأخيرة (١٩٦٧)، وفي ذلك الخطر الحقيقي عَلى إسرائيل، ولذا كانَ من أولى واجباتنا أن نبقي العَرَب عَلى يقين راسخ بنسبهم القومي لا الإِسْلَاميّ).]أهـ. (١)

قَالَ الشَّيْخ عبدالله عزام:

[**وأخيرا فإنا نقول:** إن واقع العَرَب يدل دلالة واضحة عَلى النتائج الّتي تَوَصَّلت إليها الدعوات القوميّة والإقليمية والعلمانيّة هيَ:

قطع صلة العَرَب بالدّولة الإِسْلَاميّة.

تمزيق العالم العربيّ إلى دويلات هزيلة حتَّى تبقى في قبضة العالم الغربيّ والشرقي، تتسابق في ولائها لأمريكا أو إلى روسيا لتحمي أنظمتها في المنطقة.

تضخم الكيان الإسرائيلي الّذي أصبح تنينا يفتح شدقيه يبتلع كلّ فترة جزءا من بلاد العَرَب، انهيارات في معظم النواحي الاجتماعيَّة والسّياسيّة والاقتصاديَّة والعسكريّة.

(١) (الذخائر العظام: ج١/ ٨٩٣ - ٨٩٥)

نشوء أجيال ليس لها هوية معينة، وليس لها أي مبدأ في الحياة، لا تعلم لماذا تعيش؟ ممزقة خلقيا، متفسخة اجتماعيا، متفككة أسريا، أفئدتهم هواء، تراهم كلّ يوم في رأي، يغيرون أفكارهم كما يغيرون أزيائهم في الاعتقاد والاقتصاد والثّقافة والاجتماع، يقول زويمر – زعيم المبشرين – مخاطبا المبشرين:

(إنكم أعددتم شبابا في ديار الإِسْلَام لا يعرف الصلة بالله، ولا يريد أن يعرفها، وأخرجتم المسلم من الإِسْلَام فجاء النشء الإِسْلَاميّ طبقا لما أراده الإستعمار، لا يهتم للعظائم، ويحب الراحة والكسل ولا يصرف همه في الدُّنيَا إلا في الشَّهَوَات).

إن هذا الشّرق لم يشهد في يوم من الأيّام وحدة ولا عزة، ولم يكن له كيان إلا بالإِسْلَام الّذي وحده أول مرّة، ولن يجد نفسه مرّة ثانية إلا بالإِسْلَام.

لقد مزقت القوميّة أوربّا فنقلها العَرَب ليمزقوا أمتهم الإِسْلَاميّة، بل ليفتتوا الشّعوب العربيَّة نفسها.

كما يقول توينبي متسائلا ومعترفا بذنب بلاده وحضارته:

(فهل من الضَّروري حقا أن يتفتت العالم العربيّ كما تفتت الإمبراطورية الأسبانية في أمريكا – لسوء الحظ – إلى عشرين دولة مستقلة عن بعضها تعيش في قوالب ضيقة غربية النمط. هذا هو الوجه الثّاني الكالح لحضارتنا الغربيّة، ومن المؤسف أن تقلده الشّعوب الناطقة بالعربيَّة تقليدا تاما، إن سحر القوميّة جذاب في أمثال هذه المجتمعات الإِسْلَاميّة المبعثرة، ولكن القوميّة لن تقود هذه المجتمعات إلى حياة جديدة، بل إلى حكم بالموت والفناء).

إن النغمة الّتي عزفتها الطبقات المتسلطة في العالم الإِسْلَاميّ والعربي هيَ نغمة القوميّة، وهي مزوقة جميلة تشنف الأسماع وتبهج القلوب، ولكنها مخدرات تذبح الشّعوب من خلالها عَلى مذابح الشَّهَوَات قرابين رخيصة في سبيل الطغاة والطَّاغوت، وإن الخرير الّذي يعكسه صوت النزيف الدموي قد جذب كثيرا من القطعان لتساق إلى مذبحها ونهايتها البئيسة الأليمة.

يقول جب: **(إن الأسلوب الّذي استطاعت به طبقة المتغربين تأمين قبضتها الثَّابِتة عَلى السّلطة في الدّولة، كانَ القوميّة، فالقومية هيَ فكرة غربية تماما).**

وإن سبب انتشار القوميّة في العالم العربيّ هو سيطرة الغرب نفسه عَلى العالم الإِسْلَاميّ.

يقول المؤرخ الإنكليزي توينبي في كتابه (الغرب والشرق والمستقبل):

(ففي الوقت الحاضر الّذي يجد الغرب نفسه منذُ الحَرب العَالَمِيّة الثّانية ويرى أنه جزء إلى أكثر من أربعين دولة قومية مستقلة ذات سيادة يهدد بانهيار البيت كله كاملا عَلى من فيه بسبب انقسامه هكذا عَلى نفسه.

ومع ذلك فإن اعتبار الغرب لا يزال له من القوّة في العالم ما يبقي جرثومة القوميّة الغربيّة قادرة عَلى السريان والعدوى، ومن المأمول أن يستطيع العالم الإِسْلَاميّ عَلى كلّ حال إيقاف انتشار هذه الداء السّياسيّ الغربيّ – القوميّة – عن طريق الشعور الإِسْلَاميّ القومي بالوحدة)!!

إن القوميّة ليست الدَّواء الناجع لأمراضنا، بل هيَ داء عضال مما أصابنا.

يقول سميث: **(وتاريخ الشّرق الأدنى الحديث يدل أن القوميّة المجردة ليست القَاعِدَة الملائمة للنهوض بالواجب الشاق، وما لم يكن المثل الأعلى إسلاميا عَلى وجه من الوجوه، لن تثمر الجهود البتة).**

وما أجمل كلمة سيدنا عمر بن الخطاب ننهي بها هذا الحديث: (نحن قوم أعزنا الله بهذا الدّين ومهما ابتغينا العزة بغيره أذلنا الله).

قَالَ الله تَعَالَى: ﴿لَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ كِتَٰبًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ۝١٠﴾ [الأنبياء]

فالمسلمون والعرب يُذكرون بالقرآن، فبسبب من هذا الكتاب تذكر هذه الأُمّة، ولقد تقدم العَرَب أول مرّة إلى البشرية عَلى هدي هذا القرآن، وأمسكوا بزمام البشرية بعد أن تمسكوا بالكتاب وأقاموه في حياتهم.

﴿وَإِنَّهُۥ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ ۖ وَسَوْفَ تُسْـَٔلُونَ ۝٤٤﴾ [الزخرف]

﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَسْتُمْ عَلَىٰ شَىْءٍ حَتَّىٰ تُقِيمُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ ۗ﴾ [المائدة: ٦٨].

فأهل القرآن ليسوا عَلى شيء، ولا وزن لهم ولا قيمة إلا إذا أقاموه فيهم، وعملوا به في حياتهم، وطبقوه في واقعهم.

﴿وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ اقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ أَوِ اخْرُجُوا مِن دِيَارِكُم مَّا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِّنْهُمْ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا ﴿٦٦﴾﴾ [النساء].

جاء في تقرير ديلسبس – القنصل فرنسا العالم في سوريا – في (١٩/ ٨/ ١٩٥٦م) الّذي كتبه بمساعدة مساعده (بلانس) مايلي:

(من أبرز الحقائق الّتي يلحظها من يريد دراسة هذه البلدان، المكانة الّتي يحتلها الدّين في نفوس النّاس، والسلطة الّتي له في حياة النّاس، فالدّين يظهر في كلّ مكان وفي كلّ أمر.

ففي المجتمع الشرقي يظهر أثر الدّين في الأخلاق العامّة، وفي اللغة، وفي الأدب وفي جميع المؤسسات الاجتماعيَّة.

والرجل الشرقي لا ينتمي إلى وطن ولد فيه – الشرقي ليس له وطن – بل إلى الدّين الّذين ولد فيه، وكما أن الرجل في الغرب ينتمي إلى وطن، فإنه في الشّرق ينتمي إلى دين، وأمة الرجل الشرقي هيَ مجموعة النّاس الّذين يعتنقون الدّين ذاته الّذي يعتنقه هو، وكل فرد خارج عن حظيرة الدّين هو بالنسبة إليه رجل أجنبي غريب).

القوميات والإقليميات الجَاهِلِيَّة:

لقد حرك الغرب وتلاميذه في كلّ مكان نغمات الارتباط بالجاهليات الّتي تسبق الإِسْلَام حتَّى يقطع الصلة بالإِسْلَام ويتجاوزها.

ففي المغرب: حاولت الإدارة الفرنسية أن تشد أزر الرّوح الجنسية بين بربر مراكش، فقامت بإصدار الظهير البربري في ١٦ مايو سنة ١٩٣٠ الّذي قضى بتنفيذ الأحكام العرفية البربرية وقانونهم الخاص بالأحوال الشَّخصيَّة بدل الشّريعة الإِسْلَاميّة.

وفي إندنوسيا: اكتشف الحضارة الجاوية – الهندوكية.

وفي لبنان: أثار سعيد عقل ويوسف السودا وفيكتور شبح الفينيقية، وقالوا بأن لبنان لا ينتمي إلى العَرَب، بل هو جزء من حضارة البحر المتوسط – إيطاليا، واليونان.

وفي مصر: أثيرت الحضارة الفرعونية، خاصّة بعد اكتشاف توت عنخ آمون، وبعد أن حلّ شامليون ألغاز(حجر روزيتا)، وتولى سلامة موسى، ولطفي سيد، ثمّ سعد زغلول، وطه حسين الدّعوة إلى الفرعونية، وبدأت تظهر أسماء رمسيس، الأهرام، نفرتيتي، أبو الهول، واتخذ أبو الهول شعارا يمثل نهضة مصر، وفي زمن عبد النّاصر أقيم السد العالي فأثارت اليونسكو همة العالم لإنقاذ معبد (أبي سنبل الفرعوني)، ونقل تمثال رمسيس – فرعون موسى – إلى القاهرة وكلف الملايين، وأصبح الأتراك ينادون بشعار (تركيا للأتراك) ومصر (للمصريين).

يقول (كويلرينغ) عن لويس توماس:

(أنه قد استطاع أن يرسم الخطوط العريضة للظروف التارِيخِيَّة والاجتماعيَّة للحركة الّتي انتهت بالزعماء الأتراك المحدثين إلى تحقيق مبدأ تركيا للأتراك، وهذا المبدأ الّذي سار عليه أغلب شعوب المنطقة).

ولذلك كانَ الكماليون يقولون:

(نريد أن نبني إسلاما تركيا يكون ملكا لنا وجزءا من مجتمعنا الجَدِيد عَلى نحو الكنيسة الإنجليكانية الّتي هيَ مسيحية عَلى النمط الإنجليزي).

وفي مصر العربيَّة كانت أضواء هذه الصيحات تتجاوب فتحرك الببغاوات المصريَّة الّتي تلعب بها الأصابع الغربيّة (الإنجليزية بالذات) فتنادي (بفرعونية مصر)، فقال طه حسين (**المصري فرعوني قبل أن يكون عربيا**)، وقال طه حسين: (**لو وقف الإِسْلَام بيني وبين فرعونيتي لنبذت إسلامي**) !

وعليه فانه ليس من الغريب أن ترى اهتمام الغرب الكبير بالآثار والمتاحف الوطنيّة حيث تأسست قبل قرن تقريبا هيئات غربية للإشراف عَلى التنقيب في العالم الإِسْلَاميّ لربط المُسلِمِين بالآثار وبالقيم والأعلام الّذين كانوا قبل مجيء الإِسْلَام، فجاء (بوتا) و(لايارد) إلى العراق، وعملت (مارييت) في مصر، و(سشلمان) في تركيا ثمّ أنشئوا دوائر الآثار والمتاحف الوطنيّة، وليس عجيبا بعد ذلك أن ندرك تبرع مؤسسة (روكفلر اليَهُوْدية) بعشرة ملايين دولار لإنشاء متحف للآثار الفرعونية ومعهد لتخريج رجال الآثار، ولعلنا بعد هذا نصل إلى سبب النّص في صك الانتداب البريطاني عَلى

فِلَسطِين مادة (٢١): (يجب أن تضع الدّولة المنتدبة وتنفيذ في السنة الأولى من تاريخ هذا الانتداب قانونا خاصا بالآثار والعاديات)، كلّ هذا لقطع صلة بإسلامهم وربطهم بالجَاهِليَّة الأولى، حتَّى يتسنى للغرب أن يستعبدهم ويذلهم تحت يده.

يقول الدكتور (ولسون) في مؤتمر الثّقافة الإِسْلَاميّة والحياة المعاصرة الّذي عقد في جامعة (برنستون) سنة (١٩٥٢): (إن في بلاد الشرقيين الأدنى والأوسط في هذه الأيّام نهضة حَضَاريَّة هيَ من ناحية جديدة، ومن ناحية أُخرى بعث القديم، إن نهضة الغرب المسيحي وحركة إحياء المعارف فيه قامت عَلى عمليَّات التَّفكير والجدل فيها عَلى الأعمال الكلاسيكية والوثنية).

وفي إيران: قام الصفويين والحكم البهلوي بتوهين العلاقة مع العالم الإِسْلَاميّ، فأشأ الحكم البهلوي أكاديمية للتخلص من المفردات العربيَّة في الفارسية، واكتشفت الأكاديمية مجد إيران القديمة، وبزغ مذهب زرداشت من جديد، واحتل مكانا مرموقا في بلاد السبع والشّمس، وبدأت العمارات الجَدِيدة تبني عَلى لطراز الأخميني القديم، وأقام الشّاه محمّد رضا بهلوي احتفالا بمناسبة مرور (٢٥) عَلى كورش صانع الأمبرطورية الفارسية، وثارت في إيران قوميات أُخرى مثل: البلوش، والأكراد والعرب،

وفي العراق: ثارت النعرات، فنادى بعضهم بالقومية العربيَّة، ونادى الأكراد بقوميتهم والكردية والأتراك بالتركية، وثارت الدعوات الآشورية والكلدانية.

وفي الهند: تأججت نار العصبية الهندية، وأصبح الهنود يفخرون بالهندية، ويرون الانقطاع عن ماء زمزم في مكّة إلى نهر(جنجا)، ويتغنون بأبطال الهندوم (بهيم أرجن، رام ها).

وأصبحوا ينظرون إلى الفتح العربيّ عَلى أنه استعمار واستبعاد واحتلال الغريب لأرض الوطن، وهذا الّذي يفخر به المُسلِمُون، مما جعل المُسلِمِين ينادون بقيام دولة يعيشون فيها حياة إسلاميّة، وبفكر إسلامي، تكون فيها جنسية المسلم هيَ عقيدته ودينه وإسلامه،

وقد قَالَ إقبال يخاطب المسلم – حيث كانَ –:

(لا تقس أمم الغرب عَلى أمتك، فإن أمة الرَّسُول الهاشمي ﷺ فريدة في تركيبها، أولئك إنما يعتقدون باجتماعهم عَلى الوطن والنسل، ولكن إنما يستحكم اجتماعك أيها المسلم بقوة الدّين).

وفي الأردن وفلسطين: ارتفعت الأصوات بالتغني بالأمجاد القبلية القديمة وقامت النزاعات بين قبائل الشمال والجنوب في شرق الأردن وبين الفلسطين وبين أبناء شرق الأردن، وأصبحنا نسمع عن مدن: مؤاب، وفيلادلفيا، وعمون.

لقد صدق فينا قول ربّ العزة: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحَآدُّونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ فِى ٱلْأَذَلِّينَ ۝٢٠﴾ [المجادلة]

﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ۝١٢٤﴾ [طه]

وصدق رسول الله ﷺ: «بُعِثْتُ بَيْنَ يَدَيِ السَّاعَةِ بِالسَّيْفِ حَتَّى يُعْبَدَ اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَجُعِلَ رِزْقِي تَحْتَ ظِلِّ رُمْحِي، وَجُعِلَ الذِّلَّةُ وَالصَّغَارُ عَلَى مَنْ خَالَفَ أَمْرِي، وَمَنْ تَشَبَّهَ بِقَوْمٍ فَهُوَ مِنْهُمْ»(١).

لقد ذقنا مرارة بعدنا عن كتاب الله، وتجرعنا آلام تنكبنا لطريق الله، وحصدنا ما زرعنا من بذور القوميّة ثمار القطيعة والتمزق والضياع والخذلان والخسران:

﴿أَوَلَا يَرَوْنَ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ فِى كُلِّ عَامٍ مَّرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ لَا يَتُوبُونَ وَلَا هُمْ يَذَّكَّرُونَ ۝١٢٦﴾ [التوبة]

لقد آن لنا أن نرجع إلى الله، وننبذ من أيدينا كلّ أو صار الجاهلي، وندعو أنفسنا بالعودة إلى طريق السعادة ﴿فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ۝١٢٣﴾ [طه]، إما الله أو الفناء، إما الإِسْلَام أو الدمار]أهـ.(٢)

---

(١) رواه أحمد (٥١١٤، ٥١١٥، ٥٦٦٧) وضعّفه الأرنؤوط، وصححه شاكر والألباني (صحيح الجامع-٢٨٣١) ولأطراف الحديث شواهد في البخاري.

(٢) الذخائر العظام: (ج ١ / ٩٠١)

[الدّعوة القوميّة والأسباب الحقيقيَّة الّتي كانت وراءها:

السبب الرَّئيسي: هو محاولة الغرب استعاد الإِسْلَام كرابطة وحيدة وإحلال رابطة جديدة مكانه بعد فشل الغرب في الحُرُوب الصّليبيّة، فأراد أن يستعمل أسلوب الفكر واللسان بدل السنان، وذلك ليسهل للغرب تثبيت أقدامه في بلادنا، خاصّة بعد حملة نابليون عَلى مصر.

طموح محمّد علي باشا وإبراهيم باشا إلى عمل إمبراطورية قومية عربيَّة.

التّخلّص من تركيا المسلمة والقضاء عليها حتَّى يرث الغرب ممتلكاتها.

محاولة النّصَارى التّخلّص من تركيا لأنها كانت تطبق عليه الجزية وبعض الواجبات الاستثنائية الّتي تقابل المُسلِمِين دفع الزّكاة والقيام بالجندية لحماية الدّولة الإِسْلَاميّة.

وطمعا من المسيحيين أن يقودوا المجتمعات الّتي يعيشون فيها ويوجهوا دفتها ويصبحوا سادتها وعلية أقوامها.

التطور التّاريخي للفكرة القوميّة:

تعتبر حملة نابليون النقطة الأولى في بداية تحويل العَرَب من الإِسْلَام إلى القوميّة، وقد اختمرت هذه الفكرة في ذهن نابليون عَلى أثر المُقاوَمة الّتي حركها الأزهر بنداء (اللهُ أكبَر) واقتنع الغرب بهذه الفكرة.

وخرج الفرنسيون سنة (١٩٠٤) من مصر وجاء محمّد علي باشا، وكان محمّد علي ضابطا ألبانيا – لا يعرف العربيَّة جاء مع الحملة الّتي أرسلها الخَليفَة إلى مصر لمقاومة نابليون، وكان محمّد علي يتيما طموحا ذكيا، ولكنه كانَ أميا، فكان مصابا بعقدة النّقص بسبب أميته، فأراد أن يحضر مصر ويطورها، فقضي عَلى المماليك ونودي به حاكما عَلى مصر.

محمّد علي باشا والفرنسيون:

كانَ محمّد علي معجبا بالفرنسيين، فهو منذُ صغره عَلى صلة بفرنسي اسمه ليون (Lion) ثمّ استقدم إلى مصر د. (كلوت) الطبيب الفرنسي ليكون مستشاره، فأشار عليه بفكرة القوميّة (وقد عنى كلوت بأن يطبع الطلاب في الدارس العليا الّتي كانَ يديرها عَلى الشّعوب الصَّحِيح بالقومية العربيَّة)

وبدأ محمّد علي يرسل البعثات إلى فرنسا، فرجعت البعثات تحمل بذور الفكرة القوميّة، ومن بين هَؤُلَاءِ رفاعة الطهطاوي الّذي أقام في باريس (١٨٢٦ - ١٨٣١) فحمل فكرة الثَّورة الفرنسية القوميّة.

ابراهيم باشا في بلاد الشّام:

كانَ محمّد علي باشا يطمع في امبرطورية عربيَّة تنفصل عن الحكم العُثْمَانِيّ، وقد زين له هذا الأمر الغرب (الفرنسيون بالذات) فأرسل ابنه إبراهيم باشا واحتل الشّام كلها، ومكث حكم إبراهيم في بلاد الشّام سبع سَنَوات (١٨٣٣- ١٨٤٠) وقد كانَ لهذه السَنَوات أثر عميق في تغيير مجرى الأحداث في الشّام ولمدة قرن ونيف.

فماذا صنع إبراهيم باشا في الشّام:

ألغى الأحكام الإِسْلَاميّة المطبعة عَلى النّصَارى في الشّام ونادى بمساواتهم بالْمُسلِمين وكذلك فعل أبوه في مصر.

شجع الجَمعِيّات التبشيرية ومدارسها، وأما أبوه في مصر فكان جلساؤه دائما من السفراء والسائحين والمبشرين، وكان نتيجة هذا التشجيع للمبشرين في الشّام.

أ- **قدوم البعثات البروتستنتية (الأمريكيّة) وكان من بين رجالاتها** [١]:

(**أيلي سميث**)، الّذي مكث يعمل دائبا للنصرانية من (١٨٣٤ - ١٨٥٧) فنقل المطبعة الّتي كانت للبعثة من مالطة إلى بيروت وبدأت تطبع بالعربيَّة وهي أول مطبعة من نوعها في بلاد الشّام، وأقام سميث هو وزوجته في بيروت مدرسة للبنات وهي أول مدرسة في بلاد الشّام من هذا النوع.

الدكتور (**كورنيليوس فاندك**) جاء طبيبا مع البعثة الأمريكيّة وبقي يعمل ٥٥ سنة في بلاد الشّام (ربما كانت جهوده أكبر الجهود الفرديَّة الأجنبيّة قيمة وأكثرها أثرا في التطور الثقافي في البلاد.

---

(١) لاحظ قدم المحاولات الأمريكيّة للتسلل للمنطقة، حيث لم يتمكنوا لقوة بَرِيطَانيَا وفرنسا وغيرها من دول الإستعمار آنذاك، حتّىٰ جاءتهم الفرصة وجاء مقت أن يحصدوا ما زرع أجدادهم المبشرون البروتستانت من النّصَارىٰ المتهودين. [المؤلف]

ناصيف اليازجي: (١٨٠٠-١٨٧١) لبناني نصراني، عمل مع البعثة الأمريكيّة، وفي مطبعتها مع سميث وفانديك، وقام هو وابنه إبراهيم اليازجي بترجمة التوراة، وكان ابنه إبراهيم هو أول من أسس (جَمعيَّة بيروت السرية) ذات الطابع القومي.

وإبراهيم هذا كانَ نصرانيا ماسونيا، عاش ما بين (١٨٤٧-١٩٠٦)، مات في مصر ونعته المحافل الماسونية فيها، وهو صاحب القصيدة الّتي تنادي بالثَّورة عَلى الأتراك.

تنبهوا واستفيقوا أيها العَرَب لقد طما السيل حتَّى غاصت الركبُ
أقداركم في عيون الترك نازلة حقكم بين أيدي الترك منتهبُ
لنطلبن بحد السّيف مأربنا فلن يخيب لنا في جنبه أربُ

بطرس البستاني: (١٨١٩-١٨٨٣)، وهو لبناني كانَ يعمل مترجما في القنصلية الأمريكيّة في بيروت، غير دينه من ماروني إلى بروتستنتي بسبب صداقته مع سميث وفاندك، وظفه المبشرون مدرسا في مدرسة عبية، ترجم التوراة مع سميث واستغرق في الترجمة عشر سَنَوات، أصدر قاموس (محيط المحيط) ومختصره (قطر المحيط) و(دائرة المعارف للبستاني).

أصدر في فتن عام (١٨٦٠) (بين النّصَارى والدروز في لبنان) مجلة اسمها (نفير سوريّة) يدعو إلى الوحدة القوميّة، أسس عام (١٨٦٣) (المدرسة الوطنيّة) كانَ يدرس هو وناصيف اليازجي فيها، وأصدر عام (١٨٧٠) مجلة اسمها (الجنان) صحيفة نصف شهرية سياسيّة وأدبية، - شعارها (حب الوطن من الإيمان)، وأصدر صحيفتي (الجنّة) و(الجنينة).

ويعتبر اليازجي والبستاني من الرواد الأوائل لفكرة القوميّة العربيَّة، فلقد قام تلاميذهم بالتَّنظِيمات القوميّة الّتي آتت أكلها فيما بعد وأثمرت هذا الإقصاء لدين الله عن الحياة وتربية الرواد الّذين يعتبرون القوميّة مثلهم الأعلى الّذي تقدم له القوانين والتضحيات.

من ثمار البعثة الأمريكيّة عدا إبراز اليازجي والبستاني أنها قامت بإنشاء أكبر معهد لحضانة الفكر القومي وهو:

الجامعة الأمريكيّة في بيروت (١٨٦٦):

وكان اسمها في البداية (الكلية السوريّة الإنجيلية)، وكان أول رئيس لها هو (دانيال بلس) راهب أمريكي يحمل الدكتوراه في اللاهوت، وبقي رئيسا للجامعة حتَّى عام (١٩٠٢) وخلفه ابنه (هوا رد بلس)، وأثر الجامعة الأمريكيّة في المنطقة لا يوازيه أي أثر في الفكرة القوميّة، ولقد خرجت الجامعة أجيالا من قادة بلاد الشّام عَلى مدى قرن ونيف، ومن أساتذتها المعروفين برعاية الفكر القومي (قسطنطين زريق) الّذي نخرج عَلى يديه (جورج حبش).

البعثة الكاثوليكية – اليسوعية، وقد قامت بإنشاء مطبعة حجرية (١٨٤٧) وأسست مدرسة يوسف الّتي عرفت فيما بعد بالجامعة اليوسعية.

ج – اللعازريون: افتتحوا كلية (عين طورة) في لبنان.

- الجَمعِيّات القوميّة:

ومن الأعمال الّتي قامت بها البعثات التبشيرية إنشاء الجَمعِيّات الّتي تنادي بالفكر القومي وأهمّها:

١- جَمعيَّة الآداب والفنون عام (١٨٧):

أسستها البعثة التبشيرية الأمريكيّة وعلى رأسها سميث وفاندك والبستاني وناصيف اليازجي، ولم يمض عليها عامان حتَّى بلغ أعضاؤها خمسين عضوا أكثرهم من النّصَارى السوريين في بيروت، ولم يكن فيهم مسلم واحد ولا درزي، وبقيت الجَمعيَّة خمس سَنَوات.

٢- الجَمعيَّة الشرقية عام (١٨٥٠):

أسَّسَها اليسوعيون وكان يشرف عليها الأب دبر ونر.

٣- الجَمعيَّة العلمية السوريّة عام (١٨٥٧):

بلغ أعضاؤها مائة وخمسين عضوا، اشترك فيها بالإضافة إلى مؤسسيها من أتباع البعثة الأمريكيّة بعض المُسلِمِين والدروز، ونالت اعتراف الحكومة بها عام (١٨٦٨).

(كانَ أول صوت ظهر لحركة العَرَب القوميّة هو صوت إبراهيم اليازجي أحد أعضاء الجَمعيَّة فألقى قصيدة اتخذت صورة النشيد القومي).

٤- جَمعيَّة ببيروت السوريّة عام (١٨٧٥):

يقول جورج انطونيوس (يرجع أول جهد منظم في حركة العَرَب القوميّة إلى العام (١٨٧٥) أي قبل ارتقاء عبد الحميد العرش بسنتين حين ألف خمسة شبان من الّذين درسوا في الكلية البروتستنتية السوريّة – الجامعة الأمريكيّة – ببيروت جَمعيَّة سرية وكانوا جميعا من النّصَارى، ولكنهم أدركوا قيمة انضمام المُسلِمِين والدروز إليهم، فاستطاعوا أن يضموا إلى الجَمعيَّة نحو اثنين وعشرين شخصا ينتمون إلى مختلف الطوائف الدّينيّة، ويمثلون الصفوة المختارة والمستنيرة في البلاد، وكانت الماسونية قد دخلت قبل ذلك بلاد الشّام عَلى صورتها الّتي عرفتها أوروبّا، فاستطاع مؤسسو الجَمعيَّة السرية عن طريق أحد زملائهم أن يستميلوا إليهم المحفل الماسوني الّذي كانَ قد أنشئ منذُ عهد قريب ويشركوه في أعمالهم)

من هذا ندرك: –

أن بداية العمل القومي المنظم كانَ في بلاد الشّام عن طريق النّصَارى.

أن هَؤُلَاءِ النّصَارى من تلاميذ البستاني واليازجي أو من محبيهم وكانوا ثمرة جهود البعثة الأمريكيّة.

إن من بين المؤسسين إبراهيم اليازجي صاحب شعار الجَمعيَّة.

لنطلبن بحد السّيف مأربنا فلن يخيب لنا في جنبه أربُ

وكذلك كانَ فارس نمر باشا (نصراني لبناني) وصهره (شاهين مكاريوس) من مؤسسيها، وهَؤُلَاءِ الثّلاثة من كبار الماسونيين المعروفين.

فالأيادي الماسونية – اليَهُوْدية – هيَ الّتي تبنت فكرة القوميّة العربيَّة، وهي نفس الأيادي الّتي كانت تحرك في الوقت ذاته (القوميّة الطورانية) الّتي يتبناها يهود الدونمة في سالونيك وتعقد اجتماعاتهم في بيوت اليَهُوْد الإيطاليين.

وأن الّذي أوحى بفكرة تأسيس جَمعيَّة بيروت السرية هو رجل يسمى إلياس حبالين من بلدة ذوق مكايل، وكان أستاذا للغة الفرنسية يدرسها في الجامعة الأمريكيّة لطلاب صف فيهم اليازجي ويعقوب صروف وشاهين مكاريوس، وكان الأستاذ معجبا بالثَّورة الفرنسية).

وقد كانَ يشك أن مدحت باشا – زعيم الماسونية وكان يكنى بأبي الأحرار – وراء تشكيل الجَمعيَّة، فقد جاء في برقية أرسلها القنصل البريطاني في حزيران عام (١٨٨٠):

(ظهرت في بيروت منشورات تحض عَلى الثَّورة يشك في أن مدحت هو منشؤها) وكان مدحت آنذاك واليا عَلى الشّام.

ولكن حزم السُّلطَان عبد الحميد ومتابعته للجَمعيَّة ومنشوراتها جمد نشاطها، وكان أهمّ منشورات الجَمعيَّة هو المنشور الثّالث الّذي صدر في ٣١ ديسمبر ١٨٨٠ وحدد مطالبهم بأربع نقاط.

منح سوريا مع لبنان الاستقلال.

الاعتراف بالعربيَّة لغة رسمية.

رفع الرقابة عن حرية التّعليم.

عدم إرسال أبناء العَرَب للحرب مع الأتراك خارج بلادهم.

هِجرَة دعاة القوميّة إلى القاهرة:

نتيجة مكافحة السُّلطَان عبد الحميد للجمعيات السرية القوميّة، انتقل أولئك الدعاة الأوائل للقومية إلى القاهرة حيث يجثم كرومر المعتمد البريطاني، فهاجرت العائلات النّصرانية إلى القاهرة لتبث من هناك الأفكار العلمانيّة والدّعوة القوميّة، ولتنطلق منها لمحاربة تركيا، وكان من أبرز تلك الأسماء الّتي استقرت في القاهرة:

فارس نمر وصهره شاهين مكاريوس، صاحب جريدة المقطم اليومية، ومجلة المقتطف الشهرية وهما ماسونيان.

سليم تقلا الّذي أسس جريدة الأهرام اليومية الّتي مازالت إلى يومنا هٰذا.

جو رجي زيدان: صاحب دار الهلال وله مؤلفات كثيرة.

أديب اسحق (مدير صحيفة مصر) وسليم نقاش (مدير صحيفة التجارة)، وكان هذا ن النّصرانيان يعملان بإدارة جمال الدّين الأفغاني، وهو الّذي أسس هاتين الصحيفتين.

روز اليوسف، وقد جاءت من الشّام وكانت نصرانية، وتظاهرت بالإِسْلَام، وسمت نفسها فاطمة يوسف، ولكنها سمت صحيفتها باسمها القديم (روز اليوسف).

أحمد فارس الشدياق- ماروني اعتنق المذهب البروتستانتي عَلى يد البعثة الأمريكيّة، ثمّ جاء مصر وأصدر صحيفة (الجوائب) ثمّ أسلم عَلى يد (باي تونس).] أهـ[1].

[(جمال الدّين الأفغاني) و(محمّد عبده) و(عبد الرَّحمن الكواكبي):

ولا بُدَّ هنا أن أشير إلى ثلاثة من الدعاة ممن كانوا يتزيون بزي العُلَماء وهم مشهورون في العالم كله كدعاة إلى الوحدة الإِسْلَاميّة، وكانوا مع الوقت نفسه يهاجمون تركيا ويسعون إلى هدم صرح الخِلافَة، وهم:

الأفغاني: وكان يحتضن كثيرا من النّصَارى واليَهُوْد، وكان طبيبه الخاص اسمه هارون يهوديا، وقد حضر موته هو ونصراني آخر اسمه (جو رجي كنجي)، وكان ينزل في لندن ضيفا عَلى (مستر لنت) البريطاني صاحب كتاب (مستقبل الإِسْلَام)، وعندما حاول الخَليفَة منع الأفغاني من الخروج من تركيا توسط له السفير البريطاني وخرج، وكان الأفغاني رئيسا لمحفل الشّرق الماسوني.

أما محمّد عبده: فكان صديقا حميما لكرومر، وصرح بأن الشَّيْخ عبده سيبقى مفتيا لمصر مادامت بَرِيطَانيَا فيها، وكان ماسونيا، وكان من رواد صالون الأميرة نازلي فاضل، ومن تلاميذه: أحمد لطفي السيد العلماني الّذي أعلن كفره البواح في صحيفته (الجريدة) وسعد زغلول، وقاسم أمين (صاحب كتاب تحرير المرأة)، وهَؤُلَاءِ كانَ لهم أثر عميق في مجرى الأحداث في مصر.

---

(١) (الذخائر العظام: ج ١ / ٨٧٩ - ٨٨٢).

وعبد الرَّحْمٰن الكواكبي (١٨٤٩-١٩٠٣): وكان جل أصدقاؤه وتلاميذه من المُسلِمِين واليَهُوْد والنّصَارى، وكانت دروسه في مقهى (سبنلددبار)، نادى بمبايعة خليفة عربي في كتابه (أم القرى)، وله كتاب آخر اسمه (طبائع الاستبداد)، دعا إلى المساواة بين الأديان لتحقيق التمسك القومي:

(دعونا ندبر حياتنا الدُّنيَا ونجعل الأديان تحكم الأخرى فقط، دعونا تجتمع عَلى كلمة سواء، ألا وهي فلتحيا الأُمّة، فليحيا الوطن، فلنحيا طلقاء أعزاء)، (هذه الأمم أوروبّا وأمريكا قد هداها العلم لطرائق الاتحاد الوطني دون الدّيني، والوفاق الجنسي دون المذهبي، والارتباط السّياسيّ دون الإداري).

هَؤُلَاءِ الثّلاثة [1]كانت أفكارهم تمهيدا للعلمانية، فقد كانت آراؤهم قنطرة عبرت عليها العلمانيّة إلى الإِسْلَام كما يقول البرت حوراني.

وحطموا الحاجز النّفسيّ بين الكافرين والمُسلِمين، وأصبحت نفوس المُسلِمِين قابلة لتقبل الأفكار الواردة وعلى رأسها القوميّة، يقول البرت حوراني:

(ومن الحقّ أن الّذي يقرأ لمحمّد عبده في مناظراته مع رينان ومع فرح انطون يحس أنه كانَ يريد أن يقيم سدا في وجه الاتجاه العلماني يحمي المجتمع الإِسْلَاميّ من طوفانه، ولكن الّذي حدث هو أن هذا السد قد أصبح قنطرة للعلمانية عبرت عليه إلى العالم الإِسْلَاميّ لتحتل المواقع الواحد تلو الآخر).

ثمّ جاء تلاميذ محمّد عبده ليعمقوا هذا التّيار وليقودوا بعلمانتيهم.

فمثلا لطفي السيد: عمق الوطنيّة الإقليمية وتزعم الدّعوة إلى التّاريخ الفرعوني.

وجاء سعد زغلول: وسلمه كرومر وزارة المعارف لينادي بالاتجاه الوطني الإقليمي الفرعوني عَلى الصعيدين السّياسيّ والاجتماعي، ويقول كرومر بأني سلمته وزارة المعارف لأنه من تلاميذ الشَّيْخ عبده.

---

(١) الثّلاثة هم: عبد الرَّحْمٰن الكواكبي (السّوري)، والشَّيْخين جمال الدين (الأفغاني) وتلميذه محمد عبده (المصري)، ومن المؤسف أنّنا درسنا في كلّ مراحل التّعليم في بلادنا: أطفالا وشبابا، أنهم من رواد الإصلاح والتنوير، والتحرر، بل أَنّي أتذكر أن عبده والأفغاني كانا يعتبران من المدرسة الإصلاحية في مناهج الإخوان المُسلِمِين والحركة الإِسْلَاميّة، ويرد ذكرهم بالثناء والتزيين..فلا حول ولا قوة إلا بالله ! [المؤلف]

وجاء قاسم أمين: ليوضح العموميات ويفصل مجمل ما كانَ يدعو إليه الشَّيْخ عبده، وينادي بخلع الحجاب ونزع الحياء من حياة المرأة حتَّى أن الكتاب (تحرير المرأة) نال إعجاب الشَّيْخ عبده، وقد اطلع عَلى مسودته هو وتلميذه لطفي في جنيف سنة (١٨٩٧) كما ذكر لطفي السيد وقاسم أمين.

ولذا تعزى الفصول الفقهيّة في الكتاب إلى الشَّيْخ محمّد عبده – كما يظن – لأن قاسم أمين لا علم لهذه القضايا.

ويذكر في هذا المجال إسماعيل مظهر صاحب (مجلة العصور) وهو صهر لطفي السيد، وكذلك لا بُدَّ من الإشارة إلى إصبع من أصابع التخريب وهو عبد العزيز فهمي – صديق لطفي السيد الحميم، وصديقهم الثّالث طه حسين الّذي فصل من الجامعة بسبب كفره الصريح في كتابه (الشعر الجاهلي) فاستقال لطفي السيد من الوزارة (وكان وزيرا للمعارف) احتجاجا عَلى فصل طه حسين من الجامعة المصريَّة.

هذه المجموعة هيَ الّتي فرغت الشعب المصري من الإِسْلَام لتحل محلة أفكار جديدة من الفرعونية والعلمانيّة والوطنيّة اللادينية، وقد تكون الصداقة بين هَؤُلَاءِ وبين الشَّيْخ عبده إن هيَ إلا محاولة لتقريب هذه الفئة من الإِسْلَام، ولكنه لم يستطع بعد أن تساهل – من أجل جذبهم – في كثير من القواعد الشَّرعيَّة الّتي تحدد الولاية والعداوة والصداقة والمقاطعة، وأفتى بكثير من الفتاوى من أجل رفع الحواجز بينه وبين كرومر من جهة، وبينه وبين هذه الفئة من جهة أُخرى، مثل الفتوى الترنسفالية، وفتواه في المرآة والطلاق بالإضافة إلى تفسير كثيرا من الآيات الغيبية في القرآن تفسيرا يكاد يخرجها عن اللسان العربيّ ويلغي مضمونها بالكلية.

جاء في تقرير كرومر سنة (١٩٠٦) المقدم إلى الحكومة البريطانيَّة عن حزب محمّد عبده:

(... وهَؤُلَاءِ راغبون في ترقية مصالح مواطنيهم وإخوانهم في الدّين، ولكنهم غير متأثرين بدعوى الجامعة الإِسْلَاميّة، ويتضمن برنامجهم – إن كنت فهمته حق الفهم – التّعاون مع الأوربيين لا معارضتهم في إدخال الحضارة الغربيّة إلى بلادهم)

ويقول كرومر: **(أنّي أشك كثيرا أن صديقي محمّد عبده ما كانَ إلا إدريا Agnostic).**

ويقول صديقه بلنت – الإنجليزي –: (**أخشى أن أقول أن محمّد عبده – بالرغم من أنه المفتي الأعظم – ليس له من الثقة بالإِسْلَام أكثر مما لي من الثقة في الكاثوليكية**).

وأصدق كلمة في محمّد عبده وشيخه كلمة الشَّيْخ مصطفى صبري شيخ الإِسْلَام في الدّولة العُثْمَانِيّة: (**فلعل الشَّيْخ محمّد عبده وصديقه أو شيخه جمال الدّين أرادا أن يلعبا في الإِسْلَام دور لوثر وكلفن – زعيمي البروتستانت – في المسيحية فلم يتسن لهما الأمر بتأسيس دين حديث للمسلمين، وإنما اقتصر سعيهما عَلى مساعدة الإلحاد المقنع بالنهوض والتجديد**)، ويقول شيخ الإِسْلَام مصطفى صبري – كذلك –: (**أما النهضة الإصلاحية المنسوبة إلى محمّد عبده فخلاصتها أنه زعزع الأزهر من جموده عَلى الدّين، فقرب كثيرا من الأزهريين إلى اللادينين خطوات، ولم يقرب اللادينين إلى الدّين خطوة، وهو الّذي أدخل الماسونية في الأزهر بواسطة شيخه جمال الدّين الأفغاني، كما أنه هو الّذي شجع قاسم أمين عَلى ترويج السفور في مصر**). [1]

الشُّيُوعِيّة في العالم العربيّ خلال القرن العِشرين:

[لقد أشرف اليَهُوْد عَلى تنظيم وتكون الأحزاب الشُّيُوعِيّة في العالم العربيّ فهم قادتها ومخططوها.

يقول الشُّيُوعِيّ اليَهُوْدي الفرنسي (روبنسون):

(لم تتأسس أحزاب شيوعية ومنظمات متعاطفة إلا في الحلقات الأجنبيّة في البلدان العربيَّة في مصر وفلسطين، ولم تجد إلا القليل من الأتباع وكانت مقطوعة عن واقع تلك البلاد، وانتهت دون أن تثير اهتماما كبيرا).

---

(١) لاحظ التركيز الإنكليزي الأوربي علىٰ أمور رئيسيَّة، يتكرر التركيز عليها اليَوْم من قبل الاستعمار الأمريكيّ ؛ ومن أهمّ ذلك:

- تمييع مسألة الوَلَاء والبَرَاء وإزالة الحواجز النّفسية ووضوح الأحكام الشَّرعيَّة في الفرق بين المؤمن والكافر.
- الإصرار علىٰ إفساد المرأة كبوابة لإفساد الأسرة والمجتمع والأمة بأسرها. [المؤلف]

وفيما يلي نورد الأسماء اليَهُوْدية المؤسسة للشيوعية في البلدان العربيَّة:

الحزب الشُّيُوعِيّ في مصر:

بدأ التَّنظِيم سنة (١٩٢١) في الإسكندرية عَلى يد روسي يهودي اسمه (جوزيف روزنبرغ) تصحبه ابنته (شار لوت)، وفي سنة (١٩٢٧) أوفدت موسكو ثلاثة يهود لتشكيل التَّنظِيم ومتابعته.

ثمّ انتدبت روسيا اليَهُوْدي المصري (هنري كوريل) وأمدته بأموال طائلة أسس بها (بنك كوريل) في مصر، وشكل الحركة الدِّيمقراطيَّة للتحرر الوطني (حدتو).

ثمّ تشكلت (منظّمة الأسكرا) أي الشرارة وهو نفس اسم الجريدة الّتي كانَ يصدرها لينين في سويسرا قبل نجاح الثَّورة، شكل هذه المنظّمة اليَهُوْدي (ايلي شوارتز)، ثمّ غير اسمها فيما بعد إلى (نحشم): (نحو حزب الشُّيُوعِيّ مصري)، ثمّ انضمت إلى (حدتو).

(منظّمة الفجر الجَدِيد) أسَّسَها اليَهُوْديان يوسف درويش وريمون دويك، ثمّ أصبح اسمها (د.ش) الدِّيمقراطيَّة الشعبيَّة.

(المنظّمة الشُّيُوعِيّة المصريَّة) (م.ش.م): أسَّسَها اليَهُوْديان أوديت وزوجها لمون سدني.

(منظّمة تحرير الشعب): أسَّسَها (مارسيل إسرائيل).

الحزب الشُّيُوعِيّ في العراق:

أسسه اليَهُوْد وكان معظم أفراده في بداية الأمر من اليَهُوْد، وعلى رأس قادته ساسون دلال، ناجي شميل، وصديق يهوذا، ويوسف حز قيل، وكلهم من اليَهُوْد.

ويروي قدري قلعي في كتابه (تجربة عربي في الحزب الشُّيُوعِيّ) ص (٢١-٢٢) يروي الأستاذ بدر شاكر السياب – بالإضافة إلى ما رواه من فضائح أخلاقية لا نريد الوقوف عندها – كيف كانَ يعمل مع رفاقه الشُّيُوعِيّين العراقيين لنشر الشُّيُوعِيّة فيقول: (رحنا نضرب عَلى كلّ وتر تخرج نغمته موافقة لما نريد، بثثنا بين الطلاب الأكراد أن القوميين يكرهون الأكراد وقوميتهم بينما نعتبرهم نحن إخواننا، وأخذنا نسب القوميّة العربيَّة أمامهم، بل رحنا ننتقص من العَرَب، ونزعم أن التّاريخ العربيّ

ما هو إلا مجموعة من المذابح والمجازر، وزعماؤهم العظام ما هم إلا إقطاعيون جلادون إلى غير ذلك، ومررنا عَلى إخواننا اليَهُوْد دون حاجة إلى دعوة، واستغللنا بعض الرفيقات للتأثير عَلى بعض الطلبة.

الحزب الشُّيُوعِيّ السّوري اللبناني:

تأسس الحزب سنة (١٩٢٤) بعد الحزب الشُّيُوعِيّ الفلسطيني والمصري، وكان يرأسه في لبنان (جاكوب تاير) اليَهُوْدي الرُّوسي، وكان يساعده ثلاثة يهود هم: ميك، أوسكار، مولر.

ثمّ دخل بيروت يهود ثلاثة عن طريق حيفا وكلهم من الرُّوس، وهم عيون موسكو الثّلاثة جوزيف بيرجر، اليهوبيتر، نخبهان لتفينسكي.

وقد كانَ الحزب السّوري اللبناني تابعا للحزب الشُّيُوعِيّ اليَهُوْدي في فِلَسطِين، ثمّ تبع الحزب الشُّيُوعِيّ الفرنسي.

الحزب الشُّيُوعِيّ الفلسطيني والأردني:

لقد كانَ التَّفكير بفلسطين من القضايا الكبرى الّتي تشغل رؤوس قادة الثَّورة البلشفية، ومنذ الأيّام الأولى من الثَّورة: أصدر لينين في روسيا قرار ذا شقين بحق اليَهُوْد.

أولا: اعتبار العداء لليهود (للسامية) جريمة قانُونيّة.

ثانيا: تأييد إقامة وطن قومي لليهود في فِلَسطِين.

وقد صدر هذا القرار قبل صدور وعد بلفور – وزير خارجية بَرِيطَانيَا – في (٢) تشرين الثّاني سنة (١٩١٧م) بأقل من عشرين يوما.

ولذا اهتم شيوعيو روسيا بالتَّنظِيم الشُّيُوعِيّ في فِلَسطِين، فكان الّذي تأسس سنة (١٩١٩م) أول حزب في المنطقة، وقد شكله أولاًاليَهُوْدي الرُّوسي (روزشتاين)، وأوفدت موسكو قطبين يهوديين من أقطاب الحزب الشُّيُوعِيّ الرُّوسي للتنظيم في فِلَسطِين، وهما: جاك شابيليف، رادول كارن بورغ وكان جميع عناصر الحزب الشُّيُوعِيّ الفلسطيني في بداية الأمر يهودا روسيين.

ثمّ أرسلت موسكو (فلاديمير جابو تينسكي) فنشط نشاطا ملحوظا في فِلَسطِين، ثمّ انتدب (س. افربوخ) اليَهُوْدي – الملقب بأبي زيام – لتنظيم الحزب الشُّيُوعِيّ في البلاد العربيَّة، وكان الأخير صديقا للينين في سويسرا، وأبرز الشُّيُوعِيّين في الفلسطين، وقد تولى رئاسة الحزب الشُّيُوعِيّ في فِلَسطِين من (١٩٢٤-١٩٢٩م).

وكانت عضوية الحزب الشُّيُوعِيّ الفلسطيني أولا، قاصرة عَلى اليَهُوْد ودخله قلة من الفلسطينيين العَرَب، وقد كانوا غير موثوقين لدى الأكثرية الشُّيُوعِيّة وغير مؤتمنين عَلى أسرارهم، وفي سنة (١٩٣٧) تأسست أو حركة علنية للحزب الشُّيُوعِيّ الفلسطيني وراء ستار نقابة عمال في حيفا سكرتيرها إميل توما.

وفي النّاصرة نقابة عمال سكرتيرها إميل حبيبي، وفي يافا سكرتيرها فؤاد نصار.

سنة (١٩٣٩) أنشأ الشُّيُوعِيّون عصبة التحرر الوطني، وكان سكرتيرها اليَهُوْدي (بن فكي)، ومساعده توفيق طوبي، وكانت مطالب هذه العصبة جلاء بَرِيطَانيَا، ثمّ تشكيل حكومة مشتركة بين اليَهُوْد والعرب.

وفي حرب (١٩٤٨) تحول أعضاء عصبة التحرر إلى قادة عِصَابات مسلحة، يذبحون الشعب الفلسطيني فانسحب بعض الشَّبَاب المغرر بهم، في حين وقف الشُّيُوعِيّون المتحمسون يدفعون عن اليَهُوْد ويقفون بجانبهم، منهم المحامي إبراهيم بكر في النّاصرة، وفؤاد نصار في يافا، وغيرهم من قادة الشُّيُوعِيّون العَرَب في فِلَسطِين.

وبعد نكبة (١٩٤٨) صار الحزب الشُّيُوعِيّ الفلسطيني اليَهُوْدي يشرف عَلى بقية فِلَسطِين غير المحتلة، وكان في رئاسة الحزب إميل توما وتوفيق طوبي وإميل حبيبي، وهذا ن الأخيرين عضوان في الكنيست اليَوْم، وكانت الصلة بين الشُّيُوعِيّين في قسمي فِلَسطِين عن طريق (ضابط إسرائيلي وسكرتير صحفي من الشُّيُوعِيّين يعملان في لجنة الهدنة)، وكانت نشرات الحزب الشُّيُوعِيّ تذيل بعبارة في أسفلها بالعبرية: طبعت بمطابع الحزب الشُّيُوعِيّ الفلسطيني، أي (القسم المحتل).

وفي سنة (١٩٥٠) ضمت الضفة الغربيّة إلى الأردن وقد اعتقل طلعت حرب الشُّيُوعِيّ في رام الله وهو يوزع المنشورات الشُّيُوعِيّة الّتي أحضرها من إسرائيل، سنة (١٩٥١)، عثرت قوّات الأمن في عمان عَلى مطبعة للشيوعيين وهي مسجلة بأرقام وعبارات عبرية.

سنة (١٩٥٢) صدر الأمر من موسكو بفصل الحزب الشُّيُوعِيّ الأردني عن الحزب الشُّيُوعِيّ الفلسطيني، وكان فائق وراد لا زال في المنطقة المحتلة، فسمحت له القوّات الإسرائيلية بالخروج ليصبح قائدا من قادة الحركة الشُّيُوعِيّة، ولتقدمه منطقة رام الله سنة (١٩٥٦) نائبا عنها في مجلس النواب الأردني، ويومها قدمت القُدس يعقوب زيادين – الشُّيُوعِيّ النّصراني – نائبا عنها.

وفي سنة (١٩٥٧) حلّ الحزب الشُّيُوعِيّ الأردني واعتقل قادته وأودعوا معتقل الجفر، وألقى فؤاد نصار سكرتير الحزب الشُّيُوعِيّ الأردني عدّة محاضرات أولها (الشُّيُوعِيّة وإسرائيل) جاء فيها (أنّنا نعلم ويعلم الجميع بأن إسرائيل أمر واقع ودولة لها كيانها السّياسيّ والإقتصادي والعسكريّ، وإن اليَهُوْد شعب كباقي الشّعوب له حق الحياة، وأنا أعترف باليَهُوْد كدولة لأن الشّمس لا تغطي بغربال).

وعندما مات فؤاد نصار في عمان سنة (١٩٧٧): أقام الحزب الشُّيُوعِيّ الإسرائيلي (راكاح) له حفلا تأبينيا في النّاصرة تلك فيه زعيم الحزب (ماير ملنر)، وكذلك توفيق طوبي وإميل توما، وتوفيق زياد صاحب فكرة (يوم الأرض) – ٣٠ آذار –، وتوفيق هذه عضو في الكنيست الإسرائيلي وكان يجمع التبرعات سنة (١٩٧٨) بالعلم الإسرائيلي من أمريكا.

ولا زالت البرقيات تتبادل بين الحزب الشُّيُوعِيّ الأردني الإسرائيلي، منها ما جاء بالنشرة الشُّيُوعِيّة الأردنية في نيسان سنة (١٩٧٧) ما يلي: (كما قدر المجلس عاليا المواقف المبدئية والثَّابِتة ي القوى التقدمية في إسرائيل نفسها وفي مقدمتها الحزب الشُّيُوعِيّ (راكاح).

وقد كانَ محمود درويش وسميح القاسم الشاعران الفلسطينيان الشُّيُوعِيّان – الممثلان للأرض المحتلة – يحملان علم إسرائيل في مؤتمر صوفيا الدّولي.

يقول الأستاذ سعد جمعة: (وقد ثبت بما يقطع كلّ شبهة قيام تنظيم موحد، وترابط عقائدي، وتخطيط، وتكامل في التخطيط والهدف بين كلّ من الحزب الشُّيُوعِيّ الإسرائيلي والأحزاب الشُّيُوعِيّة

العربيَّة، ومن عانى متاعب الحكم في الأردن، يعرف أن الكثير من المنشورات الشُّيُوعِيّة العربيَّة كانت تأتينا عبر الحدود من إسرائيل، وإن كثيرا من قادة الحزب الشُّيُوعِيّ الأردني قذفوا علينا من إسرائيل بعد أن تتلمذوا وتدربوا عَلى أيدي دهاقنة الحزب الصّهيونيّ المضللين).] أهـ[1].

الشُّيُوعِيّون العَرَب وقضية فِلَسطِين:

رأينا فيما سبق أن التَّنظِيمات الشُّيُوعِيّة في العالم العربيّ، كلها أشرف عليه اليَهُوْد وسهروا عليها، وأما قادة الشُّيُوعِيّين الّذين ينتسبون إلى العروبة فقد تربوا عَلى أيدي دهاقين اليَهُوْد بعد أَنّي غيروا عقولهم فأصبحت يهودية، وقد كانَ اليَهُوْد يعلقون آمالا كبيرة عَلى هَؤُلَاءِ التلاميذ وعلى التقدم الإشتراكية في المنطقة.

وفي سنة (١٩٤٨) كانَ الشُّيُوعِيّون العَرَب – من أبناء فِلَسطِين – يكتبون إلى موسكو: (إن جعل فِلَسطِين وطنا قوميا لليهود هو الطّريق الوحيد والوسيلة الناجحة لبلشفة العالم العربيّ).

وعندما كانَ قرار التقسيم، وبعد أن أعلنت روسيا عن تأييدها الصارخ للقرار، عاد الشُّيُوعِيّون العَرَب يؤيدون التقسيم، فقد أعلن السكرتير العام للشيوعيون العَرَب – خالد بكداش – قائلا: (الحُكُومَات الرجعية العربيَّة هيَ المسؤولة، لقد عارضت الإتحاد السُّوفيتيّ الصّديق حتَّى اللحظة الأخيرة ولم تخطب وده، صحح أن اليَهُوْد ليسوا أمة لكنهم شعب له حق الحياة).

ولقد كشف رفيق رضا (عضو قيادة الحزب الشُّيُوعِيّ اللبناني السّوري) الّذي انشق عَلى خالد بكداش وكان مساعدا له، فيقول: (كانت قيادة الحزب الشُّيُوعِيّ بمثل حماس ابن غوريون عَلى بعث الدّولة ليهودية في فِلَسطِين، فإسرائيل في نظرها واحة من واحات الدِّيمقراطيَّة في الشّرق الأدنى، والشعب الإسرائيلي المشرد لا بُدَّ وأن يلتقي في أرض الميعاد، وإن واجب التضامن الأممي في عرف القيادة المذكورة هو من صلب المبادئ الماركسية ولذا فوجود إسرائيل له في عرفها مبرراته الإنسانية الّتي تتخطى المبررات والوقائع القوميّة).

---

(١) (الذخائر: ٩٧٤- ٩٧٦).

ولقد عرف النّاس جميعا موقف الشُّيُوعِيّة المخزي تجاه إخوانهم من أبناء جلدتهم، فقد رموا العَرَب المشردين – الّذين يدافعون عن كيانهم وعن حياتهم ودينهم وأعراضهم – عن قوس واحدة، وهاجموهم واعتبرهم معتدين، وكانوا يصفون اليَهُوْد بأنهم مظلومين، وقد كانوا يعتبرون الدّفاع عن فِلَسطِين رجعية دينية ومؤامرة ضدّ اليَهُوْد.

ففي العراق قَالَ الشُّيُوعِيّون: (إن الشعب العراقي يرفض بإباء أن يحارب الشعب الإسرائيلي الشقيق).

وقال سكرتير الحزب في العراق (يوسف سلمان الملقب بفهد): (مرحبا بإنشاء دولتين عربيَّة ويهودية في فِلَسطِين واشترط لهما الإشتراكية والتَّحالف ضدّ الرجعية الدّينيّة العربيَّة).

وكتبت المنظّمة الشُّيُوعِيّة المصريَّة في (١٥) مايو سنة (١٩٤٨) تحت عنوان: (غزت جُيُوش البلاد العربيَّة فِلَسطِين): (وهذه الحَرب حرب رجعية تخدم البرجوازية العربيَّة وتكبت البروليتاريا الصاعدة (اليَهُوْد) الثّوريّة في فِلَسطِين).

وبعد قيام إسرائيل أخذ الشُّيُوعِيّون ينادون بالصُّلح معها، فقد كانَ الشُّيُوعِيّون يوزعون باستمرار مقالات (صموئيل ميكونيس) سكرتير الحزب الشُّيُوعِيّ الإسرائيلي الّتي كانَ ينشرها في جريدة (الكومنفورم) تحت عنوان (في سبيل سلم دائم).

وألقى فؤاد نصار (سكرتير الحزب الشُّيُوعِيّ الأردني سنة (١٩٥٧) محاضرة في الجفر قَالَ فيها: (أنّنا نعلم ويعلم الجميع بأن إسرائيل أمر واقع ودولة لها كيانها السّياسيّ والإقتصادي والعسكريّ، وإن اليَهُوْد شعب كباقي الشّعوب له حق الحياة، وأنا أعترف باليَهُوْد كدولة لأن الشّمس لا تغطي بغربال)

وبعد قيام الثَّورة الفلسطينية واشتداد عودها اندس الشُّيُوعِيّون في أوساطها وصاروا ينادون بمقالتهم (التفريق بين اليَهُوْدي والصّهيونيّ) وذلك لتمييع القضية الفلسطينية.

قالوا: نحن لا نقاتل اليَهُوْد الشرفاء إنما نقاتل الصّهيونيّة.

ولا ندري كيف نفرق في الميدان العام بين يهودي شريف؟! عَلى حد زعمهم وبين صهيوني، بينما يرى قادة المنظمات الصّهيونيّة أن كلّ صهيوني يهودي، بل صهيون يطلق عَلى الجزء الجنوبي من القُدس (جبل اليبوسيين)، ثمّ أصبح اليَهُوْد يطلقونه عَلى القُدس ويسمونها (ابنة صهيون) وفي التوراة (ترنمي يا ابنة صهيون، إهتفي يا ابنة أورشليم).

يقول هرتزل: (الصّهيونيّة هيَ العودة إلى حظيرة اليَهُوْدية قبل أن تصبح العودة إلى أرض الميعاد).

ويقول بن غوريون: (أنا يهودي أولاً وإسرائيلي بعد ذلك، لاعتقادي بأن دولة إسرائيل أوجدت لأجل الشعب اليَهُوْدي بأسره ونيابة عنه).

وأخذ قادة الثَّورة الفلسطينية ومنظماتها يثقفون الشَّبَاب الثّقافة الثّوريّة !! ثقافية ماو وجيفارا، وثورية لينين وستالين، وآراء ماركس وحياة كاسترو، لقنوا الشَّبَاب عشرين اصطلاحا يلفون ويدورون حولها، إمبريالية، برجوازية، ديماغوجية، بروليتاريا.

وظن الشَّبَاب أنهم قد ملكوا شيئا جديدا استبدلوه بدين الله – عَزَّ وَجَلَّ – واشتروا بآيات الله ثمنا قليلا وبالمقدّسات.

وأعلنوا الحَرب ضدّ الرجعية (دين الإِسْلَام)، إلى صِرَاع داخلي نقل إلى كلّ بيت بين الأخ وأخيه وبين الابن وأبيه، وبين الفتاة وأمها.

وصار مسؤلوا منظّمة الأنصار (الشُّيُوعِيّة) – الّتي ماسمعنا بها إلا من خلال الأوراق – يحضرون في مجمع النقابات سنة (١٩٦٩– ١٩٧٠) ويقولون: أعداؤنا (الإمبريالية الصّهيونيّة وليس اليَهُوْد الشرفاء!!).

واحتفلت الفئات الثّوريّة في أمانة العاصمة في عمان في (١٠) نيسان (١٩٧٠) أسبوعا كاملا بعيد ميلاد لينين المئوي، وما بقي مفرق طريق، ولا باب، ولا بقالة، ولا حانوت، إلا وألصقت عليه صور لينين العظيم !! – غارس دولة الإلحاد في الأرض –.

أما في قواعدهم فقد رأيناهم عن كثب، وأسماؤهم الحَركيّة أبو جهل، أبو لهب، وماو، وجيفارا، وهوشي منه.

أما سر الليل عندهم: فهو شتم الدّين الرب، وأما طعامهم: فقد كانوا يصطادون الكلاب ببنادقهم ثمّ يأكلونها، لأنه لا فرق عندهم بين الكلب والخروف، إذ دعوى التفريق خرافة رجعية جاء بها أحد الأعراب في الصَّحرَاء اسمه (محمّد ﷺ).

ولقد رأيناهم عندما كانَ الشَّبَاب المسلم المُجَاهد الّذي يحمل السّلاح، يرفع الأذان في التَّجَمُّعات الفدائية، كانَ أبناء لينين وماوتسي تونغ يصفقون ويلعنون ويرفعون أصواتهم قائلين:" **إن تسل عني فهذي قيمي أنا ماركسي لينيني أممي !"**

وصدق الله العظيم: ﴿وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ ٱتَّخَذُوهَا هُزُوًا وَلَعِبًا ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ ۝٥٨﴾ [المائدة]

ولا يزال الشَّبَاب المسلم المُجَاهد الّذي يرزح تحت الأغلال في سجون إسرائيل – عندما يقوم الصّلاة – يعاني من الضجة الّتي يفتعلها الّذين يعملون لحساب جورج حبش ونايف حواتمة، وكم حصلت خلافات وصدامات بسبب تعرض أحد الشَّبَاب المسلم لماو أو لجيفارا أو للينين أو لماركس.

وبعد انتهاء العمل الثّوريّ في الأردن، رأينا بعض قادة اليساريين مثل جورج حبش يظهر مرّة أُخرى في (اليمن الجنوبية الدِّيمقراطيَّة) – أرض عاد – ينظم جامعات ومعاهد ولماو وماركس ولينين.

وعجبت كيف يتعاون الإنجليز مع دعاة القوميّة العربيَّة الشُّيُوعِيّين، لولا أنها جبهة واحدة سخرت لمحاربة الإِسْلَام وأهله.

(الصليب الإنجليزي يمكن للشيوعيين في اليمن ليرفع منجلهم و(شاكوشتهم) وتنظم طلائع القوميّة العربيَّة ممثلة بشخص جورج – اسمه ليس عربيا –) وذلك لترويع الشعب اليمني المسلم بفطرته، ولإرسال العبوات النّاسفة إلى اليمن الشمالية لهدم المنشآت وقتل الأطفال والبنات.

وأدركت عندها أبعاد المؤامرة العَالَمِيّة ضدّ الإِسْلَام وأهله، أما القيم والأخلاق فليس لها أي اعتبار عند الثّوريّين الاشتراكيين، فكم من الرفيقات !! قد غرر بهن باسم فِلَسطِين وكنت تدخل قواعدهم – خاصّة – في مكاتب المدن كعمان، فتجد ذوات البنطال الضيق اللواتي ينمن عَلَى أنغام الموسيقى ويستيقظن عَلَى أوتار العود بين مجموعات الخنافس والهيبيين!!

وفي مظاهرة في الجامعة الأردنية سنة (١٩٧٩) كانت أصوات هَؤُلَاءِ ترتفع فتقول:

(مطالبنا شرعيّة خبز وحرية والشاب بجنب الصبية).

وقد رأيت أحد الشَّبَاب اقترب منهم وقد بدأت بعض النعرات الإقليمية تظهر، فقال هذا الشاب الطّيب لهم: أيها الإخوة أخاطبكم باسم الإِسْلَام، فقام له أحد المغرر بهم من الرفقاء الاشتراكيين الثّوريّين: (مطالبنا عَلى الكشوف رجعية ما بدنا يشوف) أي: لا نريد أن نرى الإِسْلَام]أهـ.[١]

****

(١) (الذخائر العظام: ٩٨٤- ٩٨٦)

هزائم العَرَب والمُسلِمين وتفككهم ومسيرهم نحو قعر الهاوية خلال النصف الثّاني من القرن العشري:

وهكذا شهد النصف الثّاني من القرن العِشرين استقلال الدّول العربيَّة والإِسْلَاميّة، وكان استقلالا شكليا مبرمجا لم يكن في حقيقته أكثر من عمليَّة تحول في أسلوب المحتلين المُستَعمرين إلى ما عرف باسم الإستعمار الحديث، حيث فتت الإستعمار العالم العربيّ إلى نحو ٢٢ دولة، وفتت العالم الإِسْلَاميّ إلى ما بلغ بمجموعه أكثر من ٥٥ دولة، وقد تسلط عَلى حكم تلك البلاد بترتيب دقيق ومباشر من الإستعمار، نماذج متعددة من أنظمة الحكم، فكان منها الأسر الو راثية المالكة، ولاسيما في مناطق الثّروات الطبيعيّة الكبيرة الهامة ولاسيما مناطق النّفط، وكان منها الأنظمة الديكتاتورية العسكريّة القمعية، ولاسيما في مناطق الحركة والنَّشَاط والوعي والثّقافة، كما في بلاد العراق والشّام ومصر، وكان منها أنظمة ديكتاتورية تسترت بالنّظام الليبرالي الغربيّ، وغير ذلك.

ولكن كلّ تلك الأنظمة ساست شعوبها بالقمع والظُّلم والقهر، ومارست عليهم سياسات الإفقار والتجهيل، والسير بهم نحو دروب الفسوق ونشر الفواحش، والتيه والضلال.

كما حكمت كلّ تلك الأنظمة بلا استثناء – بالقوانين الوضعِيَّة المستوردة من بلاد الغرب المُستَعمر كلا أو جزءا.

وخلال تلك الأعوام انحط العالم الإِسْلَاميّ إلى أسفل قائمة الدّول المتخلفة الّتي تعاني من كم هائل ومتنوع من الأزَمَات، وبسبب ذلك، وبسبب ما أوجد الغرب في تلك البلاد من التّيارات الفكريّة والسّياسيّة المتعددة المشارب والأهواء بين فلسفات الشّرق الشُّيُوعِيّ الاشتراكي الملحد، وهرطقات الغرب الإباحي الليبرالي المتهتك، قام صِرَاع مرير عَلى السّلطة في كثير من تلك البلاد، وتمكنت كتل سياسيّة مناوئة للأنظمة الحاكمة من الوصول للحكم، وقدمت نماذج مغايرة عنها لم تكن أقل منها كفرا وظلما وتيها وانحلالا، واستمر مسلسل الضياع والأزَمَات.

كما دخلت كثير من الأنظمة المصطنعة حُرُوبا إقليمية فيما بينها، ولم يحل الدّين الواحد، ولا حتَّى روابط القوميّة بين الحكّام وبين قيام تلك الحُرُوب، فحرب بين إيران والعراق، وبين العراق

والكويت، وبين اليمن والسّعُودِيّة، وبين السّعُودِيّة ومصر، وحُرُوب بين ليبيا وتشاد وبين الجَزَائِر والمغرب، وبين سوريا والأردن وبين سوريا وقوى متعددة في لبنان، ونزاعات حدودية بين إمارات الخليج، بين السّعُودِيّة وقطر، وبين قطر والبحرين، وقتال ضار بين النّظام الأردني والفلسطينيين، وبين النّظام السّوري والفلسطينيين، وبين القوى اللبنانية المختلفة والفلسطينيين، وتهديدات كادت تشعل الحَرب بين سوريا وتركيا، وبين سوريا والعراق، وبين السُّودَان واريتريا، وبينها وبين تشاد، إلى آخر تلك الصِّرَاعات والحُرُوب الّتي أهلكت مئات آلاف الأرواح وأفقرت البلاد والعِبَاد ولم يكن منها صِرَاع واحد يمكن اعتباره عَلى حق وبَاطِل، أو أن فيه رائحة من دواعي القِتَال الشَّرعيّ، وإنما قتال عَلى نزوات الملوك والحكام، لتكون العزة لفلان أو لعلان، من الجرابيع الحاكمة في بلاد المُسلِمِين.

وفي ظل هذه الأوضاع طمع الأَعدَاء فينا، فاحتل اليَهُوْد ثلثي فِلَسطِين سنة ١٩٤٨، بخيانة قيادات الجُيُوش العربيَّة السبعة، ثمّ احتل سنة ١٩٦٧ ما تبقى من فِلَسطِين والقُدس الشرقية والمسجد الأقصى المبارك، بالإضافة إلى أراض من سوريا ومصر ولبنان والأردن تزيد مساحتها عَلى ٥ أضعاف مساحة فِلَسطِين، كلّ ذلك بسبب خيانة الأنظمة في كلّ من سوريا البعث والنصيرية، ومصر عبد النّاصر والقومية العربيَّة، ونظام الماسوني العريق الملك حسين في الأردن، وفي سنة ١٩٧٣ حول النّظام النصيري في سوريا، ونظام الخَائِن أنور السادات النّصر العربيّ اليتيم الوحيد ضدّ اليَهُوْد إلى هزيمة عسكريّة ثمّ سياسيّة، في حرب رمضان الشهيرة بعد عبور القوَّات المصريَّة التّاريخي لقناة السويس تحت صيحات اللهُ أكبَر، والزَّحف الرائع للقوَّات السوريّة الّتي وصلت بحيرة طبريا وأنزلت قوّاتها في مرتفعات الجولان.

ومنذ الاتفاقات الخيانية للرئيس السادات سنة ١٩٨٠م، ثمّ اتفاقيات فصل القوَّات بين سوريا الأسد النصيري وإسرائيل، ثمّ ما تلا ذلا من الخيانات الّتي تولى كبرها ياسر عرفات ومنظّمة التحرير الفلسطينية ثمّ ما سمي بالسلطة الوطنيّة الفلسطينية، خسر العَرَب كلّ شيء بما فيها أرضهم ومقدّساتهم بل وكرامتهم، أما م إسرائيل المدعومة من أمريكا وأوربّا، وأما في العالم الإِسْلَاميّ فقد قضمت قوى الكفر المختلفة كثيرا من بقاعه واحتلتها، فاحتلت الهند كشمير، واحتفظت روسيا

القفقاس والجمهوريّات وسط آسيا، وفقد المُسلِمُون استقلالهم وأكثر بلادهم في دول أوربّا الشرقية، وكذلك في العديد من الدّول الأفريقية وجنوب شرق آسيا.

وأما منذُ ١٩٩٠م، ومنذ تسلمت أمريكا راية العدوان وتحكمت في العالم واتخذت من الشّرق الأوسط (الكبير) وهم معظم العالم العربيّ والإِسْلَاميّ مجالا لغزواتها وطموحاتها الإمبراطورية ونهبها الاستعماريّ، فقد وصل العالم العربيّ والإِسْلَاميّ إلى قعر الانحلال والتفكك والهزائم وكان فاتحة ذلك، احتلال أفغانستان ودخول القوّات الأمريكيّة اليَهُوْدية الصّليبيّة المشتركة عاصمة الرَّشِيد (بغداد) في ابريل ٢٠٠٣.

وبالاختصار، فقد سجلت العقود السبعة الأخيرة تاريخا أسودا محزنا للعرب والمُسلِمين امتلأت فيه الأرض بين جور الحكّام وعدوان المُستَعمرين جورا وظلما وبلاءا وظلمات وهزائم وبلاءات لا يعلم مداها إلا الله.

جُذُور البلاء وأسباب الهزيمة:

قَالَ الشَّيْخ عبدالله عزام طيب الله ثراه:

لقد لخص ربّ العزة ﷻ أسباب الهزيمة في سطر واحد.

فقال تَعَالَى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحَآدُّونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ فِى ٱلْأَذَلِّينَ ۝٢٠﴾ [المجادلة: ٢٠]

وقال تَعَالَى: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ ۝٣٠﴾ [الشورى: ٣٠]

وقال تَعَالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تُطِيعُواْ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَرُدُّوكُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ فَتَنقَلِبُواْ خَٰسِرِينَ ۝١٤٩﴾ [آل عمران: ١٤٩]

وقال تَعَالَى: ﴿وَلَا تَرْكَنُوٓاْ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنْ أَوْلِيَآءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ۝١١٣﴾ [هود: ١١٣]

وفي الحديث الصَّحِيح الَّذي رواه أحمد:

« بُعِثْتُ بَيْنَ يَدَي السَّاعَةِ بِالسَّيْفِ حَتَّى يُعْبَدَ اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَجُعِلَ رِزْقِي تَحْتَ ظِلِّ رُمْحِي، وَجُعِلَ الذِّلَّةُ وَالصَّغَارُ عَلَى مَنْ خَالَفَ أَمْرِي، وَمَنْ تَشَبَّهَ بِقَوْمٍ فَهُوَ مِنْهُمْ»(١).

إذن فخلاصة أسباب الهزيمة:

- عصينا الله فهزمنا.
- نسينا الله فنسينا.
- تحدينا الله فأذلنا.

وأضاف رحمه الله:

وأنا أسوق لك بعض أخبار العالم العربيّ خلال الستينيات والسَّبعينيَّات للإثبات:

(١) رواه أحمد (٥١١٤، ٥١١٥، ٥٦٦٧) وضعّفه الأرنؤوط، وصحّحه شاكر، والألبانيّ صحيح الجامع-(٢٨٣١) ولأطراف الحديث شواهد في البخاريّ.

اختطف الجيش السّوري، مدير مخابرات إربد (شمال غرب الأردن)، فبادره مدير استخبارات درعا (جنوب غرب سوريا) بشتم آل البيت، فقيل له ألا تستثني الرَّسُول الكريم: فأجاب هو عَلى رأس القائمة.

قَالَ أحد (الملاعين) قادة المنظمات الفلسطينية في الأردن، قبل فتنة أيلول الأسود: (لو امتدت إلينا يد الله لقطعناها) تَعَالَى الله عما يشركون.

عرضت في مصر سنة ١٩٦٧ مسرحيَّة اسمها (أصل الحكاية) ألفها (بكر الشرقاوي)، وكان بطلها (الله سبحانه) وتقول المسرحيَّة أن الإنسان خلق قبل الله، تَعَالَى الله عما يلحد الجاحدون.

الدبابات المصريَّة الّتي دخلت سيناء في حرب ١٩٦٧ كانَ مكتوبا عليها (ناصرنا ناصر) ! أي الّذي سينصرنا هو (جمال عبد النّاصر) ! بينما كتب اليَهُوْد عَلى دباباتهم نصوصا من التوراة.

بتاريخ (٢٤/ ١/ ١٩٦٥) دخلت الدبابات لأول مرّة في تاريخ دمشق مسجد بني أمية بالمصلين فاستشهد منهم مائتان وأغلق الجامع أيّاما لإزالة ما علق بستائره ومحرابه من دماء المُسلِمِين.

وفي ذلك اليَوْم قَالَ مذيع دمشق (أنّنا لن نسمح لمن كانوا يعيشون في هذه البلاد قبل ألف وأربعمائة سنة أن يفرضوا علينا أنظمتهم القديمة وأن يضعوا لنا أسس حياة نعيشها في هذه العصر).

في مدينة جنين / الضفة الغربيّة/ فِلَسطِين قامت مظاهرة خرجت من مدرسة جنين الثانوية وهجموا عَلى دار الإخوان وأخرجوا المصاحف والتفاسير ومزقوها وداسوها بالأقدام عَلى طول الشارع العام وذلك في شهر نيسان سنة (١٩٦٧) قبل الهجوم بشهرين.

عندما أعدم جمال عبد النّاصر المفكر الإِسْلَاميّ سيد قطب رحمه الله وزع أهل مدينة نابلس / فِلَسطِين الكنافة احتفاء بهذا النّصر.

قالت لي إحدى المثقفات وهي تناقشني: عمر بن الخطاب لم يعمل مثل عبد النّاصر فغضب زوجها وقال: والله إن محمّدا لم يعمل مثل عبد النّاصر.

كانت كلمة (سر الليل) في بعض قواعد الجبهة الدِّيمقراطيَّة في الأردن سنة (١٩٦٩) ؛ سب الرب، وشتم الدّين، وعلى سبيل المثال قاعدة (حرثا).

في تجمع للفدائيين في قرية (الرام/ إربد/ الأردن) سنة (١٩٦٩) عندما كانَ الشَّبَاب المسلم (الإخوان المُسلِمُون) يؤذنون للصلاة يصطف مقابلهم الجبهة الشعبيَّة الدِّيمقراطيَّة / نايف حواتمة والجبهة الشعبيَّة / جورج حبش ينشدون:

إن تسل عني فهذي قيمي أنا ماركسي لينيني أممي

وقد رأيت هذا بنفسي.

١) (ليلي خالد) تسمَّى مجموعتها مجموعة (جيفارا) وتعلن في صحيفة لبنانية أنها (ماركسية) وأنها أكبر من أن تؤمن بالله لأنها سخافة.

٢) أعلنت (فدوى طوقان) في صحيفة إسرائيلية أنها تنكر وجود الله: فتقول لها الكاتبة الإسرائيلية (لهذا بنينا وهدمتم... وغلبنا وانهزمتم)

٣) يقول سعد جمعة: (في يدنا وثائق تثبت أن المخابرات الأمريكيّة والبريطانيَّة كانت وراء إنقلاب البعث في العراق في (١٧) أيلول سنة (١٩٦٨) وكان همزة الوصل مع المخابرات الأجنبيّة هو العميل الشهور (لطفي العبيدي) وكان العبيدي عَلَى اتصال مستمر بعدد من البعثيين وفي طليعتهم أحمد حسن البكر).

٤) يقول هيكل في عدد الأهرام (١٥/ ١/ ١٩٧١): وهو يستعير لسان الأديب الفرنسي مالرو: (لدي تصوُّر عن انتشار الإِسْلَام في مصر بسرعة، وإن مصر دائما تبحث عن فرعون يمثل سمو روحها... إن الإِسْلَام لم ينتشر بسرعة بعد الفتح العربيّ، لكنه انتشر بسرعة بعد الخِلافَة حين أصبح الخَليفَة – بالسلطان الزَّمنية والروحية في يده – فرعونا يلبس بدل التاج عمامة)

٥) كتبت جريدة البعث العراقي – في أول مرّة استلم فيها البعث لعراق عن ميشيل عفلق (الله العائد) وقال شاعرهم:

ياسيدي ومعبدي وإلهي حسبي ألم فتاتكم حسبي.

٦) قَالَ إبراهيم خلاص في مجلة (جيش الشعب السوريّة) في (٢٥/ ٤/ ١٩٦٧) (قبل الهزيمة بشهر واحد):

(والطريق الوحيد لتشييد حضارة العَرَب وبناء المجتمع العربيّ هيَ خلق الإنسان الاشتراكي العربيّ الجَدِيد الّذي يؤمن: أن الله والأديان والإقطاع ورأس المال الإستعمار والمتخمين وكل والقيم الّتي سادت المجتمع السابق ليست إلا دمي محنطة في متاحف التّاريخ).

٧) كتبت عناصر الوحدات والسَرايا والحزبيون – التَّابعون للسلطة في سوريا – لافتات تقول مايلي: (يسقط الله) (الأسد ربنا) (لا إله إلا الوطن ولا رسول إلا البعث)

كانَ هذا في رجب سنة (١٤٠٠هـ) الموافق أيار سنة (١٩٨٠م).

وأظن أن هذا النقل من هذا الغثاء يكفي.

وأنقلك إلى صفحة أُخرى عن أعدائنا – ليهود –.

١- تقول ابنة دايان في كتابها (جندي من إسرائيل): لقد كانت فرائصنا ترتعد عندما سمعنا أن العدوّ عَلى الجبهة الجنوبية ولكن عندما جاء الحاخام وصلى بنا تبدل الخوف أمنا.

(**وتقول**: إن مراسيم الطقوس • في التوراة – أن يقدم للجنود يوم السبت معلبات، وعندما أحضروا لنا طعاما طازجا مطهيا قبل المَعْرَكة – يوم السبت – (٣/ ٦/ ١٩٦٧) رفض الجنود الأكل فأفتى لهم الحاخام الأكبر جواز هذا أثناء الإستنفار).

٢- تقول جولدا مائير (إن أساس قوتنا الوحيد هو ارتباط كلّ يهودي في الدُّنيَا بنا ارتباط العَقِيْدَة)

٣- حضر ابن غوريون وزلمان شازار تشييع جنازة تشرشل وكان اليَوْم – السبت – فسارا عَلى أقدامهما حوالي ٦ كم لأن ركوب السيارة ممنوع عندهم يوم السبت، مع أنهما قد بلغا من العمر عتبا.

٤- كتب ابن غوريون إلى ديجول – رئيس وزراء فرنسا – سنة (١٩٦٧) يقول: (إن سر بقائنا بعد التدمير البابلي والرُّوماني وحقد المسيحيين الّذين أحاطوا بنا ألف عام يكمن في صلاتنا الروحية بالكتاب المقدّس، وعندما جاءت اللجنة الملكية البريطانيَّة في آخر سنة (١٩٢٦) لتدرس مستقبل الانتداب قلت لها: الانتداب الخاص بنا هو التوراة، لقد استخرجنا منه قوتنا لنقاوم عالما عاديا ولنستمر في الإيمان بعودتنا إلى بلادنا).

٥- وفي الصفحات الأخيرة من مذكرات وايزمن – وهو ما يعتبر توصية عامة لإسرائيل – هدفنا هو بناء حضارة تقوم عَلى المثل الصارمة للآداب اليَهُوْدية عن تلك المثل يجب أن لا نحيد، فإذا استهدف اليَهُوْد في نشاطهم قيما حقيقية، عندما يطل الله بعطف عَلى أبنائه الّذين عادوا بعد تيه طويل إلى بيتهم ليخدموه وعلى شفاههم مزمور، محيين بلادهم القديمة وجاعليها مركز حضارة إنسانية).

٦- عندما دخل دايان القُدس سنة (١٩٦٧) قَالَ: يا لثارات خيبر، وقال الجنود الإسرائيليون وأنا سمعت أصواتهم مسجلة من الإذاعة الإسرائيلية: محمّد مات، محمّد مات، وخلف بنات.

٧- لقد رفض الحاخام أن يكتب عقد قران (ابنة ابن غوريون) رئيس وزراء إسرائيل لأن أمها ليست يهودية، والتوراة تعتبر النسب للأم.

٨- يقول بيغن أثناء لقاء مع السادات حول الضفة الغربيّة: (أنا رجل مؤمن بالتوراة، رباني الأب الروحي جابوتنسكي – كما ربى حسن البنا عندكم سيد قطب، وأنا أعتبر الانسحاب من الضفة الغربيّة مخالفة للتوراة ولمبادئي الروحية)

حدثني هذا الإخوة عن إخواننا في المنطقة المحتلة سنة (١٩٤٨) الّذين قاموا بترجمتها من العبرية.

قَالَ ابن غوريون عندما دخل القُدس سنة (١٩٦٧) (هذا أعز يوم علي منذُ دخولي أرض الميعاد)

بعد احتلال القُدس (١٩٦٧) جاء ليفي اشكول يحمل ورقة صغيرة كتب فيها أمانيه ووضعها في شق من شقوق حائط المبكى (حائط البراق للمسلمين) كما تفعل العجائز عندنا.

١١- في مقابلة إذاعية مع جندي إسرائيلي في جبهة السويس صيف سنة (١٩٦٩) يقول المذيع له: أنت شاب في العِشرين من عمرك وقد قدمت إلى إسرائيل بعد حرب الأيّام الستة من كاليفورنيا فما الّذي حفزك ؟ قَالَ الشاب: لقد حفزني ديني ودفعني إيماني للمجيء إلى الأرض المقدّسة لأحقق رسالة الأنبياء والسعادة الّتي أحسها في الدّفاع عن معتقداتي الدّينيّة لا تعدلها سعادة في الدُّنيَا.

١٢- لقد أحيت إسرائيل اللغة العبرية – لغة التوراة – بعد أن درست منذُ ثلاثة آلاف عام – فأسماء: الهستدروت، الكنيست، إيلات أصبحت هيَ أسماء مؤسسات ومدن.

١٣- هل عرفت بعد هذه المقارنة لماذا انتصر اليَهُوْد ؟ ولا يغر البعض قوله: أنّنا مسلمون أفضل من اليَهُوْد عَلى أية حال، فقد كتب عمر بن الخطاب إلى سعد بن أبي وقاص ﷺ: (أما بعد، فإني أوصيك ومن معك من الأجناد بتقوى الله عَلى كلّ حال، فإن تقوى الله أفضل العدة عَلى العدوّ.... فإن ذنوب الجيش أخوف من عدوهم، وإنما ينصر المُسلِمُون بمعصية عدوهم لله... فإن استوينا وإياهم في المعصية كانَ لهم فضل في قوة... وإن الله سلط المجوس الكفّار عَلى اليَهُوْد وهم أهل الكتاب)]أهـ.[1] انتهى النقل من كلام **الشَّيْخ عبدالله عزام** رحمه الله.

****

(١) (الذخائر: ج١/٩٥٥ ـ ٩٥٨).

النّظام العَالَمِيّ الجَدِيد ١٩٩٠ وانطلاق الحملات الصّليبيّة الثّالثة بقيادة أمريكا

استتب الأمر للغرب بالسّيطرة عَلَى مقدرات العالم الإِسْلَامِيّ، ونجحت خطته في تولية أوليائه مسؤولية رعاية شؤونه دون أن يتكبد أي خسائر، وامتصت الاحتكارات الأمريكيّة والأوربية الكبرى زبدة خيرات بلادنا وثرواتها دونما رقيب ولا حسيب ودون أي بادرة مقاومة، وانهار الإتحاد السوفييتي بعد غلطته التارِيخِيَّة في أفغانستان كما رأينا، وأعلن رؤساء حلف النّاتو أنهم اختاروا الإِسْلَام عدو استراتيجيا بديلا، وآتت الحملات الدّولية والإقليمية لمكافحة الإِرهَاب بعيد الجِهَاد الأفغاني ضدّ الرُّوس أكلها، وتشتت كوادر التّيار الجهاديّ وتنظيماته وتحقق للغرب ما يريده من تفكيكها وحوصرت الصّحوة الإِسْلَاميّة السّياسيّة ودجنت أحزابها وادخلت في متاهات اللاجدوى ودروب الإنحراف، واستتب الوضع لإسرائيل وانخرط الثّوريّون الفلسطينيون في مسارات أوسلو! وأفتى علماء المُسلِمِين الكبار بشرعيّة الوجود الأمريكيّ في الجَزِيرَة العربيَّة! كما أفتو بشرعيّة التطبيع مع الإحتلال اليَهُوْدي لفلسطين وبيت المَقْدِس!!

فلم يكن هناك فيما يبدو أي سبب ظاهر يدعو الغرب للعودة إلى أسلوب الحملات العسكريّة عَلَى المُسلِمِين، ولكن المفاجأة كانت في أن الغرب بقيادة أمريكا وتبعية بَرِيطَانيَا وأوربّا النّاتو وروسيا قد قرروا الزَّحف عسكريّاً عَلَى العالم الإِسْلَاميّ عامة وعلى الشّرق الأوسط خاصّة، فيما يبدو وكأنه عمليَّة إعادة احتلال مباشر جديد، وسيكس بيكو أمريكية بَرِيطَانيَة صليبيّة جديدة.

فلماذا أقدم الغرب عَلَى هذه الخطوة؟ علما أن غنائمه كانت تصل باردة بلا عناء ولا دماء يتكفل بإيصالها زعماء العَرَب والمُسلِمين!

في رأيي يعود ذلك إلى عدّة أسباب، منها ما يتعلق بالصّليبيّين وقيادتهم الجَدِيدة أمريكا وحلفائها، ومنها ما يتعلق باليَهُوْد ومشروعهم الصّهيونيّ في إسرائيل، ومنها ما يتعلق بما استجد من ظروف عالمنا الإِسْلَاميّ وصحوته الجهاديّة، واختصر ذلك في النقاط التّالية:

أسباب الحملات الصّليبيّة الثّالثة عَلى العالم الإِسْلَاميّ منذُ ١٩٩٠م:

أولا: الاسباب المتعلقة بالرُّوم الجدد (أمريكا – أوربّا – روسيا):

التدهور الاقتصاديّ والركود والتضخم وتراجع الواردات المالية في العالم الصناعي الغربيّ بشكل حاد، نتيجة أسباب كثيرة أهمّها تقلص العائدات الاستعماريّة من العالم الثّالث نتيجة صَحوَة الشّعوب وإدراكها لقيمة ثرواتها ونشوء بعض الأنظمة الوطنيّة الّتي تعمل عَلى سد أوجه الفقر في بلادها ووقف نزيف النهب من مخزونها الوطني نحو الغرب الإستعمار، كما عانت الحضارة الغربيّة نتيجة الترف ورفاه العيش من تراجع القطاع المنتج في المجتمع في مجالات الزراعة والصناعات الأساسيّة عَلى حساب توسع هائل في مجالات الشرائح المستهلكة غير المنتجة من الحرف الكمالية، (الفنون – الأمن – البحوث – التجار – الرِّيَاضيين...الخ) كما تراجع الميزان التجاري نتيجة عجز الدّول الفقيرة عن استهلاك ما تنتجه الدّول الغنية وانخفاض قدرات الشراء لديها وبالتالي انخفاض قدرة الغرب الصناعي عَلى التصريف، كما أن هناك عاملين قاتلين نخرا في بنية الحضارة الغربيّة اقتصاديا واجتماعيا، أطنب كثير من البحاثة والكتاب الغربيّين فيهما مؤخرا بجرأة وصراحة ودقوا لها ناقوس الخطر وهما (تفشي الربا في كلّ مفاصل الاقتصاد الغربيّ) وكذلك (عمل المرأة في مجالات عمل الرّجال وإخلائها لموقعها في المنزل) فقد تحقق للاقتصاد الغربيّ بسبب (الربا) ما بشر الله من أعمل به من(المحق) كما قَالَ تَعَالَى: ﴿يَمۡحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰاْ﴾ [البقرة: ٢٧٦]، فالاقتصاد الغربيّ ومعظم العَالَمِيّ يصير إلى (المحق) عمليا، كما خلف عمل المرأة انتشار البطالة في أوساط الرّجال، وكذلك أدى إلى دمار البنية الاجتماعيَّة للأسرة وتراجع الاقتصاد، كلّ هذا وغيره جعل الدّول الاستعماريّة وعلى رأسها أمريكا وبريطانيا بحاجة إلى رفع وارداتها الاستعماريّة لسد عجزها الاقتصاديّ عن طريق السّيطرة عَلى منابع الثّروة ولاسيما منابع الطاقة (البترول والغاز) في الشّرق الأوسط الخليج العربيّ الفارسي ومحيط بحر قزوين، وحتى تستطيع أمريكا أن تسيطر عَلى عصب الاقتصاد العَالَمِيّ وبالتالي تستنزفه لصالح اقتصادها.

١. **سحر القوّة الّذي سيطر عَلى الإدارة الأمريكيّة وجنون الحلم الإمبراطوري:**

تضخمت القوّة العسكريّة الأمريكيّة بشكل هائل، حتّى غدت بمفردها أكبر من مجموع قدرات النّاتو وروسيا مجتمعة بحسب تقارير مراكز الدراسات الاستراتيجيّة العَالَمِيّة، كما تقدمت قدراتها التكنولوجية بشكل مذهل جعل منها قوة أسطورية لا تنازع ولاسيما في مجال القدرات الجوية والصواريخ العابرة والسّيطرة عَلى أنحاء الأرض بالقدرات التجسسية الهائلة للأقمار الصناعية وقدرتها عَلى توجيه الرمايات الصاروخية والجوية والبحرية، وبامتلاكها لأضخم ترسانة نووية في العالم.... كلّ ذلك ولد بشكل طبيعي لدى الإدارة الأمريكيّة الحلم بالانفراد بحكم العالم وقد طفحت كتابات منظريها بذلك حتّى قبل القضاء عَلى الاتحاد السوفييتي ربما بعقدين من الزَّمن حيث تبنوا ونظروا للإنفراد بحكم العالم والتخطيط لأن يكون القرن الحادي والعشرون قرنا أمريكيا وأن تقود أمريكا حضارة الرُّوم وترث أمجادها وتغزو العالم، وكان من الطبيعي أن تفكر أمريكا من أجل تركيع حلفائها ودحر خصومها بالإمساك بشريان الحياة وعصب الحركة للعالم الصناعي وذلك باحتلال منابع النّفط وامتلاكها مباشرة، والسّيطرة عَلى المعابر الاستراتيجيّة للعالم ونشر قوّاتها في كافّة أرجائه ومنع نهوض أي قوة مناوئة لها وامتلاكها لأَسْلِحة دمار شامل استراتيجية، هذه القناعات الّتي تبلورت أواخر القرن العِشرين لدى مجموعة من المنظرين والساسة في الحزب الجمهوريّ ممن أسموا أنفسهم (المحافظون الجدد)، والّذين تبنوا لسوء الحظ عقائد الحلم الصّهيونيّ وقيام إسرائيل واجتماع اليَهُوْد فيها كمقدمة لنزول المسيح بعد حرب كونية مع المُسلِمِين... إلى آخر ترهاتهم الّتي تختلط فيها أساطير الدّين بأحلام الاستعمار.

٢. **سعي الدّول الأوربية وروسيا لمعاونة أمريكا خوفا وطمعا بالإضافة للدافع العقدي الصّليبيّ المتجذر لدى جميعهم**: فالخوف من أن تمتلك أمريكا وحدها فعليا منابع الطاقة ومصادر القوّة وأن تتحكم بها، وطمعا في ما يمكن أن تجره لها المشاركة من مكاسب ترقع بها اقتصادها المنهار، جعلها تشارك جميعا في حرب الخليج الثّانية بفاعلية، وبلغت نسبة المشاركة الأوربية ما لا يقل عن ٢٥٪ في حين شاركت بَرِيطَانيَا وحدها بـ١٥٪ وزادت نسبة الأمريكان في القوَّات الّتي بلغت مليون جندي عَلى ٥٥٪، حيث أسفرت حرب (عاصفة الصَّحرَاء) أو (تحرير الكويت) كما

أسموها عن تدمير العراق وجيشه وترسيخ أقدام بَرِيطَانيَا وأمريكا في قلب المنطقة العربيَّة والإِسْلَاميّة سنة ١٩٩١، كما شاركت أوربّا وفرنسا وبريطانيا والفاتيكان بصورة رئيسيَّة بالحَرب الصّليبيّة عَلى المُسلِمِين في البوسنة (١٩٩٤-١٩٩٦) من أجل توحيد الدّين في القارة الأوربية الساعية إلى الوحدة عَلى الهويّة الصّليبيّة، أما روسيا فقد تولت فصلا صليبيا مستقلا في الشِّيشَان القفقاس منذُ (١٩٩٤) وإلى اليَوْم حيث ما زال المسلسل الدموي يجري بمشاركة أوربية أمريكية بالدعم بالصمت أو بالمواقف السّياسيّة والإعلاميَّة، إلى أن حملت أمريكا حملتها الكبرى عَلى العراق في حرب الخليج الثّالثة الّتي أسموها (حرية العراق !) والَّتي قامت بها أمريكا وبريطانيا بمشاركة لوجستية فاعلة من قبل كامل دول النّاتو رغم الموقف الفرنسي الألماني والرُّوسي المعارض الّذي ما لبث أن لحق بالركب الاستعماريّ من أجل حصة في كعكة العراق حيث اعترفوا بالإجماع بحالة الاحتلال الأمريكيّ للعراق في مجلس الأمن ثمّ تابعوا التدحرج نحو المسار الأمريكيّ عَلى استحياء خف مع الوقت ليصير إلى الوقاحة الصريحة، وهكذا حضرت الحملات الصّليبيّة بسبب هذا الدافع الذاتي.

ثانياً: نضوج المشروع الصّهيونيّ واقتراب اليَهُوْد من موعد هدم المَسجِد الأقصى وإعلان مملكة إسرائيل الكبرى بحسب الأحلام التلمودية:

لم يخف كبار زعماء الصهاينة في كتاباتهم ومقابلاتهم حلمهم الأكبر وهو إقامة إسرائيل الكبرى من الفرات إلى النيل، ولم يستحوا من إعلان عزمهم عَلى هدم الأقصى وإقامة هيكل سليمان المزعوم عَلى أنقاضه، كما لم يخفو عزمهم عَلى إقامة دولة يهودية صرفة وما يقتضيه ذلك من طرد ما تبقى من المُسلِمِين والعرب من أرض فِلَسطِين.

وبعد أن دجنت إسرائيل بالتّعاون مع أمريكا أنظمة الحكم في الجوار أو ما يسمى بدول الطوق وتمكنت بواسطة السادات من تفكيك الجيش المصري واختصاره لأقل من الثلث عدديا وتسليحا وبعد أن كفل لهم الملك الحسين الخَائِن حاكم الأردن وولده من بعده أطول حدود لهم مع الجوار، وتكفل النصيرية في سوريا أيضا بتفكيك الجيش السّوري أكبر جُيُوش المنطقة وأشدها تسليحا

تدريجيا، وضمن نصارى لبنان أمان حدودها الشمالية، انتقل اليَهُوْد لمرحلة فرض التطبيع السّياسيّ والإقتصادي والثقافي عَلى الدّول العربيَّة بل وطمحوا لأن يشمل ذلك العالم الإِسْلَاميّ، ولم يبق في المنطقة من القوى العسكريّة العربيَّة إلا العراق ومن القوى الإِسْلَاميّة إلا الباكستان فوضع اليَهُوْد نصب أعينهم هدف تدمير الجيش العراقي أولا، ثمّ الباكستاني ولما كانوا لا يستطيعون ذلك بأنفسهم كانَ لا بُدَّ من استقدام الجُيُوش الصّليبيّة ولاسيما الجيش الأمريكيّ ليقوم بالمهمة كما أن اليَهُوْد بما فطروا عليه من ذل ومسكنة وخوف وجبن لا يطمئنون لجيشهم المتفوق عددا وتسليحا عَلى مجموع ما تبقى من قوة عسكريّة في دول الجوار حتَّى مع وجود أكثر من ٢٥٠ رأس نووي جاهز لتدمير ما يريدونه من أهداف من حولهم، فهم يخشون أن تتمرد الشّعوب العربيَّة والإِسْلَاميّة عَلى صنائعهم الحاكمة في عواصم العَرَب والمُسلِمين ويجدون أنفسهم بملايينهم الستة محاطون بمئات ملايين الشّعوب الغاضبة الّتي تناصبهم العداء وتحمل من الأحقاد المقدّسة ما يكفي لسحقهم إن اتيحت الفرصة لتلك الشّعوب، ولذلك عمل اليَهُوْد عَلى استقدام جُيُوش النّصَارى لترابط في المنطقة وتبقى وتعمل عَلى تفتيت دولها إلى كيانات أصغر وتفتعل حُرُوبا داخليَّة مذهبية وعرقية تضمن الاستقرار والسيادة والتفوق العسكريّ بل تضمن أن تكون إسرائيل هيَ الدّولة الوحيدة الّتي تمتلك جيشا في المنطقة، ولم يكن هذا الهدف صعبا عَلى الصهاينة بعد أن أدت دسائسهم ومكرهم وأعمال الاختراق والتجسس وشراء الذمم والتغلغل بالأسلوب اليَهُوْدي عَلى مدى نصف قرن، أدت إلى سيطرة اليَهُوْد عَلى حكومة أمريكا وحُكُومَات معظم دول النّاتو، وتشير الإحصائيات إلى نسبة عالية مخيفة من الوزراء وأعضاء الحُكُومَات وأعضاء البرلمانات والأجهزة النافذة والأحزاب السّياسيّة الرَّئيسيَّة وكافة وسائل الإعلام العَالَمِيّة وأجهزة السينما والإنتاج التلفزيوني والصّحف، كلهم يهود أو أولاد أو أزواج ليهوديات، وهذا يعني يهود يتهم بحسب عَقِيْدَة الّتي تعتبر أبن اليَهُوْدية يهودي، هذا فضلا عن سيطرتهم التَّامَّة عَلى النّظام المصرفي والمؤسسات المالية الكبرى في العالم وتحكمهم في الأمم المتحدة وما ينبثق عنها من مؤسسات، لقد وصل اليَهُوْد إلى ما ذكره القرآن من العلو الكبير وها هم يفسدون في الأرض كيف يشاؤون، واستطاع أحبار اليَهُوْد المتسللون إلى النّصرانية ولاسيما للمذهب البروتستانتي السائد في

أمريكا وبريطانيا، أن يخترعوها ويؤسسوا في أمريكا مذاهب ومنظمات كنسية صليبيّة متطرفة تقوم عَلى ازدواجية المصدر العقدي بحيث تكون العَقِيْدَة في الولايات المتحدة الصّهيونيّة وآمال إسرائيل وأحلامها وأفضلية شعبها المختار، حتَّى بلغ أنصار هذه المنظمات والكنائس عشرات الملايين وصارت مواردها المالية بالمليارات وما أصبح تملكه من شبكات التلفزيون ووسائل الإعلام ما يجعلها إمبراطورية طاغية مكنت اللوبي الصّهيونيّ من أن يتلاعب بالكونغرس والانتخابات الأمريكيّة كيفما أحب، وهكذا ظهر المنظرون الجدد في السّياسة الأمريكيّة في الحزبين الديمقراطي والجمهوريّ وخاصة في الثّاني وتولوا دعم بَرَامج إسرائيل الّتي اقتربت من تحقيق أهدافها، وهكذا ساق اليَهُوْد الجيش الأمريكيّ وجُيُوش أوربّا الصّليبيّة ليحتلوا الشّرق الأوسط ويفتتحوا ذلك بتدمير آخر الجُيُوش المتبقية وهو الجيش العراقي عبر حرب ١٩٩١م وحرب ٢٠٠٣م، فيثأروا لليهود من العراق وأرض بابل بحسب معتقداتهم ويثأروا لمرحلة الأسر البابلي ويذيقوا أحفاد أولئك الأجداد أبشع ألوان الذّلّ والهوان كما ضمنوا تفكيك العراق وسحق قدراته، وتجدد الضغط باتجاه سوريا الّتي ألغي فيها نظام التَّجنيد الإلزامي لأول مرّة في تاريخها منذُ الاستقلال مما سيقلص عدد الجيش السّوري الّذي يناهز مليون جندي إلى أقل من ٢٠٪ منه ليقوم عَلى المتطوعين الّذين تتكون غالبيتهم السَّاحقَة من النصيرية وأبناء الأقليات الدّينيّة الأخرى ويبقى المُسلِمُون السنة وهم الغالبيّة السَّاحقَة من سكان سوريا أكثرية غير مسلحة يسلخ اليَهُوْد وعملاؤهم جلدهم متى شاؤوا، كما تتجه أنظار أمريكا علنا لتفكيك وتقسيم تركيا والباكستان والسّعُودِيّة ومصر، وتنشر في الشّرق الأوسط الادنى وهو ما يسمونه منطقة العمليَّات الوسطى أكثر من ٥ , ١ مليون جندي أمريكي يرابط نحو مليون منهم في البلاد العربيَّة من بغداد إلى طنجة منهم نحو الثلثين في منطقة الشّرق الأوسط !!! وهكذا كانت الاسباب الصّهيونيّة أساسية في حضور الصّليبيّن، وإعلام بوش هذه الأيّام إطلاق مشروع ما أسماه (الشّرق الأوسط الكبير).

ثالثا: أسباب متعلقة بظروف العالم الإِسْلَاميّ:

كما سيأتي التفصيل في الفَصلين التاليين عن مسار الصّحوة الإِسْلَاميّة الجهاديّة، فقد أدى نشاطا لصحوة الإِسْلَاميّة الّتي سارت في محاور ثلاثة دعوية/ سياسيّة / جهاديّة مسلحة، إلى أن تكون شبحا مرعبا يهدد مصالح الصّليبيّين والمشروع الصّهيونيّ في المنطقة، فقد انتشرت الأحزاب الّتي تبني المشروع الإِسْلَاميّ واستطاعت أن تكون كتلا نيابية كبيرة في عدد من برلمانات الدّول العربيَّة والإِسْلَاميّة، بل بعضهم أن يشكل الحُكُومَات كما في تركيا أو كاد كما في الجَزَائِر، كما أدى النَّشَاط الدعوي لمختلف مدارس الصّحوة إلى أسلمة قطاعات كبيرة من المجتمع ولو عاطفيا، ولكن الأخطر من ذلك أن قمع السُّلطات لمختلف مجالات الصّحوة السّلميّة والّذي كانَ ترتيبا لحصار الصّحوة أدى إلى امتداد الصّحوة الجهاديّة وازدياد منجزاتها وخبراتها ولاسيما بعد نضوج كوادرها وتضخمها من خلال تجربة الأفغان العَرَب الأولى في أفغانستان (١٩٨٤-١٩٩٢)، فقد شكلت الظَّاهِرة الإِسْلَاميّة تهديدا حقيقيا للأنظمة العربيَّة والإِسْلَاميّة وأصبح الصّليبيّون غير مطمئنين إلى حسن أداء تلك الأنظمة الّتي أقاموها في المنطقة ولا إلى مصيرها ورغم نجاح هذه الأنظمة في قمع كافّة مدارس الصّحوة وإيصالها إلى الفشل في تحقيق أهدافها وإدخالها في ضحضاح الأزمة عمليا، إلا أن الغرب بما درس من تكويننا الحضاري يعلم مدى خطورة الجذوة الكامنة تحت الرماد الساكن حاليا، ورأى أن وجوده العسكريّ الفعلي هو خير ضامن لمصالحه، وأن عليه أن يقوم بتنفيذ سيكس بيكو جديدة تقسم المقسم وتجزئ المجزأ من هذه الكيانات وتضمن بحسب ما يتخيل مصالحه بنفسه وبحراسة حراب جنوده.

وهكذا تضافرت الأسباب الثّلاثة لأن تزحف تلك الحملات الصّليبيّة الثّالثة وتجتاح الشّرق الأوسط من جديد.

****

محطات الحملات الصّليبيّة الثّالثة (١٩٩٠-٢٠٠٣):

١- حرب العراق الأولى (عاصفة الصَّحرَاء - حرب تحرير الكويت):

افتتحت أمريكا حملاتها الصّليبيّة بعد انهيار الاتحاد السوفييتي (١٩٩٠م) مباشرة بتنفيذ برنامجها الّذي أعدت له من أواسط السبعينات وشكلت من أجله آنذاك قوّات التدخل السريع للسيطرة عَلى منابع النّفط وتحدثت العديد من الدراسات والكتب في حينها عن سيناريوهات افتعال تهديد لدول الخليج إما من العراق أو إيران لتبرير التدخل الأمريكيّ.

وفعلا وكما صار معروفا في وسائل الإعلام فقد تمَّ استدراج صدام حسين عن طريق السفيرة الأمريكيّة في بغداد وإغرائه باحتلال الكويت، وكان الجيش العراقي قد بلغ مستوى رفيعا بعد حرب الخليج الأولى مع إيران (١٩٧٩-١٩٨٧)، ومنذ ذلك الحين ضربت القوَّات الأمريكيّة والبريطانيَّة بجرانها في المنطقة، وكما ذكرت آنفا في مطلع البحث فقد قدمت حُكُومَات الدّول العربيَّة وعلى رأسها السّعُودِيّة ودول الخليج والمغرب والباكستان وسوريا والأردن ومصر وتركيا مشاركة فعالة، فقاتلت جُيُوشها الجيش العراقي تحت القيادة الأمريكيّة، ولكن العامل الأبرز في تحولات معادلة القوى في الحملات الصّليبيّة الثّالثة كانَ في دخول الأجهزة الدّينيّة الرّسميَّة ومؤسسات علماء السُّلطَان وقسم كبير من قيادات الصّحوة الإِسْلَاميّة إلى جانب هذا الحلف بقيادة أمريكا، حيث دفع بهم الحكَّام الخونة إلى إصدار الفتاوى الّتي تضفي الشَّرعيَّة عَلى حضور الصّليبيّن وتمركزهم في جَزِيرَة العَرَب وسيطرتهم عَلى عقر دار المُسلِمِين، ولكن أدهى ما في هذا الأمر هو انزلاق المدجنين والفاسدين من بعض قيادات الصّحوة إلى التوقيع عَلى فتاوي تشرع لذلك وذلك نتيجة دخولهم عبر بوابات الدّيمقراطيَّة ليصبحوا جزءا من السُّلطات الرّسميَّة في حُكُومَات الرِّدَّة، فكانت هذه الفتنة جزءا من الثّمن الّذي يدفعه المتخوضون في مستنقعات السّياسة اللاشرعيّة أنهم تجاوزوا ما روي عن رسول الله ﷺ:

«مَنْ أَتَى أَبْوَابَ السُّلْطَانِ افْتُتِنَ، وَمَا ازْدَادَ عَبْدٌ مِنَ السُّلْطَانِ قُرْبًا، إِلَّا ازْدَادَ مِنَ اللهِ بُعْدًا»(١).

---

(١) رواه أبو داود (٢٨٥٩) وأحمد (٩٦٨٣، ٨٨٣٦) وضعفه الأرنؤوط، وحسنه الألباني - الصحيحة (١٢٧٢).

وسحقت القوَّات الأمريكيّة الجيش العراقي وخلفت أكثر من ٣٠٠ ألف قتيل بين المدنين والعسكريّين ودمرت البنية التحتية للعراق الّتي بنيت عبر نصف قرن من الإستقلال ثمّ ضربت الحصار القاتل عَلى العراق لمدة ثلاثة عشر عاماً قتلت خلالها أكثر من مليون ونصف المليون طفل من أطفال العراق عدا ما قتلت من ذويهم نتيجة النّقص الحاد في الغذاء والدَّواء.

وهكذا أهلت أمريكا العراق للحرب التّالية الّتي أجهزت عليه فيها في مارس وأبريل ٢٠٠٣.

وبعيد الحَرب العِرَاقيَّة الأولى مباشرة وكإجراء احتياطي ضدّ المُقاوَمة المفترضة الّتي ستنشأ كرد فعل عَلى هذه الحملات الصّليبيّة، والَّتي من المفترض أن تقوم بها أوساط الحركات الجهاديّة وشباب الصّحوة الإِسْلَاميّة، أطلقت أمريكا حملتها لمطاردة الجهاديّين ورموز الصّحوة الجهاديّة تحت دعوى مكافحة الإِرهَاب، وتصاعدت وتيرة المؤتمرات الأمنيّة العَالَمِيّة والإقليمية خلال ولاية كلينتون الّذي خلف بوش الأب لتتابع أمريكا هجماتها عَلى العالم الإِسْلَاميّ فتتابع حصار العراق وتتولى إجبار الدّول العربيَّة والإِسْلَاميّة عَلى مشاريع التطبيع مع اليَهُوْد وتتولى بنفسها مكافحة (الإِرهَاب الإِسْلَاميّ) كما وصفوه.

٢- المذابح الصّليبيّة للمسلمين في البلقان والقفقاس (١٩٩٤-١٩٩٧):

في زحمة زخم الهجمة الأمريكيّة الصّليبيّة عَلى العالم الإِسْلَاميّ ومزاعم مكافحة الإِرهَاب والأصوليَّة الإِسْلَاميّة، استغل الرُّوس الظّروف العَالَمِيّة في مُوَاجَهة المُسلِمِين وشنوا حربهم الدموية عَلى الشِّيشَان حيث ارتكبت أبشع المجازر وتعرض المُسلِمُون الشِّيشَان لحرب إبادة ما زالوا يقدمون قرابينها بالآلاف إلى اليَوْم.

كما شن الصّرب والكروات بدعم من الفاتيكان ودعم وسكوت الدّول الأوربية حرب إبادة عَلى المُسلِمِين في البوسنة ثمّ كوسوفو، حيث ارتكبت أبشع المجازر الّتي راح ضحيتها مئات الألوف من المُسلِمِين تحت سمع وبصر الأمم المتحدة بل في داخل محمياتها كما حصل في مذبحة (سيربينتسا) حيث انسحبت قوّات الحماية الفرنسية الموكلة بحراسة محمية للأمم المتحدة لتفسح المجال لمليشيات الصّرب

أن تقتل أكثر من ٨٠٠٠ مدني بوسني مسلم أكثرهم من النِّسَاء والأطفال والعجائز في أكبر سلسلة مذابح إبادة جماعية في أوربّا منذُ الحَرب العَالمِيّة الثّانية.

٣-حصار الإمارة الإِسْلَاميّة في أفغانستان ثمّ تدميرها سنه (٢٠٠١):

لم يرق للأمريكان وأوربّا النّاتو الّتي خططت ونفذت الحَرب الأهلية بين فصائل المُجَاهدين في أفغانستان (١٩٩٢-١٩٩٦) من أجل تنفيذ برنامج الأمم المتحدة الّذي يقضي بأن يحكم الصليب الأحمر الغربيّ بعد المطرقة والمنجل الأحمر الشرقي أفغانستان وبعد حرق ما تكدس في أفغانستان من سلاح وخبرات جهاديّة في تلك الحَرب الأهلية، لم يرق لهم أن يفاجئهم القدر بظهور طالبان وتمكنها من تحكيم الشّريعة وإقامة إمارة أفغانستان الإِسْلَاميّة، كما لم يرق لهم أن تسفر حملات مكافحة الإِرهَاب العَالمِيّة لكوادر التّيار الجهاديّ والأفغان العَرَب عن عودتهم إلى أفغانستان وتشكيلهم إلى جانب طالبان بؤرة قضت مضاجع أمريكا والغرب ونوابهم من الحكَّام المرتدّين.

فبدأت أمريكا وأوربّا عمليّات الحصار الاقتصاديّ والسّياسيّ عَلى الإمارة الإِسْلَاميّة منذُ نشأتها وتتابع ذلك في عهد كلينتون الّذي اختتمه بقصف ٧٥ صاروخ كروز عَلى بعض مُعَسْكَرَات المُجَاهدين العَرَب والطّالِبَان واستمر الحصار في عهد بوش الابن الّذي أطلق صيحته بأنه مكلف من قبل الرب برسالة إصلاح العالم وأنه متوجه لقيادة حملة صليبيّة ومكافحة الإِرهَاب الإِسْلَاميّ حيث افتتح حملته تلك بعد أحداث سِبتَمبر بغزو أفغانستان وتدمير الإمارة الإِسْلَاميّة إبادة ما استطاع إبادته من اللاجئين العَرَب والمُسلِمين إلى أفغانستان في ديسمبر ٢٠٠١.

٤-حرب احتلال العراق (مارس ٢٠٠٣)، والزَّحف الأمريكيّ عَلى الشّرق الأوسط:

وقد تكلمنا عنها فيما سبق بما يغني عن الإعادة.

حالة المرجعيات في العالم الإِسْلَاميّ ووقوف التّيار الجهاديّ وحيدا في مُوَاجَهة الحملات الصّليبيّة الثّالثة:

أما المرجعية السّياسيّة للمسلمين:

فكما مر معنا فقد دمرها الإستعمار الصّليبيّ منذُ إسقاط الخِلافَة ولم تقم لها بعد ذلك قائمة، بل إن الّذي حصل أن حُكَّام بلاد المُسلِمين صاروا جزءا من معادلة القوى إلى جانب الصّليبيّين وقد ازداد هذا فظاعة خلال الحملات الصّليبيّة الثّالثة.

وأما المرجعية الدّينيّة:

فقد تولت الحُكُومَات الخَائِنة العميلة تصفيتها في كافّة بلدان العالم العربيّ وأكثر العالم الإِسْلَاميّ كما مر معنا في الفقرات السَّابقة، وقد حاولت الصّحوة الإِسْلَاميّة أن تقدم بديلا وتتسلم زمام المرجعية، خُصُوصَاً أن علماء مرموقين وقادة بارزين مؤهلين وقيادات عديدة من مختلف مدارسها لمعت وتأهلت ولكن ولأسباب عديدة سنتناولها في الفقرات التّالية بالتفصيل لم تستطع الصّحوة أن تقدم بديلا عن المرجعية الكلاسيكية المتمثلة بأئمة المذاهب الأربعة والمراجع الفقهيّة وأئمة الطرق الصوفية، ولم تستطع بالخلاصة أن تكون مرجعية شعبيَّة وتمتلك طاعة الشارع المسلم وتبعيته.

وهكذا لم يكن هناك مرجعية دينية مؤهلة لمُوَاجَهة الحملات الصّليبيّة الثّالثة.

وأما المرجعية الاجتماعيَّة:

فقد كنا قد تحدثنا عن تفككها منذُ منتصف القرن العِشرين نتيجة الإستعمار ونتيجة التطور الاجتماعي نحو التصنيع والهجرات نحو المدن الكبرى وتفكك الروابط القبلية، فتابع ذلك سيره بتسارع كبير، وتراجع دور البوادي والأرياف في السّياسة لصالح المدن الكبرى والحياة المدنيّة الّتي لا تقيم وزنا لهذه الروابط، وباستثناء بعض البلدان الإِسْلَاميّة كأفغانستان واليمن، وبعض البلدان الأخرى، كانت هذه المرجعية أضعف من أن تمارس دورا في المُوَاجَهة، وقد كانَ من سياسة الحكَّام جميعا قتل هذه المرجعية ونزع سلاح القبائل والعشائر وسياسات التفرقة بينها وأضعاف كلّ منها عَلى حدة، وبطبيعة الحال كانت هذه المرجعيات دائما تبعا للمرجعية الدّينيّة أو للدينية والسّياسيّة معا،

ولذلك كانت هذه المرجعية غائبة عن ساحة المُوَاجَهة أيضا شأنها شأن سابقاتها في هذه المُوَاجَهة الأخيرة

إذاً من وقف للحملات الصّليبيّة الثّالثة منذُ ١٩٩٠م وإلى ٢٠٠١ م؟:

في الحقيقة وباختصار.

لقد قدمت الحملات الصّليبيّة الثّالثة بعد أن صفت من أمامها كلّ إمكانيَّات المُقاوَمة، فقد قضت عَلى المرجعيات كلها تقريبا، وقضت إلى حد بعيد عَلى مقوّمات نشوء المُقاوَمة والمُوَاجَهة في الشّعوب العربيَّة والإِسْلَاميّة، ولئن كانت الحملات الثّانية قد قدمت عَلى بصيرة وخبرة من تجارب قرنين من الزَّمن خلال الحملات الأولى وعلى دراسات وأبحاث لهذه الأُمّة عَلى كافّة الأصعدة عبر ٥٠٠ سنة بعدها، فإن هذه الحملات الصّليبيّة اليَهُوْدية الأمريكيّة الجَدِيدة تأتي عَلى خلفية كلّ ذلك بالإضافة إلى تجارب الحملات الثّانية وما وفرته خدمات طبقة المرتدّين من الحكّام وعملائها من المستغربين عبر نصف قرن أو أكثر من الزَّمن.

كما توفرت لها كلّ إمكانيَّات النجاح، ولئن كانَ هناك شيء من التوازن في معطيات المُوَاجَهة عَلى الأرض بين قوَّات الحملات الصّليبيّة الأولى وحتى الثّانية وبين قوَّات المُجَاهدين الّتي واجهتها عددا وعدة، فإن تقهقر المُسلِمِين إلى حضيض التخلف في معظم الميادين، ونهوض الحضارة الأمريكيّة تكنولوجيا عسكريّاً إلى قمة التطور، وما سبق من تدمير نوابهم الحكّام لكل إمكانيَّات المُقاوَمة جعل السَّاحَة عمليا شبه خالية في هذا الصِّرَاع وصارت المُوَاجَهة اليَوْم غير متوازنة البتة.

وأما خُلاصة نبضات المُقاوَمة للحملات الصّليبيّة الثّالثة وأعوانها المرتدّين والمُنَافِقِين خلال (١٩٩٠- سِبتَمبر٢٠٠١) فيمكن ذكر أهمّها بحسب التسلسل الزَّمني بحسب ما أتذكره الآن عَلى الشّكل التّالي:

- حركة الجِهَاد المُسلّح في الجَزَائِر (١٩٩١- ١٩٩٥) والّتي تمَّ القضاء عليها خلال السنتين التاليتين من خلال عمل استخباراتي ناجح وبالغ التعقيد من التّعاون بين المخابرات الجَزَائِرية والفرنسية وبعض المخابرات العربيَّة حيث أخرج الجِهَاد عن مساره ودمره بعد أن عزله عن

جمهوره بسبب انحرافه (يمكن لمن أراد تفاصيل عن تلك التَّجربة العودة إلى كتاب – شهادتي عَلى الهاد في الجائر – للمؤلف).

- المواجهات الجهاديّة المُسلّحة الّتي قامت في ليبيا ضدّ نظام القذافي (١٩٩٣-١٩٩٥) والَّتي كانَ أبرزها محاولة الجماعة الإِسْلَاميّة المقاتلة في ليبيا والَّتي تمكن النّظام من تحديد نشاطها العسكريّ في داخل ليبيا وتحولت إلى العمل التَّنظِيمي الدعوي السري والنَّشَاط في المهجر.
- حركة نفاذ الشّريعة شمال غرب باكستان سنة (١٩٩٦) والَّتي قضت عليها الحكومة الباكستانية أمام تخاذل الشارع الإِسْلَاميّ وتخلف حركات الصّحوة في باكستان عن نصرتها.
- حركة جيش عدن أبين في اليمن بقيادة الشّهِيد أبو الحسن المحضار رحمه الله والَّتي قضي عليها في مهدها (١٩٩٨).
- حركة الشَّبَاب الجهاديّ في جبال النبطية شمال لبنان بقيادة الشّهِيد أبو عاشة اللبناني والَّتي قضي عليها في مهدها (١٩٩٩).
- حركة طالبان الّتي انطلقت سنة ١٩٩٤ وأقامت الإمارة سنة ١٩٩٦ وسقطت أواخر ٢٠٠١ وكانت بمن لحق بها من التَّجَمُّعات الجهاديّة العربيَّة والباكستانية والوسط آسيوية أهمّ الظواهر الجهاديّة خلال العقد المنصرم.
- الإنتفاضة الفلسطينية المُسلّحة الّتي انطلقت سنة ٢٠٠٠ وما زالت إلى الآن وهي من أهمّ فصول المُوَاجَهة والمُقاوَمة الجهاديّة للحملات الصّليبيّة اليَهُوْدية الثّالثة.
- عدد من المحاولات الجهاديّة المحدودة والمبادرات الفرديَّة الّتي قام بها المُجَاهدون ضدّ مختلف أشكال تواجد الصّليبيّين في العالم العربيّ والإِسْلَاميّ والَّتي حصلت في بلدان مختلفة خلال العقد المنصرم ومن ذلك بعض عمليَّات المُقاوَمة المتواضعة في السّعُودِيّة ضدّ الأمريكان والَّتي كانَ أهمّها تفجيرات الرِّيَاض والخبر.
- عمليَّات المُقاوَمة والدّفاع عن النّفس الّتي قام بها حطام التّيار الجهاديّ في مُوَاجَهة حملة المطاردات بعد سِبتَمبر في مختلف دول العالم ولاسيما في مُوَاجَهة الكارثة الّتي نفذتها الحكومة

الباكستانية خلال ملاحقة الناجين عَلى أراضيها والَّتي أسفرت عن مقتل عشرات المُجَاهدين العَرَب وأسر ما يزيد عَلى ٦٠٠ منهم سلمتهم إلى أمريكا ليستقروا في معتقل غوانتانامو التّاريخي، وغيره من السّجون الأمريكيّة في أماكن عدّة.

- حركات الجِهَاد الّتي نشرت في وسط آسيا ضدّ الحُكُومَات الشُّيُوعِيّة المدعومة من الاتحاد السوفييتي ولاسيما في طاجيكستان (١٩٩٣/٢٠٠١) ثمّ ما تلاها في أوزبكستان (١٩٩٧/٢٠٠١).
- وكذلك جِهَاد المُسلِمِين في تركستان الشرقية (١٩٩٦/ ٢٠٠١) ضدّ الحكومة الصينية.
- هذا بالإضافة إلى حركات المُقاوَمة والمُوَاجَهة الّتي تمت ضدّ القوى الصّليبيّة في ساحات الجِهَاد المختلفة خلال هذه الفترة مثل الجِهَاد الّذي حصل في البوسنة (١٩٩٤/ ١٩٩٦) وكذلك في الشِّيشَان خلال نفس الفترة وما تلاها والّذي ما زال مستمرا، وكذلك المُوَاجَهة البطولية الّتي قام بها المُجَاهدون في الصّومال، وكذلك حركات الجِهَاد القديمة والمستمرة خلال هذه المَرحَلَة في الفلبين وكشمير وارتيريا وبورما واندونيسيا وغيرها من الجبهات الّتي اشتعلت أو كانت مشتعلة واستمرت ضدّ الصّليبيّيّن وغيرهم من الكفّار المُستَعمرين.
- بالإضافة لبعض العمليَّات الّتي قام بها تنظيم القَاعِدَة ضدّ التواجد الأمريكيّ في المنطقة والَّتي كانَ أهمّها عمليَّات تفجير سفارتي أمريكا في نيروبي ودار السَّلام ونسف البارجة الأمريكيّة كول في عدن، ثمّ كانَ آخرها العمليَّات الاستشهادية في نيويورك وواشنطن (١١ - سِبتَمبر٢٠٠١) والَّتي افتتحت فصلا جديد من المُوَاجَهة بين الصّليبيّيّن والمُسلِمين وغيرت وجه التّاريخ ومعطيات الصِّرَاع.

وبالنَّظرة الدارسة لمعادلة الصِّرَاع بين المُسلِمِين والحملات الصّليبيّة الثّالثة منذُ ١٩٩٠ وإلى احتلال العراق ٢٠٠٣ نجد أن معادلته قد أخذت الشّكل التّالي:

أمة اليَهُوْد(على رأسها إسرائيل) + أمة النّصَارى(على رأسها أمريكا وبريطانيا ودول النّاتو وروسيا) + طوائف حُكّام الرِّدّة في العالم الإسْلاَميّ + قوى المُنَافِقين وعلى رأسها المؤسسة الدّينيّة الرَّسميَّة وعلماء السُّلطَان ومن فسد من قيادات الصّحوة في بلادنا × التّيار الجهاديّ المُسلّح جماعات وأفراد ← هزمت قوى المُقاوَمة، وحصر التّيار الجهاديّ، وشلت الصّحوة الإسْلاَميّة، وخرجت الأمّة من المَعْرَكة.

وقفه تأملية مع معادلات الصِّرَاع بين المسلمين والحملات الصّليبيّة الثّلاثة:

وجدنا أن معادلات الصِّرَاع كانت مع تلك الحملات عَلى الشّكل التّالي:

الحملات الصّليبيّة الاولى (١٠٥٠/ ١٢٩١): وكانت معادلاتها:

أمة الصليب × أمة الإسْلاَم ← انتصرت أمة الإسْلاَم (1)

الحملات الصّليبيّة الثّانية (مرحلة الإستعمار القديم) (١٨٠٠/ ١٩٧٠):

أمة الصليب + أمة اليَهُوْد × أمة الإسْلاَم ← انتصرت أمة الإسْلاَم (2)

الحملات الصّليبيّة الثّانية (مرحلة الإستعمار الحديث) (مرحلة الإستقلال):

أمة الصليب + أمة اليَهُوْد + طوائف الحُكُومَات المرتدّة × الصّحوة الإسْلاَميّة ← هزمت الصّحوة الإسْلاَميّة وخرجت الأمّة من المَعْرَكة (3)

الحملات الصّليبيّة الثّالثة (المَرحَلَة الأمريكيّة) (١٩٩٠-٢٠٠٣):

أمة اليَهُوْد(على رأسها إسرائيل) + أمة النّصَارى(على رأسها أمريكا وبريطانيا) + طوائف حُكّام الرِّدّة في العالم الإسْلاَميّ + قوى المُنَافِقين وعلى رأسها المؤسسة الدّينيّة الرَّسميَّة وعلماء السُّلطَان ومن فسد من قيادات الصّحوة في بلادنا × التّيار الجهاديّ المُسلّح جماعات وأفراد ← هزمت قوى المُقاوَمة، وحصر التّيار الجهاديّ، وشلت الصّحوة، وخرجت الأمّة من المَعْرَكة (4)

وإذا أردنا أن نضع بعض الملاحظات التوضيحية لمزيد من الفهم لهذه المعادلات التارِيخِيَّة الرهيبة وما نستخلصه منها من دُروس عظيمة كي ندرك أسباب الهزيمة ونتلمس مقوّمات النّصر حيث حصل كي يتكرر معنا بإذن الله نجد من ذلك:

١. إن أول ما تطالعنا به هذه المعادلات من حقائق أن خلاصتها أنّنا انتصرنا في المعادلتين (١) و(٢) وانهزمنا في (٣) وانسحقنا في (٤) وواضح تماما أنّنا انتصرنا عندما واجهت الأُمّة عدوها عسكريّاً رغم الفارق الهائل في العدد والعتاد، وفي واقعنا المعاصر الحالي أمثلة متكررة عَلى هذا كما حصل في أفغانستان عندما واجهت الأُمّة عدوها بكامل طبقاتها وتكرر ذلك بشكل جزئي في الشِّيشَان وفي البوسنة رغم أنّنا في زمن الهزيمة والتراجع.

وكذلك توضح المعادلات أنّنا انهزمنا عندما واجهت شريحة محدودة العدوّ ووقفت الأُمّة تتفرج عليها وانسحقنا عندما خرجت معظم هذه الشريحة من المُوَاجَهة بل وانضم قسط

من الأُمّة إلى العدوّ ولم يبق في المُوَاجَهة إلا حفنة قليلة من الجهاديّين، وكأن المعادلات يمكن اختصارها ببساطة بمعادلتين:

أمة الإسْلَام × أمم الكفر ← انتصرنا

نخبة من الأمّة × أمة الكفر + منافقي الأمّة ← انهزمنا

فأول الدُّروس المستفادة من هذه العبرة والمعادلات هو أن علينا أن نعيد الأُمّة إلى المُوَاجَهة بحيث (تعود المُوَاجَهة معركة أمة وليست صراعات نخبة) كما هو حاصل الآن، وأول ما يستلزم هذا أن تقنع النُّخبَة الأُمّة بأن من وقف مع العدوّ ليس منها وإنما من العدوّ ﴿وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ﴾ [المائدة: ٥١] وأن مواجهته من صميم الجِهَاد وليست فتنة.

٢. أن الأُمّة قد تحركت لما توفرت لها المرجعية الشَّرعيَّة القدوة الّتي تحركها في حين لم تستطع الصّحوة ولا نخبتها الجهاديّة أن تشكل مرجعية تقنع الأُمّة بالتحرك معها وأن عَلى أي نخبة ستتصدى للمقاومة أن تعمل عَلى أن تشكل مرجعية تشمل قيادات الجِهَاد وعلمائه ومفكريه ورموزه وأن تلف الأُمّة من حولها.

٣. أن العدوّ قد انهزم أمامنا في ساحات المُوَاجَهة العسكريّة ولكنه انتصر علينا عندما مهد لغزوه بغزو فكري حضاري وفكك البنى التحتية الّتي تولد بذور المُقاوَمة في الأُمّة وأن علينا أن نبدأ بترميم هذه البنية بالإضافة لما يجب من إطلاق المُقاوَمة كما اشرنا آنفا، (راجع / مستويات المُقاوَمة المقدِّمة)

٤. أن اليَهُوْد قد دخلوا الحملات الصّليبيّة الثّانية كعنصر مساعد في الإستعمار القديم، ولكنهم تحولوا إلى طليعة قائدة ومحركة للحملات الصّليبيّة الثّالثة، ويجب علينا أن نواجههم بهذه الصفة ونعطي تدمير طليعتهم إسرائيل وأداتهم أمريكا أولوية تناسب حجم دورهم وخطره في المَرحَلَة القادمة.

٥. تبين المعادلتين (٣) (٤) أن المرتدّين قد حسموا المَعْرَكة لصالح العدوّ الصّليبيّ اليَهُوْدي عمليا، وذلك بخداع الأُمّة بانتمائهم المزيف للمسلمين وهويتهم الوطنيّة المزورة، فيجب عَلى طلائع الجِهَاد والمُقاوَمة وإعلامهم الموجه وقياداتهم المفكرة والمنظرة لمستقبل العمل أن تعيد إبراز دور المحرك الأساسي للمرتدين وهم الصّليبيّون وتحريك المُقاوَمة تجاههم لأن ذلك سيعيد إدخال الأُمّة في المَعْرَكة ويقنعها بقتال المرتدّين تبعا للصليبيين عَلى أنهم جزء من العدوّ الحقيقي والأساسي وأنهم ليسوا أكثر من مجرد ستار له.

٦. تبرز المعادلة الأخيرة دور أمريكا كقوة قائدة للحملات وككتلة رئيسيَّة في الوزن العسكريّ مما يعطي مواجهتها أولوية كبرى كما يلفت النَّظر بفهم التناقضات الداخليَّة داخل الحلف الصّليبيّ وما بين محاوره الثّلاثة (أمريكا – بَرِيطَانيَا / أوربّا الغربيّة / روسيا) إلى ضرورة العمل عَلى فك هذا الحلف والإنفراد بالمحور الصّهيونيّ الأمريكيّ ما أمكن ذلك وسيأتي تفصيل عَلى هذا في النَّظريَّة السّياسيّة من الفَصل الثَّامن إن شاء الله.

٧. من خلال المتابعة نجد أن الشّعوب الأوربية كلها قد وقفت وراء جُيُوشها وملوكها داعمة مؤيدة في الحملات الصّليبيّة الأولى وكذلك في الثّانية، ولكن انتشار مفاهيم التّواصل الحضاري وحركات السَّلام في كثير من شرائح المجتمع الأوروبي وازدياد المعرفة بالإِسْلَام في

أوربّا جعل جماهير غفيرة مليونية العدد تقف موقف المعارضة والشجب لتلك الحملات حتَّى في بَرِيطَانيَا، في حين وقفت الغالبيّة السَّاحقَة من المجتمع الأمريكيّ المتصهين وراء رئيسها الصّليبيّ المتهود بوش وعساكره وهذا أمر يجب التَّفكير فيه ونحن نصيغ نظَرِيَّات الْمُقاوَمة القادمة.

٨. إن نظرة في الصُّورة الأخيرة للمعادلة نجدها قد عادت إلى صيغتها أيّام الإِسْلَام الاولى لتكون:

يهود + نصارى + مشركين + مرتدين + منافقين × المُؤمِنِين المُجَاهدين

وهكذا نعود كما بدأنا، ويعود الإِسْلَام وأهله الْمُؤمِنُون المصابرون غُرَباء كما بدؤوا غُرَباء، فطوبى للغُرَباء من الأولين والآخرين ونسأل الله أن يجعلنا منهم.

٩. الملاحظة الأخيرة، وهي في غاية الأهمّيّة وتشكل ركنا أساسيا في فهم طبيعة صراعنا الحالي ويجب أن تكون ركنا أساسيا من العَقِيْدَة الجهاديّة للمقاومة في هذا الزَّمن وهي الفقرة الهامة التّالية:

دور الْمُنَافِقين من علماء السُّلطَان، والفاسدين من قيادات الصّحوة الإِسْلَاميّة في هزيمة الأُمّة المسلمة وطليعتها الْمُجَاهدة أمام الأَعدَاء:

أمام الحملات الصّليبيّة المعاصرة خلال الإستقلال ولاسيما بعد الحملة الصّليبيّة الأمريكيّة الجَدِيدة.

فكما مر معنا في الفَصل السابق عن كيفِيَّة نشوء مدرسة علماء السُّلطَان في التّاريخ الإِسْلَاميّ منذُ تحول الخِلافَة الرّاشدة إلى الملك العضوض ثمّ الجَبريّ ثمّ قيام حكم الطواغيت، وكيف اتبع الْمُسلِمُون سنن من كانَ قبلهم من اليَهُوْد والنّصَارى، وأصبحت السّلطة فيهم كما كانت عبر التّاريخ في كلّ الممالك الضالة تقوم عَلَى (الحاكم والكاهن والأعوان)، فقد اصطف علماء السُّلطَان عَلَى أبواب سلاطين بني أميه منذُ النصف الثّاني للقرن الأوّل الهجريّ ولم يمض عَلَى وفاة رسول الله ﷺ إلا خمسين سنة، وسجلت لنا أقوال علماء الحقّ الّذين اعتزلوا أبواب الأمراء بعض النّصوص في نهي أولئك والتشنيع عليهم وتحذير العامّة من فسادهم ؟ فقد قام في مقابلة ذاك الفريق التعيس من علماء السُّلطَان

علماء للحق صدعوا به واحتسبوا عَلى الأمراء وقاموا بحق الله في الحكّام والمحكومين، وما زالت هذه الطَّائِفَة تقل في حين تتوسع فرقة علماء السّلاطين مع الوقت وتفسد دورها مع ازدياد وتطور فساد الملك من العضوض إلى الجبرية إلى ملك الطواغيت إلى أن قامت اليَوْم فئة علماء الإستعمار وفقهاء البنتاغون وجهز آلات حرب الأفكار من علماء مكافحة الإِرهَاب تحت قيادة رامسفليد ! ولله الأمر من قبل ومن بعد.

وقد كانَ دور هذه الفئة الخبيثة من علماء السُّلطَان محدودا في تأييد الحملات الصّليبيّة الأولى حيث وقفت الأُمّة ومرجعياتها الدّينيّة في وجه ذلك الغزو الصّليبيّ، واقتصر دور الفاسدين منهم عَلى تأييد الملوك والأمراء الّذين خانوا أمتهم وتعاونوا معهم من أمثال الصّالح اسماعيل أيوب ملك دمشق الّذي والى الصّليبيّين وأدخلهم أسواق دمشق وباعهم السّلاح وملكهم بعض حصون المُسلِمِين وكذلك بعض أمراء الأندلس الّذين تعاونوا مع النّصَارى وملكوهم حصون المُسلِمِين وتعاونوا معهم، وقد ذكرت وثائق التّاريخ طرفا من ذلك من مثل ما قاله الإِمَام ابن حزم الّذي عاش ذلك الحين في القرن الخامس الهجريّ أي الحادي عشر الميلادي، قَالَ ابن حزم عن أمراء الأندلس في زمانه، في كتابه **(التلخيص في وجوه التخليص)**:

[فهذا أمر امتحنا به نسأل الله السَّلامة، وهي فتنة سوء أهلكت الأديان إلا من وقى الله تَعَالَى، لوجوه كثيرة يطول لها الخطاب، وعمدة ذلك؛ أن كلّ مدبر مدينة أو حصن في شيء من أندلسنا هذه، أولها عن آخرها محارب لله ورسوله ﷺ، ساع في الأرض بالفساد، للذي ترونه عيانا من شنهم الغارات عَلى أموال المُسلِمِين من الرعية الّتي تكون في ملك من ضادهم، وإباحتهم لجندهم قطع الطّريق، ضاربون للجزية والمكوس والضرائب عَلى رقاب المُسلِمِين، مسلطون لليهود والنّصَارى عَلى قوارع طرق المُسلِمِين، معتذرون بضرورة لا تبيح ما حرم الله، غرضهم منها استدامة إنفاذ أمرهم ونهيهم.

فلا تغالطوا أنفسكم، ولا يغرنكم الفساق والمنتسبون إلى الفقه، اللابسون جلود الضأن عَلى قلوب السباع، المزينون لأهل الشر شرهم، النّاصرون لهم عَلى فسقهم.

فالمخلص لنا منها ؛ الإمساك بالألسنة جملة وتفصيلا إلا عن أمر بالمعروف أو نهي عن المُنكر وذم جميعهم، والله لو علموا أن في عبادة الصلبان تمشية لأمورهم لبادروا إليها، فنحن نراهم يستمدون النّصَارى، ويمكنون لهم من حرم المُسلِمِين، وربما أعطوهم المدن والقلاع طوعا، فأخلوها من الإِسْلَام وعمروها بالنواقيس.

لعن الله جميعهم وسلط عليهم سيفا من سيوفه، فمن عجز عن ذلك رجوت أن تكون التقية تسعه، وأن ينكر بقلبه، هذا مع أنه لو اجتمع كلّ من ينكر بقلبه لما غلبوا عَلى أمرهم] [(١)] أهـ.

وهكذا لم يغفل الاستعمار الصّليبيّ الّذي قاد الحملات الصّليبيّة الثّانية منذُ القرن السَّابع عشر وإلى منتصف القرن العِشرين دور هذه الشريحة الخبيثة في إسناد احتلاله وإجهاض المُقاوَمة وتجفيف جُذُورها في الأُمّة، فكما لم يهمل ملوك وسلاطين المُسلِمِين في تلك الحقبة دورهم في تركيع الشّعوب واستعبادهم وانتزاع طاعة النّاس لهم، لم يهمل المُستَعمر ذلك، فقد استطاع الإنجليز في كلّ مكان احتلوه من العالم الإِسْلَاميّ تجنيد بعض العُلَماء و، بعض الصوفية أئمة الطرق لهم في مصر والسُّودَان وشبه القارة الهندية وغيرها، فقد كتب (كرومر) المندوب البريطاني المشرف عَلى استعمار مصر كثيرا من الرّسائل إلى محمّد عبده (شيخ الأزهر) في حينها وأثنى عليه وعلى تعاونه، ولما مات محمّد عبده كتب (كرومر) إلى حكومته ينعي فيه أخلص أصدقاء بَرِيطَانيَا في مصر!! حيث كانَ لمحمّد عبده وأستاذه الأفغاني من قبل دورا بارزا في حركة التغريب والغزو الفكريّ في أوساط المُسلِمِين بل وصل الحد إلى أن يكونوا أعضاءا في أول محفل ماسوني في الشّرق الأوسط !!

بل ذهب الإنجليز لأبعد من استخدام علماء السُّلطَان، فلقد استحدثوا مذاهب جديدة من العدم وأوجدوا لها ملايين الأتباع مع الوقت في شبه القارة الهندية مثل مذهب القاديانية، والبهائية وسواها، الّذي كانَ أهمّ أهداف استحداثه أنه يسقط الجِهَاد ضدّ الإنجليز، كما استطاعت فرنسا تجنيد بعض علماء الشّام وشمال إفريقيا وأئمة بعض الطرق الصوفية الّذين أفتوا بأن (فرنسا قدر الله)، ومن يحاربها فهو كمن يحارب قدر الله ويرفض ما قدر وكتب عَلى المُسلِمِين!

(١) رسائل ابن حزم : رسالة التلخيص لوجوه التخليص (٣/ ١٧٣)

كما لعب بعض علماء المُسلِمِين وشيوخ الطرق في وسط آسيا والممالك الإِسْلَاميّة في القفقاس وما حولها دورا بارزا في النِّفَاق للقياصرة وللثورة البلشفية وللينين ولستالين ذاته، والوثائق متوفرة لمن أراد جمعها وليس هنا محل الاستقصاء.

فلما رحل الإستعمار وقامت الحُكُومَات الوطنيّة والأحزاب السّياسيّة المحليَّة صار لكل حزب شيوخ وعلماء دين في حملاتهم الانتخابية وقوائمهم من المرشحين، وصار لكل حكومة منذُ ذاك الوقت وزراء أوقافها ومراجع إفتاء تنافق لها، ومما نذكره في سوريا أن (أحمد كفتارو) وزير الأوقاف الحالي وطيلة حكم النصيرية في سوريا منذُ ١٩٧٠ وإلى اليَوْم (أي طيلة عهد حافظ أسد وابنه بشار)، كانَ سنة ١٩٥٤ يقود الحملة الانتخابية (لخالد بكداش) مؤسس الحزب الشُّيُوعِيّ السّوري واللبناني، الّذي أدخل الإلحاد والشُّيُوعِيّة إلى بلاد الشّام، فقد قاد حملته الانتخابية في المساجد! في مُوَاجَهة الحملة الانتخابية للإخوان المُسلِمِين ومرشحها الدكتور مصطفى السباعي رحمه الله، فقد كانَ يخطب اثر صلاة الجمعة في المَسجِد الأموي ليثني عَلى خالد بكداش الّذي يصلي سنة الجمعة البعدية ثمان ركعات! فيما ينتظر النّاس والشَّيْخ فراغه من النوافل حتَّى يبدؤوا الحملة الانتخابية، فتأمل !! وهكذا كانَ لحزب البعث علماء سلطة في سوريا حتَّى وقف الشَّيْخ الدكتور العلامة (سعيد رمضان البوطي) في محاضرة في استانبول في تركيا يقول لما سألوه عن مذبحة حماة الّتي راح ضحيتها زهاء ٥٠ ألف مسلم من الشعب المسلم السني عَلى أيدي الجيش النصيري وقائده حافظ أسد، قَالَ البوطي: [لقد تترس بهم المجرمون (يقصد المُجَاهدين لما انتفضت المدينة مع المُجَاهدين) فحل لولي الأمر أن يقتلهم)! ومشاهد البوطي كثيرة يطول ذكرها هنا حتَّى كانَ آخرها أنه أم صلاة الجنازة عند موت حافظ أسد وخنقته الدموع وهو يدعو رافعا صوته لينقل التلفزيون الرسمي دعاءه (الجهري!) في صلاة الجنازة فقال: (اللّهم إنا – أي هو ومن يصلي خلفه من الإستخبارات وكبار النصيرية والبعثيين – أنه – أي حافظ اسد– قد لقيك يشهد أن لا إله إلا أنت وأن محمّدا عبدك ورسولك اللّهم اجمعنا (أي الحفل الكريم وإمامهم البوطي) معه في الفردوس الأعلى !! وللبوطي هذا صولات وجولات في دعم الحُكُومَات اللبنانية (النّصرانية) والأردنية (الماسونية) وبعض حُكَّام دول الخليج، وكان له مقام رفيع في الندوة

الحسنية عند الملك الحسن الثّاني في المغرب، وكتاب البوطي العجيب (الجِهَاد كيف نمارسه وكيف نفهمه) الّذي توصل فيه إلى أن المُجَاهدين للحكام في هذا الزّمان ليسوا شهداء حق ولا بغاة حتَّى!! وإنما مفسدون في الأرض حكمهم أن يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو ينفوا من الأرض !، وكان من آخر مآثره وقوفه بشراسة مع حكومة الجَزَائِر ضدّ الانتفاضة الجهاديّة الرائدة في الجَزَائِر قبل أن تستولي الاستخبارات عَلى قيادتها وتصبغها بالتكفير! ولم يعجبه ولا حتَّى الجبهة الإِسْلَاميّة للإنقاذ فحمل عليها واعتبرها خارجة عَلى الحكومة الشَّرعيَّة!!

وفي مصر كانَ لعبد النّاصر في مصر بعض شيوخ الأزهر الّذين أفتوه بقتل سيد قطب وإخوانه وبعدم جواز توبتهم بعد أن قدر عليهم، وكان للسادات من بعده في مصر فُقَهَاء للتطبيع والسَّلام مع اليَهُوْد مثل الشَّيْخ الشعراوي الّذي كتب القصائد في مدح فاروق ثمّ كتب الشعر في الثناء عَلى إنقلاب عبد النّاصر ضدّ الملك فاروق ! وامتدح الأخير! ثمّ أَلَّه السادات وكان هو الّذي رد عَلى من عارض السادات بعد زيارته الخيانية للقدس بقوله بأن الرَّئيس هو بمنزلة من لا يسأل عن ما يفعل وهم يسألون!! فأنزله منزلة الرب سُبحَانَهُ وتَعَالَى عما يجحد الجاحدون ! ثمّ نافق الشعراوي لمبارك حتَّى قبيل أن يلتئم عليه قبره بأيّام في واقعة مشهودة، وهو الّذي قرأ البيان الّذي وقع عليه ستة من العُلَماء منهم شيخ الأزهر ومفتي الدّولة ووزير الأوقاف والشَّيْخ محمّد الغزالي والشَّيْخ القرضاوي وجاء فيه أن ما يجري من أعمال عنف ضدّ الحكومة ليس جِهَادا وإنما إرهابا محرما وقالوا بالحرف: (ذلك بأننا لا نعلم بأن حُكَّام مصر قد ردوا لله حكما) ! وكان ذلك في عهد حسني مبارك الّذي ورث العرش الفرعوني فورث معه من ضل من سحرة مصر وكهانها، فلم يرو أنه رد لله حكما في (مصر) ! البلد المسلم الّذي تدفع فيه العاهرات ضريبة الدخل بموجب القانون لوزارة المالية باعتبارهن من مرافق السياحة!!وأما سلسلة الطنطاويات من فتاوى شيخ الأزهر الأخير (سيد طنطاوي) فأشهر من أتذكر وأكثر من أن تحضر، وكان آخرها دعمه لفرنسا في منع المسلمات من لبس الحجاب!

كما كانَ لآل سعود في السّعُودِيّة هيئة كبار العُلَماء والدّعوة والإرشاد، والقضاء الأعلى وغيرها من المؤسسات الدّينيّة الرَّسميَّة الّتي كانَ لها مآثرها منذُ أَسَّسَها الملك فيصل، وقل مثل ذلك عن علماء

المغرب الأقصى الّذين يركعون ويسجدون للملك ويتعذرون بدعوى سجود الملائكة لآدم وأنه سجود شكر وليس سجود عبادة وكيف لا يسجدون كما سجد الملائكة لآدم والملائكة خير منهم والملك من أولاد آدم – عَلى الأرجح – !

ولا ننسى شهادة أبو شقرة العالم (السلفي) في الأردن، الّذي قَالَ أنه نظر في حال الأُمّة فوجد أن مجدد القرن الخامس عشر الهجريّ هو جلالة الملك الحسين المعظم حفظه الله، ولا ندري كيف حلّ الإشكال مع علماء السّعُودِيّة الّذين عقدوا مؤتمرا في الذكرى المئوية لدخول الملك عبد العزيز الرِّيَاض مع أعوان الإنكليز ووجدوا أن المجدد هو الملك عبد العزيز آل سعود! وهكذا قل مثل ذلك عن كافّة الدّول العربيَّة والإِسْلَاميّة وموقف علماء السُّلطَان مع ملوكهم ورؤسائهم وأمرائهم وعن تسويغهم لحكمهم بغير ما أنزل الله وما يسومون النّاس به من العذاب والمكوس وصولا إلى موالاتهم لليهود والنّصَارى.

ولكن الأنكى من الدَّور البشع الّذي لعبه علماء السُّلطَان إلى جانب حُكُومَات الطواغيت والحملات الصّليبيّة الثّانية والثّالثة، هو الدَّور المفاجئ الّذي لعبه بعض الفاسدين من قيادات الصّحوة الإِسْلَاميّة ذاتها، فإذا كانَ العُلَماء المنافقون قد لعبوا دور مفتي السوء إلى جانب السّلطة، فقد دخل بعض قيادات الصّحوة أولئك في السّلطة ذاتها وصاروا من أركانها بدعوى المصلحة وفن الممكن، كما سنرى في الفَصل القادم إن شاء الله، وهكذا وبصفتهم يمثلون الدّين والعمل الإِسْلَاميّ وينتمي بعضهم إلى قطاع العُلَماء، فتكامل البلاء بهم ليكوّنوا مع علماء السُّلطَان والمؤسسة الدّينيّة الرَّسميَّة عكاز الكهانة إلى جانب الحكَّام.

ولكن الدَّور الأخبث لطائفة علماء السُّلطَان برز مع قدوم الحملات الصّليبيّة الثّالثة بقيادة أمريكا منذُ ١٩٩٠ عَلى الشّرق الأوسط، فلما زحفت إلينا جحافل الأمريكان والأوربيين وحلفائهم المرتدّين وعساكرهم، تولى علماء السُّلطَان وفقهاء الضلالة والفاسدين في الصّحوة كسح الألغام أمام تلك العساكر وتحطيم أي إمكانية مقاومة قد تنشأ ونزع غطاء الشَّرعيَّة عنها سلفا، وقد تولى تنظيم ذلك النّظام الحاكم في السّعُودِيّة وجهازه الدّيني الّذي بادر إلى إطلاق فتاوى جواز الاستعانة بالكفار

للضرورة من قبل أولياء الأمور الشَّرعيين وإضفاء الشَّرعيَّة عَلى ما حصل، وبذلك قطعوا الطَّريق عَلى من يفكر بالجِهَاد، وشكل مؤتمر مكّة ١٩٩٠م الّذي دعي له ٤١٣ شخصية من كبار علماء المُسلِمِين وقيادات الصّحوة والرموز الدّينيّة من كافّة دول العالم الإِسْلَاميّ الثمانية والخمسين، وحضر منهم ٣٩٨ شخصية، فأصدروا بيانا ختاميا شرع للوجود الأمريكيّ والتّعاون معه ضدّ العراق بصفتها استعانة شرعيّة، ثمّ تتالى البلاء لتصدر الفتاوى من السّعُودِيّة بجواز التطبيع مع اليَهُوْد حيث تولى مفتي الدِّيَار الشَّيْخ ابن باز إصدار الفتوى الّتي لا يعبر عن مدى فداحتها إلا أن نعلم أن (بيريز) رئيس وزراء إسرائيل في حينها لما ذكرها أمام أعضاء الكنيست وقفوا يصفقون لها وأثنى (بيريز) عَلى الشَّيْخ المعتدل ودعا شباب المُسلِمِين لإتباع آراء هذا الشَّيْخ الجليل وعدم السعي وراء آراء أمثال حزب الله المتطرف، فتأمل إلى أين وصلت الفتنة والبلاء!

وعلى مدى عقد أسود من الزَّمن (١٩٩٠/ ٢٠٠٠) تولى الجهاز الدّيني الرسمي وعلماء السُّلطَان وعملاء الصّحوة الإِسْلَاميّة في السُّلطات المرتدّة الحاكمة وبرلماناتها ووزاراتها مكافحة التّيار الجهاديّ جنبا إلى جنب مع مشروع مكافحة الإِرهَاب الّذي قادته أمريكا وانعقدت من أجله عشرات المؤتمرات الأمنيّة في العالم وفي بلاد العَرَب والمُسلِمين، مما أدى إلى تشريد الجهاديّين وتمزيقهم شر ممزق.

ولما قامت دولة الشّريعة في أفغانستان عَلى يد طالبان (١٩٩٤/ ٢٠٠١) تولت هذه المرجعيات الدّينيّة العميلة إسقاطها جنبا إلى جنب مع الجهود الأمريكيّة الصّليبيّة بدافع من حكامهم، وحتى في المسائل الصارخة الحساسية لم يستحِ أولئك العُلَماء والقادة العملاء أن يسدوا خدماتهم الجليلة تلك، ومن أوضح وأفظع الأمثلة عَلى ذلك أنه لما اتخذ أمير المُؤمِنِين في أفغانستان (ملا محمّد عمر) قرارا بهدم الأصنام الأثرية العملاقة لبوذا، هرع فريق من هَؤُلَاءِ العُلَماء ورموز الإِسْلَام، وكان عَلى رأسهم الشَّيْخ القرضاوي إلى أفغانستان بدفع من حكامهم المدفوعين من أسيادهم، بتحريك من المنظمات الصّليبيّة الدّولية، للحيلولة دون هدم الأصنام !وكانت فضيحة للجهاز الدّيني الرسمي في العالم العربيّ والإِسْلَاميّ ولاسيما في السّعُودِيّة ومصر، الّذين اتخذوا من تلك الفعلة المجيدة لطالبان قضية لتشويههم

والعمل عَلى إسقاطهم، وهو ما حققته أمريكا أواخر ٢٠٠١ بمشاركة فعالة من حكومة باكستان ودول الخليج وهياكلها الدّينيّة المنافقة.

ولما قامت بعض الأعمال الجهاديّة المحدودة بعيد حرب العراق الأولى ١٩٩١ وإلى سنة ٢٠٠٠م ضدّ الصّليبيّن الغُزَاة، أصدرت هيئة كبار العُلَماء أقبح الفتاوى بالحكم عَلى المُجَاهدين بالإفساد في الأرض وأن عقابهم القتل والقطع والنفي، فدعوا النّاس لحربهم وتوعدوهم بعدم دخول الجنّة الّتي صارت ملكا لباباوات المُسلِمِين القابعين في السّعُودِيّة يوزعون أملاكها عَلى النّاس، ويحددون من يروح ريحها ومن لا يروح، كما فعل باباوات النّصَارى في العصور الوسطى!

ولما جاءت أحداث سِبتَمبر ٢٠٠١ وتذرعت بها أمريكا وزحفت عَلى أفغانستان وأسقطت الإمارة الشَّرعيَّة فيها ثمّ أطلق جورج بوش حملته الصّليبيّة تحت شعار مكافحة الإِرهَاب، هب الهيكل المنافق من علماء المُسلِمِين وكثيرون من قيادات الصّحوة لينضموا إلى تلك الحملة بكل جدارة وإخلاص وتفاني.

ويكفي كي يمتلئ القلب حزنا والنّفس كمدا أن تتابع البَرَامج الدّينيّة وخطب الجمعة عبر الفضائِيَّات اليَوْم من المَسجِد الحرام إلى المَسجِد النبوي إلى المَسجِد الأزهر إلى كبريات المساجد في عواصم بلاد العَرَب والمُسلِمين لتشهد الدَّور الرائد الّذي تؤديه المؤسسة الدّينيّة الرَّسميَّة وما تقدمه من خدمات جليلة لأمريكا، حتَّى أصبح لبَرَامج مكافحة الإِرهَاب وصب جام الغضب والتضليل والتهمة بالانتماء للخوارج وعِصَابات الإجرام والمخدرات، عَلى كلّ من تسول له نفسه مقاومة أمريكا في غزوتها الصّليبيّة ومقارعة حُكَّام بلادنا المرتدّين الّذين يقودون طلائع حملتها، ولا يتسع المكان للشواهد هنا وقد جمعت كثيرا منها مع مسودات بحث كنت أعده قبل سقوط كابل وكان بعنوان **(الفرقان بين علماء الرَّحمٰن وعلماء السُّلطَان)** ونماذجهم منذُ علماء بني أمية إلى فُقَهَاء البنتاغون اليَوْم، وأسأل الله أن يعينني عَلى جمعه مرّة أُخرى وإخراجه.

وألخص الدَّور الّذي لعبه وما يزال يلعبه علماء السُّلطان والفاسدون من قيادات الصّحوة إلى جانب الحملات الصّليبيّة الحديثة في أربعة أهداف أساسية بالإضافة لخامس أشد شرا منها عَلى المدى البعيد وهذه الأهداف هيَ:

١- الحكم بإسلام الحكّام المرتدّين الحاكمين لبلاد العَرَب والمُسلِمين رغم تشريعهم من دون الله وحكمهم بغير ما أنزل الله وولائهم للأعداء الكفرة وسهرهم علىَ مصالحهم والقتال دفاعا عنهم إلى جانب عساكرهم وتحت قيادتهم، فضلا عما يرتكبوه من ألوان الكفر والفساد واعتبار كلّ ذلك فسوقا وظلما لا يعدوا أن يكون كفرا أصغرا لا يخرجهم من ملة المُسلِمِين، وبالتالي الحكم بشرعيتهم كأولياء أمور لهم علىَ الرعية المسلمة كافّة حقوق الطاعة والوَلاَء والتّعاون.

2- الحكم بمشروعية الإحتلال الصّليبيّ الأمريكيّ وغيره لبلاد المُسلِمِين بدعوى أن ذلك استنصارا مشروعا بهم تبرره الضَّرورة، والإفتاء بمشروعية التطبيع مع اليَهُوْد، وإسباغ الشَّرعيَّة علىَ احتلال فِلَسطِين بدعوى أن كلّ ذلك قد تمَّ بموجب اتفاقيات ومعاهدات سياسيّة وعسكريّة واقتصاديَّة تمت بين الكفّار وأولياء الأمور الشَّرعيين، بما فيهم عرفات وسلطته صاحبة أوسلو ومدريد وخارطة الطّريق.

3- تحريم المُقاوَمة للمحتلين الصّليبيّين واليَهُوْد، بوصفها إرهابا للمستأمنين والمعاهدين، وخروجا علىَ أولياء الأمور الشَّرعيين، وسحب الشَّرعيَّة بذلك عن أي شكل من أشكال جِهَادهم.

4- الحكم علىَ المُجَاهدين والمقاوميين بأنهم مفسدون في الأرض، وإباحة قتلهم وسجنهم وتعذيبهم ومطاردتهم من قبل أولياء الأمور(المُسلِمِين!) (الشَّرعيين!) وأسيادهم (المستأمنين!) و(المعاهدين!) الّذين صاروا بكامل عتادهم ومئات آلاف من جنودهم وطائراتهم وقنابلهم الذكية وصواريخهم المدمرة (ذميين!)، وتحريم خفر ذمة ولي الأمر الّذي أمنهم وجاء بهم من أجل مصلحتنا ونصرتنا! فكيف يخيفهم الإرهَابيون!!

5- أما الخامسة الفاجعة الأخبث من كلّ هذا والأبعد أثرا في تحطيم جُذُور الإسْلاَم والمُقاوَمة عند المُسلِمِين؛ فهو ما يقوم به علماء النِّفَاق وفقهاء البنتاغون والقيادات الفاسدة في الصّحوة من إفساد عَقِيْدَة المُسلِمِين بدعوى

(الوسطيّة) و(الإعتدال) و(الإسْلاَم العصري المنفتح) و(حوار الحضارات) و(الشفافية) و(الحكمة في الدّعوة) و... و...وغيرها من الشعارات الزائفة الّتي يتم عبرها (أمركة الإسْلاَم) اليَوْم.

وقد تولت الفضائِيَّات الّتي تنتشر سمومها القاتلة انتشار السرطان في جسد الأمّة وكذلك أجهزة الإعلام والنشر الأخرى هذه الدعاوى الّتي أصبح الإعراض عليها جريمة تدل علىَ أن صاحبها من الإرهَابيون! ويأخذ عليها بالنواصي والأقدام، وأقل عقوباتها الإعدام.

وهذا البند موضوع يستأهل أن تكتب فيه الكتب الكثيرة لغزارة مادته وكثرة شواهده وليس كتابنا محل ذلك، فحسبنا الله ونعم الوكيل فقد اتسع الخرق عَلَى الراقع، بل تاه المرقعون وسط مئات الخروق الّتي تغوص الأُمّة في أنحائها والله المُستَعان.

وهناك حالة خاصّة من بين كلّ أجهزة السحرة والكهان وعلماء السُّلطَان في كافّة أنحاء العالم العربيّ والإِسْلاَميّ تستأهل الوقوف معها بشكل منفصل لخصوصيتها وخطرها وهي:

****

المؤسسة الدّينيّة الرَّسميَّة للمملكة العربيَّة السّعُودِيّة ودورها إلى جانب الحملات الصّليبيّة الثّالثة:

يحتاج الحديث عن هذه المؤسسة الخبيثة المتشعبة العريقة، ودورها الشيطاني في حرب الله ورسوله والمُؤمِنِين إلى مجلدات مستقلة، ويا ليت كانَ بإمكاني توفير الوثائق والمراجع عن نشأتها وفتاويها ورصيدها في عالم النِّفَاق، لتفرغت إذا لإخراج هذا السفر الهام، وأسال الله أن يقيض لذلك أقلاما للحق من أهل بلاد الحرمين ذاتهم من يقوم بذلك وهم أدرى ولا شَّكَّ بشعابها فهناك مواضيع عظيمة يجب التحقيق فيها قد قامت بها الحكومة السّعُودِيّة عبر هذه المؤسسات الدّينيّة الرَّسميَّة وأذكر من ذلك بالعناوين لمن أراد البحث والتحقيق ملفات مثل: دور السّعُودِيّة في (تدمير الجِهَاد الأفغاني ومطاردة المُجَاهدين الأفغان العَرَب) (تدمير الجِهَاد العربيّ في البوسنة) (حصار المُجَاهدين العَرَب وإخوانهم في الشِّيشَان) ودعم روسيا واعتبار المسألة الشِّيشَانية شأن داخلي روسي – كما صرح مؤخرا ولي العهد السّعُودِيّ عبدالله بن عبد العزيز أثناء زيارته لموسكو سِبتَمبر٢٠٠٣ – وكذلك (دورها في اختراق وتوظيف الأقليات الإِسْلَاميّة في العالم) (دورها في اختراق وتوظيف الجاليات الإِسْلَاميّة في المهجر) (دورها في إسقاط الإمارة الإِسْلَاميّة في أفغانستان) (دورها في حرب العراق الأولى والثّانية) (دورها في مكافحة التّيار الجهاديّ ضمن حملة مكافحة الإِرهَاب) (دورها في دعم الأنظمة العربيَّة الّتي تعرضت للمُوَاجَهة من قبل حركات جهاديّة مثل ما حصل في سوريا والجَزَائِر)، والقضايا كثيرة ودور هذه المؤسسة الدّينيّة وتاريخها وإنجازاتها بحث يطول ولكن وللفائدة وعلى سبيل النبذة ألفت النَّظر إلى نقاط مختصرة:

- بدأ تكون نواة هذه المؤسسة الدّينيّة منذُ عهد الملك عبد العزيز الّذي استطاع أن يضحك عَلى لحى بعض الطيبين في نجد ويقنعهم بأنه جاء ليجدد دعوة الشَّيْخ محمّد بن عبد الوهاب ﵀، فلما اكتشف (الإخوان) خدعته وواجهوه، بعد أن نصبه الإنجليز سلطانا عَلى نجد والحجاز، أبادهم في معركة (السبيلة) بتعاون من الإنجليز حيث انقسم الإخوان عَلى أنفسهم، ووقف بعضهم معه بدعوى أنه ولي الأمر، ومن هناك كانت البداية.

- تولت المؤسسة الدّينيّة الّتي لم تكن قد تبلورت بعد بالتّعاون مع أمراء الأسرة بعد عبد العزيز خلع سعود وتنصيب الملك فيصل ولي أمر جديد، فكان من باكورة أعمال هذا الداهية (مؤسس العلمانيّة في السّعُودِيّة) أن قنن لهذه المؤسسة وجعلها رسمية فتأسست مع الوقت (**هيئة كبار العُلَماء**) وهيئات ومؤسسات أُخرى مثل(**الدّعوة والإرشاد**) و(**الأمر بالمعروف والنهي عن المُنكر**) و(**هيئة القضاء الأعلى**).... إلخ. **وتمت هندستها ليقوم مفتي الدِّيَار عَلى رأسها وليتكون أول (فاتيكان) حقيقي للمسلمين يرأسه (بابا) للمسلمين، سعى السّعُودِيّون بقوة (البترو دولار) وحرمة الحرمين أن يفرضوه عَلى العالم العربيّ والإِسْلَاميّ، ونجحوا في ذلك إلى حد بعيد**، وساعد عَلى ذلك الشق الخارجي من المؤسسة الدّينيّة السّعُودِيّة الّتي جاء في طليعتها (**رابطة العالم الإِسْلَاميّ**) و(**الهلال الأحمر السّعُودِيّ**) و(**الندوة العَالَمِيّة للشباب الإِسْلَاميّ**) و(**هيئة الإغاثة العَالَمِيّة**) وغيرها من المؤسسات الرَّسميَّة بالإضافة إلى عشرات المؤسسات الدعوية الخيرية الأهلية غير الحُكُوميّة – نظريا – وقد مكنت الميزانيات المليارية وتأثير الحرمين وما أسبغته عَلى ملوك السّعُودِيّة وعلمائها من شرعيّة ومرجعية، مكنتها من أهدافها الّتي رسمت بعناية في لندن وورثتها من بعد واشنطن ونفذتها الرِّيَاض بكل حذاقة، ومع الوقت وتوالي الملوك بعد فيصل زاد فساد هذه المؤسسة الدّينيّة ولاسيما بعد وفاة عالمها الّذي حاول الإصلاح محمّد بن ابراهيم آل الشَّيْخ رحمه الله الّذي اكتشف بدايات الكفر والضلال في المؤسسة الحاكمة واصطدم معها برسالته القيمة (تحكيم القوانين) ورسائله مشهورة إلى أمراء آل سعود، ثمّ عاجلته المنية قبل أن يحقق شيئا، ثمّ تأصل الإنحراف في عهد خلفه **الشَّيْخ عبد العزيز بن باز**، والركن المتين الآخر **الشَّيْخ ابن عثيمين** الّذي شكل مع مفتي الدِّيَار الركيزة الأساسيّة لشرعيّة آل سعود والجبهة الأمامية في ترقيع سوآتهم، ثمّ خلفهم الأسوأ من ذلك بعد أن أفضيا إلى ما قدما، واستلم راية الكهانة في بلاد الحرمين الشَّيْخ **عبد العزيز آل الشَّيْخ** سنة ٢٠٠٠، وبقية الأعوان من (آلات) الشَّيْخ و(ماكينات) الملوك!

وقد ساعد عَلى نجاح هذه المؤسسة عوامل عدّة كانَ في طليعتها:

١. استغلال المرجعية الدّينيّة للحرمين ووجودهما تحت حكم آل سعود.

٢. الميزانية المالية الهائلة الّتي صرفت لعمل ونشاطات هذه المؤسسات.

٣. الميزانية الهائلة الّتي صرفت عَلى الدعاية لهذه المؤسسات ورجالاتها وعلمائها وإنجازاتها حتَّى زرعت في عقول المُسلِمِين وواقعهم في كلّ العالم العربيّ والإِسْلَاميّ.

٤. وجود كم هائل من الدعاة المخلصين والعاملين للدعوة والإِسْلَام بكل تفاني خدموا في هذه المؤسسات من باب إيصال الخير لأهله والتّعاون عَلى البر والتقوى غير واعين للنتيجة النّهائيّة ومن سيحصد ثمرة الجهود من آل سعود ثمّ الصّليبيّن واليَهُوْد.

٥. استغلال الهويّة السّلفيّة والمذهب الوهابي عَلى صاحبه رحمة الله والّذي انتشر وصار له قواعد وقبول في أوساط الصّحوة ولا سيما الجهاديّة منها في العالم العربيّ والإِسْلَاميّ وما مارسته هذه المؤسسات من طباعة الكتب وتوزيع النشرات الّتي تحمل العَقِيْدَة السّلفيّة وغيرها من العلوم وما فيها من الخير، وما لقيه هذا العمل من القبول في العالم الإِسْلَاميّ، إلى أن وجدت الحكومة السّعُودِيّة نفسها مؤخرا متورطة في حمل عبىء رسالة الدّعوة الوهابية الّتي شكلت أساسا في قاعدة فكر أكثر جماعات التّيار الجهاديّ المعاصر مما أوقعها هذه الأيّام في أزمة حقيقية مع أمريكا فقررت بإكراه منها محاربة هذه الهويّة فجأة بعد أحداث سِبتَمبر عندما اكتشف الأمريكان مصيبتهم في عَقِيْدَة الوَلَاء والبَرَاء عند المُسلِمِين والّتي ركزت الدّعوة الوهابية عليها جدا.

- المشكلة الحقيقيَّة الّتي سببتها هذه المؤسسة السّعُودِيّة للأمة الإِسْلَاميّة والعربيَّة عموما هو أن كافّة مؤسسات وشخصيات علماء السُّلطَان في عموم بلاد العَرَب والمُسلِمِين يقتصر دورها المخرب ونفاقها عَلى الإطار المحلي ويتسع جزئيا بما يتناسب مع حجم دولتها وقوة حكومتها ودورها الإقليمي، إلا المؤسسة السّعُودِيّة، فإنه وللأسباب آنفة الذكر يتعدى ضررها ليشمل كافّة العالم الإِسْلَاميّ حيث صار لها مرجعية مقبولة في كلّ البلاد، وذلك بسبب التداخل

المربك الّذي حصل بينها وبين الصّحوة الإِسْلَاميّة المباركة الّتي نشطت في السّعُودِيّة وصار لها علماؤها ودعاتها خلال العقدين الأخيرين من القرن العِشرين(١٤٠٠-١٤٢٠ هجرية) وكانت المشكلة أن تلك الصّحوة خرجت من رحم تلك المؤسسة الدّينيّة الرَّسميَّة وتخرجت عَلى علمائها وتورط كبار الدعاة المخلصين فيها، في نحت الأصنام العظيمة من رموز المؤسسة الدّينيّة تلك وعلى رأسها سيئا الذكر ابن باز وابن عثيمين اللذان لعبا دورا مشينا إلى جانب الحملات الغازية والحُكُومَات العميلة القائمة في السّعُودِيّة وغيرها، حتَّى ضج من بلاء هذه المؤسسة الكهنوتية كبار قادة المُجَاهدين والدعاة في السّعُودِيّة ذاتها، بعد أن أفتت بزج خيارهم وكبارهم في سجون آل سعود وقضت بتوجيهات من نايف بن عبد العزيز بمنع المئات منهم من التدريس والخطابة.

- لقد تعمقت أزمة المُسلِمِين مع هذه المؤسسة عندما التبس أمرها وأمر علمائها وفتاويها المناصرة للاستعمار وعملائه، المحاربة للجِهَاد والمُجَاهدين وكل من فكر في المُقاوَمة، بسبب أن التّيار الجهاديّ المعاصر كما أسلفت قد استند في كثير من أساسِيَّات فكره ومعتقداته ولاسيما في اعتماد فقه الدليل وأصول الوَلَاء والبَرَاء وكثير من أساسِيَّات العَقِيْدَة إلى نفس المدرسة الفكريّة العقدية (السّلفيّة) الّتي تتاجر بها المؤسسة الدّينيّة السّعُودِيّة، ويتبناها كثير من الدعاة الطيبين الّذين تداخل نشاطهم معها، مما جعل شرائح كبيرة من رواد الفكر الجهاديّ داخل المملكة وخارجها يكنون الكثير من الاحترام والتبجيل لهذه المراجع، فكان أثر ذلك بالغ السوء عَلى أوساط الجِهَاد، وتعرض المدركون لواقع حال هذه المؤسسة إلى صدامات وجدل عنيف داخل أوساط الجهاديّين وإلى الكثير من العنت وهم يحاولون كشف زيف هذه المؤسسة، وهكذا حاربت هذه المؤسسة الجِهَاد والمُجَاهدين داخل المملكة وخارجها وكان لها أثرا سيئا عَلى الجِهَاد في عدد من البلاد العربيَّة والإِسْلَاميّة ودورا في حصار الإمارة الإِسْلَاميّة وإسقاط طالبان، وفي الحملة عَلى الجِهَاد والمُجَاهدين الدّائرة بقيادة أمريكا تحت شعار الحَرب العَالَمِيّة في مكافحة الإِرهَاب، وتقف اليَوْم بالمرصاد لأعمال الجِهَاد والمُقاوَمة ضدّ الأمريكان في

السّعُودِيّة، ولاسيما بعد الهجمات المظفرة الّتي قامت في شهر مايو(٢٠٠٣) عندما نسف استشهاديون سعوديون المساكن الفاخرة لأسر العسكريّين الأمريكان والعاملين في استخباراتهم في الرِّيَاض.

- ويكفي استطلاع بسيط لوسائل الإعلام السّعُودِيّة من صحف ومجلات وإذاعة وتلفزيون لترى سيل الفتاوى والمقابلات مع عشرات العُلَماء من المؤسسة الرَّسميَّة وغير الرَّسميَّة وقد اصطف كلهم ليكيلوا الشتائم والتهم البَاطِلة للشباب المُجَاهد مستغلين بعض أخطائهم، ويكيلوا المديح وعبارات الوَلَاء للنظام الإِسْلَاميّ الأوحد في الدُّنيَا الّذي يقوم عَلى الشّريعة الإِسْلَاميّة كما يزعمون! وليملؤوا الدُّنيَا ضجيجا بحقوق الكفّار والمعاهدين ويلبسوا الحقّ بالبَاطِل وهم يعلمون.
- وقد أثارت المواقف المخزية للمؤسسة الدّينيّة الرَّسميَّة في السّعُودِيّة حفيظة المُجَاهدين والعُلَماء المخلصين والشرفاء من أبناء الجَزِيرَة وصرحوا بذلك في كثير من الأدبيات والبيانات.
- **قد جمعت بعض ذلك مما أصدره الشَّيْخ أُسَامَة بن لادن حول هذه المؤسسة الدّينيّة وكذلك بعض ما أصدره أحد أبرز المعارضين السّياسيّين للنظام السّعُودِيّ وهو الدكتور سعد الفقيه في كتاب بعنوان (شهادة قادة المُجَاهدين ورؤوس الإصلاح والمعارضة في بلاد الحرمين عَلى علماء السُّلطَان في بلادهم المسماة "سعودية")**
- والرجلان من الثقاة بصرف النَّظر عن رأينا في طريقتهما المتباينتين في مُوَاجَهة النّظام السّعُودِيّ ومؤسساته الدّينيّة وغيرها، وأقتطف من كتابي المذكور شواهد قصيرة من بعض ما قالوه:

جاء في البيان رقم (١١) هيئة النصيحة والإصلاح بتوقيع (أُسَامَة بن لادن) تاريخ ٢٧/ ٧/ ١٤١٥هـ-٢٩/ ١٢/ ١٩٩٤م وهي بعنوان:

رسالة مفتوحة إلى الشَّيْخ ابن باز ببطلان فتواه بالصُّلح مع اليَهُوْد.

[فضيلة الشَّيْخ: لقد أردنا من ذكر ما سبق تذكيركم بواجبكم تجاه الدّين، وتجاه الأُمّة، وتنبيهكم إلى مسؤولياتكم العظيمة، فإن الذكرى تنفع المُؤمِنِين، أردنا تذكيركم في هذا الوقت الّذي انتفش فيه البَاطِل، وعربد المبطلون المضلون، ووئد الحقّ، وسجن الدعاة، وأسكت المصلحون، **والأغرب أن ذلك لم يتم بعلم منكم وسكوت فقط، بل مرر عَلى ظهر فتاواكم ومواقفكم، ونحن سنذكركم - فضيلة الشَّيْخ - ببعض هذه الفتاوى والمواقف الّتي قد لا تلقون لها بالا، مع أنها قد تهوي بها الأُمّة سبعين خريفا في الضلال كي تدركوا معنا ولو جانبا من خطورة هذا الأمر والآثار السيئة المترتبة عليه.**

وإليكم بعض الأمثلة:

١- إن مما لا يخفى عَلى أحد المدى الّذي وصل إليه انتشار الفساد العارم والّذي شمل كافّة نواحي الحياة حيث فشت المُنكرات المختلفة الّتي لم تعد تخفى عَلى أحد، كما فصلت ذلك مذكرة النصيحة الّتي تقدم بها نخبة من العُلَماء ودعاة الإصلاح، وكان من أخطر ما بينوا هو الشرك بالله المتمثل في التَّشريع وسن القوانين الوضعِيَّة الّتي تستبيح الحرمات والَّتي من أشنعها التعامل بالربا المتفشي في البلاد، وذلك من خلال مؤسسات الدّولة وبنوكها الربوية الّتي تزاحم أبراجها مآذن الحرمين وتعج بها البلاد طولها وعرضها، ومما هو معلوم بالضَّرورة أن الأنظمة والقوانين الربوية الّتي تتعامل بها هذه البنوك والمؤسسات مشروعة من قبل النّظام الحاكم ومصدق عليها منه، **ومع ذلك لم نسمع منكم إلا أن تعاطي الربا حرام لا يجوز !! غير مكترثين بها في كلامكم هذا من التلبيس عَلى النّاس، بعدم التفرق بين حكم من يتعاطى الربا فقط وحكم من يشرع الربا ويقننه.**

مع أن الفرق بينهما واضح كبير، فمتعاطي الربا مرتكب لموبقة من أكبر الموبقات، أما مشرع الربا ومقننه فهو مرتد كافر كفرا مخرجا من الملة بعمله هٰذا، لأنه جعل من نفسه ندا لله وشريكا له في التحليل والتحريم - وهذا ما فصلناه في بحث مستقل سينشر قريباً إن شاء الله-.

ومع أن متعاطي الربا غير المنتهي عنه قد أعلن الله ورسوله عليه الحَرب ﴿فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ فَأْذَنُواْ بِحَرْبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ [البقرة: ٢٧٩]، فما زلنا نسمع منكم عبارات الثناء والإطراء لهذا النّظام الّذي لم يكتف بالإدمان عَلى تعاطي الربا فقط، بل شرعه وقننه وأباحه، وقد قَالَ ﷺ «الرِّبَا ثَلَاثَةٌ وَسَبْعُونَ بَابًا، أَيْسَرُهَا مِثْلُ أَنْ يَنْكِحَ الرَّجُلُ أُمَّهُ»(١) صحيح رواه الحاكم.

وقد قَالَ ابن عباس رضي الله عنهما: (فَمَنْ كَانَ مُقِيمًا عَلَى الرِّبَا لا يَنْزِعُ عَنْهُ، فَحَقٌّ عَلَى إِمَامِ الْمُسْلِمِينَ أَنْ يَسْتَتِيبَهُ، فَإِنْ نَزَعَ وَإِلا ضُرِبَتْ عُنُقُهُ)(٢) اهـ (رواه بن جرير بسنده عن ابن عباس)، هذا فيمن يتعاطى الربا فما بالكم بمن يحلل وشرع الربا؟!!

إن ما تتخبط فيه البلاد من أزَمَات اقتصاديَّة وسياسيّة وما انتشر فيها من الجرائم بشتى أنواعها وبشكل مذهل ما هو إلا عقوبة من الله وجزء من الحَرب الّتي أعلنها سبحانه عَلى من لم ينته عن تعاطي الربا ونحوه من المُنكرات والمحق الّذي حكم به عَلى الربا ﴿يَمْحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰاْ وَيُرْبِي ٱلصَّدَقَٰتِ﴾ [البقرة: ٢٧٦].

٢- وحينما علق الملك الصليب عَلى صدره، وظهر به أمام العالم فرحا مسرورا، تأولتم فعله وسوغتموه مع شناعة وفظاعته رغم وضوح أن هذا الفعل كفر، والظَّاهِر من حال فاعله الرضا والاختيار عن علم.

٣- ولما قررت قوّات التَّحالف الصّليبيّة واليَهُوْدية الغازية في حرب الخليج - بتواطؤ مع النّظام - احتلال البلاد باسم تحرير الكويت سوغتم ذلك بفتوى متعسفة بررت هذا العمل الشنيع الّذي أهان عزة الأُمّة ولطخ كرامتها، ودنس مقدّساتها، معتبرة ذلك من باب الاستعانة بالكافر عند الضَّرورة، مهملة قيود هذه الاستعانة، وضوابط الضَّرورة المعتبرة شرعا.

٤- ولما قام النّظام السّعُودِيّ الحاكم بمساعدة ودعم رؤوس الرِّدَّة الاشتراكية الشُّيُوعِيّة في اليمن ضدّ الشعب اليمني المسلم في الحَرب الأخيرة التزمتم الصمت، ثمّ لما دارت الدّائرة عَلى هَؤُلَاءِ

---

(١) رواه الحاكم وصححه ووافقه الذهبي، وصححه الألباني: صحيح الجامع(٣٥٣٩).

(٢) رواه الطبري في تفسيره ت شاكر: (٦/ ٢٥/ ٦٢٦١).

الشُّيُوعِيّين، أصدرتم – بإيعاز من هذا النّظام – (نصيحة !!) تدعو الجميع إلى التصالح والتصافح باعتبارهم مُسلِمِين !! موهمة النّاس أن الشُّيُوعِيّين مسلمون يجب حقن دمائهم، فمتى كانَ الشُّيُوعِيّون مُسلِمِين ؟ ألستم أنتم الّذين أفتيتم سابقا بردتهم ووجوب قتالهم في أفغانستان؟ أم أن هناك فرقا بين الشُّيُوعِيّين اليمنيين والشُّيُوعِيّين الأفغان؟ فهل ضاعت مفاهيم العَقِيْدَة وضوابط التّوحيد واختلطت إلى هذا الحد؟

وما زال النّظام الحاكم يؤوي أئمة الكفر هَؤُلَاءِ في مختلف مدن البلاد، ولم نسمع لكم نكيرا، وقد قَالَ ﷺ: «لَعَنَ اللهُ مَنْ آوَى مُحْدِثًا» رواه مسلم[1].

٥- وحينما قرر النّظام البطش بالشَّيْخ سلمان العودة والشَّيْخ سفر الحوالي – اللذين صدعا بالحق وتحملا في الله الأذى استصدر منكم فتوى سوغ بها كلّ ما تعرض ويتعرض له الشَّيْخان ومن معهما من دعاة ومشائخ وشباب الأُمّة من البطش والتنكيل، فك الله أسرهم ورفع عنهم ظلم الظَّالمين.

هذه بعض الأمثلة الّتي لم نقصد منها الحصر، ولكن اقتضى المقام ذكرها ونحن بين يدي فتواكم الأخيرة بشأن ما يسمى بهتانا بالسَّلام مع اليَهُوْد، الّتي كانت فاجعة للمسلمين، حيث استجبتم للرغبة السّياسيّة للنظام لما قرر إظهار ما كانَ يضمره من قبل من الدخول في هذه المهزلة الاستسلامية مع اليَهُوْد، فأصدرتم فتوى تبيح السَّلام مطلقا ومقيدا مع العدوّ، فما كانَ من رئيس وزراء العدوّ الصّهيونيّ وبرلمانه إلا أن صفقوا لها وأشادوا بها، كما أعلن النّظام السّعُودِيّ عقبها عن نيته في تنفيذ المزيد من التطبيع مع العدوّ.

وكأنكم لم تكتفوا بإباحة بلاد الحرمين الشريفين القوّات الاحتلال اليَهُوْدية والصّليبيّة، حتَّى أدخلتم ثالث الحرمين في المصيبة بإضافتكم الصبغة الشَّرعيَّة عَلى صكوك الاستسلام الّتي يوقعها الخونة والجبناء من طواغيت العَرَب واليَهُوْد.

إن هذا الكلام خطير كبير، وطامة عامة لما فيه من التلبيس عَلى الأُمّة ....

---

(١) رواه مسلم (١٩٧٨).

وقد سبقنا إلى تنبيهكم عليه نخبة من علماء ودعاة الأُمّة، حيث تقدموا لكم بمناشدات عدّة في هذا الصدد منها مناشداتهم إياكم قبل مدّة بالامتناع عن الفتوى بجواز هذا السَّلام، الاستسلامي المزعوم مع اليَهُوْد، مبينين عدم استيفائه للشروط اللازمة شرعا، محذرين من المخاطر الجمة الدّينيّة والدنيوية المترتبة عليه، ومن الموقعين عَلى تلك المناشدة الشُّيُوخ الأفاضل: عبدالله بن عبد الرَّحْمن بن جبرين، عبدالله بن حسن القعود، حمود بن عبدالله التويجري رحمه الله حمود بن عبدالله الشعبي، عبد الرَّحْمن بن ناصر البراك، سلمان العودة، إبراهيم بن صالح الخضري، عبد الوهاب النّاصر الطريري، إبراهيم بن محمّد الدبيان، عبدالله بن حمود التوجري، عبدالله الجلالي، عائض القرني، وغيرهم كثير - حفظهم الله جميعا - وستجدون نص مناشدتهم مع هذه الرّسالة إن شاء الله.

وفي حرب اليمن الأخيرة، لما صدر الكلام المشار إليه سابقا، أصدر خمسة وعشرون عالما فتوى معارضة له مبينة الصواب الشَّرعيّ في المسألة، ومن هَؤُلَاءِ العُلَماء الأفاضل: عبدالله سليمان المسعري، حمود بن عبدالله الشعبي، عبدالله الجلالي، سلمان العودة، د.سفر الحوالي، د.ناصر العمر، يحيى بن عبد العزيز اليحيى، د.عبدالله بن حمود التويجري، وغيرهم كثير - حفظهم الله جميعا -.

وفي البيان رقم (١٢) هيئة النصيحة والإصلاح بتوقيع (أُسَامَة بن لادن) بتاريخ ٢٨/ ٨/ ١٤١٥هـ. ٢٩/ ١/ ١٩٩٥م، وهي بعنوان: الرّسالة الثّانية إلى الشَّيْخ عبد العزيز بن باز.

جاء فيها ما نقتطف منه ما يلي:

[غير أن الجميع فوجئ لا لأنكم أكدتم فتواكم السَّابقة بما نشرته الجريدة المدعوة «المُسلِمُون» بتاريخ ١٩ شعبان ١٤١٥هـ، الموفق ٢٠ يناير ١٩٩٥ في عددها (٥٢٠) فقط، بل لما تضمنه هذا التأكيد أيضا من إضافات وتفسيرات لمفهومكم لما يسمى بالسَّلام مع اليَهُوْد، حيث تضمنت تلك التفسيرات أمورا لم يكن اليَهُوْد وعملاؤهم يحلمون بصدورها منكم لما أشادوا بالفتوى السَّابقة وصفقوا لها ....

إن الأُمّة عموما وأهالي فِلَسطِين خُصُوصَاً كانوا ينتظرون منكم القيام بواجبكم الشَّرعيّ تحريضا عَلى الجِهَاد واستنهاضاً للهمم له وحثاً للنَّاس عليه وتأييداً ودعما للناهضين بأعبائه من الأفراد والجماعات.

وما كانوا يتوقعون منكم مثل هذه الفتوى الّتي تؤثم المُجَاهدين لتحرير الأقصى وفلسطين، نعم تؤثمهم، لأَنّهم بعمليَّاتهم الجهاديّة ضدّ اليَهُوْد يخرقون اتفاق غزة أريحا الّذي وقعه (ولي أمر المُسلِمِين في فِلَسطِين) كما زعمتم، وخرق اتفاق وقعه ولي أمر المُسلِمِين لا يجوز !!

وبهذه الفتوى تثبطون وتصيبون بالإحباط أولئك الّذين قدموا الآباء والأبناء والأخوان والأزواج شهداء في سبيل الله لتحرير القُدس وفلسطين، لأَنّهم بمقتضى هذه الفتوى يكونون ماتوا عَلى معصية لأَنّهم خرقوا اتفاقا عقده (ولي أمر المُسلِمِين في فِلَسطِين) هذا معنى كلامكم ومقتضى فتواكم، فهل تعون ما تقولون ؟!أم تقولون عَلى الله ما لا تعلمون؟!...

فإنْ كُنتَ لَا تَدرِي فَتِلْكَ مُصِيبَةٌ ۞ وَإِنْ كُنْتَ تَدْرِي فَالمصِيبَةُ أَعْظَمُ

خامسا: إن ما يبعث عَلى الخوف والقلق ليس مجرد صدور هذه الفتوى منكم، ولكن الأدهى أن هذه الفتوى صدرت بمقتضى منهج متبع من قبلكم في إصدار مثل هذه الفتاوى، أهمّ ما يميزه:

1- أنه ينطلق من مبدأ مجاراة حُكَّام السوء في أهوائهم السّياسيّة، ومواقفهم علىَ تصرفاتهم.
2- وفي سبيل ذلك يتعسف الأدِلّة ويلوي أعناق النّصوص لتستجيب لتلك الرغبات.
3- وإذا لم تسعف النّصوص القابلة لذلك في الواقعة والمعروضة أبهم الحكم بصورة يتوصل بها الحكَّام لمرادهم.
4- أنه قائم علىَ الجهل بالواقع الّذي هو مناط الحكم ولا تجوز الفتوى علىَ جهل به.
5- ولأنه مبني علىَ رغبات الحكَّام المتقلبة فقد اتسم بكثير من التناقض والتعارض.
6- وقد أوردنا في رسالتنا السَّابقة من الأمثلة ما يشهد بصدق هذا الكلام.

ولا يخفى ما في هذا المنهج من البطلان الظَّاهِر والفساد الجلي لأنه قائم علىَ التشهي والمحاباة في إصدار الفتاوى. أهـ.

كما جاء في منشورات الحركة الإِسْلَاميّة للإصلاح الّتي يرأسها الدكتور سعد الفقيه في لندن:

النشرة ٢٤ بعنوان: الشَّيْخ بن عثيمين أجوبة تثير أسئلة بتاريخ ١٢ربيع الثّاني ١٤١٧هـ ٢٦/ ٨/ ١٩٩٦ صدرت هذه النشرة بعد نشر جريدة «المُسلِمُون» لمقابلة مع الشَّيْخ محمّد بن عثيمين، وهي بعنوان: (الشَّيْخ ابن عثيمين...أجوبة تثير أسئلة).

مقتطفات من بعض فتاوى ابن عثيمين السّياسيّة الشَّرعيَّة ومن ذلك:

قَالَ الشَّيْخ في معرض رده عَلى سؤال حول طاعة ولي الأمر:

(وإذا فرضنا عَلى التقدير البعيد أن ولي الأمر كافر فهل يعني ذلك أن نوغر صدور النّاس عليه حتَّى يحصل التمرد والفوضى والقتال، لا شَّكَّ أنه من الخطأ، المصلحة الّتي تحصل غير مرجوة في هذا الطّريق، المصلحة الّتي يريدها هذا لا يمكن أن تحصل بهذا الطّريق، بل يحصل بذلك مفاسد عظيمة لأنه مثلاً إذا قام طائفة من النّاس عَلى ولي الأمر في البلاد وعند ولي الأمر من القوّة والسلطة ما ليس عند أحد ما الّذي يكون ؟ هل تغلب هذه الفئة القليلة ؟ لا تغلب بل بالعكس يحدث الفوضى والفساد، ولا تستقيم الأمور، والإنسان يجب أن ينظر أولاًبعين الشَّرع، ولا ينظر أيضاً إلى الشَّرع بعين عوراء ينظر إلى النّصوص من جهة دون الجهة الأخرى، بل يجب أن يجمع بين النّصوص).

وأما في السّؤال الآخر حول البيعة فقد قَالَ الشَّيْخ: (لا شَّكَّ أن هٰذا(١) خاطئ وإذا مات فإنه يموت ميتة جاهلية لأنه سيموت وليس في رقبته بيعة لأحد، والقواعد العامّة في الشّريعة الإِسْلَاميّة أن الله يقول ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسۡتَطَعۡتُمۡ﴾ [التغابن: ١٦] فإذا لم يوجد خليفة للمسلمين عموماً فمن كانَ ولي أمر في منطقة فهو ولي أمرها، وإلا لو قلنا بهذا الرَّأي الضال لكان النّاس الآن ليس لهم خليفة ولكان كلّ النّاس يموتون ميتة جاهلية، ومن يقول بهذا ؟ الأُمّة الإِسْلَاميّة تفرقت من عهد الصّحابة تعلمون أن عبدالله بن الزبير في مكّة، وبني أمية في الشّام، وكذلك في اليمن أناس وفي مصر أناس، وما زال المُسلِمُون يعتقدون أن البيعة لمن له السّلطة في المكان الّذي هم فيه ويبايعونه ويدعونه بأمير المُؤمِنِين ولا أحد ينكر ذلك فهذا شاق لعصا المُسلِمِين من جهة عدم التزامه بالبيعة ومن جهة أنه خالف إجماع المُسلِمِين من عهد قديم).

---

(١) يقصد المواطن المسلم الّذي ليس عنده بيعة لولي أمر بلاده.

وفي معرض جوابه عن قضية البيعة قَالَ الشَّيْخ: (ثمّ إنه إذا بويع الإنسان بالإمرة عَلى بلد من البلاد ثمّ جعل له ولي عهد فهو ولي عهده من بعده، إذا انتهت ولاية الأوّل صار الثّاني ولي أمر بدون مبايعة ولا يصلح النّاس إلا هٰذا، لو قلنا أن ولي العهد ليست له ولاية عهد حتَّى يبايع من جديد صارت فوضى، لكن مثل هذه الآراء يلقيها الشّيطان في قلوب بعض النّاس من أجل أن تفترق جماعة المُسلِمِين ويحصل التحريش الّذي بينه الرَّسُول عليه الصّلاة والسّلام إذ قَالَ: «إِنَّ الشَّيْطَانَ قَدْ أَيِسَ أَنْ يُعْبَدَ فِي جَزِيرَةِ الْعَرَبِ، وَلَكِنْ فِي التَّحْرِيشِ بَيْنَهُمْ»(١)). اهـ.

وقد علق الفقيه عَلى فتاوى ابن عثيمين تعليقا لاذعا ساخرا يناسب ما حوته من الدجل والأباطيل الّتي يصل إلى حد التناقض مع صريح القرآن وصحيح السنة وإجماع علماء الأُمّة في كلّ تاريخها.

وفي النشرة (٢٨) بتاريخ ١١/ جمادى الأولى ١٤١٧هـ ٢٣/ سِبتَمبر ١٩٩٦م، صدرت هذه النشرة بعد أن نشر تعليق للشيخ ابن باز حول بيان ابن لادن والدّعوة لمحاربة الأمريكان، وهي بعنوان: (ابن باز بين محمّد بن عبد الوهاب وابن تَيمِيّة).

قَالَ سعد الفقيه:

لكن آلمنا أي إيلام هذه التزكية العظيمة الّتي أعطاها الشَّيْخ للدولة السّعُودِيّة الحالية بقيادة خادم الحرمين، قَالَ الشَّيْخ: (**وهذه الدّولة السّعُودِيّة دولة مباركة نصر الله بها الحقّ ونصر بها الدّين وجمع بها الكلمة وقضى بها عَلى أسباب الفساد، وأمن بها البلاد، فحصل بها من النعم العظيمة ما لا يحصيه إلا الله**).

وهذا القول من الشَّيْخ خطير جدا لأن الشَّيْخ يعلم تمام العلم أن هذا الّذي قاله هو عكس الواقع بالضبط، والّذين يرددون بأن الشَّيْخ يدلس عليه مخطئون لأنَّنَا نعلم يقينا، ونحن شهود عَلى ذلك في الدُّنيَا والآخرة، أن هذا الأمر غير صحيح، وأن الشَّيْخ عَلى اطلاع كامل وتفصيلي عَلى ما يجري في البلد ويعلم كلّ تفاصيل المخالفات الشَّرعيّة الّتي يرتكبها النّظام عَلى مستوى الدّولة وعلى مستوى الأفراد المتنفذين، بل إن الشَّيْخ كما يعرف القريبون منه أعلم بكثير ممن يدعون أنهم عَلى علم بما يجري،

(١) أصله عند مسلم (٢٨١٢) بلفظ: «... أَيِسَ أَنْ يَعْبُدَهُ الْمُصَلُّونَ فِي جَزِيرَةِ ...».

لأن معظم أهل الإصلاح يوصلون من عندهم من أخبار ومعلومات وملاحظات ونصائح للشيخ نفسه، ولقد شهدنا شخصيا جلسات كثيرة بسط فيها الواقع للشيخ بشكل تفصيلي ليس فيه مواربة، بل أننا نستطيع أن نقول إن الحجة قد أقيمت عَلى الشَّيْخ وأن الذمة قد برئت معه من قبل عدد كبير من المشائخ وأساتذة الجامعات والمصلحين، وأن إقامة الحجة في بيان الواقع عَلى التفصيل للشيخ قد حصلت مرارا وتكرارا من قبل أناس يثق الشَّيْخ ويأخذ بحديثهم، والّذي يشك في ذلك ليس عليه إلى قراءة مذكرة النصيحة الّتي قدمت للشيخ وراجعتها اللجنة الخماسية وهيئة كبار العُلَماء والشَّيْخ هو رئيس تلك الجهتين، ولا يجادل أحد أن تلك المذكرة حجة عَلى من قرأها، والّذين يحاولون الدّفاع عن الشَّيْخ من خلال تصويره كرجل ساذج جالس في سرداب لا يتعرف إلا عَلى ما يطلعه النّظام عليه مخطئون، فالشَّيْخ عَلى اتصال بالعالم كله داخلياً وخارجياً، وعلى دراية تفصيلية بالأوضاع، ومتابعة إجبارية أجبره عليها عدد كبير من الدعاة والمصلحين وطلبة العلم.

ولذلك فإن الشَّيْخ يرتكب خطأً عظيماً ومنزلقاً خطيراً حين يزكي الدّولة هذه التزكية وهو يعلم حالها، ويعلم كذلك من خلال اطلاعه الشَّرعيّ خطورة مثل هذا العمل، فالشَّيْخ ليس غريباً عن مؤلفات وأقوال علماء الدّعوة وخاصة الشَّيْخ محمّد بن عبد الوهاب، الشَّيْخ مثلاً يعلم يقيناً أن النّظام يحكم بغير ما أنزل الله رغم تكرار التنبيه والنصيحة.

فماذا يقول الشَّيْخ إذا بقول محمّد بن عبد الوهاب عن أولئك الّذين يزكون من يحكم بغير ما أنزل الله ؟

قَالَ رحمه الله: (إن هَؤُلاَءِ الطواغيت الّذي يعتقد النّاس فيهم وجوب الطاعة من دون الله كلهم كفار مرتدون عن الإسْلاَم، كيف لا وهم يحلون ما حرم الله، ويحرمون ما أحل الله، ويسعون في الأرض فساداً بقولهم وفعلهم وتأييدهم، ومن جادل عنهم، أو أنكر علىَ من كفرهم، أو زعم أن فعلهم هذا لو كانَ بَاطِلاً لا ينقلهم إلى الكفر، فأقل أحوال هذا المجادل أنه فاسق، لأنه لا يصح دين الإسْلاَم إلا بالبَرَاءة من هَؤُلاَءِ وتكفيرهم)[1].

---

(١) (الرّسائل الشَّخصيَّة، ١٨٨).

فإذا كانَ مجرد عدم التَّكفِير جريمة كبرى عند الشَّيْخ محمّد بن عبد الوهاب، فكيف بمن يصفهم بأحسن أوصاف الإِسْلَام ويزكي دولتهم ونظامهم ويحمل عَلى من أنكر عليهم)...

قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡتُمُونَ مَآ أَنزَلۡنَا مِنَ ٱلۡبَيِّنَٰتِ وَٱلۡهُدَىٰ مِنۢ بَعۡدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِي ٱلۡكِتَٰبِ أُوْلَٰٓئِكَ يَلۡعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلۡعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ١٥٩﴾ [البقرة].

وهذا في مجرد كاتم العلم فقط، فكيف بمن يذهب إلى أبعد من مجرد كتمان العلم إلى تزكية الطَّاغوت وتزكية الّذي يوالي أعداء الله وتزكية الظَّالم المحارب للإسلام والدّعوة، والناشر للربا والفساد؟

ونحن يسرنا أن يتوب الشَّيْخ من هذا الأمر ويقلع عن مثل هذه التزكيات الخطيرة الّتي تدخله في كلام الشَّيْخ محمّد بن عبد الوهاب ويسرنا أن يتحول الشَّيْخ من مدافع عن النّظام إلى مدافع عن الحقّ والدّين وكاشف لجرائم النّظام ضدّ الإِسْلَام، ولكن هذا ليس هو الأهم، إن الأهم هو أن يتذكر المُسلِمُون أنهم لا يأخذون الدّين إلا ممن يوافق كلامه الكتاب والسنة وينزل علم الشَّرع بأمانة وإخلاص عَلى الوقع حتَّى يكون موقعا عن الله في ركب العُلَمَاء المصلحين، والمسلم ليس متعبداً بكلام ابن باز ولا ابن عثيمين بل هو متعبد بقول الله وقول رسوله ﷺ، ومن فضل الله علينا أنه ليس في الإِسْلَام كهنوت ولا فاتيكان يحتكر تفسير القرآن وفهم السنة، بل إن الحقّ الّذي في الكتاب والسنة هو الحكم عَلى الرّجال وليس الرّجال حكم عَلى الكتاب والسنة، إن مشكلة الشَّيْخ ابن باز ليست مجرد تزكية النّظام بل لقد اضطر الشَّيْخ أن يتناقض أكثر من مرّة في فتاويه بسبب مداراة النّظام، ومن أمثلة هذا التناقض الصريح فتوى الشَّيْخ في تحريم الاستعانة بغير المُسلِمِين الّتي وجهت لجمال عبد النّاصر، والّتي قَالَ فيها الشَّيْخ أن الاستعانة لا تجوز حتَّى عند الضَّرورة[1]، وكان ذلك هو هوى النّظام في تلك الفترة، ومرت السنين وانقلبت الصُّورة فاحتاج آل سعود لقلب الفتوى فانقلب معهم الشَّيْخ ولم يكتف

(١) أفتىٰ الشَّيْخ بمثل هٰذا التحريم للمُجَاهدين في سوريا ضدّ حافظ الأسد عندما حرم الاستعانة بالأحزاب المرتدّة وبالنّظام العراقي في ذلك الجِهَاد، وكان نص فتواه (تحريم الاستعانة مطلقا)، راجع كتاب (الثَّورة الإِسْلَاميّة الجهاديّة في سوريا) للمؤلف (١/ ٢٦٤).

بتجويز الاستعانة للضرورة بل اعتبرها واجبة وآثم من لم يعملها، تناقض آخر وقع فيه الشَّيْخ عندما أصدر بيانا ينصح فيه حكمتيار بالانضمام إلى (ولي الأمر) رباني مع أن حكمتيار له جيشه وله أرضه الّتي يسيطر عليها، وميزة رباني أن هوى الدّولة معه، وعندما حصلت حرب اليمن كانَ الانفصاليون الشُّيُوعِيّون في حكم الخوارج عَلى الحاكم حسب نظريَّة الشَّيْخ، ومع ذلك فقد أصدر الشَّيْخ بيانا يدعو فيه إلى حقن الدِّماء والصُّلح بين الفريقين ولم يدع إلى الانضمام إلى ولي الأمر، لأن هوى النّظام كانَ مع الشُّيُوعِيّين، هذا فضلا عن قائمة الفتاوى الصادرة من الشَّيْخ تبعا لرغبة النّظام وأولها فتوى استدعاء القوَّات الّتي اعتبرها الشَّيْخ واجبة وليست مجرد جائزة، ثمّ بيان هيئة كبار العُلَماء، ضدّ خطاب المطالب وبيان الهيئة ضدّ مذكرة النصيحة وبيان الهيئة ضدّ لجنة الدّفاع، وبيان الهيئة في الأمر بتوقيف الشَّيْخين سلمان وسفر من أجل ((حماية المجتمع من أخطائها)) والفتاوى الأخيرة الّتي جعلت الأمريكان من المعاهدين معصومي الدَّم واعتبار قتلهم من أعظم أنواع الفساد في الأرض، ترى هل قرأ الشَّيْخ كلام شيخ الإِسْلَام بن تَيمِيّة فيمن يفتي بخلاف الكتاب والسنة موافقة لهوى السُّلطَان.

قَالَ الإِمَام ابن تَيمِيّة في الفتاوى[1]:

[وَمَتَى تَرَكَ الْعَالِمُ مَا عَلِمَهُ مِنْ كِتَابِ اللهَّ وَسُنَّةِ رَسُولِهِ وَاتَّبَعَ حُكْمَ الْحَاكِمِ الْمُخَالِفِ لِحُكْمِ اللهَّ وَرَسُولِهِ كَانَ مُرْتَدًّا كَافِرًا يَسْتَحِقُّ الْعُقُوبَةَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ].

نسأل الله أن يبصر المُسلِمين جميعا بدينهم ويرزقهم الفرقان الّذي يفرقون به بين علماء الرَّحمٰن وعلماء السُّلطَان...).اهـ.

وفي النشرة (٣١) بتاريخ ٢جمادى الآخرة ١٤١٧، الموافق ١٤/ ١٠ / ١٩٩٦، وهي بعنوان: (جريمة كبرى في سجون آل سعود) أورد الفقيه معلومات خطيرة عن التعذيب في السّعُودِيّة وحمل العُلَماء الرسميين المسؤوليّة في ذلك فقال:

(١) الفتاوى (ج٣٥ ص٣٧٢-٣٧٣)

لقد ثبت لدى الحركة من مصادر مطلعة داخل الجهاز الأمني أن فرق التعذيب اقترفت الجرم الأثيم، المتمثل في هتك أعراض عدد كبير من المعتقلين وتكرار الاعتداء الجنسي عليهم، في محاولة لسحق شخصياتهم والقضاء عَلى نفسياتهم العالية.

لقد أفادت المعلومات القادمة من داخل السّجون أن الّذين طالهم الاعتقال بسبب ماضيهم الجهاديّ يتعرضون لسلسلة من الضغوط تنتهي بتلك النهاية المشينة والعياذ بالله، حيث يطلب من كلّ من له علاقة بذلك التّيار بالإقرار (كرها) بأنه يؤمن بتكفير الحكّام والمجتمع والعُلَماء، وإذا لم يوافق عذب تعذيبا شديدا بشتى أنواع التعذيب النّفسيّ والجسدي، فإن أصر عَلى الرفض، يهدد بالاعتداء الجنسي فحينئذ لا تتورع الكلاب البشرية عن تنفيذ ذلك التهديد وارتكاب الجريمة القذرة ولربما تمَّ تصويره في هذا الوضع المشين إمعانا في إهانته وابتزازه إلى أقصى حد ممكن.

ولقد علمت الحركة أن هذه الجريمة الحقيرة الّتي تحصل في قلب جَزِيرَة العَرَب وعلى يد زبانية (دولة التّوحيد) إنما تأتي تنفيذا للبرنامج الّذي اقترحه مستشارو وزارة الداخليَّة القادمون من شمال أفريقيا(١)، والّذين نجحوا في إقناع وزير الداخليَّة بفعالية هذا الأسلوب في تحقيق الجزء الهام من تجفيف المنابع، من خلال تحطيم شخصية أولئك الشَّبَاب والقضاء عَلى معنوياتهم ونفسياتهم، نعم لربما حصل شيء من التهديد بالاعتداء في الماضي لمن يعتقد أنهم ممن ليس لهم ظهر يحميهم، بل ربما استغل المحققون صلاحياتهم في حالات فرديَّة شاذة ونادرة دون علم، رؤسائهم، لكن لم يخطر ببال أحد من أن تتحول هذه الممارسات إلى عمل روتيني بعلم وتوجيه وإقرار الرؤساء الكبار وعلى رأسهم وزير الداخليَّة شخصيا.

إن تحمل نايف مسؤولية هذه الجريمة لا يعني أبدا إعفاء أخوته من المتنفذين، فكل صاحب قرار في سياسة هذه الدّولة مسؤول عن هذه الجريمة القذرة، ويتحمل تبعاتها مثلما تحملها نايف، ويستحق ما يترتب عَلى ذلك في الحاضر والمستقبل، ولا ولن يعفيه كونه خارج وزارة الخارجيّة، وإذا كانَ نايف

---

(١) كانَ من أبرز مستشاري وزير الداخليَّة نايف بن عبد العزيز فريق من خبراء الأمن المصري يرأسهم وزير الداخليَّة المصري الأسبق زكي بدر الّذي عرف بفجوره وبذاءته وسقوطه فضلاً عن كفره.[المؤلف]

لا يقيم وزنا للعرض ولا للشرف ولا للغيرة كما فعل في حياته الشَّخصيَّة، فإن هذا سيندرج بعد هذه الجريمة عَلَى إخوته وسيكونون جميعا متهمين بما اتهم به نايف.

بل إن المسؤوليّة تتجاوز المتنفذين من آل سعود إلى أولئك الّذين يضفون عليهم وعلى أعمالهم الشَّرعيَّة صفات التّوحيد، ويمعنون في تزكية هذا النّظام وحرصه عَلَى الدّين والدّعوة وخدمة الإِسْلَام وأنه قد حقق عَلَى يديه (من النعم ما لا يحصيه إلا الله) فهَؤُلَاءِ لا نعتبرهم مقصرون فحسب في إنكار المُنكر الصريح والمعلن، والّذي يستحقون به ما جاء في سورة البقرة من وعيد للمتخلف عن البيان، بل إنهم في الحقيقة، ونقولها بكل قناعة وعلم ومعرفة – شريكون في الجريمة، نعم شركاء فيها وسيحاسبون عليها يوم القيامة كما لو كانوا قد مارسوها بأنفسهم، فإنهم من أقوى الأركان الّتي يتكئ عليها النّظام في استقراره، وأقوالهم ومواقفهم من أقوى الحجج الّتي يحتج بها النّظام في ممارساته، بل إن جريمتهم أعظم كونهم لبسوا لباس العلم وتحملوا مسؤولية الفتيا، فلم يتورعوا بعد ذلك عن الكذب عَلَى الله ورسوله والحيدة عن الحقّ الّذي استأمنهم الله عليه، والمصيبة أنهم يعلمون كلّ ذلك من خلال معرفتهم بسيرة علماء السَّلَف من أمثال الإِمَام مالك والإمام أحمد بن تَيمِيّة وغيرهم، يعلمون أنهم ليسوا مجرد أعوان للظلمة بل هم الظُّلمة أنفسهم، يعلمون هذا كله، ويعلمون أن إثم وجرم ومآل العالم الّذي يدافع عن الظَّالم ويزكيه أعظم من جرم وإثم ومآل الظَّالم نفسه، ولا ندري حقيقة لماذا يصر بعض السذج عَلَى الفزعة إليهم والشكوى عندهم وهم يرون تزكيتهم للكفر والشرك والظُّلم والفسوق والعصيان، بل وتنافسهم وتحايلهم في الحصول عَلَى مخرج وتفسير لكل جريمة للنظام مهما عظمت، بطريقة لا يمكن أن تخطر ببال أساطين النّظام نفسه، وإذا كانَ النّاس قد انبهروا بنصوص ومتون محفوظة فقد وصف القرآن الحفاظ من علماء بني إسرائيل الّذين لا يعملون بعلمهم ﴿كَمَثَلِ ٱلۡحِمَارِ يَحۡمِلُ أَسۡفَارًا﴾ [الجمعة: ٥]، بل إن كثيرا من علماء المستشرقين أعداء الإِسْلَام لم يقصروا في حفظ النّصوص والمتون والقيام عليها وخدمتها وتصنيفها وترتيبها رغم عداءهم للإسلام وحربهم له.

أنّنا نقولها مرّة أُخرى، أن العُلَماء الرسميين شريكون في هذه الجريمة القذرة، ونشهد أمام الله ثمّ أمام النّاس أن الحجة قد قامت عليهم علما بالشَّرع وعلما بالواقع). ا هـ.

وفي النشرة (٣٣) بتاريخ ١٦جمادي ٢/ ١٤١٧ - ٢٨اكتوبر ١٩٩٦، بعنوان: (من هم علماء الإِسْلَام؟) قَالَ الفقيه:

التمييز بين علماء رسميين وغير رسميين لم يكن واضِحاً قبل أن تدخل الصّحوة في مُوَاجَهة مع النّظام والَّتي بدأت بشكل واضح منذُ أزمة الخليج الثّانية، وتصاعدت بعد ذلك في الخطوات الإصلاحية الّتي تلت أحداث تلك الأزمة، ثمّ بلغت ذروتها في الحملة الشرسة ضدّ العُلَماء والدعاة، الّتي شنها النّظام قبل سنتين ومازالت قائمة إلى الآن.

ليس المقام هنا مقام تصنيف العُلَماء، ولكنه استجماع للصورة الّتي تكونت إثر تلك المحنة والتجربة القاسية، ومن ثمّ مراجعة المواقف والنَّظرات تجاه العُلَماء الرسميين، وخاصة أولئك الّذين كانوا يصنفون إلى عهد قريب، وكأنهم جزء من كيان الصّحوة والحركة الإصلاحية.

لا يجادل أحد بأن آل سعود يعتمدون بشكل كبير عَلى مؤسسة دينية ضخمة تؤمن لهم (الشَّرعيَّة) ويجمع كلّ آل سعود - حتَّى الملحدين منهم - عَلى ضرورة هذه المؤسسة، لتأمين انقياد الشعب، الّذي يشكل الدّين جزءا رئيسيا من تركيبته النّفسية والثَّقافيَّة، وأهم مكوّنات هذه المؤسسة الدّينيّة، هيَ هيئة كبار العُلَماء، والقضاة، وهيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المُنكر، ورغم ضخامة هذه المؤسسة من حيث العدد، لكن قيمتها المعنوية مرتبطة بعدد قليل جدا من العُلَماء، منحوها ثقلها في الوقت الحاضر وحولها إلى قوة فاعلة، ولولا الارتباط برمز أو رمزين من أولئك العُلَماء لتهاوت كلّ تلك المؤسسة وتهاوى ثقلها تماما، وسبب ذلك أن الّذين يشكلون هذه المؤسسة، سواء كانوا أعضاء في هيئة كبار العُلَماء أو قضاة أو هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المُنكر ن هَؤُلَاءِ نوعين، الأوّل مغمور غير معروف وليس له تاريخ علمي أو دعوي يجعل منه صاحب ثقل ينتفع به النّظام، والثّاني مشهور ومعروف لكنه مفضوح في خيانته للدين ومتفق عَلى أنه يأكل بدينه ويبيع الفتاوى ويتاجر بعلمه الشّرعيّ، ويبقى سوى أولئك شخص أو شخصان من المعروفين المشهورين بسعة معرفتهم بالعلوم الشَّرعيَّة ونشاطهم العلمي والتدريسي، وفي نفس الوقت صلاحهم عَلى المستوى المالي والسُّلُوكي، ونجاتهم من مشكلة المتاجرة (ماليا) بالفتاوى والمرافق الدّينيّة.

قبل أن تبدأ مُوَاجَهة الصّحوة مع النّظام، وقبل أن يدخل العُلَماء في اختبار (تغيير المُنكر) كانَ قد سطع نجم هَؤُلَاءِ للسببين المذكورين سابقا، ولسبب آخر هو غياب المُوَاجَهة بين الإِسْلَام والنّظام مما جعل المقياس محدودا عَلى الصلاح الشخصي والأمانة المالية ودرجة الزهد والتنسك، أما اختبار العُلَماء عَلى قدر مواجهتهم للظلم وصدعهم بالحق وإنكارهم للمُنكر، فلم يكن ذلك الميدان قد فتح بعد، ولذا فاز نفر قليل من العُلَماء الرسميين بالقبول لدى النّاس، وكسبوا مصداقية كبيرة.

جاءت أزمة الخليج وكان الاختبار الأوّل فانكشف العُلَماء الرسميون لأول وهلة ولم يقل واحد منهم كلمة الحقّ، بل لقد تجاوز بعضهم الفتوى بجواز الاستعانة بالكفار إلى جعلها واجبة ومن ثمّ آثم من لم يقم بها، وحين تحرك الدعاة والعُلَماء ينتقدون الأوضاع الخاطئة سعياً لتغيير المُنكر بلسانهم وقياماً بواجب البلاغ والصدع بالحق الّذي تخلف عنه أولئك الرسميون، حدث تطور آخر.

حيث تشكل بأمر ملكي لجنة خماسية يرأسها الشَّيْخ بن باز مهمة هذه اللجنة تأديب أولئك الدعاة وفصلهم عن الخطابة ومنعهم من تأدية الواجب الشَّرعيّ، وتقوم هذه اللجنة بدراسة القوائم الّتي تقدمها لها وزارة الداخليَّة والتقارير الّتي يعدها جهاز المباحث، ثمّ تقرر من خلال ذلك أن فلاناً يجب إيقافه عن الخطابة أو التدريس، وفلاناً يجب فصله تماماً وفلاناً يجب تنبيهه، وإذا قدمت القوائم لهذه اللجنة فقلما ينجو منها أحد فالجميع يوقف أو يفصل، وعلى يد هذه اللجنة فصل عشرات بل وربما مئات من الخطباء والدعاة، وفي حين كانت فتوى الهيئة بإضفاء الشَّرعيَّة عَلى احتلال الكفّار لجَزِيرَة العَرَب دعماً شرعياً دون حدود للنظام، فقد كانَ تشكيل اللجنة الخماسية المرة الأولى الّتي ينكشف فيها كون هذه المؤسسة جزء من النّظام، لقد ظن الكثير من الدعاة والمصلحين أن هذا التطور دخيل عَلى أعضاء هذه المؤسسة والحقيقة هيَ غير ذلك، فلم يكن هناك تغير في سياسة وتفكير أولئك العُلَماء وكل الّذي حصل أنهم أصبحوا في الواجهة مع النّظام فانكشف الدَّور بعد أن كانَ لا مُوَاجَهة.

بعد ذلك أخذت مُوَاجَهة الدّعوة من قبل هذه المؤسسة الدّينيّة شكلاً سياسيّاً مفضوحاً حين أصدرت هيئة كبار العُلَماء بياناً ضدّ خطاب المطالب، وتحولت إلى مدافع عن النّظام ضدّ الدعاة والمصلحين، وكذلك ضدّ الشعب كله الّذي دعم هذه المطالب، ولم يكن بيان الهيئة ضدّ خطاب المطالب

زلة أو هفوة بل كانَ عملاً مؤسساً مقصوداً، وثبت ذلك حين تكرر ذلك الموقف في بيان الهيئة ضدّ مذكرة النصيحة، ذلك البيان الّذي احتوى من العبارات ما لا يقبلها حتَّى المسلم العامي، لأنه تهجم عَلَى النيات والمقاصد واتهم معدي المذكرة بسوء النِّيَّة وقصد التخريب، ثمّ عادت الهيئة وكررت العمليّة في بيانها ضدّ لجنة الدّفاع، توطئة للحملة الأمنيّة الّتي شنت ضدّ اللجنة بعد ذلك جاءت مرحلة المُوَاجَهة الحقيقيَّة والشّاملة مع الدّعوة والمصلحين وعلماء الحقّ، حيث سخرت الهيئة مظلتها وخاصة الشَّيْخ عبد العزيز بن باز لاعتقال الشَّيْخين سلمان وسفر، في خطاب طويل، استخدمه النّظام علناً في تبرير اعتقال الشَّيْخين وشن الحملة الضخمة عَلَى المصلحين والدعاة.

ومنذ أن اعتقل الصفوة من العُلَماء وازدادت حملة القمع والاعتقال وأعلنت الحَرب المكشوفة عَلَى الدّعوة والهيئة لا تزال في ولائها المطلق وطاعتها التَّامَّة للنظام، وتكرر الموقف تلو الموقف في التفاني في تزكية النّظام والدّفاع عنه واتهام كلّ من يسعى لإنكار المُنكر بإثارة الفتنة والبلبلة، بل وأبعد من ذلك التبرع بمجموعة من الفتاوى في وصف أعمال أُخرى بالفساد في الأرض وضرورة تطبيق حد الحرابة عَلَى فاعليها.

إن إدراك هذه القضية وتصوُّرها عَلَى الوجه الصَّحِيح ضروري جداً لسلامة مسيرة الصّحوة، وهناك فرق كبير بين أن يعتبر هَؤُلَاءِ العُلَماء جزء من كيان الصّحوة ودعاة الإصلاح وعلماء الدّعوة، أو أن يعتبروا جزءاً من النّظام بل ركناً من أركانه وأكثر أهمية له من جهاز المباحث وجهاز الإعلام.

إن مهمة العالم في الإِسْلَام ليست مجرد صلاحه الشخصي ونزاهته المالية، بل إن مهمته هيَ التوقيع عن الله، وحمل أمانة العلم، ووراثة النبوة، والعالم يقترف جريمة عظيمة لمجرد قعوده عن واجب البلاغ وكتمان العلم، قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡتُمُونَ مَآ أَنزَلۡنَا مِنَ ٱلۡبَيِّنَٰتِ وَٱلۡهُدَىٰ مِنۢ بَعۡدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِي ٱلۡكِتَٰبِ أُوْلَٰٓئِكَ يَلۡعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلۡعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ١٥٩﴾ [البقرة].

ولا يسلم العالم من هذه اللعنة – لعنة الكتمان – إلا إذا أدى ما جاء في الآية الّتي تتلوها: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ وَأَصۡلَحُواْ وَبَيَّنُواْ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَتُوبُ عَلَيۡهِمۡ وَأَنَا ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ١٦٠﴾ [البقرة] وكتمان العلم ليس هو كتمان الكتاب والسنة فلا أحد يستطيع كتمان الكتاب والسنة، لكنه عدم إنزالها عَلَى الوجه الصَّحِيح، في النّوازل الّتي

يستوجب عَلى العالم إنزال النّصوص عليها، هذه الجريمة العظيمة إذا اكتفي بالكتمان فقط، فكيف إذا خان الأمانة، وكذب عَلى الله حين يبلغ عنه غير ما أراد سبحانه في كتابه وسنة رسوله، فهَؤُلَاءِ هم المقصودون بقول الله تعَالَى: ﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱلَّذِىٓ ءَاتَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ﴿١٧٥﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَٰهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخْلَدَ إِلَى ٱلْأَرْضِ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ ۚ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث ۚ ذَّٰلِكَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا ۚ فَٱقْصُصِ ٱلْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٧٦﴾﴾ [الأعراف]

هذه هيَ الطَّريقة الّتي وصف القرآن بها العُلَماء وميز بها من يقوم بواجب البلاغ أو يكتم البلاغ وأشد من ذلك من يكذب عَلى الله ويخون الأمانة.

والحديث هنا ليس في مقام نصح وتذكير أولئك العُلَماء ولو أن نصحهم وتذكيرهم واجب مهما عظمت جريمتهم، لكنه حديث موجه لشباب الدّعوة، وكل المنتمين لمسيرة الإصلاح أن يعرفوا رجالهم.

إن تراكم الشهرة والسمعة الحسنة لبعض العُلَماء الّذي اجتمع قبل أن يبدأ الاختبار الحقيقي ينبغي أن لا يحرفنا عن الطَّريقة القرآنية في معرفة العُلَماء المتبعون المطاعين.

وليس المطلوب هنا تجريم فلان أو سب فلان أو لعن فلان، لكن المطلوب هو ألا يخدع شباب الإِسْلَام نفسه ويستمر في التعامل مع أولئك العُلَماء وكأنهم قيادات إصلاحية ورؤوس في إنكار المُنكر.

إن توقير شخص معين لعلمه ولسنه أو لجهد بذله في يوم من الأيّام، لا يعني أبداً وضعه في موضع القيادة والاتباع واللجوء عند النّوازل، بل الأولى الرجوع إلى القرآن والسنة وتعلم طريقة التعامل مع العُلَماء عَلى ما ورد في القرآن والسنة، ومعرفة العُلَماء الحقيقين الّذين تستفتيهم الأُمّة وتنزل عند اختياراتهم.

وما نقل عن الشَّيْخ ابن عثيمين في جريدة المُسلِمُون وما نقل عن الشَّيْخ ابن باز في الصحافة السّعُودِيّة، مما تناوله مقالي «الإصلاح» يمثلان نموذج الانكشاف لهذه المجموعة.

وهي فرصة لمن يريد التقييم عَلى الطَّريقة القرآنية والنهج المحمّدي، والقريبون من الشَّيْخين يلاحظون التزامها عَلى المستوى الشخصي من حيث العِبَادة والاستقامة ومن حيث النزاهة المالية

والزهد، ويلاحظون كذلك سعة علمهم الشَّرعيّ وقدراتها في التدريس والتّعليم، لكنهم يلاحظون كذلك ما عنيناه في كلامنا السابق من مشكلة كبيرة في القضية الأهم وهي قضية قيامهم بواجب البلاغ.

نحن نتمنى عَلى الشَّيْخين ابن باز والشَّيْخ ابن عثيمين أن يتوبا إلى الله ويصلحا ويبينا بمعنى بأن يعترفا بما كانَ مخالفاً من كلامهما للشرع وينبها الأُمّة عَلى هذا الخطأ كما جاء في هدي القرآن، ونتمنى أن يتحول الشَّيْخ ابن باز والشَّيْخ ابن عثيمين إلى صادعين بالحق مواجهين للظلم، محاربين للطغيان، داعمين لكل راية دعوة وإصلاح.

غير أن الأهم هو أن يدرك شباب الصّحوة والمنتمين لمسيرة الإصلاح حقيقة العالم العامل، الداعي لعلمه، الصّابر عَلى الأذى فيه، المُجَاهد في سبيله، وحقيقة العالم الّذي كتم ما علمه الله، بل كذب عَلى الله ورسوله وخان الأمانة.

لقد مضى من الزَّمن ما يكفي للاختبار، ولقد أثبتت الأيّام أن هيئة كبار العُلَماء وكل المنتسبين لها لم يقفوا ولا موقفاً واحداً مع الدّعوة وضد الظُّلم، ولقد سجلت كلّ مواقفهم مع الظُّلم والطّغيان وضد الدّعوة، وأنه لمن الحمق وسوء التصرف أن يلجأ المرء لعدوه من أجل أن يحميه.

إن مشكلة أعضاء المؤسسة الدّينيّة ليست مجرد العجز، فالعاجز بإمكانه أن يعترف بعجزه ويقول: (أنا عاجز) ويستقيل ويخرج منها كفافاً، لكن أحداً منهم لم يعمل بذلك ولو عمله لصنع خيراً كثيراً، لكن مشكلتهم هيَ الوقوف بثقل وجدية ونشاط مع البَاطِل وتأييده بالكلمة والموقف والفتوى والدّفاع عنه بما يستطاع.

هذا الحديث ليس المراد منه أن يقال أن فلاناً صالح، وفلاناً من أهل الجنّة، وفلان من أهل النار، فالله أعلم بقلوب النّاس ومقاصدهم ونياتهم وأعمالهم وخواتيمهم، لكن المقصود هو الجانب العملي في القضية ومن هو العالم المتبوع.

وكأننا في هذا الاستعراض قد علمنا حقيقة العالم المتبوع، وهل يستحق أعضاء هيئة كبار العُلَماء هذه الصفة أم لا). أهـ.

****

وفي النشرة (١٥٥) بتاريخ ٩ذي الحجة ١٤١٩هـ - ٥أبريل ١٩٩٩م، وهي بعنوان: (رسالة مفتوحة إلى الشَّيْخ عبد العزيز بن باز) قَالَ الفقيه:

اسمح لنا يا سماحة الشَّيْخ أن نستعرض سجلكم من خلال السنين الماضية في قضية البلاغ.

لقد صدر عنكم أقوال كثيرة تزكون فيها الدّولة وتصفونها بأحسن الأوصاف الشَّرعيَّة رغم أنكم عَلى اطلاع كامل وتفصيل عَلى ما يجري في البلد وكل تفاصيل المخالفات الشَّرعيَّة الّتي يرتكبها النّظام عَلى مستوى الدّولة وعلى مستوى الأفراد المتنفذين.

بل إنكم كما يعرف القريبون منكم أعلم بكثير مما يدعون أنهم عَلى علم بما يجري لأن معظم أهل الإصلاح يوصلون ما عندهم من أخبار ومعلومات وملاحظات ونصائح إليكم، ولقد شهدنا شخصياً جلسات كثيرة بسط فيها الواقع لكم بشكل تفصيلي ليس فيه مواربة، بل أننا نستطيع أن نقول أن الحجة قد أقيمت عليكم وأن الذمة قد برأت معكم من قبل عدد كبير من المشائخ وأساتذة الجامعات والمصلحين، وإن إقامة الحجة في بيان الواقع عَلى التفصيل لكم قد حصل مراراً وتكراراً من قبل أناس تثقون بهم وتأخذون بحديثهم، ولا أدل عَلى ذلك من مذكرة النصيحة الّتي قدمت لكم وراجعتها اللجنة الخماسية وهيئة كبار العُلَماء وأنتم ترأسون تلك الجهتين، ولا يجادل أحد أن تلك المذكرة حجة عَلى من قرأها، ونحسب أنه لا يسعكم الاعتذار بحجة أنكم لا تتعرفون إلا عَلى ما يطلعكم النّظام عليه، بل أنتم عَلى دراية تفصيلية بالأوضاع، ومتابعة إجبارية أجبركم عليها عدد كبير من الدعاة والمصلحين وطلبة العلم، ولذلك فلربما ترتكبون خطأً عظيماً ومنزلقاً خطيراً حين تزكون الدّولة هذه التزكية، وأنتم تعلمون حالياً وتعلمون كذلك من خلال اطلاعكم الشَّرعيّ خطورة مثل هذا العمل، فمثلكم ليس غريباً عَلى مؤلفات وأقوال علماء الدّعوة وخاصة الشَّيْخ محمّد بن عبد الوهاب، فإذا كنتم تعلمون يقيناً أن النّظام يحكم بغير ما أنزل الله رغم تكرار التنبيه والنصيحة، فما هو موقفكم من قول محمّد بن عبد الوهاب عن أولئك الّذين يزكون من يحكم بغير ما أنزل الله قَالَ رَحِمَهُ اللهُ:

(إن هَؤُلَاءِ الطواغيت الّذين يعتقد النّاس فيهم وجوب طاعة من دون الله كلهم كفار مرتدون عن الإِسْلَام كيف لا وهم يحلون ما حرم الله، ويحرمون ما أحل الله، ويسعون في الأرض فساداً بقولهم

وفعلهم وتأييدهم، ومن جادل عنهم، أو أنكر عَلى من كفرهم، أو زعم أن فعلهم هذا لو كانَ بَاطِلاً لا ينقلهم إلى الكفر، فأقل أحوال هذا المجادل أنه فاسق، لأنه لا يصح دين الإِسْلَام إلا بالبَرَاءة من هَؤُلَاءِ وتكفيرهم)(١).

فإذا كانَ مجرد عدم التَّكفِير جريمة كبرى عند الشَّيْخ محمّد بن عبد الوهاب، فكيف بمن يصفهم بأحسن أوصاف الإِسْلَام ويزكي دولتهم ونظامهم، ويحمل عَلى من أنكر عليهم.

وأنتم يا سماحة الشَّيْخ تعلمون يقيناً أن النّظام قد فرض الربا فرضاً عَلى النّاس وأقام له الصروح العاتية ودعمه بخزينة الدّولة وجعل اقتصاد الدّولة قائماً عليه، وتعلمون يقيناً أن النّظام يوالي الكفّار ويدعمهم وينصرهم ويستنصر بهم ويمكن لهم وينفذ مخططاتهم ويتآمر معهم ضدّ المُسلِمِين، وتعلمون يقيناً أن النّظام يشجع الفساد الخلقي ويساهم في انتشاره من خلال الإعلام والتّعليم ومن خلال دعم خلايا الفساد المحمية من قبل الأمراء ومن خلال تحجيم الدّعوة وتعطيلها، وتعلمون يقيناً ما يرتكبه النّظام من جرائم ضدّ الدعاة وما يشنه من حرب عليهم سجناً وتشريداً وحصاراً وإرهاباً، بل إنكم من أعلم النّاس بذلك لأنكم غالباً ما تكونون أول من يخبر عن حادث اعتقال أو مداهمة أو إيقاف أو مثله، وتعلمون يقيناً أشكال الظُّلم الواقعة عَلى الأفراد والجماعات والقبائل من قبل النّظام كنظام ومن قبل المتنفذين فيه كأفراد، لأن كثيراً من المظلومين غالباً ما يلوذون بكم ويكتبون لكم مستنجدين.

إن مشكلتكم يا سماحة الشَّيْخ ليست مجرد تزكية النّظام بل لقد اضطررتم للتناقض أكثر من مرّة بسبب مداراة النّظام ومن أمثلة هذا التناقض الصريح فتوى تحريم الاستعانة بغير المُسلِمِين الّتي وجهت لجمال عبد النّاصر، والّتي قلتم فيها أن الاستعانة لا تجوز حتَّى عند الضَّرورة، ومرت السنين وانقلبت الصُّورة فلم تكتفوا بتجويز الاستعانة للضرورة بل اعتبرتموها واجبة وأثم من لم يعملها.

وتكرر منكم تغيير الفتوى متابعة للحاكم في قضيتي أفغانستان واليمن، هذا فضلاً عن قائمة الفتاوى الصادرة منكم تبعاً لرغبة النّظام وأولها فتوى استدعاء القوّات ثمّ بيان هيئة كبار العُلَماء ضدّ خطاب المطالب وبيان الهيئة ضدّ مذكرة النصيحة وبيان الهيئة ضدّ لجنة الدّفاع، وبيان الهيئة في الأمر

---

(١) الرّسائل الشَّخصيَّة: ١٨٨.

بتوقيف الشَّيْخين سلمان وسفر من أجل "حماية المجتمع من أخطائهما" والفتاوى الأخيرة الّتي جعلت الأمريكان من المعاهدين معصومي الدَّم واعتبار قتلهم من أعظم الفساد في الأرض، ترى هل قرأتم كلام شيخ الإِسْلَام بن تَيمِيّة فيمن يفتي بخلاف الكتاب والسنة موافقة لهوى السُّلطَان، قَالَ في الفتاوى (وَمَتَى تَرَكَ الْعَالِمُ مَا عَلِمَهُ مِنْ كِتَابِ اللهِ وَسُنَّةِ رَسُولِهِ وَاتَّبَعَ حُكْمَ الْحَاكِمِ الْمُخَالِفِ لِحُكْمِ اللهِ وَرَسُولِهِ كَانَ مُرْتَدًّا كَافِرًا يَسْتَحِقُّ الْعُقُوبَةَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ)(١).

إن كتمان العلم ليس هو كتمان الكتاب والسنة فلا أحد يستطيع كتمان الكتاب والسنة، لكنه عدم إنزالها عَلى الوجه الصَّحِيح، في النّوازل الّتي يستوجب عَلى العالم إنزال النّصوص عليها، هذه الجريمة العظيمة إذا اكتفي بالكتمان فقط، فكيف إذا خان الأمانة، وكذب عَلى الله حين يبلغ عنه غير ما أراد سبحانه في كتابه وسنة رسوله، فهَؤُلَاءِ هم المقصودون بقول الله تَعَالَى: ﴿وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ ٱلَّذِيٓ ءَاتَيۡنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنۡهَا فَأَتۡبَعَهُ ٱلشَّيۡطَٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلۡغَاوِينَ ١٧٥ وَلَوۡ شِئۡنَا لَرَفَعۡنَٰهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخۡلَدَ إِلَى ٱلۡأَرۡضِ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُۚ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلۡكَلۡبِ إِن تَحۡمِلۡ عَلَيۡهِ يَلۡهَثۡ أَوۡ تَتۡرُكۡهُ يَلۡهَثۚ ذَّٰلِكَ مَثَلُ ٱلۡقَوۡمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَاۚ فَٱقۡصُصِ ٱلۡقَصَصَ لَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ ١٧٦﴾ [الأعراف].

إن مشكلتكم يا سماحة الشَّيْخ ليست مجرد العجز، فالعاجز بإمكانه أن يعترف بعجزه ويقول: «أنا عاجز» ويستقيل ويخرج منها كفافاً، لكن مشكلتكم هيَ الوقوف بثقل وجدية ونشاط مع البَاطِل وتأييده بالكلمة والموقف والفتوى. لقد آن الأوان ما دام في العمر بقية أن تسعوا لحسن الخاتمة وطيب الذكر بعد أن تقوموا بواجب الإصلاح والتبـيـين، ألا قد بلغنا اللّهم فاشهد). اهـ.

وأعتقد أن في هاتين الشهادتين ما يكفي للتعريف بالمؤسسة الدّينيّة الرَّسميَّة للسعودية عَلى لسان بعض أهلها من المخلصين والشرفاء والله حسيبهم، وقد تفاقم الأمر الآن وكثرت الأقلام والألسنة المتذمرة في أوساط الصّحوة الإِسْلَاميّة في لسعودية ولمن أراد مزيدا من هذا أن يتجه إلى مواقع الإنترنت الّتي وجد فيها كثير من هَؤُلَاءِ العُلَماء متنفسا للصدع بالحق والتعبير عن آرائهم.

****

(١) الفتاوى ج٣٥ ص٣٧٢-٣٧٣.

موقف علماء السُّلطَان في العالم الإِسْلَاميّ من الإحتلال الأمريكيّ للعراق:

عندما غزت أمريكا العراق في مارس ٢٠٠٣، فشلت عبر سنة من العمل الدبلوماسي قبلها في المؤسسات الدّولية والأمم المتحدة في الحصول عَلى شرعيّة واضحة لغزوها بالعراق، وقد أدى التهاب الشارع العَالَمِيّ عامة والعربي خاصّة بمشاعر الرفض والاستياء إلى خوف وذعر في أوساط الحكَّام العَرَب من تبعات احتلال العراق، وقد بدا ذلك جليا في وسائل الإعلام.

كما أدى تصريح الإدارة الأمريكيّة بنيتها استهداف الخارطة السّياسيّة والجغرافيّة للشرق الأوسط إلى إرباك الحكَّام العَرَب بسبب الخوف عَلى عروشهم، وعدم القدرة عَلى مُوَاجَهة أمريكا، بعد أن كبلوا أنفسهم بما يمنعهم من ذلك، وقد أعطت الحُكُومَات الضوء الأخضر لوسائل إعلامها ومنها منابر المساجد بإعلان مواقف الرفض للحرب في العراق، وقد كانَ هذا حال عموم العالم العربيّ والإِسْلَاميّ باستثناء دولة الكويت الّتي أعلنت التأييد رسميا وعمليا لأمريكا وحربها عَلى العراق، ومع ذلك فقد أرغمت أمريكا سبع دول عربيَّة عَلى فتح أراضيها ومياهها وأجوائها للعدوان وعلى تقديم الخدمات اللوجستية وهكذا قدمت كلّ من الكويت وقطر والبحرين وعمان والسّعُودِيّة ومصر والأردن خدماتها وكذلك باكستان وقدمت تركيا دعما جزئيا نتيجة الرفض والاستحياء والإجبار.

ويبدو أن تذمر الحكَّام العَرَب من الرعونة الأمريكيّة الّتي ضربت بعرض الحائط بكرامتهم ومصالحهم ولم تراعي قدرتهم عَلى العمالة النسبية ويحتمله الشارع العربيّ من ذلك، وقد انعكس هذا نوعا من غض البصر عن شيء من حركات التنفيس الشعبيَّة كالمظاهرات والمؤتمرات الّتي انتهى غالبها بقتل الشّرطة وقوَّات مكافحة الشغب لبعض المتظاهرين وتكسير عظام بعضهم، كما جعلت هذه الأجواء المؤسسة الدّينيّة الرَّسميَّة والمساجد شبه الحُكُوميّة تعيش حالة من صَحوَة الضمير الّتي اختلط فيها الصِّدق والعاطفة لدى بعض العُلَماء مع رغبة الحكَّام بممارسة شيء من الضغط عَلى أمريكا، ففوجئنا بشيخ الأزهر (سيد طنطاوي) الّذي شغل جل وقته بمكافحة الإِرهَاب يفتي مع بداية الحَرب بالجِهَاد في العراق ويبيح العمليَّات الاستشهادية ضدّ القوَّات الغازية ويمهد الأجواء للتظاهر في الجامع الأزهر، وتبعه بمفاجأتنا (مفتي الدّولة النصيرية) في سوريا (أحمد كفتارو) يدعو شباب

المُسلِمِين للعمليَّات الاستشهادية وهكذا أخذ كثير من العُلَماء وقيادات الصّحوة الرَّسميَّة وشبه الرَّسميَّة راحتهم عَلى الفضائِيَّات وبدأوا يدعون للجِهَاد.

بل إن دفعات الشَّبَاب المُجَاهد تحركت إلى العراق تحت سمع وبصر بعض الأنظمة العربيَّة وعبرت إلى العراق من سوريا.

وسرعان ما سارت الحَرب بالشكل المعروف لتعود الأمور إلى نصابها ومجراها من مكافحة العُلَماء للإرهاب في وسائل الإعلام إلى جانب حُكُومَاتها وسيدتهم أمريكا.

ولكن العجيب الملفت للنظر أن صَحوَة الضمير المؤقتة هذه لم تصب المؤسسة الدّينيّة السّعُودِيّة بل عَلى العكس، كانت جهود العُلَماء السّعُودِيّين منصبة عَلى الحديث عن عدم مشروعية الجِهَاد في العراق ضدّ أمريكا أثناء معارك الغزو وبعدها، وعدم صحة رايته والعزف عَلى أوتار التهور الّذي أوصل النّاس إلى غوانتانامو، بل وصل العزف إلى العُلَماء المستقلين من رواد الصّحوة العظام، وعلى سبيل المثال ما فاجأنا به الشَّيْخ سلمان العودة (بفقه المشروع الخاص) في مقابلة له مع إحدى الفضائِيَّات العربيَّة أثناء الحَرب: فعندما سئل عن مشروعية الذهاب للجِهَاد في العراق وهل هو فريضة لأن العدوّ حلّ في العقر، تهرب من الإجابة وراح يحدثنا عن أمر عجيب مفاده: أنه لو نزل العدوّ لا يجب عَلى كلّ الأُمّة أن تذهب للدفاع بل لابد لكل أحد أن ينشغل بمشروعه الخاص الّذي قد يكون دعوة إلى الله، أو مشروع تخرج جامعي، أو مجلة يصدرها، أو عملا يعمله، أو ربما مشروع زواج، أو حتَّى قراءة كتاب، ووصل الأمر به أن يقول حتَّى ولو كانَ المشروع الخاص ؛ جلسة تأمل!!

ولا أدري تأمل في ماذا؟! أهو تأمل في الأعراض تنتهك أم في النفوس تزهق ؟! أم في الكفر يرتع حتَّى من حوله حيث يجلس ويصلي ويتأمل؟!

هذا من أحد العُلَماء المستقلين، ناهيك عن سيل الفتاوى من أئمة الحرمين الرسميين وفقهاء مكافحة الإرهَاب عَلى شاشات الفضائِيَّات من علماء السُّلطَان في السّعُودِيّة.

وهكذا كانَ، والشواهد كما قلت تمتد لتشكيل كتابا أسودا مستقلا كبيرا، عن دور المؤسسة الدّينيّة الرَّسميَّة في بلاد العَرَب والمُسلِمين، في دعم الحملات الصّليبيّة الثّالثة ومحاربة من قاومها، ولله الأمر من قبل ومن بعد!

واليوم تقف المؤسسة الرَّسميَّة السّعُودِيّة في طليعة المؤسسات الّتي تقف بالمرصاد للجِهَاد والمُجَاهدين ولاسيما في السّعُودِيّة وتطور الأمر لافتتاح المراكز الإعلاميَّة لجمع جهود المفكرين والعُلَماء في مكافحة الإرهَاب ظنا من الحكومة السّعُودِيّة وعملائها العُلَماء أن ذلك سيغير من المكر الّذي خططته أمريكا للنظام السّعُودِيّ وحكمت عليه بالتغيير وعلى خارطة الجَزيرَة بالتقسيم وصدق رسول الله ﷺ: «مَنْ أَعَانَ ظَالِمًا بِبَاطِلٍ لِيَدْحَضَ بِبَاطِلِهِ حَقًّا فَقَدْ بَرِئَ مِنْ ذِمَّةِ اللهِ وَذِمَّةِ رَسُولِهِ»[1] وقال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُوَلِّي بَعْضَ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعْضًۢا بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ١٢٩﴾ [الأنعام].

****

وختاما أقول:

إن فهم معادلات القوى في صِرَاع الإِسْلَام والمُسلِمين مع الحملات الصّليبيّة يشكل مادة أساسية في العَقِيْدَة الجهاديّة، وأساسا لازما للبحث عن سبل صحيحة للمقاومة يمكن أن تحمل بها النُّخبَة الجهاديّة الأمّة علىَ الوقوف معها في مُوَاجَهة هذه الحملات الغازية وأداء هذه الفريضة وصولا إلى النّصر بإذن الله.

وبعد استعراض الحملات الصّليبيّة ولاسيما الثّانية والثّالثة ننتقل للفصل التّالي وهو استعراض تاريخ الصّحوة الإِسْلَاميّة ومدارسها.

---

(١) الشيخ أورد حديث «من أعان ظالما عَلى ظلمه سلطه الله عليه»! وهو موضوع قاله الألباني. ولو أورد الشيخ الحديث: «مَنْ أَعَانَ ظَالِمًا بِبَاطِلٍ لِيَدْحَضَ بِبَاطِلِهِ حَقًّا فَقَدْ بَرِئَ مِنْ ذِمَّةِ اللهِ وَذِمَّةِ رَسُولِهِ» رواه الطبراني في الأوسط (٢٩٤٤) وأبو نعيم في الحلية، وأورده الألباني في الصحيحة (١٠٢٠).

هذه الصّحوة الّتي وقع عَلى عاتقها مُوَاجَهة الإستعمار منذُ انحلت المرجعية الدّينيّة الكلاسيكية للمسلمين وفقدت دورها في مواجهته بعد أن واجهتنا بحكام من أبناء جلدتنا وعلماء وإسلاميين في طليعة جُيُوشهم وأجهزة أمنهم، فإلى الفَصل الخامس بإذن الله.

****

الفصل الخامس

مختصر مسار الصّحوة الإِسْلَاميّة المعاصرة

(١٩٣٠-٢٠٠٣م)

قَالَ اللهُ تَعَالَى:

﴿فَلَوْلَا كَانَ مِنَ ٱلْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ أُوْلُواْ بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْفَسَادِ فِى ٱلْأَرْضِ﴾

[هود: ١١٦]

روى أبو داود عن ثوبان أن رسول الله ﷺ قَالَ: «يُوشِكُ الْأُمَمُ أَنْ تَدَاعَى عَلَيْكُمْ كَمَا تَدَاعَى الْأَكَلَةُ إِلَى قَصْعَتِهَا»، فَقَالَ قَائِلٌ: وَمِنْ قِلَّةٍ نَحْنُ يَوْمَئِذٍ؟ قَالَ: «بَلْ أَنْتُمْ يَوْمَئِذٍ كَثِيرٌ، وَلَكِنَّكُمْ غُثَاءٌ كَغُثَاءِ السَّيْلِ، وَلَيَنْزَعَنَّ اللهُ مِنْ صُدُورِ عَدُوِّكُمُ الْمَهَابَةَ مِنْكُمْ، وَلَيَقْذِفَنَّ اللهُ فِي قُلُوبِكُمُ الْوَهْنَ»، فَقَالَ قَائِلٌ: يَا رَسُولَ اللهِ، وَمَا الْوَهْنُ؟ قَالَ: «حُبُّ الدُّنْيَا، وَكَرَاهِيَةُ الْمَوْتِ»[1].

وقَالَ رسول الله ﷺ: «بدأَ الإِسْلَامُ غريبًا وسَيَعُودُ غَريبًا كما بَدَأ فَطُوبَى لِلغُرَباء»[2].

(١) رواه أبو داود (٤٢٩٧)، وأحمد (٢٢٣٩٧) وحسنه الأرنؤوط، وصححه الألباني.

(٢) مسلم (١٤٥).

الفصل الخامس

مختصر مسار الصّحوة الإِسْلَاميّة المعاصرة ١٩٣٠-٢٠٠٣م

سقطت الخِلافَة العُثْمَانِيّة عام ١٩٢٤ رسميا بعد أن بدأت مرحلة الذبول منذُ مطلع القرن التّاسع عشر وماتت فعليا مع مطلع القرن العِشرين، وكانت الدّول الصّليبيّة قد قصمتها من أطرافها ثمّ تقاسمت إرثها لما أعلن هذا السُّقوط.

كانت بوادر صَحوَة إسلاميّة قد بدأت تولد منذُ أواسط القرن الثّامن عشر، وقد حاول بعض روادها ترميم الدّولة العُثْمَانِيّة وإصلاحها والتّعاون مع صلحائها والتوجّهات الحثيثة للسلطان عبد الحميد في الإصلاح ولكن لم يكن للعطار أن يصلح ما أفسد الدهر، فسقطت الدّولة وبدأت مرحلة الإستعمار وغابت الخِلافَة منذُ ذلك الحين أي قبل ٧٩ سنة، فحصل ردة فعل في العالم الإِسْلَاميّ عَلى هذا الزلزال، تمخضت عن ميلاد صَحوَة إسلاميّة مختلفة المشارب والأهداف تسعى كلها في النهاية إلى إعادة الخِلافَة واستعادة الحكم الإِسْلَاميّ والنهضة الإِسْلَاميّة.

وكان أبرز مدارس الصّحوة وبؤرها الناشئة ما يلي:

مدرسة الإخوان المُسلِمين:

وقد أسَّسَها الشَّيْخ حسن البنا رحمه الله عام ١٩٢٨، ووضعت إعادة الخِلافَة شعارا وهدفا لها، وقد جعل حسن البنا برنامج حركته وأسلوبها مختصرا فيما صاغه بقوله وشعاره:

(الله غايتنا، الرَّسُول قدوتنا، القرآن دستورنا، الجِهَاد في سبيلنا، الموت في سبيل الله أسمى أمانينا.)

وقد انتشرت جماعة الإخوان المُسلِمين في مصر حتَّى دخلت معظم مدنها وقراها وأصبحت أكثر الجماعات الّتي عاصرتها في مصر وما حولها، وخلال مدّة وجيزة انتشرت في بلاد الشّام، وانضوى فيها عدد من الجَمعِيّات الإِسْلَاميّة والحركات واستقطبت كثير من الكوادر والشخصيات ونمت حتَّى صار قواعدها بعشرات الآلاف، ومن ثمّ تمددت لتنتشر في مختلف بلاد العالم العربيّ والإِسْلَاميّ حيث

قامت جماعات إما بنفس الاسم وإما بأسماء محليَّة ولكنها تنطلق من نفس القواعد وتقوم عَلى نفس الأسس، ويمكن تلخيص منهج دعوة الإخوان المُسلِمِين لما قامت عَلى أنها حركة مزيج من بعض الأفكار السّلفيّة وبعض الأصول الصوفية والنزعة الجهاديّة والبنية الحَركيّة التَّنظِيمية مع توجهات سياسيّة واضحة بالإضافة لوجود ملامح للروح القوميّة والعاطفة الوطنيّة، وقد مارس الإخوان بحسب ظروف كلّ بلد النَّشَاط السّياسيّ وخاضوا الإنتخابات، وكان لهم مساهمات جهاديّة في فِلَسطِين، وضد الإنجليز في مصر، وصار لهم مع الوقت مَشَايخهم ومؤلفاتهم ومكتبتهم الواسعة، كما اعتمدوا منهجا متميزا تطور مع الوقت وتبدلت ملامحه ومارسوا التّربية والدّعوة بموجبه.

وتعتبر حركة الإخوان المُسلِمِين بحق كما يدعونها (الجماعة الأم) لمعظم الحركات الأصوليَّة السّياسيّة، وحتى كثير من الجهاديّة في العالم العربيّ والإِسْلَاميّ، وقد ولدت حركة الإخوان المُسلِمِين حركات بأسماء أُخرى كما أن تجمعات شبابية حملة فكرها وأعطت لأنفسها أسماء محليَّة ولكنها كانت كلها جماعات خرجت من نفس العباءة.

فكان من تلك الجماعات الّتي نشأت مستقلة في بلادها عَلى هذه الطَّريقة، - الجبهة القوميّة السُّودَانية – حركة الإتجاه الإِسْلَاميّ في تونس والَّتي تحول اسمها إلى حركة النهضة – حركة حماس في الجَزَائِر الّتي أسَّسَها محفوظ النحناح والَّتي تحولت إلى حركة مجتمع السلم – حركة النهضة الجَزَائِرية – حركة الإصلاح والتجديد في المغرب – حركة الطلائع الإِسْلَاميّة الّتي أسَّسَها الشَّيْخ عصام العطار في ألمانيا وانتشرت بين المُهَاجِرين والطلاب في أوربّا....إلخ.

حركات قريبة فكرياً من منهج الإخوان:

في بعض بلدان العالم الإِسْلَاميّ مثل حزب السَّلامة في تركيا الّذي تحول اسمه إلى حزب الرفاه ثمّ حزب الفضيلة، ومثل الجماعة الإِسْلَاميّة في باكستان، ومثل ذلك بعض الجماعات في جنوب شرق آسيا الإِسْلَاميّ.

حزب التحرير الإسْلاَميّ:

أسسه الشَّيْخ الفلسطيني (محمّد النبهان)، وقد نشأ في الأردن وفلسطين وانتشر حزب التحرير في الأربعينات رفع أيضا ولكنه تميز بأنه كانَ أكثر ميلا للتربية والتوجيه السّياسيّ وطرح نظريَّة إقامة الدّولة الإِسْلَاميّة بعد توفر النّصرة والشوكة للدعوة الّتي تهاجر إلى مكان حصول ذلك وجعل الجِهَاد متوقفا عَلى حصول ذلك ومال إلى العمل السري وتبنى مبدأ العمل الانقلابي في بعض البلدان.

المدارس الإصلاحية التربَويّة:

الّتي تبنت نشر الوعي الدّيني والتأسيس العلمي لإعادة بناء البنية التحتية في المجتمعات المُسلّحة كحركة جَمعيَّة العُلَماء المُسلِمِين في الجَزَائِر وقد فرجت هذه المدارس أرضا لرؤية السّياسيّة بمفهوم المُقاوَمة الحَضَاريَّة والمدنيّة الاستعمار وصولا إلى تأهيل النّاس الجِهَاد.

جماعات التبليغ والدّعوة:

وما شابهها في الطَّريقة والمنهج، وقد ولدت هذه الحركات في شبه القارة الهندية وكانت فكرتها تقوم عَلى إصلاح الفرد المسلم عَلى مستوى العِبَادات والسُّلُوك وتأسيس قاعدة من الأساسِيَّات الشَّرعيَّة والتفرغ لذلك بعيدا عن معتركات السّياسة ومصادماتها حتَّى تتمكن الحركة من الانتشار دون أن تعرقل السُّلطات ذلك وقد امتدت الحركة وصار لها ملايين الأتباع والمريدين وتقوم فكرتها عَلى أن يبذل المتنسب لها جزءا من وقته عَلى المستوى اليومي والأسبوعي والشهر والسنوي للخروج في سبيل الله في رحلات دعوية من مسجد إلى مسجد حيث يلتقون النّاس ويدعونهم إلى الصلاح والدّين والالتزام.

الحركات السّلفيّة ومدارس أهل الحديث:

وهي حركات وجدت أن كثيرا من البِدَع قد لحقت معتقدات المُسلِمِين وأميتت في مقابلها الكثير من السنن وأن كمية الشركيات والضلالات قد ألغت أصل الاعتقاد والصَّحِيح لدى أكثر المُسلِمِين حتَّى كادت تخرج عن أصوله وأن طريق الفلاح هو في الدّعوة أساسا إلى تجريد التّوحيد وتصحيحه كأساس لإصلاح الفرد والمجتمع يصل تلقائيا إلى تأهل المجتمع لقيام الحكم الإِسْلَاميّ، وقد كانت

معظم الحركات السّلفيّة في العالم العربيّ والإِسْلَاميّ أشبه بطريقة علمية تربَويّة وقد لعب تبني الدّولة السّعُودِيّة الثّالثة الّتي تولاها عبد العزيز وحلفاؤه من بعده للدعوة الوهابية للمتاجرة بها في الجَزِيرَة في القصة الّتي جاء لفتة عنها في الفصول السَّابقة إلى أن الحلف الّذي قام بين المؤسسة الدّينيّة الحُكُوميّة والأهلية والحكومة ساهم في قيام حركة نشطة من التدريس في الجامعات وقيام الجَمعِيّات والمؤسسات الرَّسميَّة والأهلية بنشر الدّعوة وأفكار مؤسسها وأحفاده وعلماء الدّعوة من بعدها وإحياء تراث الشَّيْخ ابن تَيمِيّة وسواه من أئمة الدّعوة السّلفيّة كابن القيم والشاطبي وسواهم وأوى نشر تلك المُؤلّفات وما يبنى عليها إلى زيادة انتشار الدّعوة السّلفيّة ومدارس أهل الحديث في العالم العربيّ والإِسْلَاميّ، وإن الله لينصر هذا الدّين بالرجل الفاجر وبأقوام لا خلاق لهم.

ولقد ولدت حركات فيما بعد من خلال اندماج أفكار بعض الحركات ببعضها، فولدت الحركة المسماة (السّروريّة) نسبة إلى أحد دعاتها وهي نوع من فكر الإخوان الحَركيّ والتوجه السلفي، كما ولد التّيار المسمى (السّلفيّة الجهاديّة) وهي فرع من الفكر القطبي والدّعوة السّلفيّة مدارس معاصرة وليدة مدارس قديمة، كذلك بعض الجماعات الصوفية الحَركيّة الّتي مزجت بين التّربية والتصوف والتوجّهات السّياسيّة كما في شمال أفريقيا وغير ذلك.

وخلال هذه الفترة (١٩٣٠-٢٠٠٠) الّتي نغطيها بالتحليل الموجز، نشأت كذلك بعض الحركات الصوفية الجهاديّة كتلك الّتي نشأت في شبه القارة الهندية ووسط روسيا وكذلك شمال أفريقيا في هذه الفقرة.

وهكذا قام كثير من الدعاة والعُلَماء والخطباء والكتاب والمفكرون الإِسْلَاميّون بالتّأثير في مسارات الصّحوة بحسب نشاطاتهم وعطائهم، وانتشرت ظواهر التدين والعودة للالتزام من انتشار الحجاب واللحى ومظاهر الالتزام وازدهار حركة الطباعة والنشر والتجارة في الكتب الإِسْلَاميّة المختلفة وطباعة المجلات والجرائد الإِسْلَاميّة ونشطت كثير من المساجد بالدّعوة وحلقات العلم والذكر والإصلاح والمؤسسات والجَمعِيّات الأهلية في مختلف صنوف البر والتقوى ودخل مختلف أنواع الإِسْلَاميّين جماعات وأفراد معترك الحياة السّياسيّة والفكريّة والأدبية كما قامت العديد من

الصدامات العنيفة بين الإِسْلَاميّين وبعض الحُكُومَات، وباختصار فرضت ظاهرة الصّحوة الإِسْلَاميّة نفسها عَلى المجتمعات الإِسْلَاميّة وصارت معلما بارزا من تاريخهم المعاصر.

- **الأطوار الرَّئيسة الّتي مرت بها الصّحوة الإِسْلَاميّة:**

يمكن أن نميز مسار الصّحوة الإِسْلَاميّة منذُ انطلاقها وإلى اليَوْم أربعة أطوار رئيسيَّة من حيث بنيتها الحَركيّة والمنهجيّة وأدائها وسماتها العامّة في كلّ مرحلة:

أولا: المَرحَلَة الأولى (١٩٣٠-١٩٦٥) (مرحلة النشأة):

ويمكن أن تسميها مرحلة (**ما قبل التبلور**) وأهم ما يميز هذه المَرحَلَة أن السمات العامّة للصحوة كانت مختلطة من حيث التكوين المنهجي ولاسيما في تيارها العام مثل حركة الإخوان المُسلِمِين، وما شابهها فقد اختلطت فيها المؤثرات الصوفية الآتية من البنية الكلاسيكية للمرجعية الدّينيّة للأمة خلال المَرحَلَة العُثمَانِيّة، مع المؤثرات السّلفيّة الّتي هبت مع رياح التجديد والإصلاح الّتي كانَ أبرزها ميلاد وانتشار الدّعوة الوهابية في الجَزِيرَة العربيَّة، منذُ القرن الثَّامن عشر وما واكبها من دعاة لهذه المدرسة في مناطق أُخرى، ممتزجة بشيء من المشاعر القوميّة الّتي ظهرت أواخر الدّولة العُثمَانِيّة كرد فعل عَلى سياسة (التتريك) الّتي طبعت آخرها، مما حفز الشّعوب الاخرى لاسيما العَرَب وغيرهم عَلى العصبية القوميّة والالتفاف حولها كما اتسمت مدارس الصّحوة ومناحيها بالتهاب الشعور الوطني لأن المَرحَلَة كانت مرحلة مُوَاجَهة استعمار، كما طبعها أسلوب التربَويّة والإصلاح السُّلُوكي.

وكانت فترة غنية نسبة بالمُؤلّفات التأسيسية لتلك المدارس، كما مارس أكثر رموز وجماعات الصّحوة الجِهَاد بشكل أو بآخر ضدّ المُستَعمرين عبر الجِهَاد المُسلّح، أو عبر المُقاوَمة المدنيّة والعمل السّياسيّ.

ثانيا: المَرحَلَة الثّانية (١٩٦٥-١٩٩٠) وهي مرحلة (التبلور والتمايز) المنهجي والهيكلي لحركات الصّحوة:

وذلك خلال مرحلة الإستقلال تحت حكم الحُكُومَات الوطنيّة الّتي طبعتها العلمانيّة والتبعية للاستعمار، بعد ذهابه كما مر معنا في الفصول السَّابقة، حيث هبت رياح التغريب وانطلاق سعار الغزو الفكريّ الّذي نشر المذاهب العلمانيّة والتّيارات القوميّة والوطنيّة والمدارس السّياسيّة والفكريّة ذات المنشأ الغربيّ كالدِّيمقراطيَّة والاشتراكية والرأسمالية والشُّيُوعِيّة وغيرها، ونظرا لقيام حُكُومَات عَلى مفاهيم تناقض الدّين واصطدامها بشكل طبيعي مع مختلف مدارس الصّحوة الّتي لعبت الدَّور الأساسي في مُوَاجَهة الاستعمار، وتمكن تلك التّيارات العلمانيّة من قطف ثمرة جهود حركات تلك الصّحوة والشّعوب الّتي جاهدت الاستعمار تحت شعار الإِسْلَام، طرحت عَلى الصّحوة إشكالات منهجيّة نتيجة الوضع الجَدِيد ومسائل فقهيّة يجب أن تحدد منها موقفا سياسيّاً شرعيا وعمليا، فالحكام مسلمون ظاهرا، ويحكمون بغير ما أنزل الله واقعا، وهم وأعوانهم يقتلون الّذين يأمرون بالقسط من النّاس، ويوالون الكفّار ويعاونونهم عَلى المُسلِمِين! وهناك أجزاء ما تزال محتلة ولاسيما فِلَسطِين ومشكلتها المزمنة وموقف الحُكُومَات الخياني منها، ومسألة الصدام مع السُّلطات أم مهادنتها، مفارقتها أم موادعتها، أم مفاصلتها ومواجهتها؟ أم الدخول فيها من بوابة الممارسات (المشروعة)! و(القانُونيّة) و(الدستورية)! هذه الأحوال فرضت عَلى الصّحوة أن تتمايز صفوفها وتتبلور بناء عَلى موقفها من هذه المسائل وطريقة تعاملها مع السُّلطات المرتدّة الحاكمة الغاشمة، ومن المسائل الفكريّة والعقدية المطروحة، وانقسمت بذلك الصّحوة إلى أربع مدارس رئيسيَّة، حيث استمرت الصّحوة بالنمو والعطاء ولكن من خلال التمايز في بنيتها ومناهجها، هذه المدارس هيَ:

صَحوَة غيرسياسيّة:

وهي المدارس والتّيارات والجماعات الّتي رأت السَّلامة لمسار الدّعوة ولأصحابها في اعتزال السّياسيّة والعمل من خلال الدّعوة والإصلاح كلّ بحسبه

ورغم اختلاف منظورات كلّ مدرسة من هذه عن غيرها وربما تناقضها كليا إلا أنها التقت إزاء المشاكل المطروحة عَلى الأُمّة عَلى نقطة اعتزال السّياسة والبعد عن معتركها ومن هذه المدارس الغير سياسيّة أكثر الحركات الصوفية ومساجدها وزعاماتها والّذين عادوا لتبني مبدأ التّربية السُّلُوكية والعِبَادة وإصلاح علاقة الفرد بربه حتَّى بلغ بأحد أقطابها الكبار في بلاد الشّام شيخ الطَّريقة القادرية في وقته في سوريا وما حولها أن يلقن أتباعه عند الانتساب للطريقة أن يصلوا ركعتين ابتدعهما لهم ينوي فيها المصلي قائلا (أصلي لله تَعَالَى ركعتين سنة ترك السّياسة، اللهُ أكبَر ويستفتح الصّلاة).

ومن هذه المدارس اللاسياسيّة(جماعة التبليغ والدّعوة) بفروعها ومساجدها ودعاتها وأتباعها الجوالين في سبيل الدّعوة، حيث يتولى الموجهون والمسؤولون ضبط مسألة عدم تسرب السّياسة ومسائلها إلى مساجدهم ومؤتمراتهم !!

واشترك في اعتزال السّياسة المدارس الّتي اصطلح عليها بـ (السّلفيّة العلمية) الّذين تفرغوا لإصلاح العقائد والجهد في نشر العلم الشَّرعيّ، ولاسيما في الحديث وعلومه والعقائد وفروعها وباقي أبواب العلوم الشَّرعيَّة بناء عَلى ذلك، ونشأت منها مدرسة الشَّيْخ الألباني تحت شعار(التصفية والتّربية).

ومن المدارس الّتي آلت للفكر والبحث والتّربية ما سمي بـ (القطبية) وهي (القطبية العلمية السّلفيّة) أيضا والَّتي أخذت بالمنهج الفكريّ للأستاذ محمّد قطب وكثير من الجوانب الفكريّة لأخيه الشّهِيد سيد قطب رحمه الله، طارحة منهجه السّياسيّ الحَركيّ جانبا، ومن هذه المدارس من اتسم بالصوفية التربَويّة الشبه حركيَّة، مثل جماعة العدل والإحسان في المغرب، ومن عَلى شاكلتها، وألفت النَّظر هنا إلى ما ذكرته في المقدِّمة بأني لست هنا بصدد تقديم دراسة نقدية من النواحي المنهجيّة والبنيوية وذكر الايجابيات والسلبيات، وإنما بصدد التصنيف العام.

وكما قلت فقد التقت هذه المدارس عَلى ما فيها من خلافات وتناقضات عَلى فكرة **خلاصتها:**

أن تغيير الأوضاع والنهضة بالأُمّة يرجع إلى إصلاح الفرد، فإذا صلح الفرد صلح المجتمع وصلح حاكموه فكما تكونوا يولى عليكم، وأما مشاكل الأُمّة المحليَّة والخارجيّة فليس لهم بها علاقة، وليس لها من دون الله كاشفة!

وأما الفوارق بين مختلف هذه المدارس في طريقة إصلاح الفرد، فهذا يرى ذلك سلوكيا والآخر يراه عقديا أو تربويا أو فكرياً، وهكذا ولم تستطع هذه التوجّهات أن تقدم تصوُّرا منطقيا لآلية تولد حلا للمشاكل القائمة عبر هذه التّربية ولا مدتها ولا مراحلها وقصارى ما عبر عنه الأستاذ الجليل محمّد قطب في أحد كتبه في مطلع التِّسعينيَّات والّذي كانَ بعنوان (حول تطبيق الشّريعة) يقول بعدما عرض طريقة التّربية للقاعدة الصلبة قَالَ مما أذكر نصه (وعندما تمتد القَاعِدَة الصلبة وتصبح بندقة تستعصي عَلى الكسر، ذات يوم، يأتيها فرج الله وتقوم دولتها وعندها يدخل النّاس في دين الله أفواجا.!!).

وأما الشَّيْخ الألباني [وما زلت بصدد التعريف والمثال وليس التقييم والتعليق] فقد كانت آخر فتاويه وهو يندد بالجِهَاد والمُجَاهدين في مُوَاجَهة الحُكُومَات بفتواة الشهيرة:

(الخروج عَلى الحكَّام في هذا الزّمان هو في حقيقته خروج عَلى الإِسْلَام) !!!!!

كما تدور طروحات الصوفية والإصلاحية أيضا في أفاق المغيبات عن التَّغيير وآليته، ويبدوا لي أن بطش الحُكُومَات وطريقة تعاملهم مع الصّحوة في كافّة البلدان أواخر الخمسينيات ومطلع عقد الستينيات ساهم إلى حد كبير في صياغة مدارس الصّحوة اللاسياسيّة رغم أنه لا يمكن نفي الإخلاص ولا الحرص عَلى سلامة الدّعوة وأبنائها من وراء هذا المنهج في كثير من الأحيان من كونها السبب وراء هذا المنهج، والله تَعَالَى أعلم.

صَحوَة سياسيّة:

وقد كانت هذه المدارس من الصّحوة في منطلقها عَلى النقيض تماما من سابقتها، فقد وصّف هَؤُلَاءِ الحال توصيفا أقرب للصحة، فقالوا أن مشاكل الأُمّة ذات الأسباب الداخليَّة أو الخارجيّة هيَ مشاكل سياسيّة ولا بُدَّ أن يبحث لها عن حلّ من خلال ممارسة السّياسة كما أن من الحيف والغلط

العقدي حتَّى، شطب السّياسة من الدّين تحت أي دعوى، وأن الحلّ ليس في اعتزال السّياسة من أجل تفادي الصدام مع السُّلطات وتلافي بطشها وإنما يكون ذلك من خلال اقتحام ميدان السّياسة من خلال القنوات المشروعة والقانُونيّة الّتي تتيحها السُّلطات كلا بحسبها وذلك عن طريق تشكيل الأحزاب الإِسْلَاميّة والجَمعِيّات السّياسيّة وشبه السّياسيّة والنَّشَاط الفكريّ والأدبي والسّياسيّ ودخول معترك الإنتخابات والدِّيمقراطيَّة إن وجد أو التسلل إلى أجهزة السُّلطات والمعارضات بحسب الإمكان وحسب أوضاع كلّ بلد، وقد حمل رايات هذه الصّحوة السّياسيّة أحزاب الإخوان المُسلِمِين ومن شابههم وما انبثق عنهم من حركات مشابهة سواء تحت نفس المسمى أو تحت المسميات المحليَّة، وشهدت هذه المَرحَلَة (١٩٦٥-١٩٩٠) وربما قبل ذلك بقليل في البلدان سريعة الاستقلال كما كانَ حال مصر وسوريا والباكستان وتركيا، فقامت تجارب كثيرة في مجال الديمقراطيات (الإِسْلَاميّة)! ثمّ تتابعت التَّجَارب إلى مطلع التِّسعينيَّات ومازالت ولكنها دخلت بعد قيام النّظام العَالَمِيّ الجَدِيد في طور جديد سنتحدث عنه لاحقا إن شاء الله ومن تلك التَّجَارب السّياسيّة هذه:

- تجربة الإخوان المُسلِمِين والإِسْلَاميّين في الإنتخابات البرلمانية في سوريا بعيد الإستقلال ١٩٤٦ إلى مطلع الخمسينيات إلى بدء عهد الانقلابات العسكريّة منتصف الخمسينيات ومطلع الستينيات.
- تجربة الإنتخابات والحياة البرلمانية أواخر أيّام الملكية في مصر قبيل إنقلاب عبد النّاصر ١٩٥٢.

ثمّ شهدت الحياة السّياسيّة في معظم العالم العربيّ والإِسْلَاميّ مرحلة الديكتاتوريات العسكريّة والحزبية خلال الستينيات والسَّبعينيَّات، حيث كانت هذه المَرحَلَة مرحلة تصادم بين الصّحوة والسُّلطات، قضى معظم الدعاة وحتَّى السّياسيّون منهم قسطا من حياتهم في السّجون ليخرجوا بأفكار ديمقراطية أكثر تطورا.

فشهد عهد أنور السادات في مصر انفتاحا بعد أن خلف عبد النّاصر مطلع السَّبعينيَّات وفتح أبواب السّجون للإسلاميين لمُوَاجَهة المد اليساري المتنامي فدخل الإخوان وبعض شخصيات الصّحوة الاخرى الحياة السّياسيّة الحزبية في مصر.

- ثمّ رخص الملك حسين في الأردن للإخوان وعدد من الجماعات الإِسْلَاميّة مجال العمل وتطور هذا أواخر الثّمانينيَّات ليكون مشاركة في الحياة النيابية، بل ودخل بعضهم الحكومة والوزارات.
- وفي ملكيات الخليج والجَزِيرَة العربيَّة والمغرب حيث شكل الإِسْلَاميّون وبعض مدارس الصّحوة جزءا من حاشية السّلطة الملكية ولاسيما في السّعُودِيّة.
- ثمّ ابتدأت الكويت تجربتها البرلمانية كأول دولة في الخليج يدخل الإِسْلَاميّون فيها الحياة السّياسيّة كأحزاب.
- ثمّ خاض الإتجاه الإِسْلَاميّ في تونس أيضا تجربة مأساوية بزعامة الغنوشي.
- وتحالفت الجبهة الإِسْلَاميّة القوميّة السُّودَانية بزعامة الترابي مع جعفر النميري وصارت شطر السّلطة ثمّ قادت انقلابا وحكمت السُّودَان ثمّ عادت للمعارضة.
- وكذلك كانَ للإخوان المُسلِمِين ونظرائهم من تيار الصّحوة تجربتهم البرلمانية الحزبية في اليمن.
- ولكن أبرز التَّجَارب الدِّيمقراطيَّة العربيَّة، كانَ ما حصل في الجَزَائِر بعد الانفتاح الّذي أحدثه الرَّئيس الشاذلي وصعود نجم الجبهة الإِسْلَاميّة للإنقاذ وتجربتها الّتي تشكل درسا بالغ الدلالة.
- أما عَلى الصعيد الإِسْلَاميّ فأبرز التَّجَارب وأقربها للعالم العربيّ، كانت تجربة الجماعة الإِسْلَاميّة في باكستان، وقد دخلت التَّجربة الدِّيمقراطيَّة الحزبية منذُ وقت مبكر وما زالت إلى اليَوْم.
- وكذلك تجربة حزب السَّلامة في تركيا منذُ الستينيات والَّتي أوصلت زعيمها أربكان مرتين إلى سدة الحكم الأولى كنائب لرئيس الوزراء أواسط الستينات، والثّانية وهي الأهم سنة ١٩٩٦ حيث أحرزت الأغلبية البرلمانية وتولى أربكان رآسة الوزراء سنة١٩٩٥ وفي الحالتين أطاح العسكريّون بالتجربة.

وبالإجمال بقيت معظم مساهمات الإِسْلَاميّين في الحياة السّياسيّة في المعارضة وشكلت جزءا يسيرا من قوتها في البرلمانات التَّشريعية، ووصلت في حالات نادرة إلى السّلطة التنفيذية كما في (الأردن- الجَزَائِر- تركيا-) ولكن تمَّ في كلّ الحالات تقليم أظافرها وإبعادها عن مركز النفوذ والقرار.

- ومع بداية التِّسعينيَّات لحق كثير من المدارس الغير سياسيّة من **الصوفية والسّلفيّة والتبليغ والدّعوة وغيرهم** من سبقهم من الإخوان ونظرائهم في الممارسة البرلمانية، وتسللت الدِّيمقراطيَّة لمعظم مكوّنات الصّحوة الإِسْلَاميّة تقريبا كما سنرى وسنأتي عَلى شيء من التّعليق حول هذه التَّجربة في الفقرة التّالية إن شاء الله.

صَحوَة جهاديّة:

بعيد قيام حُكُومَات الإستقلال عَلى قاعدة الحكم بغير ما أنزل الله، والوَلَاء لمن ولاّهم من القوى الاستعماريّة الشرقية والغربيّة، اصطدمت مختلف شرائح الصّحوة بهم، ومارست معظم الحُكُومَات سياسة البطش والقتل والسّجن والتنكيل، وبدأت تتفاعل تلك الأحوال وتعزز نتائجها عَلى كافّة صعد الحياة السّياسيّة والاقتصاديَّة والاجتماعيَّة وبدأت تتكون بذور الثَّورة عَلى ذلك الواقع وتتكون دواعي الجِهَاد في فكر الصّحوة الإِسْلَاميّة.

لقد توصل نفر من المفكرين والدعاة الأوائل مطلع الستينيات إلى أن مشاكل الأُمّة قائمة تطول: أولها حكم الكفر وولاء الأَعدَاء، وليس أقلها العدوان والظُّلم والإحتلال وسرقة الثّروات و..و.. وهذه مشاكل يحرس العدوّ بقائها عبر نوابه بقوة السّلاح والحديد والنار وسلاسل السّجون وسياط الجلادين وتوصلوا إلى أن مقتضى دين الله في مثل هذه الأحوال هو أن يكون الجِهَاد فرض عين لإقامة حكم الله في البلاد أولاً وكذلك دفاعا عن دين الدّين والأنفس والأموال والأعراض.... فبدأت تتكون بوادر الفكر الجهاديّ حيث طرح فكر الحاكِمِيَّة والوَلَاء والبَرَاء والتمايز والمفاصلة.

وكان رائد هذه الصّحوة بلا منازع الأستاذ المعلم سيد قطب رحمه الله، وكان للأستاذ أبي الأعلى المودودي رحمه الله في باكستان مساهمة فذة كذلك، وتتالت المساهمات وتكونت القَاعِدَة الأولى للفكر

الجهاديّ الحَركيّ الّذي ما لبث أن انتشر وبدأت تتكون نوياته في مصر ثمّ الشّام ثمّ شمال أفريقيا وغيرها، وتتابعت التّجَارب كما سيأتي شيء من التفصيل في الفَصلين التاليين إن شاء الله.

صَحوَة شاذة منحرفة:

نتيجة صدامات مختلف مدارس الصّحوة السَّابقة مع طواغيت العَرَب والعجم من حُكَّام بلاد المُسلِمِين ولد في تلك الظّروف المأسوية تيار منحرف شاذ تمثل فيما عرف بتيار **التَّكفِير**، أو **التَّكفِير والهِجرَة** كما أسمته وسائل الإعلام، وقد ولد ابتداء في مصر ولكن وجدت له بذور في كلّ بيئة شابهت معطياتها الفترة الّتي ولد بها هناك.

فقد جاهر معظم الحكّام بمختلف ألوان الكفر والردة من الحكم والتّشريع بغير ما أنزل الله إلى ولاء الكافرين إلى غير ذلك من تبعات ذلك، واتخذ هَؤُلَاءِ الحكّام لهم شرطة وأعوانا وأجهزة استخبارات وأمن وبطش، وأقامت الحُكُومَات السّجون وقاعات التعذيب بلا حسيب ولا رقيب، كما أقام كلّ حاكم إلى جانبه عكازا من الكهان والسحرة يشهد عليه بمراتب الإِسْلَام والإيمان والإحسان وعلى نظامه بالشَّرعيّة، ويسبغ عليه ما لولي الأمر الشَّرعيّ من الحقوق، فيما جنحت كثير من رموز الصّحوة السّياسيّة وغير السّياسيّة إلى المداهنة والتلعثم في قول الحقّ، بل وتجرأت عَلى دخول هياكل السّلطة وأجهزتها واتسمت الصّحوة بالعجز عن مُوَاجَهة ذلك الواقع وفي ذات الوقت انغمس معظم شعوب الأُمّة في حياة استهلاكية لاهية عابثة، وبطبيعة الحال، كانَ في شباب الصّحوة من يتمتع بالحماس المتقد والغيرة الشديدة عَلى دين الله بقدر ما توفر له من نصيب من الجهل في علوم الدّين وقواعده وضوابطه، ومثل ذلك من قلة الخبرة في فقه الواقع ومعطياته.

فنظر واحدهم إلى حاكم كافر، وسجان ينتهك الأعراض ويسفك الدِّماء ويسب الله ورسوله ودينه بلا حياء ولا وجل فرأى الشَّبَاب المعذب أن لا شَّكَّ في أن هَؤُلَاءِ كفرة، ولا شَّكَّ أنه استنتاج صحيح، ثمّ نظر الشَّبَاب إلى علماء منافقين يعلمون كلّ هذا ويشهدون عليه بالشَّرعيّة ويسوغونه، فقالوا لا شَّكَّ في كفر هَؤُلَاءِ الّذين كتموا ما أنزل الله واشتروا به ثمنا قليلا، ثمّ نظروا إلى قيادات صَحوَة عاجزة مداهنة منكفئة، فسألوهم عن هذا الكفر وأحكامه، وحكم أصحابه فشهد الدعاة وقادة

الصّحوة عَلى هذا الضلال بالفسوق والظُّلم، ولكنهم لم يتجرؤوا، أو لم يتوصلوا إلى الحكم عليه بالكفر، فحكموا عَلى هذه الأنظمة وأجهزتها بالإِسْلَام وبمجرد الظُّلم والفسق، فهنا حصلت الصدمة الفكريّة في رؤوس بعض الشَّبَاب فأعملوا القَاعِدَة المعروفة (من لم يكفر كافرا فقد كفر) عَلى كلّ المستويات، جاهلين أن هذه القَاعِدَة هيَ في كفر المجمع عَلى كفره بلا تأويل واستنتاج كاليَهُوْد والنّصَارى والمجوس، فأسقطوها عَلى من لم يكفر أولئك الحكّام وتتابعت السلسلة المنكودة، فكل من لم يكفر من كفروه فقد كفر.

ولقلة العلم وبسبب الحماس والتشنج وظروف السّجون، ولد فكر التَّكفِير، وبسبب الجهل ولنفس الأسباب السالفة اختلفوا عَلى حدود التَّكفِير فكفروا بعضهم بعضا، وانبثق من هنا مدارس وجماعات مختلفة في أصول التَّكفِير وتوسعهم فيه.

وعلى هامش هذه الأفكار نظر هَؤُلَاءِ إلى المجتمعات وما يتمرغ فيه أكثر النّاس من الرذائل والفساد، فولدت فكرة جاهلية هذه المجتمعات، ثمّ كفر بعضهم هذه المجتمعات لأنها تمالئ حكامها أو لم تعبأ بتعلم دينها، وتقع بجهالتها وعدم سعيها لفهم دينها في نواقض الإيمان، وطرحت فكرة الابتعاد عنها للعيش في مجمعات معزولة يقوم أصحابها عَلى تربية أنفسهم وأولادهم عَلى الدّين والفضيلة فولدت فكرة الهِجرَة، وامتزجت في كثير من الأحيان نتيجة العزلة والجهل والحيف الّذي وقع عليهم من السُّلطات وعلمائها، ثمّ من الصّحوة وقيادتها، ثمّ من النّاس والمجتمع، فتفاقمت الظَّاهِرة، واختلفت زوايا الانحراف فيها، واعتبر بعض هذه الجماعات أنفسهم (جماعة المُسلِمِين) وكفروا من ورائهم، وتردد البعض نتيجة بعض العلم عندهم أو بعض الخوف من إطلاق حكم التَّكفِير تورعا فبدؤوا في البحث في أعذار الجهل لتخفيف هذه الأحكام عن البعض، واختلفت الآراء في تفسير نصوص العُلَماء الأوائل بالعذر بالجهل وحدوده وشروطه فأطلقوا الأحكام حينا، وتوقفوا للتبين حينا فولدت ما يسمى جماعات (التوقف والتبيُّن)، وشهدت فترة السَّبعينيَّات والثَّمانينيَّات توفر أسباب النمو لهذه التّيارات الشاذة الّتي آذت الإِسْلَام والمُسلِمين والصّحوة، وآذت نفسها، ووفرت فرصة ذهبية للعدو لنسف شعبيَّة التّيار الجهاديّ والصّحوة الإِسْلَاميّة كلها، حيث نسبت الحكومة إلى

كلّ من يريدون تدميره تهمة الإنتماء إلى هذا التّيار الممقوت والمعزول من قبل عوام المُسلِمِين صالحهم وفاسدهم.

وهذه خُلاصة قصة التّكفِير في أوساط الصّحوة حيث يمكن ايجاز معادلة توليده بما يلي،

حاكم كافر ظالم + جلاد سفاح مجرم + عالم منافق للسلطان + صَحوَة عاجزة + عامة يغلب عليهم الفساد + شباب متحمس جاهل مظلوم = ميلاد تيار التَّكفِير

وكدأب الشّيطان دائما، طلب بعض أقطاب هذا التّيار بعض العلم وعادوا يبحثون في كتب الأقدمين عما يدعم أصولهم وأفكارهم فصار لهذا التّيار أمراؤه وفقهاؤه المنحرفون ونشراته الضالة، وغلب عَلى أتباعه العنف في كلّ الأحوال، واستدرجت أجهزة الاستخبارات بعضهم حيث وجدوا للولوغ في دماء الأبرياء، ثمّ دماء بعضهم، ودماء من أرادت الاستخبارات استجرارهم إليه لتدميرهم وتدمير الجِهَاد والصّحوة ومستقبل الإِسْلَام حيث أرادت، كما سيأتي شيء من التفصيل في الفَصلين القادمين إن شاء الله.

وهكذا تبلورت مدارس الصّحوة الأربعة هذه، ومع التّواصل الّذي ازداد في هذه الفترة عبر كلّ وسائل الاتّصال انتشرت هذه المدارس في بلاد العَرَب بحسب أسبقية استقلالها وانتشار الصّحوة فيها كما انتشرت في بض بلاد المحيط العربيّ مثل تركيا وباكستان وأطراف أفريقيا، ونتيجة حركة الهِجرَة الكثيفة الّتي دفعت بملايين الشَّبَاب المسلم من الطلاب والعمال إلى المهجر في أوربّا وأمريكا وأستراليا وكندا وسواها، هاجر نتيجة القمع والمطاردات كثير من كوادر وقيادات ودعاة الصّحوة الإِسْلَاميّة من مختلف مدارسها إلى بلاد الغرب وسواها، وأقاموا المراكز الإِسْلَاميّة والمساجد، كما قامت كثير من الجماعات والمؤسسات الأهلية بالخروج إلى هناك بلا إكراه وإنما بقصد نشر الدّعوة والإِسْلَام فانتشرت مدارس الصّحوة الأربعة هذه في أوساط المهجر ونتيجة الحريَّة المتوفرة وتوفر إمكانيَّات الاتّصال والنشر، ساهمت مراكز الصّحوة في الغرب في إعادة تصدير ما تطور من فكرها وتجاربها، وصار لها صحفها ومجلاتها ووسائل اتصالاتها وصارت الصّحوة الإِسْلَاميّة في المهجر جزءا مهما ساهم في دفع

مسارها وأثراه وزاده عطاء عَلَى كافّة الأصعدة، كما صار الغرب وأوساط الجاليات مسرحا لتواجد كافّة مدارس الصّحوة المتواجدة في العالم الإِسْلَاميّ،

ثالثا: المَرحَلَة الثّالثة: (١٩٩٠-٢٠٠٠): مرحلة الأزَمَات:

كانَ العقد الأخير من القرن العِشرين بعد انطلاق النّظام العَالَمِيّ الجَدِيد، عقدا مفصليا بالغ الأهمّيّة في تاريخ الصّحوة الإِسْلَاميّة بكافة مدارسها الأربعة وما ينضوي في كلّ مدرسة من مناحي، ومواجهتنا مع طواغيت بلاد العَرَب والمُسلِمين وكما أشرنا في الفَصل السابق فقد شهد مطلع هذا العقد انطلاق النّظام العَالَمِيّ الجَدِيد واختياره للإسلام والصّحوة الإِسْلَاميّة خاصّة خصما استراتيجيا وحضاريا وعقديا بل وعسكريّاً في مُوَاجَهة الحضارة الغربيّة بعد أن آل قيادها لأمريكا وأتباعها من دول أوربّا النّاتو،

ويمكن اختصار سياسة الغرب في مُوَاجَهة الصّحوة بنيابة الحكّام وأجهزتهم المختلفة خلال هذا العقد بالنقاط المختصرة التّالية ؛ حيث سنذكرها ثمّ نتبع ذلك بخلاصة مسار كلّ مدرسة من المدارس الأربعة سالفة الذكر وهي المدارس: اللاسياسيّة، والسّياسيّة، والجهاديّة، والتكفيرية، فقد اتسمت مُوَاجَهة الحكّام والغرب للصحوة بما يلي:

1. **ضرب الإتجاه الجهاديّ من الصّحوة الإتجاه المعتدل منها بحسب موازينهم.**
2. **توسيع قاعدة الأصوليّة (المعتدلة) بحسب مفهومهم بتوسيع باب المشاركة الدِّيمقراطيّة للإسلاميين لتدخل مؤسسات السّلطة من أجل تحقيق الهدف آنف الذكر في البند السابق.**
3. **مساعدة تيار التَّكفِير عَلَى البروز واستنساخ بذور تكفيرية برعاية الإستخبارات، واتباع سياسة إعلاميَّة لخلط التَّكفِير بالجِهَاد من أجل عزل الجهاديّين عن الأُمّة والإيقاع بينهما، وهذا ما طبق في الجَزَائِر(١٩٩٣-١٩٩٧) ونجح.**
4. **إطلاق حملة (الإِسْلَاميّين عَلَى الطَّريقة الأمريكيّة) عبر وسائل الإعلام في هجمة للتغريب والانحلال، من أجل تفكيك الجُذُور الأصوليَّة للإسلام الّتي تضمن توليد بذور المُقاوَمة.**
5. **إنطلاق حملة مكافحة الإِرهَاب الأمنيّة ضدّ التّيار الجهاديّ.**

٦. **إنطلاق حملة مكافحة الإرهَاب الإعلاميَّة السّياسيّة ضدّ التّيار الجهاديّ باستخدام المؤسسة الدّينيّة الرَّسميَّة كجبهة أولية تدعمها قطاعات الإِسْلَام المعتدل.**

ولنقف مع أثر هذ السياسات في المُوَاجَهة عَلى مسار كلّ مدرسة من مدارس الصّحوة الأربعة خلال العقد الأخير من القرن العِشرين.

الصّحوة اللاسياسيّة: (١٩٩٠-٢٠٠٠):

لعلّ أبرز ما يميز ما حلّ بمدارس هذه الصّحوة من أمثال بعض مدارس الصوفية والسّلفيّة والدّعوة وأصحاب المذهب الإصلاحي خلال هذا العقد هو أمران اثنان:

أولها: تسيس كثير من رموزها وجماعاتها مع الوقت ودخولها ميدان العمل الحزبي والبرلماني عبر أبواب الدِّيمقراطيَّة الّتي فتحتها الحُكُومَات عَلى مصراعيها لتحقيق الهدف المبيت بتمزيق الصّحوة وجعل مدارسها الثّلاثة تقف في حصار ومُوَاجَهة التّيار الجهاديّ فقد دخل كثير من الشخصيات من الصوفية والتبليغ والسّلفيّة مجال الدِّيمقراطيَّة والعمل الانتخابي إن بصورة مستقلين أو بصورة تجمعات وكتل برلمانية في مختلف الدّول العربيَّة والإِسْلَاميّة الّتي فتحت المجال.

ثانيها: إحياء عَقِيْدَة الإرجاء ببعد وهوية سياسة معاصرة بين مختلف مدارس هذه الصّحوة عَلى تناقضاتها العقدية من أقصى الصوفية إلى أقصى السّلفيّة، بحيث أعيد التركيز عَلى إسلام الحاكم وإيمانه، والفَصل بين هويته هذه وطريقة حكمه وسياساته وممارساته العامّة والخاصة.

وكان الهدف فيما يبدو هو رفع الحرج الشَّرعيّ عن المشاركة في مؤسسات الحكومة التَّشريعية والتنفيذية والقضائية الّذي يسببه إطلاق حكم الكفر عليها.

وبهذا بدأت قاعدة هذه المدارس بصفتها اللاسياسيّة تضمر، وبدأت تتداخل عمليا في طروحاتها السّياسيّة وبالتالي الشَّرعيَّة مع المدرسة الأخرى الّتي سبقتها بهذه الممارسات بعدة عقود، وقد شكلت هذه الكتل منافسا حقيقيا ضمن صف الصّحوة الإِسْلَاميّة للمدرسة السّياسيّة للإخوان المُسلِمِين وأشباههم في بعض البلدان، خُصُوصَاً عندما دخل بعضهم في تحالفات انتخابية مع تيارات علمانية!

وقد حصلت في حالات أُخرى تحالفات عديدة بين المدرستين الإِسْلَاميّتين لتشكيل كتل إسلاميّة كبيرة وجبهات عمل مُوَاجَهة للتيار السّياسيّ الحاكم أو العلماني المعارض.

الصّحوة السّياسيّة (١٩٩٠-٢٠٠٠):

شهدت فترة (١٩٧٠–١٩٩٠) ازدياد حدة المواجهات الصدامية بين مختلف مدارس الصّحوة والحُكُومَات العربيَّة والإِسْلَاميّة وأجهزتها الأمنيّة، سواء في صدام الجهاديّين مع الحُكُومَات عسكريّاً كما حصل في سوريا ولبنان ومصر وليبيا والجَزَائِر وسواها، أو في مصادمات السّياسيّين من الدعاة وبعض رموز العُلَماء والخطباء مع الحُكُومَات، وأسفرت هذه المواجهات عن امتداد شعبيَّة الصّحوة الإِسْلَاميّة عموما وانتشار الفكر الجهاديّ وقاعدته الشعبيَّة خاصّة، وكما قلت فقد رأت الحُكُومَات ومستشاروها الغربيّون ومن يديرون حاضر ومستقبل تلك الأنظمة، أن الأمور تتجه نحو الخطورة فكان المكر الّذي تفتقت عنه عقولهم بعد مرحلة ملئ السّجون والمقابر الجماعية بالإِسْلَاميّين هو الانفتاح السّياسيّ معهم، فأفسح الحكَّام المجال للإسلاميين لدخول لعبة الدِّيمقراطيَّة والمشاركة فيها، إما بصفة إسلاميين، أو تحت لافتات أحزاب علمانية مرخصة، أو بصفة مستقلين، وشهد هذا العقد (١٩٩٠–٢٠٠٠) تحولا مهما في ممارسات ومناهج الإخوان المُسلِمِين والمدارس المتفرعة عنها من أجل تبرير تلك الممارسات السّياسيّة، فألفت كتب وأبحاث كثيرة، وكتبت مقالات وألقيت خطب حماسية تشجع عَلى هذا الإتجاه والاستفادة من القنوات المشروعة والفرصة المتاحة إلى آخر تلك المبررات، وشارك الإخوان المُسلِمُون وفروعهم وبعض الكتل الإِسْلَاميّة الأخرى في الإنتخابات البلدية في معظم البلاد العربيَّة والإِسْلَاميّة، كما شاركوا في الإنتخابات البرلمانية كما حصل في الأردن ومصر ولبنان والكويت، ودخلوا بصفات متعددة مؤسسات شبه حكومية في السّعُودِيّة ودول الخليج، وانطلقت التَّجربة البرلمانية في تونس والمغرب وكذلك موريتانيا والجَزَائِر في آخر ذلك العقد المنصرم، وحصل مثل ذلك في معظم بلاد العالم الإِسْلَاميّ ولاسيما أشهر تلك التَّجَارب في باكستان وتركيا، وكان أهمّ تلك التَّجَارب من حيث حجمها ودلالتها السّياسيّة ما جرى في تونس والباكستان وأخيرا الجَزَائِر ثمّ تركيا، حيث اقتنعت السُّلطات في نهاية هذا العقد ونهاية القرن العِشرين بضرورة إقفال هذا

البَاب، والعودة للمُوَاجَهة مع كافّة مدارس الصّحوة عَلى الطَّريقة الإستئصالية كما سنرى إن شاء الله في الفقرة (رابعا) من مراحل الصّحوة، **ولكن الجدير بالذكر هنا أن نقول أن مناهج الإخوان المُسلِمِين وفروعهم من الحركات الإِسْلَاميّة قد شهدت انقلابا عَلى كثير من أساسِيَّات المنهج الّذي بنى عَلى أفكار مؤسسة الأوائل كحسن البنا وعبد القادر عودة وخاصة سيد قطب رحمهم الله تَعَالَى وازدادت زاوية الإنحراف المنهجي انفراجا بسبب التسكع عَلى أبواب السّلاطين وتسلم المناصب في مؤسساتهم العلمانيّة القائمة عَلى أصول الرِّدَّة والتَّشريع من دون الله والوَلَاء للكفرة وأعداء هذه الأُمّة.**

وسنأتي عَلى وقفة أثر تفصيلا مع مسألة الدِّيمقراطيَّة في الفَصل الثَّامن إن شاء الله.

الصّحوة الجهاديّة (١٩٩٠- ٢٠٠٠):

كانت الصّحوة الجهاديّة – كما سنرى في الفَصل القادم بشيء من التفصيل إن شاء الله – قد خاضت مواجهات حقيقية وواسعة مع بعض الحُكُومَات خلال السَّبعينيَّات والثَّمانينيَّات حيث تكبدت فيها ضحايا كثيرة، واتسعت فيها قاعدتها الشعبيَّة، ودخلت في مطاردات أمنيّة ذات طابع استخباراتي، وكانت البوابة الأفغانية الّتي فتحت للجِهَاد منذُ سنة (١٩٨٤) أمام الصّحوة الإِسْلَاميّة عموما والجهاديّة خُصُوصَاً، قد أغرت معظم قياداتها للذهاب إلى أفغانستان حيث خاضت تجربة فريدة خلال (١٩٨٤–١٩٩٢) وقد أسفرت العاصفة الأمنيّة الّتي نظمتها أمريكا ونفذتها باكستان وتابعتها الدّول العربيَّة والأوربية بعيد سقوط الإتحاد السوفيتي وانتهاء حاجة أمريكا للظهير الإِسْلَاميّ في مُوَاجَهة الرُّوس عن انتشار معظم كوادر الجهاديّين والمطلوبين أمنيّاً في بلادهم نتيجة مصادماتهم مع حُكُومَاتهم في مجالات اللجوء السّياسيّ الّتي فتحت في أوربّا الغربيّة وما شابهها مثل كندا واستراليا وغيرها، أو في بلدان عربيَّة أُخرى لا تطالهم فيها أيدي حُكُومَاتهم لعدم قيام علاقات تعاون أمني آنذاك بين تلك البلدان، ولكن الإدارات الأمريكيّة المتوالية بعد حرب الخليج الثّانية (عاصفة الصَّحرَاء) وضعت خُطّة متكاملة لمُوَاجَهة التّيار الجهاديّ اصطلح عليها بالمُوَاجَهة الدّولية لمكافحة الإرهَاب والّتي أوصلها بوش الابن لتكون حربا عالميّة حقيقية فيما بعد سِبتَمبر٢٠٠١ كما سنرى إن شاء الله.

ويمكن اختصار برنامج مكافحة الإِرهَاب العَالَمِيّ خلال هذا العقد بالنقاط التّالية:

- **الخطوط العريضة للبَرَامج العَالَمِيّة لمكافحة الإرهَاب ١٩٩٠-٢٠٠٠:**

١. **تجفيف المنابع المالية.**
٢. **استهداف القيادات والكوادر الجهاديّة بالقتل والأسر.**
٣. **اتفاقيات التسليم وتبادل المجرمين الإرهَابيين (الجهاديّين) بين الدّول المختلفة.**
٤. **إلغاء الملاذات والملاجئ الآمنة أمام الجهاديّين.**
٥. **نقل مجالات التّعاون الأمني من الإقليمي إلى الدّولي.**
٦. **التوسع في تشريعات مكافحة الإرهَاب.**
٧. **الحَرب الإعلاميَّة من أجل تشويه المُجَاهدين عزلهم.**

وهكذا أسفرت هذه الحملة العَالَمِيّة لمكافحة الإِرهَاب بقيادة أمريكا عن تحويل قيادات وكوادر وعناصر الحركات الجهاديّة إلى عناصر تعيش هاجس المطاردات والاغتيالات والخطف والأسر وإغلاق الملاذات، وتكفلت خطط تجفيف المنابع بقطع أرزاقهم وقوت أسرهم وأطفالهم الّتي جابت معهم مشارق الأرض ومغاربها مشتته تكتوي بنيران هذا الأخدود المعاصر للمؤمنين الغُرَباء الفرارين بدينهم.

وهناك ملاحظة مهمة وهي ظهور مدرسة جهاديّة جديدة في هذه الأثناء يمكن تسميتها:

- **ظاهرة الجِهَاد الفَرديِّ:**

فبسبب الأجواء الضاغطة عَلى ضمير أصحاب الضمائر من شباب هذه الأُمّة، فقد بدر من بعضهم بين الحين والحين ممارسات جهاديّة هنا وهناك من قبل أفراد لا ينتمون لأي تنظيم، وهذه الظَّاهِرة قديمة، بدأت منذُ قدوم الحملات الصّليبيّة الثّانية مطلع القرن الثَّامن عشر، من قبيل ما أقدم عليه الشّهِيد (سليمان الحلبي) الّذي هاجر من حلب في شمال الشّام إلى القاهرة مرورا ببيت المَقْدِس حيث التقى بعض العُلَماء وتحصل عَلى فتوى بقتل الجنرال (كليبر) قائد الحملة الفرنسية عَلى مصر، والّذي استخلفه نابليون عندما عاد إلى فرنسا، فقتله سليمان رحمه الله وكانت الحادثة مطلع أسباب جلاء

الحملة الفرنسية عن مصر ثمّ أعدم رحمه الله وأعدم معه العالم الّذي أفتاه، وتكررت هذه الظَّاهِرة بحسب الظّروف.

ولكن خلال العقد (١٩٩٠-٢٠٠٠) وبعد انطلاق الحملات الصّليبيّة الثّالثة وقيام النّظام العَالَمِيّ الجَدِيد، بدأت هذه المارسات تتكاثر وتشكل ظاهرة ومدرسة جهاديّة تستأهل الوقوف معها ودراستها وتنميتها كما سيأتي معنا إن شاء الله، فقد تعرض بعض العسكريّين والمدنيين ومختلف أشكال وجود الصّليبيّين لعمليَّات جهاديّة فرديَّة رائعة ومجدية شكلت إرباكا للعدو وبشرت بنمو بذور مقاومة لو قدر لها أن تنضج فإني أعتقد أنها تشكل أهمّ مرتكزات الْمُوَاجَهة القادمة بإذن الله.

الصّحوة الشاذة وتيار التَّكفِير (١٩٩٠-٢٠٠٠):

من المهم جدا لفهم ظاهرة التَّكفِير أن نفهم المعادلة المكونة له والَّتي اختصرناها بأنها:

حاكم كافر ظالم + جلاد سفاح مجرم + عالم منافق للسلطان + صَحوَة عاجزة + عامة يغلب عليهم الفساد + شاب متحمس جاهل = ميلاد تيار التَّكفِير.

وخلاصة ما حصل لهذه الظَّاهِرة منذُ ميلادها مطلع السَّبعينيَّات وإلى اليَوْم أنها كانت محدودة معزولة لم تلق شعبيَّة ولا انتشار، لا في أوساط الصّحوة الإِسْلَاميّة، ولا في أوساط عامة الْمُسلِمِين، ففي حين لم يقف التّواصل والعلاقات بين مختلف أعضاء وجماعات الصّحوة في المناحي الثّلاثة السّياسيّة والغير سياسيّة والجهاديّة رغم اختلافها وخلافاتها، حيث قام التّواصل الفكريّ والعلاقات الشَّخصيَّة بل والتّعاون في مختلف مستويات ما اتفق عليه، أجمعت الصّحوة الإِسْلَاميّة بكاملها عَلى نبذ ظاهرة التَّكفِير وفكر أصحابه مما ساعد عَلى ضموره وانكماشه.

وللطبيعة بالغة السوء الّتي طبعت فكره وسلوك أفراده ؛من الجهل والتشنج والعنف واللامعقولية، بالإضافة للانحراف عن الأسس الشَّرعيَّة، لم يستطع هذا التّيار أن يكسب أرضية داخل الصّحوة ولا خارجها، إلا عَلى شكل جيوب منكمشة معزولة هنا وهناك تجتر أحقادها وجهالتها وتتولى تصفية بعضها البعض، ولكن يجدر لفت النَّظر تحت عنوان هذه الظَّاهِرة إلى ملاحظات مهمة:

- **الملاحظة الأولى**: هيَ أنه رغم أن جماعات تيار التَّكفِير قد كفرت جماهير المُسلِمِين وعلماءهم وقادة صحوتهم ودعاتهم لأَنّهم لم يكفروا الحكَّام وزبانيتهم، ولم يكفروا من لم يكفر الحكَّام ولم يكفروا من لم يكفر هَؤُلَاءِ.... وهكذا وهي سلسلتهم النكدة وأساس انطلاق فكرتهم، إلا أن الغريب في الأمر أنهم لم يتبنوا فكرة جِهَاد الحاكم الكافر الّذي فاصلوا النّاس عَلى كفره! ولم يعرف لجماعات التَّكفِير أنهم قاتلوا الحكَّام إلا في القليل من التَّجَارب، ناهيك عن أنهم لم يدعوا إلى جِهَاد الكفّار الأصليين من اليَهُوْد والنّصَارى الّذين حلوا في عقر دار المُسلِمِين، في حين أنهم تلوثت أيديهم بقتل الأبرياء من المُسلِمِين، وهذا ما لفت الأثر الشريف النَّظر إليه من أن من خصائص هذه الشراذم أنهم: «يَقْتُلُونَ أَهْلَ الإِسْلاَمِ وَيَدَعُونَ أَهْلَ الأَوْثَانِ»(١).
- **الملاحظة الثّانية**: هيَ أن الحُكُومَات الطَّاغوتية ومن وراءها من أعداء الإِسْلَام أدركوا أهمية هذا التّيار الشاذ في محاربة الجِهَاد ووقف صحوته، وذلك لمفارقة بسيطة وهي:

أن الجهاديّين يريدون تعبئة الأُمّة وتجنيدها لمحاربة الأَعدَاء الخارجيين من الكفّار مثل اليَهُوْد والصّليبيّين والوثنيين الهاجمين علينا، ولمُوَاجَهة الطواغيت من الحكَّام الّذين تولوا تحقيق أهدافهم ومحاربة أمتهم، في حين أن التكفيريين ينطلقون من مبدأ تكفير عموم الأُمّة! فكيف يجاهدون معهم بعد أن سلخوهم عن دينهم!

والأمر المهم الثّاني الّذي أدركه أولئك الخبثاء من الحكَّام وأعوانهم وأجهزة استخباراتهم ومراكز دراساتهم المتفرغة لحرب الإِسْلَام والمُسلِمين أن إلصاق تهمة التَّكفِير بالجهاديّين بدعوى أنهم خوارج يكفرون الحكَّام وأعوانهم وعلماءهم، ويكفرون عوام النّاس (وهو زعم بَاطِل) لأن الجهاديّين كما هو معروف لا يسحبون سلاسل التَّكفِير هكذا خبط عشواء، ولهم فقههم المنضبط المعتمد عَلى عقائد أهل السّنّة والجماعة المعروفة وكتاباتهم ومنابرهم الإعلاميَّة أكبر دليل عَلى ذلك، فإلصاق الحُكُومَات هذه التهمة بالجهاديّين هو من أهمّ السّبل لفصلها عن جماهيرها، ولذلك عملت عَلى هدم الجدار الواضح الفاصل بين هذين الاتجاهين المتناقضين في المنهج والأهداف وأعني (تيار الجِهَاد) و(ظاهرة التَّكفِير).

---

(١) صحيح البخاري: (٣٣٤٤)، ومسلم (١٠٦٤).

- **الملاحظة الثّالثة والهامة جدا،** أن أجهزة الإستخبارات المعادية لهذه الأُمّة والعاملة ليل نهار عَلى ابتكار أسباب مُوَاجَهة صحوتها الجهاديّة، لما رأت فائدة أفعال التَّكفِير المشينة ولاسيما بعد جريمتهم الشنعاء في حق الجِهَاد والأُمّة في الجَزَائِر الّتي كانت حقل تجارب للاستخبارات كما سأبين في الفَصل السَّادس في نبذه عن تجربة الجَزَائِر إن شاء الله، رأت أن من أنجح الوسائل لمُوَاجَهة الجِهَاد والجهاديّين لفصلهم عن الأُمّة هم تهمتهم بالتكفير فيكرههم النّاس فينعزلون عنهم فيسهل القضاء عليهم، وهذا ما طبقوه في الجَزَائِر، ولما درست أجهزة الإستخبارات هذه الظَّاهِرة (التكفيرية) اكتشفت المعادلة الّتي أشرت إليها في ميلاد التَّكفِير الّذي يولد طبيعيا في الأجواء الّتي أشرت إليها، فعمدوا إلى توليد تيارات للتكفير بالاستنساخ الاصطناعي في الأوساط الّتي يتوقع أن الجِهَاد سيولد فيها بطبيعة الحال نتيجة الحضور الاستعماريّ أو النّظام الطَّاغوتي ومن الأمثلة عَلى ذلك ما جرى في السّعُودِيّة منذُ حرب عاصفة الصَّحرَاء الكويتية، وولادة بذور الجِهَاد والمُقاوَمة، فقد عمدت الإستخبارات السّعُودِيّة الّتي اتخذ وزير داخليتها **نايف بن عبد العزيز،** من وزير الداخليَّة المصري الأسبق سيئ السمعة (زكي بدر) المشهور بنظرياته الإستئصالية وبشاعة أساليبه، اتخذ منه ومن فريق عمل من الإستخبارات المصريَّة مستشارين لتأسيس جهازه القمعي في السّعُودِيّة منذُ ١٩٩١، وكان من نتائج ذلك ما بلغنا بعض القليل من أخبار ما جرى هناك لاستنساخ التَّكفِير وتهمة الجِهَاد المترقب في السّعُودِيّة به.

فقد حدّث عدد من الناجين من سجن (الرويس) الشهير في جده من السّعُودِيّين وغير السّعُودِيّين من الجهاديّين، أنه بعد حادثي انفجار الرِّيَاض والخبر سنة ١٩٩٤م وما تلا ذلك من نشاط بعض التَّنظِيمات الجهاديّة في السّعُودِيّة اعتقل آلاف الشَّبَاب للاستجواب ممن كانَ لهم سابقة جهاديّة أو كانوا مظنة ذلك، وقد تعرض الشَّبَاب لمختلف صنوف التعذيب البشعة الّتي استوردها الأمن السّعُودِيّ من مصر وتونس وسوريا والبلاد العريقة في علوم التعذيب، ولكن الّذي استفاد وه من تجربة الأمن الجَزَائِري هو فائدة تيار التَّكفِير في تدمير الجِهَاد! وكان ذلك من أهمّ التَّجَارب: فعمدوا عَلى استنساخه وتوليده من خلال إيجاد مكوّنات طرف المعادلة الأيمن:

قَالَ أحد الّذين شهدوا التَّجربة في سجن الرويس بجده في السّعُودِيّة: [كانَ يأتينا بعد جولات التعذيب الجسدي من الضرب والكهرباء، مشرف عَلَى التعذيب النّفسيّ رجل شيعيّ من (النخاولة(١)) عرف نفسه باسم (أبو نايف)، في الستين من عمره أعرج، فيسمعنا من ألوان الكفر وشتم الدّين والرب ومقدّسات الإِسْلَام والهزء بشعائره وشتم الجِهَاد والمُجَاهدين، ما يهون معه ما عانينا من جلسات التعذيب مقارنة ببشاعة ما نسمع، ثمّ يقول لنا بعد ذلك: أنتم تريدون حكم الشّريعة ؟! وما هذا الّذي يحكم به ولي الأمر ؟ أليس شريعة ؟ ألا تعجبكم شريعة الـ (!!) [ويذكر فعل النكاح باللغة البذيئة الدارجة]، ويضحك ويضحك الجلادون، ويتابع: هذا الشَّيْخ ابن عثيمين وابن باز يقولون أنها شريعة، وأنها دولة التّوحيد، ويتابع عَلَى هذا المنوال، وكثيرا ما أُخذ الأخوة المعتقلون من الجهاديّين فجمعوا عراة يسترون سوآتهم بأيديهم، ثمّ ينادون عليهم واحدا واحدا، فيربط المعتقل ويعلق ثمّ يأتي الجلاد فيعبث بأعضائه التناسلية بعصا في يده، ثمّ يأتيه بمجسم بلاستيكي لعضو ذكري تناسلي، ويبدأ يمرره عَلَى دبر المعتقل! ويهدده باغتصابه واللواط به إذا لم يستجب لما يطلب منه، ثمّ يطالبه بعد ذلك بالتوقيع عَلَى أوراق محضر يعترف فيه بأنه يكفُّر ولي الأمر، ويكفر العُلَماء، ويكفر المجتمع السّعُودِيّ!! وروى عن بعض الأخوة أن البعض قد فعل به فعلة اللواط واغتُصب من قبل جلادين سعوديين!!] موظفون يتلقون المرتبات من (دولة التّوحيد الّتي نفع الله بها وتحقق عَلَى يديها من الخير ما لا يعلمه إلا الله!!) عَلَى حد شهادة الزور الّتي طالما كررها مفتي الدِّيَار- أبوهم الوالد – وهيئة كبار العملاء، ويبدوا أن هذا من بعض ذلك الخير!! وقد أسلفنا بيان المعارضة السّعُودِيّة بصدد هذه الأمور الشنيعة الّتي ترددتُ كثيرا في إيرادها حياء وحفظا لمشاعر من يقرأ هذا الكتاب، ولكني وجدت أن (حق الحقّ أوجب من حق الخلق) كما قَالَ ابن القيم رحمه الله، ويجب أن يعلم النّاس جزءا مما يدور عَلَى الأقل.

وأضاف الشهود من سجناء (الرويس) بأن المعتقلين الأجانب من الدّول العربيَّة الأخرى قد عذبوا عذابا شديدا كي يوقعوا عَلَى اعترافات يقولون فيها أنهم نقلوا فكر التّكفِير إلى السّعُودِيّة، وأنهم أدخلوا إلى المملكة أَسْلِحة وذخائر، كلّ ذلك تحت وطأة التهديد وأساليب التعذيب الّتي تشابه ما

(١) النخاولة: أسم يطلق علىٰ الشّيعة في السّعُودِيّة

عرف استخدامه في بلاد عريقة في ذلك مثل مصر وسوريا والأردن وتونس وغيرها، وقد ذكر لي بعضهم بأنه كانَ هناك وجبة تعذيب بالسياط تسمَّى (الموزة) لأن المعتقل يقشر جلده فيها!! ويربط للخلف يداه برجليه فيتقوس ظهره ويصير شكله كالموزة ويضرب عَلى بطنه و، وهناك قفص حديدي يسمى (سندريلا) يعلق به المعتقل وتشد أطرافه الأربعة إلى القضبان ثمّ يدور بسرعة ويكهرب بين فترة وأخرى ويخرج المعتقل مغشيا عليه فيصب عليه الماء ويطالب بالاعترافات، وهكذا، فتأمل المعادلة من جديد.

حاكم كافر ظالم + جلاد مجرم يردد الكفر ثمّ يذكرهم بحكم العُلَماء عَلى ولي الأمر بالتّوحيد (وهنا تتحرك آلية التَّكفِير في ذهن المعتقل المسكين) ثمّ يترك المعتقلون في زنزانات جماعية يدس فيها من ضباط الاستخبارات أو بعض من ابتلي بالتكفير ليهيج النقاش في هذه الأجواء فتستنسخ جينات التَّكفِير، ثمّ توقع الاعترافات مقابل الإفراج، فسبحان القائل: ﴿هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ ٱلشَّيَٰطِينُ ﴿٢٢١﴾﴾ [الشعراء]

هذه الشهادات سمعناها سنة ١٩٩٥، ولم يكن قد بدأت في السّعُودِيّة أي مُوَاجَهة حقيقية، أما الآن وقد بدأت بوادرها فلدى الاستخبارات السّعُودِيّة أرشيفا ضخما من هذه الكنوز التكفيرية، ليستند إليها الجهلة من علماء السُّلطَان ويفتوا بأن المُجَاهدين للأمريكان وأذنابهم من آل سعود هم من التكفيريين الخوارج !.

والمتابع لوسائل الإعلام وتغطيتها للأحداث الّتي يديرها الجهاديّون اليَوْم، يرى التركيز عَلى تهمة الإخوة بأنهم خوارج، وعلى فكر الخوارج الأولين، من خلال إخراج مسرحي يتهمهم بأنهم قد شقوا عصى المُسلِمِين، وكفروا الحاكم والمحكوم، وخزنوا المتفجرات في مكّة والمدينة، ووضعوا القنابل داخل المصاحف المفخخة ! وقتلوا الأبرياء من المُسلِمِين والمستأمنين.... إلى آخره، وقد نجحت المصيدة إلى حد كبير، فقد خرج عدد من العُلَماء الموثوقين في السّعُودِيّة ليشاركوا في هذه المسرحيَّة الّتي أعدها وأخرجها الأمير نايف ومستشاروه من استخبارات الدّول العربيَّة.

وهذه الملاحظة من أهمّ ما يجب أن ينتبه إليه من التداخل بين التَّكفِير والاستخبارات، وسيأتي بعض التفصيل عندما نعرج عَلى ذكر نبذة عن كارثة الجِهَاد في الجَزَائِر في الفَصل القادم إن شاء الله.

رابعا: الصّحوة الإِسْلَاميّة في عالم ما بعد سِبتَمبر(٢٠٠١):

كانَ الغرب قد رفع شعارا عبر عنه الرَّئيس الفرنسي الراحل - إلى جهنم - (ميتران) بقوله: (سنضرب الإِسْلَام المتشدد بالإِسْلَام المعتدل)، وقد أدى هذا إلى افتتاح العهد الديمقراطي الزاهر لتصبح المدارس الإِسْلَاميّة السّياسيّة عمليا جزءا من (الملأ)- ملأ الفرعون -، إلى جانب (الحاكم والكاهن والأعوان)، فحققت الصّحوة بعض المكاسب ولكن الثَّمن كانَ أن تقف في وجه المد الجهاديّ.

ولكن وعلى مدى العقد المنصرم حصل أمر منطقي لم يكن في حساب الغرب ولا عملائه المرتدّين، الّذين لم يستطيعوا نتيجة الأحقاد أن يستوعبوا زخم الرّوح الدافقة في الإِسْلَام وطبيعته، وانظر إلى بعض آيات الله:

- **فالإِسْلَاميّون (المعتدلون) كما يسمونهم ليس لديهم في النهاية بضاعة إلا الإِسْلَام.**

فإذا ما اتيح لهم المجال (مساجد، مدارس، ندوات، محاضرات، مؤلفات، صحف، قاعات برلمان، تماس مع الجمهور) فليس لديهم من بضاعة إلا مشاريع الإِسْلَام والحديث عن: (تحكيم الشّريعة، الجِهَاد من أجل فِلَسطِين، قضايا العدل والظُّلم، مكافحة الفساد، الإصلاح الاجتماعي، الالتزام والأخلاق الإِسْلَاميّة.إلخ) وحتى مع وجود أغراض شخصية، ومصالح حزبية، فإن هذه الرّسائل سواءا أخلص أصحابها أم زاودوا بها من أجل التجارة بالشعارات، فإنها ساهمت إلى حد كبير في توسيع القَاعِدَة الشعبيَّة للإسلام والتصوُّرات الدّينيّة، وكان هذا كسبا أفقيا هائلا عَلى طريق أسلمة المجتمعات الّتي تدرك بفطرتها بعد أن دبت فيها الرّوح الدّينيّة الحاجة إلى مُوَاجَهة تلك الأوضاع والصدام معها عندما لا يمكن إصلاحها سلميا.

- **كما أن الجهاديّين أو (المتشددين) كما يسمونهم، يجدون في مثل هذه الاستراحات وأجواء الاسترخاء السّياسيّ والأمني، مجالا للتمدد سريا وإعادة تنظيم الصفوف واكتساب قواعد أوسع داخل الهامش العام للصحوة. وقل مثل ذلك عن الإِسْلَاميّين الدعويين غير السّياسيّين.**

فدبيب أسلمة المجتمعات العربيَّة والإِسْلَاميّة، وهو ما بسمية الغرب (العودة إلى الأصوليَّة) يقض مضاجعهم، وإن كانَ الشطر الكبير والسواد الأعظم من المجتمعات يسير نحو الفسوق والعصيان والانسلاخ من الدّين وفق برنامج العلمنة ومن يقوم عليها، إلا أنهم يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم، بكل آثاره ولا يريدون أن يكون للحق وجود ولا لمن يحمله حق في الحركة والحياة، وعلى مر عقد من الزَّمن اكتشف الغرب الصّليبيّ وحكماء صهيون أزلامهم من حكامنا خطأ الإنفتاح الديمقراطي فرفعوا شعارا جديدا هو: نريد (**ديمقراطية بلا إسلاميين في بلاد المُسلِمِين**) !!

ومع أن هذا كلام يناقض نفسه، لأن الدِّيمقراطيَّة تعني حكم الشعب بنفسه وتعني مبدأ سيادة الأُمّة، فالطبيعي والمنطقي احترام خيارها احتراما لأصل المبدأ، ولكن الغرب المنافق وأتباعه الأوقح نفاقا من الحكَّام والعلمانيين في بلادنا، كانوا مستعدين إلى لحس المبدأ ذاته فقالوا ما قالوا: (**ديمقراطية.. ولكن.. بلا إسلاميين!!**).

وسرعان ما تحول الشَّعَار إلى التطبيق العملي فأغلقت معظم الدّول الهامش الديمقراطي، واختارت دول أُخرى تنفيسه من الداخل، عن طريق تفصيل قوانين انتخابية أو تعديلات دستورية تترك للإسلاميين القشور، بحيث لا يستمر منهم في اللعبة إلا الانتهازيون من الإِسْلَاميّين أو المستعدون لتفصيل الإِسْلَام وإعادة خياطته عَلى ذوق الحاكم المحكوم بسيده عدو الإِسْلَام والمُسلِمين.

وهكذا قمعت الدِّيمقراطيَّة الإِسْلَاميّة في الجَزَائِر بكل قسوة (١٩٩١م) بالإنقلاب العسكريّ وكان ثمن ذلك حربا أهلية أتت حتَّى الآن عَلى نحو مئة وخمسين ألف نفس، كما حُمل الديمقراطيون الإِسْلَاميّون وزعيمهم أربكان عبر إنقلاب سياسي أبيض في تركيا من رآسة الحكومة وأغلبية البرلمان ليلقى بهم في السّجون أو ليوضعوا تحت الحجر عن مزاولة العمل السّياسيّ، وانقض مشرف في إنقلاب عسكريّ عَلى ديمقراطية الباكستان ليفصل لهم بعدها نظاما (**ديمقراطيا دكتاتوريا عسكريّاً مدنيا استخباراتنا بإشراف أمريكي !**)، وفصل الأردن واليمن والمغرب وسواها قوانين انتخابية ألقت بالإِسْلَاميّين أقلية في دهاليز البرلمان، أو ليعطوا في أحسن الأحوال وزارات الماء والكهرباء، أو وزارة المطاحن والثروة السمكية، في بلاد لا تطل عَلى البحار ! وهكذا...

واكتشف الغرب أنه أمام معادلة قدرية محكمة تحركها الرّوح النابضة لهذا الدّين الرباني، ومفاد تلك المعادلة:

أن أعداء الإسْلاَم إن ضربوا الإسْلاَميّين وواجهوا الصّحوة بالانقلابات والسّجون والبطش... أعطوا مبررات حمل السّلاح وتمدد الجهاديّون ونمو عموديا ونوعيا، وهم إن فتحوا مجال الإعتدال السّياسيّ كي يواجهوا الجهاديّين بالمعتدلين، تمدد الإسْلاَم أفقيا وقاعديا وانتشر !! فعادوا للبطش، فعاد الجِهَاد للنموا! فعادوا للانفتاح، فعاد الإسْلاَم للتمدد والتوسع !! في حلقة متكررة من مكر الله بهم.

وهكذا وجدوا أن الوعي والتطور وثورة الاتّصالات وعالم الفضائِيَّات والإنترنت قد فتحت عقول الشّعوب، وأن عروش ولاة الإستعمار ونوابهم من حكامنا مهددة، وأن إسرائيل محاصرة بالأصوليَّة، وأن منابع النّفط وأكداس سلاح جُيُوش الحُكُومَات معرضة لأن تسقط بيد ثورات شعبيَّة يقودها متشددون، فقرر الغرب الغزو والاحتلال المباشر لمركز الصِّرَاع (الشّرق الأوسط) الشّام ومصر والعراق وجَزِيرَة العَرَب، وبسط سيطرة أكبر عَلَى ما بقي عبر دعم الولاة المرتدّين لمزيد من البطش، كما زادت أمريكا من قدرات القواعد العسكريّة، ليصل الوجود الأمريكيّ فقط، في منطقة العمليَّات الوسطى (وسط آسيا والعالم العربيّ والقرن الإفريقي) إلى نحو ١,٥ مليون جندي أمريكي يتبع قيادة مركزية واحدة، وتتوزع قواها من كابل وطشقند ومرو... في وسط آسيا من أقصى مشرق بلاد المُسلِمِين، إلى بغداد وعمان وجَزِيرَة العَرَب، إلى مصر والصَّحرَاء الغربيّة والصّومال في الشّرق الأوسط، إلى طنجة وسواحل الأطلسي في أقصى غرب بلاد الإِسْلَام، وهو ما يسمونه اليَوْم (الشّرق الأوسط الكبير) ويضعون الخطط لاحتلاله حضاريا في كلّ المناحي، وكان فاتحة ذلك كما رأينا تدميرا لإمارة الإِسْلَاميّة في أفغانستان، واحتلال العراق وإعلان الحَرب عَلَى الصّحوة بكامل أطيافها وصحح بوش مقولة ميتران عندما قسم الإِسْلَاميّين إلى معتدلين ومتشددين متشردين، ليصبح الشَّعَار بالأسلوب الأمريكيّ:

(**ليس هناك إسلام معتدل ! كلّ الإِسْلَاميّون متشددون ويجب القضاء عليهم**)، لتشمل الحَرب الأمريكيّة الكل، بدءا من الجهاديّين، ووصولا إلى المعتدلين مرورا بأصغر مؤسسة إنسانية خيرية تعمل في توزيع المصاحف أو رعاية الأيتام.

وكان هذا من فضل الله، إذ أسفرت هذه السّياسة ليس فقط عن حشر الصّحوة بكاملها وتأهيلها للمقاومة وحمل السّلاح، وإنما عن فتح البَاب لرجل الشارع العادي أن يحمل السّلاح تحت شعار الإِسْلَام.

وهذا ما حذر منه بعض دهاة الفراعنة أمريكا كما صاح رئيس مصر أمام البرلمان عند بداية غزو أمريكا للعراق بأن سياسة أمريكا ستخلق لنا بدل بن لادن واحد مئة بن لادن، ولكن بوش الأحمق المتعصب أسير مستشاريه من الصهاينة لم يستوعب مكر الله هذا به، فسار في سياسة الاستئصال ليتبعه حُكَّام بلاد المُسلِمِين، وكان من ذلك ما سمعته البارحة من ولي العهد السّعُودِيّ عبدالله، في خطاب هستيري موجه للشعب مساء ٨-٣-٢٠٠٣ **يقول:**

(كلّ متستر عَلى إرهابيّ فهو إرهابيّ مثله، وكل متعاطف مع إرهابيّ فهو إرهابيّ مثله، وعندما تواجه الدّولة الإِرهَابيين فلا مكان للحياد ولا الموقف الوسط).

وهو فحوى شعار بوش الحالي: (من ليس معنا في حربنا عَلى الإِرهَاب فهو ضدنا ولا مكان للحياد).

وفعلا تسير المعادلة مع فضل الله لتتحقق أهمّ الشُّرُوط السببية بالنّصر بدخول كامل الأُمّة قسرا أو طوعا في المَعْرَكة، وأما أسباب النّصر القدرية فذلك نصر الله ينزله متى شاء عَلى من شاء حيث شاء، ونسأل الله أن نشهده ونكون من وقود تحقيقه في سبيل الله.

وأما أثر هذه السّياسة الخرقاء عَلى مدارس الصّحوة الأربعة خلال السَنَوات القليلة بعد سِبتَمبر ٢٠٠١ فهي باختصار كما يلي:

أولاً: الصّحوة الإِسْلَاميّة غير السّياسيّة بعد سِبتَمبر ٢٠٠١:

في عمان عاصمة الأردن صرخ أحد أمراء (جماعة التبليغ والدّعوة) في المعتقل، في وجه المحقق مندهشا محتجا بقوله:

(نحن لم نمارس جِهَاد ولا سياسة ولا واجهناكم! نحن ندعوا إلى الله في مساجدنا ونصلح النّاس وننقذهم من الفساد وعالم الخمارات والجرائم...) ! فقال له المحقق الخبير ضابط الإستخبارات الّذي

وعى درسه: (هذه هيَ المشكلة: أنتم الأوتوبيس ! تحملون النّاس من الشارع إلى المَسجِد، فيأتي الإخوان فيحملونهم من المَسجِد إلى السّياسة ! فيأتي المتطرفون فيأخذون غايتهم من الشَّبَاب للجِهَاد والتطرف ! نريد قطع كلّ هذا الطّريق من أساسه نريد وقف الأوتوبيس!)

وهذا يشرح كلّ حقيقة المُوَاجَهة اليَوْم، إنها قصة حوار حقيقي واقعي في غاية التعبير والدلالة، وهكذا تواجه الحُكُومَات اليَوْم الصّحوة الدّينيّة اللاسياسيّة وتقمعها، فتغلق المساجد وتضيق عَلى المدارس وتحظر الخطب، بل تحيل السّعُودِيّة الآن أكثر من ١٨٠٠ خطيب وداعية لدورات تأهيل نفسي ! لإبعادهم عن التطرف وإفهامهم مقوّمات عالم الهيمنة الأمريكيّة ما بعد سِبتَمبر والعراق! وقد أعلنت مصر أنها فضلت من جهاز التدريس آلاف المعلمين المتهمين بالأصوليَّة! في إطار حرب الأفكار والمناهج، وأعلنت الكويت أنه لاخيار لديها عن مُوَاجَهة المتشددين، وأعلنت معظم الدّول الإِسْلَاميّة عن تعديل بَرَامج التدريس الدّيني والعام، وبلغ بوزيرة الثّقافة في باكستان

(زبيدة جلال) أن تطالب، وعلى شاشات التلفاز وأمام وسائل الإعلام بحذف سور:

(آل عمران والأنفال والتوبة)، لأنها تدعو للإرهاب !!

ثانياً: الصّحوة السّياسيّة في عالم ما بعد سِبتَمبر(٢٠٠١):

فكما أسلفت، تغلق اليَوْم عليهم منافذ الممارسة السّياسيّة الفاعلة، ويتعرضون للقمع، وإن كانَ من إضافة فهو ولادة دعاة وإسلاميين سياسيين منبطحين قابلين للانضغاط بلا حدود، وللتميع بلا ضوابط، لقد تجاوزا المنهاج، منهاجهم، بل تجاوزوا ما سبق من زوايا الإنحراف، سمعت منذُ أيّام أحد المرشحين من الإخوان المُسلِمين لانتخابات نقابة الصحافة في مصر، ردا عَلى سؤال الصحيفة له بقولها: أنت إسلامي فكيف تمثل ٤٠٠ صحفي فيهم من كلّ الطيف، فقال: (أنا لي توجهي! ولكن لما أمثل الصحفيين فأنا أمثل الإِسْلَاميّ والنّصراني والشُّيُوعِيّ ومن له دين ومن لا دين له !) فتأمل إن كانَ هذا الكلام يترك قدره عَلى التأمل !

ويجلس ممثل الحركة الإِسْلَاميّة في العراق في المجلس الحكم المحلي رآسة (بريمر) ليمرر ويبرر الإحتلال! ويكافح الإخوان المُسلِمُون والسروريون في السّعُودِيّة الجِهَاد والجهاديّين ويسلمون

عناصره للمخابرات، ويدعونهم للإستسلام للدولة عبر بيوتهم! وقل مثل ذلك عن الإِسْلَاميّين في البرلمان في المغرب.

لقد أصبح من تبقى في لعبة السّياسة من الإِسْلَاميّين الديمقراطيين جزءا أساسيا من كتائب النّظام العَالَمِيّ الجَدِيد في مُوَاجَهة حملة رايات الجِهَاد والمُقاوَمة في الأُمّة.

ولابد من الإشارة إلى أن هامش العطاء الايجابي لهم يضيق يوما بعد يوم حيث يحاول الإِسْلَاميّون السّياسيّون مكافحة الإستعمار تحت قبة البرلمان! والحد من طغيان الفراعنة عبر المسيرات! ومازال فيهم من يظن إمكانية ذلك !

ثالثا: الصّحوة الجهاديّة بعد سِبتَمبر(٢٠٠١):

اتخذت أمريكا من الجهاديّين، جماعات وأفراد، وحتى من أنصارهم ومؤيديهم هدفا لحربها، بعد أن أدركت أنهم عمليا قلب الأُمّة الحي، وسلاحها المتبقي في الدّفاع عن نفسها، ولتفاصيل هذه المُوَاجَهة وقائع كثيرة مشهودة، أترك التفصيل فيها إلى الفَصل القادم إن شاء الله.

رابعا: الصّحوة الشاذة للتكفيريين بعد سِبتَمبر(٢٠٠١):

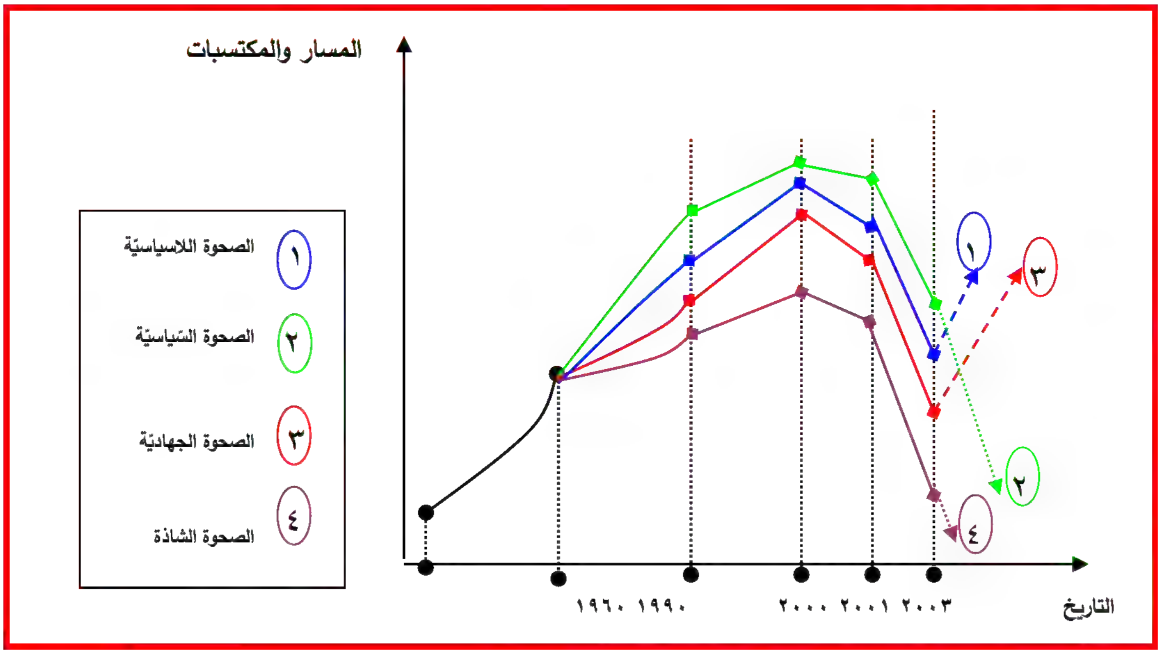
لقد زادت هذه الظَّاهِرة انكماشا، ولولا ما يحاول الإعلام العربيّ والإِسْلَاميّ في بعض المناطق كالسّعُودِيّة إظهارها والحديث عن حياتها لما سمع بها أحد، والحَمْدُ للهِ.

وبعد هذا الاستعراض الموجز لمسار الصّحوة الإِسْلَاميّة وخلاصة حصادها عبر أكثر من سبعين عاماً مضت عَلى ميلادها، بقي لنا أن نختم هذا الفَصل بخلاصة وأن نلفت النَّظر إلى ظاهرتين مهمتين من مظاهر الصّحوة الإِسْلَاميّة غير الجهاديّة لأَنَّنَا سنترك تغطية الملاحظات الجهاديّة للفصل السَّادس.

****

الخلاصة في مسار الصّحوة الإِسْلَاميّة ومآلها خلال (١٩٣٠-٢٠٠٣):

يمكن التعبير بإيجاز شديد عن هذه الخلاصة بأن الصّحوة الإِسْلَاميّة بعموم مدارسها الأربعة قد وصلت إلى الإفلاس وفشلت في تحقيق أهدافها ودخلت قعر الأزمة وليس من أمل في استمرار الصّالح منها إلا بأن تعيد النَّظر في مناهجها وأهدافها وأساليب عملها وفقا لثوابت الشّريعة الإِسْلَاميّة بانضباط المسلم الملتزم، ووفقا لمعطيات فقه الواقع الجَدِيد في ظل الحملات الصّليبيّة الأمريكيّة المعاصرة في عالم ما بعد سِبتَمبر واحتلال العراق، ويمكن التعبير عن مسار الصّحوة خلال تلك العقود السبعة بالرسم البياني التّالي:



ويبين هذا الرسم البياني بوضوح:

١. أن الصّحوة ولدت بمعظم اتجاهاتها المتقاربة بعيد الخِلافَة ١٩٣٠ تقريبا.

٢. سارت مدارس الصّحوة ونمت متقاربة متداخلة في طبيعتها بشكل مختلط من حيث المنهج والأهداف والأساليب إلى نحو ١٩٦٠ تقريبا.

٣. تابعت كلّ مدرسة من مدارسها الأربعة العطاء والمسار إلى ١٩٩٠ بشكل متمايز.

٤. ما بين (١٩٩٠-٢٠٠٠)، تقارب مسار الصحوتين السّياسيّة والغير سياسيّة باقتراب الثّانية من الأولى.

٥. تراجع مسار الصّحوة الجهاديّة منذُ ١٩٩٠م لتصل إلى عام ٢٠٠٠ وقد أنهكت.

٦. مع اقتراب سنة ٢٠٠٠ بدأت جميع مدارس الصّحوة تنهار في عطائها ومسارها.

٧. مع عام ٢٠٠١ وابتدأ عالم ما بعد سِبتَمبر، برزت مظاهر الانهيار والتفكك في جميع مدارس الصّحوة، مع ما يشير إلى متابعة انهيار المدرستين السّياسيّة والشاذة، ومع بوادر نهضة للصحوة الجهاديّة بسبب ظروف الاستعمار المباشر، بالإضافة إلى ما يتوقع من ازدهار الصّحوة اللاسياسيّة نتيجة ظروف القهر والاستعمار والعجز العام، كما ويشير إلى وصول الجميع إلى قعر الأزمة.

وعلى اعتبار أَنّي أنتمي للتيار الجهاديّ واكتب له، وما تناولي لمدارس الصّحوة الاخرى إلا اختصارا وبقدر ما تداخلت فيه مع مسار الصّحوة الجهاديّة، فإن تفصيلات تصوُّراتي عن الإصلاح والمساهمة في صنع مسار المستقبل ستنصب عَلى الكتابة في آفاق التّيار الجهاديّ وبرنامج إصلاح مساره عبر ما تبقى من فصول الكتاب،

وأما إصلاح مسار الصّحوة السّياسيّة والغير سياسيّة فهو عمل أصحابها وكتابهم ومنظريهم، وإن كانَ لهم من نصيحة لله ورسوله وكتابه وأئمة المُسلِمين وعامتهم، فهي أن يبتعد الإِسْلَاميّون عن أبواب السّلاطين ومؤسسات الرِّدَّة الثّلاثة التنفيذية والتَّشريعية والقضائية، لأن دخولها حرام لا تقره الشّريعة، ومعصية لله لا تبرره التمحكات السّياسيّة - كما سنرى بالأدِلَّة الشَّرعيَّة لاحقا إن شاء الله - وإن كنا نلتمس لهم العذر لما يقع من بعضهم من أفعال وأقوال تناقض مقتضيات الإيمان والتّوحيد عَلى أنهم متأولين للمصالح المرسلة، واستصحابا لحالة الاستضعاف.

وحقيقة فإن المتابع لحال أكثرهم يجد فيه مصداق ما جاء في الأثر عن رسول الله ﷺ: «وَمَا ازْدَادَ عَبْدٌ مِنَ السُّلْطَانِ قُرْبًا، إِلَّا ازْدَادَ مِنَ اللهِ بُعْدًا»(١)، وفي تجربتهم وما مر من نتائج الحصاد المر، اكبر برهان عَلى هذا الأثر.

وأما إصلاح الصّحوة الشاذة وما أفرزته من التَّكفِير، فإن كانَ من نصيحة لعلها تنفع أصحابها فهي أن يتوبوا إلى الله وينخرطوا في جِهَاد الكفّار الأصليين وعملائهم المرتدّين ويتركوا العدوان عَلى المُسلِمِين بمختلف طبقاتهم من العوام إلى العَالِمِّيْن للإسلام، وأسأل الله أن يصحلهم ويتولى أمر من أبى.

وأما النصيحة الخاصّة بأصحاب الصّحوة الغير سياسيّة فهي أن يركزوا عَلى دورهم الهام جدا اليَوْم في ظل هجمة الاستعمار الثَّقافيَّة والمنهجيّة، التركيز عَلى حفظ دين الأُمّة بالدّعوة والتّعليم والاهتمام بالحفاظ عَلى الدّين وهم أدرى منا وأكثر خبرة بسبل ذلك.

وأما النصيحة الإضافية الخاصّة بأصحاب الصّحوة السّياسيّة فهو أن يعملوا في مجالات الْمُقاوَمة المدنيّة والعمل السّياسيّ والإعلاميّ وفق ضابطي **مقاومة الاستعمار وعدم الدخول في هياكل السُّلطَان ومثلث السّلطة الخبيث المكون من (الحاكم والملأ والأعوان والكهان).**

لأَنّهم بهذا سيقفون من حيث شعروا أم لم يشعروا في مُوَاجَهة الأُمّة.

وأنبه إلى حقيقة هامة بقدر ما هيَ صريحة وربما قاسية، بأن عالم سِبتَمبر قد صرح أقطابه واستعلنوا بأن لا مكان للحياد في المُوَاجَهة.

فإما مع الحملات الصّليبيّة من استعمار ونواب استعمار وعملاء استعمار وبالتالي مصير بعدل الله إلى النار إن شاء الله وبئس القرار.

وإما في مواجهتهم وبالتالي جِهَاد ومقاومة مسلحة أو مدنيّة باليد فإن لم يكن فباللسان فإن لم يكن فبالقلب وذلك اضعف الإيمان وليس بعد ذلك من الإيمان حبة خردل وليطلب كلّ لنفسه من المعالي ما وسعه.

---

(١) رواه أبو داود (٢٨٥٩) وأحمد (٩٦٨٣، ٨٨٣٦) وضعفه الأرنؤوط، وحسنه الألباني الصحيحة (١٢٧٢).

وكما قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَن جَٰهَدَ فَإِنَّمَا يُجَٰهِدُ لِنَفْسِهِۦٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٦﴾ [العنكبوت]

وكما قَالَ ﷺ: «فَمَنْ عَرَفَ بَرِئَ، وَمَنْ أَنْكَرَ سَلِمَ، وَلَكِنْ مَنْ رَضِيَ وَتَابَعَ»[١].

ويوم القيامة يدرك مدرك، ويندم نادم، حيث لا ينفع الندم، أنهما طريقان ولا حياد، ففريق في الجنّة وفريق في السعير، ولا سواء.

ونسأل الله منازل الّذين أنعم الله عليهم من النبيّن والصديقين والشّهداء والصّالحين وحسن أولئك رفيقا.

وأما الوقفتين الهامتين مع مسار الصّحوة السّياسيّة والغيرسياسيّة فهما:

وقفة مع ظاهرة الإرجاء السّياسيّ في الصّحوة، ووقفة مع ظاهرة الممارسات الدِّيمقراطيَّة عند الإِسْلَاميّين، وسنتناول الأولى هنا ونترك نقاش الثّانية لفقرة الفكر والمنهج في البَاب الأوّل من الفَصل الثَّامن في الجزء الثّاني إن شاء الله.

وقفه مع انتشار عَقِيْدَة الإرجاء السّياسيّ في الصّحوة الإِسْلَاميّة:

يعود ظهور مذهب المرجئة إلى ظهور علماء السُّلطَان عند ظهور الملك وذهاب الخِلافَة الرّاشدة حيث بدأ افتراق السُّلطَان والقرآن.

وخلاصة ذلك المعتقد المنحرف أن الإيمان هو التّصَدّيق بالقلب والإعلان باللسان بعد أن اخرج أصحاب هذا المذهب العمل من مسمّى الإيمان، وقالوا (الإيمان هو التّصَدّيق) (ولا يضر مع الإيمان معصية)، ومن (قَالَ لَاإِلَٰهَ إِلَّا الله حكمنا بإسلامه بصرف النَّظر عما بلي به بعدها من أقوال أو أفعال)، وأبطلوا كلّ قواعد نواقض الأيمان المفصلة بأدلة القرآن والسنة وأقوال الفقهاء المعتبرين.

روى ابن عساكر من طريق النضر بن شميل قَالَ: دخلت عَلى المأمون فقال: كيف أصبحت يا نضر ؟ قلت بخير يا أمير المُؤمِنين، فقال: ما الإرجاء ؟ فقلت: دين يوافق الملوك، يصيبون به من دنياهم، وينقصون من دينهم، قَالَ: صدقت.

---

(١) رواه مسلم: (١٨٥٤) من حديث أم سلمة رضي الله عنها.

وقد أخذ فُقَهَاء السّلاطين بهذا المذهب حتَّى أطلق العُلَماء المحققون عَلى مذهب المرجئة فهو دين يعجب الملوك، فهم مسلمون بحسب هذا المذهب، وأولياء أمور ولهم الطاعة وإن أخذوا مالك وجلدوا ظهرك، قالت الأُمّة رضينا، هم مسلمون وقد اخذوا المال وجلدوا الظهر، ولكن فُقَهَاء السّلاطين وسعوها عليهم قليلا؛ لتصبح وإن نهك عرضك ! وإن سفك دمك! وإن صاح بلسان الحال والمقال كما نادى سلفه: ﴿وَنَادَىٰ فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِۦ قَالَ يَٰقَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَٰذِهِ ٱلْأَنْهَٰرُ تَجْرِي مِن تَحْتِيٓۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ۝٥١﴾ [الزخرف] وإن صرح بعدم صلاحية الشّريعة لهذا الزّمان! وإن والى أعداء الله ! وإن قاتل وسير الجُيُوش للقتال بين أيدي اليَهُوْد والنّصَارى لتسفك دماء المُسلِمِين!وإن وإن.

أليس ولي الأمر يصلي العيدين ؟ ويحتفل بالمولد النبوي؟ أليس يزني بدعوى نكاح المتعة الّتي قَالَ بها بعضهم ؟ أليس إذا جرد الأحرار والحرائر المسلمات من ثيابهم في المعتقلات وعذبهم له دليل من قول علي ﷺ لرسولة حاطب ﷺ: «**لَتُخْرِجِنَّ الكِتَابَ، أَوْ لَنُلْقِيَنَّ الثِّيَابَ**»![1] أليس لولي الأمر أن يقتل ثلث الرعية لتسلم له الثلثين! وقد ورد بكل ذلك أدِلّة بحسب المدلسين من العُلَماء الدجالين اليَوْم، فهذا الدّين لفرط يسره قد احتوى مسيلمة !

وهكذا خرج الإِمَام الجليل الراحل إمام العُلَماء ابن عثيمين بتطوير لمذهب المرجئة ليقول واعجَبْ ما شئت لما قَالَ عن قولٍ تكادُ الأرض تنشق منه وتخر الجبال هدا: قَالَ:

(**وإذا فرضنا عَلى التقدير البعيد أن ولي الأمر كافر فهل يعني ذلك أن نوغر صدور النّاس عليه حتَّى يحصل التمرد والفوضى والقتال، لا شَّكَّ أنه من الخطأ**)، ثمّ استدرك كي لا يظن ظان أنه قصد أولياء الأمور في بلده فهم ولله الحمد حاكموهن بالشّريعة، فبين أن قصده ؛ أنه لو كفر ولي أمر في بلاد أُخرى فلا يجوز الخروج....).

فرد بقوله هذا صريح القرآن، وصحيح السنة، ومعتقد إجماع الأُمّة ! لسواد عيون آل سعود وأشباههم! ثمّ تولى الألباني مدرسة أُخرى معاصرة في مذهب الإرجاء فقال (الخروج عَلى الحكَّام في هذا الزّمان هو خروج عَلى الإِسْلَام ذاته)! وشهد عليهم بالإِسْلَام، ثمّ قام الدَّجَّال الّذي يسمونه المفتي

---

(١) البخاري: (٤٢٧٤) ومسلم: (٢٤٩٤).

الأعظم في باكستان (رفيع عُثمَانِيّ)، ليقول أن الّذين يقتلون وهم يدافعون عن أنفسهم ضدّ غارات الجيش الباكستاني عليهم، ليسوا شهداء !فرد حكم حديث رسول الله ﷺ بأن من قتل دون ماله أو عرضه أو نفسه أو مظلمته أو دينه فهو شهيد، وأن الأمريكان وأشكالهم مستأمنون ذميون لا يجوز العدوان عليهم، ولا في بلادهم، وسحب من دار الفتوى إباحة سابقة بالعمليَّات الاستشهادية، وقال نحن لا نكلف بالجِهَاد إلا إذا دعى إليه ولي الأمر (مشرف، كما كانَ الأمر أيّام ضياء الحقّ عندما دعى لجِهَاد الرُّوس !!! وقال أن من قاتل مع الأمريكان ضدّ المُسلِمِين يأثم ولا يكفر، وأن التَّشريع من دون الله ذنب ولا يخرج من الملة وهو كفر أصغر عَلى اشد الاحتمالات !!)..إلخ.

وقل مثل ذلك عن أئمة الدّعوة وعلوم الدّين من المرجئة المعاصرين في هذا الزّمان من رحل منهم وأمره إلى الله ومن ما زال حية تسعى، ويلفت النَّظر في مدرسة الإرجاء السّياسيّ المعاصر، أنها تحملت أن ترجئ وتعذر في تناول الملوك والسلاطين وأعمالهم ولكنها ما تحملت أن ترجئ في أعمال المُجَاهدين فحكمت عليهم أنهم كلاب أهل النار! ولا يروحون رائحة الجنّة! وأنهم يقتلون ويصلبون وتقطع أطرافهم من خلاف وينفوا من الأرض في الدُّنيَا!

كيف يقتلون نصرانيا محتلا جاء بإذن ولي الأمر فصار ذميا مستأمنا ومعاهدا ؟ فجاء المجرمون من الّذين يدعون الجِهَاد فأراقوا دم هذا الصّليبيّ (الطّاهر) ! وخفروا ذمة (المرتدّ) الّذي أمّنه ؟!

والأعجب من أمر مدرسة الإرجاء السّياسيّ في الصّحوة الإِسْلَاميّة ملاحظة غريبة! وهي أن أقطابها من غلاة التصوف إلى غلاة من يدعون السّلفيّة، كفروا بعضهم عَلى فهم الأسماء والصفات ومذهب الأشعَريّة والماتوريدية والسّلفيّة وأصحاب الحديث، واختلفوا عَلى ذات الله تبارك وتعالى وأسمائه وصفاته ! ولكنهم اتفقوا- وسبحان مؤلف القلوب - عَلى إسلام الحاكم وأسمائه وصفاته! كما حصل منهم في المغرب والباكستان وحيثما تواجدت المدرستان، فوسعهم في ملوك الأرض ما لم يسعهم في ملك السموات والأرض ومن فيهن!

ويبدوا أن الباحث لا يجد مبررا لهذا المذهب إلا أن يبرر لأصحاب الدخول في مكوّنات الملأ لما اختاروا السّياسيّة والعمل بالدِّيمقراطيَّة، فهم سيدخلون البرلمان (مؤسسة تشرع من دون الله)

وسيدخلون الحكومة (مؤسسة تحكم بغير ما انزل الله)، فكيف يجوز ذلك إن حكموا بكفر الحاكم وهم من طائفته وشركائه وملئه ؟! فما المخرج ؟! إما لا يدخلون ! وإما يحكمون بإسلامه! فاختاروا الأسهل والأمتع! وحكموا بإسلام مرتد يبارز الله الحَرب والعداء، وينازعه أخص خصوصيات الألوهية.

وإليك قصة عشتها بنفسي وهي ذات دلالة! وأوردها عَلى سبيل المثال فقط، وإلا فالشواهد هذه الأيّام أكثر من أن تحصر.

لما هاجرت من سوريا إبَّان انهيار الحركة الجهاديّة وكنت قد انتسبت للتنظيم الجهاديّ (الطليعة المقاتلة)، آل أمري لأن أكون عضوا في تنظيم الإخوان المُسلِمِين ثمّ عضوا في قيادة الجهاز العسكريّ للإخوان سنة ١٩٨٠، وكنا في بغداد ولم نكن بصفتنا كوادر عسكريّة نعلم عما تخطط قياداتنا السّياسيّة، ولكننا فوجئنا بهم يوقفون العمل العسكريّ ويحلون عمليا أجهزته ويعلنون بدء مرحلة الجِهَاد السّياسيّ ويعلنون في مارس ١٩٨٢ (بعد أن تسببوا في دمار حماة وتصفية المُجَاهدين في عموم سوريا) يعلنون قيام تحالف وطني يضم (الإخوان المُسلِمِين- الجبهة الإِسْلَاميّة- مجموعة من علماء الصوفية المستقلين – حزب البعث اليميني التَّابع للعراق برعاية صدام آنذاك – الأحزاب العلمانيّة الفرعية) من أجل مُوَاجَهة حزب البعث اليساري النصيري في سوريا، وكتبوا لذلك ميثاقا (إسلاميا علمانيا) عَلى قدر هوية من شكل التَّحالف، ثمّ وُسع (التَّحالف الوطني لتحرير سوريا) ليدخل فيه (رفعت الأسد) النصيري أخو حافظ أسد! رفعت ! الّذي كانَ يتولى المجازر والمقابر الجماعية للإخوان المُسلِمِين وغيرهم من المُسلِمِين! لأنه صار معارضا للنظام الّذي يقوده أخوه ! في صراعه عَلى السّلطة معه، وتبع هذا التوجه منهاج فكري جديد وفقه جديد كانَ عَلى جهاز التّربية في الإخوان أن يلقنه للمُجَاهدين، وكتب الشَّيْخ (منير الغضبان) من الإخوان المُسلِمِين في سوريا، (وقد رجع عما كتب في كتابات تالية – سامحه الله–) كتب كتاب (التَّحالف السّياسيّ في الإِسْلَام) وتولى مع الشَّيْخ سعيد حوى والشَّيْخ عبد الفتاح أبو غده، وعلماء الإخوان السوريين مهمة طرح فقه جديد يناسب المَرحَلَة حيث تشوه فيه الاستنباطات من معاهدات الرَّسُول ﷺ، حتَّى صارحني أحد كبار المربين في الإخوان حينها بقوله

(عندي أزمة ! كيف أدرس الشَّبَاب هذه الكتب الّتي توفق بيننا وبين العلمانيين وأشرح لهم ميثاق التَّحالف الوطني ثمّ أدرسم كتاب معالم في الطّريق لسيد قطب؟!)

ولمن أراد الاستزادة والتفاصيل عن هذه القضية أن يعود إلى كتابي (الثَّورة الجهاديّة في سوريا – آلام وآمال) المنشور سنة ١٩٩٠م.

وفي نفس الفترة روى لي أحد الموجهين في الإخوان المُسلِمِين الأردنيين في عمان سنة ١٩٨٩، أنه لما قرر الإخوان الأردنيون دخول البرلمان الأردني والوزارات أي السلطتين التَّشريعية والتنفيذية عند (جلالة) الملك حسين (المعظم) كما يردد راديو عمان !قَالَ لي أخونا: (إسمع هذه الأعجوبة:

لحقت بتنظيم الإخوان مطلع السَّبعينيَّات، فطُلب إلي أن اعتقد كفر الملك حسين لأنه يحكم بغير ما أنزل الله، وكان كتابنا الأساسي (معالم في الطّريق)، وكنت قد قرأت شيئا من كتب التفسير فقرأت قول بعض التَّابعين عن ذلك (كفر دون كفر) وظننت أن حسين مسلم وليس كافرا، وإن كانَ ظالما فاسقا، فتعرضت بعد ما بحت بعلومي عن إسلام الحاكم الظَّالم تعرضت لمحكمة إخوانية أمهلني فيها التَّنظِيم مدّة لأعتقد كفر الملك حسين أو أفصل من التَّنظِيم! وجُمدت عضويتي خلالها، فنظرت في الأمر وهداني الله لما هداهم إليه وأعلنت كفر الملك حسين وعدت عضوا في التَّنظِيم، وصرت موجها فيه بعد سنين أدرس الشَّبَاب أدِلّة كفر الملك حسين من معالم في الطّريق وغيره، وفي هذه السنة (١٩٨٩–١٩٩٠م) أي بعد ما يقرب من عشرين عاماً عَلى تلك الحادثة، دخل الإخوان الأردنيون البرلمان ودخل بعضهم الوزارة، وكتب الإخوان رسائل فقهيّة تشهد بإسلام حسين وجواز دخول البرلمان، وأجاز بعضهم تولي الوزارة ولم يجز البرلمان، عَلى مذهب سيدنا يوسف في العمل عند الفرعون وزير خزانة ! وذهب بعضهم للعكس وأجاز فريق ثالث الأمرين، ولكنهم اتفقوا مجددا عَلى إسلام حسين حتَّى يحلوا مشكلة دخول السّلطة).

يتابع صاحبي: (ولكنني كنت قد امتلأت قناعة عَلى مدى عشرين سنة في الإخوان المُسلِمِين بمسألة كفر الملك حسين ودرستُها ودرّستها، فكيف أُأَسلمه الآن بمجرد بيان من التَّنظِيم؟! فثبتُ عَلى موقفي، وتعرضت لمحاكمة تنظيمية جديدة أُعطيت خلالها مهلة للاقتناع بإسلام الملك حسين وإلا

فصلت من التَّنظِيم!! وجُمدت خلال هذه المدة عن العضوية !) فقلت فماذا فعلت؟ فقال: (قررت فصل التَّنظِيم من عضويتي!! وقررت تجميدهم عن كونهم إخوان مُسلِمِين، هَؤُلَاءِ لا يمكن أن يكونوا لي إخواننا، وما أدري ماذا بقي لهم كمسلمين؟!)

وهكذا دخلت قواعد الإرجاء عَلى الصّحوة الإِسْلَامِيّة ليتبعوا سنة أصحاب النسيئة يحلونه عاماً ويحرمونه عاماً ليواطئوا عدّة ما حرم الله !!

هذا هو التفسير الوحيد لظاهرة الإرجاء السّياسيّ، أهواء السّياسة وفن الممكن، وضريبة التسكع عَلى أبواب السّلاطين وتصديق حديث رسول الله ﷺ:

«مَنْ أَتَى أَبْوَابَ السُّلْطَانِ افْتُتِنَ، وَمَا ازْدَادَ عَبْدٌ مِنَ السُّلْطَانِ قُرْبًا، إِلَّا ازْدَادَ مِنَ الله بُعْدًا»(١)، هيَ الحقيقة بكل بساطة لقد **افْتُتِنَ** المرجئة السّياسيّون في أبواب السّلاطين وبعدوا كثيرا عن أصول شريعة الله، ولغة العَرَب واضحة: (**افْتُتِنَ**) من (فتن) (يفتن) فهو (فتّان) و(مفتون).

وأما السبب الثّاني، أو التفسير الثّاني لظاهرة الإرجاء السّياسيّ فهو سياط الجلاد في السّجون وسياسة جلسات (الموزة) وكهرباء(السندريلا) آنفة الذكر، وتفضيل الإنتهاء لتيار الإرجاء عن الدخول في تيار شدته ٢٢٠ فولت !!

وأما ثالث التفسيرات، فهو الشّيطان وتلبيساته، وهكذا، وبين تلبيس إبليس، وسياط جلاد خسيس، ومكاسب كرسي في البرلمان التعيس، ولد هذا الفقه الخبيث، وجلس فُقَهَاء السّلاطين والدعاة المنحرفون داخل مؤسسات السّلطة، فإنا لله وإنا إليه راجعون.

وغني عن القول أن هناك إرجاء من نوع آخر هو إرجاء العُلَماء الْمُنَافِقِين الّذين كتموا ما أنزل الله عن علم، وباعوا شريعة الله وبدلوها عن فهم، بسبب بريق ذهب السُّلطَان والطمع في قوله: ﴿قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ إِذًا لَّمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ۝٤٢﴾ [الشعراء]

وهذا إرجاء بين في طبيعته وأسبابه لا يحتاج إلى نقاش، فقد عرفنا عَلى أصحابه كتاب ربنا عندما قَالَ تَعَالَى:

---

(١) رواه أبو داود (٢٨٥٩) وأحمد (٩٦٨٣، ٨٨٣٦) وضعفه الأرنؤوط، وحسنه الألباني – الصحيحة (١٢٧٢).

﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُواْ ٱلتَّوْرَىٰةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا﴾ [الجمعة: ٥] عندما زاد في بيان أحوالهم بقوله:

﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱلَّذِىٓ ءَاتَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ﴿١٧٥﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَٰهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخْلَدَ إِلَى ٱلْأَرْضِ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ ۚ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث ۚ ذَّٰلِكَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا ۚ فَٱقْصُصِ ٱلْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٧٦﴾﴾ [الأعراف]

****

الفصل السادس

مسار التّيار الجهاديّ وتجاربه

«١٩٦٠-٢٠٠١»م

قَالَ اللهُ تَعَالَى:

﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٦٩ ﴾ [العنكبوت]

وقال رسول الله ﷺ:

«بدأَ الإِسْلَامُ غريبًا وسَيَعُودُ غريبًا كما بَدَأَ فَطُوبَى لِلغُرَباء».

«لا تَزالُ طائفةٌ من أُمّتي يُقاتِلونَ عَلى الحقِّ ظاهرينَ عَلى مَن ناوأَهم حتَّى يُقاتلَ آخرَهُم المَسيح الدَّجّال»

وأخبر عن ثباتهم ﷺ فقال:

«لا تَزالُ أَمَّةٌ مِنْ أُمّتي ظَاهِرين عَلى الحقِّ لا يَضرُّهم مَن خَالَفَهُم حتَّى يَأْتِيَ أَمرُ اللهِ وهُم ظَاهرُونَ عَلى النَّاسِ».

الفَصْلُ السَّادِسُ

مسار التّيار الجهاديّ وتجاربه (١٩٦٠-٢٠٠١)م

أولا: تعريف التّيار الجهاديّ وتصنيفه:

ابتدءا أقول: إن الأصل المتفق عليه كتعريف عام، ينص عَلى أن الجِهَاد في سبيل الله هو: الجهد المبذول لتكون كلمة الله هيَ العليا، وهو يعني بَاطِلاقه القِتَال في سبيل الله وبذل النّفس والمال في سبيل نصرة دين الله والدّفاع عن المُسلِمِين، دينهم ودمهم وعرضهم وماهم وأرضهم، وعليه فالقائم بهذا العمل ابتغاء وجه الله ولتكون كلمة الله هيَ العليا هو المُجَاهد في سبيل الله، وإذا اجتمع الرهط أو الجماعة من المُسلِمِين عَلى ذلك فهم (مُجَاهدون في سبيل الله).

ولكن هذا الفَصل يختص بنوع خاص من هَؤُلَاءِ (المُجَاهدين)، يحتاج أصحابه مصطلحا وتعريفا محددا يجمعهم وينسحب عَلى مدارسهم وتجمعاتهم المتعددة أو حتَّى عَلى علمائهم وكوادرهم وأفرادهم، وهو ما اصطلح عليه بمسمى (التّيار الجهاديّ)، وقد كنت في محاضرات وتسجيلات سابقة قد وسعت ما يشمله المصطلح عندما وصلت إلى هذا الفَصل، ولا سيما في مجموعة المحاضرات المعنونة باسم (الجِهَاد هو الحلّ لماذا وكيف) وكذلك في محاضرات أشرطة الفيديو وهي من آخر إنتاجي وكانت بعنوان هذا الكتاب، فقلت فيها: أن التّيار الجهاديّ

(**هو مصطلح شامل لكل من حمل السّلاح فردا أو جماعة أو تنظيما يجاهد أعداء الإِسْلَام تحت شعار لَاإِلَٰهَ إِلَّا الله محمّد رسول الله**) وقلت في حينها أن هذا التعريف يترك جانبا مسألة المناهج والأساليب والأهداف المحدودة ويتجاوز تقيمها، وقلت أن التّيار الجهاديّ مرحلة وظاهرة انبثقت عن الصّحوة الإِسْلَاميّة خلال القرن المنصرم.

ولما عدت لما كتبته أو قلته في دروسي تحت هذا التعريف المتوسع، وجدت أن التّيار الجهاديّ الّذي تناولت مساره في تلك المحاضرات- وأتناوله هنا- لا ينسحب عَلى كلّ من يندرج تحت ذلك التعريف العريض (الّذي يشمل كلّ مُجَاهد في سبيل الله) والّذي يشكل مجموع جماعاتهم وأفرادهم

وهو، ما يمكن أن يسمى بـ (الظَّاهِرة الجهاديّة المُسلّحة)، ولذلك أعيد صياغة التعريف بشكل أدق هنا فأقول:

*** التّيار الجهاديّ:**

ويشمل عَلى التَّنظِيمات والجماعات والتَّجَمُّعات والعُلَماء والمفكرين والرموز والأفراد الّذين تبنوا فكرة الجِهَاد المُسلّح ضدّ الحُكُومَات القائمة في بلاد العالم العربيّ والإِسْلَاميّ، باعتبارها تمثل أنظمة حكم مرتدة، بسبب حكمها بغير ما أنزل الله، وتشريعها من دون الله، وولائها لأعداء الأُمّة من قوى الكفر المختلفة، كما تبنوا منهاج الجِهَاد المُسلّح ضدّ القوى الاستعماريّة الهاجمة عَلى بلاد المُسلِمِين معتبرين تلك الأنظمة الّتي أسقطوا شرعيتها وخرجوا عليها حلفاء محاربين للإسلام والمُسلِمين.

ورغم أن جماعات وأفراد التّيار الجهاديّ يشتركون مع غيرهم من مكوّنات (الظَّاهِرة الجهاديّة) في مبدأ الجِهَاد المُسلّح ضدّ الأَعدَاء الخارجيين المعتدين عَلى أهل الإِسْلَام وبلادهم ومقدّساتهم مع الجماعات والأفراد الّذين تصدوا لجِهَاد هَؤُلَاءِ الأَعدَاء كما في فِلَسطِين والشِّيشَان والبوسنة وكشمير والفلبين وإرتريا وغيرها، إلا أنهم تميزوا بالفكر المنطلق من مبادئ الحاكِمِيَّة والمفاصلة مع أنظمة الجَاهِلِيَّة، وبمبادئ الوَلَاء والبَرَاء وموقف المُؤمِنِين من الطَّاغوت وأوليائه، إلى غير ذلك مما سنعرض له من تفاصيل منهجيّة.

ولذلك سأصطلح عَلى الفريق الثّاني من الممارسين للجِهَاد ضدّ الكفّار الأصليين من اليَهُوْد والنّصَارى والوثنين وغيرهم من أعداء المُسلِمِين باسم (الجماعات المُجَاهدة)، وهذه مصطلحات تصنيف وتقسيم دراسي، وليس تقسيم عقدي أو منهج تقييم.

فالأصل العقدي كما قدمت، هو أن المُجَاهد في سبيل الله؛ من قاتل لتكون كلمة الله هيَ العليا، كما قرر ذلك رسول الله ﷺ فيما صح واشتهر من أحاديث السنة: روى أَبُو مُوسَى الْأَشْعَرِيُّ، **أَنَّ رَجُلًا أَعْرَابِيًّا أَتَى النَّبِيَّ ﷺ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، الرَّجُلُ يُقَاتِلُ لِلْمَغْنَمِ، وَالرَّجُلُ يُقَاتِلُ لِيُذْكَرَ، وَالرَّجُلُ يُقَاتِلُ**

لِيُرَى مَكَانُهُ، فَمَنْ فِي سَبِيلِ اللهِ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَنْ قَاتَلَ لِتَكُونَ كَلِمَةُ اللهِ أَعْلَى، فَهُوَ فِي سَبِيلِ اللهِ»(١).

وقد أذكر المصطلح باختصار في ثنايا البحث بقولي (الجهاديّين) إشارة إلى المنتمين للتيار الجهاديّ -وقد اشتهر هذا المصطلح- وبقولي (المُجَاهدين) إلى أفراد الصنف الآخر، ولا يغيب عن الذهن أيضا أن هذا التصنيف هو بحكم الغالب في المجموع، فقد يحتوي التّيار الجهاديّ من لا يحمل تفاصيل فكره ومنهجه وهذا قليل، وقد يحمل فكر التّيار الجهاديّ أفراد من جماعات مُجَاهدة للكفار الأصليين من المُستَعمرين والأعداء الخارجيين وهذا كثير، ولاسيما في الجماعات المُجَاهدة الّتي انبثقت عن أصول جماعات الإخوان المُسلِمِين أو جماعات التّيار السلفي، ولكن توجه تلك الجماعات كانَ للأعداء الخارجيين ولم تتبن منهجا معلنا في ذلك لأسباب حركيه وسياسيّة في الغالب، أو لأسباب منهجيه أحيانا.

إذن أعود بعد هذا التفصيل لاختصار التعريف فأقول:

(الجهاديّون) أو(التّيار الجهاديّ) هم الجماعات أو الأفراد الّذين حملوا فكرة الجِهَاد المُسلّح ضدّ الحُكُومَات القائمة في بلاد العالم الإِسْلَاميّ، أو ضدّ الأَعدَاء الخارجيين، وحملوا فكرا محددا يقوم عَلى مبادئ الحاكِمِيَّة وقواعد الوَلَاء والبَرَاء وأساسِيَّات الفكر الجهاديّ السّياسيّ الشَّرعيّ المعاصر كما هو مفصل ومعروف في أدبياتهم.

وإذا أردنا أن نقوم بعملية تصنيف للجماعات والأفراد الّذين مارسوا الجِهَاد المُسلّح خلال النصف الثّاني من القرن العِشرين وإلى اليَوْم والّذين يشكلون بمعظمهم ما أصطلح عليه باسم(الظَّاهِرة الجهاديّة المُسلّحة) تصنيفا عموميا لأخذ فكرة أكثر تحديدا عن فحوى التعريف السابق نجد أن بالإمكان إجراء نوعين من التصنيف:

الأوّل: وفق مجالات جِهَادها والعدو الّذي استهدفته.

والثّاني: وفق مناهجها في التَّفكير والاعتقاد والمنهج السّياسيّ الشَّرعيّ.

---

(١) رواه مسلم (١٩٠٤).

ولكن قبل ذلك يجب أن نلفت النَّظر إلى التفريق الهام بين الجماعات المُجَاهدة أو الجهاديّة، وبين تلك التَّنظِيمات الّتي تحمل السّلاح تجاه مختلف أشكال أعداء الأُمّة، ولكن ليس جِهَادا في سبيل الله وليس لإعلاء كلمة الله، أو أداء لفريضة الجِهَاد بقصد الواجب الدّيني كعبادة، وإنما لدوافع مختلفة قد تكون (وطنيّة تحررية)، أو لدوافع (سياسيّة) ضدّ حُكُومَات دكتاتورية، من أجل تبديل النّظام اللاديني القائم، وإقامة نظام لا ديني آخر يقوم عَلى مبادئ القوميّة أو الوطنيّة أو الدِّيمقراطيَّة أو الاشتراكية أو الشُّيُوعِيّة، أو سوى ذلك من المذاهب السّياسيّة والفكريّة العلمانيّة المعاصرة.

فهذه الأخيرة منظمات نضالية أو كفاحية وليست مُجَاهدة ولا جهاديّة، وقد يكون حمل السّلاح لأسباب من الرجولة والحمية أو شجاعة أو رياء ومفاخرة، إلى أخره، ولا يعتبر عملها الّذي قد يكون محمودا من وجهة النَّظر الوطنيّة أو التحريرية أو النضالية، ولكنه ليس عبادة يثاب فاعلها عليها، ولا أجر له في الآخرة، وليس قتله شهادة في سبيل الله، وإنما هجرته وقتله إلى ما هاجر إليه بحسب نيته، بل قد يكون آثما أو مرتدا بحسب الأهداف الّتي قاتل من أجلها، فالجِهَاد ؛ هو ما كانَ في سبيل الله ولإعلاء كلمة الله، والشّهيد كما عرفه رسول الله ﷺ هو «مَنْ قَاتَلَ لِتَكُونَ كَلِمَةُ الله أَعْلَى، فَهُوَ فِي سَبِيلِ الله».

وأما المُجَاهدون الّذين يشكلون أفراد الظَّاهِرة الجهاديّة، فهم الّذين يقومون بالقتال في سبيل الله تعبدا لله، وأداء لفريضة افترضها الله عَلى المُسلِمِين في أحوال محددة، فيقومون بالجِهَاد كفعل ديني عبادي، وهذا أمر يجب أن يكون واضِحاً، وأما تصنيف أنوع المُجَاهدين اليَوْم فعلى الشّكل التّالي بناء عَلى ما أسلفت، مما يساعد عَلى تعريف التّيار الجهاديّ وتميزه عن غيره من مكوّنات (الظَّاهِرة الجهاديّة المُسلّحة المعاصرة) عموما.

ثانيا: تصنيف مكوّنات الظَّاهِرة الجهاديّة:

تصنيف مكوّنات الظَّاهِرة الجهاديّة بحسب مجالات جِهَادها والأعداء الّذين جاهدهم:

١. التّيار الجهاديّ: أو (الجماعات أو التَّنظِيمات الجهاديّة): أو (الجهاديّين):

وهي الجماعات الأفراد الّذين تبنوا فكرة جِهَاد الحُكُومَات الطَّاغوتية المرتدّة القائمة في بلاد العالم العربيّ والإِسْلَاميّ، من أجل إسقاطها وإقامة حكم شريعة الله عَلى أنقاضها، أو دفعا لظلمها الواقع عَلى المُسلِمِين، بناء عَلى فكر جهاديّ سياسي شَرعِيّ محدد سيأتي بيانه إن شاء الله.

وقد يشارك أفراد هذه المنظمات والجماعات بشكل جماعي أو فردي، في أنواع أُخرى من الجِهَاد كدفع الصّائل وجِهَاد الأَعدَاء الخارجيين كما في أفغانستان والبوسنة والشِّيشَان وسواها، ولكن أساس نشأتها وأهدافها جعلها بشكل عام منظمات؛ (سرية الحركة) (قطرية الأهداف) (هرمية البناء التَّنظِيمي)، يرتبط أفرادها بقيادة وأمير عبر بيعة عَلى الجِهَاد والعمل لتحقيق تلك الأهداف.

٢. **الجماعات أو التَّنظِيمات المُجَاهدة:**

وهي المنظمات والجماعات الّتي تخصصت في جِهَاد الأَعدَاء الصّائلين عَلى بلاد المُسلِمِين وخاصة اليَهُوْد(كما في فِلَسطِين)، أو الصّليبيّيّن المحتلين كالأمريكان (كما في جَزِيرَة العَرَب والعراق وغيرها حاليا) أو الغربيّين عموما، أو الملحدين كما الرُّوس أو الصين، أو الوثنيين كما في الشِّيشَان والبوسنة والهند وكشمير وجنوب شرق آسيا، أو أي نوع من الأَعدَاء الخارجيين.

وكثيرا ما تأخذ هذه المنظمات شكل حركات تحرير وطنيّة، ولكن عَلى أساس إسلامي وجهاديّ كما أسلفنا، وبهدف تحرير تلك البلاد، ثمّ إخضاعها للحكم الإِسْلَاميّ، أو دفاعا عن الدّين والأرض والعرض والنّفس والمال، كعبادة وفريضة شرعيّة.

٣. **الجماعات والأفراد المُجَاهدين من أجل تغير المُنكر بالسّلاح أو لدفع المظالم:**

وغالب هذه الظَّاهِرة يقوم عَلى الجِهَاد الفَرديِّ والمبادرات الشَّخصيَّة، وغالبا ما لا يكون لها جماعات محددة أو أمير، وإنما أفراد أو شراذم صغيرة تقوم بأعمال جهاديّة مسلحة بنية الاحتساب والأمر بالمعروف والنهي عن المُنكر أداء لفريضة عبا دية وبناء عَلى تصوُّرات ودوافع دينية، لإزالة مُنكر هنا أوهناك، كتدمير مواقع الخمر أو الزنا أو المجون والفساد، أو اغتيالا لرأس من رؤوس الكفر أو الظُّلم أو العدوان عَلى المُسلِمِين، أو عَلى دينهم وشعائرهم ومقدّساتهم، أو لإزالة أي مظهر من المظاهر الّتي يعتبرونها مُنكرة دينيا يجب إزالتها باليد بعد أن استحال ذلك باللسان والقلب.

ولست هنا بصدد تقيم الصواب أو الخطأ أو الجدوى من هذه الأعمال، وهل حققت الهدف من إزالة المُنكر، أم أدت إلى مناكير أكبر، ولكني أذكر هذا الصنف هنا نوع من أنواع المُجَاهدين الّذين قاموا بذلك كعبادة وأداء لواجب ديني، وهذا أصل نيتهم.

- **تصنيف مكوّنات الظَّاهِرة الجهاديّة بحسب مناهجها في التَّفكير والسّياسة الشَّرعيَّة:**

وتنقسم بصورة رئيسيَّة إلى نوعين رئيسيين:

١. **جماعات منهجيّة:**

وهي الّتي لها منهج فكري سياسي شَرعِيّ محدد ومفصل، وموقف شَرعِيّ من عموم المسائل السّياسيّة الشَّرعيَّة أو العقدية والفكريّة عموما.

٢. **جماعات غير منهجيّة:**

وهي الجماعات الّتي اجتمع أفرادها عَلى أداء فريضة الجِهَاد لهدف من الأهداف المشروعة شرعا، كدفع الصّائل أو إزالة المُنكر أو دفع المظالم أو قتال حكومة أو سوى ذلك، وعلى حمل السّلاح من دون أن يكون لها منهج سياسي شَرعِيّ مفصل يحدد الموقف من المسائل السّياسيّة وغيرها.

وتنقسم الجماعات الجهاديّة المنهجيّة إلى ثلاث أقسام رئيسيَّة:

١. **الجماعات الجهاديّة الحَركيّة:**

ومعظمها انبثقت عن الصّحوة الإِسْلَاميّة مطلع الستينيات، وحملت مؤثرات فكر الإخوان المُسلِمِين بالإضافة للفكر الّذي قام عَلى أسس الوَلَاء والبَرَاء والحاكِمِيَّة، والّذي كانَ من أوائل وأعظم منظريه الشَّهِيد سيد قطب في مصر، والأستاذ أبو الأعلى المودودي في باكستان.

٢. **الجماعات الجهاديّة السّلفيّة:**

وهي الجماعات الجهاديّة الّتي ضمت إلى الفكر السابق، الاعتماد عَلى عقائد السَّلَف وفق فتاوى الإِمَام ابن تَيمِيّة وأمثاله من أقطاب المدرسة السّلفيّة، واعتمدت فقه الدّعوة النجدية وأفكار الإِمَام محمّد بن عبد الوهاب رحمهم الله، وأفكار من سار عَلى هذا المنهج ممن جاء بعدهم.

٣. **الجماعات المُجَاهدة الإصلاحية والتربَويّة (الصوفية الجهاديّة – جماعات العُلَماء الجهاديّة...):**

وهي الجماعات الّتي قامت عَلى أسس ترَبَويّة ومنهجيّة علمية أو مذهبية أو طرقية وتكون لها كيان تنظيمي وارتبط أعضائها ببيعة إلى رئيسهم أو شيخهم أو قائدهم، ثمّ حملت السّلاح للجِهَاد ضدّ الأَعدَاء الخارجيين غالبا، أو في مسائل داخليَّة أحيانا.

كما تنقسم الجماعات الجهاديّة غير المنهجيّة إلى قسمين:

١. **جماعات مُجَاهدة منظّمة:**

وهي الجماعات الّتي يرتبط أفرادها ببيعة وأمير وقيادة، وتقوم لها هياكل إدارية تنظيمية، ويربط أفرادها القضية الجهاديّة الّتي اجتمعوا عليها، كدفع الصّائل أو إزالة أي مُنكر من المُنكرات، أو التّصَدّي لأي شكل من أشكال أعداء الإِسْلَام والمُسلِمين، ولكن من دون أن يكون لهم منهج فكري محدد للاعتقاد والتّربية.

٢. **كتل وأفراد وتجمعات مُجَاهدة غير منظّمة:**

وهي محاولات الأفراد أو الكتل الصغيرة والشراذم المُجَاهدة الّتي قام أعضاؤها هنا وهناك بأعمال جهاديّة مشروعة، ولكن دون أن يكون لواحدهم أو مجموعهم فكر محدد ولا منهج اعتقاد وتربية، أو رابط يربط بين أعضائهم.

وهذا الفَصل الّذي نحن بصدده يركز عَلى دراسة بعض ملامح وتجارب التّيار الجهاديّ المُسلّح بشكل محدد، وهو أبرز وأهم مكوّنات الظَّاهِرة الجهاديّة المُسلّحة، وأكثرها أثرا بل يشكل أساس الظَّاهِرة، والجانب الأهم فيها من حيث الحجم والأثر ومستقبل المُوَاجَهة بيننا وبين أعدائنا والله أعلم.

ثالثا : نشأة التّيار الجهاديّ المعاصر ومراحل تطوره فكرياً وحركيا (١٩٦٠-٢٠٠١) :

يعتبر ميلاد جماعات وتنظيمات التّيار الجهاديّ نتاجا طبيعيا للتطورات السّياسيّة لمرحلة ما بعد الإستقلال (الشكلي) عن الإحتلال في بلاد العالم العربيّ والإِسْلَاميّ، كما يعتبر تطورا مرحليا طبيعيا وإفرازا تلقائيا للصحوة الإِسْلَاميّة المعاصرة، الّتي كانت قد انطلقت منذُ سقوط الخِلافَة تقريبا أي مطلع الثلاثينيات، أي قبل ميلاد التّيار الجهاديّ بنحو ثلاثة عقود عَلى الأقل، بحسب حداثة أو قدم ميلاد الصّحوة الإِسْلَاميّة وأحوال كلّ بلد وظروف احتلاله وأوضاعه السّياسيّة عموما.

فكما مر معنا في الفَصلين السابقين، فقد تولى الإستعمار الحديث للبلاد العربيَّة والإِسْلَاميّة تحطيم مقوّمات المُقاوَمة والنهضة في الأُمّة بعد إسقاط الخِلافَة، وتمكن من تحطيم مقوّمات المرجعيات السّياسيّة والدّينيّة والاجتماعيَّة في غالب بلاد العالم العربيّ والإِسْلَاميّ، وأدت النقلة النوعية في أسلوب الإستعمار، من الإستعمار القديم أو (العسكريّ المباشر) لبلاد المُسلِمين إلى أسلوب الإستعمار الحديث (الاقتصاديّ والسّياسيّ والثقافي)، وتنصيبه لحُكُومَات الرِّدَّة من أجيال العلمانيّة أومن التَّجَمُّعات الخَائِنة العميلة) نائبة عنه في تحقيق أهدافه.

و أدى ذالك إلى خروج الأُمّة من ميدان الصدام لخفاء دور المُستَعمر الخارجي وتولي الحُكُومَات (الوطنيّة) المحليَّة للحكم، وبحكم طبائع الأشياء كانَ لا بُدَّ لتلك الحُكُومَات من أن تصطدم مع مختلف مكوّنات الصّحوة الإِسْلَاميّة الّتي قامت أساسا من أجل العودة بالمُسلِمين بشكل أو بآخر- بحسب كلّ مدرسة واتجاهاتها ومناهجها- إلى الحياة بناء عَلى تعاليم دينهم والحكم بشريعتهم.

فقد قامت حُكُومَات الإستقلال كلها بلا استثناء في بلاد العالم العربيّ والإِسْلَاميّ، عَلى أسس علمانية تفصل الدّين عن الدّولة، وحكمت جميعها بغير ما أنزل الله، وتولى المارقون من أبنائها مهمة التَّشريع من دون الله، كما تولوا مهمة العمالة والوَلَاء لأعداء الأُمّة وخدمة أهدافهم جهارا، هذا بالإضافة إلى ما تحلت به كلّ تلك الحُكُومَات بلا استثناء من مواصفات الظُّلم والقهر والاستبداد ومختلف أشكال الفساد الإداري والسُّلُوكي وغير ذلك.

وزرع الإستعمار الكيان الصّهيونيّ في قلب العالم الإِسْلَاميّ في فِلَسطِين، وقامت دولة إسرائيل عام ١٩٤٧ رسميا عَلى معظم أرض فِلَسطِين، ثمّ أتمت إسرائيل احتلالها بالإضافة إلى أجزاء من مصر وسوريا والأردن ولبنان سنة ١٩٦٧.

وشكلت قضية فِلَسطِين عبئا ضخما في وجدان العالم العربيّ والإِسْلَاميّ، ورسخ الإستعمار الغربيّ احتلاله الاقتصاديّ للعالم العربيّ والإِسْلَاميّ واستنزف خيراته، ودعم وحفظ الحُكُومَات الديكتاتورية الّتي أنشأها فيه.

وهكذا وجدت قواعد الصّحوة الإِسْلَاميّة وقياداتها نفسها أمام هذا الواقع المؤلم الغريب الّذي عقب مرحلة الإستعمار، وتعددت المذاهب والآراء داخل أوساط الصّحوة ذاتها لمعالجة هذا الواقع مما أدى لتمايز مدارسها واتجاهاتها كما رأينا في الفَصل الخامس.

ففي حين رأى بعضهم بأن الحلّ يكمن في التّربية والإصلاح واعتزال السّياسة، رأى آخرون الحلّ والإصلاح في اقتحام ميادينها من البوابة المشروعة (قانونا)، من خلال ما تتيحه تلك الحُكُومَات، رأى الفريق الثّالث (والّذي نحن بصدده في هذا الفَصل) أن الخرق قد اتسع عَلى الراقع، وأنه لا بُدَّ من حمل السّلاح لعلاج هذه الأوضاع، لاسيما بعدما أثبتت تلك الحُكُومَات وأجهزتها القمعية، أنها جاهزة لتقليم أظافر الصّحوة دائما عبر تصفية قياداتها باغتيال زعمائها أو زجهم في السّجون لعشرات السنين، ومطاردة أتباعهم وتضييق كلّ سبل الدّعوة إلى الله حتَّى السّلميّة منها، وهنا، بدأت تتبلور الأفكار الأولى لميلاد التّيار الجهاديّ المعاصر، نهاية الخمسينيات ومطلع الستينيات من القرن المنصرم.

كانت حركة الإخوان المُسلِمِين (بصورة رئيسيَّة) المحضن الطبيعي الّذي يمكن أن تولد فيه مثل هذه الأفكار وتنتشر، فقد كونت دعوة حسن البنا رَحِمَهُ الله مناخا مناسبا لهذه التطورات، ولا أدل عَلى ذلك من شعارها الّذي اختصر منهجها (الله غايتنا، الرَّسُول قدوتنا، القرآن دستورنا، الجِهَاد سبيلنا، الموت في سبيل الله أسمى أمانينا)، رغم أن فكرها وممارساتها قد حمل كثيرا من الاختلاط الفكريّ والمنهجي، من مؤثرات صوفية وسلفية ووطنيّة وديمقراطية وسوى ذلك، كما شكلت ممارساتها الجهاديّة المبدئية دليلا آخر عَلى صلاحية أن تكون محضنا لميلاد التّيار والفكر الجهاديّ في رحمها.

فقد شارك قيادات وشباب الإخوان المُسلِمُون في مصر وسوريا في حرب فِلَسطِين سنة ١٩٤٧-١٩٤٨، وشكل حسن البنا جهازه السري الخاص، وهو الجهاز العسكريّ للجماعة لأهداف جهاديّة، وقد قام أعضاء هذا الجهاز بعد اغتيال حسن البنا رَحِمَهُ الله سنة ١٩٤٩ بقيادة وإدارة المُقاوَمة السرية في قناة السويس وما حولها مطلع الخمسينيات، وشارك الجهاز في دعم حركة عبد النّاصر والضُّبَّاط الأحرار بالإطاحة بالملك فاروق، ولكن هذا الهالك كانَ قد رتب مع أعداء هذه الأُمّة برنامجه الّذي تضمن تصفية الحركة الإِسْلَاميّة في مصر وطليعتها حركة الإخوان المُسلِمِين.

فقام بسجن قيادتهم والآلاف من قواعدهم سنة ١٩٥٤ ووسع حملته عليهم وأعدم بعضهم سنة ١٩٦٥ وكان من بينهم خيرة مفكريها وعناصرها القيادية، هذا في مصر، أما في سوريا وهي المحضن الهام الآخر لحركة الإخوان المُسلِمِين، فقد عصفت الانقلابات العسكريّة بحُكُومَات الإستقلال الوطنيّة الدِّيمقراطيَّة الّتي توالت منذُ ١٩٤٦، ومنذ ١٩٥٤ توالت الانقلابات الّتي رعتها المخابرات الأمريكيّة وتجاربها في سوريا، إلى أن تمَّ تجهيز الأجواء لحزب البعث العربيّ الاشتراكي ليقوم بانقلابه سنة ١٩٦٣، وكان عَلى أولى أولوياته تصفية الصّحوة الإِسْلَاميّة من الإخوان وغيرهم، ومحاربة الإِسْلَام بكل مكوّناته، وشكلت مصر وسوريا المحضن المبكر لميلاد وتبلور فكر الجِهَاد ونظريات عمله، وتكررت هذه الصُّورة في مختلف بلدان العالم العربيّ والإِسْلَاميّ، وعملت تلك التّحولات السّياسيّة والاجتماعيَّة والثَّقافيَّة وحملات التغريب والعلمنة الّتي قامت بها الحُكُومَات المختلفة عَلى طرح مسائل هامة عَلى فكر الصّحوة الإِسْلَاميّة ومنهجها.

ففي الباكستان وخلال الخمسينيات شكلت كتابات الأستاذ العبقري الفذ أبو الأعلى المودودي رَحِمَهُ الله مادة أساسية لتبلور فكر الجِهَاد، فقد انتقد رَحِمَهُ الله الحالة البليدة الّتي تعيشها الأوساط الدّينيّة التقليدية في باكستان، وطرح عبر كتبه ومقالاته وجريدة حركته الّتي أسَّسَها باسم(الجماعة الإِسْلَاميّة في باكستان) كثيرا من أهمّ المسائل السّياسيّة الشَّرعيَّة، وعرض واقع المُسلِمِين المعاصر من خلالها، وكتب عن مقتضيات شهادة التّوحيد، وعن أسس الوَلَاء والبَرَاء، وعرف الجِهَاد وأغراضه وأهدافه،

وكتب حول ميلاد الدّولة الإِسْلَاميّة ومميزاتها وعن دستورها ومواصفاتها والطريق لإقامتها، وأشتمل أحد أهمّ كتبه وهو (المصطلحات الأربعة) عَلى كثير من أساسِيَّات الفكر الجهاديّ المعاصر.

ولكن رائد الفكر الجهاديّ في العصر الحديث بلا منازع والّذي يعود لأفكاره ميلاد منهج التَّفكير ونظريات الحركة في (التّيار الجهاديّ المعاصر) كانَ بلا شَّكَّ الأستاذ الشّهِيد المعلم (سيد قطب) رحمه الله، الّذي ابتدأ حياته أديبا شاعرا وباحثا ناقدا لا معا، وعاش نضوج الفكر خلال الحقبة الصاخبة الحرجة من تاريخ مصر المعاصر خلال الأربعينات والخمسينات والستينات، وهي زوال الملكية وثورة الضُّبَّاط الأحرار، واحتلال فِلَسطِين والعدوان عَلى مصر، واحتك عن قرب بالإخوان المُسلِمِين وتأثر بحركتهم، وكان لرحلته الدراسية إلى أمريكا أثر بالغ في اكتشافه لطبيعة الحملة الصّليبيّة المعاصرة عَلى العالم العربيّ والإِسْلَاميّ، بالإضافة لما حباه الله من بصيرة نافذة، وقلم أخاذ وروح شفافة، وقد شكلت أجواء السّجن الّذي زجه فيه عبد النّاصر مع أكثر قيادات الإخوان المُسلِمِين منذُ مطلع الخمسينيات وإلى أواسط الستينيات، المحيط العام الّذي خط فيه كتاباته الرائعة الّتي تعد بحق الأساس الفكريّ والمنهجي للتيار الجهاديّ المعاصر في العالم العربيّ والإِسْلَاميّ، فقد ضمّ كتابه الفريد(في ظلال القرآن) وهو تفسير حركي لآيات القرآن الكريم في ضوء ما نقله المفسرون من الآثار، خُلاصة النَّظريَّات الحَركيّة للفكر الجهاديّ المعاصر، وخلاصة ما أراد سيد طرحه من مفاهيم، وكان كتابه (معالم في الطّريق) هو الأهم عَلى صغر حجمه، وحوى خُلاصة ذلك الفكر وطروحاته الجهاديّة الانقلابية الثّوريّة، وكونت مكتبته الواسعة من الكتب الاخرى من مثل كتاب (خصائص التصوُّر الإِسْلَاميّ) و(هذا الدّين) و(جاهلية القرن العِشرين) وغيره منهجا متكاملا لفكر جهاديّ حركي معاصر يناسب تلك المَرحَلَة.

كانَ فكر سيد رحمه الله نقلة نوعية في المسار الفكريّ للصحوة الإِسْلَاميّة عموما وللإخوان المُسلِمِين خُصُوصَاً، وكان عَلى الحركة (الأم) كما أسموها أن تحدد موقفها من هذه الطروحات.

ووقفت القيادة التقليدية للإخوان في مصر من سيد وأفكاره موقفا رافضا مناوئا، فقد كانت نظرياته في الحاكِمِيَّة والوَلَاء والبَرَاء، والمفاصلة مع الجَاهِليَّة والتمايز في الهويّة والمنهج، مفرقا هاما كانَ

عَلى الإخوان أن يقرروا السّير معه نحو التطور، أو الافتراق عنه في ردة فعل تحيد بهم حتَّى عن ثوابت أساسية كانَ عليها المنهج عندهم،

واختار الإخوان الطّريق الثّاني تجنبا للصدام مع السّلطة وبدت آثار السّجن والقمع والسياط جلية في ملامحهم الفكريّة الجَدِيدة، فقد كتب المرشد العام حسن الهضيبي رحمه الله كتابه الشهير (دعاة لا قضاة) ردا عَلى كتاب (معالم في الطّريق) وما حمله (في ظلال القرآن)، من أفكار المُوَاجَهة والصدام مع الجَاهِلِيَّة الّتي يجسدها النّظام السّياسيّ القائم، وما يفرض عَلى المجتمعات من تحول، وهنا افترقت حركة الإخوان المُسلِمِين والصّحوة السّياسيّة المعاصرة إلى مدرستين متمايزتين متناقضتين، فجسد كتاب (المعالم) وفكر سيد عموما، فكر الحاكِمِيَّة والتمايز والمفاصلة، وبالتالي الحكم بالكفر والردة عَلى أنظمة الحكم القائمة والدّعوة الصريحة لِجِهَادها ورسم معالم طريق هذا الجِهَاد.

وشكل كتاب (دعاة لا قضاة) كما يدل عنوانه المعبر، منهج الإخوان الجَدِيد وبداية مسار التراجع الّذي ابتدؤوه من حينها، وكانت خُلاصة نظريته أن رواد الصّحوة الإِسْلَاميّة عبارة عن دعاة إلى الإِسْلَام والإصلاح، وليسوا قضاة عَلى الحكَّام والنّاس وما هم فيه من أحوال، حتَّى يحكموا بانتمائهم للإسلام أو خروجهم عنه، وشكل هذا الكتاب أحد أهمّ مرتكزات الإرجاء السّياسيّ المعاصر في الحركة الإِسْلَاميّة الناهضة، حيث شملت شهادته بالإِسْلَام السُّلطات المرتدّة الكافرة وأركانها في مصر وغيرها.

وكان هذين الكتابين وهذين الفكريّن بداية لتشكيل المدرستين الرَّئيسيتين في الصّحوة الإِسْلَاميّة، وهما المدرسة السّياسيّة، والمدرسة الجهاديّة، وأدى هذا الجو الفكريّ – كما بينا آنفا–إلى ولادة المدرسة الشاذة للتكفير في سجون مصر أيضا عَلى هامش تلك الصِّرَاعات الفكريّة وقد سبق بيانه.

ولست هنا بصدد استعراض المسار الفكريّ للصحوة السّياسيّة، وأعود للسير مع التّيار الجهاديّ وبداية ميلاد مناهجه وتنظيماته.

فرغم أهمية كتابات سيد وأولويتها في توليد الهويّة الفكريّة للتيار الجهاديّ، إلا أن كتابات هامة أُخرى قد برزت في تلك المَرحَلَة في مصر أيضا، يأتي في طليعتها كتابات الأستاذ القانُونيّ الشّهِيد عبد القادر عوده رحمه الله، الّذي أعدمه عبد النّاصر، وكذلك كتابات الشَّيْخ المحدث أحمد شاكر رحمه الله وغيرهم، وقد حاول سيد قطب رحمه الله وضع أفكاره موضع التنفيذ، وحاول تشكيل أول تنظيم جهاديّ سري يحمل تلك الأفكار، من لفيف من الشَّبَاب المُجَاهد الّذين كانَ معظمهم أعضاء في الإخوان المُسلِمِين، إلا أن تجربته الغضة تلك سرعان ما أجهضت وأعدم بتهمتها رحمه الله، ليتحقق له قول رائع ورؤيا صالحة بالغة الدلالة كانَ قد رآها في سجنه، فقد روى بعض معاصريه في السّجن أنه رأى في منامه قبيل إعدامه، دُرج طاولته الّتي يكتب عليها والّذي يحوي الأوراق الّتي خط عليها أفكاره، ينفتح وتأتي العصافير فتحمل الأوراق وتطير بها في كلّ اتجاه، فأولها، انتشار فكره في أنحاء الدُّنيَا، وأما القول الّذي تحقق لكتاباته أيضا فهو:

قَالَ الشّهِيد المعلم سيد قطب رحمه الله تَعَالَى:

(إنه ليست كلّ كلمة تبلغ إلى قلوب الآخرين فتحركها وتجمعها وتدفعها، إنها الكلمات الّتي تقطر دماء لأنها تقتات قلب إنسان حي، كلّ كلمة عاشت قد اقتاتت قلب إنسان، أما الكلمات الّتي ولدت في الأفواه، وقذفت بها الألسنة ولم تتصل بذلك النبع الإلهي الحي، فقد ولدت ميتة، ولم تدفع بالبشرية شبرا واحدا إلى الإمَام، إن أحدا لن يتبناها لأنها ولدت ميتة، والنّاس لا يتبنون الأموات).

وهكذا انتشر فكر سيد في كلّ الدُّنيَا، ولقد رأيت كتابه معالم في الطّريق في أفغانستان مترجما للغة البشتو والفارسية، بل لقد بلغني أن أحد المُجَاهدين القدماء أيّام جِهَاد الرُّوس دخل إحدى المدارس في (نورستان) وهي مناطق جبلية نائية جدا بالغة الوعورة وسط جبال الهندوكوش عَلَى الحدود الشمالية لكشمير والصين قريباً من بدخشان وممر واخان، تقع عَلَى ارتفاع أكثر من ٥٠٠٠ متر عن سطح البحر،

في منطقة لم يدخلها من مقوّمات الحضارة شيء، لا ماء ولا كهرباء ولا سواها، وقال أنه دخل إحدى المدارس فوجد فيها كتاب (معالم في الطّريق) لسيد قطب مترجما للغة النورستانية !!

فسبحان الله !! لقد حملتها عصافير الحقّ المهاجرة، وحطت بها هناك منذُ عشرات السنين بعد إعدامه رحمه الله، ولعله لا يوجد اليَوْم لغة حية من لغات المُسلِمِين، إلا وقد ترجم إليها كثير من كتب سيد رحمه الله، فضلا عن اللغات العَالَمِيّة، هذا العملاق الّذي أدرك الصّليبيّون اليَوْم وزعيمتهم أمريكا في حملتها لمكافحة الإِرهَاب أثر فكره، فجعلوا مكافحته والنيل منه وتشويهه أحد أهمّ مرتكزات حملتهم الفكريّة الإعلاميَّة الحالية وهجومهم عَلى مناهج التّربية والتّعليم عامة في بلادنا وعلى مناهج التّعليم الدّيني خاصّة.

وأما في سوريا، المحضن المهم الثّاني لمنشأ الصّحوة الإِسْلَاميّة و(التّيار الجهاديّ المعاصر) فقد ظهر في نفس الفترة(١٩٦٠-١٩٦٥) الشَّيْخ الشّهِيد مروان حديد رحمه الله، وكان قد ذهب للدراسة في مصر وحمل فكر الإخوان المُسلِمِين، وعاد منتسبا إليه، وكانت الدّعوة قوية في سوريا أواخر الخمسينيات، واقتنع الشَّيْخ مروان حديد رحمه الله بأن بلاءا كحزب البعث الّذي بدأت تغلب عَلى قيادته العناصر النصيرية وتعد للاستيلاء عَلى الحكم، لا يمكن مواجهته إلا بالجِهَاد، فحمل أفكارا شبيهه بأفكار سيد وتأثر به، ولم يكن الشَّيْخ مروان كاتبا وإنما خطيبا بارعا وشاعرا حركيا مُجَاهدا، فأسس (تنظيم الطليعة المقاتلة لحزب الله) كما أسماه أولا، والّذي تحول فيما بعد لاسم (الطليعة المقاتلة للإخوان المُسلِمِين)، وقام بمحاولة جهاديّة قمعتها دبابات السّلطة البعثية سنة ١٩٦٥، ثمّ عاود الكرة سنة ١٩٧٠ ثمّ ما لبث أن اعتقل ثمّ أعدم سنة ١٩٧٥ رحمه الله.

وحمل تلامذته من بعده مهمة إشعال أطول ثورة جهاديّة معاصرة ضدّ حكومة في العام العربيّ (١٩٧٥-١٩٨٢)، وظهر في الإخوان المُسلِمِين في سوريا الشَّيْخ (سعيد حوى) رحمه الله وتتالت كتبه الّتي حملت الفكر الجهاديّ وحققت فيه إضافات مهمة خلال السبعينات والثمانيات، وحملت معظمها اسم سلسلة (في البناء)، وكان منها كتب ؛ (الله) (الرَّسُول) (الإِسْلَام) (مدخل إلى دعوة الإخوان المُسلِمِين) وكان من أهمّ كتبه الّتي نظرت للفكر الجهاديّ؛ كتاب(خطوة للأمام عَلى طريق الجِهَاد المبارك)،

وكتاب (جند الله ثقافة وأخلاقا)، وكتاب (جند الله تنظيما وتخطيطا)، وهي قمة عطائه الفكريّ الجهاديّ، حيث عانى بعد ذلك تراجعا فكرياً نتيجة المسار الفاشل للعمل الجهاديّ في سوريا، انتهى به إلى لوثات ديمقراطية وصوفية ظهرت في آخر مؤلفاته رحمه الله وغفر له.

وأعتقد أن من هناك، من مصر والشّام كانت البداية، أما في معظم باقي بلاد العالم العربيّ، فقد كانت الظّروف السّياسيّة المحليَّة متشابهة والحالة الاستعماريّة كذلك أيضا وانشر هذا الفكر من مصر وسوريا إلى السُّودَان والعراق ولبنان والأردن بحكم الجوار،

وبحكم الاستقلال المبكر لسوريا ومصر، وبحكم تقدم نظام التّعليم فيهما عن باقي بلاد العالم العربيّ كله تقريبا، استقدمت كافّة دول الجزية العربيَّة المدرسين من مصر وسوريا لمراحل التّعليم الأولى (الابتدائية، والمتوسطة والثانوية) بل وللجامعية أيضا، ولاسيما في كليات الشّريعة والآداب والقانون والعلوم الإنسانية وسواها، وكذالك استقدمت أكثر دول شمال إفريقيا، ولاسيما الجَزَائِر خلال ثورة (التعريب) الّتي قام بها الرَّئيس الجَزَائِري (هواري بومدين) بعد الاستقلال لمُوَاجَهة سياسة الفرنسة الّتي فرضتها فرنسا عَلى مدى ١٣٠ سنة من الإستعمار، استقدمت تلك الدّول المدرسين أيضا من مصر وسوريا.

ونظرا إلى أن دعوة الإخوان المُسلِمين كانت قد انتشرت بشكل واسع في أوساط المعلمين والقطاع التربوي في مصر وسوريا، كانَ كثير من أولئك المدرسين من دعاة الإخوان أو المتأثرين بدعوتهم، فكان هذا من أهمّ أسباب حمل الدّعوة الأم، وهي الركن الأساسي في الصّحوة السّياسيّة والجهاديّة من بعد إلى تلك البلاد، بالإضافة لانتشار ظاهرة الصّحوة الإِسْلَاميّة المحليَّة عموما في كلّ تلك البلاد وانتشار ظاهرة الكتاب الإِسْلَاميّ والاتجار به، وكثرة المطابع والصّحف، ونشاط

الحركة الثَّقافيَّة في العالم العربيّ والإِسْلَاميّ إبَّان مرحلة الإستقلال.

وهكذا هبت رياح الصّحوة الإِسْلَاميّة ومدارسها عَلى بلاد العالم العربيّ والإِسْلَاميّ، وتبادلت مدارسه وتنظيماته وجماعاته الأثر والتّأثير.

ولكن الفكر الحَرَكيّ للتيار الجهاديّ، ومحضنه الفكريّ الأوّل، وأعني فكر الإخوان المُسلِمِين، هب عَلى العالم العربيّ والإِسْلَاميّ من مصر وسوريا الشّام بشكل رئيسي.

وكان هذا الفكر الحَركيّ الّذي تكون داخل حركة الإخوان المُسلِمِين، ثمّ تطور واستقل وتميز في الفكر (القطبي)- نسبة إلى سيد رَحِمَهُ اللهُ- وكذلك ساهمت كتابات أخيه الأستاذ محمّد قطب من بعده، وما أضيف إلى هذه المدرسة من كتابات كتاب الإخوان المُسلِمِين في السبعينات من مختلف البلاد، أحد شطري مكوّنات فكر التّيار الجهاديّ المعاصر، الّذي انضم إلى تكوينه مركب مهم آخر قدم من الجَزِيرَة العربيَّة، من بلاد نجد والحجاز، الّتي دعيت زورا (السّعُودِيّة).!

فقد قامت الدّولة السّعُودِيّة الثّالثة- كما سبق الإشارة لذلك- بتخطيط ودعم من الإنكليز، وتوج الملك عبد العزيز آل سعود سلطانا عَلى بلاد نجد والحجاز وما الحقّ بها، وتكونت المملكة العربيَّة السّعُودِيّة سنة ١٩٣٥، وكانت البضاعة الرائجة الّتي استولى عليها عبد العزيز، لتكون مادة دعايته وخداعه للنَّاس هيَ، زعمه إحياء دعوة الشَّيْخ محمّد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ اللهُ، الّتي كانَ قد قضي عليها تقريبا، بإسقاط الدّولة السّعُودِيّة الثّانية خلال صراعها مع الخِلافَة العُثْمَانِيّة، الّتي استعانت بحاكم مصر آنذاك محمّد علي باشا لهذه المهمة.

وورث أولاد عبد العزيز بعده عمليَّة التجارة بالدّعوة الوهابية، وكان لله بهم وبأعداء الإِسْلَام مكر لطيف، فقد تابع الأبناء بعد أبيهم التجارة بالدّعوة الوهابية، وأقاموا المؤسسات الكثيرة وبذلوا جهودا كبيرة وأموالا طائلة لهذا الغرض، وقد عمل في هذا المجال كثير من المخلصين للدعوة والدّين، وهكذا تتلمذ جيل من رجال الصّحوة الإِسْلَاميّة خلال العقود الثّلاثة في الستينات والسبعينات والثمانينات، على كبار العُلَماء الّذين ورثوا الدّعوة الوهابية وحملوها.

وبوجود الأجواء المناسبة والأموال الطائلة بسبب طفرة النّفط في تلك الفترة، ازدهرت الدّعوة الوهابية بدعم من الحُكُومَات السّعُودِيّة المتعاقبة.

فأحييت دعوة الشَّيْخ محمّد بن عبد الوهاب وكبار أئمة الدّعوة النجدية، أخرجت كتبهم القيمة، كما أحيي تراث الشَّيْخ ابن تَيمِيّة وتلميذه ابن القيم رحمهما الله تَعَالَى، وكذلك كتب غيرهم من دعاة

العَقِيْدَة السّلفيّة ومدرسة أهل الحديث، وتولت الحكومة السّعُودِيّة طباعة وتوزيع ملايين النسخ منها عبر السنين.

وتولت المؤسسات الدّينيّة الحُكُوميّة والأهلية والجامعات السّعُودِيّة طباعتها ونشرها وتدريسها وبثها في كلّ بلاد العالم الإِسْلَاميّ، وقام عَلى هذا العمل علماء مخلصون كثيرون وعلماء أفاضل من أهل الجَزِيرَة وممن تتلمذ عَلى أيديهم.

كانَ مدار الدعة الوهابية والعَقِيْدَة السّلفيّة كما هو معلوم عَلى إحياء فقه الدليل ومنهاج أهل الحديث وعقائد أهل السّنّة والجماعة، والتركيز عَلى محاربة البِدَع والانحرافات الّتي اندست عبر كثير من الطرق الصوفية المنحرفة وما خلفته من الركود والاستسلام والتخلف الفكريّ، كما ركزت هذه الدّعوة عَلى مسألة الوَلَاء والبَرَاء، ومناصرة أهل الإيمان ومعادات الكفّار من اليَهُوْد والنّصَارى والمشركين وأوليائهم من المُنَافِقِين، كما تركز هذه الدّعوة كما هو معروف عَلى تجريد التّوحيد وإفراد الله وتوحيده بربوبيته ألوهيته، وتنزيهه بأسمائه وصفاته، والتشديد عَلى تكفير من نازع الله في ربوبيته أو ألوهيته بتشريع أو شرك أو حكم مناف لحكمه.. الخ.

وكان من سياسة السّعُودِيّة، لأغراض الحكَّام الدعائية الّتي التقت مع أغراض الدعاة المخلصين استقدام مئات ألاف الطلاب الأجانب من مختلف بلاد العالم الإِسْلَاميّ كوافدين للدراسة، وفتح باب المنح الدراسية لهم في الجامعات السّعُودِيّة المتخصصة في التّعليم الدّين، مثل جامعة الإِمَام محمّد بن سعود والجامعة الإِسْلَاميّة في المدينة المنورة وغيرها.

وفي تلك الأوساط تخرج مئات ألاف الطلاب من الشَّبَاب المسلم حاملا تلك الأفكار عائدا إلى بلاده منذُ مطلع الستينات وإلى الآن حيث تحول الحكومة السّعُودِيّة تغير هذه النهج تجاوبا مع برنامج أمريكا في تغيير البنية الفكريّة والثَّقافيَّة للمسلمين في إطار حرب الأفكار خلال حربها الشّاملة عَلى ما تسميه الإِرهَاب والتطرف والأصوليَّة في العالم العربيّ والإِسْلَاميّ.

وكما ذكرت فقد كانَ قد ذهب إلى السّعُودِيّة من مصر وسوريا خلال تلك الفترة آلاف المدرسين، وكان كثير منهم من دعاة الإخوان المُسلِمِين، ومن رواد الصّحوة الإِسْلَاميّة عموما.

كما صارت السّعُودِيّة في عهد الملك فيصل خاصّة مهجرا طبيعيا للمطاردين والمنفيين من قيادات الإخوان من مصر في عهد عبد النّاصر، حيث كانَ فيصل في حرب معه، كما فر إليها كثير من دعاة ومَشَايخ الإخوان من سوريا بسبب اضطهاد البعثيين منذُ أواسط الستينيات، وعمل أكثر هَؤُلَاءِ مدرسين في الجامعات الإِسْلَاميّة في السّعُودِيّة.

وحصل هناك تمازج هام جدا خلال العقود الثّلاثة الهامة من عمر الصّحوة (١٩٦٠- ١٩٩٠)، بين الفكر الحَركيّ لمدرسة الإخوان المُسلِمِين وخاصة القطبية منها، وبين الفكر العقدي والتراث الفُقْهيّ للدعوة السّلفيّة، والمدرسة الوهابية، ثمّ انطلق هذه التمازج عائدا إلى مصر والشّام ثانية ثمّ إلى باقي العالم العربيّ والإِسْلَاميّ.

وقد ولد هذا التمازج مدرستين هامتين جدا في الصّحوة الإِسْلَاميّة منذُ أواسط السَّبعينيَّات. وهما:

- **المدرسة السّروريّة:**

(نسبة إلى اسم أحد أوائل دعاتها)، ويقوم منهجها عَلى مزيج من الحَركيّة الإخوانية والفكر السلفي الوهابي، وهي مدرسة تنظيرية فكريّة سياسيّة دعوية، لم يكن لها عمليا تحرك يمكن أن يسجل له تجربة عمليَّة، ولسنا هنا بصدد الحديث عنها.

- **مدرسة (السّلفيّة الجهاديّة):**

والَّتي يتكون منهجها من مزيج من الفكر الحَركيّ الجهاديّ القطبي، مع تبني العَقِيْدَة السّلفيّة ومنهج الدّعوة الوهابية، وهي الهويّة الفكريّة المنهجيّة الرَّئيسيَّة الّتي طبعت التّيار الجهاديّ خلال (الثمانينات والتسعينات) وهو التّيار الّذي نحن بصدده في هذا الفَصل.

فباختصار أشير إلى أمر بالغ الأهمّيّة في فهم الهويّة الفكرة للتيار الجهاديّ المعاصر.

فقد شكل المنهج الإخواني ذي الطابع السّياسيّ التربوي، والحَركيّة القطبية ذات الطابع المفاصل المتمايز بناء عَلى مبادئ الحاكِميَّة، البعد السّياسيّ الشَّرعيّ والحَركيّ في منهج التَّفكير في التّيار الجهاديّ المعاصر.

كما شكل المنهج السلفي وكثير من مؤثرات الدّعوة الوهابية وإنتاجها الفُقْهيّ، الأرضية الفقهيّة والعقدية الّتي أجابت عَلى أكثر المسائل السّياسيّة الشّرعيَّة العالقة الّتي طرحها وأثارها المنهج الجهاديّ الحَركيّ، ودعوته للمُوَاجَهة مع الأنظمة الجَاهِليَّة الحاكمة في العالم الإِسْلَاميّ.من قبيل إقامة البرهان الشّرعيّ عَلى كفر الحكّام الحاكمين بغير ما أنزل الله الموالين لأعداء المُسلِمِين، ثمّ تسلسل الأحكام الشّرعيَّة تبعا لذلك، من أحكام الخروج عليهم وإسقاط شرعيتهم وقتال أعوانهم، إلى غير ذلك من عشرات المسائل الشّرعيَّة المتفرعة عن ذلك.

ولما نهجت أكثر مدارس الصّحوة الإِسْلَاميّة المنهج الديمقراطي، وطرحت تصوُّرات شتّى للإجابة عَلى مسألة المشكلة والحلّ في واقع المُسلِمِين المعاصر، ودخلت مدارس الصّحوة الإِسْلَاميّة المختلفة في مساجلات فكريّة وفقهيّة كثيرة، شكل فقه الإِمَام ابن تَيمِيَة والمنهج السلفي وتراث المدرسة الوهابية المستند الأساسي للتيار الجهاديّ في خوض تلك المعتركات.

وهكذا يمكن أن نوجزالقول ونلخص البنية الفكريّة للتيار الجهاديّ المعاصر بالمعادلة التّالية:

أساسِيَّات من فكر الإخوان المُسلِمِين + المنهج الحَركيّ للشهيد سيد قطب + الفقه السّياسيّ الشّرعيّ للإمام ابن تَيمِيَة والمدرسة السّلفيّة + التراث الفُقْهيّ العقدي للدعوة الوهابية ← المنهج السّياسيّ الشّرعيّ الحَركيّ للتيار الجهاديّ.

ولقد كانَ الميدان الأساسي لنضوج هذه المكوّنات الفكريّة المنهجيّة خلال السَّبعينيَّات والثَّمانينيَّات في مصر والشّام والجَزِيرَة العربيّة وخاصة في بلاد الحرمين، ومن هناك انتشر إلى باقي البلاد كما سأبين لاحقا، مع الإشارة إلى أنه كانَ لكل ساحة من تلك الساحات من بلاد العَرَب والمُسلِمين وطبيعة مكوّنات الصّحوة فيها ومرحلة نضوجها أثر في طيعة الفكر الجهاديّ الّذي ولد فيها وطبيعة التَّجربة تبعا لذلك.

فقد كانَ التّأثير مباشرا وسريعا في الأردن ولبنان واليمن، وكان بطيئا في بلاد مثل العراق نتيجة النّظام الأمني الصارم فيها، كما كانَ التّأثير محدودا في دول الخليج العربيّ والسّعُودِيّة بسبب طبيعة المجتمعات النفطية فيها، وبسبب قلة السّكّان وركود الحياة الفكريّة والثّقافيَّة فيها آنذاك، أما ليبيا وبلاد المغرب العربيّ فقد تأخر ذلك تبعا لتأخر ميلاد الصّحوة الإِسْلَاميّة فيها إلى مطلع السَّبعينيَّات، بحكم

ظروف استقلالها وطبيعة أنظمتها وعمق التّأثير الغربيّ للاستعمار الفرنسي فيها، على أنه سجلت محاولات جهاديّة مبكرة في المغرب (١٩٦٣)، وفي الجَزَائِر (١٩٧٣)، من غير أن يكون للمد الفكريّ للتيار الجهاديّ المشرقي المولد والّذي نحن بصدده أثر أو علاقة بذلك، وكذلك كانَ التّأثير محدودا في القرن الإفريقي والصّومال نتيجة ظروفها، حيث انتقلت معظم مؤثرات الصّحوة إليها متأخرة عن طريق الطلاب الّذين خرجوا للدراسة في الغرب أو في بعض الدّول العربيَّة المجاورة مثل السّعُودِيّة ومصر والسُّودَان وتأثروا بأفكار الصّحوة وعادوا بها إلى بلادهم لتمتزج مع معطيات الصّحوة المحليَّة وظروفها.

كذلك كانَ الحال تقريبا في بلاد أطراف العالم الإِسْلَاميّ مثل اندونيسيا والفلبين ودول شرق آسيا ووسط أفريقيا، وكذلك دول الجمهوريّات السُّوفيتيّة في وسط آسيا والقفقاس.

أما أكثر دول العالم الإِسْلَاميّ تأثرا وتأثيرا في الصّحوة الإِسْلَاميّة وعموم مدارسها في العالم العربيّ فكانت الباكستان وتركيا بحكم القرب والتداخل في أكثر من مجال.

أما التّيار الجهاديّ من حيث ميلاد الفكر وانتقال أصحابه إلى ميدان التطبيق والمُوَاجَهة مع الحُكُومَات فقد ارتبط قيامه في الأماكن المختلفة بعوامل عدّة مثل الظّروف السّياسيّة والاجتماعيَّة والثَّقافيَّة والاقتصاديَّة في كلّ بلد بالإضافة إلى مستوى ونوع الصّحوة الإِسْلَاميّة ووصول المؤثرات الفكريّة للتيار الجهاديّ لذلك المكان.

ثمّ جاءت تجربة الجِهَاد الأفغاني (١٩٨٤-١٩٩٢) لتتكون المدرسة الجهاديّة الّتي دعي أصحابها بـ (الأفغان العَرَب)، ليدخل التّيار الجهاديّ مرحلة العولمة كما سنرى في الفقرة التّالية إن شاء الله.

وقد قامت محاولات جهاديّة للعديد من جماعات ا للتيار الجهاديّ ضدّ بعض أنظمة الحكم القائمة في العالم العربيّ والإِسْلَاميّ، بمستوى وحجوم مختلفة منذُ مطلع الستينات وإلى نهاية القرن العِشرين، يمكن ذكر أهمّها بحسب تسلسلها الزّمني وبحسب ما يحضرني كما يلي:

أهمّ المحاولات والتَّجَارب المُسلّحة للتيار الجهاديّ (١٩٦٠-٢٠٠٠):

(١)- حركة الشبيبة المغربية في المغرب الأقصى (مراكش)، بقيادة الشَّيْخ عبد الكريم مطيع، ضدّ حكومة الملك الهالك الحسن الثّاني سنة (١٩٦٣).

(٢)- محاولة الشَّيْخ الشّهِيد سيد قطب ﷺ وتنظيم الجِهَاد ضدّ حكم عبد النّاصر في مصر سنة (١٩٦٥).

(٣)- حركة الشَّيْخ الشّهِيد مروان حديد ﷺ ضدّ حكم البعث في سوريا سنة (١٩٦٥).

(٤)- حركات الجِهَاد ضدّ الأنظمة الشُّيُوعِيّة في أفغانستان قبل الإحتلال السُّوفيتيّ (١٩٦٥-١٩٧٥).

(٥)- تجربة تنظيم الطليعة (EkiNGiLAR) في تركيا خلال الحَرب الأهلية ١٩٧٢.

(٦)- حركة الدّولة الإِسْلَاميّة بقيادة الشَّيْخ الشّهِيد مصطفى بويعلي ﷺ في الجَزَائِر(١٩٧٣-١٩٧٦).

(٧)- الثَّورة الإِسْلَاميّة الجهاديّة في سوريا بقيادة الطليعة المقاتلة من تلاميذ الشَّيْخ مروان حديد (١٩٧٥-١٩٨٢).

(٨)- حركة تنظيم الجِهَاد والجماعة الإِسْلَاميّة في مصر ضدّ أنور سادات ثمّ ضدّ خلفه حسني مبارك(١٩٨١-١٩٩٧).

(٩)- المحاولة الجهاديّة ضدّ حكم القذافي في ليبيا (١٩٨٦).

(١٠)- بعض المحاولات الجهاديّة المحدودة والمحاولة الانقلابية للجهاز العسكريّ لحركة الإتجاه الإِسْلَاميّ في تونس (١٩٨٦).

(١١)- التَّجَارب الجهاديّة للجماعات المتعددة في الجَزَائِر إبتداءا من سنة (١٩٩١).

(١٢)- المواجهات الجهاديّة ضدّ نظام الحكم الشُّيُوعِيّ في طاجيكستان منذُ (١٩٩٢).

(١٣)- المحاولات الجهاديّة المحدودة في بلاد الحرمين (السّعُودِيّة) منذ (١٩٩٤).

(١٤)- المواجهات الجهاديّة في ليبيا (١٩٩٤-١٩٩٦) وتجربة الجماعة الإِسْلَاميّة المقاتلة.

(١٥)- الإنتفاضة المُسلّحة لـ (حركة نفاذ شريعة) شمال غرب الباكستان (١٩٩٦).

(١٦)- محاولات تكوين جماعات جهاديّة في المغرب الأقصى منذُ (١٩٩٦).

(١٧)- المحاولة الجهاديّة ضدّ نظام (كريموف) الشُّيُوعِيّ الأمريكيّ في أوزبكستان، وتشكل الحركة الإِسْلَاميّة في أوزبكستان (١٩٩٨).

(١٨)- التَّجربة الجهاديّة لجيش عدن أبين في اليمن منذُ (١٩٩٩).

(١٩)- المحاولة الجهاديّة في جبال النبطية في لبنان (٢٠٠٠).

كما قامت في نفس الفترة العديد من الحركات والمواجهات الجهاديّة ضدّ مختلف أشكال الإحتلال والعدوان الخارجي عَلى بلدان المُسلِمِين، مما صنفته تحت مسمّى الحركات والتَّنظِيمات المُجَاهدة تمييزا له- من حيث التصنيف الدراسي- عن التّيار الجهاديّ الّذي نحن بصدده، والّذي يكون معها ما أسميته الظَّاهِرة الجهاديّة المعاصرة خلال النصف الثّاني من القرن العِشرين، ومن أهمّ تلك التَّجَارب والحركات مايلي:

- **بعض تجارب المواجهات والحركات المُجَاهدة للاحتلال والعدوان الخارجي:**

(١)- حركات الجِهَاد والمُقاوَمة ضدّ الإحتلال الهندي في(كشمير) و(ولاية آسام الهندية).

(٢)- حركات الجِهَاد ضدّ الهندوس في بورما والأركان.

(٣)- حركات التحرير المُجَاهدة في الفلبين، مثل(جبهة تحرير مورو) و(جماعة أبو سياف).

(٤)- الجماعات الّتي جاهدت في إرتريا ضدّ الإحتلال الإثيوبي.

(٥)- الجماعات المُجَاهدة الإحتلال الإثيوبي في القرن الإفريقي (الأوغادين والعفر...).

(٦)- الحزب الإِسْلَاميّ في تركستان الشرقية الّذي يجاهد الإحتلال الصيني لتركستان.

(٧)- (جماعة التّوحيد) الّتي تشكلت من مُجَاهدي أهل السّنّة، خلال الحَرب الأهلية في لبنان في مُوَاجَهة التَّحالف المسيحي والقوى(الطائفية النصيرية) المدعومة من النّظام السّوري(١٩٧٥-١٩٨٢).

(٨)- الجِهَاد ضدّ الإحتلال السُّوفيتيّ في أفغانستان (١٩٧٩- ١٩٩٢).

(٩)- حركة المُقاوَمة الإِسْلَاميّة (حماس) لمُوَاجَهة الإحتلال الإسرائيلي في فِلَسطِين منذ(١٩٨٧).

(١٠)- حركة الجِهَاد الإِسْلَاميّ، لمُوَاجَهة الإحتلال الإسرائيلي في فِلَسطِين منذُ ١٩٨٩.

(١١)- مواجهات الجماعات الإِسْلَاميّة الكردية لنظام صدام حسين في العراق، ثمّ لعدوان الأحزاب الكردية العلمانيّة في كردستان العراق، منذُ (١٩٩٠م)

(١٢)- التَّجربة الجهاديّة في البوسنة ضدّ العدوان الصّربي (١٩٩٤-١٩٩٦).

(١٣)- التَّجربة الجهاديّة ضدّ الإحتلال الرُّوسي في الشِّيشَان والقفقاس منذُ (١٩٩٥).

(١٤)- المواجهات الجهاديّة ضدّ عدوان النّصَارى في إندونيسيا منذ(١٩٩٨).

رابعا : المحطة الرَّئيسيَّة الكبرى في تاريخ التّيار الجهاديّ :

(الجها الأفغاني ضدّ الرُّوس) وتجمع المُجَاهدين (الأفغان العَرَب) (١٩٨٤-١٩٩٢)

احتلت جُيُوش الإتحاد السُّوفيتيّ الرُّوسي البائد أفغانستان علنيا سنة (١٩٧٩) بعد أن فعلت ذلك بطريق غير مباشرة عبر عدد من الانقلابات العسكريّة الشُّيُوعِيّة منذُ (١٩٦٥)، وأدى دخول الغُزَاة إلى إنحراط عموم الشعب الأفغاني بقبائله وعلمائه ومختلف طبقاته في الجِهَاد والمُقاوَمة.

كما أشرت سابقا في ثنايا البحث لم يتوقع أحد أن يصمد هذا الشعب الفقير المعدم المتخلف لهذا الغزو الجبار، وبدا وكان أمريكا قد سلمت بضم هذه الرقعة إلى المخزون الاستعماريّ للروس كما ضموا وسط آسيا والقفقاس وغيرها، ولكن المُقاوَمة الباسلة للشعب الأفغاني ما بين (١٩٧٩-١٩٨٢) لفتت نظر الإدارة الأمريكية ومنظريها الاستراتيجيين الكبار من أمثال الرَّئيس الأسبق (نيكسون) الّذي قام بنفسه بزيارة ميدانية آنذاك لمُعَسْكَرَات المُهَاجِرين الأفغان عَلى الحدود الباكستانية، فقرر الكونغرس تبني مسألة الجِهَاد الأفغاني كساحة ترد فيها أمريكا الصاع الفيتنامي للروس بأضعافه، بل ولتجعل منها آخر ساحات الحَرب الباردة الّتي سيحسم فيها ذلك الصِّرَاع بالضربة القاضية كما حصل خلال عشر سَنَوات.

أشرفت أمريكا عَلى صناعة حلف عالمي لمُوَاجَهة الرُّوس وحلف وارسو في أفغانستان فجرت وراءها حلف النّاتو ودوله كاملة، دول أوروبّا الغربيّة وكذلك حلفاءها الاقتصاديين الكبار مثل كندا

وأستراليا واليابان، لتكوين حلف سياسي إعلامي اقتصادي داعم لها في هذه الحَرب، ووضعت سياسة مالية تقضي بحصة من المساعدات المالية المقررة بملايين الدّولارات عَلى كلّ دولة من تلك الدّول، وساهم الجميع بذلك.

ولكن الجانب الأهم من الحلف الّذي كونته أمريكا لدعم الجِهَاد الأفغاني كانَ من دول العالم العربيّ والإِسْلَاميّ، والّتي كانَ في طليعتها وأهمّها دورا (السّعُودِيّة) و(باكستان) و(مصر) ودول (مجلس التّعاون الخليجي)، فقد ساهمت السّعُودِيّة ودول الخليج بالقسط الأكبر من الدّعم المالي لتلك الحَرب سواء بشكل رسمي حكومي أو من خلال التشجيع والسماح لسيل التبرعات الأهلية للجِهَاد في أفغانستان أن تصل إلى المُجَاهدين الأفغان كما لعبت السّعُودِيّة بمرجعيتها الدّينيّة بحكم سيطرتها عَلى الحرمين، وبمؤسساتها الدّينيّة العلمية دورا إعلاميا بارزا، وأشرف عَلى برنامجها وأداره رئيس استخباراتها آنذاك الأمير تركي بن عبد العزيز.

كما لعبت الباكستان الدَّور الرَّئيسي ميدانيّاً، فقد امتدت حدودها مع أفغانستان لأكثر من (٢٢٠٠) كيلومتر، وحوت عشرات المعابر الرَّئيسيَّة لوصول الإمدادات ومختلف أشكال الدّعم للجِهَاد الأفغاني ولعبت استخباراتها العسكريّة (ISI) والتيرئسها آنذاك الجنرال (حميد كُل)، دورا رئيسيا في ترتيب الأحزاب الجهاديّة والإشراف عَلى تشكيل وتوزيع المساعدات المالية والسّلاح بينها، وبتقديم الخدمات (اللوجستية) ومختلف أنواع الدّعم الميداني، الّذي كانَ يصل أحيانا لحد مشاركة الجيش الباكستاني عمليا في القِتَال والإسناد بالأَسْلِحة الثقيلة في المعارك الحدودية، وقد رأيت ذلك ميدانيّاً في معارك جلال أباد (١٩٨٩)، أما مصر فقد كانَ من أبرز مشاركتها، الإتفاق مع الأمريكان عَلى سداد جزء من ديونها لهم عَلى شكل صفقات سلاح أرسلتها إلى أفغانستان عن طريق باكستان، وكذلك شهدت هٰذا، فقد كانَ مألوفا لدينا فتح بعض صناديق الذخيرة والسّلاح وعليها شارة الجيش المصري، وذلك أن أنور السادات كانَ قد أتخذ قرارا باعتماد التسليح الأمريكيّ للجيش المصري وبدأ بتصفية الوجود الرُّوسي في مصر فيما عرف بسياسة الإنفتاح، فكان مفيدا له أن يتخفف من مخزون سلاح وذخائر لم يعد لازما له آنذاك أواخر السبعينات.

ولقد لعبت تلك الدّول بالإضافة لأكثر دول العالم العربيّ والإِسْلَاميّ، بل والغربيّ وتابعيه، دورا إعلاميا بالغ الأهمّيّة في دعم الجِهَاد الأفغاني، والترويج له وحض كلّ من شاء وحتى بعض من لا يشاء عَلى المساهمة.

وأما الحليف الثّالث الّذي أدخلته أمريكا – أو بالأحرى – سمحت بدخوله عَلى خط تأييد الجِهَاد الأفغاني، فقد كانَ (الصّحوة الإِسْلَاميّة) بكامل طيفها وحركتها، فقد جاشت العَوَاطِف في صفوف الصّحوة قيادات وقواعد بشكل تلقائي، وبفعل التعاطف الدّين مع أخوة الدّين والعَقِيْدَة الّذين يتعرضون لحرب إبادة واحتلال غاشم، من قوة تمثل قمة الكفر والإلحاد من منظور الإِسْلَام والمُسلِمين، وهكذا انتقل الضوء الأخضر من أمريكا لأذيالها حكاما وحُكُومَات العالم العربيّ والإِسْلَاميّ، لتشعله بدورها أمام الحركات الإِسْلَاميّة، لتشارك في هذا الحلف العريض غير المباشر الّذي التقت فيه الأغراض والمصالح، وكان للدول العربيَّة والإِسْلَاميّة مصالح في هذا الضوء الأخضر استجابة للسيد الأمريكيّ، وهي تلميع سمعتها بمساعدة المُسلِمين، وفتح باب الهِجرَة للصحوة وكوادرها، ولاسيما السّياسيّة والجهاديّة فيها لتنفس عن رغباتها ومشاعرها الأصوليَّة بعيدا، هناك عَلى بعد آلاف الكيلومترات، ولعلها تلقى بغيتها في الشَّهَادة في سبيل الله، ويستريح الحكّام من ضوضائها في بلادهم.

وهكذا وباشتعال الضوء الأخضر أمام الصّحوة، اشتعلت خطب الجمعة والمحاضرات والمؤتمرات، والمهرجانات والمنشورات والمُؤلّفات والصّحف، وكل وسائل التعبير والدعاية في أوساط الصّحوة، تروج للجِهَاد الأفغاني وتنادي (يا خيل الله اركبي).

فركبت عشرات الألوف ممن كتب لهم السعادة بالمشاركة.

[وألفت النَّظر إلى أَنّي أكتب هذه الفقرة كشاهد عيان وكمشارك خلال تلك المَرحَلَة، حيث شهدتها منذ(١٩٨٧) وإلى (١٩٩٢)، ثمّ واكتبها متابعا عن كثب إلى (١٩٩٦)، حيث عدت للحضور ميدانياً في شوطها الثّاني المختلف كليا عن الشوط الأوّل خلال الفترة الممتدة من أواسط (١٩٩٦) وإلى نهايته في ديسمبر (٢٠٠١).].

وهكذا وجدت آنذاك مختلف شرائح وجماعات وتنظيمات الصّحوة الإِسْلَاميّة ومدارسها المختلفة فرصة للتأييد والاستفادة من تلك السوق الرائجة، الّتي كانَ لكل فيها هدفه وبغيته من تلك المشاركة وليس هنا محل استعراض أهداف كلّ فريق منهم وما استفاده وما حققه، وإنما ذكرته لأهمية هذه المحطة المباركة عَلى التّيار الجِهَاد المعاصر خلال تلك المَرحَلَة وما تلاها إلى اليَوْم بل وعلى المستقبل فيما أعتقد.

وهكذا قام حلف غير مباشر بين مختلف من جمعهم العداء للشيوعية والإتحاد السُّوفيتيّ، أو كانَ لهم غرض في مواجهته والقضاء عليه، بدا من أمريكا وحلفائها في المُعَسْكَر الغربيّ، وانتهاء بأعدائهم في التّيار الجهاديّ، ومرورا بحلفائهم حُكّام بلاد العالم العربيّ والإِسْلَاميّ وكذلك مختلف أوساط الصّحوة الإِسْلَاميّة، عَلى اختلاف منظور مدارسها لأمريكا والغرب والحُكُومَات.

وهنا أحب أن أشير إلى إشكاليتين، وقل إن شئت كذبتين ضخمتين فرضهما الإعلام الغربيّ والأمريكيّ خاصّة، والإعلام التّابع لهم في بلاد العالم العربيّ والإِسْلَاميّ، حيث يجب توضيح حقيقتهما للنّاس عامة وللإسلاميين والجهاديّين وجمهورهم خاصّة، وهما:

١. **دور أمريكا في انتصار الجِهَاد الأفغاني.**
٢. **شبهة عمالة المُجَاهدين العَرَب ومن شارك في الجِهَاد الأفغاني من الإِسْلَاميّين لأمريكا وارتباطهم بـ (CIA) خلال تلك القضية، كما يزعم اليَوْم الإعلام الغربيّ وأتباعه:**

وأعود للتذكير بأن قيمة شهادتي هذه، تأتي من ميدانية مشاركتي وقربي من مصادر المعلومات وممن أدار الأحداث، خلال تلك الفترة في أوساط الجهاديّين والإِسْلَاميّين من عرب وأفغان.

١. **دور أمريكا في انتصار الجِهَاد الأفغاني:**

لقد سعى الإعلام الأمريكيّ بمختلف وسائله الّتي يسطر عليها اليَهُوْد والصّليبيّون المتصهينون إلى التصوير بأن انتصار الجِهَاد الأفغاني كانَ مجرد نجاح للسياسة الأمريكيّة وبَرَامج (CIA) في أفغانستان، وقد تحقق لأمريكا انتشار هذه الدعاية الكاذبة إلى حد كبير، فقد عملوا عَلى ذلك عبر مختلف وسائل الدعاية، بدءا من أفلام (رامبو) وغزواته الميمونة إلى أفغانستان، حيث أسقط الطائرات،

ودمر الحصون، وحرر الرهائن من الأفغان والأمريكان (المُجَاهدين!) معهم، وركب الخيل، وقاد المدرعات وحلق في السّماء بالهليكوبتر الرُّوسية!! وجرح مرارا ولم يمت، وانصهر داخل مدرعة مدمرة ولم تذب عضلاته المفتولة !! واستطاع أن يمطر المشاهدين المعجبين بعضلاته الأمريكيّة بسيل من الحكم والدعايات السخيفة من شفته المتدلية نصف المشلولة، وأوصل في النهاية الرّسالة عن رحمة أمريكا بالمستضعفين ونصرتها للمظلومين، وحرصها عَلى مساعدة المُسلِمِين، ودورها الرَّئيسي في انتصار الأفغان الّذين تولى الفيلم الخيالي إظهار إعجابهم وحبهم لأمريكا ! وهكذا عادت عضلاته إلى قواعدها سالمة، إلى (هوليود) ليتابع حفلات والرقص المجون مع غانياتها الحسان، كرمز معبر فعلا عن أمريكا وعضلاتها المفتولة وعقلها الصغير وشفتها نصف المشلولة لتي تفتعل الحكمة!!

كما ركز الإعلام الأمريكيّ مستخفا بعقول من صدّقه، عَلى دور صواريخ (ستنغر) في انتصار الجِهَاد الأفغاني، وكيف أنه قلب موازين المَعْرَكة، عندما بدأت تتساقط الطائرات الرُّوسية به، مما أدى لتحول مجرى المعارك من هزيمة المُجَاهدين إلى انتصارهم!! وقد نشرت هذه الكذبة عبر مختلف وسائل الإعلام والدعاية، من الأفلام الوثائقية إلى الكتب إلى الصّحف، إلى مذكرات ضباط الإستخبارات، إلى غير ذلك.

علما أن الإِعداد المحدودة من صواريخ (ستنغر) الأمريكيّة، قد دخلت أفغانستان بعد عشر سَنَوات من دخول الرُّوس، وقبيل انسحابهم بقليل، ولم يستخدم في المعارك الحاسمة الأخيرة إلا نادرا، ولم يسقط به إلا عدد محدود من الطائرات، ولم يره إلا النادر من مئات آلاف المُجَاهدين، وقد سرقت الإستخبارات الباكستانية حصتها منه، كعادتها في سرقة حصتها من كلّ المساعدات المالية والعينية الّتي جاءت للمُجَاهدين الأفغان من السيارات ومواد الإغاثة المختلفة والعتاد والسّلاح والذخائر، الّتي كانت تمر إجباريا في باكستان في طريقها إليهم.

فما أدري حقيقة كيف استساغت العقول هذه الكذبة الكبرى، في دور هذا الـ(ستنغر) في انتصار الجِهَاد الأفغاني الّذي شارك فيه ملايين الأفغان وانتظم في صفوف أحزاب المُجَاهدين خلاله أكثر من مليون مُجَاهد مسلح، وقدم الشعب الأفغاني خلاله أكثر من مليونيين من الشّهداء، وخمسة ملايين

مهاجر، من شعب كانَ تعداد سكانه لا يجاوز ١٦ مليون نسمة، وما أدري ما دور (ستنغر) في تدمير أكثر من خمسين ألف آلية روسية عسكريّة، وقتل أكثر من / ٣٠/ ألف جندي روسي عَلى الأرض، وأكثر من / ١٥٠/ ألف من المليشيات الشُّيُوعِيّة الأفغانية، عدا مئات آلاف العمليَّات خلال جِهَاد استمر لأكثر من خمسة عشر سنة، وابتدأ قبل الغزو الرُّوسي بخمس سنين، واستمر بعدها ثلاث سنين، إلى أن سقطت كابل بيد المُجَاهدين، أي من (١٩٧٣-١٩٩٢)، ورغم سخافة هذا الكذبة (الاستنغرية) وتهافتها أمام أبسط المعلومات عن سير الجِهَاد الأفغاني، ولكنها وجدت طريقا إلى عقول ملايين السذج من رواد الشاشات الصغيرة والكبيرة، وهذا هو سحر الإعلام الأمريكيّ، وميدان انتصار هَؤُلَاءِ الجبناء المخادعين، الّذين استخفوا بعقول أكثر البشر فأطاعوهم وللأسف !!

٢. شبهة عمالة المُجَاهدين العَرَب لأمريكا وارتباطهم بـ (CIA) خلال الجِهَاد الأفغاني:

من العجيب اليَوْم، أن البَرَامج الإعلاميَّة العَالَمِيّة والعربيَّة من أفلام ومقابلات وتحليلات وصحف وكتب وسواها، تمر بهذه (الكذبة) بسرعة مرور الكرام، وتنتقل لمواضيع أُخرى عَلى أنها شيء مسلم به معروف بديهي !!

فيقدمون للنَّاس كذبة كبرى عَلى أنها حقيقة مفادها:

أن المخابرات الأمريكيّة (CIA) هيَ الّتي صنعت (الأفغان العَرَب) وزعماءهم من أمثال الشَّيْخ أُسَامَة بن لادن، والشَّيْخ عبدالله عزام، من أجل تدمير الاتحاد السُّوفيتيّ، وان هذه الصنائع انقلبت عليها اليَوْم، ودمر بعضهم أبراجها في نيويورك وواشنطن، في حين عاد أكثرهم إلى بلادهم لضرب مصالحها وقتل رعاياها، ومحاربة أوليائها من حُكَّام بلاد العَرَب والمُسلِمين، وأن ظاهرة الجِهَاد المُسلّح في بلاد العَرَب هيَ إفراز للجِهَاد الأفغاني، وبالتالي صنيعة الإستخبارات الأمريكيّة، وقد خرجت عن الطوق، ويقولون أن أمريكا قد وقعت في حال المثل السائر عندهم: (من يصنع الأشباح تخرج له).

فما حقيقة هذه الفرية البالغة الخطورة عَلى سمعة الجِهَاد والجهاديّين في هذا العصر.

أوضح ذلك من خلال النقاط الموجزة التّالية بعون الله:

- **أما أن ظاهرة الجِهَاد المُسلّح في بلاد العَرَب والمُسلِمين هيَ إفراز لتجمع الأفغان العَرَب في الجِهَاد الأفغاني فالحقيقة هيَ العكس تماما.**

والحقيقة هيَ أن الجِهَاد العربيّ في أفغانستان هو نتيجة للجِهَاد العربيّ قبله، وهو أحد إنجازات التّيار الجهاديّ العربيّ في بلاد العَرَب وأحد إفرازاته ومراحل تطوره فكما مر سابقا.

فإن التّيار الجهاديّ المعاصر هو وليد الصّحوة الإِسْلَاميّة الّتي نشأت مطلع لثلاثينات، وقد أنفصل عنها مطلع الستينات، وقد قامت كثير من التَّجَارب الجهاديّة ما بين مطلع الستينات ومطلع الثمانينات، أي قبل من الجِهَاد الأفغاني بعشرين سنة، بل إن القيادات والكوادر والرموز وأركان الجِهَاد العربيّ في أفغانستان، هم من بقايا وكوادر ورموز وشيوخ التّيار الجهاديّ العربيّ، فالشَّيْخ عبدالله عزام من رموز وقدماء المُجَاهدين في فِلَسطِين، وقد نفاه النّظام الأردني من عمان لطروحاته الجهاديّة ومعارضته للنظام، والشَّيْخ أُسَامَة بن لادن تربي في الصّحوة الإِسْلَاميّة، ودعم أكثر من حركة للجِهَاد في بلاد العَرَب، وساهم في دعم الجِهَاد في سوريا مطلع الثمانينات، قبل أن يتوجه إلى أفغانستان، وكذلك فإن كثيرا من الكوادر الّذين يصعب حصرهم هنا، من المدربين والقادة الميدانين الأوائل الّذين حملوا مهمة إنشاء المُعَسْكَرَات وإقامة البنية الأساسيّة للجِهَاد العربيّ في أفغانستان، كانوا من كوادر تنظيمات الجِهَاد العربيَّة ولاسيما من مصر وفلسطين وسوريا ولبنان واليمن، وغيرها، وهم الّذين كانوا نواة التجمع العربيّ الّذين تولوا العمل في مجالات التّدريب والإعلام، والعمل العسكريّ، والعمل الإغاثي الميداني وسوى ذلك من الأعمال، إلى أن تقاطر المُجَاهدون من البلاد العربيَّة والإِسْلَاميّة وتزايد الجمع الّذي ابتدأ بكوكبة صغيرة سنة ١٩٨٤، فتصاعد منذُ (١٩٨٧) وإلى (١٩٩١) ليبلغ زهاء أربعين ألفا من المُجَاهدين العَرَب مع مطلع التسعينات،

- أما عن العلاقة المزعومة للجِهَاد العربيّ في أفغانستان بالأمريكان ومنظمتهم البائسة (CIA)، فإن كانَ لهؤلاء الأوغاد من دور فهو في الإجازة والضوء الأخضر الّذي أعطوه لأزلامهم من حُكَّام بلاد العَرَب والمُسلِمين بأن يسمحوا للشباب المُجَاهدين بممارستهم حقهم الطبيعي وأوامر دينهم بأن يتوجهوا إلى أفغانستان، وأن تتركهم مخابرات تلك البلاد المجرمة في حال سبيلهم، ولا

تعترضهم وهم يذهبون إلى أداء الفريضة الشَّرعيَّة، وكذلك في الدَّور المحدود لأجهزة إعلام تلك البلاد العربيَّة والإِسْلَاميّة في الترويج للجِهَاد الأفغاني، وفي دور أمريكا بالإيعاز للسعودية في أن تفتي مؤسستها الدّينيّة المأجورة، بأن الجِهَاد فرض عين في أفغانستان- وهي حقيقة - وفي أن تترك المجال للدعاة الصّالحين من أئمة الدّعوة والإصلاح في السّعُودِيّة أن يجهروا بهذه الحقيقة الشَّرعيَّة، وأن تتيح للشعب في بلاد الحرمين أن يُؤَدِّي فريضة الجِهَاد بماله لنصرة أخوة العَقِيْدَة والدّين، وأن تشجع من أراد من الشَّبَاب الذهاب إلى هناك، حتَّى بلغ ذلك أن تخفض شركة الطيران السّعُودِيّة ثمن تذكرة الطائرة من السّعُودِيّة إلى باكستان بنسبة (٧٥٪) لمن يريد الذهاب للجِهَاد في أفغانستان ليصبح أقل من تكلفة رحلة داخليَّة، ولاشك أنه كانَ لآل سعود مصالحهم الدعائية وغير ذلك من هذه التسهيلات، كما ساهمت أمريكا بإيعازها لباكستان بأن تفتح سفاراتها لإعطاء إجازات الدخول (الفيزا) للشباب العربيّ والمسلم من كلّ مكان للذهاب عبر أراضيها إلى أفغانستان، وأن تسمح للعرب بحرية الحركة، الّتي بلغت حد فتح المُعَسْكَرَات عَلى الأراضي الباكستانية قرب أفغانستان للتدريب، وتقديم الخدمات اللوجستية للجِهَاد الأفغاني، ولاشك أنه كانَ لباكستان مصالحها الإقليمية والوطنيّة في هٰذا، ولا محل لاستقصاء هذه الجزئيات هنا، بل كانَ هناك أيضا مصالح شخصية لمليونيرات الحُرُوب من الضُّبَّاط في الجيش والإستخبارات والشّرطة الباكستانية من تحرك هذا الكم من البشر والأموال بين الخارج وأفغانستان عبر أراضيهم، فإذا كانت الإجازات الأمريكيّة لعملائهم الصغار، تعتبر مساهم في صناعة الجِهَاد العربيّ في أفغانستان فهو ذلك لا أكثر، وكان لعملائهم الصغار من الحكَّام في السّعُودِيّة والباكستان ومصر وغيرها مصالحهم في ذلك.

- **أما ما يزعم من تدريب الأمريكان للعرب، أو ترتيب بَرَامجهم، أو معاونتهم عَلى العمل العسكريّ، أو أي علاقة عمليَّة عَلى الأرض، فهذا محض كذب وافتراء.**

ولقد عملتُ شخصيا في مجالات التّدريب العسكريّ، وكمحاضر في المجالات الفكريّة والمنهجيّة، وكنت عَلى تماس مع قيادات الجِهَاد العربيّ في أفغانستان، وأستطيع من خلال ذلك أن أشهد

وأؤكد أن هذه الدعوى لا أساس لها من الصحة، ولست هنا في مجال التّاريخ للجِهَاد العربيّ في أفغانستان، حتَّى أسرد وقائع التّدريب وآلية العمل، ولقد كانَ بالمختصر مجموع جهود فرديَّة مخلصة، ابتدأت بالكوادر الجهاديّة القديمة وبعض الكوادر العسكريّة المحترفة من المتقاعدين أو المبعدين عن الخدمة في جُيُوش عدد من الدّول العربيَّة والإِسْلَاميّة، والّذين كانَ لمساهماتهم دور مفيد جدا، ثمّ بدأت تتراكم وتتجمع خبرات الكوادر الناشئة في السَّاحَة.

والمطلع عَلى الوضع الفكريّ والنّفسي والمنهجي، وعلى المشاعر تجاه الأمريكان والغرب والكفار عموما، بل وحتى تجاه حكامنا بل وصغار أعوانهم، لدى القيادة الجهاديّة العربيَّة وقواعدها من الشَّبَاب في أفغانستان وسواها، يعلم أن هذه الدعوى غير واردة وغير ممكنة.

أما حقيقة أن مصالح وأهداف كافّة أطراف الحلف غير المباشر الّذي ذكرته، من أجل حرب الإتحاد السُّوفيتيّ، كلا عَلى حدة عمليا، ومجتمعين عَلى هدف واحد، فحقيقة واقعة وكثيرا ما تكررت في دنيا السّياسة وتقاطع المصالح عبر التّاريخ، وما تزال تتكرر هنا وهناك وهذا من طبائع الأشياء.

فقد أرادت أمريكا هزيمة الإتحاد السُّوفيتيّ والانتصار في الحَرب الباردة، بعد أن كال لها الإتحاد السُّوفيتيّ وحلف وارسو ضربات موجعة في أكثر من مجال، وكانت قضية أفغانستان فرصة ذهبية للأمريكان، وقد استغلوها بصورة صحيحة وحصلوا عَلى ما أسماه نيكسون في كتابه الشهير (نصر بلا حرب)، فحققوه بكل جدارة يحسدون عليها.

وأرادت أوربّا الغربيّة ودول حلف الأطلسي تحقيق مكاسب ووضع موطئ قدم لها هناك فشاركت في ذلك المولد لمصالحها الخاصّة كدول أوربية، وكلا لمصالحها منفردة، وحصل لكل دولة ما أرادت بشكل نسبي، واليوم تنتشر المؤسسات الأوروبية المختلفة تحت شعار الخدمات الإنسانية لتقتطع المكاسب المغرية من الملعب الأفغاني كلا بحسب حضورها السابق واللاحق.

وأرادت الباكستان تحقيق مصالح قومية وإقليمية يضيق المكان عن حصرها هنا بل إن ذكر ما حققته الباكستان يحتاج كتابا مستقلا، وقد قدمت لأمريكا في الملعب الأفغاني ما أرادت من خدمات ؛ لدعم الجِهَاد الأفغاني أولا، ثمّ لتمزيق مكتسباته ثانيا، ثمّ لتدمير أفغانستان في حرب أهلية ثالثا، ثمّ

لُمَوَاجَهة طالبان وإسقاط دولتهم رابعا، ثمّ لقتل المُجَاهدين العَرَب وتسليمهم لأعدائهم خامسا، ثمّ تشرع الآن لبيع قضية كشمير سادسا، ولتدمير البنية التحتية للإسلاميين داخل باكستان ذاتها سابعا، والحبل عَلى الجرار، وهكذا نفذت الحُكُومَات الباكستانية ما أرادت أمريكا دائما، ولعنة الله عَلى الظَّالمين والمُنَافِقين.

وقل مثل ذلك عن باقي الأدوار في أفغانستان للسعودية، ومصر، وسواها، وعن الهند، ودول وسط آسيا، وإيران، والصين من دول الجوار، الّتي لعبت لعبتها أيضا، وصولا إلى حركات الصّحوة الإِسْلَاميّة والجهاديّة وكل من دخل اللعبة الأفغانية فكسب أو خسر.

و يصح هذا عَلى مختلف التَّنظِيمات العربيَّة والإِسْلَاميّة الّتي حضرت أفغانستان.

باختصار لقد صارت قضية الجِهَاد الأفغاني منطقة تقاطع مصالح عالميّة وإقليمية ندر أن يتكرر مثلها، فاجتمع الجميع عَلى الإتحاد السُّوفيتيّ، وكان لكل نيته وأهدافه.

أما عن مصالح الحركات الإِسْلَاميّة غير الجهاديّة، فكانت شتّى، تتراوح بين النِّيَّة الحسنة في خدمة أخوة العَقِيْدَة والدّين، وبين المصالح الذاتية لكل حركة من الحركات، من المكاسب الدعوية والتَّنظِيمية والمادية، وصولا إلى المصالح الذاتية والشخصية لبعض الأفراد.

فماذا كانَ هدف الجهاديّين من الحضور إلى أفغانستان؟!

لقد كانَ هدفهم منحصرا بعد نية الجِهَاد وأداء الفريضة، والبحث عن الشَّهَادة في سبيل الله، من قبل غالب قياداتهم وأفرادهم، كانَ هدفهم أمرين استراتجيين أثنين. أذكرهما بحسب أهميتهما وبحسب ما لمست شخصيا بسبب تماسي المباشر، بل عضويتي في التّيار الجهاديّ، ومن ثمّ هذا الجمع الّذي أطلقوا عليه الاسم (الدراماتيكي) الجميل الّذي أحبه وأنتمي إليه وهو: (**الأفغان العَرَب**):

١. **أما الهدف الأوّل لمعظم الكيانات والتَّنظِيمات والكوادر الجهاديّة، فكان الإِعداد والتّدريب،** وترتيب الصفوف، وجمع الكوادر، وتجنيد العناصر، وإقامة العلاقات العامّة، واستقطاب أموال التبرعات، وتدريب أفراد التَّنظِيم، من أجل قضيتهم الذاتية في بلادهم، وهو الهدف الّذي سيطر عَلى تفكير معظم إن لم يكن كلّ التَّنظِيمات الجهاديّة العربيَّة، وسواها من

الأعجمية، وهو: (**إسقاط حُكُومَات الرِّدَّة القائمة في بلادها كلا بحسبه وإقامة حُكُومَات إسلاميّة تحكم بشرع الله**).

٢. **العمل عَلى تحرير أفغانستان**، وإقامة حُكُومَات إسلاميّة شرعيّة فيها، تكون منطلقا لإقامة شرع الله في الأرض، وملاذا آمنا، وقاعدة خلفية للجِهَاد ضدّ مختلف أعداء الله وفي كلّ قضايا المُسلِمِين، بدءا من فِلَسطِين وانتهاء في كلّ قضية للإسلام فيها نصيب وهوية..

ولقد تراوح الجميع في نيتهم بين هذين الهدفين بنسبة تقل أو تكثر، بحسب اختلافهم في توجهاتهم.

حتَّى بالنسبة لي شخصيا، فقد كانَ هدفي الّذي حملني إلى أفغانستان، والّذي فشلت في تحقيقه فيها خلال شوطها الأوّل (١٩٨٧-١٩٩٢)، فقد كانَ إعادة بناء تنظيم جهاديّ يعمل عَلى متابعة المشروع الجهاديّ الّذي قام في سوريا (١٩٧٥-١٩٨٢)، وانهار لأسباب ذكرتها مفصلة مع تاريخه، في كتابي الموسع (الثَّورة الإِسْلَاميّة الجهاديّة في سوريا- آلام وآمال) والّذي نشرت الطّبعة الأولى منه في بيشاور (١٩٩٠م)، بالإضافة لقناعتي بالهدف الثّاني ومساهمتي فيه وأسأل الله القبول، ثمّ أثرت فيَّ أفغانستان، وغيرها من التَّجَارب بعد ذلك إلى الإتجاه الأممي الجهاديّ العَالَمِيّ فيما بعد، وإلا فإني قدمت أفغانستان أولاًمثل غيري لذلك السبب الخاص ببلادي ومصيبتها الذاتية.

فهل حقق التجمع الجهاديّ العربيّ أهدافه هناك، وسط تضارب زحمة أولئك المجتمعين عَلى هزيمة الدب الرُّوسي العنيد؟؟

أعتقد أن قسطا كبيرا من تلك الأهداف قد تحقق، وليس هنا محل سرد التفاصيل الّتي لعلي أسجلها إن يسر الله لي الكتابة في تاريخ ودروس تجاربنا خلال الشوطين الجهاديّين للأفغان العَرَب في أفغانستان (١٩٨٤-١٩٩٢/ ١٩٩٦-٢٠٠١).

وأكتفي هنا بالقوال بأن المكسب الأكبر للتيار الجهاديّ من تلك التَّجربة، هو عولمة التّيار الجهاديّ فكرياً وحركيا، وتبادل الفكر والخبرات، والتعارف بين كوادره من البلاد المختلفة، ثمّ انتشار ذلك في مختلف أقطار الدُّنيَا، لقد كانَ هذا أكبر المكاسب.

بالإضافة لتحقيق أكبر نصر عسكريّ للمسلمين في تاريخهم الحديث، وإثبات قدرة الإِسْلَام والمُسلِمين عَلى هزيمة القوى العظمى، رغم تفاوت الإمكانيَّات، وزرع هذه القناعة في أمة أوشكت تقتنع بقدر الهزيمة.

والمكاسب كثيرة، بالإضافة للمكاسب الشَّخصيَّة الّتي حققها من تقبل الله منه بعد أن شرفه بالحضور والمشاركة ممن قضى نحبه وممن ينتظر.

وأما الخسارة الأساسيّة في نظري، فهي في أن الظّروف من جهة، والجمع غير المتجانس من جهة أُخرى، وكذلك عدم تحلي القيادات الّتي أدارت ذلك الجمع الجهاديّ بالقدرة عَلى توليد تجمع أو تيار جهاديّ عالمي منظم، يفرض حضوره ومساهمته في قضايا الأُمّة وساحة الصّحوة الإِسْلَاميّة، وقد توفرت بحسب ما أظن ظروف دولية، وكم من الشَّبَاب والكوادر والرموز والدعاة وقدماء المُجَاهدين من بلاد متعددة، ومن توفر الأموال وغير ذلك من المعطيات، ما كانَ يمكِّن من ذلك، في فرصة نادرة الحدوث، ولكن قدر الله وما شاء فعل ولست هنا بصدد تناول أسباب ذلك.

وأما عَلى صعيد من ينسب الإعلام إليهم تهمة علاقتهم بـ (CIA) وأنها أنشأتهم من أجل تدمير الإتحاد السُّوفيتيّ، فكلام بَاطِل أيضا، وعلى سبيل المثال فمن أشهر من تناولهم هذه التهمة.

الشَّيْخ عبدالله عزام رحمه الله:

وقد عرفته وكثيرا ما ترددت إليه، وقد عملت فترة قصيرة معه، وكان جل عملي أيّامها مع الشَّيْخ أُسَامَة حفظه الله، فكان هدف الشَّيْخ عبدالله موجزا، وكثيرا ما تحدث عنه بنفسه وسجله في أشرطته ومحاضراته وهو:

١. إقامة الدّولة الإِسْلَاميّة في أفغانستان.

والانطلاق جغرافيا منها في عمليَّة تحرير إلى ما شاء الله من البلاد وإلى فِلَسطِين والقُدس بشكل أساسي، وكان يحدث عن فتح موسكو وبكين وبيت المَقْدِس من أفغانستان، وكانت هذه آماله ولسان حاله رحمه الله، كما قَالَ الشاعر:

على قـدر أهل عزم تأتي العزائمُ   وتأتي عَلَى قـدر الكرام المكارمُ
وتعظم في عين الصغير صغارها   وتصغر في عين العظيم العـظائمُ
ذو العـقل يـشقي فـي النعيـم بعـقله   وأخو الجهالة بالشقاوة ينعـمُ

ولمن ينكر مثل هذه الآمال من الأقزام اليَوْم، ولاسيما ممن ينسبون أنفسهم للصحوة الإِسْلَاميّة، لم ينس المتبني- لله دره- قائل هذه الأبيات، أن يضيف:

ومـن البلية نصح من لا يرعوي   عـن غـيه وخـطاب من لا يـفهـمُ

٢. (عسكرة شباب المُسلِمِين):

وكان هذا الهدف الثّاني للشيخ عبدالله، رَحِمَهُ اللهُ وأكرم نزله وهو باختصار، **نشر التّدريب العملي تدريبا ومساهمة في القِتَال**، ونسأل الله أنه يجعل له مثل جميع أجور الأفغان العَرَب لا ينقص من أجورهم شيئا إن شاء الله، لأن الشَّيْخ كانَ هو المؤسس والمربي، والمظلوم الّذي لم تعرف الأُمّة حقه ولاحق تراثه إلى اليَوْم، ببركات المنتفعين من قيادات الصّحوة الإِسْلَاميّة، وجهود أعداء الإِسْلَام ممن يعرفون قيمة أمثاله ويعملون عَلَى دفن آثاره رَحِمَهُ اللهُ.

فقد كانَ يقول: (**أريد أن يأتي من كلّ بلد عربي ولو أربعين مُجَاهدا فيستشهد نصفهم ويعود نصفهم إلى بلاده ليحمل دعوة الجِهَاد..**) ولقد حصل له رَحِمَهُ اللهُ أكثر مما أشتهى.

فقد حضر إلى أفغانستان أكثر من (٤٠) ألف شاب عربي ومسلم غير أفغاني، وتدرب عسكريّاً أكثر من نصفهم، وشارك في القِتَال أكثر من نصف الّذي تدربوا، ولم يتجاوز عدد الشّهداء ما يزيد عن نسبة زكاة المال ٢، ٥٪، فقد كانوا (خلال ثماني سَنَوات) زهاء ألف شهيد رحمهم الله تَعَالَى.

وكان لهذا الجمع دور تاريخي سآتي عَلَى ذكر بعض جوانبه بعد الانتهاء من الردّ عَلَى هذه الفرية العجيبة، وهي: **دعوى صناعة (CIA) وأمريكا للتجمع الجهاديّ العربيّ في أفغانستان ثمّ إنقلاب الجمع عليها.**

والناظر في أشرطة وكتب وخطب وتراث الشَّيْخ الشّهِيد عبدالله عزام- أبو محمّد- رحمه الله، يرى المساحة الهائلة الّتي زرعها في قلوب أتباعه وقرائه من الكراهية والحقد المقدّس عَلى أمريكا وأعوانها، وعلى المرتدّين وأزلامهم، كيف لا؛ وهو من ضحاياهم في فِلَسطِين والأردن ثمّ باكستان حيث قتلوه بأوامر أمريكية في عهد (بنزير بوتو) ووزير داخليتها (بابر)، **الّذين تبقى مهمة الاقتصاص منهم أمانة في أعناق أجيال المُجَاهدين**، قتل الله المجرمين وتقبله في الشّهداء،

وأما أنه أفتى في كتابه القيم (الدّفاع عن أراضي المُسلِمِين أهمّ فروض الأعيان) بجواز أخذ المساعدات من الأمريكان لجِهَاد الرُّوس المعتدين أو العكس، فهو صحيح، وهي حال الضَّرورة الّتي تلجئ إليها المُسلِمِين، إذا دهمهم صائل وأشفوا عَلى الهلكة، وهذا أمر معروف، يقدره الفقهاء بشروطه، وقد أفتى الشَّيْخ للأفغان أن يأخذوا المساعدات من أمريكا ومن المرتدّين من حُكَّام العَرَب ومن سواهم، **وأما الجمع الجهاديّ العربيّ فقد كانَ جمعا معطيا لا آخذا، فقد انهالت عليه التبرعات بمئات الملايين من الدّولارات من زكاة أموال المُسلِمِين وتبرعاتهم، فأخذ الجمع حاجته من مصاريف الجِهَاد والإِعداد وكفالات أسر المُجَاهدين والشّهداء العَرَب وأنفق أكثر المال عَلى الجِهَاد الأفغاني ذاته**، كما أوصل المُجَاهدون العَرَب بأمانه ما جاء وقفا عَلى الجِهَاد الأفغاني ذاته لأصحابه من المُجَاهدين والمُهَاجِرين من أيتام وأرامل ومحتاجين، هذا عن دور الشَّيْخ عبدالله عزام.

أما الشَّيْخ أُسَامَة بن لادن حفظه الله:

فقد أخذ حظا أكبر من هذه التهمة وذهب الإعلام مذاهب شتّى في تهمته، فقد تناولته كتب وأبحاث كثيرة لكتاب صليبين عرب وأجانب بهذه الفرية وذهبوا بعيدا، إلى الحديث عن علاقة وثيقة لأسرة بن لادن، وعن تجارة بترولية بين الرَّئيس بوش الأب وأحد أخوة الشَّيْخ أُسَامَة، وعن عمل بن لادن مع المخابرات السّعُودِيّة في بيشاور في ترتيب الجِهَاد العربيّ في أفغانستان، والحقيقة أن المخابرات السّعُودِيّة كانت تشرف عَلى مساهمات السّعُودِيّين، وتداخلت عناصرها من خلال الإِسْلَاميّين السّعُودِيّين، نتيجة حجم المساعدات الواردة من السّعُودِيّة، وكان التّعاون مع الجهات الرَّسميَّة السّعُودِيّة قائما فعلا، وتتحدث التهم والخيالات الإعلاميَّة عن ربط المخابرات السّعُودِيّة لابن لادن

بالمخابرات الأمريكيّة، بل ذهب البعض إلى أبعد من ذلك، ليجعلوه عميلا موظفا رسميا في (**CIA**)! وأنه أنقلب عليهم بعد ذلك عندما غزوا السّعُودِيّة واستقروا فيها بعد ما سمي (حرب تحرير الكويت) وأنه فعل ذلك استجابة للشعور الدّيني والوطني! وذهب البعض أبعد من هٰذا، ليعتبروه مازال عاملا معهم، وأنه ضرب نيويورك لصالحهم! سواء شعر أم لم يشعر، وأن الإستخبارات الأمريكيّة أغفلت المعلومات المتوفرة لديها عن ذلك، ولم تمنع العمل كي تبرر أمريكا غزوها لبلاد العَرَب والمُسلِمين وتدمر أفغانستان وتحتل العراق!! واستشهدوا عَلى ذلك بأنهم لم يعثروا عليه حتَّى الآن عمدا!! إلى آخر ما يصل به الخيال والخرافات واللامعقولية المتعمدة وغير المتعمدة.

وحقيقة الأمر أبسط من ذلك ولا تحتاج كلّ هذه التعقيدات، ولئن قدر الله لي وتناولت في كتاب مستقل يتعلق بتلك الأحداث، وأرخت لتلك المَرحَلَة، لكتبت ما يشفي إن شاء الله من الحقائق الميدانية، عن أحداث عشتها بنفسي وعاصرت أصحابها وعملت معهم، أو بقربهم عبر مسار التّيار الجهاديّ وإلى الآن ولله الحمد.

وأما عَلى سبيل الإختصار فأقول:

كانَ الشَّيْخ أُسَامَة بن لادن- فرج الله كربته وحفظه - قد بدأ مشواره إلى أفغانستان بعيد احتلال الرُّوس لها مقدما للتبرعات المالية، وقرر- فيما بلغني عن الثقات ممن عاصروا تلك المَرحَلَة - الاستقرار والتفرغ للجِهَاد ميدانيّاً إلى جانب الأفغان مطلع سنة (١٩٨٦)، بعد تأسيس الشَّيْخ عبدالله عزام لمكتب الخدمات سنة (١٩٨٤)، فعمل معه مدّة، ثمّ بدا له أن يستقل فأنشأ تنظيم القَاعِدَة مطلع سنة (١٩٨٨) بعد ازدياد وفود المُجَاهدين العَرَب ولاسيما من السّعُودِيّة واليمن - وهي ميدان صلاته ومعرفته- إلى أفغانستان.

وكانت حركته من السّعُودِيّة علنية مشروعة، لم تتصادم مع توجهات الحكومة بل اتفقت مع توجهاتها الأمريكيّة الأصل في دعم الجِهَاد الأفغاني، وبقي الحال كذلك إلى سنة (١٩٩٠م) حيث شكلت حرب الكويت إشكالا شرعيا وعقديا لعموم تشكيلات المُجَاهدين الأفغان العَرَب، ومن

ضمنهم عناصر القَاعِدَة الّتي تولى التّدريب والتوجيه والتّربية الفكريّة فيها عناصر من التّيار الجهاديّ من مصر وسوريا وغيرها وأثروا في هويتها الفكريّة.

وقد شكل الشَّيْخ أُسَامَة القَاعِدَة لأهداف جهاديّة في أفغانستان وفي خارجها، وذلك لدعم قضايا الجِهَاد وتنظيماتها في أماكن عديدة، وكان له مشروعه الجهاديّ الخاص في اليمن الجنوبي ضدّ الحكومة الشُّيُوعِيّة السَّابقة، وتحولت آمال مشروعه لتصبح عَلى مستوى اليمن الموحد فيما بعد، فكان مثله مثل عموم التَّنظِيمات الجهاديّة ذات المشروع الخاص، ومن هنا اتخذ من المشاركة في الجِهَاد الأفغاني ميدانا للإعداد والتّدريب لعناصر مشروعه، مثله مثل باقي الأفغان العَرَب، كما عمل كغيره للهدف العام، وهو العمل عَلى إقامة دولة إسلاميّة في أفغانستان بعد تحريرها.

وقد عملت بنفسي بصورة متقطعة في مجال التّدريب العسكريّ في مُعَسْكَرَات القَاعِدَة، خلال الفترة مابين مطلع (١٩٨٨) و(١٩٩١)، كما عملت محاضرا أيضا في المجالات المنهجيّة والسّياسيّة الشَّرعيَّة ودروس حرب العِصَابات فيها وفي غيرها من التَّنظِيمات، والمُعَسْكَرَات، واحتككت بمعظم الجهاز المؤسس والكادر العامل في إطار الجِهَاد العربيّ الأفغاني، ولم يكن للقاعدة في حينها أي توجهات أُخرى خارج أفغانستان ميدانيّاً، ولم يكن للشيخ أُسَامَة مشروعا مباشر إلا اليمن، بالإضافة للدعم المادي لقضايا وجماعات جهاديّة في أماكن كثيرة، **وهذا في حدود إطلاعي الّذي أعتقد أنه كانَ قريباً جدا من حقيقة الواقع لقربي من الشَّيْخ آنذاك** فقد كنت أحد أعضاء الصف الأوّل فيها حول الشَّيْخ.

وفي سنة (١٩٩١) غادرتُ أفغانستان عائدا إلى مقر إقامتي في أسبانيا وانقطعت علاقتي عمليا بهم إلى سنة (١٩٩٦) حيث تلاقينا في ضيافة طالبان.

كما غادر الشَّيْخ أُسَامَة ومعظم إدارته ومن تبقى معه من الكوادر إلى السُّودَان، ولم يكن قد تبدى عليهم أي توجه آخر في العمل.

كانت ساحة الجِهَاد العربيّ في أفغانستان أيّام جِهَاد السوفييت متداخلة جدا، وكان دور السّعُودِيّة ومؤسساتها الإغاثية وأجهزتها الاستخباراتية والعسكريّة كبيرا، وكان كثير من مسؤوليهم عَلى علاقة عمل مباشرة مع إدارت العمل العربيّ، الّذي كانَ الشَّيْخ عبدالله عزام والشَّيْخ أُسَامَة في رأس إدارته،

وكانا والآخرون من القيادات يرون ذلك مفيدا لدعم الجِهَاد الأفغاني، الّذي لا يخفي في ثناياه سرا يخشى عليه من وجود أشخاص يقدمون الدّعم له من الإستخبارات السّعُودِيّة أو الباكستانية، وأما من كانَ لهم مشاريع جهاديّة خاصّة فكانوا عَلى النقيض في قناعتهم، فلم يكونوا عَلى تماس بهَؤُلَاءِ ولا نظروا إليهم بعين الارتياح وكنت من هذا الفريق، رغم قربي من الدّائرة الأولى حول الشَّيْخ أُسَامَة في حينها وإلى (١٩٩١).

وأما أن هناك أمريكان قد دربوا المُجَاهدين العَرَب من جماعة القَاعِدَة أو غيرها أو قدموا لهم أي دعم فمجرد كذبة تافهة، إذ لم يكن هذا ليكون مقبولا ولا عَلى سبيل المزاح، فالوسط الجهاديّ العربيّ الّذي تسيطر عليه أفكار الوَلَاء والبَرَاء والمدرسة السّلفيّة الجهاديّة كانَ متوترا تجاه بعض الشخصيات الحُكُوميّة السّعُودِيّة الّتي تأتي لتقديم الدّعم وربما دخلت بعض المضافات أو المُعَسْكَرَات العامّة المفتوحة (مثل الملحق العسكريّ في السفارة السّعُودِيّة- أبو مازن-) فكيف بمثل هذه الأفكار عن أجانب أو أمريكان.

لكن الّذي لم أر وسائل الإعلام أو الكتب الّتي تتعرض للشيخ المُجَاهد أُسَامَة بن لادن حفظه الله قد تعرضت له عَلى أهميته في تفسير ما جرى في تلك المَرحَلَة وما بعدها، فهو:

توقيت التغير الفكر والمنهجي لدى الشَّيْخ أُسَامَة، والّذي انعكس موقفا وتوجها عليه وعلى القَاعِدَة ضدّ أمريكا فيما بعد.

فقد كانَ هناك عاملين أساسين قد سببا ذلك وهما بتسلسل الأهمّيّة:

١. أن الشَّيْخ أُسَامَة قد بنى القَاعِدَة عَلى جهود كوادر من تنظيم الجِهَاد المصري أساسا، مع بعض الّذين ساهموا في التّدريب من كوادر التّيار الجهاديّ في مناطق أُخرى، ولم يكن معظمهم أعضاء في القَاعِدَة، وإنما عَلى سبيل التّعاون وتبادل المنافع، فقام هَؤُلَاءِ الجهاديّون - وكنت من بينهم لفترة - ببث أفكارهم الجهاديّة حول الوَلَاء والبَرَاء والحاكِمِيَّة، وغيرها من الأمور السّياسيّة الشَّرعيَّة، وفقه الواقع في تلك المُعَسْكَرَات حيث وصلت الأساليب لحد تدريب السّعُودِيّين عَلى الرماية عَلى صور الملك فهد وكبار الأمراء السّعُودِيّين!

فأثروا مع الوقت عبر كتبهم ومحاضراتهم وأساليبهم ومناقشاتهم في قاعدة القَاعِدَة الشَّبَابية، ثمّ انتقل التّأثير ذاته للشيخ أُسَامَة مع الوقت، والّذي كانَ قد حضر إلى أفغانستان وهو مثل عموم الشَّبَاب السّعُودِيّ الّذي جاء للجِهَاد آنذاك يحمل منهج وبصمات فكر الصّحوة الإِسْلَاميّة في السّعُودِيّة، وهي مزيج فكر الإخوان المُسلِمِين والسّروريّة ودعاة المدرسة الوهابية الرسميين، - وأكتب هذا لعلمي بسبب قربي منه تلك الفترة ومناقشاته في ذلك مرات عديدة –.

وكان هو وعموم المُجَاهدين السّعُودِيّين يعتبرون أن الحكومة السّعُودِيّة شرعيّة، وأن الملك فهد وآل سعود مسلمون وأولياء أمور شرعيون، عَلى فسقهم ومظالمهم، ويكنون احتراما شديدا للعلماء الرسمين في هيئة كبار العُلَماء، ويلتزمون بفتاويهم.

ولم يكن بيننا كجهاديّين وبين أولئك الأخوة ومنهم الشَّيْخ أُسَامَة ذاته من حملة هذا الفكر قواسم مشتركة آنذاك إلا عموميات الإِسْلَام المتفق عليها، والعمل عَلى نصرة الجِهَاد الأفغاني، ولكن التناقض المنهجي والاختلاف في الفكر الجهاديّ وفهم الواقع ومنطلقات السّياسة الشَّرعيَّة كانَ جليا بيننا كجهاديّين وبينهم، والّذي حصل مع الوقت، أن الشَّيْخ أُسَامَة– حفظه الله – تدرج في القناعة وهضم الفكر الجهاديّ، وتقبله ثمّ تبناه ثمّ صار أحد رموزه، وأظن أن مما ساعد عَلى ذلك، إضافة للتأثير والاحتكاك بينه وبين الجهاديّين، كانَ العامل الثّاني وهو.

٢. موقف السّعُودِيّة ومؤسساتها الحاكمة وعلماء ها الرسميين من تداعيات حرب الكويت ووجود القوّات الأمريكيّة في السّعُودِيّة.

فإن ما تبع ذلك من تحولات، كشفت له حجم الكارثة، وعظم دور الكفر الحاكم في جَزِيرَة العَرَب، وعمق نفاق المؤسسات الدّينيّة الرَّسميَّة، وفهم بحكم ألمعيته وإدراكه للواقع، وذكائه الحاد، أبعاد أهداف الوجود الأمريكيّ في المنطقة، ووفرت له فترة الإقامة في السُّودَان (١٩٩٢-١٩٩٦) مدّة كافية للتفكير، إنتقل خلالها من المعارضة الإعلاميَّة اللينة لحكومة آل سعود مع الاعتراف بشريعتهم (أنظر بياناته باسم هيئة النصيحة والإصلاح ١- ١٠)، إلى الدّعوة للإصلاح بشدة وجدية في توجيه الخطاب الحاد والقاسي للسلطة الحاكمة ومؤسستها الدّينيّة الرَّسميَّة المنافقة، (انظر البيانات ١١-١٧)

(وقد أوردت مقتطفات من هذه البيانات في الفَصل الرَّابع – عند فقرة: المؤسسة الدّينيّة السّعُودِيّة ودورها في دعم الحملات الصّليبيّة الثّالثة) وانظر كتاب (شهادة قادة الجِهَاد والإصلاح في بلاد الحرمين) للمؤلف.

ثمّ بدأ الأمريكان بالضغط عَلى السُّودَان لطرد الشَّيْخ أُسَامَة، بعد ما باتت مصالحهم تتعرض لبعض الهجمات من بعض الشَّبَاب السّعُودِيّ المُجَاهد الّذي هضم الفكر الجهاديّ في أفغانستان وتحول إلى مجال التطبيق، **ولم يكن لأولئك الشَّبَاب أي علاقة عمل تذكر بالشَّيْخ أُسَامَة ولا القَاعِدَة، من مثل الّذين فجروا مجمع سكن الأمريكان في العليا في الرِّيَاض، أو قاموا بعض الأعمال المحدودة**، وكان الأمريكان والحكومة السّعُودِيّة يعرفون ذلك، فلما طردت السُّودَان الشَّيْخ أُسَامَة وعاد إلى أفغانستان في عهد طالبان ١٩٩٦، كانَ حوله مجموعة من الّذين يحملون فكر المُوَاجَهة الأممية مع أمريكا، وحلفائها وكان الشَّيْخ أُسَامَة قد توصل بتفكيره الشخصي وتأثره بمنهج التّيار الجهاديّ، وفهمه للواقع إلى أن الطّريق إلى الجِهَاد ضدّ الأنظمة المرتدّة ومنها النّظام القائم في السّعُودِيّة يمر حتما بمُوَاجَهة أمريكا، وتوصل بتوفيق الله له إلى المعادلة السّياسيّة الصَّحِيحة:

(١) العُلَماء يضفون الشَّرعيَّة عَلى آل سعود.

(٢) وآل سعود يضفون الشَّرعيَّة عَلى وجود أمريكا في الجَزِيرَة.

وهناك إحدى طريقتين للموا جهة مع آل سعود وهذه الأوضاع.

١ – إما مُوَاجَهة آل سعود وبالتالي ضرورة مُوَاجَهة العُلَماء لكشف نفاقهم، لإسقاط شرعيّة آل سعود وهي معركة خاسرة أمام النّاس، لحجم وثقل المؤسسة الدّينيّة وما زرعته من الشَّرعيَّة والهيبة في عقول النّاس عبر أكثر من (٧٠) سنة.

٢ – وإما طريق أسلم، وهو ضرب الوجود الأمريكيّ، فيضطر آل سعود للدفاع عنه فتسقط شرعيتهم، في أعين المُسلِمِين في بلاد الحرمين، فتدافع المؤسسة الدّينيّة عنهم، فتسقط شرعيتها معهم، فتدور المَعْرَكة عَلى بينة أكثر وضوحا أمام النّاس.

وأختار الشَّيْخ أُسَامَة الخيار الثّاني، وأعتقد أنه كانَ مصيبا إلى حد كبير، يقدرهذا من يفهم الأوضاع في السّعُودِيّة ومكوّناتها الدّينيّة والاجتماعيَّة والسّياسيّة.

كما كانَ الشَّيْخ أُسَامَة قد اقتنع بعد درس سقوط الاتحاد السُّوفيتيّ، ورأى كيف سقطت كلّ الحُكُومَات الديكتاتورية في دول حلف وارسو بسقوطه، مثل ما حصل في ألمانيا الشرقية ورومانيا وبولندا وسواها، واقتنع أنه بسقوط أمريكا ستسقط كافّة مكوّنات النّظام العربيّ القائم، وسواها من القائمة في بلاد العالم الإِسْلَاميّ.

فاقتنع لهذه الأسباب بتركيز الجهد عَلى جِهَاد أمريكا، وبدأ يدعو من يحضره لفكرة الحَرب مع رأس الأفعى كما دعاها وليس مع ذيولها الكثيرة.

وقد حضرت إليه في أفغانستان بعيد وصوله إليها بنحو أربعة أو خمسة أشهر، لإجراء مقابلة تكمل فيلما وثائقيا عن المعارضة السّعُودِيّة أواخر عام ١٩٩٦ بثته الـ (**BBC**)، وكذلك بعد عدّة أشهر، في مايو ١٩٩٧، لإجراء مقابلة تلفزيونية بثتها الـ (**CNN**)، (حيث كنت قد أنشأت في لندن مركزا للإعلام والدراسات متخصص في صراعات العالم الإِسْلَاميّ).

وعلى هامِش ذلك العمل، جلست معه عدّة مرات، وكانت هذه قناعته باختصار.

ولما عدت للإقامة في أفغانستان نهَائِيًّا في عهد طالبان بعد ذلك بسنة ونيف، سنحت لي فرص عديدة عَلى مدى السَنَوات الأربعة الّتي أقمناها في ظل الإمارة، لزيارات أخوية قمت بها إليه، ولعدد من أصدقائي الآخرين العاملين معه، وكان ما ذكرت هو فحوى دعوته لكل من يزوره من العَرَب والعجم من قيادات الصّحوة وشبابها.

وأعتقد أن الفكرة الّتي اختارها، في جِهَاد الأمريكان كمفتاح لحل جميع المشاكل في الجَزِيرَة العربيَّة والمنطقة بأسرها، كانت صحيحة، **بصرف النَّظر عن رأيي في تفاصيل طريقته في عمله، وأداء تنظيمه من أجل تحقيق تلك الأهداف آنذاك.**

ثمّ بدأ الشَّيْخ أُسَامَة حفظه الله يتوغل في تلك القناعة، ويجمع المبررات لهذه المَعْرَكة ويختار لها التكتيكات اللازمة بحسب وجهات نظره.

فزعمُ من افترى عليه أنه عمل مع الأمريكان أثناء جِهَاد الرُّوس، ثمّ انقلب عليهم، هو زعم بَاطِل، مبني عَلى التجني والحقد أو الجهل، بسبب دعاوى وسائل الإعلام المعادية،

والقصة باختصار أنه قد جمعه وجميع المُسلِمِين آنذاك، قاسم مشترك مع الأمريكان في ضرب الرُّوس لعدوانهم عَلى أفغانستان، فلما انتهت المَعْرَكة، تنبه الجميع إلى أن العدوّ المقبل هو القوّة الوحيدة الّتي انفردت بإدارة العالم، وإنشاء النّظام العَالَمِيّ الجَدِيد، وغزت بلاد الحرمين، وراحت تجهز الحملات الصّليبيّة عَلى الشّرق الأوسط.

فأكمل ابن لادن الواجب وأعلن الجِهَاد بدوره عَلى القوّة الّتي جاءت للعدوان بدورها، وكذلك فعل معظم من أراد الجِهَاد معه، أو مستقلين عنه كما كانَ حالي وحال أمثالي.

وحتى تكون الصُّورة واضحة ؛ **فمثلا لو ساعدنا الفرنسيون أو غيرهم من الأوربيين، أو الرُّوس، أو الصين، ساعدونا اليَوْم في جِهَادنا لأمريكا، كما أظن أنهم ربما سيفعلون يوما ما، لصار بيننا قاسم مشترك، ولو انتصرنا عَلى أمريكا، وقاموا بدورهم يغزون بلادنا كما أظن أنهم سيفعلون لو فعلوا ما قبلها، سننقل الجِهَاد ضدهم، ولو وجدناهم انتقلوا للموادعة والتّعاون عَلى المفيد ولحسن الجوار، سيجدون أن في ديننا سعة لأن نفعل مثل ذلك معهم، كما أظن أنهم لا يفعلون إلا في إطار التكتيكات المرحلية.**

ورغم أَنّي أحس أَنّي أسهبت وأطلت في دحض هاتين الشبهتين، ولكن ذلك لأني وجدت وسائل الإعلام تنشر هذه الافتراءات عامدة أم جاهلة بشكل بالغ الأذى للمُجَاهدين والمُسلِمِين، وأظن في عرضي هذا كشهادة حية، فائدة لمن يتوخى الحقيقة ليستفيد منها.

وكما أنهيت فقرة الشَّيْخ عبدالله عزام رحمه الله بأبيات جميلة للمتبني، فأرى أن أنهي أيضا بما يناسب مقام الشَّيْخ أُسَامَة في التوجه اليَوْم لحرب أمريكا بأبيات جميلة أُخرى لنفس سلطان الشعراء، فإني أرى في اختيار الشَّيْخ أُسَامَة للمعركة مع رأس الكفر والطّغيان أمريكا صورة لما قَالَ المتنبي، وهو قوله:

إذا غامرت في شرف مرومِ فلا تقنع بما دون النجومِ
فطعم الموت في أمر حقير كطعم الموت في أمر عظيمِ
يرى الجبناء أن العجز عقل وتـلك خديعة الطبع اللئيمِ
وكم من عائبٍ قولا صحيحا وآفـتـه مـن الفهـم السـقيـمِ
وكل مزية في المرء ترجى وما مثل الشجاعة في الحكيمِ

فرحم الله الشَّيْخ عبدالله عزام في من قضى نحبه، وحفظ الله الشَّيْخ أُسَامَة، وجعلنا وإياه ممن ينتظر وما بدلوا تبديلا، وغفر لهما ولنا ولجميع المُسلِمِين.

وأعود بعد هذا الاستطراد المفيد إن شاء الله لموضوع الفقرة وهو:

- **أثر الجِهَاد الأفغاني (١٩٨٤-١٩٩٢) عَلى التّيار الجهاديّ المعاصر منهجيا وحركيا:**

- تحولت (بيشاور)، المدينة الحدودية الدافئة شتاء الملتهبة صيفا، الّتي كانَ السُّلطَان محمود الغزنوي رَحِمَهُ اللهُ، قد اتخذها عاصمته الشتوية، في غزواته المجيدة في فتوح الهند في القرن الرَّابع الهجريّ، تحولت إلى جامعة حقيقية لكافة مدارس وتيارات وتنظيمات وجماعات الصّحوة العربيَّة والإِسْلَاميّة تقريبا، وخلال سَنَوات ازدهار ذلك الجمع مابين (١٩٨٦) و(١٩٩٢)، أصبحت ميدانا لتلاقي كلّ الأفكار والمناهج والطروحات الّتي كنت تسود الصّحوة الإِسْلَاميّة من دعوية، وإصلاحية، وسياسيّة، وجهاديّة، وحتى من الكتل الشاذة فكرياً، وازدحمت فيها مئات المؤسسات الخيرية الإنسانية العربيَّة والإِسْلَاميّة والأجنبيّة الّتي قدمت لأغراض شتّى، تحت ستار تقديم الخدمات لأكثر من (٣) مليون لاجئ أفغاني تدفقوا إلى باكستان، الّتي ربما قطن أكثر من مليونيين منهم في بيشاور وما حولها، وقد زار بيشاور خلال تلك الفترة، مئات الشخصيات الإِسْلَاميّة، من علماء، وشيوخ، وكتاب، وشعراء، ورموز، وقادة حركات، لتقديم جهد ما، أو للإطلاع، أو للدعاية، أو للرياء والسمعة، أو للتكسب، أو لأي نية أُخرى صالحة أو طالحة.

- ومن بيشاور كانت تتدفق المساعدات المالية والعينة والعسكريّة وسوى ذلك عَلى الحدود الأفغانية لتجد طريقها الصّالح أو الطالح إلى حيث قصدت ألم تقصد.

والجِهَاد الأفغاني ودور العَرَب فيه مسألة جديرة بالتّاريخ والتحليل والاستفادة، وهو أمر يحتاج كتبا مستقلة، ولكني هنا بصدد أثر ذلك الجمع عَلى التّيار الجهاديّ العربيّ المعاصر.

كانَ آحاد ربما لا يصل عددهم إلى عشرة قد توجهوا إلى باكستان بغية دعم المُجَاهدين الأفغان بعيد الغزو الرُّوسي المعلن خلال عام (١٩٧٩-١٩٨٢)، ودخل ثلاثة أو أربعة منهم أفغانستان فعليا للمشاركة في الجِهَاد، كما وصلها بعض آحاد المحسنين من المُسلِمِين لتقديم بعض العون المادي للمُجَاهدين الأفغان خلال تلك الفترة.

* ولكن التّاريخ للجِهَاد العربيّ في أفغانستان يبدأ عمليا، منذُ (١٩٨٤) عندما تفرغ الشَّيْخ عبدالله عزام كليا للجِهَاد الأفغاني ميدانيّاً، بعد أن عمل مدّة مدرسا في كلية الشّريعة في الجامعة الإِسْلَاميّة في أسلام أباد وكان- فيما بلغني – عن بعض شهود تلك المَرحَلَة، قد رحل عن الأردن نتيجة مضايقات السُّلطات في عمان.

عمل الشَّيْخ عبدالله عزام عَلى عدّة محاور لنصرة الجِهَاد الأفغاني كانَ من أهمّها.

١. تأسيس (مكتب الخدمات) الّذي تولى تقديم ونقل المعونات والتبرعات للمُجَاهدين والمُهَاجِرين الأفغان

٢. تأسيس مجلة الجِهَاد الّتي كانت منبره الرَّئيسي للدعاية للجِهَاد الأفغاني.

٣. تأسيس مُعَسْكَر صدى قرب الحدود الأفغانية، داخل الأراضي الباكستانية في منطقة القبائل من أجل تدريب الشَّبَاب العربيّ الّذي بدأت طلائعه تصل بأعداد قليلة منذُ (١٩٨٤).

٤. القيام بأسفار ورحلات دعائية ألقى خلالها عشرات الخطب في دول عديدة من أجل الحشد للجِهَاد الأفغاني، وحث الشَّبَاب عَلى الرحيل إليه والاستفادة منه وأداء فريضة الجِهَاد، وكان باكورة كتبه (آيات الرَّحمٰن في جِهَاد الأفغان) الّذي لاقى شهرة واسعة، وجدلا واسعا كذلك، ثمّ كتاب (الدّفاع عن أراضي المُسلِمِين أهمّ فروض الأعيان)، وقد أفتى فيه بالفرض العين عَلى جميع المُسلِمِين من غير

ذوي الأعذار للذهاب للجِهَاد في أفغانستان، واستطاع الحصول عَلى أكثر من (٨٠) توقيعا من كبار العُلَماء والدعاة في العالم الإِسْلَاميّ وعلى رأسهم كبار العُلَماء في السّعُودِيّة وكبيرهم الشَّيْخ ابن باز، وكذلك من بعض مَشَايخ الأزهر، وبعض الكبار من علماء ودعاة الإخوان المُسلِمِين من أقطار عديدة، وكذلك من بعض علماء الباكستان وسواهم، وقد لعب هذا الكتاب وتلك الفتوى دورا مهما، بالإضافة لمجلة الجِهَاد الّتي سرعان ما تحسن مستواها، وصارت مجلة مصورة تنقل الصُّور الحية للجِهَاد والمعاناة في أفغانستان، فصار لها مكاتب توزيع في أوربّا وأمريكا وبعض بلدان العالم العربيّ، لعب كلّ ذلك دورا بارزا في عمليَّة التّحريض.

وقد سمعت في بعض أشرطة الشَّيْخ عبدالله عزام، أن عدد الشَّبَاب الذن ثبتوا معه في (مُعَسْكَر صدى)، سنة (٨٤) وصل إلى (١٢) مُجَاهدا وتضاعف فقط خلال (١٩٨٥) فوصل إلى (٢٥) مُجَاهدا ثمّ بلغ مع منتصف (١٩٨٦) أقل من (٢٠٠) مُجَاهد بقليل، من مختلف الجنسيات ربما كانَ معظمهم من السّعُودِيّة ومصر وفلسطين.

- وفي نهاية (١٩٨٥) أو مطلع (١٩٨٦) حضر الشَّيْخ أُسَامَة بن لادن - فيما بلغني- ليشارك ميدانيّاً بنفسه في الجِهَاد بعد أن كانت زياراته السَّابقة لتقديم الدّعم المادي.

وبالتّعاون مع بعض الكوادر من تنظيم الجِهَاد المصري من أوائل من قدم لأفغانستان، افتتح الشَّيْخ أُسَامَة مركزا عسكريّاً متقدما عَلى أحد المعابر الهامة لإمداد المُجَاهدين في منطقة (جاجي) الجبلية الوعرة الّتي تنتشر فيها الغابات، وقدر الله أن يقوم الرُّوس بهجوم كبير لإغلاق ذلك المعبر في رمضان (١٩٨٦)، وشارك مجموع الشَّبَاب الّذين كانوا مع الشَّيْخ أُسَامَة والشَّيْخ عبدالله عزام في تلك المَعْرَكة الشرسة الّتي استغرقت زهاء شهر، وحقق المُجَاهدون الأفغان نصرا كاسحا عَلى القوَّات الرُّوسية، بما فيها طلائع الكوماندوس الّتي أنزلت في المنطقة، ولعب أولئك الرهط القليل من المُجَاهدين العَرَب، دورا بارزا في تلك المَعْرَكة وأدت عمليَّة الدعاية الواسعة الّتي غطى بها الشَّيْخ عبدالله عزام عبر وسائله الإعلاميَّة، وكذلك الجولة الدعائية الهامة الّتي قام بها الشَّيْخ أُسَامَة في السّعُودِيّة، أدت إلى تقاطر المُجَاهدين العَرَب بأعداد كبير ليصل عددهم مطلع (١٩٨٧) إلى عدّة آلاف كانَ أكثرهم من السّعُودِيّة

واليمن، ومن هناك كانت البداية عمليا، حيث تزايد العدد ليصل ذروته أواخر(١٩٨٩-١٩٩٠م) ويتجاوز(٤٠) ألفا من المُجَاهدين العَرَب والمُسلِمين من كافّة بلاد العالم الإِسْلَاميّ.

* كانت الحَرَكيّة الجهاديّة في مصر، وشطراها الرَّئيسيان (الجماعة الإِسْلَاميّة) و(جماعة الجِهَاد)، قد دخلت في صِرَاع إثر مقتل السادات (١٩٨١) مع حكومة خلفه حسني مبارك، وأضطر العديد من أبرز قياداتها والكثير من عناصرها للخروج من مصر تحت ضغط الحملات الأمنيّة لدول الجوار، ومع ازدهار أخبار الجِهَاد الأفغاني، بدأ العديد منهم يتوجه إلى بيشاور، كما كانت الثَّورة الجهاديّة الّتي نشبت في سوريا ما بين (١٩٧٥-١٩٨٢)، قد دمرت عمليا، وانساح من تبقى من عناصرها في أقطار الأرض، ويمم عدد محدود جدا منهم وجهه أيضا شطر أفغانستان، واستقروا في بيشاور وكنت وبعض خاصّة أصدقائي من هَؤُلَاءِ ولله الفضل والمنة، كما كانَ لعض الكوادر الجهاديّة من الفلسطينيين، من تلاميذ وأصدقاء الشَّيْخ عبدالله عزام قد لحقوا به أيضا، وبدأ آحاد من الكوادر الجهاديّة والعسكريّة من هنا وهناك يتوجهون إلى تلك السَّاحَة الجذابة الّتي سلطت عليها كلّ الأضواء والدعاية، وفي (١٩٨٦) اثر محاولة جهاديّة انتهت بقمعها من قبل الحُكُومَات الليبية، خرج أيضا بعض كوادر الجهاديّين إلى هناك، وكانت الحَرب الأهلية في لبنان قد وضعت أوزارها، وتلقت الحركات الإِسْلَاميّة السنية ضربات أمنيّة في شمال لبنان عَلى يد الإستخبارات السوريّة، فهاجر بعضهم أيضا إلى تلك السَّاحَة، كما حضر بعض الإخوة من الإِسْلَاميّين من أكراد العراق، وكانت هذه باكورة تجمع كوادر من التّيار الجهاديّ العربيّ ليكون النواة الأولى للجهاديّين داخل وسط التجمع العربيّ المُجَاهد في أفغانستان، والّذي كانَ يتضخم بتسارع كبير.

* كانَ الحضور الفكريّ والمنهجي لتنظيم الجِهَاد المصري، بارزا ونوعيا في السَّاحَة العربيَّة وكذلك كانَ حضور الجماعة الإِسْلَاميّة بمصر، وبصرف النَّظر عن الفوارق المعروفة في منهج الجماعتين، إلا أنهما لعبتا - ولاسيما في القاسم المشترك من أفكارهما الجهاديّة- دورا مؤثرا، كما كانَ لحضور بعض طلاب العلم وبعض الدعاة السلفيين، وبعض (السروريين) من السّعُودِيّة وغيرها دورا في ترويج فكر الحاكِمِيَّة والوَلَاء والبَرَاء وعموميات الفكر الجهاديّ في الأوساط العربيَّة، وحتى الأعجمية الّتي أمت

الجِهَاد الأفغاني، كما أدى حضور بعض تراث التَّجربة الجهاديّة في سوريا في السَّاحَة- ومنها كتابي عن تاريخ تجربتنا ودروسها – ولله الحمد، دورا فكرياً ساهم في المُوَاجَهة الفكريّة للتيار الجهاديّ، الّتي بدأت تترك بصماتها عَلى الجمع العربيّ، ولما كانَ حضور مدارس الصّحوة الإِسْلَاميّة الأخرى قويا أيضا في السَّاحَة، عبر سيطرتها عَلى المؤسسات الطبية والتّعليميّة وعملها في المجالات الإغاثية الأخرى، ولاسيما من السلفيين التقليديين، والإخوان المُسلِمِين والمنظمات الشبيهة بهم، وكذلك التبليغ وغيرهم، بالإضافة للحضور الكبير للمؤسسات الإِسْلَاميّة السّعُودِيّة الحُكُوميّة وشبه الحُكُوميّة، وما حملته معها من بصمات.

المؤسسة الدّينيّة الرَّسميَّة، وقد أحضر كلّ هَؤُلَاءِ كتبهم ومنشوراتهم، ومجلاتهم ومحاضراتهم، وتراثهم الفكريّ والدعوي، ونظرا لأن نهاية السبعينات ومطلع الثمانينات كانت فترة تألق وتفاعل بيت مدارس الصّحوة الإِسْلَاميّة، فقد صارت بيشاور ومضافاتها ومُعَسْكَرَات التّدريب في باكستان وأفغانستان وتجمعاتها مراكز للتواصل والحوار والتماس الفكريّ والصدام في كثير من الأحيان بين مختلف تلك الطروحات، وهكذا وجد التّيار الجهاديّ، ومن يمثله في ساحة الجِهَاد العربيّ في بيشاور ومُعَسْكَرَات أفغانستان أنفسهم يصطدمون مع جبهتين رئيسيتين:

- جبهة الإخوان المُسلِمِين والفكر الديمقراطي السّياسيّ الّذي كانَ أصحابه يروجون له عبر أبحاث ودراسات ومحاضرات كانوا يدعون إليها وحتى في بعض المُعَسْكَرَات الّتي يستطيعون الحركة فيها.
- جبهة مدرسة الفقه السّعُودِيّ الرسمي، الّذي كانَ يدعو لنبذ فكر الحاكِمِيَّة، وإلى اعتبار الحكَّام أولياء أمور شرعيين، ويدعوا إلى احترام العُلَماء الرسميين ولاسيما في السّعُودِيّة ودول الجَزِيرَة وهو ما يسمى بالمدرسة (الجامية) ثمّ (المدخلية)،

وشيئا فشيئا، وباعتبار جهاديّة الأجواء من جهة، وما يحويه الفكر الجهاديّ من تألق واتساع، ولنصاعة الحقّ وشيوع منهج إتباع الدليل، بدأ الفكر الجهاديّ يسيطر عَلى ساحة التجمع العربيّ، وبدأ يكتسب أكثرية السَّاحَة، حيث اقتنع آلاف الشَّبَاب القادمين من معظم بلاد العالم الإِسْلَاميّ بالفكر الجهاديّ،

وبدأت تتبلور وتتكامل مدرسة جهاديّة جديدة في التّيار الجهاديّ، أطلق عَلى مجموع مكوّناتها فيما بعد ما عرف بـظاهرة (الأفغان العَرَب).

*كانَ تمازج الفقه والعَقِيْدَة السّلفيّة مع الفكر الحَركيّ الإخواني القطبي - الّذي أشرت إليه آنفا- قد بدأ يختمر في مصر خلال السَّبعينيَّات ومطلع الثَّمانينيَّات، ولعب كتاب (الفريضة الغائبة) الّذي كتبه الشّهيد (عبد السَّلام فرج)، من الجماعة الإِسْلَاميّة، والّذي شارك في اغتيال السادات، وأعدم بعد ذلك - رحمه الله وجزاه وإخوانه عن المُسلِمين خيراً- لعب ذلك الكتيب دورا هاما في إعطاء رغم بساطة محتواه وأسلوبه وصغر حجمه، إلا أن المهم الجَدِيد الّذي أضافه للفكر الجهاديّ، كانَ طرح فتاوى ابن تَيمِيّة في حُكَّام التّتار الّذين حكموا بلاد الإِسْلَام ومنها الشّام لما غزوها وزعموا أنهم مُسلِمِين، رغم أنهم بدلوا الشرائع وحكموا بغير ما أنزل الله، كما طرح مسألة المقارنة بين حُكَّام المُسلِمين وأعوانهم وجنودهم اليَوْم ؛ وبين أولئك التّتار وفتاوى العُلَماء في كفرهم ووجوب قتالهم مع من قاتل معهم عَلى من فيهم من الجاهلين والمكرهين، وإسقاط تلك الأحكام عَلى واقع الحُكُومَات العربيَّة وفي بلاد المُسلِمِين، وعلى جنود شرطتهم واستخباراتهم ورجال أمنهم، وقد صلت هذه المقارنات إشكالات كبيرة وإجابات عَلى أسئلة ملحه طرحها جِهَاد الحكومة وأعوانهم.

وكان لجماعة الجِهَاد مؤلفات أُخرى تحمل نفس أسس ذلك الفكر، وطبعت تلك الكتب ووزعت في بيشاور، وكان الصدام الفكريّ بين، الفكر الإِسْلَاميّ الديمقراطي الّذي تبناه الإخوان وأشباههم، وبين الفكر السلفي – قبل أن تنتقل إليه العدوى الدِّيمقراطيَّة – عَلى أشده أيضا في ساحة الصّحوة عامة، وانتقل كذلك إلى أهمّ ساحاتها آنذاك، في ذلك التجمع.

وأصدرت جماعة الجِهَاد المصريَّة عددا من الأبحاث الهامة، وتوجت ذلك بالكتاب القيم ؛ (العمدة في إعداد العدة) لشيخها عبد القادر بن عبد العزيز فك الله أسره، وربما كانَ هذا الكتاب من أهمّ كتب (الأفغان العَرَب)، وقد سد ثغرة تربَويّة كبيرة في المُعَسْكَرَات العربيَّة في حينها، وبقي واحدا من أهمّ كتب التّيار الجهاديّ، وفي سياق نشاط الجهاديّين في التّأليف والنشر، طبعت في بيشاور سنة ١٩٩٠م كتابي (الثّورة الإِسْلَاميّة الجهاديّة في سوريا–آلام وآمال)، الّذي فرغت من تأليفه سنة ١٩٨٧، والّذي

نقل لأوسط الأفغان العَرَب خُلاصة تاريخ ودروس أطول وأهم التَّجَارب الجهاديّة المعاصرة ضدّ حُكُومَات الرِّدَّة.

وافتتح الشَّيْخ أبو حذيفة المصري، أحد كوادر جماعة الجِهَاد - فرج الله كربته- مركز النور للإعلام في بيشاور، حيث تولى عدد من الخطباء والمحاضرين من الجهاديّين تنظيم سلسلة من الدُّروس والمحاضرات وخطب الجمعة.

وبدأت بعض التَّجَمُّعات الجهاديّة الناشئة تدخل عَلى خط العطاء، وعقدت الكثير من الدَّورات الفكريّة والمنهجيّة والتربَويّة، واستقطبت قدماء كوادر التّيار الجهاديّ للتدريس والمحاضرة، وعقدت الكثير من الدَّورات الفكريّة والمنهجيّة والتربَويّة واستقطبت قدماء كوادر التّيار الجهاديّ للتدريس والمحاضرة، ثمّ استقلت بكوادرها وبدأت تتبلور وتنتج.

وبدا جليا مع هذا المخاض الفكريّ، والتصادم والإحتكاك بين مختلف التّيارات الفكريّة المكونة لطيف الصّحوة الإِسْلَاميّة، أن الفكر الجهاديّ الحَركيّ ممزوجا بالمؤثرات السّلفيّة الجَدِيدة الّتي أسلفت الحديث عنها آنفا، قد بدأت تطغى عَلى السَّاحَة وتكتسح قواعد آلاف الشَّبَاب العربيّ من الّذين قدموا لساحة الجِهَاد الأفغاني رغم أن غالبيتهم لم ينضموا في عضوية عشرات التَّنظِيمات الجهاديّة القديمة والجَدِيدة، والَّتي صار لها في باكستان والمناطق الحدودية من أفغانستان مضافاتها ومعسكراتها، وتكونت لها هياكل وإدارات، وكوادر وأمراء حيث كانَ الكثيرون منهمكون عَلى هامش الجِهَاد الأفغاني، في مرحلة إعداد ونشاط دؤوب لحمل مشعل الجِهَاد والثَّورة للبلاد الّتي قدموا منها، وكان هذا من كرم الله الّذي لم يحسب حسابه أولئك الّذين خططوا لفتح أبواب التسهيلات لهذه الجموع من أجل خدمة أهدافهم الكبرى.

*** ولم تخل تلك المخاضات الفكريّة من ميلاد بعض الظواهر الشاذة، من بعض النتوءات التكفيرية والغالية، والَّتي نتجت عن التفاعلات الثّوريّة للفكر الجهاديّ وأجواء الحماس إلى جانب، تواجد المدارس السّياسيّة وطروحاتها الدِّيمقراطيَّة المفرطة في التميع خلال تلك السَّاحَة، في أجواء فرضت فيها ظروف النّظام العَالَميّ الجَدِيد عَلى ساحة العالم العربيّ والإِسْلَاميّ مسائل كبرى مثل التواجد**

الأمريكيّ العَلنيّ بعد السري في الخليج، ووباء التطبيع مع اليَهُوْد ومعاهدات السَّلام، والغزو الفكريّ والثقافي والسّياسيّ والاجتماعي لملامح النّظام العَالَمِيّ الجَدِيد، وما أوجدته هذه الطامات الكبرى من مواقع للدفاع عنها في أوسط علماء السّلاطين، وبعض قيادات الصّحوة ذاتها، وما سبب ذلك من ردود أفعال في أوساط البعض القليل من الشَّبَاب الّذين لم يكن ينقصهم الحماس ولا الجهل، ولكن بقي ذلك في أطر محدودة.

ولكن المهم أنه قد نضجت في ذلك الجو، تجربة القدماء من الجهاديّين، كما تشكلت نويات من التَّنظِيمات الجهاديّة الجَدِيدة، من بلاد لم يكن قد تبلور فيها مثل تلك التَّنظِيمات، مثل ليبيا والجَزَائِر وتونس والمغرب والأردن العراق ولبنان، وكذلك من بعض البلاد الإِسْلَاميّة مثل الفلبين وإندونيسيا وتركيا وغيرها.

وباختصار...

يمكن القول أن جيلا جهاديّا متميزا فكرياً ومنهجيا وحركيا قد ولد هناك، في أجواء الجِهَاد العربيّ في أفغانستان، أطلق عليهم الاسم المعبر الجميل : (الأفغان العَرَب)، ميزهم فوق ما تميزوا به من وضوح المنهج وصحة المعتقد، أنهم استمدوا همتهم للجِهَاد من إيمانهم بمعية الله، وقناعتهم بقدرتهم عَلَى إسقاط القوى العظمى.

فما عادوا يهابونها ولا يهابون بطبيعة الحال ما دون ذلك من القوى الذنبية الحاكمة في بلادنا، وكان هذا من أجمل ثمرات ذلك الانتصار التّاريخي الكبير.

وحقيقة يصح أن يقول من كتب الله لهم شرف ذلك الحضور ما قاله الشاعر العربيّ عن يوم ذي قار، يوم العز العربيّ بعد طول المذلة أمام القوى العظمى في ذلك الزّمان:

لو أن كلّ معد كانَ شاركنا في يوم ذي قار ما أخطاهم الشرفُ

فلنا أن نقول:

لو أن كلّ موحدْ كانَ شاركنا ... في يوم أفغانَ ما أخطاهم الشرفُ

فقد أسقطنا مع إخواننا الأفغان الإتحاد السُّوفيتيّ زعيم المُعَسْكَر الشرقي.

وأعتقد أن يسقط أتباعنا ومن امتد العمر به منا، مع من يشاء الله من عباده أمريكا زعيمة المُعَسْكَر الصّليبيّ الغربيّ الجَدِيد.

إن شاء الله تَعَالَى.. وهو فضل الله يؤتيه من يشاء.

خامسا: التّيار الجهاديّ ومرحلة الملاذات والشتات (١٩٩١ - ١٩٩٦):

فيما كانَ المُجَاهدون الأفغان يدقون أبواب كابل، وبدأت تتساقط المدن الرَّئيسيَّة في أيديهم، توجه المخطط الأمريكيّ الغربيّ نحو أفغانستان في منحيين اثنين تجاه تلك السَّاحَة، الأوّل أفغاني والثّاني عربي.

ففي الإتجاه الأفغاني كانَ برنامج الأمريكان وأعوانهم، وعلى رأسهم حكومة باكستان، الحيلولة دون قيام حكومة للمُجَاهدين تعلن دولة إسلاميّة وتحكم بالشّريعة وتنهض بإعمار أفغانستان، وكان البرنامج المقرر افتعال مرحلة من الحَرب الأهلية تستهلك المخزون الإستراتيجي من السّلاح ومئات آلاف الكوادر المقاتلة من قيادات وأعضاء المنظمات الجهاديّة في أفغانستان، وهذا ما نفذوه خلال (١٩٩٢ - ١٩٩٦).

وأما فيما يعيننا في هذا البحث، فقد كانَ جهدهم منصب عَلى تفكيك الجمع الجهاديّ العربيّ وتشتيته ومطاردة عناصره وكوادره، في بلادهم وفي أنحاء الأرض، وهكذا انتقل التّيار الجهاديّ إلى مرحلة جديدة استمرت من (١٩٩٢ - ١٩٩٦)، يمكن أن نسميها بـ(مرحلة الشتات والملاذات الآمنة المؤقتة).

فقد عاد أولئك الآلاف من المُجَاهدين إلى بلادهم في الغالب، وبدل أن يرحب بهم كأبطال ومُجَاهدين عملوا تجاه الهدف المشترك لأولئك الحلفاء، بدءا بأمريكا وانتهاء بأذيالها من الحُكُومَات الّتي سهلت ودعمت جِهَادهم، وجد أولئك الشَّبَاب أنفسهم غُرَباء في أوطانهم الّتي تفتح لهم أبواب المعتقلات وجلسات التحقيق والسّجون لمدد غير محدوة وتوجه لهم التهم، ولم يسلم من ذلك إلا بعض البلدان ممن لم يقابل أولئك المُجَاهدين بهذه الطَّريقة الشنيعة، وقد ولد هذا ردود أفعال شتّى، ونقل بعض شرائح الجهاديّين إلى ممارسات معاكسة، كذلك فقد أدت عودة تلك الشرائح الجهاديّة إلى بلادها من أجواء العزة والكرامة والجِهَاد وحمل السّلاح، لتصطدم في بلادها بعد أن رقت إلى تلك المعاني السامية، بواقع أقل ما يمكن يوصف به أن هو البعد عن شريعة الله، والمتاهة في أجواء من الخنوع والخيانة والمذلة، فقامت محاولات عديدة من أجل تكوين تنظيمات سرية دخلت في مراحل من الإِعداد

للمُوَاجَهة مع حُكُومَات بلادها عَلى أمل إسقاطها وإقامة حُكُومَات شرعيّة إسلاميّة، ولكن كافّة تلك المحاولات اصطدمت بواقع غاية في الصعوبة وعدم التناسب مع ما تصبوا إليه من أهداف، ودخلت مع أجهزة الأمن في بلادها في عمليَّات مُوَاجَهة، أدت في نهاية المطاف إلى تدميرها وتشتيت عناصرها، وإلى تصعيد المُوَاجَهة الأمنيّة بين الحركات الجهاديّة والإِسْلَاميّة في تلك البلاد وبين حُكُومَاتها الضالة المارقة.

وكان من أهمّ تلك المحاولات الّتي تلت الجِهَاد الأفغاني ما حصل من قيام الجماعة الإِسْلَاميّة المُسلّحة وتأسيسها عَلى أيدي بعض الأفغان العَرَب من الجَزَائِر بالتّعاون مع تيارات جهاديّة محليَّة إثر الإطاحة بالإنجاز التّاريخي لجبهة الإنقاذ عبر الإنقلاب عسكريّ (١٩٩١)، وكذلك ما حصل في ليبيا من محاولة الجماعة الإِسْلَاميّة المقاتلة بليبيا (١٩٩٤)، وهما أوسع المحاولات في تلك المَرحَلَة، بالإضافة لبعض المحاولات المحدودة كما حصل في اليمن ولبنان وسواها، كما سنأتي عَلى شيء من التفصيل لأهم المحاولات الجهاديّة في هذا العصر، في فقرة تالية ضمن هذا الفَصل إن شاء الله.

- هناك قسم آخر من الأفغان العَرَب وهم قدماء الجهاديّين الّذين غادروا بلادهم أصلا إثر مشاكل أمنيّة، وهم مطاردون من حُكُومَاتهم إما قبل أو أثناء الجِهَاد الأفغاني، ومعظم هَؤُلَاءِ من تنظيمات جهاديّة سابقة، كبعض أعضاء تنظيم الجِهَاد والجماعة الإِسْلَاميّة من مصر وبعض الجهاديّين من سوريا وليبيا وتونس، وبعض الإِعداد المحدودة من جنسيات أُخرى،

وهَؤُلَاءِ لم يتمكنوا من العودة إلى بلادهم كما فعل الآلاف من الأفغان العَرَب من بلاد مثل السّعُودِيّة ودول الخليج واليمن وموريتانيا والأردن وغيرها، وقد توزع هَؤُلَاءِ المطاردون أمنيّاً في ملاذات أمنيّة مختلفة عَلى بعض ما تبقى من الهوامش السّياسيّة والفجوات الأمنيّة قبل استحكام السّياسة العَالَمِيّة لمكافحة الإِرهَاب بعد قيام النّظام العَالَمِيّ الجَدِيد، وكان من أهمّ تلك الملاذات.

١. **أوربّا والدّول الغربيّة:** وذلك عبر فرص اللجوء السّياسيّ، وكان من أهمّ تلك البلاد، بَرِيطَانيَا الّتي أمها كتلة كبيرة تضم كوادر رئيسيَّة من الأفغان العَرَب والتّيار الجهاديّ، من مختلف الجنسيات ثمّ الدّول الإسكندنافية، ثمّ باقي دول أوربّا الغربيّة وبعض الشرقية وأستراليا وكندا.

٢. <u>**السُّودَان:**</u> الّتي كانت حكومة البشير وحليفه الترابي قد استولت عَلى الحكم موصلة الحركة الإِسْلَاميّة الرَّئيسيَّة فيها للسلطة، والَّتي كانَ من سياستها خلال مرحلة (١٩٩١-١٩٩٥)، فتح البَاب للتنظيمات الجهاديّة للانتقال إلى السُّودَان، حيث انتقل كم مهم من الجهاديّين إلى هناك وكان في طليعتهم قيادة تنظيمات الجِهَاد والجماعة الإِسْلَاميّة في مصر، والشَّيْخ أُسَامَة وقياديو تنظيم القَاعِدَة، بالإضافة للكتلة الرَّئيسيَّة من قيادة الجماعة المقاتلة بليبيا، وجهاديّين من جنسيات أُخرى،

٣. <u>**بلاد أُخرى لا تشكل خطورة أمنيّة**</u> عَلى رعايا بلدان عربيَّة أُخرى من الجهاديّين ولو كانوا مطاردين في بلادهم في حينها، قبل استحكام التنسيق الأمني العربيّ والإقليمي والدّولي فيما بعد، وأهم تلك البلاد، اليمن، الّتي أمها جمع متنوع من جنسيات شتي من الجهاديّين والأفغان العَرَب، ثمّ تركيا وكذلك سوريا الّتي آوى إليها قسم من الشَّبَاب المُجَاهد من دول شمال أفريقيا وليبيا، هذا بصورة رئيسيَّة، في حين انتشر آحاد من الجهاديّين بأسرهم وأطفالهم، في بقاع أُخرى حتَّى وصل بعض هَؤُلَاءِ المُهَاجِرين الغُرَباء الفرارون بدينهم من القابضين عَلى الجمر في هذا الزَّمن إلى أقصى أنحاء المعمورة، من الفلبين، إلى إندونيسيا، إلى تايلند، إلى أمريكا الجنوبية، حتَّى إلى بعض مجاهيل إفريقيا.

٤. <u>**البوسنة والشِّيشَان:**</u> فقد وافق إقفال بوابات الجِهَاد في أفغانستان، اشتعال الجِهَاد في البوسنة ما بين (١٩٩٣-١٩٩٥)، فيما كانَ المُسلِمُون يتعرضون لمذابح الصّرب والكروات، مما أوجد ساحة جهاديّة جديدة أمها آلاف الشَّبَاب المُجَاهد من البلاد العربيَّة وبعض الإِسْلَاميّة، وقد كانَ في طليعتهم بعض الجهاديّين، الّذين خرجوا من ساحة أفغانستان لكي يلتحقوا بساحة البوسنة، وكذلك توجه بعض الأفغان العَرَب وعلى رأسهم القائد الشّهِيد خطاب وبعض رفاقه من الأفغان العَرَب إلى الشِّيشَان ليؤسسوا بؤرة جهاديّة حملت مشعل الجِهَاد وأضافت لصفحات الجهاديّين في الربع الأخير من القرن العِشرين صفحات مشرقة إلى تلك الصفحات المجيدة الّتي شهدتها مناطق مختلفة قبل ذلك.

- كانت الأعوام (١٩٩٢-١٩٩٥) أعوام مريحة نسبيا لهَؤُلَاءِ الغُرَباء المشردين، وقد مكنت هذه السَنَوات الأربعة الجهاديّين المنتشرين في أقطار الدُّنيَا، من العمل عَلى نشر الفكر والدّعوة

الجهاديّة، ورغم أن مآخذ عديدة قد تذكر عَلى تجارب هذه المَرحَلَة سآتي عَلى ذكر بعضها في آخر هذا الفَصل إن شاء الله، إلا أن هذه السَنَوات كانت سَنَوات دعوة وانتشار.

ورغم أن حملات مكافحة الإِرهَاب قد أشعلها أمريكا عمليا منذُ (١٩٩٠م)، وتصاعدت مع الوقت لتبلغ ذروتها منذُ (ديسمبر-٢٠٠١)، إلا أن تلك الحملات لم تدخل مرحلة الشدة إلا منذُ أواخر (١٩٩٥) عمليا، حيث وضعت أمريكا ضمن برنامجها لمكافحة الإِرهَاب كما مر معنا في الفَصل الخامس، برنامجا تضمن إلغاء الملاذات الآمنة، بالإضافة للممارسات الأمنيّة الأخرى.

كانَ من أهمّ الشرائح الّتي عملت إيجابيا في نشر فكر الجِهَاد ودعوته، تلك الّتي تركزت في الغرب ولاسيما أوربّا، وفي طليعتها الدّول (الإسكندنافية)، وفي (بَريطَانيَا)، فقد عمل الجهاديّون مستغلين الظّروف المريحة نسبيا، والإمكانيّات المادية وهامش الحريَّة- قبل إقفاله- والّذي كانَ يتوفر في تلك الدّول، عملوا عَلى إصدار النشرات والأبحاث وإعادة بث ما كانَ قد أنتج في مرحلة الجِهَاد الأفغاني أو عَلى مر التَّجَارب الجهاديّة، السَّابقة الندوات والمحاضرات وارتياد المساجد والإحتكاك بالجاليات الإِسْلَاميّة الّتي كانت تشهد صَحوَة إسلاميّة لا تقل وربما تزيد ازدهارا عن تلك الّتي تجري في العالم العربيّ والإِسْلَاميّ، حتَّى أن بعض الحُكُومَات العربيَّة ضجت واشتكت من الحريَّة الّتي يعيشها الإِسْلَاميّون والجهاديّون هناك، وعقدت عشرات المؤتمرات لمكافحة ظاهرة الأصوليَّة الإِسْلَاميّة في مختلف ميادينها ومن ذلك الهامش في الدّول الغربيّة، حتي تمكنوا من إقفال كلّ ذلك عمليا ما بين (١٩٩٥-٢٠٠٠).

وقد شهدت بنفسي تجربة فريدة للدعوة الجهاديّة خلال إقامتي في بَرِيطَانيَا (١٩٩٤-١٩٩٧) واستطعت من خلال تلك الأجواء – كمثال- أن أكتب في العديد من النشرات والمجلات الجهاديّة الّتي كانت تصدر في بَرِيطَانيَا مثل (الفجر) الصادرة عن الجماعة المقاتلة بليبيا، و(المُجَاهدون) الصادرة عن لجماعة الجِهَاد في مصر، و(الأنصار) المقربة أيّامها من الجماعة الإِسْلَاميّة والمُسلّحة في الجَزَائِر قبل انحراف الاخيرة هذه عن الجادة، وشهدت لندن الكثير من الندوات والدُّروس واللِّقَاءَات الّتي كانت تسجل وتنشر إلى مختلف دول العالم حيث تتفشى الصّحوة الجهاديّة،

إلى أن بدأت نذر العواصف الأمنيّة تهب عَلى تلك الملاذات تباعا، فبدأت موجات التضييق ثمّ الاعتقالات أو الطرد والإبعاد تطال كلّ تلك الملاذات آنفة الذكر بلا استثناء، وقد مر شيء من الإشارة لذلك في الفَصل الخامس، فطردت السُّودَان واليمن من لديها، واعتقلت تركيا وسوريا والأردن من طالته أيديها وسلمتهم لبلادهم، وبدأت الدّول الأوربية كلها بلا استثناء الموسم بالتضييق وانتهت بزج مئات الجهاديّين في سجونها، حيث ما يزال كثير منهم إلى اليَوْم رهن الاعتقال العرفي بلا محاكمات ولا قانون، شأنهم في ذلك شأن إخوانهم المعتقلين لدى الأنظمة البوليسية والديكتاتورية في العالم العربيّ والإِسْلَاميّ ودول العالم الثّالث.

وهكذا دخل الجهاديّون في مرحلة جديدة من المحنة كانوا بحاجة فيها إلى ملاذ ومتنفس جديد، وكان ذلك المتنفس ما يسره الله تَعَالَى في أفغانستان مرّة ثانية.

سادسا: الشوط الثّاني للأفغان العَرَب في ظل طالبان في أفغانستان (١٩٩٦-٢٠٠١)

هذا العنوان هو عنوان لفصل من أهمّ فصول تاريخ الصّحوة الإِسْلَاميّة والجهاديّة المعاصرة عَلى الإطلاق، حيث يشكل أدق وأخطر مراحلها، وهو موضوع كتاب مستقل أعتزم كتابته إن شاء الله، وذلك فور انتهائي من هذا الكتاب الّذي نحن بصدده، حيث أشعر بالمسؤوليّة التارِيخِيَّة، والأمانة العظيمة لكوني أحد قلائل الشهود الأحياء المتبقين من الّذين يمكنهم كتابة هذه الشَّهَادة الحية عن تلك التَّجَارب العظيمة وأصحابها، ونقل تلك الدُّروس النفيسة لمن وراءنا من الأجيال القادمة، ولاسيما أولئك العازمين عَلى حمل راية لجِهَاد وأمانة الدّعوة إلى الله، في زمان استكبار البَاطِل وتشريد أهل الحقّ،

ولكنني في هذه العجالة ؛ سأتعرض لأبرز آثار هذه المَرحَلَة عَلى التّيار الجهاديّ المعاصر الّذي نحن بصدد استعراض مراحله في هذا الفَصل، معرضا عن كثير من التفاصيل بالغة الأهمّيّة خشية الإطالة، وخشية إثارة الحساسِيَّات الّتي يلزم لإزالتها إسهاب وشرح لا يحتمله موضوع الكتاب.

وخلاصة ذلك في نقاط رئيسة موجزة عَلى الشّكل التّالي:

- انطلق طالبان من ولاية قندهار، جنوب شرق أفغانستان أواخر عام (١٩٩٣)، واستطاعت التقدم والسّيطرة عَلى وسط وجنوب وشرق أفغانستان بسرعة، ومن ثمّ دخول كابل عام

(١٩٩٦) وإعلان الإمارة الإِسْلَاميّة في أفغانستان، وإعلان زعيم طالبان الملا محمّد عمر- حفظه الله- أميرا للمؤمنين فيها، (وقد كتبت حول نشأة طالبان ومسارها خلال الفترة / ١٩٩٣- ١٩٩٨ / بحثا مستقلا بعنوان: - أفغانستان والطّالِبَان ومعركة الإِسْلَام اليَوْم - لمن أراد التفصيل العودة إليه).

- سرعان ما وجدت الفئات المطاردة المشردة من كوادر وأعضاء التّيار الجهاديّ في أفغانستان ملاذا آمنا، وربما إجباريا مع استعار حملات المطاردة أو ما سمي بـ(الحَرب الدّولية لمكافحة الإرهَاب) بقيادة أمريكا الّتي انطلقت منذُ أوائل التسعينات واشتدت ما بعد (١٩٩٥).

فبدأ هَؤُلَاءِ يتسللون فرادى ومجموعات إلى أفغانستان، ليبتدئ العَرَب شوطهم الثّاني في أفغانستان مع النصف الثّاني سنة (١٩٩٦).

- مع الترحيب وحسن الجوار الّذي أبداه الطّالِبَان لتلك الطلائع القادمة، وفي مقدمتهم الشَّيْخ أُسَامَة ومجموعة من عناصر تنظيم القَاعِدَة، وبعض الرموز والجهاديّين من قدماء الأفغان العَرَب، بدأت السَّاحَة تستهوي عموم الجهاديّين وأصحاب الطموح باستئناف المسار إلى هناك.

- ومع إعلان تطبيق الشّريعة الإِسْلَاميّة وسيطرة الطّالِبَان عَلى نحو(٩٤٪) من الأرضي الأفغانية، بدأت دار الإِسْلَام الوليدة والوحيدة في الأرض، من منظور الجهاديّين وعموم الإِسْلَاميّين تستهوي كثيرا من غير المطاردين والمضطرين للبحث عن ملاذات، بغية الهِجرَة الشَّرعيَّة إلى دار الإِسْلَام الوليدة هذه.

- وخلال عام (٢٠٠٠) كانت المُعَسْكَرَات والمضافات العربيَّة قد انتشرت في مدن أفغانستان الرَّئيسيَّة ولاسيما العاصمة كابل، والعاصمة الروحية لطالبان (قندهار)، والمدن الشرقية مثل خوست وجلال أباد، وبدأ المُهَاجِرون الجدد والمحاربون القدماء من الأفغان العَرَب حملة إعلام واتصالات لاستقبال المزيد من المُهَاجِرين، ونشطت حركة القدوم رغم الحصار السّياسيّ والاقتصادي والحملة الإعلاميَّة والدّولية الّتي أحاطت بالإمارة الإِسْلَاميّة الوليدة

من كلّ جانب، وأعتقد أن عدد الّذين قدموا وغادروا أفغانستان خلال هذه المَرحَلَة (١٩٩٦-٢٠٠١)، بلغ عدّة آلاف من الرّجال، ولكن الّذين استقروا منهم في أفغانستان كانوا قريباً من (٣٥٠ أسرة) ونحوا (١٤٠٠) مُجَاهد ومهاجر عربي من مختلف الجنسيات، بالإضافة لعدة مئات من أرباب الأسر والمُجَاهدين والمُهَاجِرين من وسط آسيا، ولاسيما من أوزبكستان وطاجيكستان الّتي تتعرض فيها الحركات الإِسْلَاميّة إلى طغيان آخر حصون الشُّيُوعِيّة في العالم، وكذلك من تركستان الشرقية الّتي تحتلها الصين وتذيق المُسلِمِين فيها ألوان العذاب والهوان.

- وخلال هذه الأجواء، تواجدت التَّنظِيمات الجهاديّة العربيَّة الرَّئيسيَّة، وانتعشت لدى قياداتها القديمة الآمال باستئناف مسارها في الإِعداد والبناء، ومتابعة أهدافها القديمة في إحياء الجِهَاد في بلادها ضدّ طواغيت تلك البلاد، من أجل إقامة حُكُومَات إسلاميّة عَلى أنقاضها بحسب تصوُّراتهم.

- **ولست هنا إلا بصدد تسجيل خُلاصة تاريخ ذلك المسار، وليس التعرض لتقيم تلك الجموع والكتل وأهدافها وطرق عملها في هذا الحيز الموجز، وسأترك ذلك التفصيل العام إلى الكتاب الّذي أشرت إليه وأسأل الله العون والتوفيق لإنجازه بما يرضي الله تَعَالَى.**

كما قدمت جموع وكتل جديدة من جديد من بلاد عربيه متعددة، تسعى إلى تكوين نفسها، وولدت كتل وشبه تنظيمات جهاديّة جديدة حاول أصحابها شق طريقهم من خلال تلك الأجواء.

- ويمكن القول أن كافّة من تواجد خلال هذه الفترة يمكن اعتبارهم من الجهاديّين، رغم أن أكثريتهم لم تكن تنضوي داخل التَّنظِيمات الرَّئيسيَّة، ولم يؤم أفغانستان في هذه المَرحَلَة كما في الأولى، أنواع أُخرى من طيف الصّحوة الإِسْلَاميّة، فقد اختلفت الظّروف الدّولية تجاه هذه الظَّاهِرة وصارت عَلى النقيض، ففي حين كانَ الجمع الأوّل ينمو وسط مباركة ودعم وإجازة عالميّة ـ كما أشرت آنفا – كانَ هذا الجمع وأرضه ومن يحكمها ومن يهاجر إليها، محل حرب ومطاردة عالميّة.

- ورغم أن سوادهم الأعظم إن لم يكن كلهم، من الجهاديّين فكرا واتجاها، إلا أنه يمكن تصنيفهم ضمن التشكيلات الرَّئيسيَّة التّالية، بغض النَّظر هنا عن رصد الإِعداد والتعرض للتقييم، فقد ضمّ هذا الجمع الطيف التّالي – بحسب الحجم –:

١. **المتدربون**: وهم الّذين قدموا من أجل تلقي التّدريب ثمّ الرحيل، ولم يستقر هَؤُلَاءِ الا مدد التّدريب الّتي تتراوح ما بين الأشهر القليلة إلى السنة.

٢. **المُهَاجِرون**: وهم الّذين قدموا بأسرهم أو بأنفسهم بغية الهِجرَة والاستقرار في دار الإِسْلَام الوليدة، وإعمارها والجِهَاد معها، دون أن يكون لهم أهداف جهاديّة خارج أفغانستان ولا ضدّ حُكُومَات بلادهم، ولا ضدّ أعداء آخرين داخليين أو خارجين.

٣. **التَّنظِيمات الجهاديّة**: الّتي قدمت لتتابع أهدافها وبرنامجها القديم المتعلق بالجِهَاد في بلادها، ولمتابعة بناء تنظيماتها من جديد عَلى الطَّريقة التقليدية القديمة للتنظيمات (القطريّة– السرية – الهرمية) سواء من البلاد العربيَّة أو بعض الإِسْلَاميّة.

٤. **الشَّيْخ أُسَامَة بن لادن وإدارة تنظيم القَاعِدَة**: ومن لحق بدعوتهم، والّذين كانَ هدفهم هو الدّعوة والعمل عَلى مُوَاجَهة الولايات المتحدة الأمريكيّة، من خلال هذا الحصن المنيع (أفغانستان)، والاحتماء بحكومتها الجَدِيدة (الطّالِبَان) وأميرها المصابر (الملا محمّد عمر)، فرج الله كربته.

٥. **تنظيمات وجماعات أعاجم وسط آسيا**: الّذين تنوعت أهدافهم بين الهِجرَة ونصرة دار الإِسْلَام والجِهَاد معها، وبين الإِعداد للجِهَاد في بلادهم، وكان أهمّ وأكبر هذه الجماعات (المُجَاهدون من أوزبكستان) و(المُجَاهدون من تركستان الشرقية) الّتي احتلتها الصين، بالإضافة لبعض الجماعات الأخرى.

٦. **المُجَاهدون من باكستان**: وكانوا خليطا من تلاميذ العُلَماء والمدارس الدّينيّة في باكستان وهي امتداد لطالبان فكرا ومنهاجا، بالإضافة لأعضاء التَّنظِيمات الجهاديّة المختلفة العاملة عَلى جبهة كشمير، والّتي رأت في أفغانستان خط إعداد خلفي جيد لمتابعة نشاطها،

بالإضافة للمُجَاهدين فرديا دون الجماعات والتَّنظِيمات، وقد شكل التواجد الباكستاني نتيجة القرب والتداخل في القضية مع القضية الأفغانية، حجما يوازي أو يزيد عَلى مجموع حجم الأنواع المذكورة آنفا.

- **شكلت هذه الفترة مرحلة متقدمة من نمو التّيار الجهاديّ وتطوره في بعد جديد.**

فقد أدت الحملات الإعلاميَّة الّتي شنها الشَّيْخ أُسَامَة بن لادن ضدّ أمريكا وعدوانها عَلى المُسلِمِين ونداآته لتخليص الحرمين من الإحتلال الأمريكيّ والغربيّ، ثمّ إدخاله بعدا جديدا إلى دعوته، وهو تبني القضية الفلسطينية، وربط العدوان الأمريكيّ عَلى المُسلِمِين في العالم، بالعدوان الإسرائيلي الصّهيونيّ عَلى المُسلِمِين في فِلَسطِين، وإدخال قضية الحرم الثّالث في القُدس، ومسجدها الأقصى إلى قضية الحرمين، أدت هذه الحملات المركزة والمنظّمة، وردود الفعل الهائلة من قبل وسائل الإعلام الأمريكيّة عَلى هذه الحملة، ودخول تلك الموجهات إلى الفضائِيَّات الأمريكيّة والعَالَمِيّة والعربيَّة ولاسيما قناة (الجَزِيرَة) القطريّة، الّتي لعبت دورا محوريا في إيصال هذه الصِّرَاع الإعلاميّ إلى مئات الملايين من المشاهدين المُسلِمِين في العالم، أدت إلى أن يأخذ التّيار الجهاديّ بعدا جديدا نحو عالميّة المَرحَلَة، رغم أن معظم التَّنظِيمات العربيَّة أو كلها لم تغير شيئا من أهدافها ولا بَرَامجها (القطريّة- السرية- الهرمية)، ولا تحولت باتجاه دعوة الشَّيْخ أُسَامَة حتَّى اللحظات الأخيرة من العام (٢٠٠١) حيث أقحمتها أمريكا قسرا في هذا الإتجاه.

- وافق هذه المَرحَلَة أحداث عالميّة بالغة الأهمّيّة والأثر عَلى العالم الإِسْلَاميّ، وكان في طليعة ذلك اشتعال الإنتفاضة الفلسطينية وانتقالها من مرحلة ثورة الحجارة الّتي انطلقت منذُ سَنَوات، إلى مرحلة العمل المُسلّح والعمليَّات الاستشهادية منذُ سنة (٢٠٠٠)، وتفاقمت الأوضاع في المنطقة العربيَّة كلها نتيجة هذا التصعيد بالإضافة إلى ازدياد آثار الحصار الأمريكيّ القاتل المدمر عَلى العراق، منذُ (١٩٩١)، وآثار ذلك أيضا، بالإضافة لإشعال حملات المطاردات الأمنيّة والحَرب العَالَمِيّة عَلى الإِرهَاب بقيادة أمريكا، حيث سارت في ركابها كافّة دول العالم، ولاسيما حُكُومَات الدّول العربيَّة والإِسْلَاميّة.

وسرعان ما صار الجمع العربيّ في أفغانستان وكذلك رمزه الشَّيْخ أُسَامَة بن لادن، النجم الحاضر بلا انقطاع في وسائل الإعلام العربيَّة والعَالَمِيَّة مصدر الهام وتثوير للصحوة الإِسْلَامِيّة وامتدادا أفقي كبيرا للتيار الجهاديّ وأنصاره في العالم.

- أخذت التَّنظِيمات والبؤر والتَّجَمُّعات الجهاديّة العربيَّة تكون نفسها في أفغانستان، **ولم يأت عام (٢٠٠٠) إلا وقد بلغ عدد الجماعات أو المُعَسْكَرَات أو التَّجَمُّعات والمشاريع الجهاديّة (أربعة عشر) تجمعا أو تنظيما أو معسكرا، معترفا به رسميا من قبل طالبان وتربطهم بوزارات الدّفاع والداخليَّة والإستخبارات بَرَامج ضبط وتنسيق وتعاون، سواء في تنسيق دعمهم وجِهَادهم إلى جانب طالبان، أو في بَرَامجهم الذاتية، عدا المجموعات الباكستانية الّتي كانَ لها أيضا ترتيبها الخاص وكانت متعددة.**
- وهذه التَّجَمُّعات الّتي كانت مستقلة عن بعضها تماما هيَ:

المجموعات غير العربيَّة:

١- **المُجَاهدون الأوزبك:** وكانت مجموعة كبيرة العدد نسبة للمجموعات الأخرى، وكان برنامجهم يهدف إلى نقل الجِهَاد إلى أوزبكستان، والإطاحة بنظام (كريموف) الشُّيُوعِيّ – الأمريكيّ ! وذلك لما يكون الوضع في أفغانستان قد استتب للطالبان، ومن خلال البرمجة التَّامَّة معهم، وكان برنامجها في ذلك الحين هو التَّجنيد والإِعداد والتّدريب، وكانت مجموعة مرتبطة بالطّالِبَان، وقد بايع أميرهم (محمّد طاهر جان) الملا محمّد عمر، بيعة إمام عام، وكذلك بايع نائبه القائد العسكريّ الشهير (جمعة باي) ﵀، وكان لهم برنامجا طموحا جدا للتجنيد والدّعوة في أوساط الأفغان الأوزبك، وهم جالية تعد أكثر من خمسة ملايين نسمة، كثير منهم من المُهَاجِرين من أوزبكستان منذُ أيّام احتلال القياصرة، وما تلاه من مجازر ستالين ولينين، وكانت مجموعة منظّمة عالية الكفاءات والإمكانيَّات المادية، حيث تدعمها جاليات أوزبكية مهاجرة منتشرة في بلاد كثيرة.

٢- **المُجَاهدون من تركستان الشرقية المحتلة من قبل الصين:**

وكانت مجموعة محدودة، هاجر أكثرهم فرارا من الحكم الصيني خفية، وكان برنامجهم تربويا شاملا بعيد المدى نظرا للظروف الصعبة الّتي يعيشها المُسلِمُون في تركستان الشرقية بعد أن طبقت الحُكُومَات الصينية المتعاقبة سياسة الهِجرَة الصينية إلى بلادهم، ونجحت في تغيير خارطتها السّكّانية، لينخفض عدد المُسلِمِين التركستان من أغلبية ساحقة إلى نحو نصف السّكّان، حيث أسموها (سيانغ يانغ) يعني (الأرض الجَدِيدة)، ناهيك عن الإجراءات الشرسة منذُ الحكم الشُّيُوعِيّ لماو تسيتونغ، وكان من برنامج هذه المجموعة إرسال بعضهم لداخل بلادهم من أجل إخراج المزيد من المُهَاجِرين وإعدادهم، تمهيدا للعمل العسكريّ الّذي ينونه ضدّ الصين، وكان أميرهم الشَّيْخ الشّهِيد (أبو محمّد التركستاني) رجلا فذا ونشيطا من أروع نماذج المُجَاهدين الفارين بدينهم ولا نزكيه عَلى الله، وقد قتله الجيش الباكستاني في (وزيرستان) في نوفمبر ٢٠٠٣، قاتلهم الله، ورحمه رحمة واسعة، وقد بايعت المجموعة الملا محمّد عمر بيعة عامة أيضا، فطلب إليهم وقف برنامجهم العملي ضدّ الصين والاكتفاء بتربية من يلحق بهم، نظرا لحاجة الطّالِبَان لعلاقات جيدة مع الصين توازن الضغوط الأمريكيّة، فالتزموا ذلك،

٣- **المُجَاهدون الأتراك**: وكانوا مجموعة صغيرة من الأكراد والأتراك، وقد عملوا بشكل سري جدا، وكان برنامجهم التّدريب، ولا أدري إن كانَ لهم برنامج عملي في بلادهم في حينها.

المجموعات العربيّة:

٤- **تنظيم (القَاعِدَة)** بزعامة الشَّيْخ أُسَامَة بن لادن - حفظه الله تَعَالَى -، وبرنامجهم معروف، وقد بايع الشَّيْخ أُسَامَة أمير المُؤمِنِين بيعة إمامة كما أسلفنا.

٥- **الجماعة الإِسْلَامِيّة المقاتلة بليبيا**، وكان أميرهم (أبو عبدالله الصادق) فك الله أسره - وكان برنامجهم الرَّئيسي الإِعداد لجِهَاد نظام القذافي في ليبيا، والمشاركة في دعم القضايا الجهاديّة عامة، والمساهمة في دعم طالبان، وكان لهم مساهمة طيبة في ذلك.

٦- **الجماعة الإِسْلَامِيّة المُجَاهدة في المغرب (مراكش)**، وكان برنامجهم الإِعداد وتدريب عناصرهم الّذين يفدون ويغادر أكثرهم، وكان هدفهم جِهَاد النّظام الحاكم في المغرب الأقصى، وكان أميرهم يدعى أبو عبدالله الشريف.

٧- **جماعة الجِهَاد المصريَّة**، وكانت قد تقلصت إلى حد كبير وكان هدفهم إعادة بناء الجماعة ولم شتاتها، وهدفهم معروف وكان جِهَاد النّظام الحاكم في مصر، وكان أميرهم الشَّيْخ الدكتور أيمن الظواهري حفظه الله تَعَالَى.

٨- **الجماعة الإِسْلَامِيّة المصريَّة**: وكانت مجموعة صغيرة جدا، انحصر وجودهم بصفة الهِجرَة، ولم يكن لهم نشاط مهم بعد تبني مبادرة وقف جِهَاد النّظام المصري الّتي عرفت باسم (مبادرة وقف العنف)، وكان أكثر رموزهم الهامة يقيم في إيران كما هو معروف، وانتقل بعضهم آخر أيّام طالبان إلى أفغانستان.

٩- **تجمع المُجَاهدين الجَزَائِريين**، وكان هدفهم لم شعث من استطاعوا من إخوانهم لإعادة ترتيب الجِهَاد في الجَزَائِر بعد النكبات الّتي مني بها.

١٠- **تجمع المُجَاهدين من تونس**، وكان هدفهم الإِعداد والتّدريب وجمع الشَّبَاب التونسي، بغية الجِهَاد في تونس، وكان لمعسكرهم مساهمات تدريبية، وكان فيهم كوادر سبق لها الجِهَاد في البوسنة.

١١- **تجمع المُجَاهدين من الأردن وفلسطين**، وكان برنامجهم الإِعداد والتّدريب، للجِهَاد في الأردن وفلسطين، وكان أميرهم الأخ (أبو مصعب الزرقاوي).

١٢- **مُعَسْكَر خلدن (مُعَسْكَر تدريبي عام)**، وهو من أقدم المُعَسْكَرَات العربيَّة، ويعود تأسيسه لأيّام مكتب الخدمات والشَّيْخ عبدالله عزام، وكان أميره الشَّيْخ المُجَاهد المعروف باسم (ابن الشَّيْخ – صالح الليبي –)، فرج الله أسره[(١)]، يعاونه الأخ أبو زبيدة، فرج الله عنه، وكانت أهداف المُعَسْكَر تدريبية محضة لدعم الجِهَاد في كلّ مكان، وكان له إنتاج طيب عبر السنين ربما تجاوز عدد من تدربوا فيه منذُ تأسيسه سنة ١٩٨٩ العشرين ألفا.

١٣- **مُعَسْكَر الشَّيْخ أبو خباب المصري (مُعَسْكَر تدريبي عام)**. وكان معسكرا تدريبيا متخصصا في التّدريب عَلى تصنيع المتفجرات والكيمياويات واستخدامها.

---

(١) بعد تسليمه للحكومة الليبية قتل على يد عسكر القذافي في السجن رَحِمَهُ اللَّهُ في ٢٠٠٩.

١٤- **مجموعة مُعَسْكَر الغُرَباء (وهي مجموعتنا) وكانت مرتبطة بالطَّالِبَان وكان لها أيضا (مُعَسْكَر تدريبي عام، ومركز دراسات وأبحاث ومحاضرات...)**. وقد أسَّستُها سنة ٢٠٠٠، من أجل تأسيس مدرسة تدريبية تقوم عَلى **الإِعداد الفكريّ والمنهجي السّياسيّ الشَّرعيّ والتربوي العسكريّ الشّامل، وهو ما رأيت أن ساحة الأفغان العَرَب قد افتقرت إليه في شوطيها عَلى حد سواء**، وكان الهدف الآخر من تأسيسها إطلاق دعوة المُقاوَمة الإِسْلَاميّة العَالَمِيّة (الّتي فصلتها في هذا الكتاب)، بالإضافة إلى الارتباط العضوي بالإمارة الإِسْلَاميّة والمساهمة في بنائها والدّفاع عنها، والعمل في أفغانستان من خلال الترتيب مع أمير المُؤمِنِين مباشرة.

وقد شرحت أهداف المجموعة باختصار للملا محمّد عمر وبايعته في ١٥ محرم ٢٠٠١م، وارتبطت مجموعتنا من حينها بأمير المُؤمِنِين وعملت من خلال وزارة دفاع الإمارة الإِسْلَاميّة.

- **ثمّ تصاعدت الحَرب الأمريكيّة والغربيّة بمشاركة من الدّول الإِسْلَاميّة عَلى طالبان وأفغانستان، ولاسيما عَلى الشَّيْخ أُسَامَة والقَاعِدَة الّذين قاموا بتنفيذ هجومين عَلى سفارتي أمريكا في نيروبي ودار السَّلام، ثمّ الهجوم الاستشهاديّ الآخر عَلى المدمّرة الأمريكيّة (كول) في ميناء عدن في اليمن، خلال هذه الفترة (١٩٩٧-٢٠٠٠)م بالإضافة للتصعيد الإعلاميّ الّذي أطلقه الشَّيْخ أُسَامَة من أفغانستان منذُ حضر إليها عن طريق سلسلة المقابلات الصحفيّة والتّلفزيونيّة الّتي كانَ يحرّض المُسلِمِين فيها عَلى حرب أمريكا وجِهَادها.**
- **وتصاعدت الضغوط الأمريكيّة، والعَالَمِيّة والتهديدات الجدية، والحصار الاقتصاديّ والإعلاميّ عَلى أفغانستان، وبدأت أمريكا تنذر بالحَرب عَلى الإِرهَابيين فيها وخاصة خصمها العنيد (الشَّيْخ أُسَامَة) ثمّ وقعت الواقعة الحاسمة في الحادي عشر من سِبتَمبر/ ٢٠٠١م.**
- فقد قامت مجموعة من أعضاء القَاعِدَة بالهجوم الاستشهاديّ التّاريخي الشّهير عَلى أبراج نيويورك والبنتاغون صبيحة الحادي عشر من سِبتَمبر من عام ٢٠٠١م.

ورغم عدم إعلان القَاعِدَة عن مسؤوليتها عن العمليَّات، إلا أن أصابع الاتهام والقرائن لدى الأمريكان كانت واضحة..

وقررت أمريكا غزو أفغانستان وإسقاط طالبان وتنصيب حكومة تابعة لها فيها، وإبادة من تستطيع إبادته من طالبان ومن التَّجَمُّعات الجهاديّة والعربيَّة المتواجدة تحت عباءة أمير المُؤمِنِين.

ولست هنا بصدد الانخراط في التّاريخ لأحداث بالغة الأهمّيّة شهدتها بنفسي، بل كنت جزأ منها في أفغانستان، وكما أسلفت فلدي العزم عَلى ذلك إن شاء الله وأعان، ولكني سأقتصر هنا عَلى ماله علاقة بهذا الفَصل وهو أثر ذلك الحدث عَلى مسار التّيار الجهاديّ.

ذلك الأثر الّذي أدى بحسب ما أعتقده إلى وضع نهاية مأساوية للتيار الجهاديّ وإنهاء مرحلته الّتي امتدت منذُ مطلع الستينات من القرن الماضي وإلى سِبتَمبر٢٠٠١م.

حيث دخل التّيار الجهاديّ محنة الأخدود المعاصر الّذي ابتلع معظم كوادره خلال السَنَوات الثّلاثة التّالية (٢٠٠١-٢٠٠٤)م.

لتبدأ بعد ذلك وبعد احتلال العراق الّذي جرى بعد ذلك بسنتين، مرحلة تارِيخِيَّة جديدة من تاريخ التّيار الجهاديّ بل الصّحوة الإِسْلَاميّة والعالم العربيّ والإِسْلَاميّ بل العالم أجمع.

- **بعض مترتبات الحدث وتوابعه:**

لقد كانت خسائر العدوّ في هجوم سِبتَمبر كبيرة بكل المقاييس، وأرجو أن تكون قد وضعت بداية السُّقوط الحقيقي إن شاء الله لهذه الدّولة البربرية الهمجية المسماة (الولايات المتحدة الأمريكيّة)، الّتي جسدت قمة وحشية الحضارة الغربيّة المعاصرة، الّتي باشرتها دول أوروبّا الاستعماريّة وساهمت فيها روسيا ثمّ ورثت كلّ صفاتها الشيطانية أمريكا وأقامت عَلى أساسها نظام الاستكبار اليَهُوْدي الصّليبيّ المعاصر.

لقد كانت القَاعِدَة جزءا رئيسيا من كتلة المُجَاهدين الأفغان العَرَب في أفغانستان، والّذين كانوا بدورهم جزءا هاما من التّيار الجهاديّ العام، الّذي يتكون من مجموع التَّنظِيمات والجماعات والتَّجَمُّعات الّتي تنتشر في معظم بلدان المُسلِمِين بل وفي كثير من بلدان المهجر، كما يضم كثيرا من

الأفراد والكوادر الجهاديّة من العُلَماء والمفكرين والدعاة والكتاب الّذين حملوا جميعا الفكر الجهاديّ الّذي يتبنى منهجا محددا كما يتبنى العمل المُسلّح وسيلة لإقامة شريعة الله ودفع الظُّلم عن الإِسْلَام والمُسلِمين كحل لا بديل عنه لحل ما تراكم من مشاكل هذه الأُمّة.

ولقد دمجت الآلة الأمريكيّة كلّ ذلك التّيار ومكوّناته بل ومناصريه، بل وكل من أرادت أن تصفيه من كامل طيف الصّحوة الإِسْلَاميّة عَلى اختلاف مدارسها تحت مسمّى (القَاعِدَة) وجعلتهم جميعا هدفا لحربها تحت شعار مكافحة الإِرهَاب، وهذا موضوع يستأهل البحث وليس محله هذا الكتاب، لأن أمريكا حققت من وراء هذا التعميم غير الواقعي أهدافا في غاية الخبث والخطورة.

ولقد تبع انهيار البرجين في نيويورك، وتهدم جدار البنتاغون عَلى رؤوس جنرالات أمريكا، انهيارات كثيرة في الصف الإِسْلَاميّ، ولحق بأطراف عديدة خسائر فادحة، وكان ممن لحقهم كثير من الخسائر كافّة أطراف ومدارس الصّحوة الإِسْلَاميّة، وكان أكثرهم تضررا التّيار الجهاديّ وتنظيماته وكياناته المختلفة كافّة، على صعيد الأفراد والقيادات والجماعات في كلّ مكان، بل لقد طالت التوابع وردود الأفعال من قبل العدوّ كلّ مسلم في كلّ مكان، وقد كانَ هذا سببا في أن كثيرا من أوساط الصّحوة الإِسْلَاميّة، بل وحتى بعض الجهاديّة لم تنظر لهذا العمل المجيد بعين الارتياح.

وقد انتقده كثير من المُسلِمين المخلصين قناعة منهم بأنه:

- قد جلب البلاء عَلى المُسلِمين ووضعهم في معركة غير متكافئة سيكونون فيها الخاسر الأكيد.
- وأنه برر الهجمة الأمريكيّة وأعطاها المسوغ لإعادة احتلال العالم الإِسْلَاميّ وإنزال أفدح الخسائر بالمُسلِمين.
- وأنه ألغى عمليا معظم البَرَامج الذاتية لكثير من مشاريع الجِهَاد القطريّة والإقليمية بالتبعية تلقائيا.
- بل إنه سبب إزالة الإمارة الإِسْلَاميّة الوليدة في أفغانستان ملغيا القَاعِدَة الوحيدة الّتي فاءت إليها معظم مشاريع الجِهَاد وجماعاته وقياداته... إلى أخره.

ولكثير من هذه الانتقادات دليل مما نلمسه ونعيشه، ومن هذا المنظور فربما أن لوجهات النَّظر هذه مايبررها.

ولكن من جهة أُخرى وحتَّى نأخذ الصُّورة بكل معطياتها، فإن المتابع للسياسات الأمريكيّة فيما يتعلق بالعالم الإِسْلَاميّ، بل بكافة العالم الثّالث وخاصة منطقة الشّرق الأوسط، وذلك من خلال ممارساتهم ومن خلال الكتابات المعلنة لكبار مفكريهم ومنظريهم وواضعي إستراتيجياتهم السّياسيّة، عبر الكتب المنشورة، والتقارير والدراسات الّتي تعدها كبريات مراكز الدراسات عندهم وينظر لها كبار المفكرون من أمثال كتابات كيسنجر ونيكسون وهينينغتون، يجد أنها قد أعربت وصرحت بأهداف السّياسة الأمريكيّة في القرن الواحد والعشرين، وعن الرغبة الجامحة بالإنفراد بالسّيطرة عَلى العالم، وهو برنامج وضع للتنفيذ بصرف النَّظر عن أحداث سِبتَمبر كانت أو لم تكن.

لقد صرح نيكسون في كتابه (نصر بلا حرب) بأن عَلى أمريكا أن تعمل عَلى أن يكون القرن ٢١ قرنا أمريكيا ويجب أن تعمل عَلى تفكيك الإتحاد السُّوفيتيّ، ومنع نهضة الصين وتفتيتها إلى قوميات متصارعة، وعرقلة قيام الوحدة الأوروبية، وكبح التقدم الصناعي لجنوب شرق آسيا والسّيطرة عليها والتخطيط للسيطرة عَلى المارد المسلم الّذي يتململ استعدادا للنهوض عَلى حد تعبيره، كما شكلت أمريكا قوّات التدخل السريع (المارينز) من أجل احتلال منابع النّفط منذُ أيّام كارتر مطلع السبعينات، هذا بالإضافة للسياسة المبنية عَلى معتقدات المتطرفين الصّليبيّن الّذين بنوا تصوُّراتهم الإنجيلية التوراتية بحسب التفسيرات الصّهيونيّة كأساس لمذهب المسيحية الأمريكيّة المتعصبة، الّتي تعتمد فكرة دعم إسرائيل واليَهُوْد بانتظار المَعْرَكة الطاحنة في (هرمجدون) في شمال فِلَسطِين كمقدمة لنزول المسيح لتخليص النّصَارى، هذا بالإضافة لفلسفات شريرة وضعوها بناء عَلى نظَريَّات صِرَاع الحضارات وسيطرة العرق الأبيض، وهذه المعلومات أصبحت مما تتحدث به وسائل الإعلام العَالَمِيّة بصراحة، عن ظاهرة (المحافظين الجدد)، وهي الفئة النّصرانية المتصهينة الّتي ينتمي إليها بوش وأعوانه.

والدلائل كثيرة جدا عَلى أن أمريكا قد تحركت نحونا منذُ أن انهيار الإتحاد السُّوفيتيّ وافتتحت ذلك بحرب الخليج، ثمّ بسلسلة المؤتمرات الأمنيّة ضدّ ما أسموه الأصوليَّة الإِسْلَاميّة وذلك عقب الإجتماع الهام الّذي جمع (ريغان – تاتشر– غورباتشوف) والّذي وضعوا فيه علنا الإِسْلَام خصما حضاريا للحضارة الغربيّة بعد انتهاء الحَرب الباردة وقرروا ضمّ مكوّنات حلف وارسو لتدخل في حلف النّاتو الّذي سيقود الحَرب الصّليبيّة عَلى المُسلِمِين.

وهناك كثير من الوثائق الّتي تثبت ذلك لا ننقلها هنا خشية الإطالة. وهذه المعلومات مشتهرة بين المثقفين العَرَب والمُسلِمين وفي وسائل الإعلام.

وكلها مؤداها أن أمريكا وإسرائيل وأوروبّا الغربيّة كانت ماضية باتجاهنا من قبل ما حدث في سِبتَمبر وأن أمريكا كانت غير عاجزة عن إيجاد أي ذريعة فيما لو لم توجد القَاعِدَة ولم تحدث انفجارات ١١– سِبتَمبر، تماما كما اتخذت من العراق ذريعة لاحتلال الخليج في حرب الكويت، وكما اتخذوا اليَوْم ذرائع لإحتلال العراق والتمدد نحو الشّام والجَزِيرَة، فكل أدِلّة المنطق والواقع تثبت بأن أحداث سِبتَمبر ليست السبب في هذه الهجمة وإن كانت قد عجلت بمُوَاجَهة محتومة وجعلتها أكثر (دراماتيكية).

وحتى هجوم أمريكا عَلى أفغانستان فمن المسلم به في جميع وسائل الإعلام العَالَمِيّة وعلى لسان كثير من السّياسيّين أنه هجوم سببه المصالح الأمريكيّة في نفط وسط آسيا واحتياجها لنظام يحفظ نقله إلى الخليج من أفغانستان ويكمل إغلاق الحلقة الأمريكيّة حول الصين ويحاصر إيران من الشّرق ويزيل أي إمكانية لحكم المُسلِمِين بالشّريعة في أفغانستان حتَّى لا تكون سابقة تحتذى، فلم يكن الشَّيْخ أُسَامَة ولا الأفغان العَرَب ولا مُجَاهدو وسط آسيا المقيمين في حماية طالبان سبب الهجوم عَلى أفغانستان، بل كانَ السبب هو قيام طالبان بالحكم بالشّريعة وتمرد نظامهم عَلى شريعة أمريكا في السّياسة الدّولية، بالإضافة للإطماع الإمبراطورية الأمريكيّة في المنطقة، والله تَعَالَى أعلم.

- وبعيدا عن اختلاف وجهات النَّظر من الحدث وتداعياته، فقد فرض واقعا عَلى المُسلِمِين وأقطاب الصّحوة الإِسْلَاميّة والقيادات الجهاديّة أن يواجهوه الآن، وأن يعلموا أن أمريكا

قد قررت وفرضت عدوانها عَلى المُسلِمِين، وبهذا الزخم ورتبته مع اليَهُوْد وحلفائها الأوروبيين وروسيا منذُ انهيار الإتحاد السُّوفيتيّ وإزاحة سور برلين بين حلف وارسو وحلف النّاتو، ووزعت الأدوار، الّتي خصت قسطا كبيرا منها وأوكلته لحُكُومَات الرِّدَّة في العالم العربيّ والإِسْلَاميّ، فهذه الحَرب القائمة الآن، فرضها العدوّ ونفذها، من قبل سِبتَمبر/ ٢٠٠١ ولم توجدها أحداثها، حرب فرضتها المصالح الاقتصاديَّة والجغرافيّة السّياسيّة، وهي نتيجة الجُذُور التارِيخِيَّة والتصوُّرات الدّينيّة لمعتقدات اليَهُوْد والأمريكان عن الصِّرَاع مع المُسلِمِين.

- وتفاصيل أحداث سِبتَمبر معروفة، وأشهر من أرددها هنا حيث لا مجال للإطالة، ولذلك سأقفز عن تفاصيلها، إلى تداعيات الحدث عَلى التّيار الجهاديّ في أفغانستان، حيث كانت قد تواجدت نخبته عَلى صعيد القيادات والرموز والكوادر وقيادات التَّنظِيمات والجماعات والكتل الجهاديّة الرَّئيسيَّة في العالم العربيّ ووسط آسيا والباكستان في ذلك الوقت.

تداعيات أحداث سِبتَمبر ٢٠٠١ عَلى التّيار الجهاديّ في أفغانستان:

- ابتدأ الأمريكان الحَرب بموجات من القصف الجوي المركز منذُ مطلع شهر ١٠ وإلى أواسط ١١، وزحفت طلائع تحالف الشمال لتقوم بالحَرب عَلى الأرض نيابة عن الأمريكان من ثلاث محاور.
- من الشمال نحو كابل، ومن الحدود الباكستانية من الجنوب الشرقي نحو قندهار، ومن الشمال الشرقي نحو جلال أباد، وسقطت مزار شريف، ثمّ كابل بيد تحالف الشمال في شهر ديسمبر ٢٠٠١.
- واستولت الشراذم وقطاع الطرق والحرامية والقبائل الّتي عملت في البرنامج الأمريكيّ عَلى المدن تباعا، وتهاوت مقاومة طالبان واستسلمت حامياتهم وقياداتهم بصورة مفاجئة للجميع.

- وخلال أقل من أسبوع بعد سقوط كابل، أعلن عن سقوط طالبان، وتسليم (كرزاي) مقاليد الأمور، ثمّ تابع عملاء أمريكا عَلى الأرض تنفيذ المهام، الّتي لعبت ملايين الدّولارات دورا هاما في أدائها عَلى الوجه الأكمل قذارة وبشاعة،
- ثمّ أطلقت أمريكا بزعامة (بوش) ما أسمته (الحَرب العَالَمِيّة عَلى الإِرهَاب) والّتي لعبت فيها الباكستان الدَّور الرَّئيسي، حيث تولت تصفية واعتقال الّذين توجهوا نحو الملاذ الوحيد عَلى أراضيها، ثمّ تلتها مختلف الدّول العربيَّة والإِسْلَاميّة بالمشاركة، بالإضافة لما قام به حلفاء أمريكا الكبار، مما أدى إلى تدمير ما تبقى من التّيار الجِهَاد تدميرا كبيرا.

- وأما ما يهمنا من أمر الجمع العربيّ من الجهاديّين والمُهَاجِرين في أفغانستان، فخلاصة ما حصل؛ مجزرة تارِيخِيَّة للتيار الجهاديّ هيَ الأسوأ في تاريخه كله، وكان أمر الله قدرا مقدورا.

وكانت خُلاصة الخسائر والمصائب منذُ انطلاق أحداث الكارثة وإلى ساعة تحرير هذه السُّطُور في شهر سِبتَمبر من عام ٢٠٠٤ أي خلال ثلاث سَنَوات عجاف، ودون الدخول في التفاصيل كالتالي.

- استشهاد زهاء (٤٠٠) مُجَاهد عربي خلال معارك الدّفاع عن أفغانستان، حيث استبسلوا في الدّفاع عن مختلف خطوط القِتَال، أو سقطوا بفعل القصف المكثف أثناء عمليَّات انسحاب أرتال السيارات من المدن الرَّئيسيَّة باتجاه الحدود الباكستانية.

- أسرت باكستان بفعل خيانة بعض رجال القبائل الحدودية الباكستانيين، نحو (١٥٠) مُجَاهد خرجوا من معارك (توره بوره) بعيد الحَرب مباشرة خلال الشهر الأوّل من عام (٢٠٠٢)، وجرى تسليمهم للأمريكان الّذين نقلوهم إلى مُعَسْكَر الاعتقال سيء السمعة في غوانتانامو، في جَزِيرَة كوبا.

- استشهاد نحو (١٠٠) مُجَاهد تقريبا في اشتباكات متفرقة مع الجيش الباكستاني في مناطق الحدود أو عَلى طرق السفر، أو داخل بعض المدن في باكستان خلال السنتين التاليتين من مطلع (٢٠٠٢) وإلى سِبتَمبر (٢٠٠٤).

- أسرت القوَّات الباكستانية خلال تلك الفترة ما يزيد عَلى (٦٠٠) مُجَاهد عربي من الفارين بأنفسهم وأسرهم والمختفين عَلى أراضيها، وقامت بتسليمهم إلى أمريكا مباشرة ليزج أيضا بهم في معتقل غوانتانامو، أو معتقلاتها الوحشية في أفغانستان.

- إعتقلت إيران عَلى أراضيها أكثر من (٤٠٠) مُجَاهد عربي، سلمت معظمهم لبلادهم كما اعترفت بذلك حكومتها رسميا، وما يزال ما يقرب من مئة منهم أسرى في إيران، -بحسب ما ذكرت مصادر الحكومة الإيرانية - قيد السّجون والمساومات السّياسيّة مع أمريكا.

فإذا ما اعتبرنا أن العدد الإجمالي للمُجَاهدين العَرَب الّذين تواجدوا في أفغانستان وقت هذا الحدث زهاء (١٩٠٠) مُجَاهد بمن فيهم أرباب الأسر من المقيمين والمُهَاجِرين، تكون الخسائر قد جاوزت ما بيت شهيد وأسير(١٦٠٠) مُجَاهد من أصل الـ(١٩٠٠) أي نحو(٧٥٪) من القَاعِدَة البشرية للأفغان العَرَب الّذين تواجدوا في أفغانستان تلك الفترة، كما أدت حملات المطاردة والاعتقال الّتي شنتها أمريكا وأجهزة الأمن المتعاونة معها في أوربّا وبلدان العالم العربيّ والإِسْلَاميّ بل في كلّ العالم إلى اعتقال وأسر مئات الجهاديّين من أعضاء الجماعات أو المتعاطفين مع التّيار الجهاديّ أو من المظلومين القريبين منهم من الّذين أسروا دون أن يكون لهم ناقة ولا جمل في هذا الصِّرَاع.

- هذا بالإضافة إلى الخسائر الفادحة في صفوف الجهاديّين من وسط آسيا وخاصة من المُجَاهدين الأوزبك ومن معهم من بلاد وسط آسيا، الّذين استشهد معظم كادرهم العسكريّ وربما جاوز هذا الرقم زهاء ٥٠٠ شهيد عدى الأسرى، استشهد أكثرهم في أفغانستان، وبعضهم في معارك مع الجيش الباكستاني المدعوم بالقوَّات الأمريكيّة في منطقة وزيرستان.

كما وقعت خسائر فادحة في صفوف المُجَاهدين من تركستان الشرقية بنفس الطَّريقة، وكان آخر هذه الخسائر استشهاد أميرهم (حسن أبو محمّد التركستاني) مع بعض إخوانه رحمهم الله تَعَالَى، وأكرم نزلهم في المُهَاجِرين الغُرَباء الفرارين بدينهم، وقد قتله الجيش الباكستاني - قتلهم الله - في شهر ١١/ ٢٠٠٣، أثناء عمليَّات المطاردة في إقليم سرحد.

حتَّى صرح (رامسفيلد) وزير الدّفاع الأمريكيّ أواسط عام (٢٠٠٣) أن حملتهم الأمنيّة والعسكريّة عَلى الإِرهَاب قد مكنتهم من قتل وأسر ما يزيد عَلى (٣٠٠٠) إرهابيّ بحسب وصفه، وأعتقد أنه رقم قريب من الواقع، فقد وصلت الخسائر في أفغانستان وباكستان وإيران إلى أكثر من نصف هذه الرقم، فيما وصل عدد الأسرى من الجهاديّين والمتعاطفين معهم في بَرِيطَانيَا وحدها إلى نحو(٣٠٠) أسير، كما أشارت لذلك إحصائيات رسمية، ناهيك عن العشرات الّذين أعلن عن اعتقالهم في باقي الدّول الأوروبية، أما في الدّول العربيَّة فقد شنت اليمن حملة عَلى الجهاديّين والعائدين من أفغانستان وعلى المتعاطفين معهم، قتل فيها العشرات وأسر المئات، كما أعلنت السّعُودِيّة عن توقيف أكثر من (٢٢٠) أخ نسبت لهم تهمة القَاعِدَة رسميا، ناهيك عن أن عدد الأسرى والموقفين والّذين حقق معهم في السّعُودِيّة، هو رقم من فئة الآلاف، أسر منهم دون تهمة أو محاكة المئات وأودعوا السّجون، وذلك أن السّعُودِيّة واليمن كانتا من البلاد الّتي قدم إلى أفغانستان منها أكبر نسبة من الشَّبَاب العَرَب وكانتا من أكثر الدّول مطاردة لهم أيضا، كما طالت الحملات المئات هنا وهناك في كلّ مكان، ليكون آخرها ما جرى في المغرب، منذ شهر ١١/ ٢٠٠٣، حيث اعتقل المئات أيضا، وصدرت عشرات أحكام الإعدام والسّجن المؤبد والمدد الطويلة في حقهم وطال البلاء مئات الأبرياء من حملة الفكر الجهاديّ والمتعاطفين معهم ممن لا علاقة لهم بأي أعمال، وتوسعت دوائر التهمة والبلاء لتشمل معظم الجهاديّين ومعظم المتعاطفين معهم في كافّة أنحاء العالم، من القرن الإفريقي إلى الفلبين، إلى إندونيسيا وجنوب شرق آسيا، إلى تركيا، إلى كلّ أقطار الدُّنيَا.

لقد كانت المصيبة كارثية وعظيمة بكل معنى العظمة والكارثة لثلاثة أسباب:

١. أن هذا الرقم الّذي طال ما بين (٣٠٠٠- ٤٠٠٠) عنصر من الجهاديّين وأنصارهم ومؤيديهم بحسب المعلن، والواقع أكبر من ذلك بكثير، يمثل في الحقيقة معظم الشريحة العاملة من الجهاديّين في هذا الزّمان، بل يضم كثيرا من الدّائرة الأساسيّة للمتعاطفين معهم في العالم العربيّ والإِسْلَاميّ وفي الجاليات الإِسْلَاميّة في الغرب، فقد مثلت هذه الملحمة عمليَّة استئصال للقاعدة البشرية الأساسيّة للتيار الجهاديّ في هذا العصر.

٢. أن الضربة القاصمة الّتي حلت بالمُجَاهدين العَرَب ومن وسط آسيا في أفغانستان وباكستان، قد أطاحت بالنُّخبَة الأساسيّة من كوادر وقدماء التّيار الجهاديّ، وبخلاصة قياداتهم ورموزهم ممن تبقى من العاملين من جيل الأفغان العَرَب الأوائل وهم زهاء (١٥٠) كادر مُجَاهد هو زبدة من تبقى من الرموز والعاملين في التّيار الجهاديّ خلال ربع القرن الأخير من القرن العِشرين، وقد سحق القتل والأسر معظم هذه الزهرة، وربما لا أبالغ إن ذكرت للتاريخ معلومة يعرفها العدوّ، ولم يتفرغ أحد بعد من هول الصدمة لإحصائها، ولا أبالغ إن قلت أنه لم يعد بين هَؤُلَاءِ من الأحياء، وغير المأسورين، ربما إلا رقم يسير جداً جداً، أسأل الله أن يحفظهم ويعينهم عَلى إعادة البناء

٣. أن الكارثة قد تعدت إلى أن يلتهم الأخدود حتَّى بعض من تربى عَلى هَؤُلَاءِ من طليعة كوادر الجيل الجهاديّ الثّالث، من الشَّبَاب الّذين قدموا إلى ساحة الجِهَاد الجَدِيدة في أفغانستان خلال الشوط الثّاني للأفغان العَرَب (١٩٩٦-٢٠٠١)، ولله الحمد فقد نجى كم لا بأس به من هَؤُلَاءِ، وتفرقوا في أنحاء الأرض ولله الحمد.

وبعودة للتركيز في هذه الفقرة من هذا الفَصل بعد هذا الاستطراد المأساوي، أقول:

أن التّيار الجهاديّ الّذي ابتدأ مساره مطلع الستينات، وازدهر أواخر السبعينات ومطلع الثمانينات، وتألقت آماله في أفغانستان بقيام الإمارة الإِسْلَاميّة في أفغانستان، قد شهد أخدودا عظيما رسم نهاية حقبته السالفة بعد أحداث سِبتَمبر (٢٠٠١).

لتبدأ مرحلة جديدة لمسار التّيار الجهاديّ في مُوَاجَهة الحملات الصّليبيّة اليَهُوْدية المعاصرة، بإذن الله.

ومن أجل المساهمة في انطلاق تلك الآمال أكتب هذا الكتاب، حيث تستهل الفترة بمُوَاجَهة الحَرب (العَالَمِيّة عَلى الإِرهَاب) بقيادة أمريكا، وبغزواتها العسكريّة المباشرة في أفغانستان العراق والشرق الأوسط، حيث تبدوا في الأفق ملامح ساحات جديدة للصدام ومعطيات جديدة تترك

بصماتها عَلى مسار الجِهَاد الظافر بإذن الله، والّذي بشر باستمراره وبقائه، أشرف الخلق محمّد عليه الصّلاة والسَّلام.

سابعا : أهمّ التَّجَارب الجهاديّة المُسلّحة في النصف الثّاني من القرن العِشرين

للأسف الشديد! فإن القَاعِدَة الأساسيّة في دائرة العمل الإِسْلَاميّ عامة والجهاديّ خاصّة هيَ:

(قلة العاملين في قطاع الكتاب، وقلة الكتاب في قطاع العاملين).

ولذلك فقد اندثرت معظم التَّجَارب الجهاديّة الهامة للتيار الجهاديّ، بل ولعموم تجارب الظَّاهِرة الجهاديّة دون أن يكتب عنها أصحابها، وأقصد من قاموا بها أو شهدوها بأنفسهم، أو كانوا عَلى احتكاك حقيقي وعضوي بهم ومعهم، وفي حدود علمي فإن من بين عشرات التَّجَارب الطويلة الأمد أو المحدودة، لم يكتب أحد من أصحاب تلك التَّجَارب شيئا يذكر، أو لم يصل عَلى الأقل للانتشار، وقد فات عَلى الأُمّة وأجيالها القادمة بذلك، دروسا بالغة الأهمّيّة، وقصصا وتفاصيل أحداث بالغة الروعة والدلالة، من تلك الملاحم الّتي قام بها الجيل الأوّل والثّاني، من هذا التّيار الجهاديّ، منذُ انطلق وإلى نهايات القرن العِشرين ومطلع الحادي والعشرين.

في حين تطفل عَلى الكتابة نيابة عن أصحاب التَّجَارب، بعض الخصوم، أو بعض التجار من الصحفيين، أو بعض القاعدين من (دونكيشوتات) الصّحوة الإِسْلَاميّة من أصحاب الكروش الّتي تربت تحت برد المكيفات.

وقد حاولت أن أخرق هذه القَاعِدَة بصفتي أحد قلائل الميدانين الّذين عملوا في هذا التّيار عبر بعض تجاربه، واحتكوا بالكثيرين من رموز تجارب أُخرى، وسأورد ملخصا عن ذلك إن شاء الله تَعَالَى في هذا الفَصل.

- فقد كتبت كتاب (الثَّورة الإِسْلَاميّة الجهاديّة في سوريا -آلام وآمال-) وقد اشتمل عَلى خُلاصة تاريخ ذلك الجِهَاد والكثير من وثائقه ودروسه، ويقع الكتاب في نحو(٩٠٠) صفحة وطبع سنة ١٩٩٠م.

- وكذلك كتبت كتاب [شهادتي في الجِهَاد في الجَزَائِر(١٩٨٩-١٩٩٦)]، والّذي فقدت مسوداته النّهائيّة وهي نحو(٢٠٠) صفحة مع ما تركت من حاجاتي في كابل أثناء سقوطها في ديسمبر (٢٠٠١)، وأعدت كتابته خلال محنتنا هذه في باكستان وسأنشره مع هذا الكتاب إن شاء الله.

- كما كتبت كتابا موثقا عن محنة المُجَاهدين الأفغان العَرَب وعموم الإِسْلَاميّين في الباكستان خلال هذه السَنَوات الثّلاثة بعد سِبتَمبر٢٠٠١، وسأنشره قريباً أيضا إن شاء الله.

- وقد وضعت الآن فهارس وبعض المسودات لكتاب مهم جدا ليغطي تاريخ ودروس أهمّ تجارب القرن الماضي فيما أعتقد وهي (تجربة التّيار الجهاديّ في كنف طالبان منذُ قيام الإمارة ١٩٩٦ وإلى سقوطها بعد أحداث سِبتَمبر٢٠٠١ ثمّ تداعيات ذلك..)، أسأل الله أن يعيني عَلى إنجازه بعد إنجاز هذا الكتاب الهام، ويقدرني عَلى شهادة ترضيه ويعيني عَلى تبعاته، ويكتب لي أجره.

ولذلك ولكي تتم الفائدة من هذا الفَصل، سأورد هنا خُلاصة بأهم التَّجَارب الجهاديّة الّتي وقعت خلال النصف الثّاني من القرن الماضي، بحسب ما بلغني من أصحابها مباشرة من خلال معايشتي للتيار الجهاديّ، ولعلّ في هذا حافزا للأحياء من أصحاب تلك التَّجَارب كي يكتبوا عن تجاربهم.

وسأذكرها بحسب تسلسل ابتدائها التّاريخي إن شاء الله، وأهم تلك التَّجَارب:

١- تجربة حركة الشبيبة المغربية (١٩٦٣):

والّتي أسَّسَها الشَّيْخ عبد الكريم مطيع حفظه الله، وقد حاول إنشاء تنظيم جهاديّ مسلح للثورة عَلى نظام الملك الحسن الثّاني في المغرب، وقد اعتقلت خلايا التَّنظِيم وسجن كثير من عناصرها، وهاجر من نجى بمن فيهم الشَّيْخ عبد الكريم إلى خارج المغرب واندثر نشاط الحركة.

وقد عثرت عَلى كتابات للشيخ عبد الكريم مطيع وفيها فكر جهاديّ ناضج ومتميز بشكل عام، كما عثرت عَلى كتاب يؤرخ لتلك المحاولة، ثمّ فقدته مع مكتبتي في لندن بعد هجرتي المستعجلة في سنة (١٩٩٧)، ولم يمكن في ذلك الكتاب مادة تارِيخِيَّة أو منهجيّة مهمة، كما التقيت بأحد الأعضاء القدماء

من ذلك التَّنظِيم أثناء إقامتي في لندن (١٩٩٤-١٩٩٧) وحدثني عن فصول تارِيخِيَّة هامة في تجربتهم، ولكنها لا تحضرني الآن.

٢- تجربة تنظيم الجِهَاد المصري(١٩٦٥-٢٠٠٠):

كانَ للشهيد سيد قطب ﵀ تجربة محاولة بكي يضع دعوته وأفكاره موضع التنفيذ، وقد تأسس ذلك التَّنظِيم عَلَى نخبة من الشَّبَاب المُجَاهد في مصر ممن عاصروه، وكان أكثرهم من كوادر الإخوان المُسلِمِين في حينها، وقد نشرت وثيقة تارِيخِيَّة بعنوان (لماذا أعدموني) نسبت للشهيد الراحل (سيد قطب) يدل سياقها وشهادة بعض من عناصر عَلَى صحة نسبتها إليه، وبحسب تلك الوثيقة فقد ذكر سيد قطب ﵀ ؛ أن نخبة من الشَّبَاب المُجَاهد كانَ قد شكل بعض الخلايا السرية بغية مُوَاجَهة نظام عبد النّاصر إثر الهجمة الوحشية الّتي قامت بها أجهزة الأمن والقضاء المصري في عهد الهالك عبد النّاصر عَلَى الإخوان المُسلِمِين سنة (١٩٦٥)، ومن قبلها سنة (١٩٥٤) حيث إعدام بعض كوادرهم وسجن عشرات الآلاف منهم في السّجون التارِيخِيَّة الرهيبة، وقد ذكر في تلك الوثيقة؛ أن أولئك الفتية قد قصدوه ليكون أميرا لذلك التَّنظِيم وأنه قد قبل أن يكون موجها وأبا روحيا لهم، وأنه وضع معهم بعض المخططات العسكريّة، وذكر أنه اعتقل مع أولئك الشَّبَاب إثر تلك المحاولة.

وقد حكم عَلَى (سيد قطب) ﵀ بالإعدام وقتل مع نفر من أولئك الشَّبَاب، حيث وئدت تلك المحاولة في مهدها.

وقد سمعت من الدكتور (أيمن الظواهري) في بعض تسجيلاته، ولعلي سمعت في بعض الجلسات المباشرة أيضا، أن بعض تلاميذ سيد ومعاصريه من الشَّبَاب الّذين تأثروا بفكره، قد تابعوا النَّشَاط السري والدّعوة لأفكاره، لتتحول تلك النَّشَاطات فيما بعد إلى الخلايا الأولية لتنظيم الجِهَاد المصري الّذي إعتقلت بعض كوادره وقياداته إثر عمليَّة اغتيال أنور السادات (١٩٨١)، ومازالت قيد السّجن إلى يومنا هٰذا.

ويبدو أن محاولات جهاديّة عديدة قد حصلت في مصر بعد ذلك، وكان من أبرزها المحاولة الّتي دعيت بأحداث (الفنية العسكريّة)، وهي محاولة انقلابية محدودة وفاشلة، قادها الشّهِيد (صالح سريه) رحمه الله وحوكم فيها عدد من كوادر الجهاديّين وأعدموا.

ولكن تنظيم الجهاديّ عاد إلى النَّشَاط وتبلور بشكل جيد في عهد الإنفتاح زمن السادات في النصف الثّاني من السبعينات ثمّ تلا ذلك رحيل عدد من قياداته وكوادره وعلى رأسهم الدكتور (أيمن الظواهري) إلى أفغانستان سنة (١٩٨٦)، وقد عاصرت هذه التَّجربة عن قرب من خلال علاقتي الوطيدة مع أقطابها خلال تجربة الأفغان العَرَب بشوطيها في أفغانستان، ورغم أَنّي أعتقد أن التَّجَارب الجهاديّة في مصر هيَ من أنضج التَّجَارب الجهاديّة في العالم العربيّ والإِسْلَاميّ عَلى الصعيد الفكريّ والمنهجي وأكثرها عطاء ورسوخا، وكذلك فإنها من بين التَّجَارب الأهم عَلى الصعيد التَّنظِيمي والحَرَكيّ، إلا أَنّي علمت من الدكتور أيمن أن أحدا لم يتفرغ لكتابة تاريخها الّذي تملك وثائقه أقبية التعذيب والتحقيقات في أجهزة مباحث وأمن الحكومة المصريَّة، وقد اطلعت عَلى مسودات كتاب في هذا الصدد أرسله إلي الدكتور أيمن للإطلاع عليه مطلع سنة (٢٠٠١) في كابل، وكان طيبا، ولكنه كانَ محدودا جدا قياسا لطول وحجم تلك التَّجَارب، وقد ناقشت الدكتور في ذلك وحرضته عَلى التوسع فيه لأنه خير شاهد حي ومطلع وميداني، يتوجب في حقه كتابة ذلك التّاريخ، وكأنه اعتذر لأن المشاغل الحَرَكيّة كانت تشغله عمليا عَلى مدار الليل والنَّهَار في أفغانستان تلك الأيّام، واسأل الله أن يمد في عمره وعمر من تبقى من إخواننا من ذلك الجيل عسى أن تكتب تلك التَّجَارب،

وقد حاول الدكتور (أيمن الظواهري) وعدد من كوادر تنظيم الجِهَاد بعد وصولهم إلى أفغانستان العمل عَلى تأسيس تجربة جهاديّة مهمة ضمن تجارب التّيار الجهاديّ المعاصر، وذلك من خلال تجربتي الأفغان العَرَب (١٩٩٦-١٩٩١) و(١٩٩٦-٢٠٠١)م، وأختصر أهمّ ما يحضرني من تلك التَّجربة من خلال المعايشة والقرب من روادها ونشأتها بالنقاط التّالية:

- وصل الدكتور أيمن مع كوكبة من كوادر تنظيم الجِهَاد من مصر إلى بيشاور سنة (١٩٨٦م) وما تلاها، وذلك بعد أن كانَ قد سجن لثلاث سَنَوات عَلى ذمة قضية تنظيم الجِهَاد ودوره

في قتل السادات، وكان لهم حضور ونشاط بارز وسط الأفغان العَرَب خلال مرحلة (١٩٨٦-١٩٩١م).

- حصل تعاون عَلى أكثر من صعيد بينهم وبين (الشَّيْخ أُسَامَة بن لادن) الّذي كانَ يعتزم إنشاء تنظيمه الخاص الّذي عرف باسم القَاعِدَة آنذاك والّذي تأسس رسميّاً مطلع (١٩٨٨م) وقام عَلى جهد عدد من الكوادر والمدربين كانَ من أبرزهم كوادر تنظيم الجِهَاد، وكان من أبرز أولئك الشّهِيد (أبو عبيدة البنجشيري) ﵀ الّذي توفي أثناء إدارته لعمل القَاعِدَة في كينيا إبَّان إقامتها في السُّودَان(١٩٩٢- ١٩٩٦م) في حادث غرق سفينة في بحيرة (فكتوريا)، وكذلك الشّهِيد (أبو حفص المصري- محمّد عاطف) الّذي استشهد في معارك سقوط الإمارة نوفمبر(٢٠٠١م) في قصف أمريكي لمقر إدارته في قندهار وكان المسؤول العسكريّ للقاعدة، وقد استفاد تنظيم الجِهَاد من هذا التّعاون الّذي وفر له إمدادًا ماديًا مهمّاً مكَّنه من إنشاء معسكراته المستقلة في أفغانستان وإدارة الحركة ومتابعة نشاطه في مصر.
- كانَ خُلاصة البرنامج الاستراتيجي لتنظيم الجِهَاد المصري هو الاعتماد عَلى إحداث انقلاب عسكريّ يقوم به ضباط أعضاء في التَّنظِيم كانَ قد زرعهم في الجيش المصري منذُ أيّام أنور السادات، واستمرت خلاياه إلى أن قضي عليها مع حملات الاعتقالات الكثيفة الّتي تعرض لها التَّنظِيم فيما بعد، وكانت فكرتهم العامّة كما فهمتها مشافهةً من الدكتور أيمن في أكثر من جلسة خاصّة ؛ هيَ إحداث إنقلاب تدعمه خلايا عِصَابات كانَ يجري إعدادها خلال تلك الفترة.
- بعد مقتل السادات وبسبب تداخل العلاقات بين أعضاء تنظيم الجماعة الإِسْلَاميّة الّذين نفذوا العمليّة وأعضاء من تنظيم جماعة الجِهَاد الّذي كانَ لهم مشاركة فيها، اعتقل عدد من كوادر تنظيم الجِهَاد العسكريّين من أبرزهم الشّهِيد الرائد (عصام القمري) ﵀، ولكن تلك الضربة الأمنيّة لم تأثر عَلى سير عملهم السري، في خلايا الجيش ولا خلايا العمل السري المدني.

- بعد سياسة التصفية الّتي اتبعتها وزارة الداخليَّة المصريَّة، ولاسيما في عهد وزيرها المجرم (زكي بدر)، ضدّ تنظيم الجماعة الإِسْلَاميّة شبه العَلنيّ الّذي كانَ قد اعتمد إستراتجية الدّعوة المفتوحة والثَّورة الشعبيَّة متأثرا بأسلوب الثَّورة الإيرانية، قرر تنظيم الجماعة الإِسْلَاميّة الردّ عَلى استفزازات الدّولة وسياسة (الضرب في سويداء القلب) كما عبر عنها (زكي بدر)، عن طريق اغتيالات رؤوس النّظام مقابل اغتيالات الدّولة لرؤوس الجماعة، وقرر تنظيم الجِهَاد الّذي تشترك قيادته مع قيادة الجماعة الإِسْلَاميّة بالتواجد في بيشاور(باكستان) والولايات الحدودية في أفغانستان في تلك الفترة من الجِهَاد الأفغاني، قرر المساهمة في المُوَاجَهة نصرة لهم متجاوزا البرنامج السري في الإِعداد والتخطيط لانقلاب عسكريّ، ظنا منهم أن من الممكن أن يسير هذا البرنامج التكتيكي إلى جانب ذلك البرنامج استراتيجي.
- أدى اعتقال أحد العناصر المدنيّة من تنظيم الجِهَاد السري إلى اعتقال أحد الضُّبَّاط من أعضاء التَّنظِيم العسكريّ، وجر هذا الاعتقال تدريجيا إلى معظم الكوادر العسكريّة للتنظيم، وبدأ الانهيار في تنظيم الداخل (في مصر)، وذلك فيما أذكر أواخر (١٩٨٩) أو أوائل (١٩٩٠م).
- تتابعت الكارثة وتلقي التَّنظِيم ضربتين أمنيتين بعد ذلك وأودت إحداهما بنحو(٩٠٠ معتقل) من التَّنظِيم السري المدني والتالية بنحو(٦٠٠ معتقل)، كانوا يشكلون معظم القَاعِدَة الشَّبَابية للتنظيم داخل مصر والَّتي كانَ قد تمَّ إعدادها عَلى أعلى المستويات خلال مرحلة الجِهَاد الأفغاني.
- غادرت قيادة تنظيم الجِهَاد إلى السُّودَان برفقة الشَّيْخ أُسَامَة بن لادن ونخبة قيادته وكوادره، عَلى أثر نجاح الإِسْلَاميّين بالإنقلاب الّذي أوصل الترابي والبشير إلى السّلطة، وابتدأ تنظيم الجِهَاد العمل من جديد في ظروف مواتية جدا نتيجة وجودهم عَلى الحدود الجنوبية الطويلة لمصر مع السُّودَان، وكان ذلك بدعم وترتيب مع الحكومة الجَدِيدة في السُّودَان وأجهزة استخباراتها، وكذلك فعلت الجماعة الإِسْلَاميّة، وافتتح التَّنظِيم معسكرا وعددا من القواعد له في الخرطوم وبدأ بإعادة ترتيب أوراقة بدعم وتمويل من الشَّيْخ أُسَامَة كما عرف ذلك

واشتهر فيما بعد، وكان الهدف إسقاط نظام حسني مبارك وإقامة حكومة إسلاميّة في مصر، حكومة تقلب التوازن الإستراتيجي مع كلّ أنواع الأَعدَاء في منطقة الشّرق الأوسط،

- عصفت أعاصير السّياسة بهذا البرنامج، وقلبت القيادة السُّودَانية ظهر المجن للجهاديّين فيها، وابتدأت بالأخوة الليبيين ثمّ المصريين ثمّ الباقين بمن فيهم الشَّيْخ أُسَامَة الّذي وقف معهم منذُ انطلاقتهم موقفا بطوليا وجريئا، وساعدهم في إعادة تسليح الجيش، وبناء الاقتصاد، ولكنهم خانوا الوفاء ونكثوا العهود.
- أدت هذه الضربة إلى تدمير ما كانَ قد بني من جديد من برنامجهم في مصر، وأجبرت الحكومة السُّودَانية الشَّيْخ أُسَامَة عَلى وقف تمويل برنامج العمل في مصر، ثمّ ضغطت عَلى الجميع وانتهت بطردهم.
- لحق الدكتور أيمن ومن تبقى من كوادره، بالشَّيْخ أُسَامَة بأفغانستان في ظل طالبان بعد عدّة رحلات من التَّشريد في عدد من البلدان خلال (١٩٩٦-١٩٩٨)، وآثر عدد آخر ممن تبقى من الكوادر والخلايا الانتظار في دول الشتات المختلفة.
- عاود تنظيم الجِهَاد وتنظيم القَاعِدَة تجربة التّعاون والبناء في مجالات التّمويل والتّدريب، ولكن الشَّيْخ أُسَامَة كانَ قد توصل إلى قناعة راسخة بتوحيد الإتجاه في مجال مُوَاجَهة أمريكا، فيما بقي تنظيم الجِهَاد كغيره من التَّنظِيمات عَلى (تطلعاته القطريّة وأسلوب السري ومنهجه الفكريّ الجهاديّ).
- وقع الدكتور أيمن عَلى بيان الشَّيْخ أُسَامَة بإعلان (الجبهة العَالَمِيّة لتحرير المقدّسات)، أواخر سنة(١٩٩٧) فيما نأت الجماعة الإِسْلَامِيّة بنفسها بعيدا عن ذلك، وسرعان ما بدأ تنظيم الجِهَاد يدفع ثمن ذلك التوقيع في مواجهات الحملات الأمنيّة الأمريكيّة العَالَمِيّة عَلى الإِرهَاب، وبدأت تتساقط كوادره وعناصره المتناثرة في مختلف دول العالم، واختطف العديد منهم من دول مختلفة وسلموا إلى مصر، من تايلاند، إلى ألبانيا، إلى أذربيجان، إلى الإمارات

العربيّة وغيرها، فيما أعتقل بعض أعضائهم في دول أُخرى لم تسلمهم وأودعوا السّجون فيها كما في بَرِيطَانيَا.

- استمر الدكتور أيمن بعزيمته الفريدة، وصبره الدؤوب مع من تبقى من كوادر بمتابعة المحاولة ولم يستلم للأمر الواقع الّذي فرضه النّظام العَالَمِيّ الجَدِيد، والّذي جعل المحاولات الجهاديّة القطريّة السرية الهرمية خارج التّاريخ عمليا.
- افتتح التَّنظِيم معسكرا خاصا به، واستقطب من تبقى من كوادره وحاول الاستئناف، ولكن الظّروف والمعطيات عامة ولاسيما الأمنيّة منها، حيث عصفت الاعتقالات بالتَّنظِيم في الخارج، جعلت الشَّيْخ الدكتور أيمن الظواهري يقتنع بالاتجاه المتاح للجِهَاد والعمل في أفغانستان مع الشَّيْخ أُسَامَة بن لادن في حربه مع أمريكا لأسباب واقعية لقناعات سياسيّة وميدانية بدأت تتشكل عنده، وقد تابعت هذا التّحول معه بنفسي وتحدثت معه عن ملابساته طويلا قبيل أحداث سِبتَمبر بقليل، وربما أعرض لشيء من تفاصيل ذلك في الكتاب الّذي سأفرده لتاريخ الأفغان العَرَب في مرحلة طالبان إن شاء الله وليس هنا مكان هذه التفاصيل.
- أعلن الدكتور أيمن بيعته للشيخ أُسَامَة بن لادن وضم تنظيم الجِهَاد لتنظيم القَاعِدَة أواسط سنة (٢٠٠١) رسميا، مما أدى لانشقاق الحفنة من الرّجال الّذين تبقوا معه من الكوادر في أفغانستان إلى فريقين، فريق وافقه عَلى هذا التوجه، وفريق أصر عَلى متابعة الجهد في بَرَامج العمل لإقامة حكومة إسلاميّة في مصر عَلى أنقاض حكومة حسني مبارك عن طريق الجِهَاد بالأسلوب القديم، واعتبروا حلَّه للتنظيم غير مشروع وأن مهمة الأمير إدارة التَّنظِيم وليس حله وإلحاقه بتنظيم آخر، وقاد هذا الفريق الأخ أبو السمح (ثروت صلاح شحاتة)، وهو محامي من الكوادر القديمة في التَّنظِيم ومن قدماء الأفغان العَرَب أيضا.
- لم تمهل أحداث سِبتَمبر كلا الجناحين كي يمضي بعيدا في بَرَامجه وطموحاته، وسرعان ما اجتمع كلّ من تبقى من الأفغان العَرَب في معركة المصير والدّفاع عن النّفس وعن الإمارة الّتي كانَ القدر قد رسم ظروف سقوطها، واستشهد معظم من تبقى من الكوادر في تلك

المعارك وتحرك الدكتور أيمن الظواهري بعد أن بذل وسعه واستشهدت زوجته وابنه الوحيد محمّد وطفلته الرضيعة رحمهم الله، خلال هجمات القصف الوحشي الّتي قام بها الطيران الأمريكيّ، واستقر مع الشَّيْخ أُسَامَة في مخبئهم المتنقل - حفظهم الله - ليتابعوا مسار الجِهَاد والتّحريض كما هو مشهود، وسارت كوكبة أُخرى مع الأستاذ (ثروت شحاته) عَلى دروب الهِجرَة والتَّشريد مرّة أُخرى لتستقر في سجون إيران كما أعلنت ذلك وسائل الإعلام.

- وكانت هذه خُلاصة المسار الحَركيّ لتنظيم الجِهَاد الّذي تابعة الدكتور أيمن في خارج مصر، ولا أدري إن كانَ ثمة براعم له لعلّ الله يكتب له النمو واستئناف المسار والمد في مصر مع السائرين.
- أما عن الهويّة الفكريّة لتنظيم الجِهَاد المصري، فمن خلال العرض السابق، ربما يمكن القول بأن التَّنظِيم قد انتهى حركيا، ولد أواسط الستينات وانتهى في أخدود سِبتَمبر (٢٠٠١).

ولكن من الأهمّيّة بمكان، أن نذكر أن المدرسة الفكريّة لتنظيم الجِهَاد تبقى الأبرز والأهم والأرسخ في هذا القرن الأخير، فقد بدأت بمكتبة سيد قطب رحمه الله، والَّتي تضم أساسِيَّات الفكر الجهاديّ المعاصر، ثمّ كانَ لتنظيم الجِهَاد في مرحلة الجِهَاد الأفغاني أثناء نشاطه في بيشاور إنتاج أدبي ثر ومهم، كانَ من أهمه: كتاب (العمدة في إعداد العدة) للشيخ عبد القادر بن عبد العزيز، وكتابه القيم الآخر (الجامع في طلب العلم الشريف)، والّذي أخرج التَّنظِيم نسخة معدلة منه باسم (الهادي إلى سبيل الرشاد)، وكذلك سلسلة من النشرات الهامة الّتي أصدرها تباعا في بيشاور خلال الفترة (١٩٨٨-١٩٩٢)، بالإضافة لعدد من التسجيلات الصوتية والمرئية للدكتور أيمن الظواهري - حفظه الله - ولا تأتي أهمية الدَّور الفكريّ والمنهجي لتنظيم الجِهَاد المصري من أهمية مكتبته فقط وإنما من كونها صارت أساسا فكرياً ومنهجيا لأغلبية التَّنظِيمات والتَّجَمُّعات ومعظم الأفراد في التّيار الجهاديّ منذُ مطلع التسعينات وإلى اليَوْم، وصار عليها مدار كافّة ما كتب فيما بعد من الإنتاج الفكريّ والإعلاميّ لمختلف شرائح التّيار الجهاديّ والأفغان العَرَب، وكذلك لما عرف باسم (السّلفيّة الجهاديّة) أو غيرها من المدارس الجهاديّة في العصر الحديث، فجزاهم الله كلّ خير وتقبل منهم بفضله وكرمه، كما كانَ

للكوادر العسكريّة الأولى لتنظيم الجِهَاد المصري في ساحة الجِهَاد الأفغاني ومجموعة الكوادر العسكريّة والمدربين الأفذاذ الّذي عملوا في ساحة الجِهَاد العربيّ في أفغانستان في شوطه الأوّل (١٩٨٦-١٩٩٢) والثّاني (١٩٩٦-٢٠٠١)، دور ترك بصماته الهامة ضمن مجموع الجهود العسكريّة والميدانية لكوادر الجِهَاد العربيّ في أفغانستان، سواء من خلال ما تركوه من تراث مكتوب في مجلات الإعداد العسكريّ والحَركيّ، أو من خلال الجهود العمليّة في تدريب الجهاديّين من الجنسيات الأخرى والكثير من الكوادر الّتي تخرجت عَلى أيديهم وأيدي أقرانهم، ومن ثمّ تابعت العطاء من بعدهم، فجزاهم الله عن الإِسْلَام والمُسلِمين خير الجزاء وتقبل منهم أحسن ما عملوا إنه سميع مجيب.

وأما عَلى الصعيد الشخصي فقد عرفت تجربة جماعة الجِهَاد عن كثب، وربطتني بمعظم قياداتها ممن حضر أفغانستان علاقات أخوة وصداقات حميمة، بالإضافة لعلاقات العمل والتّعاون في ميادين عديدة، بدءا بالدكتور أيمن الظواهري وانتهاء بمعظمهم، وقد رأيت فيهم نماذج فذة للمُجَاهدين العقائديين الصابرين الفرارين بدينهم، فرحمهم الله وأجزل مثوبتهم، وعلى الصعيد الفكريّ فإني ممتن جدا للفضل الكبير الّذي نالني عَلى الصعيد الفكريّ باحتكاكي بهم وتعرفي عليهم، ولا أنسى أن أسجل شكري وتحيتي للشيخ الدكتور عبد القادر بن عبد العزيز (سيد إمام الشريف) مفتي جماعة الجِهَاد وعالمها وأميرها في مرحلة أفغانستان، فقد تركت كتبه ومعرفته ومحاوراتي معه في نفسي وفكري بالغ الأثر، فرج الله عنه، وكذلك الدكتور المُجَاهد والنموذج الفذ: الشَّيْخ أيمن الظواهري حفظه الله، فقد أثر بي كمفكر وكاتب وكقدوة رائعة حفظه الله، وغيرهما كثير، وأكثرهم قضى نحبه نسأل الله أن يجمعني بهم في الرفيق الأعلى.

٣- التَّجربة الجهاديّة في سوريا: (١٩٦٥-١٩٨٣):

- يعود تأسيس التَّجربة الجهاديّة في سوريا إلى الشَّيْخ مروان حديد رحمه الله، والّذي كانَ قد تربى في الإخوان المُسلِمين، وأثناء دراسته للهندسة الزراعية في مصر، تأثر بأفكار سيد قطب رحمه الله، وعاد إلى سوريا ممتلئا حماسا فيما كانَ حزب البعث العلماني القومي الاشتراكي قد استولى عَلى السّلطة، فنشط عبر المساجد في مدينة (حماة) بالخطابة والأمر بالمعروف والنهي عن المُنكر، والدّعوة

لتحكيم الشّريعة واعتقل مرارا، وفي سنة (١٩٦٥) داهمت قوّات الحكومة عليهم أحد المساجد واشتبك مع عدد من تلامذته في صدام مسلح مع السّلطة، فاستشهد عدد منهم، وأعتقل الشَّيْخ وآخرون وحكم عليهم بالإعدام، ثمّ اضطر رئيس الدّولة آنذاك الرَّئيس (أمين الحافظ) إلى الإفراج عنهم تحت ضغط العُلَماء في سوريا وعلى رأسهم الشَّيْخ محمّد الحامد رحمه الله،

- كانَ الشَّيْخ مروان قد تنبه إلى أن مُوَاجَهة كبرى مع النّظام البعثي لا بُدَّ آتية، وأنذر مبكرا من مشروع طائفي نصيري قادم، ولما لم يستطع إقناع الإخوان المُسلِمِين بالإِعداد للمُوَاجَهة، توجه بنفسه وتلاميذه للإعداد من خلال العمل المُسلّح مع منظّمة التحرير الفلسطينية من خلال الفصيل الإِسْلَاميّ فيها، وتمكن من إعداد النُّخبَة الجهاديّة الأولى لتنظيمه الجهاديّ
- سنة (١٩٧٠) قام حافظ الأسد والمجموعة النصيرية العلوية في الجيش وحزب البعث بانقلاب أبيض دعي بـ (الحركة التصحيحية)، وهكذا قفزت الطَّائِفَة النصيرية من غلاة الشّيعة الباطنية للمُوَاجَهة لتتولى السّلطة جهارا نهارا وتحكم المُسلِمِين في سوريا، تماما كما كانَ قد حذر منه الشَّيْخ مروان رحمه الله.
- وعاد الشَّيْخ مروان حديد رحمه الله للتحرك للمُوَاجَهة من جديد، وسعى مع قيادة شطري تنظيم الإخوان المُسلِمِين في سوريا الّذين كانوا قد انقسموا خلال تلك المدة، من أجل السعي في توحيدهم عَلى مشروع مُوَاجَهة النّظام، ولكن كلا الجناحين، التَّابع للتنظيم الدّولي برئاسة (الشَّيْخ عبد الفتاح أبو غدة) رحمه الله، ونائبه (عدنان سعيد الدّين)، وكذلك لجناح الآخر بزعامة (عصام العطار)، اتفقا – رغم إختلافهما الكبير –على رفض مشروع الإِعداد للمُوَاجَهة وآثرا الاستمرار في منهجهما الدعوي السلمي.
- ولما اقتنع الشَّيْخ مروان حديد رحمه الله، بعدم إمكانية إقناع الإخوان المُسلِمِين بالمُوَاجَهة، شكل تنظيمه الخاص الّذي أسماه (الطليعة المقاتلة لحزب الله)، وكون له ثلاث نويات رئيسيه في مدينته (حماة) مسقط رأسه، وميدان حركته الرَّئيسي، وفي (حلب) ثاني أهمّ مدن سوريا، وفي العاصمة (دمشق)، حيث إنتقل إليها مختفيا من أجل الإِعداد للمُوَاجَهة مع النصيرية.

- طرد الإخوان المُسلِمُون مروان من تنظيمهم مع مجموعة ممن تأثروا بأفكاره الثّوريّة الجهاديّة، وحاولوا كبح جماحه، ولكنه تابع تجنيد أنصار له معظمهم من شباب الإخوان وقال قولته الشهيرة: (**لئن أخرجني الإخوان من البَاب، لأدخلن عليهم من الشباك، ولأجرنهم للجِهَاد..**)، وهذا ما حصل فعلا.
- اعتقل الشَّيْخ مروان حديد سنة (١٩٧٠) بعد اشتباك مسلح مع المخابرات في مخبئه في دمشق، ومكث في السّجن إلى سنة (١٩٧٥) حيث فقد نصف وزنه تحت التعذيب، ثمّ أعدم بحقنة سامة في السّجن كما روي آنذاك، ودفن رحمه الله، وغيب قبره ولم يسمح لأهله أن يعلنوا له جنازة.
- آلت قيادة تنظيم الطليعة المقاتلة إلى تلامذته، وتسلم الإمارة من بعده الشّهِيد عبد الستار الزعيم رحمه الله، واتخذت الطليعة خُطّة سرية للمُوَاجَهة عبر الاغتيالات النوعية لرؤوس الدّولة من كبار النصيرية، ونفذوا ذلك خلال الأعوام (١٩٧٥-١٩٧٩)، ولم تستطع الدّولة أن تتعرف عَلى هويتهم إلا في آخر تلك المدة بالتّعاون مع المخابرات الأردنية.
- أعلنت الطليعة الجِهَاد عَلى النّظام في سوريا صيف (١٩٧٩) في شهر شعبان (١٣٩٩) وأعلنت عن نفسها باسمها الجَدِيد (الطليعة المقاتلة للإخوان المُسلِمِين)، وابتدأت حرب عِصَابات مدن عَلى مستوى القطر السّوري بكامله.
- أعلن الإخوان المُسلِمُون (الجناح الرَّئيسي المرتبط بالتَّنظِيم الدّولي) ابتداء براءتة من تلك المُوَاجَهة، وطالب بلجان تحقيق تثبت عدم علاقتهم بالأحداث، في حين تبنى عصام العطار المُوَاجَهة ونسبها إليه، ونشر أرقام حساباته البنكية لجمع التبرعات، للجِهَاد طبعا، من ألمانيا!!
- اضطرب نظام حافظ أسد تحت وقع الضربات العسكريّة للمُجَاهدين من الطليعة، وقرر مُوَاجَهة وتصفية كافّة فصائل الإخوان المُسلِمِين، ومن ثمّ طور المُوَاجَهة لتشمل كافّة طيف الصّحوة الإِسْلَاميّة، بل وكافة الشريحة المتدينة في البلد، واتخذت المُوَاجَهة شكل حرب بين أهل السّنّة وهم جمهور المُسلِمِين في سوريا وبين الأقلية (النصيرية) الّتي تدعى بالطّائفة (العلوية) كما سماهم الفرنسيون أيّام الإحتلال، ليلبسوا أمرهم عَلى النّاس.

- نتيجة انتصارات المُجَاهدين من جهة نتيجة، والطمع في قطف الثمرة حملة حافظ أسد عليهم من جهة أُخرى، أعلن الإخوان المُسلِمُون دخولهم الحَرب ضدّ النّظام أواخر (١٩٧٩) بعد عدّة أشهر من اندلاعها، وتبنوا المُوَاجَهة وراحوا يعملون عَلى الاستيلاء عَلى قيادتها والاستحواذ عليها من الطليعة، ولعبت سياستهم تلك الدّور الرَّئيسي - وإن لم يكن الوحيد - في إجهاض الجِهَاد المُسلّح ضدّ النّظام في سوريا.
- نتيجة أسباب داخليَّة ونتيجة سياسة الإخوان، ونتيجة الضربات الأمنيّة للحكومة الّتي نجحت باستعادة زمام المبادرة، تقهقرت الطليعة المقاتلة، وصفي معظم كوادرها قتلا وسجنا، واضطر من تبقى منها للخروج إلى دول الجوار، حيث فتحت حكومتا العراق والأردن، المناوئتين للنظام السّوري آنذاك الأبواب للمعارضين السوريين من كلّ مكوّنات الطيف السّياسيّ.
- إستطاع الإخوان المُسلِمُون بقيادة عدنان سعيد الدّين الاستحواذ عَلى قيادة الثَّورة الجهاديّة في سوريا وجر من تبقى من الطليعة وكذلك تنظيم عصام العطار، بالإضافة إلى شريحة كبيرة من جماعات العُلَماء في سوريا عَلى الانضواء تحت قيادتهم منذ(١٩٨٠).
- **قاد الإخوان المُسلِمُون مسيرة الفشل السّياسيّ والعسكريّ الشّامل للثورة الجهاديّة في سوريا، إلى أن تمَّ إجهاضها في مواجهات حماة (١٩٨٢) الدامية، حيث قضي عَلى الأجهزة العسكريّة لكافة الفرقاء، وتكبد المُسلِمُون خسائر تجاوزت (٥٠,٠٠٠) قتيل في أشهر عمليَّات إبادة جماعية ارتكبتها حكومة عربيَّة في القرن العِشرين.**
- وهكذا انتهت التَّجربة الجهاديّة السوريّة الّتي تمثل أهمّ وأطوال تجربة مُوَاجَهة للتيار الجهاديّ المُسلّح ضدّ حُكُومَات الرِّدَّة في العالم العربيّ والإِسْلَاميّ.
- وقد يسر الله للعبد الفقير كاتب هذا الكتاب أن يؤرخ لتلك المَرحَلَة الهامة، خلال فترة (١٩٧٥-١٩٨٥)، وذلك في الكتاب الّذي كانَ بعنوان (الثَّورة الإِسْلَاميّة الجهاديّة في سوريا آلام آمال) وقد كتبته خلال (١٩٨٥-١٩٨٧)، ونشر في بيشاور أواخر(١٩٩٠م)، ويحتوي تسجيلا وافيا لتلك التَّجربة.

- وقد يسر الله لي مواكبة تلك المَرحَلَة حيث كنت قد التحقت بتنظيم الطليعة المقاتلة مطلع سنة ١٩٨٠، ثمّ وبعد خروجي من سوريا آخر ذلك العام، التحقت بتنظيم الإخوان المُسلِمِين في سوريا والّذي استقر في الأردن وعملت في الجهاز العسكريّ للتنظيم، وكنت خلال أحداث انتفاضة حماة ١٩٨٢، واحدا من أعضاء القيادة العسكريّة لتنظيم الإخوان المُسلِمِين الّذي تشكل في بغداد، من كوادر الجهاز العسكريّ – الّذين كنت واحدا منهم – ومن القيادة السّياسيّة العليا للإخوان السوريين، مما مكنني من الإطلاع عَلى خفايا سير تلك الأحداث وأسباب هزيمتنا فيها، وهو ما سجلت تاريخه وخلاصة دروسه في كتابي آنف الذكر.

٤- حركة الدّولية الإسْلَاميّة في الجَزَائِر (١٩٧٣-١٩٧٦):

وهي حركة جِهَاد مسلحة أسَّسَها وقادها في الجَزَائِر الشّهِيد (مصطفى بوعلي)، وقد كانَ رَحِمَهُ اللهُ من المُجَاهدين الّذين شاركوا في ثورة التحرير الجَزَائِرية سنة (١٩٥٤)، فلما أفضت إلى الإستقلال عام (١٩٦٣) وجد أن العلمانيين والشُّيُوعِيّين والاشتراكيين قد غلبوا عليها وحصدوا ثمرة جِهَاد شعب الجَزَائِر الّذي استمر لأكثر من قرن من الزَّمن، فأسس تلك الحركة لاستئناف الثَّورة والجِهَاد من أجل تحكيم شريعة الله في الجَزَائِر.

وقد قام بحركته في عهد الرَّئيس (الشاذلي بن جديد) سنة (١٩٧٣)، وقد سمعت له بيانا مسجلا موجها لرئيس الدّولة يأمره فيها وينهاه، ويتوعده بالجِهَاد إن لم يحكم الشّريعة في الجَزَائِر، كما سمعت له بعض الأشرطة يتحدث فيها عن مبادئه الجهاديّة وينذر علماء السُّلطَان، ولم تطل بحركته المدة، إذ وقع في كمين للاستخبارات الجَزَائِرية أثناء موعد له مع بعض تجار السّلاح وقتل رَحِمَهُ اللهُ سنة (١٩٧٦) واستشهد بعض أعوانه وقبض عَلى آخرين وحوكموا وسجنوا.

وقد حاول بعض تلامذته إحياء الحركة إثر انطلاق الجِهَاد ضدّ الحكومة بعد الانقلاب العسكريّ عَلى المسار الديمقراطي سنة (١٩٩١)، ودخلوا طرفا في محاولة الوحدة الجامعة للجماعة الإِسْلَاميّة المُسلّحة سنة (١٩٩٣)، قبل انشطار ها واستيلاء التكفيريين عليها كما ستأتي الإشارة لذلك إن شاء الله.

٥- تجربة الجماعة الإسْلَاميّة مصر (١٩٧٥-٢٠٠١):

و أوجز خُلاصة تجربتها بحسب ما حصلته من المعلومات عنها من خلال الإطلاع عَلى تراثها الأدبي واحتكاكي بالعديد من روادها ومؤسسيها عبر مراحل الجِهَاد في أفغانستان وخلال إقامتي في أوربّا.

فقد تأسست الجماعة ونشطت في عدد من الجامعات المصريَّة بدءا من عام (١٩٧٥)، إثر سياسة (السادات) بالانفتاح وإطلاق المجال للجماعات الإسْلَاميّة، بغية الحد من نشاط التّيارات السّياسيّة اليسارية الّتي شهدت نموا في تلك الفترة، وقد نشأت الجماعة الإسْلَاميّة عَلى منهج فرج بين الفكر الإخواني والمنطلقات السّلفيّة، وجعلت من تطبيق الشّريعة في مصر هدف مشروعها، وقد نحت الجماعة منحا شعبيا من خلال تبني قيادتها للدعوة العلنية والأمر بالمعروف والنهي عن المُنكر، وتطبيق بعض الحسبة في بعض المجلات، وانتشرت خلايا ها عبر المساجد في مصر، وكان منشؤها أصلا في الصعيد، وإليه ينتمي معظم قياداتها، ولكنها امتدت إلى جامعات الوجه البحري في شمال مصر، وقد اتخذت قياداتها من الشَّيْخ الدكتور (عمر عبد الرَّحْمٰن) أميرا عاماً لها، لما عرف عنه- فرج الله كربه - من مواقف العزيمة منذُ هلاك (عبد النّاصر)، حيث أفتى بعدم جواز الصّلاة عليه عنه هلاكه، ثمّ عدد من المواقف الأخرى في عهد السادات.

- وإثر زيارة السادات الخيانية لإسرائيل وإعلانه لاتفاقيات (كامب ديفيد) وبرنامج الصُّلح والتطبع مع اليَهُوْد، نحت الجماعة الإسْلَاميّة منحا فكرياً جهاديّا، وصدرت عن أحد أقطابها وهو(الشّهِيد عبد السَّلام فرج)، أحد أهمّ الأبحاث الجهاديّة في العصر الحديث، وهو رسالة (الفريضة الغائبة) وكانت أهميته نابعة من احتوائه عَلى أهمّ فتاوى الجِهَاد المعاصر ضدّ الحُكُومَات القائمة في البلاد العربيّ والإسْلَاميّة ومنها مصر، والحكم عليها بالردة والإفتاء بجِهَادها وقتال جنودها ورجال أمنها وقياس أحوالها عَلى فتاوى ابن تَيمِيّة في قتال التّتار ومن كانَ من أعوانهم من المُسلِمِين المكرهين أو الجاهلين، وكانت هذه الرّسالة من أهمّ بواكير انطلاق مدرسة السّلفيّة الجهاديّة المعاصرة.

- ثمّ ما لبثت الجماعة الإِسْلَاميّة أن وفقت في تنفيذ العمليّة البطولية وأعدمت الرَّئيس الخَائِن (أنور السادات) في حادث المنصة الشهير، أثناء الاستعراض العسكريّ السنوي سنة (١٩٨١)، عندما خرج السادات عَلى قومه في زينته فخسف الله به وبمنصته وأرداه قتيلا، وقد قاد العمليّة شهيد الجماعة الإِسْلَاميّة وشهيد مصر والتّيار الجهاديّ المعاصر، (الشّهِيد البطل خالد الإِسْلَامبولي رَحِمَهُ اللهُ)، وكان ذلك ضمن برنامج انقلابي ضدّ الحكومة في مصر، لم يقدر أن ينجح منه إلا فقرة اغتيال السادات.
- وإثر تولي حسن مبارك زمام السّلطة خلفا لسلفه الهالك أنور السادات، دخلت الجماعة الإِسْلَاميّة في حرب استنزاف مع الحكومة المصريَّة الّتي وضعت مخططا لتصفيتها باعتقال كوادرها واغتيال رؤوسها، وافتتحت ذلك باغتيال أحد أبرز دعاتها وهو الشّهِيد (علاء محيي الدّين)، وتابعت سياستها هذه ولاسيما في عهد وزير الداخليَّة المجرم سيء السمعة (زكي بدر)، وهكذا قررت قيادة الجماعة الإِسْلَاميّة دخول حرب استنزاف وتصفيات واغتيال مع الحكومة الّتي بدأت حملات الاعتقال في صفوفها.
- وجدت قيادة الجماعة الإِسْلَاميّة في مصر في الجِهَاد الأفغاني ضدّ الرُّوس ساحة ممتازة، وفرصة ساحة لتدريب كوادرها والامتداد والتَّنظِيم، فكان لها حضورا بارزا في مدينة بيشاور في باكستان، وفي المُعَسْكَرَات والجبهات العربيَّة في أفغانستان، وكان من أبرز الحاضرين من قياداتها في أفغانستان الشَّيْخ (عمر عبد الرَّحمٰن) والشَّيْخ (رفاعي طه) والأخ طلعت (فؤاد قاسم) فرج الله عنهم جميعا، والأخ (محمّد الإِسْلَامبولي) – أخو الشّهِيد خالد قاتل فرعون مصر– والأخ مصطفى حمزة، وغيرهم، وقد قدمت الجماعة الإِسْلَاميّة بمصر كوكبة من خيرة أبنائها وكوادرها شهداء في معركة الإِسْلَام من خلال الجِهَاد العربيّ في أفغانستان.
- إثر العواصف الأمنيّة الّتي هبت عَلى أفغانستان وباكستان بإيعاز من أمريكا بعيد سقوط النّظام الشُّيُوعِيّ في كابل، شاركت المخابرات المصريَّة بشكل كبير في الحملة الأمنيّة عَلى الأفغان العَرَب بالتّعاون مع المخابرات الباكستانية، وخرج معظم قيادات وقواعد الجماعة الإِسْلَاميّة المصريَّة إلى

السُّودَان بناء عَلى دعوة وتسهيلات من حكومة الإنقاذ برئاسة عمر البشير وجماعة الدكتور حسن الترابي الّتي فتحت المجال وسعت لاستيعاب العَرَب في السُّودَان، وكان عَلى رأسهم الشَّيْخ أُسَامَة بن لادن والجماعتين المصريين المُسلّحتين، جماعة الجِهَاد، والجماعة الإِسْلَاميّة، حيث وعدتهم بفتح المجال لهم للعمل من خلال حدودها الشمالية مع مصر، وفعلا بدأت الجماعة العمل الميداني من هناك، ثمّ حصل لها ما حصل لجماعة الجِهَاد والآخرين وطلب منهم الرحيل تحت تهديد السّلاح من قبل الأمن السُّودَاني لما قرر(الأزوال الأشاوس) تغيير سياستهم والركوع للسياسة الأمريكيّة وتابعتها المصريَّة، وتفرق قيادات الجماعة الإِسْلَاميّة في عدد من البلدان وتوجه أكثرهم لليمن، وتحت المطاردات وحملات إلغاء الملاذات الآمنة، توجه البارزون منهم إلى إيران، ويمم بعضهم شطر الملاذات الآمنة تحت ستائر اللجوء السّياسيّ في أوربّا، فكان من أبرز من توجه إلى إيران الشَّيْخ (رفاعي طه)، والشَّيْخ مصطفى حمزة، والشَّيْخ محمّد شوقي الإِسْلَامبولي وآخرين، في حين كانَ من أبرز من توجه إلى أوربّا، أبو طلال - طلعت فؤاد قاسم- الّذي استقر في الدانمرك، وأُسَامَة رشدي عضو مجلس شورى الجماعة، وذلك أواخر (١٩٩٥).

- وكانت الجماعة الإِسْلَاميّة بمصر عَلى علاقة طيبة مع التّيار الخميني في الحكومة الإيرانية بحكم عن موقفها الخاص المختلف عن موقف كافّة طيف التّيار الجهاديّ من الحكومة الإيرانية، فأثنت عَلى تجربتها الثّوريّة (الإِسْلَاميّة) وإطرائها في بعض أدبياتها، كما دأب بعض مسؤولوها ومنهم الدكتور عمر عبد الرَّحْمٰن فرج الله عنه، على حضور بعض المؤتمرات الّتي تنظمها حكومة إيران هنا وهناك، فوفر لهم هذا جسرا لملاذ آمن هناك في فترة العواصف العاتية تلك.

- ورغم أن معظم إن لم يكن كافّة البارزين من قيادات ورموز التّيار الجهاديّ وكوادره، وكثير من قواعده البشرية بدأت هِجرَة شبه جماعة إلى أفغانستان، عبر ما اصطلحت عليه باسم (الشوط الثّاني للأفغان العَرَب) خلال الفترة (١٩٩٦-٢٠٠١)، إلا أن القيادات البارزة للجماعة الإِسْلَاميّة الّتي استوطنت إيران آثرت البقاء هناك، والتميز بموقف واضح يختلف عن الإتجاه العام للتيار الجهاديّ من أفغانستان وكان من أبرز ملامح ذلك الموقف:

١. عدم تأييد طالبان صراحة، وعدم الانخراط في دعمهم ضدّ تحالف الشمال المكون من قدماء زعماء الجِهَاد الأفغاني، بل والحذر من الاستدراج نحو أفغانستان.

٢. نأت الجماعة الإِسْلَاميّة بنفسها بكل وضوح عبر وسائل إعلامها ولاسيما موقعها الناشط عَلى الإنترنت عن توجهات بن لادن في حربه المشرعة مع الأمريكان عَلى عكس ما فعلته جماعة الجِهَاد بقيادة الدكتور أيمن الظواهري، ولما نوهت القَاعِدَة بتعاون الجماعة معها، نفت الجماعة ذلك في بيان صرح مفندة ذلك الادعاء.

٣. تبنت الجماعة مبدأ وقف الدّعوة للمُوَاجَهة المُسلّحة مع الحُكُومَات، وأعلنت (مبادرة لوقف العنف في مصر ضدّ الحكومة المصريَّة من طرف واحد)، وهذا الموضوع يستأهل الوقوف معه لأنه نحى بالجماعة في اتجاه آخر خرج بها عن مسار التّيار الجهاديّ كله، وترك عليه آثارا تتعدى خصوصيات الجماعة.

الجماعة الإِسْلَاميّة بمصر ومبادرتها لوقف العنف من طرف واحد مع الحكومة المصريَّة:

- تميزت الجماعة الإِسْلَاميّة بمصر عن عموم التّيار الجهاديّ بفوارق فكريّة هامة انعكست فيما بعد عَلى مسارها، وكان من أهمّ تلك الفوارق:
- تبنيها فكرا يمكن اعتباره وسطا بين فكر (الصّحوة عامة) وفكر (التّيار الجهاديّ) من حيث مسائل الحاكِمِيَّة، فقد أعلنوا عن قناعتهم بردة الحاكم الأعلى في بلدان المُسلِمِين الّتي تحكم بغير ما أنزل الله، ومنها مصر واقتصروا في حكم الرِّدَّة عَلى شخصه ولم يجاوزه إلى نظامه، وبالتالي لم يستبيحوا القِتَال ضدّ أعوانه شَرعاً إلا دفاعا عن النّفس.
- تبنى الجماعة مبدأ الشورى الملزمة وطريقة القيادة الجماعية، واتخذوا من شخص الدكتور عمر عبد الرّحمٰن أميرا اعتباريا ورمزا للجماعة.
- كما تجاوزوا إشكالية شرعيّة في شروط (الإمارة الشَّرعيَّة) مما فتح بابا للجدل الطويل العريض بينهم وبين جماعة الجِهَاد في مصر وشرائح أُخرى من التّيار الجهاديّ منذُ مطلع التسعينات في أفغانستان، وهي تبنيهم لمبدأ (صحة ولاية الأسير)، كما كانَ حال الشَّيْخ المُجَاهد الفاضل

الدكتور عمر عبد الرَّحمٰن في أمريكا- فرج الله عنه- كما اعتبروا قاداتهم التّاريخيين الأسرى في سجون مصر قيادات فاعلة تشارك في القرار الّذي تبنى مبدأ الشورى الملزمة، ولست هنا بصدد المناقشة الشَّرعيَّة للمبدأ وإنما التّاريخ بدد تسجيل، لذكر دور هذه المرتكزات الفكريّة والمنهجيّة في مسار الجماعة فيما بعد منذُ أواسط التسعينات.

باستثناء هذه الإشكالين أكاد لا أجد فوارق منهجيّة رئيسيَّة أُخرى (من النَّاحية النَّظريَّة) لمنهج الجماعة الإِسْلَاميّة بمصر عن باقي مدارس التّيار الجهاديّ، من حيث فكرهم السلفي الجهاديّ ورفضهم بل تكفيرهم (لمنهج الدِّيمقراطيَّة) في العمل الإِسْلَاميّ، مع عذر من مارسها من الإِسْلَاميّين بالتأويل أو سوى ذلك، إلى آخر مكوّنات الفكر الهادي المعاصر.

ولكن هذه الإشكاليات المنهجيّة أوقعت الجماعة الّتي كانت قد دخلت الصِّرَاع فعليا مع الحكومة المصريَّة في إشكاليات عمليَّة، لما وجد أعضاء جهازها العسكريّ أنفسهم أمام المتطلبات الفقهيّة لمعركة استنزاف هجومية دفاعية في ساحة الصدام مع النّظام المصري ورجال أمنه واستخباراته، هذا من جهة، ومن جهة مهمة أُخرى، وجدوا قياداتهم تتكون عمليا من ثلاث أجنحة رئيسيَّة هيَ:

١. القيادات الأسيرة في مصر والَّتي اصطلحوا عَلى تسميتها (بالقيادات التارِيخِيَّة).
٢. القيادات السّياسيّة المطاردة في الخارج في المهاجر والملاذات الآمنة.
٣. قيادات الجهاز العسكريّ للجماعة سواء داخل أو خارج مصر والَّتي تخوض مُوَاجَهة عسكريّة دامية مع نظام حسني مبارك، وسرعان ما أثرت هذه التناقضات المنهجيّة ذات الأبعاد العمليّة بسرعة مسار الجماعة في النصف الثّاني من التسعينات وإلى ما بعد أحداث سِبتَمبر كما سنرى، فقد زاد الطين بلة أن الجناح العسكريّ بقيادة الأخ أبو حازم - مصطفى حمزة - قد خطط لعملية كادت تودي بالرَّئيس حسن مبارك في (أديس أبابا) اغتيالا أثناء مؤتمر أفريقية، حيث فشلت العمليّة وقبض عَلى بعض أعضاء المجموعة وسجلوا اعترافاتهم قبل أن يعدموا رحمهم الله، وشكلت هذه العمليّة إحراجا هائلا للحكومة السُّودَانية الّتي دبرت الخطط ودعمت العمليّة لوجيستيا من أراضيها، وكذلك أمام قيادة الجماعة الإِسْلَاميّة، كما زادة الطين بلة.

اعتقال الدكتور عمر عبد الرَّحْمن في الولايات المتحدة الأمريكيّة، حيث كانَ قد أتخذ قرارا خاطئا في التوجه للإقامة في أمريكا بهدف الدّعوة والنَّشَاط وتوفير الإعلام والدعم المادي للجماعة، ثمّ لفقت له هناك تهم بَاطِلة إثر الهجوم الأوّل عَلى برج مبنى التجارة العَالَمِيّ في نيويورك وحكم عليه بالسّجن مائتي سنة ! ولم تفلح كلّ محاولات التخفيف والدّفاع عنه، ومع الإعلان شبه الرسمي من قبل قيادات الجماعة الإِسْلَاميّة عَلى أن أميرهم العملي هو الشَّيْخ (أبو طلال طلعت فؤاد قاسم) الّذي استقر لاجئا سياسيّاً في (الدانمرك) وتبنى مبدأ المُوَاجَهة إلى جانب آخرين من جناح الصقور في الجماعة من الداعمين للجهاز العسكريّ بقيادة مصطفي حمزة من السّياسيّين من هذا التّيار وعلى رأسهم الشَّيْخ (رفاعي طه) والشَّيْخ (محمّد الإِسْلَامبولي) وكذلك بعض الّذين توجهوا لحمل راية العمل الميداني في الجِهَاد في البوسنة (١٩٩٤-١٩٩٥)، ولعبوا دورا مشرفا للجماعة الإِسْلَاميّة بمصر يعتبر من إنجازات التّيار الجهاديّ المعاصر.

دخل هذا الجناح المتمسك بالمُوَاجَهة مع جناح مناقض له بدأ يدعو للمهادنة ووضع المُوَاجَهة مع الحكومة المصريَّة، وتمثل في قيادات السّجون الأسيرة (التارِيخِيَّة) وبعض قياداتهم في أوربّا كانَ من أبرزهم الأخ (أُسَامَة رشدي)، حيث ظهر ذلك التناقض للعلن عندما رفض هذا الجناح الاعتراف بشرعيّة حادثة (الأقصر)، عندما هاجمت إحدى خلايا الجماعة الإِسْلَاميّة الناشطة في مصر مجموعة من السياح الأجانب وقتلت وجرحت منهم عشرات الأشخاص، حيث سارعت (القيادات التارِيخِيَّة الأسيرة) وبعض قيادات أوربّا وأبرزهم (أُسَامَة رشدي) إلى إدانة هذا العمل وفاعليه وتخطئته، بل ذهب (أُسَامَة رشدي) إلى الهجوم الصارخ عَلى العمل ومن يقف معه من القيادات السّياسيّة والعسكريّة للجماعة! ودخل في مُوَاجَهة أدبية حتَّى مع الكبار منهم من أساتذته من أمثال الشَّيْخ (رفاعي طه، فرج الله عنه).

وفيما أذكر فاجأت القيادات التارِيخِيَّة في السّجون المصريَّة العالم أجمع بمشروعها الّذي عرف (بمبادرة وقف العنف من طرف واحد) في مصر، ودعت الحكومة المصريَّة إلى أن تبادلها المبادرة بإجراءات تنهي المُوَاجَهة.

وافق طرح تلك المبادرة أوائل أيّام تواجدنا في أفغانستان مع بداية (الشوط الثّاني للأفغان العَرَب) فيها في عهد طالبان وربما كانَ ذلك أواخر ١٩٩٧.

وقد تابعت بنفسي مراحل وتطورات هذه المبادرة مع أبرز القيادات الحاضرة للجماعة الإِسْلَاميّة في أفغانستان، ومع بعض كبارها الّذين زارونا من قادمين إيران ومال بعضهم للإقامة في أفغانستان أواسط سنة (٢٠٠٠)، وكذلك مع أبرز الرموز الجهاديّة الحاضرة هناك، بما يمكنني من أن الحض مرا حلّ تلك المبادرة في نقاط رئيسيَّة:

١. طرح بعض القيادات الجماعة الإِسْلَاميّة المسجونين فيمصر منذُ أحداث اغتيال السادات، عن طريق محاميهم الشهير(الأستاذ منتصر الزيات) مذكرة مبادرة يعلنون فيها وقف العمل المُسلّح في مصر ومبادرة من جانب واحد، داعيين الحكومة إلى التجاوب الايجابي معها، وسارع إلى تأييدهم الجناح الميال لهذا الإتجاه من قيادات الجماعة في أوربّا وعلى رأسهم الأخ (أُسَامَة رشدي).

٢. أربكت القيادات السّياسيّة والعسكريّة للجماعة الإِسْلَاميّة بمصر في الخارج ولاسيما الشخصيات الرَّئيسيَّة الّتي تتواجد في إيران وبعضها في أفغانستان، وحصل لغط وإبهام حول موقف القيادة الميدانية العسكريّة المطاردة داخل مصر والمباشرة للعمل العسكريّ، وكذلك حول موقف الدكتور عمر عبد الرَّحْمٰن في سجنه في أمريكا، ولكن قيادات الجماعة في مختلف الأطراف ولاسيما المعارضة للمبادرة في الخارج اعتبروا وحدة الجماعة وعدم تمزق موقفها فوق كافّة الاعتبارات الأخرى بما فيها المنهجيّة والمبدئية، ولكن بدت ملامح الرفض للمبادرة لدى عدد من رموز الجماعة كانَ من أبرزهم الشَّيْخ رفاعي طه، والأخ محمّد الإِسْلَامبولي ومصطفى حمزة، إلا أن الجميع أبدوا وحدة الصف والتزام رأي الأغلبية كقرار موحد بعد إجراء المشاورات عَلى كافّة الأصعدة، ولكن البعض أعلن تجميد عضويته في مجلس شورى الجماعة لعدم قناعته بهذا الأمر كما فعل الشَّيْخ محمّد شوقي الإِسْلَامبولي.

٣. كافأت الحكومة المصريَّة تلك المبادرة بالرفض والتصميم عَلى متابعة المُوَاجَهة الأمنيّة، فاختطف القيادي البارد الشَّيْخ أبو طلال (طلعت فؤاد قاسم) من كرواتيا وهو في طريقة لزيارة قيادات

الجماعة العاملة في البوسنة، واغتيل بعض المطاردين المختفين داخل القاهرة في شقتهم في ملابسات غامضة، وأعلنت أجهزة الأمن والإعلام المصريَّة ووزارة الداخليَّة متابعة مطاردة الجماعة وعدم تجاوبها مع المبادرة وبقي هذا موقفها المعلن إلى أواخر سنة (٢٠٠٣) حيث تجاوبت جزئيا معها كما سيأتي.

٤. تبلور القرار الجماعي للجماعة الإِسْلَاميّة عَلى مستوى قيادات الداخل والخارج عَلى تبني المبادرة، ولم يزد عنت الحكومة قيادات الجماعة الّتي انتقلت إمارتها إلى الأخ أبو حازم (مصطفى حمزة) بحسب ما بدا، إلا إصرارا عَلى المبادرة ! وطورت القيادات التارِيخِيَّة(السجينة) ومن ذهب مذهبها من قيادات الخارج المؤيدة للمبادرة موقفها إلى مستوى منهجي خطير حيث بدؤوا بإصدار بحوث شرعيّة ودراسات فكريّة تأطر وتنظر لما أسموه (نبذ العنف)! وبدؤوا ينتقدون ويخطئون المبادئ الّتي قامت عليها أسس المُوَاجَهة الجهاديّة مع الحُكُومَات القائمة عَلى أسس الرِّدَّة، والَّتي كانوا قد ملؤوا ساحة العمل الإِسْلَاميّ بأدبيات جهاديّة قيمة لإثباتها، تلك الأدبيات الّتي شغلت حيزا أساسيا من فكر التّيار الجهاديّ مثل رسالة (الفريضة الغائبة) ودستور الجماعة ومنهاجها (ميثاق العمل الإِسْلَاميّ) و(الإعتصام) و(حتمية المُوَاجَهة)، ومئات المقالات الّتي ملأت نشراتهم الشهيرة مثل (المرابطون) وغيرها.

فصدرت عن الجماعة الإِسْلَاميّة كتب تحت شعار (المراجعات الفكريّة)، تدرجت في التراجعات الفكريّة والمنهجيّة لتدخل في حيز الانهيار العقدي في أساسِيَّات الأصول السّياسيّة الشَّرعيَّة للفكر الجهاديّ بل والإِسْلَاميّ الّذي قامت عليه الصّحوة، فبدؤوا بالحديث عن حصانة دماء وأموال الكفّار في ديارهم، إلى أمانهم في ديارنا وصولا إلى الدّعوة للتعاون مع الحكَّام في المَعْرَكة مع (إسرائيل) وفي معركة التنمية الاقتصاديَّة، ثمّ بدأ الغزل والحديث عن العودة إلى ميدان الدّعوة السّلميّة وربما المشاركة السّياسيّة المشروعة، إلى أن وصل الحد إلى التصريح باعتبار السادات الهالك الّذي تشرف أبطال الجماعة الإِسْلَاميّة نيابة عن الأُمّة الإِسْلَاميّة باغتياله واعتباره شهيداً قتل ظلما، بل أسماه أحدهم (شهيد الفتنة !!)، وقد اطلعت عَلى بعض ما كتب في

تلك الكتب من خلال المقتطفات الّتي روجت لها وسائل الإعلام، وذكر بعضها المحامي (منتصر) الزيات نفسه، عن طريق تلك المنابر الإعلاميَّة الحُكُوميّة.

وبصرف النَّظر عن التّعليق عَلى الأسباب والمسببات والأعذار الّتي يمكن التماسها للقيادة الأسيرة (فاقدة الشَّرعيَّة والأهلية أصلا في سجونها)، أو لتلك القيادة المطاردة المحاصرة في دائرة العجز عمليا بصرف النَّظر الآن عن كلّ ذلك يمكن القول بأن الجماعة الإِسْلَاميّة بمصر قد تحولت نهَائِيًّا عن هويتها الفكريّة ومنهجها كجماعة من جماعات التّيار الجهاديّ.

وسأترك نقاش هذا الأمر (مبدأ المبادرة) من وجهة نظري ونظر كلّ الجهاديّين، وأذكر انه كانَ بوسعنا في تلك الفترة أن نلتقي في ظلال طالبان ونتدارس الأمر، ونسمع الأعذار والمبررات من أصحابها، حيث رفض الجميع هذه المبادرة جملة وتفصيلا، مع الاحتفاظ بكامل الود والاحترام لإخواننا وسابقتهم وفضلهم.

٥. رفضت جماعة الجِهَاد المصريَّة كما أسلفت سابقا وكافة طيف التّيار الجهاديّ المبادرة صراحة وعبروا عن ذلك ضمن ما أتيح من وسائل الإعلام المحدودة إبَّان مرحلة الإقامة عند طالبان، والَّتي تميزت بالانعزال عن العالم عمليا بسبب الحصار عَلى طالبان وبسبب سياسة طالبان الإعلاميَّة المتخلفة.

٦. أحرجت قيادات الجماعة الإِسْلَاميّة في الخارج من تتابع الانهيارات الناشئة عن المبادرة، ولكن ما كانَ بوسع أحدهم إلا أن يعبر عن عدم موافقته الشَّخصيَّة وعن التزامه بوحدة الصف والتزام رأي قياداتهم التارِيخِيَّة ! الّتي تشكل الثقل الأساسي في مجلس الشورى، الّذي يقرر بالأغلبية في جماعة لا أمير لها عمليا ويتناثر عناصرها في أنحاء الأرض ويسيطر عَلى قرارها الأسرى في مصر والسّجناء نصف الأحرار في ملاذات اللجوء السّياسيّ في أوربّا.!

٧. وحصلت أحداث سِبتَمبر! ورحل من تبقى ونجى من أفغانستان من كوادر الجماعة إلى حيث تيسر لهم، وربما أن موقف الجماعة المعلن بعيدا عن طالبان وعن بن لادن جعلها من أقل

المتضررين بالعواصف العاتية الّتي دمرت القَاعِدَة والأفغان العَرَب ومعظم الكتلة المتبقية من التّيار الجهاديّ كما أسلفنا.

٨. ثمّ وفي أواسط (٢٠٠٣) فاجأت الحكومة المصريَّة العالم بتجاوبها الجزئي مع المبادرة بعد (٦ سنين) من إطلاقها، وبدأت بَاطِلاق دفعات من معتقلي الجماعة الإِسْلَاميّة، فأخرجت عن عدّة مئات بينهم (الشَّيْخ كرم زهدي) أحد قياداتها التارِيخِيَّة ثمّ أفرجت عن قياديين آخرين، وزاد من خرج من السّجن مبادرتهم بمزيد من الكتب والتأصيلات المنهجيّة لنقض الغزل السابق من بعد قوة أنكاثا، وسمعت من بعض وسائل الإعلام عن كتاب يقيمون فيه تجاربهم السَّابقة، بعنوان (نهر الذكريات)، لم يتسنى لي أن أراه ولكني اطلعت في الصحافة عَلى بعض المصائب الّتي يتلبسون بها، فقد انضمت هذه الفئة إلى برنامج رامسفيلد في حرب الأفكار عمليا، وصاروا جزءا من حملة أمريكا والمرتدّين لمكافحة الإِرهَاب ! ولم ينس إخوتنا التائبون من عبادة الله بجِهَاد أعدائه أن يسجلوا انتقاداتهم لأحداث سِبتَمبر وصانعيها، وصارت مبادرة الجماعة الإِسْلَاميّة محل ثناء من بَرَامج مكافحة الإِرهَاب الفكريّة الّتي تعج بها وسائل الإعلام العربيَّة هذه الأيّام ومحل استشهاد ومضرب مثل لعلماء السّعُودِيّة وسواها في مكافحة المظاهر الجهاديّة المتنامية في السّعُودِيّة وسواها بفعل واقع الحملات الصّليبيّة الأمريكيّة الأخيرة.

ويجري الحديث من وقت لآخر عن تمهيد قياداتها لطرح فكرة استئناف مسار الدّعوة العلنية سواء كمؤسسات اجتماعيَّة أو كأحزاب سياسة قد تحصل عَلى تراخيص حكومية في المستقبل.

٩. مطلع عام ٢٠٠٤ التقى الرَّئيس المصري بالرَّئيس الإيراني عَلى هامش أحد المؤتمرات الدّولية في أوربّا، واعتبر المراقبون ذلك مفتاح مرحلة جديدة بين البلدين، وصرح الرَّئيسان بعزمهما عَلى تطبيع العلاقات الّتي تدهورت منذُ أيّام الثَّورة الخمينية حيث كانَ الشّاه قد لجأ إلى مصر، ثمّ ما كانَ من استقبال إيران لقيادات الجماعة الإِسْلَاميّة وإطلاقها لاسم الشّهيد خالد الإِسْلَامبولي عَلى أحد أكبر الشَّوارع الرَّئيسيَّة في طهران، وبعد عودة خاتمي إلى بلده استجابت الحكومة الإيرانية لطلب مصر المتكرر بإلغاء تسمية ذلك الشارع باسم الإِسْلَامبولي، ثمّ تناقلت وسائل

الإعلام خبر اعتزام إيران تسليم المعتقلين لديها من المصريين من الأفغان العَرَب وأعضاء القَاعِدَة إلى الحكومة المصريَّة، ومن ثمّ ذكر أن بعض المعارضين المصريين المقيمين في إيران قد سلموا لمصر فعليا، وأن آخرين قد فروا لأفغانستان، ولا أدري صحة الخبر ولا إن كانَ هذا قد طال من تبقى من قيادات الجماعة هناك ولم أستطع التحقق من ذلك.

كانَ هذا خُلاصة تجربة وأحوال تلك التَّجربة الغنية للجماعة الإِسْلَاميّة، إلى تاريخ كتاب هذه السُّطُور أواخر سنة ٢٠٠٤، من خلال إطلاعي عليها عمليا واحتكاكي وصداقاتي مع العديد من قياداتها، ولو أرادت أن أختصر رأي في تلك التَّجربة لأوجزته في أربع نقاط:

(١) الإنصاف(٢) العذر(٣) النصيحة(٤) الأمل.

أما للانصاف:

- فأقول أن الجماعة الإِسْلَاميّة بمصر الّتي عرفتها عن قرب، قد آلت إلى الزوال مع نهايات القرن العِشرين، مثلها مثل معظم تجمعات وتنظيمات التّيار الجهاديّ الّتي تنتمي لحقبة (١٩٦٠-٢٠٠١)، الّتي عملت في تلك الفترة، ثمّ تلاشت أو انحلت أو دمرت أو تفككت من النَّاحية العمليّة، ثمّ قضت تداعيات أحداث سِبتَمبر عَلى ما كانَ قد تبقى منها، فالجماعة الإِسْلَاميّة بمصر الّتي ولدت أواسط السبعينات قد انحلت عمليا وانتهت مع انصرام القرن العِشرين وبداية عالم ما بعد سِبتَمبر، بل لقد سبقت باقي التَّجمُّعات بالانحلال مع إطلاقها للمبادرة والإمعان فيها بذلك الشّكل، هذا من النَّاحية العمليّة، فأما من النَّاحية الفكريّة فالناطقون اليَوْم باسمها يعلنون فكرا لا أقول أنه مختلف فقط، وإنما معاكس ومحارب للفكر الّذي سطروه في كتبهم الّتي أثرت تجربتهم في مصر، بل وأثر التّيار الجهاديّ كله.

وللأمانة والتّاريخ يجب القول صراحة، أنهم يدينون اليَوْم مسارهم، ويعتذرون عن أمجادهم ويعتبرونها خطأ، ويخطون لأنفسهم بذلك مسارا ومنهجا جديدا.

وأما من النَّاحية التَّنظِيمية، فالتَّنظِيم قد تلاشى وتشظى، فمعظم قياداته قد قتلوا رحمهم الله، أو أسروا وانقطعت أخبارهم فرج الله عنهم، وأما قواعدهم البشرية فقد انحلت وانتهت.

الشيء الوحيد المتبقي هو بعض الكوادر والقيادات التارِيخِيَّة الّتي تخرج من السّجون الصغيرة إلى السّجن الكبير المسيَّج بحدود مصر الّتي رسمتها سيكس بيكو، حيث يطرحون – نتمنى لهم السّداد والتوفيق– فكرا ومشاريع جديدة، لا يربطها بالجماعة الإِسْلَاميّة الّتي نعرفها إلا الاسم، هذا إن حافظوا عليه وما أظنهم بفاعلين، فإن من شروط الطَّاغوت بحسب تجربتنا (كصحوة إسلاميّة) عَلى من يريد الاستمرار أن ينفصل عن كلّ شيء حتَّى عن اسمه ويطلبون تغييره، كما حصل في تجربة تركيا وتونس والجَزَائِر وسواها، هذه هيَ النقطة الأولى من الإنصاف.

- أما النقطة الثّانية فهي تقديري واحترامي الكبير لتجربتهم، فقد عرفت الكثير من قيادات وكوادر هذا التَّنظِيم، والحق يقال، فإنهم من أفضل التَّنظِيمات الجهاديّة دينا وخلقا وسلوكا وإعدادا وتربية، فهم من التَّنظِيمات الّتي تعبت عَلى عناصرها بالتّربية، وأما منهجهم قبل المبادرة فهو– رغم اختلافي معهم في بعض الاختيارات السّياسيّة الشَّرعيَّة– من أفضل المناهج الّتي طرحت في التّيار الجهاديّ وأكثرها تأصيلا، ولم أسجل عليهم في سابق تجربتهم من مأخذ إلا تنكبهم في بعض الحالات لأصول منهجهم نتيجة بعض الحسابات التَّنظِيمية والمصالح الحبية الّتي ظنوها كغيرهم من التَّنظِيمات آنذاك، كما حصل من بعضهم إزاء مسألة الجِهَاد في الجَزَائِر وتأييدهم للديمقراطية، ومسألة عدم وقوفهم إلى جانب طالبان إلا في المَرحَلَة المتأخرة جدا، حيث عاجل سِبتَمبر ٢٠٠١الجميع.

وأما تجربتهم الدعوية والتَّنظِيمية والعسكريّة في مصر، وكذلك تراثهم وإنتاجهم الإعلاميّ، فكذلك كانت من أروع وأطول وأغنى تجارب التّيار الجهاديّ المعاصرة سواء في داخل مصر أو في خارجها، وكذلك دورهم ومساهماتهم القيمة النوعية في أفغانستان ضدّ الشُّيُوعِيّة، وفي البوسنة في دفع الصّائل عن المُسلِمِين.

وأما عَلى الصعيد الشخصي فقد ربطتني بالعديد من قياداتهم وقواعدهم علاقات أخوة وصداقة ومسار طريق جِهَاد وهِجرَة وجيرة مسكن، فكانوا مثالا للأخوة الأصدقاء والجيران الأوفياء، وفعلا

كما قَالَ الإِمَام ابن القيم وهو يرد بعض الآراء عَلى الإِمَام أبو إسماعيل الهروي في كتاب مدارج السالكين، أقول: (**لولا أن حق الحقّ أوجب من حق الخلق لكان في الإمساك فسحة ومتسع**).

وأسأل الله أن يتقبل منهم أحسن ما عملوا ويتجاوز عما كانَ من كانَ من تقصير وصفف وزلل، هو من طبع عمل ابن آدم، إنه هو الغفور الرّحيم.

وأما العذر فيما أحدثوه من المبادرة دون موافقتهم عليها:

فأقول بأن التضحيات الّتي قدمتها هذه الجماعة عبر تاريخها هيَ تضحيات جسام بكل المقاييس، من الشّهداء والمعتقلين والمطاردين، ومن الّذين ذاقوا البلاء في سبيل الله، والله حسيبهم، ولقد أسر معظم قيادات وقواعد التَّنظِيم، فقد أعتقل ما يزيد عَلى (٩٠٪) من قياداتهم البارزة في الصف الأوّل، منهم ولم ينج مهاجرا للخارج إلا القليل، وأعتقل من قواعدهم وأنصارهم عشرات الآلاف ولم ينج للخارج إلا رهط قليل أيضا، فتحول التَّنظِيم عمليا إلى تنظيم مأسور بمعظم قياداته وقواعده، وقد صبر المعتقلون لعقدين كاملين من الزَّمن، منذُ قتل السادات (١٩٨١) إلى نهاية القرن العِشرين، لعلّ جهازهم العسكريّ في الداخل أو من نجى إلى الخارج يستطيعون تحقيق شيء، ولكن الظّروف العامّة الّتي أحاطت بمواجهات التّيار الجهاديّ مع أنظمة الرِّدَّة ومن وراءها من القوى الدّولية وعلى رأسها أمريكا وحلفاءها في النّاتو فيما عرف بالمُوَاجَهة العَالَمِيّة للإرهاب، لم تكن لتسمح لهم أو لغيرهم بالإنتاج النوعي أو بتحقيق شيء من الانتصار.

كما أن الشارع المصري، مثله مثل عموم الشارع العربيّ والإِسْلَاميّ قد خذلهم كما خذل التّيار الجهاديّ في أكثر الأمكنة، نتيجة عوامل كثيرة، مردها للفساد العام، ولعجز الصّحوة الإِسْلَاميّة وتيهها في دروب السّياسة وإعراض قادتها عن الجِهَاد، وللانحطاط المريع لعلماء المُسلِمِين في هذا الزّمان نحو دروب النِّفَاق أو جحور العجز.!

فلم يتجاوب الشارع المصري كغيره في هذا المُوَاجَهة بل جر عمليا إما للوقف في صف الدّولة أو للانخراط في اللامبالاة وقف المُجَاهدون وحيدين في السَّاحَة، ليقتل المئات ويأسر عشرات الآلاف

ويطارد من هاجر، ولتخرب البيوت وترمل النِّسَاء ويشرد الأطفال وتتفكك الأسر تحت طائلة الفقر والعوز والحاجة والتشتت.

وأعتقد أن ما تعرض له قيادات الجماعة وقواعدها من التعذيب البدني والنّفسي في سجون مصر ذات التّاريخ الأسود العريق في مُوَاجَهة الصّحوة أمنيّاً وفكرياً وإعلاميا، بالإضافة للدور الخبيث الّذي لعبه علماء السُّلطَان في مناظراتهم معهم بإشراف أجهزة أمن الدّولة، كانَ له بالغ الأثر في قرارهم الكارثي الّذي دعي بـ(مبادرة وقف العنف).

فهو في الحقيقة مبادرة وقرار من مجموعة سجناء أسرى، فاقدي الإِرادَة لا إعتبار لقراراتهم ولا لآرائهم وفتاويهم لا شَرعاً ولا عقلا.

فصاحب مثل هذه المبادرات قد يكون معذورا فيما يضل به أو يضل به النّاس، إن تحققت له شروط الإكراه، ونقدنا هو لمبدأ المبادرة وفحواها، وليس لجميع السّجناء من أصحابها، فالمبدأ مرفوض جملة وتفصيلا، والأخوة معذورون إجمالا والله أعلم، عَلى خلاف غير المأسورين منهم من الّذين تولوا كبر هذا الإنحراف من ملاذاتهم في أوربّا، وحتى ما أحدثوه بعد خروجهم من السّجن فإني أتناوله بنفس المنظور والطَّريقة ؛ رفض الإنحراف وعذر المنحرف المكره منهم إكراها حقيقيا، فهم مازالوا سجناء داخل السّجن الكبير (مصر) في داخل سور حدودها، والَّتي يحيط بها وبغيرها اليَوْم سجن أكبر في عالم ما بعد سِبتَمبر في كلّ أنحاء الأرض بإشراف أمريكا، ونسأل الله الثّبات عَلى الحقّ والعزيمة عَلى الرشد.

وأما الأمل:

ففي أن يخرج ممن تبقى من هذه الجماعة وأصلاب هَؤُلَاءِ المُجَاهدين ومن أتباعهم من يكمل المسار؛ مسار الجِهَاد والمُقاوَمة فيما نستقبل من أيّام لحمل الرّاية، ومن يكمل المسيرة في أرض الكنانة أهمّ قلاع المُوَاجَهة في بلاد المُسلِمِين مع هذه الحملات الصّليبيّة اليَهُوْدية الزاحفة.

وأما النصيحة:

لإخوتنا هَؤُلَاءِ، ولكل من ينجرف ليسقط في مثل هذه المنزلقات والهاويات الّتي ينصبها الطغاة وأعوانهم وفقهاؤهم عَلى طريق السائرين إلى الله اليَوْم، فأوجز القول.

يقول الله تَعَالَى:

﴿وَٱلْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ ٱلْقَتْلِ ۗ وَلَا يَزَالُونَ يُقَٰتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ ٱسْتَطَٰعُوا۟ ۚ وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢١٧﴾﴾ [البقرة]

ويقول عَزَّ وَجَلَّ:

﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ۚ أَفَإِي۟ن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ ۚ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا ۗ وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٤٤﴾ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ كِتَٰبًا مُّؤَجَّلًا ۗ وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا نُؤْتِهِۦ مِنْهَا وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ ٱلْءَاخِرَةِ نُؤْتِهِۦ مِنْهَا ۚ وَسَنَجْزِى ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٤٥﴾ وَكَأَيِّن مِّن نَّبِىٍّ قَٰتَلَ مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا۟ لِمَآ أَصَابَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا۟ وَمَا ٱسْتَكَانُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٤٦﴾ وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِىٓ أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٤٧﴾ فَـَٔاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ ٱلْءَاخِرَةِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٤٨﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن تُطِيعُوا۟ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يَرُدُّوكُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ فَتَنقَلِبُوا۟ خَٰسِرِينَ ﴿١٤٩﴾ بَلِ ٱللَّهُ مَوْلَىٰكُمْ ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلنَّٰصِرِينَ ﴿١٥٠﴾﴾ [آل عمران]

سبحان الله العظيم! كانَ هذا القرآن قد نزل لنا وفينا، ويقول ﷺ فيما روى البُخَارِيّ(١):

[عَنْ خَبَّابِ بْنِ الأَرَتِّ، قَالَ: شَكَوْنَا إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَهُوَ مُتَوَسِّدٌ بُرْدَةً لَهُ فِي ظِلِّ الكَعْبَةِ، قُلْنَا لَهُ: أَلاَ تَسْتَنْصِرُ لَنَا، أَلاَ تَدْعُو اللهَ لَنَا؟ قَالَ: «كَانَ الرَّجُلُ فِيمَنْ قَبْلَكُمْ يُحْفَرُ لَهُ فِي الأَرْضِ، فَيُجْعَلُ فِيهِ، فَيُجَاءُ بِالْمِنْشَارِ فَيُوضَعُ عَلَى رَأْسِهِ فَيُشَقُّ بِاثْنَتَيْنِ، وَمَا يَصُدُّهُ ذَلِكَ عَنْ دِينِهِ، وَيُمْشَطُ بِأَمْشَاطِ الحَدِيدِ مَا دُونَ لَحْمِهِ مِنْ عَظْمٍ أَوْ عَصَبٍ، وَمَا يَصُدُّهُ ذَلِكَ عَنْ دِينِهِ، وَاللهِ لَيُتِمَّنَّ هَذَا الأَمْرَ، حَتَّى يَسِيرَ الرَّاكِبُ مِنْ صَنْعَاءَ إِلَى حَضْرَمَوْتَ، لاَ يَخَافُ إِلَّا اللهَ، أَوِ الذِّئْبَ عَلَى غَنَمِهِ، وَلَكِنَّكُمْ تَسْتَعْجِلُونَ»].

صدق رسول الله، وكأن الحديث يتكلم عن بعض مُجاهدي هذا الزَّمن، نسأل الله العافية.

وأظن أن في كلام الله، وقول نبيه ﷺ، ما يكفي من العظة والنصيحة.

---

(١) صحيح البخاري (٣٦١٢).

فلقد كانَ مقبولا من إخواننا هَؤُلَاءِ، إذ شعروا أنهم قد أحيط بهم، وأنهم لا طاقة لهم بالمتابعة، أن يستسلموا ويرفعوا الرّاية البيضاء، ويعلنوا التوقف عن مواجهتهم للنظام المصري، وأن يطلبوا الهدنة أو الصُّلح بشروط تناسب حالهم، وكن ليس من حقهم ولا من حق أحد أن ينقض المنهج ذاته، وأن ينقض الغزل من بعد قوة أنكاثا، فهو ليس غزله ولا غزل أبيه وأمه! وإنما غزل المُسلِمِين، وغزل التّيار الجهاديّ العريق بأكمله، وتراث سلف من آلاف وآلاف الشّهداء والصابرين الّذين لاقوا ربّهم وهم عَلى ذلك في مصر وخارج مصر.

وكما روي عن إمام أهل السّنّة أحمد بن حنبل عندما سعى إليه بعض المشفقين عليه، ليجيب المعتصم في المحنة تقية لكف البلاء عن نفسه ويذكره بعياله، فقال: إن كانَ هذا عقلك يا أبا فلان فقد استرحت، وأشار إلى جمهرة من النّاس وطلاب العلم ينتظرون عَلى باب سجنه ليكتبوا ماذا يفتي، وقال له: أأنجو بنفسي وأضل هَؤُلَاءِ ؟! ولم يجوز رحمه الله التقية لمن كانَ رأسا متبعا في الدّين، وكان يقول: لا تقية إلا بالسيف.

أما أن يتحول المستسلم تحت أي اجتهاد أو ذريعة كانت – نسال الله العافية – إلى وسيلة في أيدي الطواغيت وأجهزة إعلام الأَعدَاء في الداخل والخارج ليخذل الّذين مازالوا سائرين عَلى درب الجِهَاد والمُقاوَمة، بل ويسبهم وينقد منهجهم بتزوير الكتاب والسنة، فاللّهم لا، ولا كرامة هنا لأحد.

فأقل المطلوب من إخواننا هَؤُلَاءِ ومن ألجئ إلى مثل حالهم، إذ انسحبوا من القافلة، أن يمسكوا ألسنتهم ولتسعهم بيوتهم وليبكوا عَلى خطيئاتهم، وليسألوا الله للثابتين الثّبات، ولأنفسهم فرصة ثانية تعوض ما فات.

ونسأل الله أن يغفر لهم ويثبتهم عَلى الحقّ ويبعث منهم ومن أتباعهم وإخوانهم من يرفع راية الحقّ ويعود بالرّاية إلى عزتها ومكانتها.

أما عن تجربتي وصحبتي للأخوة من هذه الجماعة، خلال مرحلتي الجِهَاد في أفغانستان، وفي لندن مابين ذلك، فقد مكنتني من التعرف عَلى نماذج رائعة من المُجَاهدين في هذا الزّمان، وقد ربطني

بالعديد منهم من مختلف المستويات علاقات أخوة وصداقة، فكانوا نعم الإخوة الصادقين والجيران الأوفياء.

وكما أسلفت الملاحظ عَلى كوادر هذه الجماعة حسن التّربية والتكوين لأعضائها ومتانة الأخوة والرابطة فيما بينهم بالحق وحتى بالبَاطِل أحيانا ! وقد قدر لي أن أتعرف على العديد من شيوخ هذه الجماعة وكوادرها مثل الشَّيْخ المُجَاهد العالم القدوة عمر عبد الرَّحْمٰن فرج الله كربته وفك أسره، والشَّيْخ أبو ياسر (رفاعي طه) فك الله أسره، والشَّيْخ مصطفي حمزة، والشَّيْخ محمد شوقي الإِسْلَامبولي وغيرهم، حفظهم الله تَعَالَى وغيرهم، وكانت فرصة لمعرفة نماذج للمُجَاهدين القدوة العاملين، فرحم الله من لاقاه وجمعنا بهم في عليين، وحفظ من بقي ونفع بهم دينه وأهل طاعته.

٦- المحاولات الجهاديّة في تونس إعتبارا من النصف الثّاني من الثمانينات:

يعود ميلاد الصّحوة الإِسْلَاميّة بشكلها المعاصر في تونس إلى أواسط السبعينات، حيث أسس الشَّيْخ (راشد الغنوشي) وعدد من الإِسْلَاميّين الآخرين من رفاقه حركة عرفت باسم (الإتجاه الإِسْلَاميّ في تونس) وبدأت كغيرها من ظواهر الصّحوة الإِسْلَاميّة في تلك الفترة عَلى أسس قريبة جدا من فكر الأخوان المُسلِمين، بالإضافة لمسحة تونسية خاصّة بحكم جُذُور الصّحوة الإِسْلَاميّة في تونس.

وقد اشتمل الإتجاه الإِسْلَاميّ في تونس عَلى محاور فكريّة متعددة كانَ بعضها دعوي وبعضها سياسي وبعضها تربوي، وبعضها جهاديّ مثله الشَّيْخ الدكتور(صالح كرر) حفظه الله وفرج كرباته وتقبل منه.

دخلت حركة الإتجاه الإِسْلَاميّ معتركات سياسيّة كثيرة مع نظام رئيسها السابق (الحبيب بورقيبة)، وسجن قادها وأوقفت صحفها وخطر نشاطها أكثر من مرّة، وأخذت في آخر أيّامها باتجاه الخيار الديمقراطي والصِّرَاع مع السّلطة عبر الإنتخابات، في حين كانَ لجهازها السري العسكريّ الخاص المتكون من عدد من الضُّبَّاط في مختلف صنوف الأَسْلِحة في الجيش التونسي برنامجا للإعداد لانقلاب عسكريّ يحمل الإِسْلَاميّين وإلى السّلطة بحسب ما كانوا يتصوُّرون، ويمثل هذا البرنامج

التَّجربة الأهم لمحاولة جهاديّة جادة في تونس للإطاحة بنظام الحكم القائم هناك، (وهذه التَّجربة وإن كانَ لا يمكن اعتبارها إحدى تجارب التّيار الجهاديّ بسبب الهويّة الفكريّة لجماعة الغنوشي، إلا أنّي سأعرض لنبذة عن تلك المحاولة في هذه الفقرة عَلى إعتبار أن القائمين عليها من الأخوة الضُّبَّاط كانوا يحملون فكرا جهاديّا أقرب إلى فكر التّيار الجهاديّ من قربه إلى فكر الحركة العام ذي الطابع السّياسيّ المختلط، وهذا ما تبين لي بعد تعرفي عَلى بعضهم عن قرب).

- إلى جانب الإتجاه الإِسْلَاميّ كانَ هناك بعض الخلايا الصغيرة لم تجاوز الآحاد في حدود علمي من الشَّبَاب الّذي حمل الفكر الجهاديّ السلفي، وقد قاموا بعدد من العمليَّات البدائية البسيطة الغضة التَّجربة، مما أدى إلى استشهاد بعضهم واعتقال الآخرين وفرار بعض الآحاد إلى خارج تونس، وكان من بينهم الشَّيْخ (علي الأزرق) رَحِمَهُ اللهُ الّذي أفتاهم بالجِهَاد ومشروعية **استهداف الدّولة وهيا كلها، وقد فر الشَّيْخ إثر فشل تلك المحاولة إلى السّعُودِيّة - الّتي أعادت تسليمه إلى تونس أواسط الثمانينات حيث أعدم** رَحِمَهُ اللهُ **وقد جاوز السبعين من عمرة وهو يردد الشهادتين ويكبر في أحد سجون تونس- كما روى لي بعض من عاصر تلك المحاولة من الأخوة التونسيين.**

أما عن محاولة الإنقلاب لجماعة الإتجاه الإِسْلَاميّ أو ما عرف فيما بعد باسم (حزب النهضة) بزعامة الشَّيْخ راشد الغنوشي، فخلاصتها كما بلغتني مشافهة من بعض الّذين خططوا لها وأشرفوا عليها من أولئك الإخوة الضُّبَّاط كما يلي:

- بصرف النَّظر عن الخلط والخبط المنهجي الّذي طبع حركة الإتجاه الإِسْلَاميّ والطّبقة الأولى من قياداتها منذُ نشأتها، إلا أن بداياتها انطبعت بالفكر الثّوريّ الانقلابي والجرأة وسعة الأفق السّياسيّ، وهي صورة للتركيبة الفكريّة والنّفسية للشيخ (راشد الغنوشي).
- كانَ للحركة تصوُّرا مؤسساتيا طموحا، عني بتأسيس الكوادر والهياكل التَّنظِيمية لتنظيم يطمح إلى إسقاط نظام حكم ووراثته عَلى كافّة الصعد، ولذلك كانَ للحركة برنامجها في

شتّى المجالات السّياسيّة والترَبويّة والاقتصاديَّة والإعلاميَّة.. الخ وكان من بين تلك الأجهزة الّتي أنشأتها، الجهاز العسكريّ للحركة.

- قام مخطط الجهاز العسكريّ أساسا عَلى زرع عدد من الضُّبَّاط المتطوعين في الجيش التونسي في أقسام الأَسْلِحة الثّلاثة البرية والجوية والبحرية، وعلى تجنيد من استطاعوا من الضُّبَّاط ذوي الميول الإِسْلَاميّة في الجيش، وبصرف النَّظر عن التفاصيل الفرعية فقد كانَ التَّنظِيم محكما وشديد التخفي في جيش علماني يحظر عَلى عناصره الالتزام بالدّين ويراقب حتَّى همسات المصلين وتسبيحات المُؤمِنِين، ويعتبرها شبهة تؤدي عَلى الأقل بصاحبها إلى الطرد من الجيش.
- التزم الضُّبَّاط الشَّبَاب من أعضاء هذا الجهاز بالغ السرية بناء عَلى فتاوى تحصل عليها من فُقَهَاء التَّنظِيم ومن استفتاهم بسلوك يخفي أي إشارة إلى التزامهم الدّيني، فكانوا يصلون سرا، بل إذا حضرتهم الصّلاة في أوقات الدُّروس والتّدريبات، صلوا إيماءا، وكانوا لا يصومون إلا إذا تمكنوا سرا، بل وصل الأمر في التخفي إلى اكتفائهم بلباس الحشمة لنسائهم مع الترخص في كشف غطاء الرأس للضرورة الّتي كانوا فيها !!

ثمّ مضى التَّنظِيم عَلى مدى نحو عشر سَنَوات وفق مخططه الّذي كانَ يقوم عَلى فكرة الإنقلاب العسكريّ أساسا للإطاحة بالسلطة.

- ووفق ما رواه لي أحد أصدقائي من الضُّبَّاط الّذين أشرفوا عَلى الإِعداد للانقلاب، فقد كانَ البرنامج محكما وطموحا (وتفاصيله المفصلة الآن عند الأَعدَاء بما يسمح بذكر بعضها للإفادة)، واستطاع أن يقيم صلات بدول مجاورة وينسق برنامجه عَلى مستوى عال، وكان وقت التنفيذ إن لم تفتني الذاكرة في عام (١٩٨٦)، بعد أن كانت حكومة بورقيبة قد أطاحت بفوز الإتجاه الإِسْلَاميّ، عبر تزوير الإنتخابات بعد فوزهم في مراحلها الأولى بصورة أدهشت المراقبين لما يعرف عن المجتمع التونسي من التحلل من الالتزام، وانتشار مذاهب العلمانيين وأتباع خطوات الفرنسة والتغريب فيه، ولكن بدا في تونس أيضا أن روح الأصالة

والتعاطف مع الدّين الإِسْلَاميّ والثقة في مشروعه السّياسيّ طبعت وما تزال تطبع جميع المجتمعات العربيَّة والإِسْلَاميّة بلا استثناء.

- وبحسب الرواة ذوي العلاقة، فقد أدى الضّعف والتردد لدى أستاذ جامعي من القسم المدني في التَّنظِيم والّذي كانَ عَلى صلة مع قيادة الضُّبَّاط الانقلابيين إلى كشف المحاولة قبيل تنفيذه بمقت وجيز، فسارع وزير الداخليَّة في حينها وهو الرَّئيس الحالي (زين العابدين بن علي)، إلى إنقلاب سريع أبيض بالتّعاون مع المخابرات الأمريكيّة وإدارة أجهزة الأمن وبعض أركان النّظام من السّياسيّين، ثمّ عزل بورقيبة بحجة هرمه وعجزه الصحي، وتم نقله إلى قصر معزول ليكمل بقية هذيانه وخرفه هناك حتَّى هلك، وكان قد اعتقل معظم الانقلابيين وفر من تمكن من الفرار.
- ولأن زين العابدين بن علي كانَ قد رتب انقلابه البديل عَلى عجل، كانَ يتخوف من عمق جُذُور المحاولة الانقلابية الإِسْلَاميّة، وأضطر إلى عقد صفقة مع راشد الغنوشي وقياداته السّياسيّة إتفق بموجبها عَلى الإفراج عن الضُّبَّاط الموقوفين، مقابل اعتراف الجماعة بالنّظام الجَدِيد وكفها عن السعي للإطاحة بالسلطة.
- وهكذا أفرج عن زهاء مائتي ضابط من الانقلابيين الإِسْلَاميّن الّذين خرج جلهم إلى المنافي الاختيارية في عدد من الدّول الأوربية باللجوء السّياسيّ، كما خرجت معظم قيادة التَّنظِيم المدني وعلى رأسهم الشَّيْخ راشد الغنوشي، إلى الدّول الغربيّة.
- اتجهت جماعة النهضة والشَّيْخ راشد ذاته بعد ذلك الفشل إلى أقصى التطرف المعاكس، في المنهج السّياسيّ وتبني الطروحات الدِّيمقراطيَّة، أو ما يسمونه نبذ العنف، واتخذ الشَّيْخ راشد من لندن منطلقا لتحركاته عبر أوروبّا، متبنيا فكرا ومسلكا يتوافق مع المقاييس الغربيّة للاعتدال الإِسْلَاميّ ليس محل تناوله هنا، واستهل ذلك بإصدار كتابه (الحريات السّياسيّة في الإِسْلَام)، الّذي انتهك فيه كثيرا من مسلمات الدّين الإِسْلَاميّ بدعوى منهج الإنفتاح والإعتدال الّذي ابتدعه وبلغ حد إنكار وإلغاء معلومات من الدّين بالضَّرورة !

- وهكذا تلاشت المحاولة الجادة الوحيدة المعاصرة لإقامة الحكم الإِسْلَاميّ في تونس.
- وقبض عَلى الشَّيْخ (صالح كرر) في فرنسا وألزم الإقامة الجبرية منذُ زهاء خمسة عشر سنة ومازال فيها، خشية أن يتابع تحركاته وتطلعاته الجهاديّة حيث أنه كانَ يمثل تيارا جهاديّا الجاد في جماعة الإتجاه الإِسْلَاميّ في تونس، فرج الله عنه.
- أما عَلى صعيد التّيار الجهاديّ وخلاياه في تونس، فقد أدى وصول بعض الشَّبَاب الجهاديّ التونسي إلى ساحة أفغانستان في آخر الثمانينات ومطلع التسعينات إلى محاولة بعضهم تشكيل نواة لتجمعات جهاديّة، فقامت محاولات فاشلة متكررة لضم تلك المجموعات الصغيرة في تنظيم موحد عَلى غرار ما فعل الليبيون والجَزَائِريون من الأفغان العَرَب، وقد فشلت كلّ تلك المحاولات لعدم وجود كوادر مؤهلة بين أولئك الشَّبَاب المخلين يمكن أن يقوموا بتلك المهمة.
- وعندما انفض جمع الأفغان العَرَب سنة ١٩٩٢، رحل بعض المُجَاهدين التونسيين إلى السُّودَان محاولين ذلك مرّة أُخرى دون جدوى، وارتحل آخرون منهم إلى ملاذات اللجوء السّياسيّ في أوروبّا، لتبقى صفة التشرذم، طابعا ملازما للجهاديّين من الأخوة التوانسة رغم ما توفر بينهم من العناصر المخلصة الطيبة.

أما الضُّبَّاط الإِسْلَاميّون في أوربّا فقد أرهقتهم متطلبات الحياة في ظل الحصار والمطاردة من النّظام التونسي، ومحاولات الاستيعاب الّتي مارسها عليهم (حزب النهضة في الخارج بزعامة الغنوشي)، الّتي وصلت إلى حد الحصار المادي والمعنوي، حتَّى اضطر بعضهم للرضوخ واللحاق بتنظيم الغنوشي لأسباب مادية ونفسية، وبقى البعض من المصابرين الغُرَباء منهم منطوون عَلى أنفسهم لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلاً مثل كثير من المستضعفين والمشردين من الجهاديّين والإِسْلَاميّين في أوروبّا أواخر القرن العِشرين.

- وعند ابتداء الشوط الثّاني للأفغان العَرَب في أفغانستان في عهد الطّالِبَان كانَ من بين المُجَاهدين العَرَب الّذين يمموا وجههم شطر الإمارة الإِسْلَاميّة، رهط من المُجَاهدين

التونسيين كانَ بعضهم قد نال شرف المشاركة في الجِهَاد في البوسنة ضدّ هجمات الصّرب وحرب الإبادة أواسط التسعينات، وابتدؤوا محاولة جديدة لإنشاء تجمع جهاديّ خاص بهم، وبدت بعض بوادر النجاح عَلى تلك المحاولة رغم التعثر والتشرذم، وفيروس التطرف والتكفير الّذي أصاب بعض الأخوة من المُجَاهدين التونسيين وأعاق تلك المحاولات الواعدة، واستطاع بعض الناضجين منهم أن يؤسسوا لأنفسهم معسكرا مستقلا، وإدارة لا بأس بمستواها متعاونين مع كوادر الجماعات الأخرى، وقدموا خدمات تدريبية جليلة للتجمع العربيّ في عهد طالبان.

- ولكن فيما كانَ الأخوة منشغلين في مسعاهم ذلك، كانَ للأقدار مشيئة أُخرى، فقد دوت انفجارات الحادي عشر من سِبتَمبر في نيويورك وواشنطن لتصل شظاياها إلى أفغانستان كما مر معنا، وجاءت الحملة الصّليبيّة الأمريكيّة في ديسمبر (٢٠٠١)، ليأخذ المُجَاهدون التوانسة مواقعهم عَلى خط متميز في قمم (طورة بورة) في جبال سليمان غربي جلال أباد إلى جانب إخوانهم حيث كانَ كافّة التواجد العربيّ في أفغانستان مستهدفا بالهجوم، وجاءت الأخبار عن صمودهم صمود الأبطال في مواقعهم إلى جانب إخوانهم في معركة الدّفاع عن النّفس وعن الإمارة الإِسْلَاميّة.

- ورغم أن الإخوة التوانسة كانَ هدفهم العودة بالجِهَاد إلى تونس، وإنشاء تنظيم جهاديّ يجمع شملهم، وانصب اهتمامهم عَلى إحياء اتصالاتهم بإخوانهم في المهجر وعلى تأمين متطلبات النهوض بذلك الجمع، ورغم أنهم لم يعيروا كبير إهتمام لمعركة الطّالِبَان والإمارة الإِسْلَاميّة، وكانوا من المترددين في التفاعل معها كإمامة شرعيّة في أفغانستان نتيجة بعض المآخذ لديهم ولاهتمامهم بمشروعهم، ورغم أنهم لم يقتنعوا بمحاولات (بن لادن) والقَاعِدَة وتوجهاتها العسكريّة أحادية الإتجاه، كما كانَ حال معظم التَّنظِيمات والتَّجَمُّعات العربيَّة في أفغانستان، إلا أن الهجمة الأمريكيّة قد فرضت نفسها عَلى الجميع.

- وهكذا، أدى مُجَاهدو تونس واجبهم، وثبتوا ثبات الأبطال وسقط منهم العشرات من الشّهداء والأسرى كغيرهم، ونظرا لعددهم القليل أصلا، وقلة من أعتقد أنه قد سلم منهم من أخدود سِبتَمبر، أعتقد أن تلك المحاولات التونسية قد تلاشت بانتظار أن يهيأ الله لتونس جيلا جديدا من المُجَاهدين، فرحمة الله واسعة، ورحم هذه الأُمّة مازال معطاء.
- وعلى الصعيد الشخصي فقد عرفت العديد من أولئك الأخوة، من الأفغان العَرَب من تونس، وكذلك تعرفت في أوربّا للعديد من الأخوة الضُّبَّاط الّذين ذكرت طرفا من تجربتهم، وكذلك كانَ لي العديد بهم روابط الصداقة، كما قامت بيني وبين من أم أفغانستان من التوانسة روابط التّعاون في ظلال طالبان.
- وما زلت أحمل من تلك الروابط حاني الذكريات، فرحم الله شهداءهم وفرج عن أسراهم، وذكر أحياءهم بخير وحفظهم، فقد كانوا مثالا للطيبة والإخلاص والفطرة الصافية والجد في العمل عَلى حداثة تجربتهم وقلة إمكانيَّاتهم.

٧- تجربة الجماعة الإِسْلَاميّة المقاتلة بليبيا: (١٩٩٠-٢٠٠١)

بحسب معلوماتي فقد كانت هناك محاولة جهاديّة من النويات الأولى لخلايا التّيار الجهاديّ في ليبيا ضدّ نظام معمر القذافي خلال النصف الثّاني من الثمانينات، ولقد أدي اكتشاف تلك الخلايا ومطاردتها إلى خروج كوادرها الرَّئيسيَّة إلى أفغانستان، حيث كانَ التجمع الجهاديّ العربيّ خلال الجِهَاد الأفغاني قد بدأ يبلغ ذروته، وهناك وفي مُعَسْكَرَات التّدريب المنتشرة في أفغانستان وعلى الحدود الباكستانية، كانت تلك الكوكبة من الشَّبَاب الليبيين لا تألوا جهدا في تأهيل كوادرها الأولى في مختلف مجالات التّدريب وتعيد صلاتها بليبيا وبعض بلاد المهجر حيث استنفروا من استطاعوا من إخوانهم للمجيء للإعداد والتّدريب لمتابعة مسار الجِهَاد في ليبيا وقد عرف عن أولئك الشَّبَاب أنهم من أكثر المُجَاهدين العَرَب الّذين تواجدوا في تلك السَّاحَة استفادة من الوقت وصبرا عَلى دورات التأهيل العسكريّة والتربَويّة الطويلة المدى الّتي أخضعوا لها أنفسهم وإخوانهم، وخلال السَنَوات الثّلاثة الأخيرة (١٩٨٩-١٩٩٢)، استطاع أولئك الشَّبَاب أن يرتبوا أنفسهم ويؤسسوا التَّنظِيم الّذي عرف

باسم (الجماعة الإِسْلَاميّة المقاتلة بليبيا)، ويضعوا برنامجا للإعداد واستئناف المسيرة الجهاديّة في بلدهم، عَلى الأفكار والأسس والطَّريقة الّتي كانت سائدة آنذاك في أواسط التّيار الجهاديّ والأفغان العَرَب واستطاعوا أن يستوعبوا معظم المُجَاهدين الليبيين الّذين تواجدوا في ساحة الأفغان العَرَب،

- ساهم المُجَاهدون الليبيون في فعاليات الجِهَاد العربيّ في أفغانستان إلى جانب إخوانهم من البلاد الأخرى بكفاءة، وسرعان ما برز منهم كوادر في مجالات التّدريب وفي الجبهات، ثمّ استقل شباب الجماعة الإِسْلَاميّة المقاتلة لأنفسهم بمضافات ومُعَسْكَر خاص بهم شأنهم في ذلك شأن معظم الجماعات الجهاديّة العربيَّة القديمة أو الناشئة، ثمّ بايعوا عليهم أميرا للتنظيم وبدأت تتكون بنيتهم الإدارية كتنظيم جهاديّ بدأ يأخذ مكانه بين التَّنظِيمات الجهاديّة العربيَّة المرموقة.
- كانَ المنهج الفكريّ للجماعة الإِسْلَاميّة المقاتلة يقوم عَلى أسس الفكر الجهاديّ السائد، وقد تأثروا بمناهج الجماعة الإِسْلَاميّة وجماعة الجِهَاد المصريَّة، ويمكن اعتبارهم نموذجا من نماذج جماعات السّلفيّة الجهاديّة، وقد بدا هذا جليا عندما نشروا منهجهم الفكريّ في كتاب بعنوان (الخطوط العريضة للجماعة الإِسْلَاميّة المقاتلة بليبيا)، كما تجلى ذلك عبر نشرتهم الشهرية (الفجر) فيما بعد، وكذلك في عدد من الأبحاث الفكريّة السّياسيّة الشَّرعيَّة الّتي أصدروها.
- مع هبوب العاصفة الأمنيّة عَلى العَرَب في باكستان بموجب البرنامج الأمريكيّ، ومع عودة معظم المُجَاهدين العَرَب إلى بلادهم كانَ أعضاء الجماعة الإِسْلَاميّة المقاتلة من الصنف الّذي لا يستطيع العودة إلى بلاده، شأنهم في ذلك شأن المطاردين من الجهاديّين من سوريا ومصر وتونس والعراق وبعض البلاد الأخرى، فانتقل معظم شباب الجماعة الإِسْلَاميّة المقاتلة إلى السُّودَان بعد أن فتح نظام البشير وحليفه الترابي أبواب السُّودَان للإسلاميين والجهاديّين بعد تسلمهم السّلطة سنة (١٩٩٠م) كما مر آنفا، في حين يمم القليل منهم وجهة شطر ملاذات اللجوء السّياسيّ في بعض البلدان الأوربية والغربيّة.

- تعتبر مرحلة الإقامة في السُّودَان (١٩٩١-١٩٩٥) مرحلة تأسيس هامة بالنسبة للجماعة الإِسْلَاميّة المقاتلة بليبيا، فقد مكنتها من إعادة توثيق صلاتها بليبيا، كما وضعت الجماعة برنامجا طموحا لتأهيل الكوادر في المجالات المختلفة ولاسيما في مجال طلب العلم الشَّرعيّ، واتجه العديد منهم إلى طلب العلم في بلاد الحرمين، في حين يمم آخرون وجههم شطر موريتانيا، وفعلا، لم يأت الشوط الثّاني للأفغان العَرَب في أفغانستان (١٩٦-٢٠٠٠) إلا وقد كونت الجماعة الإِسْلَاميّة المقاتلة بليبيا عددا من خيرة الكوادر العلمية الشَّرعيَّة الّتي تأهلت في التّيار الجهاديّ والأفغان العَرَب.
- كانَ عدد من كوادر الأفغان العَرَب الليبيين ممن لم يلتحقوا بالجماعة المقاتلة يعمل في مُعَسْكَرَات تنظيم القَاعِدَة، وقد غادروا إلى السُّودَان متابعين عملهم مع الشَّيْخ أُسَامَة بن لادن في المجالات الزراعية والاقتصاديَّة الّتي ابتدأها في السُّودَان، ولكن نشاط المقاتلة وغيرها من الإِسْلَاميّين والجهاديّين داخل ليبيا ضدّ نظام القذافي، ولاسيما تحركهم في السُّودَان عَلى مقربة من ليبيا، أزعج نظام العقيد القذافي ودفعه إلى إبرام معاهدة لتبادل المجرمين! ووضع برنامج لمكافحة العناصر الإِسْلَاميّة مع نظام البشير (الإِسْلَاميّ)، وسرعان ما قلب نظام البشير ظهر المجن لكافة الأفغان العَرَب، ولكن بداية ذلك كانت بالليبيين، إذ طلبت الحكومة السُّودَانية من تنظيم (المقاتلة) الرحيل عن السُّودَان، كما طلبت من الشَّيْخ أُسَامَة إخراج من لديه من الليبيين من مجالات عمله نتيجة ضغوط ليبيا عليها واتفاقاتها الجَدِيدة معها، ولم يكن من ذلك بد، وأدى ذلك إلى بدء رحيل الليبيين عن السُّودَان، ليعيدوا انتشارهم في المنطقة من جديد، وأدى ترحيل من كانَ منهم مع تنظيم القَاعِدَة إلى انضمامهم إلى تنظيم (المقاتلة) مضيفا إليها كوادر هامة، حيث كانت المقاتلة حريصة عَلى أن تكون التَّنظِيم الجهاديّ الوحيد في ليبيا، وبذلت في ذلك مساع حثيثة داخل ليبيا وخارجها.

- كما قلت، فقد توزعت كوادر المقاتلة وعناصرها في العديد من دول المنطقة، فعاد البعض إلى باكستان وانتشر آخرون في اليمن والسّعُودِيّة وتركيا وسوريا والأردن والخليج وبعض دول شمال أفريقيا، فيما أتجه آخرون إلى ملاذات اللجوء السّياسيّ في بعض الدّول الغربيّة حيث ساعدتهم الأجواء وإمكانية المعلومات والاتّصالات عَلى الإفادة في مجال الدعاية والإعلام.
- مع إنطلاق شرارة الجِهَاد في الجَزَائِر منذُ (١٩٩٣) سارعت الجماعة المقاتلة كي تكون حاضرة في هذه السَّاحَة الهامة بذاتها ولجوارها لليبيا، وأوفدت بضع عشرات من مُجَاهديها ليتواجدوا هناك وليشاركوا إخوانهم في الجماعة الإِسْلَاميّة المُسلّحة في الجِهَاد ضدّ النّظام الجَزَائِري، ولكنها كانت تجربة بالغة المرارة، إذا أدت الاختراقات الاستخباراتية، وسيطرة العناصر الجاهلة والتكفيرية وتوجيه المخابرات لها، إلى المنحرفين سيطرة عَلى إدارة الجماعة الإِسْلَاميّة المُسلّحة في الجَزَائِر، ودفعها في متاهات الإنحراف والتشرذم، كما سنعرض في النبذة التّالية عند التعرض للتجربة الجَزَائِرية، إن شاء الله، ولكن ما يعنينا هنا هو أن (الإدارة المجرمة للجماعة الإِسْلَاميّة المُسلّحة بقيادة أبو عبد الرَّحمٰن أمين) منذُ ١٩٩٥، أضافت إلى قائمة جرائمها، جريمة اغتيال معظم هَؤُلَاءِ المُجَاهدين الغُرَباء من الجماعة الإِسْلَاميّة المقاتلة رحمهم الله، بدعوى حملهم لفكر المبتدعة، وأنهم ليسوا عَلى العَقِيْدَة السّلفيّة الصَّحِيحة !! ولم ينج من هَؤُلَاءِ إلا القليل جدا ممن استطاعوا الفرار إلى مناطق التَّنظِيمات الأخرى ليخرجوا شهودا عَلى ذلك الإنحراف الخطير الّذي حصل في الجَزَائِر!! ولله الأمر من قبل ومن بعد.
- في عام (١٩٩٤) بدأت الجماعة المقاتلة نشاطها العسكريّ في ليبيا، عبر ثلاثة محاور:

١. حرب عِصَابات مدن داخل ليبيا، ضدّ أركان الحكومة الليبية.

٢. تمركز بعض العناصر المطلوبة في مناطق الجبل الأخضر شرق ليبيا لتمارس حرب عِصَابات جبال وأرياف في محيطه.

٣. محاولة اغتيال العقيد معمر القذافي.

لكن المعطيات الاستراتيجيّة لبلد مثل ليبيا لم تكن لتساعد عَلى مثل هذه الحركة.

فعدد السّكّان قليل، وليبيا بلد صحراوي مترامي الأطراف، تتناثر فيه المدن الرَّئيسيَّة عَلى مسافات شاسعة، وتتركز في شريط ساحلي ضيق، بالإضافة للتوقيت غير المواتي الّذي انطلقت فيه شرارة تلك المحاولة، حيث كانَ التنسيق العربيّ والإقليمي والدّولي لمكافحة الجماعات الجهاديّة قد بدأ، مما جعل عمليَّة التنسيق بين إدارة العمل في الداخل والخارج غير ممكنة، وكذلك أصبحت حركة العناصر من وإلى ليبيا محفوفة بالمخاطر وشبه مستحيلة، وسرعان ما أوقع نظام الطَّاغوت في ليبيا خسائر كبيرة في صفوف المُجَاهدين، رغم العمليَّات النوعية والبطولية الّتي قام بها أفرادهم خلال تلك الفترة، ضدّ أجهزة الأمن وعناصر الجيش والمليشيات الحُكُوميّة.

وهكذا صفيت خلاياها في الجبل الأخضر، وقتل الأخ القائد الشّهِيد عبد الرَّحمٰن حطاب، وسقط عدد من الشّهداء في مدن متعددة واعتقل آخرون، واضطرت الجماعة المقاتلة للإعلان عن تغيير برنامجها العسكريّ، معلنة ذلك في بياناتها بما عبرت عنه ببرنامج (الهجوم الإستراتيجي والتراجع التكتيكي)، ليقتصر نشاطها عمليا بعد ذلك عَلى المحور الأخير فقط وهو المحاولات الّتي كررتها لاغتيال العقيد القذافي دون أن يوافق ذلك قدر أجل ذلك الطَّاغوت الخبيث، فباءت محولات عديدة بالفشل ونجى القذافي المرة تلو الأخرى بأعجوبة، واضطرت الجماعة لإنهاء نشاطها عمليا في ليبيا.

- منذ (١٩٩٥) كانت عواصف الحَرب العَالَمِيّة عَلى الإرهَاب كما أسموها تتصاعد بسرعة لمطارد كافّة الجهاديّين في كلّ مكان، وقد أوقع التّعاون والتنسيق الأمني الإقليمي والعربي والدّولي، كثيرا من كوادر التّيار الجهاديّ ضحايا لتلك الحملات الأمنيّة الظَّالمة الّتي وضعت نصب أعينها إغلاق الملاذات الآمنة، وتجفيف المنابع المالية، ومطاردة العناصر الرَّئيسيَّة لاغتيالها أو أسرها أو تسليمها إلى بلدانها، وكان نصيب الجماعة المقاتلة من الابتلاء في تلك المَرحَلَة أيضا غير قليل، إذ طاردت السُّلطات في تركيا وسوريا والأردن واليمن والسُّودَان عددا من الخلايا التَّابعة لهذا التَّنظِيم، فقبض عَلى بعضهم وسلموا إلى ليبيا كما حصل في

السُّودَان والأردن وسوريا وتركيا، واعتقل آخرون في تلك البلاد أو رحلوا أو اختفوا في أشد حالات الضيق في أماكنهم أو أماكن أُخرى، كما تعرض اللاجئون إلى الدّول الغربيّة منهم كغيرهم من الإِسْلَاميّين عموما والجهاديّين خُصُوصَاً للحصار والتضييق.

- مع تمكن حركة طالبان من السّيطرة عَلى أفغانستان وإعلانها للإمارة الإِسْلَاميّة ربيع (١٩٩٦)، بدأت كوادر من الأفغان العَرَب شد الرحال إلى الملاذ الجَدِيد، ورغم وصول العديد من طلائع التَّنظِيمات والكوادر الجهاديّة والعربيَّة إلى أفغانستان ولاسيما من قدماء الأفغان العَرَب، إلا أن قيادة الجماعة المقاتلة بدت مترددة في اللحاق بهذا الملاذ الجَدِيد وحذرة من فكرة إعادة تجميع كامل بيض التّيار الجهاديّ في سلة واحدة في أفغانستان مرّة ثانية، ولقد كنت من بين أوائل من توجه إلى أفغانستان في تلك المَرحَلَة، ومن بين من حثهم وحث الجميع عَلى المجيء وتجمع القوي والانطلاق من هناك من جديد، وقد إعتبر المترددين في ذلك مخطئين في ترددهم، ولكن ما حصل في سِبتَمبر وما تلا ذلك من تداعياتها عَلى التّيار الجهاديّ، تجعلني الآن أفكر في أن ترددهم وحذرهم ربما كانَ في حينها في محله، ولكن كانَ للأقدار مسارا ومشيئة أُخرى، فهم كانوا مهددين في ملاذاتهم وما كانَ أحد ليتصوُّر سِبتَمبر وتداعياته، فقد أدى نجاح طالبان في بسط سيطرتها عَلى معظم أفغانستان، والعز الجَدِيد الّذي لاقاه من حضر من الأفغان العَرَب في كنفهم من جهة، والمطاردات الأمنيّة الّتي عصفت بخلايا المقاتلة وغيرها من الجهاديّين في أكثر من مكان كما أسلفت، إلى أن يضطر المترددون إلى اللحاق بأفغانستان خوفا وطمعا، خوفا من لهيب العواصف الأمنيّة في مختلف بلاد العالم، وطمعا في الإفادة من معطيات السَّاحَة والملاذ الجَدِيد، وتتابع مجيء الكوادر البارزة من قيادة تنظيم الجماعة الإِسْلَاميّة المقاتلة إلى الإمارة الإِسْلَاميّة في أفغانستان كغيرهم.
- ترددت المقاتلة بادئ ذي بدء في الزج بكوادرها في معارك طالبان الطويلة مع تحالف الشمال خشية الدخول في استنزاف لم يكن ضمن برنامجها من جهة، ولعدم تبلور قناعتها ربما بعد في تلك المَرحَلَة بالانخراط في معركة الطَّالِبَان، وعدم تبينها لمسألة مشروعية أمير المُؤمِنِين كإمام

شَرعِيّ ممكن يحب الدخول في كنفه، ولكنهم وبعد تدارس الموقف مطلع (١٩٩٩) بدؤوا ينخرطون في الوقوف إلى جانب حكومة الطّالِبَان شيئا فشيئا، وما لبثوا أن لعبوا دورا مهما في مساندتهم في مختلف المجالات ولاسيما في المجال العسكريّ والإعلام.

- و خلال الشوط الثّاني للأفغان العَرَب في أفغانستان، كانت الجماعة المقاتلة من أفضل المجموعات العربيَّة تنظيما وأداء عَلى مستوى الأفغان العَرَب وتجمعاتهم وجماعاتهم الّتي بلغ المنظم منها نحو(١٤) تنظيما وتجمعا ومعسكرا مستقلا، وكان لهم معسكرا مستقلا وأكثر من مضافة ومركز نشاط.
- وخلال تلك الفترة بدا أن ظلال عالم العولمة الّذي بدأ يتسرب إلى تفكير الجهاديّين أيضا قد وجد طريقه إلى الجماعة المقاتلة في اتجاه العناصر غير الليبية والاهتمام بأكثر من قضية وساحة، رغم أن توجههم القطري الليبي ظل واضِحاً وملازما لكافة نشاطاتهم وبنيتهم الإدارية وإنتاجهم الإعلاميّ،
- لم تنجح محاولات الشَّيْخ أُسَامَة والقَاعِدَة في استمالة الجماعة الإِسْلَاميّة المقاتلة إلى توجهاته توحيد محور المُوَاجَهة تجاه أمريكا، كما لم يستطع استيعابهم في حلفه الّذي أطلق عليه مسمّى (الجبهة العَالَمِيّة لجِهَاد الصّليبيّين)، والّذي لم يستمل في آخر المطاف عبر السَنَوات الخمسة إلا تنظيم الجِهَاد المصري بقيادة الشَّيْخ الدكتور أيمن الظواهري، ويبدو أن الأسباب الرَّئيسيَّة لذلك تعود إلى قضايا منهجيّة وأخرى إدارية وأسباب متعلقة بطبيعة التوجه والهدف الإستراتيجي ومنحى الجهد العملي لكل جماعة، وهكذا بقى تنظيم المقاتلة مستقلا في بَرَامجه ونشاطه في ساحة الأفغان العَرَب إلى أيّامهم الأخيرة.
- وجاء الحادي عشر من سِبتَمبر، و(المقاتلة) كغيرها من التَّجَمُّعات الجهاديّة العربيَّة منهمكّة في نشاطها وحركتها الدؤوبة، بل ربما أنها كانت الأبرز نشاطا وأداء.

واضطرت الهجمة الأمريكيّة العاتية جوا والزاحفة برا بالتّعاون مع الخونة من الشماليين وشذاذ الأحزاب المختلفة وقطاع الطرق، اضطرت جميع الأفغان العَرَب للدخول في معركة الدّفاع عن النّفس والدّفاع عن الإمارة الإِسْلَاميّة، وعن أمير المُؤمِنِين وحكومته الّتي بدأت تتهاوى عَلى أكثر من جبهة.

- أخذ المُجَاهدون من الجماعة المقاتلة بليبيا مواقعهم في تلك المَعْرَكة، وأبلوا بلاء حسنا في معركة الدّفاع عن خطوط شمال كابل، وكان فصيل آخر منهم يرابط في جهة الجنوب في قندهار وهلمند، وسقط منهم العديد من الشّهداء، وكانت قياداتهم وكبار كوادرهم في طليعة المقاتلين، كما لعب بعض قياداتهم وكوادرهم دورا بارزا فيما بعد في المعارك المتتالية في أكثر من مكان، إلى أن اضطر من سلم من القصف ومن تلك المعارك إلى الانسحاب تجاه باكستان وتولى أحد قادتهم وهو الشَّيْخ أبو الليث قيادة مجموعات مقاومة للأمريكان عَلى الحدود الباكستاني مع أفغانستان منذُ ذلك الوقت إلى الآن حفظه الله، وثم كانَ نصيب المقاتلة من البلاء كغيرها من مُجَاهدين الأفغان العَرَب لا بأس به أيضا، فوقع العديد من عناصرها وكوادرها أسرى خيانات حكومة وجيش وقوى الأمن الباكستانية عليهم من الله ما يستحقون، ليقتل البعض ويسلم آخرون إلى الأسر لدى زعيمة الحملات الصّليبيّة أمريكا.
- كانت خسائر المقاتلة كغيرها من مكوّنات التّيار الجهاديّ العربيّ والأفغان العَرَب فادحة، قتلا وأسرا وتشريدا، ليعود من سلم من كوادرهم مع من سلم من كوادر التّيار الجهاديّ، غُرَباء العصر الحديث ممن نجى من أخدود سِبتَمبر للتشرد والتخفي في أقطار الأرض من جديد، فرحم الله الشّهداء، وفرج عن الأسرى وأنجى المستضعفين من عباده في الأرض في كلّ مكان وحققه لهم وعده الأكيد بالنّصر والفرج والتمكين.

وقد ربطتني بالأخوة في الجماعة المقاتلة روابط صداقة وأخوة وعلاقات تعاون وعمل في عدّة مناسبات ومجالات، كانَ أهمّها أثناء إقامتي في لندن، حيث كتبت عددا من المقالات الفكريّة الجهاديّة في مجلتهم الفجر، كما كانَ بيني وبينهم تعاون مثمر في الكشف عن انحراف الجماعة الإِسْلَاميّة المُسلّحة

في الجَزَائِر اعتبارا من أواخر (١٩٩٥)، وقد أدى ذلك التّعاون معهم ومع جماعة الجِهَاد المصريَّة إلى إعلان البَرَاءة من أعمالها من قبل معظم تكتلات التّيار الجهاديّ في حينها، كما سيأتي بيانه إن شاء الله، كما قام بيني وبينهم أيضا تعاون طيب أثناء (الشوط الثّاني للأفغان العرَب) أيّام طالبان، ثمّ جمعنا السبيل في محاولة دفع البلاء النازل إثر أحداث سِبتَمبر، قبيل الخروج من أفغانستان، وفعلا أعتقد أن الجماعة المقاتلة قد شكلت ركنا أساسيا في التّيار الجهاديّ وكان لها وجود متميز عَلى صعيد الإنتاج والحضور، وأعتقد أن قياداتها وطلاب العلم فيها، وكذلك كوادرها وعناصرها كانوا من أكفأ رجال التّيار الجهاديّ عطاء وأكثرهم تربية وتأهيلا.

تقبل الله منهم، وأحسن مثوبتهم، وجمعنا وإياهم في مستقر رحمته مع النبيّين والصديقين والشّهداء والصّالحين وحسن أولئك رفيقا.

٨- التَّجَارب الجهاديّة المعاصرة في الجَزَائِر اعتبارا من (١٩٩١):

- سبق أن بينت أن تجربة جهاديّة مبكرة كانَ قد قام بها الشَّيْخ الشّهِيد المُجَاهد (مصطفى بويعلي) رحمه في النصف الأوّل من السبعينات، فقد كانَ الشّهِيد بويعلي من المُجَاهدين الّذين حاربوا ضدّ الإستعمار الفرنسي في الجَزَائِر، وكان مثله مثل مئات آلاف المُجَاهدين في حينها يطمحون إلى التحرر من الإستعمار تحت شعار الجِهَاد، ليقام في الجَزَائِر حكم الإِسْلَام عَلى إثر ذلك، ولكن الفرنسيين الّذين أتقنوا لعبة الإستقلال كما أتقنوا لعبة الإستعمار، جعلوا الأمر يؤول من بعدهم للعلمانيين والاشتراكيين من أبناء الجَزَائِر الّذين تربوا عَلى أفكار أعداء الإِسْلَام ! وكان هذا سببا لتراكم الكفر والظُّلم الّذي دعى شهيدنا مصطفى بويعلي للثورة عليه.

ولكن تلك التَّجربة سرعان ما قمعت واستشهد قائدها وسجن من تبقى من عشرات المنتسبين إليها لعدة سنين.

- وفي نهاية الثمانينات وبعد أن تفاقمت المشاكل الاقتصاديَّة في الجَزَائِر نتيجة الفساد العارم الّذي استشرى في كافّة مفاصل النّظام وإدارته، انفجرت (مظاهرات الخبز) كما عرفت في حينها، وأوشك الحال عَلى الانفجار، فلجأ الرَّئيس الجَزَائِري آنذاك (الشاذلي بن جديد) إلى

علاج الأوضاع بطرح سياسة الإنفتاح وإعلان ترخيص تشكيل الأحزاب السّياسيّة والدّعوة إلى انتخابات ديمقراطية حرة سنة (١٩٨٩).

إستغل البادرة بعض الدعاة من الصّحوة الإِسْلَاميّة الّتي كانت مقموعة بشدة منذُ عهد الإستقلال (١٩٦٣) في عهد الرَّئيس (هواري بومدين)، وأعلن الشَّيْخ عباسي ومدني ونفر من الّذين استجابوا للدعوة، تشكيل (الجهة الإِسْلَاميّة للإنقاذ) لتشكل تجمعا عريضا يضم كافّة الساعين إلى المشروع السّياسيّ الإِسْلَاميّ، واستطاعت الجهة أن تشتمل عَلى معظم أوساط الصّحوة الإِسْلَاميّة، وانخرط في عضويتها المفتوحة الأبواب ملايين النّاس بصرف النَّظر عن أحوالهم ومشاربهم فقد التقوا عَلى دعم مشروع الإِسْلَام السّياسيّ.

- ومع انصرام الإنتخابات البلدية، تبين أن الجهة الإِسْلَاميّة للإنقاذ، قد سحقت أقوى الأحزاب السّياسيّة العلمانيّة في الجَزَائِر، وهو حزب السّلطة ! حزب جبهة التحرير الوطني وتولت بذلك معظم بلديات الجَزَائِر، واستفاد جبهة الإنقاذ بذلك للتحضير للفوز بالانتخابات التَّشريعية (البرلمانية) الّتي جرت سنة (١٩٩٠م) وتمخض الدَّور الأوّل فيها عن فوز الجبهة بأغلبية ساحقة كانت ستمكنها خلال الشوط الثّاني من الدَّورة الإكمالية من الأغلبية السَّاحقَة الّتي تأهلها لتشكيل الحكومة ولترشح لرئاسة الدّولة.
- وضربت نواقيس الخطر في مشارق الأرض ومغاربها، وأعلنت الدّول الصّليبيّة الكبرى عن استعدادها للتدخل لقطع الطّريق عَلى الإِسْلَاميّين من الوصول للسلطة، بل صرح (فرانسوا ميتران)، الرَّئيس الفرنسي في حينها، أن فرنسا عَلى استعداد للتدخل العسكريّ للحيلولة دون وصول الإِسْلَاميّين للسلطة، وكان الحلّ الوحيد أمامهم هو إحداث إنقلاب عسكريّ مدعوم من قبل الغرب ولاسيما فرنسا،
- وحصل الإنقلاب، واعتقلت قيادات الجبهة، وقمعت المظاهرات بالعنف، وفتح النظم العسكريّ الّذي استولى عَلى السّلطة وسحق الدِّيمقراطيَّة بدعم من الغرب المنافق السّجون الصحراوية لعشرات آلاف المعتقلين من الإِسْلَاميّين، وكان هذا سبب بداية الإنتفاضة

الجهاديّة المعاصرة في الجَزَائِر، والَّتي تعتبر من أهمّ التَّجَارب الجهاديّة الجديرة بالدّراسة، وآخر تجارب الجهاديّين في المُوَاجَهة مع الأنظمة، وآخرها في القرن العِشرين، وقد كانَ لي منذُ ابتداء تلك التَّجربة عام(١٩٨٩) وإلى عام(١٩٩٦)، تماس مباشر وعلاقة ببعض مجريات تلك التَّجربة سأشير إلى أهمّ مجرياتها في نهاية هذه الفقرة إن شاء الله، وقد كانت تجربة شخصية مريرة وغنية بالفائدة، وقد سجلت ذلك كما ذكرت في كتاب فقدته مخطوطا جاهزا أثناء انسحابنا العاجل من كابل إبَّان الهجمة الأمريكيّة عَلى أفغانستان بعد أحداث سِبتَمبر، وأعدت كتابة ملخصه وسأنشره قريباً ′ن شاء الله، وأما هنا فأعرض لأهم مناحي تلك التَّجَارب الّتي عايشتها عن قرب من خلال نقاط موجزة رئيسيَّة.

تجربة الجماعة الإِسْلَاميّة المُسلّحة والجماعات الأخرى في الجَزَائِر (١٩٩١-٢٠٠٠):

- كانَ عدّة مئات من الشَّبَاب الجَزَائِري، ربما ناهز عددهم الألفين، قد نفر للجِهَاد في أفغانستان، وسرعان ما أثبتوا كما هو معروف عنهم أنهم من أشد المُجَاهدين بأسا وشجاعة، ومع بداية التسعينات أخذ المُجَاهدون من كلّ بلد يجمعون أنفسهم ويستقلون بكياناتهم من حيث الخدمات والمضافات ومُعَسْكَرَات التّدريب، رغم بقاء جبهات القِتَال مشتركة بين الجميع تحت إدارة التنسيق العربيَّة العامّة، وهكذا سعى الجَزَائِريون من الأفغان العَرَب لتنظيم أنفسهم.
- برز (القاري سعيد) كما كانَ يدعى، كواحد من أبرز قيادات الأخوة الجَزَائِريين وبدأ تنظيم ما عرف فيما بعد باسم (الأفغان الجَزَائِريين)، وقد ربطني بالرجل خلال تلك الفرة وما بعدها صداقة وتجاوزنا في السكن في بيشاور مكنتني من الإطلاع عَلى تلك التَّجربة، وقد حدثني رحمه الله عن طموحاته بتشكيل تنظيم جهاديّ للعمل في الجَزَائِر بعد الفراغ من الجِهَاد الأفغاني في عدّة مناسبات، ولم يكن المشروع مستعجلا، وإنما كانت أهدافه في إطار التّدريب التَّنظِيم والإِعداد.

وجاءت أحداث الإنتخابات، وما جرى للجبهة الإنقاذ، والانقلاب العسكريّ سنة (١٩٩٠م)، لتجعل بالأخوة الجَزَائِريين للعودة إلى بلادهم لمُوَاجَهة الحكومة الانقلابية الطَّاغوتية العسكريّة.

- وذهب القاري سعيد للاستطلاع في الجَزَائِر، ليعود بقرار ترحيل من معه إلى هناك عَلى مراحل، ثمّ عاد إلى الجَزَائِر بعد أن استناب بعض الأخوة في (بيشاور) ليتابع التّدريب المكثف وتنظيم عمليَّة الترحيل إلى الجَزَائِر.
- كانت ردة الفعل الطبيعة لأكثر من ٥، ٣ مليون ناخب اختاروا المشروع الإِسْلَاميّ في الإنتخابات وفازوا فيها، ثمّ انتزع منهم انتصارهم، ليساق عشرات الآلاف منهم إلى السّجون، كانَ طبيعيا أن يرحب أكثرهم بنداءات جِهَاد السُّلطات العسكريّة الّتي قطعت عليهم الطّريق إلى حصاد نتيجة فوزهم بدعم وتوجيه من الغرب ولاسيما فرنسا.
- كانت ساحة الصّحوة الإِسْلَاميّة في الجَزَائِر آنذاك تموج بكافة مكوّنات الصّحوة الإِسْلَاميّة العربيَّة الّتي من المهم معرفتها لفهم تلك التَّجربة المتشابكة، وكان من أهمّ تلك الكتل بحسب حجمها وتأثيرها ما يلي:

أولا: الجهة الإِسْلَاميّة للإنقاذ:

وتكونت من خليط من مدارس الصّحوة وقياداتها والتَّنظِيمات الإِسْلَاميّة الدعاة المستقلين، بالإضافة لقواعد عريضة من عوام المُسلِمِين الّذين آمنوا بعموميات مشروع الإِسْلَام السّياسيّ دونما منهج محدد اللّهم إلا الشَّعَار العام، وكان من أهمّ مكوّناتها الرَّئيسيَّة:

١. **جماعة الطلبة**: الّتي كانَ يرأسها الشَّيْخ محمّد السَّعيد - رحمه الله- ويعود تأسيسها إلى مجموعة من الطلبة الإِسْلَاميّين في جامعة الجَزَائِر من الّذين تتلمذوا، عَلى المفكر الإِسْلَاميّ الشهير مالك ابن نبي، وكانت تقوم في عموميات فكرها مزيج من أفكار الأخوان المُسلِمِين مع مورثات الصّحوة الإِسْلَاميّة في لجزائر من تراث جَمعيَّة العُلَماء المُسلِمِين، بالإضافة إلى أفكار مالك أبن نبي رحمه الله .

٢. **حركة الدّولة الإِسْلَاميّة:** وهم بقايا حركة الشّهِيد مصطفى بو يعلي رحمه الله، وقد تزعمهم ومثلهم في جبهة الإنقاذ الشَّيْخ سعيد مخلوفي - رحمه الله - وكانت مجموعة جهاديّة سلفية المعتقد.

٣. **شريحة عريضة من أتباع الدّعوة السّلفيّة:** وقد تزعمهم ومثلهم في الجبهة رجلها الثّاني وخطيبها المشهور الشَّيْخ (علي بلحاج حفظه الله).

٤. **عدد من رموز الدّعوة الإِسْلَاميّة من المستقلين.**

٥. **قاعدة عريضة من عوام المُسلِمِين المتعاطفين مع المشروع الإِسْلَاميّ.**

ثانيا: الأخوان المُسلِمُون - فرع التَّنظِيم الدّولي في الجَزَائِر:

وكان يرأسهم (محفوظ النحناح)، الّذي أطلق عَلى حزبه اسم (حركة مجتمع السلم)، وقد أبى النحناح الدخول تحت مظلة جبهة الإنقاذ، وبقي مناوئا لها طوال بقية حياته رغم محنتها، وشن عن المُجَاهدين هجوما ضاريا.

ثالثا: الأخوان المُسلِمُون المحليون- وهم حزب النهضة الإِسْلَاميّة:

الّذي رئسه (عبدالله جاب الله)، وكان فكرهم مزيجا من فكر الإخوان وفكر الصّحوة الإِسْلَاميّة الجَزَائِرية المحليَّة.

رابعا: السلفيون:

والّذين كانَ شريحة كبيرة منهم عَلى قواعد (الفكر الجامي المدخلي) الّذي يستمد انحرافاته من علماء السّعُودِيّة الرسميين، وكان كثير منهم يؤيدون السّلطة الجَزَائِرية.

خامسا: الشَّبَاب السلفيون المتشددون:

وقد شكل بعضهم - كما بلغني - حركة سميت باسم سلفية العاصمة (الجَزَائِر)، وكانوا يسمون أنفسهم (جماعة الأمر بالمعروف والنهي عن المُنكر)، وقد تفشت فيهم منذُ البداية أفكار تتراوح بين التزمت والتكفير والجهل في الدّين والدُّنيَا.

سادسا: جناح من حركة الدّولة الإِسْلَاميّة:

من الدّين كانوا مع الشَّيْخ مصطفى بويعلي ولم يرو الدخول في جبهة الإنقاذ لمنهجها الديمقراطي. وكانوا عَلى فكر جهاديّ سلفي.

سابعا: (الأفغان العَرَب الجَزَائِريون):

كما سموا فيما بعد، وهم الجهاديّون المتحركون بين الجَزَائِر وساحة أفغانستان،

كانت هذه أهمّ مكوّنات السَّاحَة الإِسْلَاميّة في الجَزَائِر آنذاك، بالإضافة لحركات هامشية قليلة التّأثير بما حولها كجماعات التبليغ والحركات الصوفية المختلفة.

- بعيد الإنقلاب العسكريّ بقليل لاذ عشرات من الشَّبَاب بالجبال، وبدؤوا يبحثون عن السّلاح ويعدون لِمُوَاجَهة الحكومة العسكريّة، ثمّ مالبثوا وبسرعة كبيرة، أن بدؤوا الصدام المُسلّح مع الحكومة.
- أدت حركة الإعتصام الكبير في الجَزَائِر العاصمة، والّذي دعت له جبهة الإنقاذ، إلى مفاجئة الجميع باعتقال زعيمي الجبهة وشيخيها الكبيرين (عباسي مدني وعلى بلحاج) بشكل مفاجئ، دونما أي مقاومة ! فيما كانا يقودان اعتصاما جمع مئات آلاف المتظاهرين !! وسمعت فيما بعد وأنا أتحرى تلك القضية أن بعض أعضاء مجلس شورى جبهة الإنقاذ، قد خانوهما ولم ينفذ الأوامر بالمُوَاجَهة- والله أعلم - وكنت أحتفظ في ملفاتي المفقودة حاليا عن تلك المَرحَلَة ببعض التفاصيل والأسماء ولكنها ليست عندي الآن، وبقيت جبهة الإنقاذ بلا رأس، وعادت مكوّناتها الأساسيّة للعمل بصورة غير مركزية، وبرز الشُّيُوخ (عبد القادر شبوطي وعبد الرزاق رجام ومحمّد سعيد مخلوفي ومحمّد السَّعيد) - رحمهم الله جميعا - كرؤوس لكتل مقاومة مسلحة للحكومة في العاصمة والجبال من حولها، وعمت الفوضى السّياسيّة المُسلّحة البلاد، وبدت نذر حرب أهلية طاحنة ما لبثت أن اشتعلت بضراوة، وقتل المُجَاهدون الرَّئيس الجَدِيد (بوضياف) الّذي جاء به الإنقلابيون لتصل الصدامات المُسلّحة إلى ذروتها.

- نزل (قاري سعيد) كما ذكرت إلى الجَزَائِر لمدة شهر، وقد حدثني بنفسه بعد عودته عن جهود مضنية قامت لجمع الأفغان العَرَب، مع وبقايا فرع جماعة مصطفى بويعلي، ببعض الخلايا ذات الفكر السلفي الجهاديّ هناك في جماعة جهاديّة واحدة. ثمّ عاد قاري سعيد، وهاتف نائبه في بيشاور ليخبر بقيام ذلك الجمع وأنهم أسموه (الجماعة الإِسْلَاميّة المُسلّحة)، وكان ذلك في أواخر (١٩٩٠م) أو أوائل (١٩٩١).
- إنشق جزء كبير من مجلس شورى جبهة الإنقاذ، وشكل قيادة تفاوضت وتعاونت مع الحكومة العسكريّة، ورفض آخرون عَلى رأسهم (محمّد السَّعيد وعبد القادر شبوطي وعبد الرزاق رجام وسعيد مخلوفي) المهادنة وبدؤوا المُوَاجَهة باسم جبهة الإنقاذ، وسرعان ما أسفر اجتماعهم عن تشكيل ما عرف باسم (جيش الإنقاذ) الّذي برز عَلى رأسه (مدني مرزاق) أحد كوادر الجبهة من الّذين صعدوا الجبال واشتمل البيان التأسيسي لجيش الإنقاذ عَلى معظم مكوّنات الفكر الجهاديّ السلفي وركز عَلى مبدأ رفض العودة للديمقراطية.
- وسرعان ما قمعت الحكومة العسكريّة حركات العصيان المدني وحظرت الأحزاب السّياسيّة، وكان في طليعتها جبهة الإنقاذ – وحركة النهضة – وحركة الإخوان (نحناح) – والحركة من أجل الثّقافة والدِّيمقراطيَّة (وهي حزب أما زيغي يرأسه آيت أحمد) – وحزب جبهة التحرير الوطني الّذي مثله آخر رئيس وزراء مدني هو (عبد الحميد مهري)، وأحزاب علمانية واشتراكية وشيوعية صغيرة أُخرى، حيث إستمرت بالمعارضة ثمّ قمت وخرج كثير من رؤوسها إلى خارج الجَزَائِر، ووصل عدد المعتقلين من الإِسْلَاميّين إلى أكثر من (٥٠ ألف) معتقل ملئت بهم السّجون الصحراوية، وأدى ذلك إلى إرتفاع عدد المُسلّحين المقاومين في الجبال إلى ما قيل أنه بلغ عشرات الآلاف، وأصبحت عمليَّاتهم بالعشرات يوميا.
- سيطرت أخبار الجِهَاد في الجَزَائِر عَلى عناوين الأخبار ووسائل الإعلام خلال تلك الفترة وبرز اسم (الجماعة الإِسْلَاميّة المُسلّحة) كأهم وأبرز التَّجَمُّعات العاملة عسكريّاً في مُوَاجَهة الحكومة العسكريّة، وبرز اسم أميرها الأوّل (عبد الحقّ العيايدة)، الّذي ما لبث أن اعتقلته

السُّلطات المغربية أثناء سعيه لشراء السّلاح وسلمته للجزائر، وخلفه أخ آخر(لا يحضرني اسمه الآن بدقة ولعله جعفر الأفغاني) ثمّ قتل ﵀، ثمّ خلفه مع مطلع (١٩٩٣) أميرها أبو عبدالله أحمد الّذي تحققت في عهده إنجازات كبيرة.

- تصاعدت حدة العمليَّات العسكريّة، واعتقل (القاري سعيد) في إحدى الهجمات الكبرى عَلى قيادة القوَّات البحرية في الجَزَائِر العاصمة، ثمّ فر مع أكثر من (٧٠٠) سجين من سجن الجَزَائِر العاصمة بعد عدّة أشهر، ثمّ بذل وسعه في توحيد الفصائل المقاتلة من جميع الفرقاء، ثمّ قتل في ظروف غامضة ﵀ أواخر(١٩٩٤)، وفي هذه الفترة كانَ عنف الدّولة كبيرا، وصل لحد اغتيال مئات السّجناء السّياسيّين في سجن (سركاجي)، أحد سجون العاصمة الجَزَائِرية في واقعة واحدة.
- مطلع (١٩٩٣) كانت كافّة الأصوات المؤيدة للجِهَاد في الجَزَائِر تنادي المُجَاهدين بتوحيد الصفوف، وفعلا أدت جهود كبيرة قام بها العديد من القيادات المُجَاهدة في (الجماعة الإِسْلَاميّة المُسلّحة) من القيادات المُجَاهدة لجيش الإنقاذ، ولكثير من الخلايا الجهاديّة المحليَّة، إلى حصول تلك الوحدة الّتي عمل لها الأمير الثّاني للجماعة الإِسْلَاميّة المُسلّحة ولم يرها لأنه قتل قبلها بقليل ﵀، وتولى (أبو عبدالله أحمد) قيادات الجماعة من بعده، وحصلت تلك الوحدة في عهده، ونشر شريط فيديو في غاية التّأثير، وأبهج أوساط الجِهَاد مشهد بيعة شيوخ الجبهة من قيادات الجيش الإِسْلَاميّ للإنقاذ (محمّد السَّعيد وعبد الرزاق رجام وعبد القادر بشوطي وسعيد مخلوفي) لشاب في عمر أبناء بعضهم، أميرا للجِهَاد الموحد باسم الجماعة الإِسْلَاميّة المُسلّحة وهو أبو عبدالله أحمد، وأدت الوحدة إلى ازدهار الآمال بقرب الانتصار الشّامل.
- رفض أمير جيش الإنقاذ (مدني مرزاق) الوحدة وعارضها، ونال ممن أقدم عليها ورفض الاعتراف إلا بقرارات الشَّيْخين الأسيرين عباسي مدني وعلي بلحاج لما يخرجون من السّجن ! وأصر عَلى البقاء خارج الوحدة، ولكن عشرات الفصائل والجماعات الثانوية من مشرق

الجَزَائِر وغربه وولايات الوسط دخلت الوحدة وصارت الجماعة الإِسْلَامِيّة المُسلّحة تمثل أكثر من (٩٥٪) من المُجَاهدين المُسلّحين الّذي صار عددهم عشرات الآلاف مع حلول (١٩٩٤).

- قتل أبو عبدالله أحمد هو الآخر في ظروف غامضة، وصدر بيان عن بعض أعضاء مجلس شورى الجماعة الإِسْلَامِيّة المُسلّحة بتولي (أبو عبد الرَّحْمٰن أمين) قيادات الجماعة وتوالي البيعات له من قبل قيادات الفصائل، ولم يكن بوسع المؤيدين للجِهَاد في الجَزَائِر في الخارج إلا أن يؤيدوهم ويدعوا لهم وكان ذلك أواخر(١٩٩٤) أو أوائل (١٩٩٥).
- ومع تولي أبو عبد الرَّحْمٰن أمين قيادة الجماعة، بدأت بوادر تغير في منحى السياسات والبيانات والعمليَّات في الجماعة الإِسْلَامِيّة المُسلّحة ومن ذلك.

- فقد كثرة البيانات الصادرة عن الجماعة، وتصعدت المُوَاجَهة مع الشرائح المدنيّة والاجتماعيَّة ذات العلاقة البعيدة مع هيكل الدّولة أو السّلطة، وتوعدها بالقتل، مثل أجهزة الإعلام، بدءا من الوزير ووصولا إلى باعة الجرائد في الشارع، ومثل قطاع التّعليم كذلك، وصولا للأساتذة والمدارس والطلاب، وكذلك وزارة النّفط وصولا للعمال الّذين يملؤون السيارات بالبترول !! وهكذا.

- التجرؤ عَلى إصدار الفتاوى باستحلال قتل النِّسَاء والأطفال من أسر العاملين في أجهزة الدّولة.

- تصعيد المُوَاجَهة مع المليشيات المدنيّة المرتبطة بالحكومة واتخاذها هدفا أساسيا.

- إرتفاع لهجة التّكفِير في الخطاب العام، وغير ذلك من هذه التوجّهات الخرقاء،

- خلال سنة (١٩٩٥)، تداعت قيادات الجبهة الإِسْلَامِيّة للإنقاذ اللاجئة في الخارج، وقيادات الأحزاب السّياسيّة الإِسْلَامِيّة والعلمانيّة وحتى الشُّيُوعِيّة إلى مؤتمر برعاية الفاتيكان في روما لتشكيل تحالف سياسي، يعرض حلّ أزمة الجَزَائِر سياسيّاً، ولكن عناد الحكومة العسكريّة أجهض تلك المبادرة الغريبة المشبوهة بتركيبتها ومكان انعقادها.
- أواخر سنة (١٩٩٥)، تجرأ أبو عبد الرَّحْمٰن أمين وقياداته المنحرفة المجرمة عَلى اغتيال الشَّيْخ محمّد السَّعيد والمُجَاهد عبد الوهاب العمارة وغيرهما من المُجَاهدين المنتمين لجماعة الطلبة

والّذين كانوا قد دخلوا بموجب الوحدة في الجماعة، وكانوا يطلقون عليهم اسم (جماعة الجزأرة) وهو اسم كانَ قد أطلقه عليهم محفوظ النحناح انتقادا لمنهجهم، فقتلوهم بدعوى تحضيرهم للانقلاب عَلى قيادته وبدعوى الحفاظ عَلى الهويّة السّلفيّة للجماعة بزعمهم، ومن هناك بدأت حقيقة الإنحرافات عن مسار الجماعة تتكشف.

- ثمّ أتبعت تلك القيادة تلك الجريمة بإصدار كتاب بعنوان (هداية ربّ العَالَمِيّن) بتوقيع أبو عبد الحمن أمين عَلى أنه منهج الجماعة الإِسْلَاميّة المُسلّحة، وقد حمل الكتاب من فنون الجهل وألوان التطرف والتكفير والانحراف ما جزم بالهويّة المنحرفة الجَدِيدة للجماعة في عهد أميرها هٰذا، ووضحت أبعاد الكارثة الّتي حلت بقيادة الجماعة المُسلّحة، ثمّ أتبع عبد الرَّحْمٰن أمين ذلك بتوجيه مقاتليه إلى المجازر الجماعية في المدنيين في القرى المجاورة لهم بدعوى أنهم انخرطوا في المليشيات الحُكُوميّة، فكفرهم واستباح قتلهم وسبي نسائهم، على أنهم مرتدين!!!
- إستغلت أجهزة الإستخبارات الجَزَائِرية هذه الأجواء الّتي تكشف فيما بعد أنها هيَ الّتي سعت إليها وأوجدتها، ودست العملاء في قيادة الجماعة الّتي ربما كانَ (أمين) واحدا منهم، وأتبعت ذلك كما كشف بعض الفارين من الجيش والقوّات الخاصّة ممن أجبروا عَلى فعل ذلك أو شهدوه قدرا كي لا تضيع قصة تلك المأساة.
- فأتبعت الحكومة ذلك بتنظيم سلسلة من المجازر المروعة في المدنيين ولم توفر عجوزا ولا امرأة ولا طفلا ولا حتّى حيوانا في تلك المجازر الوحشية الّتي جرت خلال (١٩٩٦-١٩٩٧)، حيث شهدت الجَزَائِر أهوالا وبحورا من الدِّماء، وصلت إلى قتل المصلين في رمضان وهم ينصرفون من أبواب المساجد بدعوى أنهم كانوا قد شاركوا في الإنتخابات فارتدوا بذلك !!! وكانت أكبر المجازر تجري في المناطق المعروفة بنجاح جبهة الإنقاذ فيها في الإنتخابات السالفة، وكان هذا بمثابة تصفية حساب من قبل الحكومة مع من اختاروا المشروع الإِسْلَاميّ كما كشف هَؤُلَاءِ الشهود بالوثائق المؤكدة لذلك عبر وسائل الإعلام

المختلفة بعد ذلك بعده سَنَوات، وقد عرضت قناة الجَزِيرَة بعض المقابلات بالغة الأهمّيّة في هذا المجال، ونشر بعض أولئك العسكريّين شهاداتهم في كتب طبعت في فرنسا وأصبح الأمر الآن واضِحاً.

- ومع تكشف الحقيقة والتوجه الإجرامي والمنحرف للقيادة الجَدِيدة للجماعة الإِسْلَامِيّة المُسلّحة، انفض عنها المؤيدون في الداخل والخارج، وأصدرت الشخصيات والجماعات الجهاديّة البارزة الّتي أيدت الجماعة المُسلّحة خلال مسارها وصدرت بيانات عديدة بذلك من مختلف الجماعات والشخصيات الجهاديّة، وكنت من أوائل من وقف ذلك الموقف كما فصلت في شهادتي في كتاب منفصل، كما بدأت الكتائب والفصائل الجهاديّة في الداخل تنفض عنها في لتنغمس أكثر فأكثر في حمامات الدَّم المروعة المخزية، ثمّ اشتعل القِتَال بين الجماعة وبعض تلك الفصائل المنفصلة عنها.
- قتل المُجَاهدون من (جماعة جبل الأربعاء) كما كانوا يسمون، وهم من جماعة الشَّيْخ محمّد السَّعيد رحمه الله، قتلوا (أبا عبد الرَّحمٰن أمين)، وأراحوا الدُّنيَا من شروره، ليتولى بعده سفاح أكثر إجراما منه قيادة الجماعة الإِسْلَامِيّة المُسلّحة، وهو المدعو (عنتر الزوابري)، الّذي تابع مسلسل الإجرام، ولكن بعد أن ضعفت الجماعة وقلت إمكانيَّاتها، واستمرت في منهجها بعد أن عزلت في مناطق محدودة إلى أن قتل هذا الأخير سنة (٢٠٠٣) فيما بعد في الجَزَائِر.
- مع تشرذم المُجَاهدين وتقسمهم، وبعد انفضاض النّاس عنهم وزهدهم بالمشروع الجهاديّ بل والإِسْلَاميّ، وصلت المخططات الإستخبارات الجَزَائِرية والخارجيّة إلى مبتغاها من سيناريو المجازر الّذي خططت له، فأطلقت برنامجا للإستسلام بدعوى العفو عن المُسلّحين الّذين يلقون سلاحهم، وكان جيش الإنقاذ بقيادة (مدني مرزاق) أول المستجيبين لما عرف بنداء (الوئام الوطني)، وتبرع عدد من علماء المُسلِمِين في الخارج من أمثال ابن باز وابن عثمين والألباني، ليدعموا نداء الدّولة للإستسلام، وخرج الألباني بآخر فتاويه قبل أن يتوفى سنة (٢٠٠٠)، ليعلن أن أحداث الجَزَائِر أكبر شاهد عَلى ما ذهب إليه من قول: (**أن الخروج عَلى**

الحكَّام في هذا الزّمان، هو في حقيقته خروج عَلى الإِسْلَام ذاته !!!)، واختلط الحابل بالنابل في ساحة الصّحوة الإِسْلَاميّة كلها بسبب التَّجربة الجهاديّة الجَزَائِرية، لتصبح شاهدا لكل من يريد أن يدلل عَلى رأيه في فشل خيار الجِهَاد وليصبح النموذج عبرة لمن يعتبر، بعد أن نجحت الإستخبارات الجَزَائِرية ومن ساعدها من المخابرات العربيَّة والخارجيّة، ومشاركة حثيثة من وسائل الإعلام العربيّ بهدم الحاجز بين مفاهيم الجِهَاد وبين أفكار التَّكفِير والإجرام والمجازر وحمامات الدَّم!

- خلال عام ١٩٩٨ وما بعدها تتابعت الأحداث في الجَزَائِر وكنت قد غادرت (لندن) إلى أفغانستان، حيث لا يمكن مواكبة الأخبار والأحداث كما يجب في ظل عزلة شبه تامة عن وسائل الإعلام، بالإضافة إلى ابتعادي عن ملف تلك القضية ومتاهاتها منذُ مطلع ١٩٩٦ بسبب الدوار العظيم الّذي تسببت لي به.

ولكن ومن خلال المعلومات الّتي بلغتني من بعض المُجَاهدين الجَزَائِريين الأفاضل ممن لاذوا بأفغانستان في مرحلة طالبان، ومن خلال متابعتي بحسب الممكن لوسائل الإعلام، وبعض المهتمين بهذه القضية، وما اطلعت عليه من بعض البيانات الّتي صدرت بعد ذلك ووصلتنا، فقد بدا أن الغالبيّة السَّاحقَة من المُسلّحين والمُجَاهدين قد نزلوا من الجبال بفعل ما سمي بمشروع الوئام الوطني، وبقيت مجموعات هنا وهناك في الجَزَائِر تريد متابعة المُوَاجَهة مع النّظام الّذي خرج يباهي بانتصار باهر علي الإِسْلَاميّين والجهاديّين.

ثمّ ظهرت إلى العلن جماعة أطلقت عَلى نفسها اسم (الجماعة السّلفيّة للدعوة والقتال) بزعامة أميرها (حسن حطاب)، بدا من خلال بياناتها أنها وعت بعض عبر ذلك الدرس القاسي، فركزت في بياناتها عَلى نفي أفكار التَّكفِير والغلو، وعلى تركيز المُوَاجَهة مع أجهزة السّلطة العسكريّة والأمنيّة وإبراز الأهداف العامّة من أجل إقامة الدّولة الشَّرعيَّة، إلا أن معظم الأوساط الجهاديّة بدت حذرة من ذلك، فقد كانت الصدمة بما حصل هائلة، وقد نقلت وسائل الإعلام ومازالت بعض أخبار عمليَّات تلك الجماعة ومن أبرزها بعض عمليَّات اختطاف للأجانب ومفاداتهم بمبالغ ضخمة.

كما أن المُجَاهدين الجَزَائِريين الّذين أموا أفغانستان، حاولوا بدورهم تجميع أنفسهم وترتيب أوراقهم لإعادة العمل في قضيتهم، وشكلوا شبه تجمع كانَ يصارع ظروفا صعبة من أجل إحياء مثل تلك القضية، وبدت بعض علامات التوفيق والتسديد عَلى بعض الناضجين منهم، ولكن أحداث سِبتَمبر عاجلتهم كما عاجلت الجميع بما هو معلوم، واتخذوا مواقعهم في معركة الدّفاع عن النّفس وعن الإمارة، ونالوا – تقبل الله – منهم حظا وافرا من البلاء وسجل كثير منهم أسماءهم في قائمة الشّهداء والأسرى من ضحايا أخدود سِبتَمبر مطلع القرن الحادي والعشرين،

[وقد سجلت شهادتي عن تجربة الجِهَاد في الجَزَائِر في كتاب مستقل لأهمية تلك التَّجربة وهو بعنوان (مختصر شهادتي عَلى الجِهَاد في الجَزَائِر ١٩٨٩-١٩٩٦) وأنصح الإخوة بالعودة إليه لأهمية دُروس تلك التَّجربة المريرة]

٩- التَّجَارب الجهاديّة في اليمن (١٩٩٠- ١٩٩٨):

أ. تجربة الشَّيْخ أُسَامَة بن لادن حفظه الله (١٩٩٠- ٢٠٠١).

ب. تجربة الشّهِيد أبو الحسن المحضار الجهاديّة – جيش عدن أبين (منذ ١٩٩٨).

لطالما اعتقدت أن اليمن من أكثر مناطق العالم العربيّ جاهزية لأن تقوم فيها حركة جهاديّة تتوفر لها معظم عناصر النجاح السببية، ولاسيما بعد قيام الوحدة، وقد كتبت في ذلك بحثا خاصا من نحو (٤٠ صفحة)، وهو بعنوان (مسؤولية أهل اليمن عن مقدّسات المُسلِمِين وثرواتهم)، حيث أثبت فيه ذلك وحرضت عليه،

فمساحتها الشاسعة الّتي تقارب (٤٠٠ ألف كم مربع) وسواحلها الطويلة الّتي تزيد عَلى (٢٥٠٠ كم) وتحكمها بمضيق باب المندب، وانفتاحها عَلى السّعُودِيّة ودول الخليج من جهة وعلى القرن الإفريقي وما يوفره من الذخيرة والسّلاح في شرق إفريقيا، وكثافتها السّكّانية الّتي تشكل نحو (٧٠٪) من عدد سكان جَزِيرَة العَرَب، أي زهاء ٢٥مليون من أصل نحو ٤٠ مليون تقريبا، وطبيعتها الجغرافيّة المتنوعة والوعرة الّتي تنتشر فيها الجبال وتعتبر من أصلح المناطق لحُرُوب العِصَابات الجهاديّة، وكذلك طبيعة السّكّان المحافظة المتدينة وبنيتها القبلية السَّليمة من تحطيم الحضارة الحديثة

وسلبيات الطابع المدني الصناعي، وانتشار السّلاح وارتباطه بتقاليد الحياة الاجتماعيَّة، حيث تفيد الإحصائيات الرَّسميَّة بوجود أكثر من (٧٠مليون) قطعة سلاح بيد رجال القبائل والسّكّان، غير ما لدى الحكومة، أي بمعدل أكثر من (٣قطع) سلاح لكل مواطن بما فيهم النِّسَاء والعجائز والرضع!
كما أن الصّحوة الإِسْلَاميّة فيها قديمة ومتجذرة وتعود إلى مطلع الخمسينات كما أنها متنوعة تشتمل عَلى معظم مدارس الصّحوة المعروفة من الإخوان إلى السّلفيّة إلى السّروريّة إلى التبليغ والدّعوة إلى الصوفية إلى آخر ذلك، هذا بالإضافة لطبيعة السّكّان الّذين ميزتهم الشكيمة والقدرات القتاليّة حيث استعصت اليمن عَلى مختلف أشكال الإستعمار زمنا طويلا ولم تتمكن الدّول الاستعماريّة من الاستقرار فيها، كما حصل للبرتغاليين ثمّ الإنكليز ثمّ العُثْمَانِيّين ثمّ الجيش المصري في عهد عبد النّاصر.
وفي تجربتنا الجهاديّة العريقة في أفغانستان (١٩٨٤-١٩٩٢) كانَ الشَّبَاب المُجَاهد اليمني يشكل ثاني أعلى إحصائية من بيين الشَّبَاب العَرَب الّذين قدموا للجِهَاد الأفغاني، وكذلك في شوطهم الثّاني (١٩٩٦-٢٠٠١)، وقد كانوا مثالا للإقدام والشجاعة وخصال الفروسية وأصالة العروبة، وكم أدهشني وما يزال يدهشني أن لا يقوم فيها حركة جهاديّة واسعة.
أما من النَّاحية الاقتصاديَّة فأكثر من (٧٠٪) من السّكّان يعيشون تحت خط الفقر وسقف القهر، فيما يرتع أكثر باقي سكان جَزِيرَة العَرَب إلى جوارهم في نعيم مما وهب الله تلك الجَزِيرَة من الثّروات الّتي هيَ ملك المُسلِمِين عامة وأهل الجَزِيرَة خاصّة، وهم سوادها الأعظم.
فكما ترى فإن الأسباب الشَّرعيَّة والاقتصاديَّة والسّكّانية والسّياسيّة والجغرافيّة، وكل ما يعين عادة عَلى تفجرا الثورات الناجحة متوفر فيها، وهنا يكمن العجب من أن لا تقوم فيها مثل تلك الحركة الجهاديّة، رغم تولي حكومة مهلهلة يقودها طاغوت جاهل منذُ سنين طويلة، بل ويحاول أن يولي ابنه من بعده ملكا عَلى الجمهوريّة الإشتراكية سابقا، الدِّيمقراطيَّة الأمريكيّة لاحقا !! ولست هنا في محل بحث ذلك وقد بحثته في بحث مستقل كما أسلفت، والسبب الأساسي في ذلك أن أكثر قيادات الصّحوة الإِسْلَاميّة هم من القاعدين عن الجِهَاد من ذوي المصالح، وأن أكثر مَشَايخ الدّعوة هم من النفعيين وعلماء السّلاطين الّذين ألفوا كراسي البرلمانات والاسترخاء في كنف الطَّاغوت، بالإضافة إلى

هيمنة سلطة زعماء العشائر والقبائل الّذين تعودوا منذُ عقود وربما قرون أن يبيع أكثرهم دينهم بدنياهم ودنيا غيرهم، وقد أثبت هذا بكل جلاء، تولي قيادات الصّحوة الإِسْلَاميّة وزعماء القبائل الّذين يشكلون الثقل الأساسي الّذي اجتمع فيما سمى (حزب الإصلاح) إفشال إنتفاضة الشارع الإِسْلَاميّ فيما عرف بأحداث الدستور سنة (١٩٩٣) ومكافحة كلّ ما تلا ذلك من محاولات جهاديّة.

مما جعل القيادات الشَّبَابية المُجَاهدة الناشئة عاجزة عن إفراز قيادات ميدانية قادرة عَلى سحب قواعد الصّحوة الإِسْلَاميّة والقطاع الكبير ذي الحجم المليوني في اليمن وراءها.

ومشكلة اليمن كما هيا مشكلة العالم العربيّ والإِسْلَاميّ باختصار في كلمتين، خور العُلَماء وعجزهم وجهل العوام وضياعهم واستحواذ حب الدُّنيَا وكراهية الموت عَلى الجميع، إلى أن يأذن الله بالفرج، ونعود للموضوع:

بعد عودة الشَّبَاب المُجَاهد اليمني من أفغانستان مطلع التسعينات، وعلى مدى العقد الأخير من القرن العِشرين، قامت محاولات جهاديّة عديدة في اليمن فشلت كلها لما أوجزت من الأسباب، وكان ابرز تلك المحاولات وأكثرها جدية، محاولة الشَّيْخ أُسَامَة بن لادن منذُ (١٩٩٠م) لتكون أرضية جهاديّة في اليمن.

وحركة ما عرف بجيش عدن أبين الّتي تزعمها المُجَاهد الشّهِيد أبو الحسن المحضار رحمه الله أواسط سنة (١٩٩٨).

أ. نبذة مختصرة عن المحاولات الجهاديّة للشيخ أُسَامَة بن لادن في اليمن:

- ينحدر الشَّيْخ أُسَامَة بن لادن حفظه الله من أصل يمني جنوبي من حضرموت، فهو أحد أبناء محمّد بن لادن الّذي هاجر من اليمن إلى السّعُودِيّة مع بداية حكم الملك عبد العزيز، واستوطنها مكونا أسرة قريبة من آل سعود، وتمتعت بنفوذ مالي وسياسي واسع فيها منذُ ذلك الوقت وإلى اليَوْم.
- وخلال الجِهَاد الأفغاني ضدّ الرُّوس حرص الشَّيْخ أُسَامَة عَلى تكوين مجموعة منظّمة حوله ركز فيها عَلى العناصر الجهاديّة من جَزِيرَة العَرَب ولاسيما من السّعُودِيّة واليمن، وفي

التسعينات كانت معطيات التّحرّك الجهاديّ ضدّ الحكم الشُّيُوعِيّ في اليمن الجنوبي قبل الوحدة جاهزة، فكثير من اليمنين الشماليين من الإِسْلَاميّن والقبائل يؤيدون ذلك، كما أن ذلك يلقى دعما كبير من كبار التجار(الحضارمة) ذوي القدرات الاقتصاديَّة الكبيرة في السّعُودِيّة، ومن الصّحوة الإِسْلَاميّة عموما، والَّتي تكن العداء للشيوعية عامة وفي جوارهم في اليمن خاصّة، ومع توافد عدد من المُجَاهدين اليمنيين من أصل جنوبي أثناء الجِهَاد العربيّ في أفغانستان.

- كانَ المشروع الجهاديّ الخاص والرَّئيسي للشيخ أُسَامَة، هو إحداث حركة جهاديّة في اليمن الجنوبي، وقد باشر ذلك في سنة (١٩٨٩-١٩٩٠) واستمر في محاولته إلى قيام الوحدة، ورغم أن عددا من الجهاديّين المقربين من الشَّيْخ أُسَامَة أيّامها- وكنت من بينهم- قد حرض الشَّيْخ أُسَامَة عَلى الشُّروع في ذلك الجِهَاد مباشرة، إلا أنه تردد بانتظار إقناع قيادات الصّحوة في اليمن ولاسيما الإخوان المُسلِمين من أمثال الشَّيْخ اللامع في حينها عبد المجيد الزنداني بالانخراط فيها، وما كانَ لأولئك أن يفعلوا، وضاعت فرصة ذهبية فيما أعتقد.
- ومنذ قيام الوحدة كانَ مشروع الشَّيْخ أُسَامَة قد تحول إلى المحاولة عَلى مستوى اليمن الموحد، وشكلت مشكلة الصِّرَاع عَلى دستور اليمن الموحد، وتناقض الإِسْلَاميّن والعلمانيين فرصة لإعلان الجِهَاد عَلى علي عبدالله صالح وحكومة اليمن الموحد حديثة النشأة، وقد تحرك الشَّيْخ أُسَامَة لاستغلال تلك الفرصة، وقدم إليه عدد من مَشَايخ اليمن كانَ في طليعتهم الشَّيْخ المعروف (عمر سيف) والّذي وضع اسمه عَلى كتاب يثبت كفر الدستور، كانَ قد كتبه بعض المقربين من الشَّيْخ أُسَامَة، وأثبتوا فيه أيضا كفر الحكومة القائمة عليه وشرعيّة جِهَادها.
- وسعى الشَّيْخ أُسَامَة إلى مَشَايخ اليمن وكبار دعاتها من السّلفيّة وعلى رأسهم الشَّيْخ (مقبل بن هادي الوادعي) ، وإلى الإخوان وزعمائهم، وبذل أموالا طائلة في تأليفهم وتأليف بعض القبائل عَلى المشروع، ولكن جميع أولئك خذلوه، واستطاع علي عبدالله صالح أن يستميلهم، ويسند إليهم المناصب ويمنحهم العطاءات والنفوذ والتسهيلات.

فأما الشَّيْخ الزنداني، فقد أجهض مظاهرة المليون مسلح الّتي توجهت إلى بوابة القصر الجمهوريّ، وكان عَلى رأسهم مع زعماء الإخوان وغيرهم، فقد دخل القصر مع البعض مفاوضا للرئيس، وخرج إلى المتظاهرين المُسلّحين المطالبين بسقوط الدستور والحكومة وبتحكيم الشّريعة، ليقول لهم (من كانَ يؤمن بالله واليوم الآخر فليعد إلى بيته..) وانفرط الجمع ليصبحوا في اليَوْم التّالي وقد صار الشَّيْخ الهمام عبد المجيد الزنداني أحد نواب الرَّئيس واحد حُكَّام اليمن الخمسة الّذين شكلوا مجلس الرئاسة برئاسة علي عبدالله صالح!! وعضوية الاشتراكيين الملحدين بحسب مذهب الشَّيْخ القديم!! وتوزع كبارزملائه في الإصلاح ما بين وزير ونائب برلمان، تحت الدستور الطَّاغوتي المشرع من دون الله والّذي كتب في أعلاه دين الدّولة هو الإِسْلَام والشّريعة مصدر الدستور والقوانين)!!

وأما الشَّيْخ (مقبل بن هادي الوادعي) فكان موقفه أنكى وأشد ضراوة، فقد كتاب كتابا وصف فيه الشَّيْخ أُسَامَة عَلى أنه رأس الفتنة في اليمن، وكانت أشرطته بالغة العداء في الهجوم عليه، وفض النّاس عن مشروعه تباع عَلى الأرصفة إثر خطب الجمعة، حيث كانَ يقول أن بن لادن أرسل له أموالا بدعوى الجِهَاد ابتغاء الفتنه، فزوج بها الشَّبَاب واشترى كتبا للمساجد!!

كما روى شباب مُجَاهدون من اليمن أن الوادعي شيخ السّلفيّة!! لم يترك أحدا من رموز الصّحوة من شره في حينها، فهاجم قيادات الإخوان والسروريين والصوفيين والجهاديّين، في حين كانَ يثني عَلى (علي عبدالله صالح) ويصفه دائما بالأخ الرَّئيس، ويؤكد عَلى طاعته لولي أمر مسلم!! وقد سمعت من الشَّيْخ أُسَامَة أمام بعض ضيوفه ذات مرّة قوله، بأنه لو سامح كلّ من آذاه في حياته، فلن يسامح الوادعي، ومن يعرف سماحة نفس الشَّيْخ بن لادن حتَّى مع من آذاه، يدرك مدى تأذيه من ذلك الّذي أفضى إلى ربه !

وأما أكثر قيادات الشَّبَاب الجهاديّين الّذين جندهم الشَّيْخ أُسَامَة ودربهم في أفغانستان، فقد استمالهم علي عبدالله صالح بأن أعطاهم رتبا في الجيش اليمني وأدخل من أراد السلك العسكريّ، والوظائف المدنيّة، فركبوا السيارات وتولوا المناصب، وبلغ بأبرزهم أمثال

(الفضلي) و(النهدي) أن يعملا في سلك الإستخبارات والحرس الجمهوريّ كأقرب المقربين من علي عبدالله صالح !! وتلخص هذه الأمثلة الثّلاثة الإخوانية والسّلفيّة والجهاديّة في اليمن، نموذجا للمشكلة الأساسيّة في اليمن، الّتي كانَ هذا حال أبرز علمائها وقادة صحوتها ومُجَاهديها، الّذين افتقروا إلى التّربية المنهجيّة الجهاديّة خلال فترات إعدادهم الّتي اهتمت بالتكوين العسكريّ وافتقرت لأي فكر أو منهج يحصنهم من مثل تلك الإستدراجات.

- وقامت الوحدة، وشكلت الحكومة(ومجلسها الرئاسي الخماسي) والبرلمان من أنصار علي عبدالله صالح وحزبه (المؤتمر الشعبي)، ومن الإِسْلَاميّين وعلى رأسهم زعماء الإخوان وبعض رؤساء القبائل الّذين كونوا (التجمع اليمني للإصلاح) برئاسة حسين الأحمر والزنداني، ومن (الحزب الاشتراكي) من الجنوبيين، وقد حاول علي عبدالله صالح ونجح في ضرب الطّرفين ببعضهما وتقويه نفوذه ثمّ تقوى بالإِسْلَاميّين عَلى الاشتراكيين الجنوبيين، وقام بعض الجهاديّين في تلك الفترة باغتيال لبعض رؤوس الاشتراكيين، الّذين خططوا للانقلاب عَلى الوحدة، ولكن علي عبدالله صالح والإِسْلَاميّين، زحفوا عَلى عدن فيما عرف بحرب الوحدة، وقضوا عَلى محاولاتهم وفرضوا الوحدة بالقوة، وكان الشَّيْخ أُسَامَة قد أمر أنصاره وأتباعه في اليمن من الجهاديّين الّذين عادوا من أفغانستان بالدخول في المَعْرَكة إلى جانب جيش اليمن الشمالي كما فعل كافّة الإِسْلَاميّين في الشمال، عَلى إعتبار أن ذلك سيؤدي إلى كسب مرحلة بالإطاحة بالشُّيُوعِيّة، وفعلا لعب المُجَاهدون من الجهاديّين والإِسْلَاميّين دورا حاسما وسرعان ما انهارت مقاومة الجنوبيين في عجلة لم تسمح بالتدخل الدّولي ولم تستطع السّعُودِيّة ودول مجلس التّعاون الخليجي إنقاذ الشُّيُوعِيّين في اليمن !! رغم فتاوى ابن باز وهيئة كبار العُلَماء بوقف الفتنة والصُّلح بين المُسلِمين الشماليين برآسة (صالح) والمُسلِمين (الشُّيُوعِيّين) في الجنوب!!

وبحسب اعتقادي ورأى كثير من الجهاديّين اليمنيين الّذين التقيتهم، فقد كانَ بإمكان الإِسْلَاميّين أن يعودوا إلى الشمال ليفرضوا حكم الشّريعة أو يعزلوا صالح ويقيموا الدّولة الإِسْلَاميّة، ولكن الّذي حصل هو عودتهم إلى البرلمان وكراسي الوزارات في حكومة علي

عبدالله صالح ودستورها العلماني وحكمها المرتدّ، وبقى الجهاديّون معزولون، فقد تبع أكثرهم قيادات (الصّحوة !!) من السّلفيّة والإخوانية ! والسّروريّة !! في حين آثر كثير منهم الرتب العسكريّة والمناصب الحُكُوميّة والمنافع الشَّخصيَّة حيث نجح (الشاويش علي صالح....) باستمالتهم إلى الدُّنيَا.

- وكان الشَّيْخ أُسَامَة قد إنتقل إلى السُّودَان، وانهمكت القَاعِدَة في أعمالها الاستثمارية والاقتصاديَّة فيما اعتقدوا أنها دولة إسلاميّة تجب نصرتها بزعامة الرَّئيس البشير و(الإِمَام) حسن الترابي!! بحسب اعتقاد بعض أعضاء اللجنة الشَّرعيَّة للقاعدة آنذاك!! كما شارك بعض عناصرها في الجِهَاد في الصّومال إلى جانب الفصائل الإِسْلَاميّة وشاركوا بفاعلية في إقناع الأمريكان بالانسحاب من أوحال رماله الصحراوية.

كما كانَ لأتباع الشَّيْخ أُسَامَة وبعض الجهاديّين عمليَّات محدودة، عَلى بدايات أمريكية لإقامة قاعدة عسكريّة في عدن حيث أقنعت عدد من صواريخ الكاتيوشا الّتي أطلقوها عَلى أعمال الإنشاء الأولية للقاعدة، أقنعت الأمريكان بالعدول عن المشروع.

ولم تقم بعد ذلك للجهاديّين من أتباع الشَّيْخ أُسَامَة أي محاولة تذكر للتحرك الجهاديّ في اليمن منذ(١٩٩٤)، حيث تحول فيما بعد لجِهَاد أمريكا.

- ولما عاد الشَّيْخ إلى أفغانستان أواسط (١٩٩٦)، بدأ الشَّبَاب المُجَاهد من اليمن ينضمون إلى الشوط الثّاني للأفغان العَرَب في أفغانستان، بمن فيهم أنصار الشَّيْخ أُسَامَة صرح الشَّيْخ أُسَامَة لجريدة القُدس العربيّ سنة ١٩٩٧، بأن محطته القادمة جبال اليمن، وعاد مشروعه للانتعاش في اليمن ولكن من خلال إستراتجيته الجَدِيدة ؛ محاربة رأس الأفعى أمريكا، والإعراض عن الدخول في مواجهات مع أذيالها ومن بينهم الذيل الصغير القزم عبدالله صالح في المنطقة الهامة اليمن،

- وفي سنة(١٩٩٩) فيما أذكر، قامت خلية من القَاعِدَة بالهجوم الاستشهادي عَلى المدمرة الأمريكيّة (كول) الّتي كانت تتزود بالوقود في المواني اليمنية، وصعد هذا المُوَاجَهة مع

الإستخبارات اليمنية الّتي دخلت في حرب مكافحة الإِرهَاب إلى جانب أمريكا، واعتقل الكثير من الجهاديّين ومن بينهم بعض أنصار بن لادن، واشتدت الحَرب ضراوة، واضطرت حكومة علي عبدالله صالح إلى الإفراج عن بعض أتباع بن لادن فيما قيل أنه جاء بعد رسالة تهديد منه إلى صالح وتذكيره بأن معركة القَاعِدَة ليست مع الحكومة اليمنية وبإمكانها أن تجعلها كذلك.

- وفي أواخر سنة (٢٠٠١) قبيل سِبتَمبر بقليل جمع بن لادن كبار أنصاره في قندهار ليبلغهم أن يحزموا حقائبهم، وأنه قد آن الأوان للرحيل إلى اليمن، وفيما كانت الإشاعات والدهشة والأمل تتداول في ساحة الأفغان العَرَب حول هذه النقلة، دوت انفجارات سِبتَمبر ٢٠٠١، ليتبع ذلك:

ضربٌ يزيلُ الهام عن مقيلهِ ۞ ويذهلُ الخليل عن خليلهِ

وتبع ذلك مطاردة الجهاديّين في اليمن بدعوى انتماء كلّ أمة محمّد ﷺ، وكافة أعداء أمريكا من المخلوقات إلى القَاعِدَة بحسب الإعلام الأمريكيّ وبَرَامج مكافحة الإِرهَاب.

ونال الجهاديّين في اليمن قسط كبير من هذه المطاردة، وسقط العديد من الإخوة من القَاعِدَة وغيرهم بين شهيد وأسير في معارك مكافحة الإِرهَاب في اليمن بقيادة أمريكا وتنفيذ عبيدها المرتدّين من عناصر الجيش والإستخبارات اليمنية، وتمكنت طائرة أمريكية من تدمير سيارة بصاروخ جو أرض وبموافقة ومعاونة من الإستخبارات اليمنية وجواسيسها العملاء، فقتلت الأخ الشّهِيد أبو علي الحارثي وخمسة من إخوانه في إحدى قرى اليمن رحمهم الله، ثمّ تتابعت أخبار المطاردات الّتي كانَ تصل لحد المعارك الطاحنة بين حين وآخر وتحمل نبأ استشهاد أخ هنا واعتقال آخر هناك بزعم أنهم من القَاعِدَة.

ب. تجربة جيش عدن أبين بقيادة أبي الحسن المحضار رحمه الله منذ (١٩٩٨):

- كانَ الشّهِيد أبو الحسن المحضار زين العابدين- وهو من أشراف اليمن- يتحلى بنفس جهاديّ متقد، وبشهامة ومروءة عالية أبت عليه أن يتحمل تلك الأوضاع في اليمن خلال العقد الأخير من القرن الماضي، وقد سمعت بعض الروايات من أخوة يمنين أنه كانَ قد

التقى الشَّيْخ أُسَامَة من أجل إقناعه بإشعال شرارة الجِهَاد في اليمن ولكنه لم يتوصل معه إلى اتفاق حول كيفِيَّة وتوقيت ذلك.

ثمّ طاف أواسط التسعينات عَلى بعض البارزين من علماء الصّحوة في (السّعُودِيّة) لتحريضهم عَلى دعمه في مشروع للجِهَاد في اليمن ولكن أحدا لم يجبه إلى ذلك، بل ذهب كبار المشرفين عَلى تدريس العَقِيْدَة ورئاسة أقسامها في الجامعات السّعُودِيّة، والّذين ملؤوا صفحات الكتب وأشرطة الدُّروس العلمية بخصائص العَقِيْدَة الصافية ومنهج دعوة الشَّيْخ محمّد بن عبد الوهاب، ذهبوا في محاضراتهم ومواقفهم إلى التصريح بأن أفضل سبل الدّعوة في اليمن هو الخيار الديمقراطي!! كما أيدوا المسار الديمقراطي في تركيا وشمال أفريقيا وسواها، وهذا من نكبات من عاش في هذه الأزمان رجبا ورأى عجبا.

- ولكن همة ذلك المُجَاهد الهمام أبت عليه السكون، وقد كانَ له صولات وجولات مع الحكومة اليمنية وأجهز أمنها، وكان من ذلك موقفه الشهير المشهود عندما إعتقلت أجهزة الأمن نساء المُجَاهدين من الأفغان العَرَب الّذين التجؤوا إلى اليمن وأبت إخراجهم إلا بترحيل رجالهم الفارين داخل اليمن عنها، وكان له دور في جمع العُلَماء والدعاة ورؤوس القبائل يستحثوا فيهم الحمية

الدّينيّة والنخوة القبلية ولم يهدأ له بال حتَّى كانَ السبب الأساسي في الإفراج عنهم وكشف كربتهم، وقد بذل في ذلك أموالا واستدان عَلى ذمته مبالغ كبيرة في سبيل حركته ودعوته ونشاطه.

وفي أواخر (١٩٩٧) بدأ بشكل مجموعة مسلحة وتنظيما مستقلا باسم (جيش عدن أبين)، تيمنا بالحديث الشريف الّذي روي عن رسول الله ﷺ أنه يقول فيه «يَخْرُجُ مِنْ عَدَنِ أَبْيَنَ اثْنَا عَشَرَ أَلْفًا، يَنْصُرُونَ اللهَ وَرَسُولَهُ، هُمْ خَيْرُ مَنْ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ»[1].

ولما تجمع معه عدد من الرّجال قيل أنهم بلغوا نحوا من مائتي رجل، حمل السّلاح ومضى برجاله إلى منطقة جبلية وعرة وأنشأ معسكرا له ولجماعته لبدء الحشد لجِهَاد الحكومة اليمنية، وقد وصلتنا أخباره

(١) رواه أحمد: (٣٠٧٩) وصححه الأرنؤوط، والألباني في الصحيحة (٢٧٨٢).

إلى أفغانستان ربيع (١٩٩٨) وكنا نترقب أن يكون ذلك بداية شرارة الجِهَاد الّذي طالما انتظرناه في ذلك اليمن الّذي كانَ سعيدا قبل أن يحكمه أمثال عبدالله صالح ويتولى الدّعوة فيه أمثال زعماء الصّحوة فيه هذه الأيّام.

ولكن كبار الدعاة ومَشَايخ ما يسمى بالصّحوة ركزوا جهودا كبيرة عَلى إقناعه بالعدول عن خروجه ذلك ووعدوه بالمناصب والأموال من الحكومة إن هو عاد عن خروجه، ولكنه أبى، فلعب الدعاة من مختلف مدارس الصّحوة دورا مهما في خذلانه وإنزال من استطاعوا من أنصاره وإقناعهم بعدم جدوى المحاولة، وبدأ الشَّبَاب ينفضون عنه، وكان أكبر الخذلان الّذي أثر في إنزال كم منهم، ما جاء من طرف بعض الجهاديّين وبعض قدماء الأفغان العَرَب من الإخوة اليمنيين بدعوى أنها حركة متعجلة وغير ناضجة، ولا برنامج لها، وبدل أن يضم الناصحون له من الإِسْلَاميّين والجهاديّين جهودهم إليه لترشيد حركته، كانَ موقفهم سلبيا، كما بلغني من عدد من الرواة، وأعتقد أن خروجه كانَ فرصة لهم ولقضية الجِهَاد في اليمن، ولكنها ضاعت.

وفي صيف (١٩٩٨) إعتقلت الحكومة اليمنية عددا من الجهاديّين من شباب اليمن بالإضافة لعدد من الجهاديّين من الإخوة العَرَب اللاجئين إليها فقام أبو الحسن المحضار باختطاف عدد من السياح الأجانب للضغط عَلى الحكومة للإفراج عنهم ولكن الحكومة عَلى عكس عادتها في التراضي مع رجال القبائل الّذين كثيرا ما اختطفوا سياحا بهدف الحصول عَلى مطالبهم، اتخذتها فرصة للقضاء عَلى تلك الحركة الوليدة، فحاصرت المنطقة وصعدت الموقف حتَّى وصل للاشتباك، وقد دفعت إليه في طليعة وحداتها من استطاعت من الدعاة والإخوة لإنزال من يستطيعون من الجبل وإقناعهم بالاستسلام وحسبنا الله ونعم والوكيل، ولما بدأت الهجوم عليهم لم يكن قد تبقى معه إلا بضعة عشرات من الرّجال، فقتل بعضهم وقتل بعض الرهائن، حيث وصلت بعض الأخبار إلينا في أفغانستان - والله أعلم بصحتها - أن من معه رفضوا إعدام الرهائن لما بدأت الحكومة الهجوم فلم يقتل إلا واحد أو اثنين منهم، وقبض عَلى أبي الحسن المحضار، وتولت بَرِيطَانيَا وبعض الدّول الغربيّة الضغط الشديد عَلى حكومة اليمن من أجل إعدام أبي الحسن المحضار، الّذي أعلن عن إعدامه في

صيف عام (٢٠٠٠) فيما بعد رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى ورحم إخوانه وأسكنهم فسيح جناته، وعوض اليمن بهم رجالا صالحين يرفعون راية الجِهَاد فيها حتَّى يخرج منهم أولئك الّذين بشر بهم رسول الله ﷺ.

علاقتي بالإخوة اليمنيين وملاحظاتي عَلى تجربة الجِهَاد فيها:

كما قدمت فقد اقتنعت بجدوى الجِهَاد في اليمن منذُ عام (١٩٨٩) وكنت أيّامها قريباً من الشَّيْخ أُسَامَة الّذي أطلعني في حينها عَلى بعض مناحي مشروع جِهَاده في اليمن، وقد بذلت بعد حرب عاصفة الصَّحرَاء الّتي عرفت بحرب تحرير الكويت وسعيت في إقناع الشَّيْخ أُسَامَة بجدوى وضرورة التّحرّك إلى اليمن، فقد كانت الأجواء مناسبة جدا بعد حضور الأمريكان إلى الجَزِيرَة، ثمّ ما كانَ من أحداث الدستور، ولكنه تصوَّر أن ذلك ليس ممكنا بغير معاونة باقي رموز الصّحوة.

- وقد عرفت العديد من الإخوة اليمنيين منذُ أيّام الجِهَاد الأفغاني الأوّل، ولما عدت إلى أفغانستان في الشوط الثّاني، اهتممت بالتَّجَارب الّتي حصلت في اليمن، وسعيت في كتابة تاريخها مع أحد أبرز الشَّبَاب الجهاديّين من اليمن (وهو الشّهِيد مهند عتش)، ولكن الشَّهَادة كانت أسبق إليه رَحِمَهُ اللهُ.
- وخلال ربيع (١٩٩٨) وبعد خروج أبي الحسن، حدثني أحد الإخوة من أصدقائه عن حركة المحضار والآمال فيها وضرورة معاونته بالنصح والتأييد والدعم، وأخبرني أن المحضار كانَ يستعين ببعض محاضراتي من تراث أيّام الجِهَاد في أفغانستان، وبكتابي (تجربة الجِهَاد في سوريا) بإلقاء بعض الدُّروس التربَويّة عَلى أتباعه، وأن مثل تلك النصيحة سيكون لها أثرا إيجابيا عليه، وفعلا حملت الرجل رسالة وشريطا مسجلا يتضمن خُلاصة أفكاري ونصائحي عن الجِهَاد في اليمن، وذهب الرجل وبلغ الرّسالة، وأخبرني هاتفيا بوصولها للمحضار، وبت أنتظر خبرا لعله يفتح لنا خطوة جهاديّة تقربنا من مركز الصِّرَاع في الشّرق الأوسط عَلى الخط المقدّس الممتد من اليمن إلى الحجاز والشّام، وكنت آمل باللحاق به ونصرته، ولكن وسائل الإعلام ما لبثت أن نقلت إلينا أخبار الكارثة الّتي ذكرت خُلاصة قصتها آنفا.

- ثمّ وصل إلى كابل بعض الإخوة من الّذين شهدوا مع أبي الحسن تلك المأساة وأخذت من العديد منهم خُلاصة ما جرى، ثمّ قرأت في بعض الصّحف السّعُودِيّة من أخبار تلك التَّجربة، أنهم صادروا من مُعَسْكَر أبي الحسن بعض الكتب والأشرطة الّتي تحمل فكرنا (الهدام) لطغيان لتلك الحُكُومَات ومن وراءها، ومن ذلك أشرطة للشيخ (خالد زين العابدين)، وهو الاسم المستعار الّذي اتخذته في نشر أشرطة محاضراتي في تجربة أفغانستان، حيث ربطوا بين ذلك الاسم وكنية الشّهِيد أبي الحسن المحضار زين العابدين وهو توافق غير مقصود، كما ذكروا أنهم عثروا هناك عَلى نسخ من كتابي (التَّجربة السّورية)، فترحمت عليه وسرني أن يكون ذلك، وسألت المولى جل وعلا أن يشركني في الأجر معهم وأن نلقاهم عَلى حوضه الشريف في طائفة الغُرَباء، الفرارين بدينهم إنه سميع قريب كريم.

وعبر تجربتنا في الشّرط الثّاني للأفغان العَرَب في أفغانستان أيّام طالبان، كانَ يرتاد المُعَسْكَر الّذي أنشأته قرب كابل للإعداد وبث فكر المُقاوَمة العَالَمِيّة ومنهاج التّيار الجهاديّ وتراثه بعض المُجَاهدين من اليمن، وحرصت عَلى أن أوليهم عناية خاصّة لما لتلك الزاوية من العالم الإِسْلَاميّ من مكانة عندي وأهمية في آمالي عن الجِهَاد المُقاوَمة، وقد كتبت بحثا بعنوان (**أهل اليمن ومسؤوليتهم عن مقدّسات المُسلِمِين وثرواتهم**)، وسجلت عددا من الأشرطة في موضوع الجِهَاد في اليمن، وقد علمت أنها وصلت السَّاحَة هناك وتداولها الجهاديّون والإِسْلَاميّون، وفي أحد الأيّام بلغنا خبر إعدام الشّهِيد أبي الحسن المحضار فتأثرت لذلك كثيرا، ولم يكن بالوسع عرفانا لجِهَاد ذلك الرجل المُجَاهد الشهم الشجاع، الّذي كانَ له في عنق الكثير من الجهاديّين في اليمن وغيرها حقا واجبا، ولم يكن في الوسع إلا أن ندعو لحفل تأبيني في معسكرنا بمناسبة إعدامه، حيث ذكرت مآثره وترحم عليه الجميع، فرحم الله رجلا تحاببنا معه عن بعد ولم نره، وأسكنه فسيح جناته، ونسأل الله أن يرسل في اليمن من يؤسس فيها ويعمل لبشرى خروج الأخيار الّذين بشر بهم الصادق المصدوق ﷺ.

١٠. **محاولات بناء تجمعات جهاديّة في المغرب منذ(١٩٩٥) وتجربة (الجماعة الإِسْلَاميّة المُجَاهدة في المغرب):**

- كما ذكرت آنفا فقد كانت التَّجربة الجهاديّة المُسلّحة في المغرب ضدّ الحسن الثّاني الّتي قامت بها منظّمة (الشبيبة المغربية)، بزعامة الشَّيْخ عبد الكريم مطيع، إحدى المحاولات المبكرة جدا في العالم العربيَّة، بل لقد سبقت بواكير ميلاد الإرهاصات الفكريّة للتيار الجهاديّ المعاصر، وكما ذكرت في بعض كتاباتي السَّابقة، فإن المغرب تأتي ضمن القليل من بلدان العالم العربيّ والإِسْلَاميّ مثل بلاد وسط آسيا واليمن والجَزَائِر وتركيا، حيث تتوفر فيها معطيات ثورة جهاديّة من حيث الأسباب والمعطيات،
- فالمغرب الأقصى بلد مترامي الأطراف، وعر المسالك، يتوفر عَلى عدد من الأرياف والسلاسل الجبلية الوعرة، وتمتد سواحله لأكثر من (٣٠٠٠) كم، ويتحكم بمضيق جبل طارق، ويرزح شعبه تحت حالة من أشد حالات الفقر والعوز وجور السُّلطَان، كما أن لهم تاريخا مجيدا في الجِهَاد والقتال والتّاريخ الزاهر في البأس والشجاعة، وهو شعب متدين بصرف النَّظر عن تسرب الفساد إلى بعض مدنه الكبرى عبر سياسة الحكومة في الإنفتاح ونشر الدعارة باسم السياحة، فمازال للإسلام حضوره وقداسته، وفيه صَحوَة إسلاميّة تعود إلى مطلع الستينيات وتتركب أيضا من معظم مكوّنات الصّحوة الإِسْلَاميّة المعاصرة ومدارسها، من السّلفيّة إلى الإخوان، إلى الصوفية الحَركيّة، إلى الجهاديّين، وقد شهد عدد لا بأس به من شباب المغرب الجِهَاد في أفغانستان، وعادوا إلى بلدهم دون كبير مشاكل، حيث كانت سياسة الداهية الهالك الحسن الثّاني، أن يستوعب الصّحوة ولا يستفزها، وقد أثبتت سياسته تلك نجاحات كبيرة في تفريغ الصّحوة من داخلها ودفعها أيضا في مجالات الدِّيمقراطيَّة المزيفة الناشئة في المغرب، وجعل كبار الدعاة هناك يتراوحون بين السّجون التأديبية والإقامات الجبرية وكراسي البرلمان، وبعيد انفجار الثَّورة الجهاديّة المعاصرة في الجَزَائِر، إثر إجهاض نجاحات الإنقاذ، كانَ المغرب المعبر الأساسي الّذي نزل منه معظم الأفغان العَرَب الجَزَائِريين إلى بلدهم.

وقد غض المغرب بداية الطّرف عن ذلك كرد فعل عَلى تأييد الحكومة الجَزَائِرية لجبهة البوليساريو الانفصالية الداعية إلى استقلال الصَّحرَاء الغربيّة عن المغرب، ولذلك فقد تكونت عدد من الخلايا شرق المغرب وفي منطقة الريف وقدمت الكثير من معونات العبور ونقل السّلاح من أوربّا وتقديم الخدمات اللوجيستية للمُجَاهدين غرب الجَزَائِر، وذلك قبل أن تستحوذ القيادة المجرمة في الجماعة المُسلّحة عَلى تلك القضية كما روينا.

- وهكذا وبفعل تجربة المُجَاهدين الأفغان العَرَب المغاربة من جهة ورياح التّأثير من الجَزَائِر من جهة أُخرى، بدأت بوادر تشكيل النويات الجهاديّة في المغرب، الّذي توقعت له مراكز الدراسات الاستراتيجيّة المتابعة لشؤون الإِسْلَام في شمال أفريقيا في أوربّا ولاسيما في فرنسا، توقعت أن تنطلق الثَّورة الإِسْلَاميّة في شمال أفريقيا من المغرب أولا، وقد قرأت بعض التقارير الصادرة في فرنسا عدد تعبر عن دهشتها لانطلاقها من الجَزَائِر قبل المغرب.
- وقد جرت بعض المحاولات الجهاديّة غير الناضجة من قبل البعض بضرب بعض السياح الغربيّين والقيام ببعض العمليَّات النادرة عَلى بعض أعضاء الجالية اليَهُوْدية في المغرب والَّتي تستولي عَلى مراكز النفوذ السّياسيّ والإقتصادي والإعلاميّ فيه، وتدفع به في خطوات محمومة نحو التطبيع مع إسرائيل.
- ومنذ منتصف التسعينات بدأت محاولات جادة لتشكل خلايا جهاديّة ونويات تنظيمات داخل المغرب وخارجها، فقد وصلت رياح التّيار الجهاديّ بقوة إلى المغرب عَلى هامش الجِهَاد في الجَزَائِر، كما أن خطوات التطبيع اليَهُوْدي والتغريب الصّليبيّ أخذت شكلا جديا ومكشوفا مع وصول الملك محمّد السَّادس ولي عهد أبيه إلى الحكم بعد هلاك والده.
- أواسط التسعينات، تمكن عدد من شباب التّيار الجهاديّ المغربي من تكوين نواة لتنظيم جهاديّ للعمل في المغرب، ويبدو أن بوادره الأولى قد تشكلت في أوساط المُهَاجِرين المغاربة في بعض الدّول الأوربية، وقد كانَ فيهم بعض الأفغان العَرَب المغاربة، وانتقلت لعدة دول أُخرى حيث تشكل الجالية المغربية المهاجرة في أوربّا شريحة ضخمة ربما ناهزت خمسة ملايين

مهاجر، يتخذ أكثرهم من فرنسا وبلجيكا وهولندا ودول وسط أوربّا مهجرا أساسيا، فيما تتواجد جاليات ليست بالقلية في باقي الدّول الأوربية، وقد أصدرت الجماعة منهجا وعدد من الأدبيات بصورة أقرب إلى السرية، ونشرتها في أوساط الجاليات المغربية في أوربّا، ووزعت عَلى نطاق محدود داخل المغرب، وقد اطلعت عَلى بعض تلك الأدبيات، وهي في مجملها تسير وفق نفس منهج التّيار الجهاديّ الّذي ساد تلك الفترة.

- ولما قامت الإمارة الإِسْلَاميّة في أفغانستان أيّام طالبان، ورحل كثير من الجهاديّين من ملاذات أوربّا إليها، قامت هذه المجموعة بافتتاح مُعَسْكَر وعدد من المضافات لها في أفغانستان، وبدأت مشوار الإِعداد العسكريّ والتربوي الشّامل، وكذلك إعداد وتدريب الكوادر من القادمين من أوربّا أو من المغرب ذاتها، وكانت حركة مبشرة، وقد شارك هَؤُلَاءِ المُجَاهدون المغاربة كغيرهم في دعم الإمارة الإِسْلَاميّة ومساندتها، ولما جاء سِبتَمبر ضمهم الجمع الّذي انخرط في معركة الدّفاع عن النّفس وعن الإمارة الإِسْلَاميّة، حيث أخذوا حظهم من البلاء، فاستشهد البعض وأسر آخرون وتفرق الباقون مع القليل الّذي نجا من ذلك الأخدود، وأسأل الله أن يرعاهم ويفقهم، فقد كانَ منهم نماذج رائعة.
- وفي أواخر (٢٠٠٣) تناقلت وسائل الإعلام أنباء انفجارات هائلة استهدفت بعض الأهداف الغربيّة في الدار البيضاء، وقد نفذها إستشهاديون، وقد ذكرت وكالات الأنباء نقلا عن المصادر الحُكُوميّة المغربية الرواية الوحيدة للحدث، ونسبته إلى ما أسمته (السّلفيّة الجهاديّة)، كما ورد أن المسؤول عنها بعض من وصفتهم بالتكفيريين، عَلى حد زعم تلك الوسائل ولم يمكنني معرفة المزيد عن ذلك.
- ولكن المهم الجدير بالذكر أن أجهزة الأمن المغربية قامت عَلى هامش تلك الأحداث الّتي لم يتوفر لي عنها روايات يمكن الوثوق بها، قامت باعتقال مئات الشَّبَاب فيما عرف باسم(تيار السّلفيّة الجهاديّة) وقد أصدرت المحاكم المغربية أحكاما كثيرة من أحكام الإعدام وفترات السّجن الطويلة، كما اعتقل في تلك الهجمة عدد من أبرز الدعاة السلفيين والجهاديّين في

المغرب ممن لا علاقة لهم بتلك الأحداث، فيما بدا أنه عمليَّات إجهاض مبكر لأي إمكانية مفترضة لتكوّن ظاهرة جهاديّة تتوفر لها كافّة المعطيات في ذلك البلد المنكوب بحكومة طاغوتية من أعتى حُكُومَات البلاد العربيَّة والإِسْلَاميّة بطشا وجبروتا وعمالة لأعداء الإِسْلَام من اليَهُوْد والصّليبيّن.

- وعلى الصعيد الشخصي فقد ربطتني بالكثيرين من الإخوة المغاربة علاقات أخوة صداقة، منذُ أيّام إقامتي في فرنسا ثمّ أسبانيا ثمّ بَرِيطَانيَا لكثرة تواجد المغاربة في تلك البلاد وفي أوساط الصّحوة الإِسْلَاميّة في الغرب، ولقد عرفت منهم الكثيرين من الكوادر الرائعة، إذ ميزهم الإخلاص والصفاء والحماس المتقد، وكانت آثار معاناة شعبهم من ذلك الفرعون الهالك الملك (الحسن الثّاني) ثمّ ابنه الماجن الملك الحالي (محمّد الخامس) وأسرتهم ونظامهم الجاثم عَلى صدور المُؤمِنِين في المغرب بادية الآثار عليهم وعلى رغبتهم في العمل والجِهَاد.
- وفي الشوط الثّاني للأفغان العَرَب في أفغانستان تعرفت إلى الكثيرين نهم، وخاصة من شباب الجماعة الناشئة (الجماعة المُجَاهدة في المغرب) وكانوا أنموذجا للشباب الصادق المتقد حماسا ورغبة في الإنتاج والعطاء، وكنت أؤمل لتجربتهم الواعدة آمالا عريضة، لولا أن قدر الله كانَ أسبق إليهم في أفغانستان، إذ التهم أخدود سِبتَمبر الكثير من كوادرهم ليتشرد من أبى في الأرض لاحقين بقافلة الفرارين بدينهم تقبل الله منهم ومن إخوانهم جميعا.
- ولا أنسى أن أسجل بكل الاحترام والتقدير المساهمة الرائعة والأداء المتميز لبعض المُجَاهدين المغاربة في العمليّة البطولية الّتي أسفرت عن إخراج جيش دولة أسبانيا الّتي شكلت في حرب العراق – أيّام حكومة الحزب اليميني بزعامة أثنار – ثالث أضلاع مثلث الحلفاء إضافة لأمريكا وبريطانيا، ورغم أنّي لم أستطع أن أعرف الجماعة الّتي انتمى إليها أولئك الأفذاذ، إلا أن أمة الإِسْلَام بكاملها مدينة لتلك الكوكبة من الإستشهاديين الّتي يعود إليها شرف بداية تصدع الحلف الأمريكيّ الصّليبيّ، والمتأمل في تلك العمليّة إلى نهاياتها البطولية، يكتشف مدى ما في ذلك الشعب المغربي المسلم الكريم، من طاقات خلاقة تثبت جدارتهم بأجدادهم

العظام الّذين حملوا مهمة الجِهَاد في مغرب أمة الإِسْلَام والمُسلِمين عَلى مر التّاريخ الإِسْلَاميّ المجيد.

١١. تجربة الأفغان العَرَب اللبنانيين في جبال النبطية بقيادة الشّهِيد أبو عائشة اللبناني رَحِمَهُ اللهُ (١٩٩٩):

كانَ المُجَاهدون اللبنانيون من الأفغان العَرَب من ضمن الجنسيات الّتي حضرت منها أعداد قليلة إلى أفغانستان، وقد تميزوا بالإضافة إلى مشاركتهم الميدانية بالدماثة والأخلاق، وكانوا من بين الجنسيات الّتي استطاع أصحابها العودة إلى بلادهم دونما كبير مشاكل، وقد تعرض البعض منهم إلى الاعتقال والتحقيق والسّجن إثر إقدام مجموعة صغيرة منهم عَلى اغتيال أحد قيادات الحركة الدّينيّة الشاذة في لبنان والَّتي تنسب لمؤسسها (حركة الأحباش)، وكان القتيل نائب في البرلمان اللبناني، وبحسب روايات الإخوة اللبنانيين فإن تلك الحركة كانت تقدم خدمات كبيرة للاستخبارات السوريّة في لبنان وتؤذي الشَّبَاب المسلم، كما تميزت بالعدوانية، وطاردت شباب أهل السّنّة والجهاديّين في مساجدهم وآذتهم، ثمّ ألقي القبض عَلى تلك المجموعة ونفذ فيها حكم الإعدام، بعد أن أبدى عناصرها بطولة وثباتا نادرا في تصريحاتهم في المحكمة وأمام الصحافة وأثناء عمليَّة الإعدام، حيث شيعة طائفة السنة أجسادهم الطّاهرة في موكب مهيب جسد مشهدا لوحدة صف حركاتها المتعددة في لبنان.

- ثمّ تابع بعض أفراد تلك المجموعة عمليّات الدّعوة لأفكارها الجهاديّة السّلفيّة في مختلف المناطق اللبنانية ولاسيما في منطقة شمال لبنان قرب مدينة طرابلس وجبال النبطية، وكان هدفهم بحسب تصوُّراتهم الّتي رسمها أميرهم الأخ (أبو عائشة اللبناني) هيَ القيام بتأسيس حركة جهاديّة لشباب أهل السّنّة تعمل عَلى إقامة ثورة إسلاميّة تهدف إلى تحكيم الشّريعة في لبنان، وتسعى عَلى الأقل إلى إيجاد شوكة لأهل السّنّة في لبنان.
- كانَ الأخ أبو عائشة اللبناني رَحِمَهُ اللهُ أحد الأفغان العَرَب القدماء أيّام الجِهَاد الأفغاني، وكان مهاجرا في الولايات المتحدة وقدم منها إلى أفغانستان، وعاد بعد انتهاء الجِهَاد الأفغاني إلى

أمريكا ومنها إلى لبنان يحمل في صدره أفكارا وآمالا عن تأسيس حركة جهاديّة محليَّة لأهل السّنّة في لبنان.

- ونظرا لصداقة وعلاقة تعاون كانت لي به وبعض إخوانه أيّام الجِهَاد الأفغاني، فقد بقى لي شيء من التّواصل المتقطع ببعضهم في الفترات التّالية، مما مكنني من الإطلاع عَلى أهدافهم، وقد أرسلت له رسالة مع أحد أصدقائي الّذي التقى به، ونقل إليه قناعتي بأن فكرته تمشي بعكس الجغرافيّة والسّياسة والتّاريخ ومعطيات الواقع، وأن من الأفضل لهم أن يحاولوا العودة للاستفادة منس أجواء أفغانستان في أيّام طالبان لمتابعة التأسيس والإِعداد عَلى مهل، كما أوصلت له وجهة نظري بأن معطيات لبنان السّياسيّة والسّكّانية والإقليمية لا تسمح بأفكاره الّتي بدت لي غير موضوعية، ونصحته أن يحاول تطوير مشروعه الجهاديّ إلى فكرة إقليمية أوسع تأخذ بعين الاعتبار ما وصلت إليه الموجهة العَالَمِيّة بين المُسلِمِين والنّظام العَالَمِيّ الجَدِيد، ولكنه رحمه الله بدا مصرا ومقتنعا ببرنامجه، وأرسل لي باختصار قوله: لقد جربتم في سوريا، وجرب إخواننا في مصر وليبيا والجَزَائِر، ودعونا نجرب في لبنان.
- وبعد مدّة قصيرة يبدو أن كثافة حركة أنصاره الّذين ازدادوا من أحاد إلى عشرات، رفع ثقتهم بأنفسهم ودفعهم للتحرك بشيء من العلنية، حيث روى بعض أهالي المنطقة بأنهم كانوا يعرفون بتواجدهم في الجبال، وأن بعضهم كانَ يتحرك بشكل شبه مكشوف، فما لبث الجيش اللبناني أن طوق المنطقة وحصلت معارك إستمرت لعدة أيّام، قيل أن بعض وحدات الجيش السّوري قد شارك فيها، وأسفرت عن استشهاد نحو خمسين من الإخوة، بينهم أبو عائشة رحمه الله وبعض البارزين من إخوانه من قدماء الأفغان العَرَب واعتقل بعض من كانَ له علاقة معهم من مختلف المناطق اللبنانية بحسب ما بلغني عن بعض الإخوة ووسائل الإعلام فرج الله عنهم، ورحم الله الشّهداء الأبرار

****

أبرز التَّجَارب الجهاديّة المعاصرة في وسط آسيا:

١٢- التَّجربة الجهاديّة في طاجيكستان (١٩٩٢-٢٠٠٠):

- مع انتصارات الجِهَاد ضدّ السوفيت في أفغانستان، انتعشت آمال المُسلِمِين في وسط آسيا للتخلص من نير الإحتلال الر وسي الّذي بغى عليهم ومنعهم حتَّى من دينهم، وقد لعبت الأقلية الفرسوانية أو الطاجيكية كما يسمونها في شمال أفغانستان خلال مواجهتها للسوفيت دورا في إيصال بذور الثَّورة وشعلة الجِهَاد إلى ما راء نهر جيحون كما سعت عدد من الأحزاب الجهاديّة الأفغانية وعلى رأسها حزب الجَمعيَّة الإِسْلَاميّة، والحزب الإِسْلَاميّ الّذي تزعمه حكمتيار إلى العمل عَلى ذلك بإرسال نسح من القرآن الكريم، والكتب الدّينيّة المترجمة، إلى الخلايا السرية من بذور الحركة الإِسْلَاميّة في طاجيكستان ليحرضوهم عَلى الجِهَاد.
- ومع انهيار الإتحاد السُّوفيتيّ، كانَ الحلم الكبير لدى المخلصين من المُجَاهدين الأفغان والأفغان العَرَب هو عبور نهر جيحون لك يواصلوا الجِهَاد ضدّ موسكو، وهذا ما فعله البعض إثر انسحاب الجيش الأحمر الّذي لعب بعض قادة الأحزاب الأفغانية ولاسيما رباني ومسعود دورا مخزيا في حفظ سلامته أثناء الانسحاب، بعد ما أذاق الأفغان ويلات القتل والدمار الكامل لبلادهم، ولكن عددا من المُجَاهدين العَرَب والأفغان والطاجيك، عبروا النهر ليكونوا طلائع تجربة جهاديّة زاخرة إستمرت منذُ مطلع التسعينات وإلى نهاية القرن العِشرين، ولا أمتلك عن تلك التَّجربة كبير تفاصيل إلا ما اطلعت عليه من بعض المهتمين بها.
- وخلاصة ذلك أن المُجَاهدين استطاعوا أن يحرروا مناطق شاسعة من طاجيكستان امتدت من حدودها مع أفغانستان إلى حدودها مع أوزبكستان، وتمكنوا أواخر التسعينات من تهديد العاصمة دوشنبيه ذاتها، حيث تهدّد النّظام الشُّيُوعِيّ المدعوم من روسيا فعليا بالسُّقوط، وبحسب شهادة أولئك المُجَاهدين من العاملين في تلك القضية، فقد تدخلت الإستخبارات الرُّوسية (KGB) في اللحظات الأخيرة وأقنعت القائد الأفغاني الشهير مسعود ورئيس

الرباني الغدر بالقواعد الخلفية لأولئك المُجَاهدين في شمال أفغانستان وأجبرتهم عَلى الانسحاب عن العاصمة حيث استرد النّظام أنفاسه، وجاءت الطعنة التّالية من الحركة الإِسْلَاميّة الطاجيكية ذاتها وزعيمها الأستاذ (نوري) الّذي التقى (يلتسن) في موسكو وصورته عدسات التلفزيون وهو يصافحه بحرارة، وجري الإتفاق بإشراف موسكو بين الحكومة الطاجيكية وحركة النهضة الإِسْلَاميّة بزعامة نوري عَلى تسوية يستلم بموجبها حزب النهضة بعض الوزارات ومقاعد البرلمان، وهكذا جمد حزب النهضة جناحه العسكريّ الّذي كانَ يشارك في حصار العاصمة، وأوجد هذا شرخا في صف الحركة الجهاديّة المكونة من الطاجيك والأوزبك بالإضافة لبعض المُجَاهدين من وسط آسيا، الّذي كانَ يتزعمهم المُجَاهد الكبير جمعة باي الأوزبكي، الّذي انسب إلى الجبال بمن معه وواصل القِتَال، إلى أن اضطر إلى توقع تسوية تضمن له الانسحاب إلى أفغانستان واللجوء إلى نظام طالبان بأسلحته ومن بقي من جنوده، وهذا ما تمَّ سنة (٢٠٠٠) حيث حضر إلى أفغانستان وانضم إلى مُجَاهدي الأوزبك وحركتهم الّتي أسسوها سنة (١٩٩٨) وأسموها (الحزب الإِسْلَاميّ لأوزبكستان)، بزعامة محمّد طاهر جان، ليسدل الستار عَلى حركة جهاديّة نوعية تبقى كتابة تفاصيلها أمانة في عنق من عايشوها عن قرب تلك الفترة.

١٣- التَّجربة الجهاديّة في أوزبكستان (١٩٩٨-٢٠٠١):

تعتبر أوزبكستان القلب النابض للإسلام في آسيا الوسطى، وقد استطاع المُسلِمُون فيها أن يحافظوا عَلى دينهم ودين آبائهم عن طريق نظام الحجرات السرية الّتي كانت تدرس الإِسْلَام خفية، حيث تخرج منه آلاف الحفاظ وطلاب العلم من أوزبكستان وما جاورها من دول الجمهوريّات السُّوفيتيّة، ويجاوز عدد سكان أوزبكستان (٢٥) مليون نسمة، وفيها أكبر الحاضرات الإِسْلَاميّة التارِيخِيَّة مثل بخارى وطشقند وسمرقند وترمذ،

- بقيت الصّحوة الإِسْلَاميّة فيها حركة سرية إلى أن انهار الإتحاد السُّوفيتيّ، وحصل ماسمى بعهد الانفتاح، ولبس الشُّيُوعِيّون فيها لباس الدِّيمقراطيَّة كما زعم رئيسها كريموف عضو

الحزب الشُّيُوعِيّ السابق الّذي صار رئيسا للبلاد ولحزب ديمقراطي فيها، مستبدلا الوَلَاء للأمريكان بالوَلَاء للروس.

- وقد قمع كريموف الصّحوة الإِسْلَاميّة الّتي شبت منذُ (١٩٩٠م) ودخل في صِرَاع معها، مما أدى لِهجرَة الآلاف إلى دول الجوار، وبعد سنة (١٩٩٥) يمم عدد من الشَّبَاب المهاجر المُجَاهد وجهه شطر الشِّيشَان حيث كانَ الأخ المُجَاهد الشّهِيد ابن الخطاب يعد لمشروع طويل الأمد لإزكاء شعلة الجِهَاد في القفقاس وسط آسيا والجمهوريّات السُّوفيتيّة، في حين نزلت مجموعة كبيرة منهم إلى أفغانستان في عهد طالبان، والتحق آخرون بالمُجَاهدين الطاجيك وقائدهم الأوزبكي جمعة باي رحمه الله، في حين استخفت مجموعات أُخرى داخل أوزبكستان تجهز لانتفاضة جهاديّة.
- تزعم المجموعة الّتي نزلت إلى جوار طالبان أحد الدعاة الشَّبَاب من جماعة التبليغ وكان متحمسا لمشروع جهاديّ واسع للانتفاضة عَلى نظام كريموف وكان قد لمع نجمه نتيجة تصديه للرئيس كريموف أثناء احتفال خطابي حاشد، ثمّ فر إلى أفغانستان، وبايع أمير المُؤمِنِين ملا محمّد عمر الّذي تبنى مشروعهم واعتبره ظهيرا هاما في الشمال أفغاني حيث تقطن جالية أوزبكية وتركمانية كبيرة يبلغ تعدادها نحو (٥) ملايين نسمة.
- وبالتّعاون مع بعض الأفغان العَرَب الّذين تحمسوا للمشروع الجهاديّ الأوزبكي، وبدعم سخي من طالبان، نمى مشروع الأوزبك بزعامة محمّد طاهر جان بسرعة، حيث تجمع تحت قيادته مئات المقاتلين الأشداء الشَّبَاب الّذين تخرجوا بداية عَلى يد بعض المدربين من الأفغان العَرَب ثمّ طوروا إمكانيَّاتهم وصاروا من أكثر المجموعات الداعمة لطالبان تدريبا وتسليحا.
- انضم جمعة باي بعد خروجه من طاجيكستان إلى محمّد طاهر جان وبايعه عَلى الجِهَاد في أوزبكستان وصار نائبه ومسؤوله العسكريّ وذراعه الأيمن، وعاد بعد ذلك لتنظيم تواجد المُجَاهدين الأوزبك عَلى حدود أوزبكستان ودخل طاجيكستان ثانية، ولكن محاولته كشفت، كاد يقتل مع جميع من معه عَلى يد جيش قيرغيزستان ولكنهم استطاعوا أن يخطفوا

مجموعة من الخبراء اليابانيين والأجانب وأدت المفاوضات إلى أن يتحصلوا عَلى فدية بنحو (٥) ملايين دولار ويعودوا أدراجهم إلى أفغانستان!! مما رفع أسهم الحركة عند طالبان.

- وفي أواخر (١٩٩٩) نزل عدد من المُجَاهدين الأوزبك من الشِّيشَان وبالتّعاون مع مجموعات سرية هناك قاموا بعدة عمليَّات تفجير استهدفت منشآت حكومية في أوزبكستان، وردت الحكومة عَلى ذلك بحملة من الاعتقالات فر عَلى أثرها مزيد من الجهاديّين والأسر المهاجرة إلى أفغانستان، وقبض عَلى عدد من الجهاديّين الأوزبك في عدد من دول وسط آسيا وتركيا، وسلموا إلى أوزبكستان وحكم عَلى بعضهم بالسّجن وعلى بعضهم بالإعدام، وتوافد من نجا منهم إلى أفغانستان، وتجمع أولئك الكوادر حول طاهر جان حيث شكلوا محكما ومنظما وحسن التجهيز، وأطلقوا عَلى حركتهم اسم (الحزب الإِسْلَاميّ لأوزبكستان).
- ونظرا لضخامة الجالية الأوزبكية المهاجرة منذُ أيّام الإحتلال السُّوفيتيّ في عدد من الدّول كتركيا ودول وسط آسيا وأوربّا وباكستان وبعض البلاد العربيَّة ولاسيما السّعُودِيّة، حيث استطاع العديد منهم أن يحترفوا التجارة ويتولوا المناصب بعد أن حصل أجدادهم عَلى الجنسية السّعُودِيّة منذُ أيّام الملك فيصل، وقد أدت تلك الجاليات دعما ماديا وبشريا وقدرة عَلى الاتّصالات والعلاقات العامّة لتك الجماعة الناشئة الّتي جهزت عدّة مئات من المقاتلين المدربين.
- أواسط سنة(٢٠٠١) قرار أمير المُؤمِنِين ملا محمّد عمر بناء عَلى مشروع دراسة كنت قد قدمته له من أجل تشكيل لواء من جميع المُجَاهدين العَرَب والمُسلِمين من غير الأفغان (من الباكستان والعرب ومُجَاهدي وسط آسيا)، ووقع اختياره عَلى (جمعه باي) المسؤول العسكريّ للأوزبك لرئاسة وإدارة ذلك المشروع الّذي أطلقوا عليه أسم اللواء (٢١) وربطوه بالقيادة العسكريّة لجيش الطّالِبَان (قول أوردو)، وبطبيعة الحال استعان جمعه باي بإدارته العسكريّة الأوزبكية لإدارة ذلك اللواء مع نخبة من القيادات من العَرَب والباكستان والتركستان.

- وقويت مكانة الأوزبك جدا لدى طالبان، ووضع محمّد طاهر جان مشروعا طموحا لتكوين جيل من الدعاة وطلاب العلم الأوزبك لتتحرك ضمن الجالية الأوزبكية والتركمانية الأفغانية الضخمة العدد في شمال غرب أفغانستان، وكان البَرَامج يهدف لإعداد مئات الدعاة خلال سنتين كي يتولوا الدّعوة ثمّ يشكلوا ميلشيات أوزبكية مُجَاهدة هدفها القِتَال إلى جانب طالبان ومن ثمّ الإعداد للجِهَاد في بلاد ما وراء النهر، وهو حلم الأفغان الكبير منذُ رحيل الجيش الأحمر عن أفغانستان عبر نهر جيحون إلى داخل الإتحاد السُّوفيتيّ.
- وقد علق أمير المُؤمِنِين عَلى ذلك المشروع آمالا كبيرة ودعمه بكل ما أوتي من إمكانيَّات، وهكذا، ومع بداية موسم القِتَال صيف (٢٠٠١)، كلف أمير المُؤمِنِين اللواء (٢١) بقيادة (جمعة باي) بمهام قتالية في شمال أفغانستان في ولاية قندوز وتخار، وفيما كانَ اللواء المشترك الّذي زاد عدد مقاتليه عَلى ثلاثة آلاف من المُجَاهدين الباكستان والأوزبك والعرب والتركستان يستعد لأخذ مواقعه والتحرك لميدان المَعْرَكة، جاءت أحداث سِبتَمبر وابتدأ الهجوم الأمريكيّ عَلى أفغانستان، وقدر الله أن تسقط قذيفة طيران في منطقة قرب مزار شريف عَلى نقطة تجمع للمُجَاهدين من ذلك اللواء ليستشهد جمعة باي مع (١٢) من قادة اللواء من أبرز قياداته من العَرَب والأوزبك قبل سقوط مزار شريف.

وتتابعت الكوارث، فبعد سقوط مزار شريف وعملية الخيانة في قندز والغدر بمجموعة من المُجَاهدين العَرَب الأوزبك في قلعة مزار شريف في الحادثة المشهورة، قتل مئات من المُجَاهدين الأوزبك في الشمال وسقط آخرون في معارك الدّفاع عن الإمارة في خط كابل ثمّ في معركة شاهي كوت الشهيرة قرب مدينة (زرمت) في بكتيا حيث قتل مئات الأمريكان في العمليّة الّتي أطلق عليها اسم (أنا كوندا)، ثمّ تشرد الباقون إلى باكستان حيث قتل العديد منهم في الحملات المشتركة للجيش الباكستاني والقوّات الأمريكيّة وأسر آخرون، وتوزع آخرون في مرحلة جديدة من الشتات في مرحلة أخدود ما بعد سِبتَمبر الّذي ما زال يتقلب فيه من تبقى من التّيار الجهاديّ إلى أن يأذن الله بالفرج، وهكذا طويت صفحة جهاديّة من أكثر الصفحات إشراقا وأملا في إحياء الجِهَاد في بلاد ما وراء النهر

حيث بشر رسول الله ﷺ بخروج الرّايات السود من هناك لتحمل رايات المهدي ليملأ الأرض قسطا وعدلا بعد أن ملئت جورا وظلما كما تسير الأحداث باتجاه ذلك هذه الأيّام.

- ولقد واكبت شخصيا تجربة الأوزبك في عهد الطّالِبَان من بواكيرها، وربطني بهم صداقة وإخوة وعلاقات عمل، وقد شاركت في برنامج إعداد بعض الكوادر لمشروعهم الكبير وكنت أتردد عَلى مركزهم لإلقاء بعض المحاضرات، وحضر بيتي عدد من إدارتهم لحضور سلسلة من الدُّروس التأهيلية، وقد مكنني ذلك من الإطلاع عَلى جوانب مشروعهم الكبير المبشر كما مكنني من التعرف عَلى صنف من خيرة المُجَاهدين عبادة وصفاء وأحسنهم خلقا وأكثرهم إنضباطا وطاعة، وأشدهم بأسا وثباتا، فرحم الله شهداءهم وفك أسراهم وحفظ المشردين منهم ومنح المُجَاهدين في أوزبكستان فرصة لحمل رايات الجِهَاد الظافرة إنه عَلى ما يشاء قدير.

١٤. التَّجربة الجهاديّة لمُجَاهدي الحزب الإِسْلَاميّ لتركستان الشرقية:

بعد قيام حركة طالبان بإعلان لإمارة الإِسْلَاميّة بقليل، حضر أفغانستان عدد من الشَّبَاب التركستاني المسلم الّذين كانوا قد فروا من الحكم الصيني الّذي يحتل بلاد تركستان الشرقية ويطارد الشَّبَاب الملتزم مستمرا في محاولات الصين هوية ذلك الشعب اليوغوري المسلم.

ومثلهم مثل غيرهم من التَّجَمُّعات المهاجرة والمُجَاهدة الّتي نزلت في جوار طالبان بدأوا يتجمعون حيث برز عَلى رأسهم أميرهم الأخ الشّهِيد أبو محمّد التركستاني (حسن معصوم) رَحِمَهُ اللهُ - الّذي كانَ قد خرج مطاردا من الصين بعد أن سجن هناك خمس أعوام.

وبعد أن بايع الشَّيْخ أبو محمّد التركستاني أمير المُؤمِنِين ملا محمّد عمر، لاقت هذه المجموعة دعما واحتراما منه، ولكنه أمرهم بالتؤدة في حركتهم، والاستخفاء قدر الإمكان لأن الصين كانت عَلى أبواب بداية علاقات توازن مع طالبان تدرس تنفيذ عدد من المشاريع فيها وذلك يحدث توازنا في الصِّرَاع عَلى المصالح في أفغانستان ووسط آسيا بين الصين والولايات المتحدة وقد أوشكت الصين عَلى إعادة فتح سفارتها في كابل في عهد طالبان ونمت تلك المجموعة بسرعة لكون عدد من المُهَاجِرين

التركستان الشرقيين المتناثرين في دول وسط آسيا الأخرى وتركيا والسّعُودِيّة وباكستان ليس بالقليل أيضا

وسرعان ما أعدت المجموعة بالتّعاون مع بعض المدربين من الأفغان العَرَب عدد من الكوادر والمدربين الّذين مالبثوا أن أنشأوا لأنفسهم معسكرا مستقلا وشاركوا في القِتَال بفعالية إلى جانب طالبان.

كانَ أميرهم أبو محمّد ﷺ شعله من النَّشَاط والإخلاص وحسن الخلق وقد انعكس هذا عَلى النمو السريع لتجمعهم كما كانَ الشَّبَاب التركستاني الشرقي من ألين المُجَاهدين عريكة وأكثرهم إخلاصا وفدائية وحيا لطلب مختلف أنواع العلوم الشَّرعيَّة والعسكريّة

نزل بعض المجهاديّن التركستان الّذين تخرجوا من مُعَسْكَرَات هذه الحركة الّتي حملت نفس اسم المجموعة الّتي قامت بآخر المحاولات وانقرض معظم أعضائها (الحزب الإِسْلَاميّ لتركستان الشرقية) نزلوا إلى الصين للقيام عمليَّات الحشد والدعاية الّذين لا يستطيعون الخروج نتيجة خطر السفر الّذي تفرضه الحكومة الصينية عَلى المُسلِمِين التركستان.

كانَ مشروع التركستانيين الشرقيين واعدا خاصّة في ظل النّظام العَالَمِيّ الجَدِيد، حيث كانَ الكونغرس الأمريكيّ قد تبنى مشروعا لتفكيك الصين سنة (١٩٩٥) وذلك باستخدام النزعات العرقية الدّينيّة فيها وعلى رأس ذلك التيبت واليوغور المُسلِمِين في شمال غرب الصين في تركستان الّتي احتلتها الصين وأطلقت عليها اسم (سيانغ يانغ) وتعني الأرض الجَدِيد، فكان مشروع الجِهَاد في الصين هو المشروع الوحيد الّذي كانَ له أمل بأن لا يجد مقاومة من هجمة مكافحة الإِرهَاب، كما أن مجموعات من اليوغور المُسلِمِين التّيارات القوميّة والليبرالية قد استوطن أمريكا وأوربّا وتركيا وبعض البلاد العربيَّة وراح بعضها يخطب ود هذه المجموعة المُسلّحة الناشئة في أفغانستان ولكن قرب المُجَاهدين التركستان من الأفغان العَرَب وبيعتهم لأمير المُؤمِنِين وشهودهم القِتَال إلى جانب طالبان ووقوع بعضهم في الأسر لدى قوّات التَّحالف كاد يطبعهم بطابع المطاردين من أمريكا، وأنضم قسم من المُجَاهدين التركستان إلى اللواء (٢١) للمُجَاهدين غير الأفغان وأخذوا مواقعهم إلى جانب

المُجَاهدين من الجنسيات الأخرى في الجِهَاد إلى جانب طالبان وفيها كانَ مشروع المُجَاهدين التركستان أيضا يشق طريقه دوت انفجارات سِبتَمبر وأخذ المُجَاهدون التركستان مواقعهم إلى جانب إخوانهم من الأفغان وغير الأفغان.

وهكذا أخذ المُجَاهدون التركستانيون حظهم أيضا من الشّهداء والأسرى والمشردين تقبل الله منهم وخرجت بقاياهم لتتابع سيرها في قافلة الفرارين بدينهم من الغُرَباء عَلى الأرض الباكستانية.

ورغم أن فرصة المغادرة كانت متاحة أمام الشَّيْخ أميرهم أبي محمّد التركستاني إلا أنه بقى وفيا لأمير المُؤمِنِين وأفغانستان، وفيا لتركستان مصرا عَلى القرب منها، وبقى في منطقة القبائل في سرحد شمال غرب باكستان وقبل كتابة هذه السُّطُور بشهر وفي شهر نوفمبر، قام الجيش الباكستاني مدعوما بوحدات أمريكية بحملة تمشيط وتفتيش عن المُجَاهدين العَرَب والطّالِبَان ومن منعهم معهم واشتبكت إحدى المجموعات المجرمة مع مجموعة من المُجَاهدين كانَ منهم أبو محمّد وإخوانه، ليسقط شهيداً غريبا مع مجموعة من حراسه وأقرب إخوانه، رحمهم الله وتقبلهم وأسكنهم فسيح جناته.

وقد واكبت شخصيا بداية مشروع التركستان الشرقية منذُ بدايته، وكان أميرهم أبو محمّد جارا لي في (خوست) رحمه الله، وقد دعاني لإلقاء بعض الدُّروس في مركزهم مرارا، ولما عزمت عَلى بداية مشروع إنشاء مُعَسْكَر في كابل استقبلني في (قرغة) في معسكره التّابع لمُعَسْكَر القائد الطّالِبَان سيف الرَّحْمٰن منصور، حيث بدأت مشروع معسكريّ إلى جانبهم قبل أن يتطور معسكرنا (مُعَسْكَر الغُرَباء) وينشأ مستقلا إلى جانب معسكرهم.

وقد جمعني ومجموعة مُعَسْكَر الغُرَباء بالمُجَاهدين التركستان أكثر من رابطة، وحضرنا بعض المشاهد الميدانية إلى جانب طالبان معا، وأتذكرهم اليَوْم ويعجز قلمي حقيقة ’ن أدائهم حقهم لما تحلوا به من كريم الصفات، ويعتصر اليَوْم قلبي الألم والحزن عَلى تلك الوجوه المنيرة والقلوب الطّاهرة وأعجز أن فيهم حقهم من الوصف فقد كانوا أهلا لكل خير أحسبهم كذلك ولا أزكيهم عَلى الله، ولله در الشاعر الّذي قَالَ يخاطب تراب قبور الشّهداء:

ثوى فيك الأحبة يا حبيبُ وقد يؤذي الثواء وقد يطيبُ
شموس في الظهيرة أطفأتها يد سكرى وللمها الغروبُ
وجوه مازجت قلبي وغابت فيك فكيف عن قلبي تغيبُ
أأُوغل خلفها غسلت بنورٍ وقلبي بعد تغمره الذّنوبُ

فرحم الله من لاقاه شهيداً وتقبلهم في الصّالحين، وحفظ المشردين والباقين منهم ونصرهم وأعانهم عَلى حمل مشاعل النور والإِسْلَام، ليعود الأذان نديا حرا في ربوع (كاشغر) وكافة مدن التركستان، رحمهم الله من نسمات تحمل عطر رايات قتيبة بن مسلم الّذي حمل نور الإِسْلَام إلى بلادهم، وأنفاس آلاف الصّالحين من التّابعين ومن تبعهم بإحسان من الّذين حملوا مشعل الإِسْلَام إلى تلك الربوع.

اللّهم لا تحرمنا صحبتهم في الجنّة.. ولا تحرمنا أجرهم ولا تفتنا بعدهم وارحمنا إذا صرنا إليك مثلهم يارَبّ العَالَمِيّن.

****

١٥- تجربة الشَّيْخ أُسَامَة وتنظيم القَاعِدَة في مُوَاجَهة أمريكا منذُ (١٩٩٦):

كما لا يخفي فإن هذا العنوان يستأهل كتابا مستقلا، لكثرة جزئياته وأهمية التارِيخِيَّة وليس في هذا الفَصل العام حول التَّجَارب التّيار الجهاديّ خلال النصف الثّاني من القرن العِشرين محل ذلك، ولكني ولكي يتم الفَصل ويشمل أهمّ تلك التَّجَارب، لا بُدَّ وأن أعرض ولو موجزا إلى هذه التَّجربة الّتي اِخُتتِم بها ملف تلك التَّجَارب في القرن العِشرين وافتتح ملف الصِّرَاع في القرن الحادي والعشرين بشكل غير وجه التّاريخ والعالم وغير أبعاد المَعْرَكة ومعطياتها وأساليبها، وسأعرض لهذه التَّجربة من خلال فقرات رئيسيَّة مختصرة والله المُستَعان وهو يهدي السبيل: ولعلّ الله ييسر لي أن أسهب في التفاصيل إن قدر الله لي التّاريخ لتجربة الشوط الثّاني للأفغان العَرَب مع طالبان (١٩٩٦- ٢٠٠١)،

وقبل أن أبدأ ذلك أشير إلى أنّي تفكرت كثيرا في مسألة تصنيف تجربة القَاعِدَة ضمن تجارب التّيار الجهاديّ، أو تصنيفها أم ضمن تجارب الظَّاهِرة الجهاديّة ضدّ العدوان الخارجي، حتَّى كدت أميل إلى أنها صنف ثالث من أصناف الظَّاهِرة الجهاديّة لاختلافها من حيث التكوين والمنهج والأسلوب، وبعد طول التأمل، رأيت أن أدرجها ضمن تجارب التّيار الجهاديّ لاعتبارات عديدة من أهمّها:

- المنهج الّذي آل إلى تبنيه وإعلانه الشَّيْخ أُسَامَة بن لادن ومعظم أتباعه في آخر المطاف، وهو منهج يمكن اعتباره مستندا إلى أصول ومبادئ منهج التّيار الجهاديّ.

- والأمر الآخر هو أن أكثر كوادر القَاعِدَة ومؤسسيها ومدربيها ورجالها الأساسيين هم من كوادر التّيار الجهاديّ الّذي التحقوا بالقَاعِدَة عضويا، أو أنها استندت إليهم في تكون عناصرها.

- والأمر الثّالث هو أن الشَّيْخ أُسَامَة جعل من مُوَاجَهة حكومة آل سعود أحد شطري اتجاهه وأهدافه بالإضافة لمُوَاجَهة أمريكا وهذا من توجهات تنظيمات التّيار الجهاديّ في مُوَاجَهة الطغاة من حُكَّام بلاد العالم العربيّ الإِسْلَاميّ، حيث اعتبرهم مرتدين عن ملة الإِسْلَام، مستندا في ذلك إلى أصول عَقِيْدَة الحاكِمِيَّة وعقائد السّلفيّة الجهاديّة.

- والأمر الرَّابع أن الشَّيْخ أُسَامَة قد استطاع جر التّيار الجهاديّ بكامله إلى السَّاحَة الّتي اختارها والفكرة الّتي يراها للمُوَاجَهة وهي التّحول من مواجه الأنظمة والحُكُومَات إلى مُوَاجَهة من يسندها ضمن النّظام العَالَمِيّ الجَدِيد وهي أمريكا وكبار حلفائها.

- والأمر الأخير هو أن أمريكا قد فرضت علينا ولأهدافها الخاصّة عن علم وعمد، فرضت عَلى كافّة التّيار الجهاديّ وكثير من مكوّنات الظَّاهِرة الجهاديّة الحاليين مسمّى القَاعِدَة وعممته عليهم راضين أم كارهين وجعلته اسما شاملا لكافة مكوّنات التّيار الجهاديّ وجرتهم لحربها كذلك طوعا أو كرها.

بعد طول تفكر وتشاور واستخارة.

رأيت أن أحذف هذه الفقرة من الكتاب لثلاثة أسباب، وهي:

أولاً: أن تنظيم القَاعِدَة ما يزال يخوض حربا مفتوحة مع أعداء الإِسْلَام، بقيادة أمريكا، كما كلّ الأفغان العَرَب والتّيار الجهاديّ وكل مخلص في هذه الأُمّة.

وربما يظن البعض أن في تناول تجربتها وخصائصها الآن ما يفيد العدوّ، ورغم أنّي لا أعتقد ذلك لأن الفقرة دراسية نقدية عامة للإفادة من الدُّروس والتَّجَارب الّتي مضت، ولا تحتوي أي معلومات تعتبر أسرارا، خاصّة أن كما كبيرا من أسرى القَاعِدَة هو في قبضة العدوّ أعاننا الله عَلى تفريج كرباتهم، وأظن في عرضها فائدة للمسلمين والمُجَاهدين، إلا أن هذا كانَ أحد الأسباب في حذف الفقرة، دفعا للخلاف حول هذه النقطة.

****

ثانياً: أن التَّجربة ما تزال مفتوحة، وتختلف بهذا عما سبق من التَّجَارب التَّنظِيمية الّتي تناولتها، والّتي انتهت عمليا، وفي تأخير الكتابة عن تجربة ما تزال مستمرة فائدة دراستها فيما بعد أن الدّراسة ستكون أشمل وأعمق.

وأرجو أن نكون قد حققنا النّصر الموعود إلى حينها بإذن الله.

****

ثالثا: أن التَّجربة واسعة وتحتاج كي أوفيها حقها كتابا مفردا، ربما يسر الله لي إخراجه فيما بعد، خاصّة أنّي أفضل إطلاع بعض كبار الإخوان والشُّيُوخ عليه، وأخذ توصياتهم بعين الاعتبار قبل نشره، الّذي أرجو أن يكون قريباً، وبعد تحقق النّصر الشّامل إن شاء الله.

****

وأعتذر للقراء التواقين للإطلاع عَلى تجربة فذة لأبطال أماجد، وأحباب عظم المصاب بفقدهم، سجل معظمهم أسماءهم في سجل الشّهداء الخالدّين، كما أرجو وأعتقد إن شاء الله.

ثامنا: خُلاصة الأساسِيَّات العقدية والفكريّة للتيار الجهاديّ (١٩٦٠-٢٠٠١):

شكل التّيار الجهاديّ مدرسة مستقلة قائمة بذاتها ضمن مدارس الصّحوة الإِسْلَاميّة المعاصرة، وقد حملت معظم تنظيماته ورجاله قواسم مشتركة من الفكر والعَقِيْدَة الجهاديّة والمنهج السّياسيّ

الشَّرعيّ، سأورد أهمّ ملامحها بشكل موجز بصرف النَّظر عن رأيي الشخصي في بعض التفاصيل والأفكار فهي فقرة للعرض وليست للنقاش، وبصرف النَّظر كذلك عن بعض الأفكار الثانوية الّتي حملها بعض الجهاديّين ولم تكن سمة مشتركة للتيار وتنظيماته ورجاله الأساسيين، ومن أهمّ الملامح الفكريّة عند الجهاديّين:

- **حكم الأنظمة:**

إعتبر الجهاديّون جميع الأنظمة القائمة في بلاد العالم العربيّ والإِسْلَاميّ أنظمة ردة لكونها تشرع من دون الله وتحكم بغير ما أنزل الله، وتوالي الكافرين من أعداء الإِسْلَام والمُسلِمين، واعتبروا جميع الحكَّام في العالم العربيّ والإِسْلَاميّ بناءً عَلى ذلك كفاراً مرتدين خارجين عن ملة الإِسْلَام.

كما اعتبروا المؤسسات والسُّلطات الثلاث - إن وجدت - أو ما يقوم مقامها في الأنظمة الديكتاتورية، مؤسسات كافرة، وهذه السُّلطات هيَ: السّلطة التَّشريعية والسّلطة التنفيذية والسّلطة القضائية، واعتبروا كبار القائمين عليها كفاراً مرتدين.

وتقف حدود التَّكفِير العيني عند الجهاديّين عند هذا المستوى حيث يعتبرون ما سوى ذلك من الأعوان ونواب هَؤُلَاءِ ومساعديهم وموظفيهم أعوانا لا يحكم عليهم بالكفر العيني لعملهم بتلك المؤسسات ويجعلونهم من أهل الأعذار.

وهم في ذلك يلتقون مع فكر الصّحوة الإِسْلَاميّة عامة خلال مرحلة الستينات والسبعينات والثمانينات قبل أن تنحو التَّنظِيمات الإِسْلَاميّة المنحى الديمقراطي وتضطر للحكم بالإِسْلَام عَلى تلك المؤسسات، ومن الجدير بالذكر أن هذه الحقائق الّتي جهر به الجهاديّون وتحملوا في سبيل ذلك المآسي، كانت هيَ نفس المعتقدات الّتي يحملها معظم رجال الصّحوة الإِسْلَاميّة من الإخوان والسلفيين والسروريين ودعاة الصّحوة من علماء الجَزِيرَة وغيرهم.

- **حكم الأعوان:**

اعتبر الجهاديّون من قاتل دفاعاً عن تلك الأنظمة، وحارب الإِسْلَاميّين والجهاديّين كأفراد الجيش والشّرطة وقوى الأمن، طائفة ردة عامة تقاتل عَلى أساس راية الرِّدَّة العامّة لإمامهم وقائدهم

الّذي يأتمرون بأمره ويدافعون عنه، بحيث لا يحكم الجهاديّون بالكفر العيني لآحاد هَؤُلَاءِ إلا حال صدر ناقض عن نواقض الإيمان.

- **مسألة التَّكفِير:**

عَقِيْدَة أهل السّنّة والجماعة ويعتبرون كلّ من شهد أن لَاإِلَهَ إِلَّا الله محمّد رَسُولُ اللّهمسلماً ما لم يأت بناقض صريح من نواقض الإِسْلَام، ويأخذون بشروط تكفير المتعين من تحقق الشُّرُوط وانتفاء الموانع، من الجهل والإكراه والتأويل وانتفاء القصد، وبهذا يفترقون عن جماعات التَّكفِير والشواذ من بعض من الحقّ بالجهاديّين.

- **علماء السُّلطَان:**

يعتبر الجهاديّون كلّ من وقف من علماء المُسلِمِين إلى جانب تلك الحُكُومَات مدافعاً عنها مسبغاً عليا صفة الإِسْلَام معتبراً من خرج عليهم من رجال وحركات الصّحوة ولاسيما الجهاديّين من الخوارج، يعتبرونه من المُنَافِقِين، وقد دخل الجهاديّون معهم في مساجلات طويلة، والجهاديّون قسمان في تحديد مستوى نفاق علماء السُّلطَان فمنهم وهم الجمهور يذهب إلى إثبات الإِسْلَام لهم واعتبار نفاقهم في حدود نفاق العمل، ويذهب البعض منهم إلى اعتبار بعض أولئك العُلَماء كفار مرتدين مثل حكامهم، لأَنّهم يعتبرون أولئك العُلَماء لا عذر لهم بالجهل ولا التَّأويل ولا بالإكراه لأَنّهم يسعون برضاهم إلى ذلك النِّفَاق، الّذي وصل إلى حد تأييد غزو بلاد المُسلِمِين، وإجازة الصُّلح مع اليَهُوْد وبيع أقدس المقدّسات المُسلِمِين، وإلى حد الإفتاء ويقتل من خرج بالسّلاح عَلى أولئك الحكّام ومن ولاءهم من الغُزَاة الصّليبيّين.

- **مسألة الدِّيمقراطيَّة:**

يعتبر الجهاديّون الدِّيمقراطيَّة، فلسفة ونظاماً كفرياً يتناقض مع دين الإِسْلَام جملة وتفصيلاً، ويذهب بعضهم إلى اعتبارها ديناً عصرياً مثله مثل كلّ أديان الكفر القديمة والحديثة، ويعتبر جمهور الجهاديّين الديمقراطيين من الإِسْلَاميّين بدخولهم البرلمان والمشاركة في السّلطة التَّشريعية أو الوزرات والحُكُومَات وهي السُّلطات التنفيذية، يعتبرونهم متلبسين بعمل من أعمال الكفر، ولكنهم لا يحكمون

عليهم بالكفر العيني، ويعتبرونهم معذورين بالتأويل أو حتَّى بالجهل أحياناً بطبيعة كفر تلك المؤسسات، بسبب حالة استضعاف الصّحوة والمُسلِمين، ونيتهم في تحقيق ما يمكن من العدل والتّعاون عَلى البر والإحسان، ويذهب القليل من الجهاديّين إلى تكفير هَؤُلَاءِ البرلمانيين والوزراء من الإِسْلَاميّين بحكم واقع انتمائهم لتلك المؤسسات، ولا يعتبرون جهلهم وارداً وهم علماء أو دعاة ولا تأويلهم مستساغا بعد قيام الحجة وكثرة الحوار.

- **مسألة الشّيعة والفرق من غير أهل السّنّة:**

يعتبر الجهاديّون كافّة تلك الفرق من ضمن الأُمّة الإِسْلَاميّة أو ما يسمي بأهل القبلة، ويعتبرونها من الفرق الّتي جاء ذكرها في الحديث الشريف بافتراق الأُمّة عَلى ٧٣ فرقة واحدة ناجية هم أهل السّنّة والجماعة والباقون في النار، فيعتبرونهم من فرق الضلال والزيغ والهوى والانحراف، وكما هو الموقف العام عند أهل السّنّة يصنفونهم ثلاثة أقسام:

الشّيعة الغلاة: مثل الإسماعيلية والنصيرية وأشباهها ويعتبرونهم كفاراً.

الشّيعة الزيدية: مثل أكثرية شيعة اليمن، ويعتبرونهم قريبين من أهل السّنّة عَلى خلاف معهم.

الشّيعة الجعفرية (الإمامية): وهم من مثل غالب شيعة إيران، والأقليات في لبنان وباكستان وأفغانستان ومنطقة الشّرق الأوسط.

وغالب الجهاديّين عَلى اعتبارهم ضلالاً من أهل البِدَع، في حين ذهبت أقلية من الجهاديّين إلى عدم إعطاء هذه المسألة أهمية لأسباب سياسيّة، في حين ذهب بعض الجهاديّين إلى التصريح بكفر الشّيعة، إلا أن الجمهور من الجهاديّين عَلى اعتبارهم مُسلِمِين من أهل القبلة ضلالاً مبتدعة.

وقد تداخلت المسائل السّياسيّة بالعقدية في هذه المسألة لدى الصّحوة الإِسْلَاميّة السنية عموماً ومنها الجهاديّة وليس هنا محل بسط ذلك.

- **مسألة السّلفيّة والمذهبية:**

غلب عَلى الجهاديّين منذُ أواخر الثمانينات المذهب السلفي نتيجة ما أسلفت شرحه، وجمهورهم وسط في مسألة المذهبية يكنون الاحترام لأئمة المذاهب الأربعة وعلمائها، وهم وسط في التقليد فلا

يتعصبون لمذهب، ولا يلتزمون به، ولا ينتقصون من أقدار الأئمة ولا من القيمة العلمية لتراث المذاهب، وقد أثر التّيار السلفي المتطرف في ظهور بعض (غلاة جهلة الجهاديّين) من المتأخرين ممن ذهبوا مذهب محاربة التقليد والمذاهب لحد الشطط ولكنهم في الجهاديّين قلة.

- **مسألة الصوفية:**

تأثر جمهور الجهاديّين بمنهج ابن تَيمِيّة والمدرسة السّلفيّة في محاربة المدارس الصوفية المنحرفة، واعتبارها من مناهج البِدَع والضلال، وتشدد البعض في هذه المسألة، في حين اعتدلت الأقلية منهم في تناول مدرسة التصوف والمتصوفين.

- **الموقف من مدارس الصّحوة الإِسْلَاميّة غير الجهاديّة:**

جمهور القدماء من الجهاديّين عَلى احترام مدارس الصّحوة وقياداتها والالتزام بأدب الخلاف معهم رغم سعة الهوة في الفكر والتطبيق، وجمهور المتأخرين من الجهاديّين عَلى حالة عداء وخصومة وتناحر معهم، نتيجة حالات القهر والخذلان كما سبق لإشارة لذلك.

- **مسألة العلمانيّة:**

كافّة الجهاديّين عَلى تكفير المذاهب العلمانيّة واعتبارها من مذاهب الإلحاد كما هو حال معظم قيادات وعلماء وجماعات الصّحوة الإِسْلَاميّة، قبل الموجة الأمريكيّة الأخيرة وموضة الاعتدال المصطنع، ولكن جمهور الجهاديّين عَلى اعتبار أتباع الفكر العلماني من عامة المُسلِمين معذورين بجهلهم في حين يكفرون قيادات التّيارات العلمانيّة في العالم العربيّ الإِسْلَاميّ ويعتبرونهم من أئمة الكفر الطاعنين في دين الله.

- **مسألة القوميّة العربيَّة:**

كافّة الجهاديّين عَلى اعتبار دعوى القوميّة والتعصب لها، من دعاوى الجَاهِليَّة، والجهاديّون أمميون، يدعون إلى وحدة المُسلِمين ونظامهم الشّامل، وبالتالي يذهب الكثير منهم إلى رفض مناهج الأحزاب القوميّة، لاسيما وأن كلها أو جلها يضم فكرة العلمانيّة إلى القوميّة، ويعتبر الجهاديّون الدعوات القوميّة من أسباب تمزيق الأُمّة.

- **مسألة الوطنيّة:**

كما في مسألة القوميّة ينبذ الجهاديّون فكرة القطريّة والوطنيّة والعمل في إطار التعصب للوطن ولاسيما أنها مزجت بالقومية والعلمانيّة، ولذلك فهم يعادون دعاتها ويعتبرونها من مذاهب الكفر والضلال.

وفي النقطتين السابقين شيء من التناقض في واقع الجهاديّين إذ أن غالب تنظيماتهم عملت عَلى أساس قطري محلي وأتسمت في بعض الأحيان بالغلو في ذلك، رغم أن الفكر لديهم يقوم عَلى أممية الإِسْلَام ودعوة الجِهَاد.

- **القضية الفلسطينية:**

يؤمن كافّة الجهاديّين، بل وعموم الصّحوة الإِسْلَاميّة بأن فِلَسطِين جزء من العالم الإِسْلَاميّ من النهر إلى البحر ومن الشمال للجنوب، وأنها حق واجب في عنق أجيال الأُمّة، وأن الجِهَاد فرض لاسترجاعها، وبهذا فهم يرفضون كافّة مبادئ الصُّلح والتطبيع والسَّلام مع اليَهُوْد، ويعتبرون أن جمهور الإسرائيليين باستثناء عدّة آلاف من اليَهُوْد الأصليين وأحفادهم، غُرَباء غزاة يجب أن يرحلوا، ويعتبرون السّلطة الفلسطينية برئاسة ياسر عرفات مثلها مثل باقي الحُكُومَات المرتدّة في العالم العربيّ والإِسْلَاميّ، ولنفس الأسباب بالإضافة للخيانة.

- **مسألة الأقليات الدّينيّة في العالم العربيّ والإِسْلَاميّ:**

يعتبر الجهاديّون أن هذه الأقليات وغالبها من النّصَارى يجب أن تعامل في حال قيام الدّولة الإِسْلَاميّة عَلى أسس أحكام أهل الذمة وما جاء منها في كتب الفقه لدى أهل السّنّة، ولا يعتبرون منهج المواطنة أساساً للتعامل معهم ولا مع من في حكمهم.

- **مسالة المُوَاجَهة مع أمريكا والصِّرَاع مع الغرب:**

لم تكن جميع التَّنظِيمات الجهاديّة، منذ نشأتها في الستينيات وإلى تاريخ بدء حملتها العسكريّة عَلى أفغانستان في نوفمبر ٢٠٠١ قد طرحت أو تبنت مسألة المُوَاجَهة العسكريّة مع الولايات المتحدة الأمريكيّة، وكانت كلها بلا استثناء تقريبا منصرفة لأهدافها الخاصّة في مُوَاجَهة حُكُومَات بلادها.

ورغم أن معظم أدبيات الجهاديّين قد أولت مسألة المُوَاجَهة معها حيزا في كتاباتها، ولاسيما بعد حرب الخليج (عاصفة الصَّحرَاء وإطلاق النّظام العَالَمِيّ الجَدِيد، وبدء الحملة الدّولية الأمريكيّة عَلى الإِرهَاب، وكذلك بسبب دعم أمريكا للأنظمة الّتي تقمع الإِسْلَاميّين والجهاديّين، إلا أن ذلك لم يعدوا الأدبيات إلى حيز التوجه الحَرَكيّ.

ولقد حاول الشَّيْخ أُسَامَة بن لادن كثيرا، خلال الشوط الثّاني للأفغان العَرَب، إقناع الجهاديّين بالتّحول في العمل تجاه أمريكا (رأس الأفعى) كما كانَ يصفها، ولكن دون جدوى، فقد سيطر عليهم منهجيا فكرة الصِّرَاع مع المرتدّين الّذين يمثلون العدوّ الأقرب والأخطر والّذي يقف حائلا دون أي جِهَاد مع الأَعدَاء الخارجيين، كما سيطرت عليهم فكرة الجِهَاد لإقامة الحكم الإِسْلَاميّ كمفتاح لحل كلّ الأَزَمَات.

ولكن أحداث سِبتَمبر وتداعياتها عَلى الأرض ووصم الأمريكان للتيار الجهاديّ برمته ووضعه تحت مسمّى القَاعِدَة، ومطاردة الجهاديّين من كلّ الأجناس في سياق ما أسمته الحَرب عَلى الإِرهَاب، وتدمير معظم البنية التحتية للتيار الجهاديّ، وما كانَ من احتلال العراق بعد ذلك، منذ٢٠٠١ وإلى اليَوْم، وتتالي تداعيات الإنتفاضة، وإعلان بوش للحملات الصّليبيّة...إلخ، جعل التوجه العملي الأوحد للجهاديّين هو مُوَاجَهة أمريكا وحلفاءها الغربيّين.

وهكذا نجحت أمريكا في حمل الجهاديّين عَلى الإتجاه الصَّحِيح خلال وقت وجيز لينحصر اتجاه جميع أجنحته وبقاياه وبراعمه الناشئة في هذا الإتجاه.

﴿وَيَمۡكُرُونَ وَيَمۡكُرُ ٱللَّهُۖ وَٱللَّهُ خَيۡرُ ٱلۡمَٰكِرِينَ ٣٠﴾ [الأنفال]

تاسعا: التّيار الجهاديّ وقعر الأزمة في نهايات القرن العِشرين ١٩٩٥- ٢٠٠٠م

كانت الصّحوة الجهاديّة قد خاضت مواجهات حقيقية وواسعة مع بعض الحُكُومَات خلال السَّبعينيَّات والثَّمانينيَّات حيث تكبدت فيها ضحايا كثيرة واتسعت فيها قاعدتها الشعبيَّة ودخلت في مطاردات أمنيّة ذات طابع استخباراتي، وكانت البوابة الأفغانية الّتي فتحت للجِهَاد منذُ سنة (١٩٨٤) أمام الصّحوة الإِسْلَاميّة عموما والجهاديّة خُصُوصَاً قد أغرت معظم قياداتها للذهاب إلى أفغانستان حيث خاضت تجربة فريدة خلال (١٩٨٤-١٩٩٢) وقد أسفرت العاصفة الأمنيّة الّتي نظمتها أمريكا

ونفذتها باكستان وتابعتها الدّول العربيَّة والأوربية بعيد سقوط الإتحاد السوفييتي وانتهاء حاجة أمريكا للظهير الإِسْلَاميّ في مُوَاجَهة الرُّوس، فانتشر معظم كوادر الجهاديّين والمطلوبين أمنيّاً في بلادهم نتيجة مصادماتهم مع حُكُومَاتهم في مجالات اللجوء السّياسيّ الّتي فتحت في أوربّا الغربيّة وما شابهها مثل كندا واستراليا وغير، أو في بلدان عربيَّة أُخرى لا تطالهم فيها أيدي حُكُومَاتهم لعدم قيام علاقات تعاون أمني آنذاك بين تلك البلدان، ولكن الإدارات الأمريكيّة المتوالية بعد حرب الخليج الثّانية (عاصفة الصَّحرَاء) وضعت خُطّة متكاملة لمُوَاجَهة التّيار الجهاديّ اصطلح عليها بالمُوَاجَهة الدّولية لمكافحة الإِرهَاب والّتي أوصلها بوش الابن لتكون حربا عالميّة حقيقية فيما بعد سِبتَمبر كما سنرى إن شاء الله.

وهكذا تتابعت المؤتمرات الأمنيّة الإقليمية والدّولية خلال ذلك العقد بمعدل لا يقل عن مؤتمر أو أكثر كلّ ستة أشهر فقد تطرق مؤتمر مدريد للسلام بين العَرَب واليَهُوْد من أجل التطبيع ١٩٩١ لمسألة الإِرهَاب وتفرغ مؤتمر شرم الشَّيْخ ١٩٩٤ لذلك، وتتابعت من بعد ذلك عشرات المؤتمرات العَالَمِيّة إلى الآن وقد حضرت الولايات المتحدة الأمريكيّة كلّ هذه المؤتمرات بما فيها الخاصّة بدول المتوسط (!) وكذلك إسرائيل ومعظم الدّول العربيَّة، وتتابعت مؤتمرات وزراء الداخليَّة العَرَب في تونس ولعبت السّعُودِيّة ووزيرها نايف بن عبد العزيز المتحمس بشراسة لمكافحة الإِرهَاب دورا بارزا، ويمكن اختصار برنامج مكافحة الإِرهَاب العَالَمِيّ خلال هذا العقد بالنقاط التّالية:

- **الخطوط العريضة للبَرَامج العَالَمِيّة لمكافحة الإِرهَاب ١٩٩٠-٢٠٠٠م:**

١- تجفيف المنابع المالية:

وقد تضمنت هذه الخطة فرض رقابة صارمة عَلى الموارد المالية للحركات الجهاديّة والأصوليَّة الّتي تصفها أمريكا وأذيالها من حُكَّام المُسلِمِين بأنها (إرهابية)، واتخذت قرارات وإجراآت لمراجعة الأرصدة في البنوك ومراقبة الحوالات البنكية ومصارف الزّكاة وأعمال اللجان الخيرية والمؤسسات الإنسانية الإِسْلَاميّة واتخذت قرارات في مصادرة أموال ومراقبة حسابات وتجميد أرصدة، أدخلت معظم الحركات الجهاديّة في حالة من الضائقة الشديدة وقلصت مواردها لحد كبير.

٢- استهداف القيادات والكوادر الجهاديّة بالقتل والأسر:

فقد افتتحت أمريكا هذه السّياسة باغتيال الشَّيْخ عبدالله عزام رحمه الله باستخدام استخبارات (بنزير/ بوتو) ووزير داخليتها (بابر)، وكان قد سبقه قبل قليل حادثة وفاة الشَّيْخ (تميم العدناني) في أمريكا في ظروف غامضة، ثمّ اغتيل واختطف عدد من قيادات الجِهَاد المصري والجماعة الإِسْلَاميّة من بعض الدّول، ثمّ اغتيل أنور شعبان أمير المُجَاهدين العَرَب في البوسنة واختطف أمير الجماعة الإِسْلَاميّة (طلعت فؤاد قاسم) من كرواتيا وكان لاجئا في الدانمرك ونقلته مروحية أمريكية إلى سفينة في المتوسط حيث اختطف إلى مصر ثمّ اعتقل الدكتور عمر عبد الرَّحْمٰن في أمريكا ولفقت له تهم مضحكة ليحكم بالسّجن أكثر من ٢٠٠ سنة وطالت الحملة كوادر جهاديّة في فرنسا وإيطاليا وبريطانيا وسواها وطال السّجن حتَّى علماء ورموز تؤدي دعوتهم إلى إحياء الجِهَاد بصورة غير مباشرة في الدّول العربيَّة فاعتقل علي بالحاج في الجَزَائِر واعتقل الشَّيْخ (سفر الحوالي) والشَّيْخ (سلمان العودة) ونحو عشرة آخرين من كبار علماء الصّحوة في السّعُودِيّة واختُطف جهاديّون من دول متعددة من اذربيجان وتايلند والفلبين وبعض الدّول العربيَّة وباكستان وأُودعوا السّجون أو لفهم المصير الغامض، وبدا أن الأمر يسير نحو عاصفة أمنيّة حقيقية.

٣- اتفاقيات التسليم وتبادل الإرهَابيين (الجهاديّين) بين الدّول المختلفة:

فعلى اعتبار أن الدّول العربيَّة ومعظم الإِسْلَاميّة لا تكن اعتبارا لحقوق إنسان ولا شرعيّة لقانون. فقد كانت خُطّة تسليم كلّ مطلوب أمني إلى بلاده أنجع السّبل في تفكيك الجماعات الجهاديّة واستهلاك كوادرها وعناصرها، وهكذا تبادلت الدّول العربيَّة والإِسْلَاميّة فيما بينها كثيرا من المعتقلين الجهاديّين الّذين سلموا إلى المصير المجهول في بلادهم، بل ارتكبت بعض الدّول الغربيّة الّتي تزعم احترام تلك القوانين والحقوق مثل هذه الأعمال وسلم إخوة أبرياء وأسرهم في بعض الأحيان إلى بلادهم.

٤- إلغاء الملاذات الآمنة:

كانَ أول من أعلن هذا الإجراء بهذه الصيغة الرَّئيس كلينتون سنة ١٩٩٥، حيث ابتدأت حملة مطاردات أمنيّة للجهاديّين في أوربّا ومختلف دول العالم، وكان معظم كوادر الأفغان العَرَب والتّيار الجهاديّ قد توزعوا في بعض البلاد الأوربية كلاجئين أو استقروا في السُّودَان أو اليمن أو إيران أو تركيا، واستقر بعض الجهاديّين من شمال أفريقيا في سوريا والأردن فيما بقي البعض في باكستان والقليل منهم في أفغانستان، فابتدأت حملة الضغط الأمريكيّة منذُ عهد كلينتون تحت هذا العنوان، فطرد الشَّيْخ أُسَامَة بن لادن والجهاديّين المصريين والليبيين ومعظم الباقين من السُّودَان وسلمت الحكومة السُّودَانية (الإِسْلَاميّة)! بزعامة البشير والترابي أخوة ليبيين إلى بلدهم ليعدموا ! وطردت اليمن الجهاديّين تحت تهديد اعتقال نسائهم وتوسطت قيادات إسلاميّة وقبلية واتفقوا مع الحكومة اليمنية عَلى طرد الإخوة بنسائهم وأطفالهم، وقبضت سوريا والأردن وتركيا عَلى أخوة جهاديّين وسلمتهم لبلادهم وفر الباقون وتولى الأمريكان إخراج المُجَاهدين العَرَب من البوسنة ونزع سلاح من بقي منهم بعد أن أراقوا دماءهم في سبيل إخوة العَقِيْدَة والدّين، وتولت حكومة البوسنة بنفسها اغتيال قياداتهم! وهكذا ضاقت عَلى المُجَاهدين الأرض بما رحبت، منذُ عام (١٩٩٥) وخلال ما تلاها من أعوام.

٥- نقل مجالات التّعاون الأمني من الإقليمي إلى الدّولي:

فقد عقدت الاتفاقيات الأمنيّة الدّولية ذات التفاصيل العمليّة المعقدة ووضع بَرَامج لمتابعة الاتّصالات الروتينية وربط أجهزة الإستخبارات عَلى مستوى المعلومات والاتّصالات بخطط تعاون عالية الكفاءة.

٦-التوسع في تشريعات مكافحة الإرهَاب:

فقد قامت الدّول الغربيّة وأمريكا بتعديل الكثير من تشريعاتها وسن قوانين أسوأ من القوانين العرفية المعمول بها في العالم الثّالث لتصفية مجالات اللجوء السّياسيّ وحقوق الأجانب وتوسيع قوانين مكافحة الإرهَاب حتَّى شملت في بَرِيطَانيَا وفرنسا والدّول الإسكندنافية حيث أعرق الديمقراطيات الغربيّة مجالات الكتابة والنقد وخطب الجمعة التّحريضية ضدّ الحكَّام الديكتاتوريين لتعتبر جرائم!

في هوامش ونصوص قانُونيّة غير محددة قابلة للتفسيرات والتأويلات بحسب أهواء أجهزة الاستخبارات والقيادات الصّليبيّة الحاقدة.

٧- الحَرب الإعلاميَّة من أجل تشويه المُجَاهدين عزلهم:

منذ انطلقت الحملة الأمنيّة والعسكريّة لمكافحة ما أسموه (الإرهَاب)، انطلقت معها جنبا إلى جنب حملة إعلاميَّة ودعائية لتشويه الجهاديّين ومبادئهم وممارساتهم بإظهارهم عَلى أنهم مجرد قتلة متعطشون للدماء، ومتشددون دينيون لا يحملون رسالة التسامح والحوار، إلى آخر التهم، وقد خرجت الحملة الإعلاميَّة بين الجهاديّين والتكفير لعزلهم عن جماهيرهم، وقد لعبت المؤسسات الدّينيّة الرَّسميَّة المتحالفة مع الحُكُومَات في بلاد العَرَب والمُسلِمين أخبث الأوار وزودت هذه الحملة العَالَمِيّة بأفتك أسلحتها، كما لعب الطفيليون من أوساط الصّحوة الإسْلَاميّة (الدِّيمقراطيَّة) الّذين صاروا خلال ذلك العقد جزءا من الملأ وحاشية السّلاطين وبالتالي جزءا من مكوّنات النّظام العَالَمِيّ الجَدِيد دورا بالغ السوء، كما سنأتي عَلى شيء من التفصيل في الفَصل الخاص بالصّحوة الجهاديّة إن شاء الله.

وهكذا أسفرت هذه الحملة العَالَمِيّة لمكافحة الإرهَاب بقيادة أمريكا عن تحويل قيادات وكوادر وعناصر الحركات الجهاديّة إلى عناصر تعيش هاجس (الخوف والجوع)، فالمطاردات والاغتيالات والخطف والأسر وإغلاق الملاذات، أدخلت أفراد الصّحوة الجهاديّة في هواجس الخوف والمطاردة. وتكلفت خطط تجفيف المنابع بقطع أرزاقهم وقوت أسرهم وأطفالهم الّتي جابت معهم مشارق الأرض ومغاربها مشتته تكتوي بنيران هذا الأخدود المعاصر للمؤمنين.

ثمّ جعل الله لتلك الثلة من المُؤمِنِين فرجا إلى حين في قيام الإمارة الإسْلَاميّة في أفغانستان فغدت مهجرا تجمع فيها خُلاصة التّيار الجهاديّ قيادة وقاعدة خلال الفترة ١٩٩٦-٢٠٠١، ولذلك تركز برنامج مكافحة الإرهَاب عَلى ضربها وتدميرها وتدمير الأرضية الّتي آوتها ممثلة بحركة طالبان وأمير المُؤمِنِين (ملا محمّد عمر)، وهذا ما نفذوه في سِبتَمبر ٢٠٠١ لتبدأ المَرحَلَة التّالية من مسار الصّحوة في عالم ما بعد سِبتَمبر كما سنرى إن شاء الله.

وقد فاقمت هذه الأوضاع والأزَمَات الخارجيّة المحيطة التّيار الجهاديّ بالإضافة لأزَمَاته الداخليَّة عَلى مستوى التّيار عامة والخاصة بكل تجربة بحسبها في قطرها، وبدأت تلك الأزَمَات تتضح شياً فشيئاً للجميع بعد أن كانَ نذرها قد بدت للبعض منذُ مطلع التسعينات ومنذ انطلاق النّظام العَالَمِيّ الجَدِيد، ويمكن إيجاز تلك الأزَمَات بما يلي:

١ - الأزَمَات الأمنيّة:

فقد أدى انتقال مستوى مكافحة الجماعات الجهاديّة من المستوى القطري إلى الإقليمي إلى العربيّ إلى الدّولي، أدى إلى حصار تلك التّنظِيمات وإنزال خسائر فادحة بها وإجهاض معظم أساليب عملها واتصالاتها وتمويلها، فقد كانت معظم قيادات التّنظِيمات الجهاديّة العاملة في بلدها إذا ضاق بها الحال أمنيّاً في بلدها نتيجة عمليَّات الاعتقال والتعذيب وفشل التّنظِيمات الهرمية في الصمود أمام وسائل أجهزة الأمن الوحشية في الاعتقال والتحقيق وإجهاض العِصَابات محلياً، كانت تخرج إلى دول الجوار مستفيدة من هوامش أجواء الخلاف بين أنظمة الحكم في تلك الدّول، وقد استطاعت كثر منها أن تحصل لنفسها وقياداتها عَلى هامش ملاذ آن بل قواعد حركة ودعم أحياناً، لقضيتها من قبل الدّول المجاورة، وقد ميز هذا مرحلة (١٩٧٥-١٩٩٥) فقد لجأت الطليعة المقاتلة في سوريا وكذلك تنظيم الإخوان المُسلِمِين خلال مواجهتهم لنظام حافظ أسد النصيري إلى العراق منذُ وقت مبكر ثمّ لأردن، ولاقت هناك دعماً كبيراً من حكومتي البلدين، وصل إلى حد التّدريب والتسليح والدعم المادي وتسهيل العبور عَلى الحدود، كما غضت تركيا الطّرف عنهم كذلك واتخذوا من أراضيها مجالا للحركة والاتّصالات، واستطاع البعض ولو بحدود أقل بكثير الحصول عَلى موطئ قدم لهم في لبنان وإن كانَ بشكل محدود نتيجة سيطرة سوريا عليها، بل وصل دعم الجِهَاد في سوريا إلى أن تدعمه مصر في آخر عهد أنور السادات وتقدم خدمات في مجال التّدريب كانت ستتطور لو لا مقتل السادات عَلى أيدي الجهاديّين سنة ١٩٨١.

كما حصلت بالمقابل تنظيمات عراقية معارضة معظمها من الشّيعة عَلى مثل ذلك في سوريا.

واستطاع الجهاديّون من مصر أن يتحركوا في معظم دول المنطقة بحرية وأن يتخذوها قاعدة اتصالات وتحصيل دعم بدءاً من دول الخليج ومروراً بسوريا والأردن واليمن وغيرها، ولم يجدوا أي مطاردة.

ومثل ذلك تحرك المطاردون من ليبيا في دول الجوار، وتلقى الجهاديّون في المغرب دعماً في ليبيا وتحركوا في المنطقة بحرية، وعبر الجهاديّون في الجَزَائِر من المغرب واتخذوها معبراً للسلاح والمقاتلين واستراحات الجرحى والمقاتلين، كما تحرك تنظيم الجِهَاد المصري من السُّودَان ١٩٩٠- ١٩٩٧واتخذ له مواطئ قدم في اليمن مع تنظيمات جهاديّة أُخرى، وتلقى بعض عناصره التّدريب في لبنان في مُعَسْكَرَات حزب الله، واستطاعت قيادات من الجماعة الإِسْلَاميّة أن تتخذ من إيران ملجأ وملاذاً، إلى آخر ما هنالك من الأمثلة.

ولم تقتصر تلك الهوامش عَلى الجهاديّين والإِسْلَاميّين، فقد استفادت معظم المعارضات السّياسيّة في تلك الحقبة من هذه الهوامش، وكذلك التَّنظِيمات الفلسطينية القوميّة والوطنيّة والإِسْلَاميّة، ولكن بعد سقوط النّظام العَالَمِيّ القديم وسقوط الإتحاد السُّوفيتيّ وحلف وارسو، لم يعد هناك محاور صِرَاع وصار السيد الآمر لتلك الأنظمة واحداً وهو أمريكا، ولم يعد هناك هامش بين سيِّدَيْن شرقي وغربي، وتوجهت الأوامر من السيد الجَدِيد والقطب الأوحد لتلك لأنظمة بإغلاق تلك الملاذات، فبدأت تغلق شيئاً فشيئاً، وتولي كبر التنسيق الأمني العربيّ الأمير نايف بن عبد العزيز وزير الداخليَّة السّعُودِيّة وأنشأ مؤتمر وزراء الداخليَّة العَرَب، وجعل مقره تونس، وصار لوزراء حرب الله ورسوله والمُؤمِنِين (وزراء الداخليَّة) لقاء كلّ ستة أشهر، وصار لمعاوينهم لقاءات دائمة وصار لرؤساء استخباراتهم خطوط هواتف حمراء مفتوحة، وارتفع مستوى التنسيق ليصل إلى مستوى ربط (أرشيفات) المعلومات عبر الكومبيوتر، وصارت مطاردة الجهاديّين عَلى المستوى الإقليمي بين بعض الدّول، ثمّ ما لبثت أن تحولت إلى المستوى العربيّ، فابتعدت القيادات الجهاديّة والكوادر المطاردة بمراكز عملها إلى المستوى العَالَمِيّ بعد انهيار الجِهَاد في أفغانستان، واتخذت تلك التَّنظِيمات المختلفة أسلوبا مطوراً للعمل عبر

الملاذات الآمنة البعيدة ولاسيما من مناطق اللجوء السّياسيّ في الغرب وبعض الدّول الأوروبية، حيث كانت قوانين الحريات الشَّخصيَّة تشكل سياج حماية للناشطين الإِسْلَاميّين والجهاديّين.

ولكن الضغوط الأمريكيّة ومطالبات الحُكُومَات العربيَّة والإِسْلَاميّة ودخول عموم الدّول الأوروبية وغيرها في ركاب الحملة الأمريكيّة الّتي تصرفت مثل ما يتصرف (مايسترو) فرقة موسيقية (سيمفونية) كبرى في كفاح الصّحوة الإِسْلَاميّة، وطليعتها الجهاديّة جعل تلك الهوامش تلغى واحدة تلو الأخرى وتدخل أجهزة أمن تلك الدّول في هجمة المطاردات أيضاً، مما جعل كثيراً من الرموز يسقطون أسرى ومعتقلين، وسلم بعضهم لبلادهم وغادر من نجى إلى أفغانستان مع نهايات ١٩٩٦.

ولم تنته الأزمة الأمنيّة لأن أفغانستان الّتي شكلت ملاذاً، صارت مشكلة جديدة أيضاً، ومنطقة حَجْرٍ عَلى الحركة والنَّشَاط يسبب سياسة طالبان من نشاطهم كي لا تزداد الضغوط عليهم وأصبحت مكاناً للإقامة الجبرية، حيث يُتخطّف النّاس من حولها عند كلّ محاولة للحركة، وقل من نجى من تلك المصائد من المطاردين، ولم تقتصر مسألة إلغاء الهوامش في عالم النّظام العَالَمِيّ الجَدِيد عَلى الجهاديّين وتنظيماتهم، فقد تعدى ذلك إلى كافّة التّنظِيمات الّتي تمارس حُرُوب عِصَابات سرية في مختلف أنحاء العالم، وهكذا سلم (عبدالله أوجلان) زعيم حزب العمال الكردستاني إلى حكومة أنقرة، وأُسدِل الستار عَلى حرب عِصَابات استمرت أكثر من عشرين سنة ضدّ تركيا، لأن النّظام العَالَمِيّ أغلق أمامهم ملاذات سوريا والعراق ولبنان، واضطر زعيمهم للترحيل ثمّ اعتقل بجهود دولية شاركت في حتَّى (اليونان)، عدو تركيا.

كما وجد (الجيش الجمهوريّ الإيرلندي) نفسه مضطراً لتسوية سياسيّة وإلى إلقاء السّلاح.

وتقهقرت عِصَابات (الباسك) ومنظّمة (إيتا)، بعد أن أغلقت فرنسا الملاذات الضيقة عنها، فطُورِد قادتها في أوروبّا وأمريكا اللاتينية وغيرها.

وهكذا بدأ ذو الخبرة من الجهاديّين يكتشفون أن عالم النّظام العَالَمِيّ الجَدِيد الّذي بدأ يعد سقوط الإتحاد السُّوفيتيّ قد ألغى إمكانية الثورات القطريّة والعمل من خلال الهوامش، فقد صار العالم الجَدِيد أحادي القطب سيداً واحداً يفرض عَلى الدّول إغلاق الهوامش، وخاصة في وجه الأصوليين

من المتطرفين الإِسْلَاميّين أو الإِرهَابيين كما صار اسمهم في وسائل الإعلام، وأدرك الفاهمون منهم أن نظريَّة الحركة الّتي أقاموا عليها أعمالهم قد تحطمت مع معطيات هذا العالم، فضلاً عما كانت السَنَوات العشر هذه قد أثبتت فشل الثورات القطريّة الّتي أديرت من قبل قيادات غير ميدانية تديرها من المهجر، لعدم إمكانية إدارتها ميدانيّاً نتيجة عمليَّات البطش والاعتقال والتعذيب الّتي فعلتها الحُكُومَات بلا حسيب ولا رقيب.

٢- الأزَمَات المالية:

فقد أدت سياسة تجفيف المنابع الّتي فرضتها أمريكا ونفذتها كافّة دول العالم وعلى رأسها الأنظمة القائمة في العالم العربيّ والإِسْلَاميّ إلى وقف معظم طرق الإمداد المالي من التبرعات الّتي كانت شريان الحياة الوحيد لاستمرار عمل تلك التَّنظِيمات، ولاسيما عندما فرضت دول الخليج بناءاً عَلى أوامر أسيادها سياسات الرقابة عَلى طرق الزّكاة وأموال الصدقات والتبرعات، وأعمال الجَمعِيّات الخيرية، وفرضت عَلى البنوك وأنظمة تحويل الأموال رقابة صارمة كما عَلى فعلت مع البنوك العَالَمِيّة، وطبقت أمريكا والدّول الغربيّة سياسات صارمة لمنع وصول أي أموال إلى التَّنظِيمات الجهاديّة أو الجَمعِيّات المتهمة بدعم التطرف كما أسموه، وهكذا حصرت معظم قيادات الجهاديّين في أفغانستان، وتركوا وراءهم مئات أو آلاف الأُسَر من الّذين اعتُقِل مُعيلُوهُم ولم يتركوا لهم من يقوم بأمرهم.

كما وجدت الخلايا المتبقية في تلك البلاد نفسها في ضائقة مالية مقطوعة عن قياداتها المشردة ليس فقط تنظيمياً وإداريّا وإنّما ماليّاً كذلك، فشلت عن إمكانيّة الحركة والنماء.

٣: الأزَمَات التَّنظِيمية الداخليَّة:

نتيجة الأزَمَات الأمنيّة والمالية تحولت معظم القيادات الجهاديّة إلى قيادات مهاجرة مشردة مقطوعة عن ساحة عملها، وولّد هذا أزَمَات تنظيمية كثيرة، فقد سبب ذلك شلل في الإدارة وعدم ديناميكية في الحركة، وأدت هذه المشكلة مع المشكلة الأمنيّة في الداخل والخارج بالإضافة للمشكلة المالية جراء تجفيف المنابع، إلى توقف معظم التَّنظِيمات الجهاديّة عن النمو البشري في داخل ساحات عملها، فأصبح عددها محدوداً وصارت تنفق خسائرها البشرية في الداخل والخارج من مخزون محدود،

فسارت نحو الانقراض، كما أدت الظّروف الأمنيّة وحالات الاختفاء لمن تبقى بالداخل وفرار معظم الكوادر والقيادات القادرة عَلى التوجيه، إلى توقف بَرَامج التّربية والتكوين للعناصر المتبقية أو القليلة الملتحقة بتلك التَّنظِيمات، فلا تجنيد عملياً، ولا بَرَامج تربية ولا إعداد للمجندين، ولأن الأزَمَات والهزائم تولد عادة أحوال: ﴿فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَلَاوَمُونَ ۝٣٠﴾ [القلم: ٣٠]، ولأنه وكما قَالَ عمر رضي الله عنه: [**إن هذه الأيدي خلقت لتعمل وإنها إلا تجد لها في الخير عملا وجدت لها في الشر أعمالا**]، بدأت تتفشى ظاهرة الانشقاقات.

إذ حسب بعض اليافعين وبعض قيادات الدرجة الأولى أو الثّانية في التَّنظِيم، أن السبب في حالات الجمود والعجز هو من عجز القيادات القائمة في التَّنظِيم، ولم يدركوا أن مشكلة قوادهم هو حظهم العاثر في قيادة تنظيمات (قطرية سرية هرمية) في زمن النّظام العَالَمِيّ الجَدِيد، خارج سياق التّاريخ، وخارج جغرافية الأُمّة، فقد فرض النّظام العَالَمِيّ الجَدِيد معطياته، وصارت الأزَمَات أكبر من أن تحل، لقد انهار نظام العمل نفسه، ولم يعد صالحاً، ولكن أولئك المنشقين ظنوا أن بإمكان عَطَّارِهم أن يصلح ما أفسد الدهر، فحصلت انشقاقات عديدة وظهر ما أسميته في بعض المحاضرات ظاهرة (التَّنظِيمات الأميبية)، من كثرة الانقسام والتشظي، حتَّى لحق ذلك تنظيمات وجماعات وليدة كانت تنقسم وتنشق عَلى نفسها من مراحلها الأولى !! وحصلت هذه الانشقاقات في الداخل في ساحات المُوَاجَهة الأصليّة للتّنظيمات وكذلك في ساحات الخارج، وهكذا لم يَعُد لأشهَرِ تلك التَّنظِيمات من إمكانيّات، منذُ مطلع التّسعينيّات وخاصَّةً منذُ ١٩٩٥م.

إلّا أن تصدر بعض النشرات المنخفضة المستوى في كلّ منحى، والمحدودة الانتشار في كلّ اتجاه، وتحولت إلى تنظيمات إعلاميَّة سيئة الأداء إعلامياً في غالب الأحيان، ولم يكن يسير عملياً في ساحة الجِهَاد، إلا أحداث الجَزَائِر المروعة الّتي ألحقت بفريضة الجِهَاد والتّيار الجهاديّ أذى لا يقدر حجمه، حيث صارت تلك التَّجربة حقل تجارب للاستخبارات الجَزَائِرية والعربيّة والغربيّة، كما فصلت ذلك في كتابي (شهادتي عَلى الجِهَاد في الجَزَائِر ١٩٨٩-١٩٩٦).

٤. الأزَمَات الفكريّة:

يعود وضع الأسس الفكريّة للتيار الجهاديّ كما أسلفنا إلى منتصف الستينات حيث وضع أسَّسَها الشَّيْخ سيد قطب رحمه الله، ولم تضف مختلف الإضافات الّتي كتبت في إطار مكتبة الإخوان المُسلِمين أي جديد عمليا، وكانت مجرد تكرار وتفاسير وإعادة صياغة، ولم تكن في معظمها ذات نفس جهاديّ، ويمكن تسجيل ما كتب من التفصيلات الفقهيّة السّلفيّة، عند ما طرح فقه الإِمَام ابن تيميَّة كأساس للفقه الجهاديّ عَلى يد تنظيم الجِهَاد والجماعة الإِسْلَامِيّة في مصر، كحلقة فكريّة ثانية في أواخر السبعينات، وكانت الإضافة الثّالثة ما طرحته مكتبة الأفغان العَرَب أواخر الثمانينات، وكان عملياً تكراراً للفكر القطبي الحَركيّ، والفقه السلفي من تراث المدرسة الوهابية ولم تحتوِ تلك المكتبة رغم شموليّتها مفاهيمًا هامة يمكن أن تكون تطويراً يتناسب مع ما استجد من أحوال وما طرح من إشكاليات فكريّة وثقافية واجتماعيَّة وسياسيّة في العَالَمَيْن العَرَبي والإِسْلَاميّ بعد قيام النّظام العَالَمِيّ الجَدِيد، وبدأت ملامح أزمة فكريّة في التّيار الجهاديّ.

كانَ عَلى رأس تلك الأزَمَات الفكريّة ؛ أن أيا من التَّنظِيمات الجهاديّة لم تقدم في أدبياتها مشروعاً متكاملاً عَلى مختلف الصعد السّياسيّة والاجتماعيَّة والثَّقافيَّة لبرنامجها لتغييري، وبدت للجماهير ولاسيما للقطاع المثقف من الأُمّة وكأنها تسبح في الماضي في معزل عن مشاكل الأُمّة المعاصرة، وكان فقه الواقع مغيباً في طروحاتها وأدبياتها إلى حد كبير، ولم يحظ الواقع العربيّ والإِسْلَاميّ وإشكالاته نتيجة الجمود الّذي طبع عموم المدرسة السّلفيّة المعاصرة - الجهاديّة السّلفيّة - كجزء منه، وكان ثاني أكبر الأزَمَات هو التداعيات غير المنضبطة لطريقة الفقه السلفي لدى طلاب العلم الشَّبَاب من الجهاديّين، فقد سيطر في الصنف الثّاني من التسعينات فقه التشدد والتزمت وبسبب جهل بعض المتسلقين عَلى التّيار الجهاديّ لغياب الكُتَّاب الأُصلاء فيه في تلك المَرحَلَة، وبسبب تفشى المنشورات التكفيرية عَلى هامش التّيار الجهاديّ والسلفي، واستغلال أجهزة الاستخبارات ذلك وتضخيمها لتلك النتوءات، حيث بدأ الهامش الواضح والجدار الفاصل بين الفكر الجهاديّ والفكر التكفيري يتضاءل أمام جمهور المُسلِمين في تلك المَرحَلَة، (وهذه إشكالية سآتي عَلى تفصيلها في نهاية الفَصل السَّابع والأخير من الجزء الأوّل إن شاء الله).

ولم تتح الظّروف الأمنيّة الحرجة لكبار الجهاديّين ورموزهم أن يتحركوا في ظروف مريحة تمكنهم من الكتابة والردود عَلى تلك الظَّاهِرة الخطيرة، كما سبب التحاق الكثير من العناصر الجَدِيدة في بؤر تواجد الجهاديّين، ومعظمهم من شباب الواقع العربيّ المثقل بالإشكاليات والضغوطات النّفسية، مع عدم توفر ظروف مواتية للتربية الفكريّة إشكالية كبيرة، حيث سادت أجواء التطرف والجهل في أوساط الكثيرين من أتباع الجهاديّين خلال تلك الفترة، ولاسيما في مختلف الملاذات في أوروبّا وبعض البلدان كاليمن وباكستان وغيرها.

أما الإشكاليات الفكريّة الأخرى فكانت في عدم تمكن الجهاديّين من تحديد مفاهيم محددة وتفاصيل واضحة، لمصطلحات ومسائل هامة طرحت بسبب مشروع المُوَاجَهة الجهاديّة مع الأنظمة الجَاهِليَّة ومن ذلك:

المفهوم الشَّرعيّ للجماعة الجهاديّة في قطرها، وهل هيَ بمثابة جماعة المُسلِمين ؟! ومسألة مشروعية تعدد الجماعات الجهاديّة في القطر الواحد ! وإن كانَ ذلك غير مشروع كما اعتقدت كثير من تلك الجماعات ! فما مشروعية تعددها إذاً في بلدان متجاورة أقيمت الحدود بينها من قبل الأَعدَاء أصلاً ؟! وقد تطرف البعض من الجهاديّين إلى الزعم بالحق في تصفية أي محاولة جديدة لإيجاد جماعة جهاديّة في بلد توجد فيه جماعة جهاديّة، حفاظاً عَلى وحدة صف الجِهَاد !!

كذلك مسألة البيعة في التَّنظِيمات ؛ وتفاصيل قيامها وحلها وتبعاتها من الحقوق والواجبات، فقد ذهب البعض إلى أنها مجرد عهد أو أقرب للقسم يتحلل معطيها من تبعاتها متى أراد ذلك، ويكفيه عَلى أبعد حد صوم ثلاثة أيّام كمن تعذر عليه وفاء النذر، في حين ذهب البعض إلى أن بيعة التَّنظِيم مثل بين الإِمَام الأعظم لا يمكن للعنصر أن يخرج منها إلا أن يرى كفراً بواحا عنده فيه من الله برهان!!

وكذلك مسألة الشورى والإمارة في التَّنظِيم: وحقوق الأمير وطريقة تعينه، ومدة ولايته، وطرق تغيره، وحقوقه وواجباته، وكذلك موضوع الشورى، وطريقة اتخاذ القرار في التَّنظِيم، وعلاقتها بصلاحيَّات الأمير، والهيكليات المؤسساتية في الجماعة الجهاديّة وطرق إدارتها لاسيما في ظروف المطاردات الأمنيّة.

كذلك إشكالية المناهج السّياسيّة الشَّرعيَّة والفكريّة الّتي يختارها التَّنظِيم: مع عدم وجود الكوادر القادرة عَلى وضعها في معظم الأقطار، واستيراد ذلك من أفكار تنظيمات مجاورة.

بالإضافة لإشكالية متفرعة عن المناهج، وهي إشكالية مناهج التّربية وآليات تطبيقها عَلى العناصر الجدد، وما توجده الحالة الأمنيّة والسرية من إشكاليات لتنفيذ أي بَرَامج تكوين وتربية.

إلى آخر ذلك، حيث لم تستطع التَّنظِيمات الجهاديّة نتيجة الظّروف الأمنيّة والمطاردات، وقلة الكوادر القادرة عَلى التنظير، وشبة انعدام وجود علماء أو حتَّى طلاب علم شرعيين أكفاء، لم تستطع أن تحسم تلك الإشكالات والأزَمَات الفكريّة، وانعكست بالتالي هذه الأزَمَات الفكريّة في كثير من الأحيان عَلى شكل أزَمَات تنظيمية أضافت مزيداً من الاختناق لسلسلة أزَمَات الجهاديّين في العقد الأخير من القرن العِشرين.

٥: أزَمَات سياسيّة وإشكاليات في العلاقات العامّة:

وسط الصّحوة الإِسْلَاميّة وكذلك مع أوساط المعارضات السّياسيّة العلمانيّة، حيث وقفت معظم أوساط الصّحوة الإِسْلَاميّة من صِرَاع الجهاديّين مع السُّلطات المرتدّة القائمة، موقفاً يتراوح بين الحياد والوقوف موقف المتفرج، وبين السلبية والعداء للجهاديّين وتأييد مواقف الحكَّام الطغاة، بدافع الحفاظ عَلى مصالحهم الحزبية أو الشَّخصيَّة !!

ونتيجة العقليَّة الثّوريّة لمعظم الجهاديّين وطبيعة الانفعال وردود الأفعال عَلى الحصار اتسمت ردود أفعال الجهاديّين عَلى أوساط الصّحوة وقياداتها وكبار علماء المُسلِمِين في كثير من الأحوال بالتشنج والعنف، وقد كانَ لردود الأفعال هذه ما يبررها في معظم الأحوال، تجاه قادة صَحوَة وعلماء يصفقون للكفر الحاكم ويمتدحونه، ويبررون الإحتلال وغزوات الصّليبيّين بدعوى الضَّرورة والاستعانة، ويجوزون التطبيع مع اليَهُوْد، أو يقفون من ذلك موقف البلادة والتفرج واللامبالاة !!

ولكن واقع الحال وبصرف النَّظر عن تبريره أو عدم ذلك، فقد كانَ واقع الحال هو عزلة الجهاديّين في أوساط الصّحوة، ولم يستطع قيادات الجهاديّين إلا بعضهم وفي حالات نادرة الحفاظ عَلى علاقات سياسيّة وطبيعيّة مع أوساط الصّحوة، ودخلت الأدبيات الجهاديّة في ذلك العقد القاتم من

الأَزَمَات (١٩٩٠-٢٠٠٠)، دخلت في معارك إعلاميَّة ومهاترات مع مختلف أوساط الصّحوة وأحزابها ورجالاتها.

وقل مثل ذلك وأشد منه عن أزمة العلاقات بين الجهاديّين وبين أوساط المعارضات العلمانيّة الوطنيّة والقومية واليسارية في العالم العَرَبي والإِسْلَاميّ، فقد قامت علاقة الجهاديّين بأولئك عَلى أساس قاعدة التَّكفِير والعداء، كما هو حال معظم أوساط الصّحوة الإِسْلَاميّة مع الوسط العلماني ولاسيما في العالم العربيّ، ورغم أن معظم تلك القطاعات العلمانيّة وأحزابها ورجالها قد عانت وما زالت تعاني من قمع الحُكُومَات، وتقع مع الإِسْلَاميّين والجهاديّين في خندق الاضطهاد، وكان بالإمكان أن يكسب الجهاديّون منهم بعض الشخصيات المعتدلة تجاه الظَّاهِرة الدّينيّة، أو حتَّى جرهم لميدان الحياد، إلا أن التشنج من جهة، والتوجس من جهة، وعدم الثقة والعداء التّاريخي من جهة أُخرى، بالإضافة إلى عدم وجود الكوادر السّياسيّة المؤهلة في قيادات التّيار الجهاديّ لإقامة مثل ذلك الحوار، وقيام قاعدة التّواصل لدى الجهاديّين عَلى المفاصلة مطلقا دون اعتبار لهوامش فن الممكن، وإنما عَلى قاعدة (حمل السلّم بالعرض) في سوق ازدحمت فيه الجماعات والشخصيات والبَرَامج والمناهج.

كلّ هذا أسفر عن حشد أكبر كمية من الأَعدَاء في مُوَاجَهة الظَّاهِرة الجهاديّة، وقد فاقم هذا من الأَزَمَات والحصار، ليسفر مع كلّ ما سبق من الأَزَمَات عن الأزمة الشّاملة، وعنوان ونتيجة كلّ تلك الأَزَمَات هو الأزمة التّالية:

أزمة الفشل في تحقيق الهدف وثبوت عقم الوسيلة:

كانَ هدف جميع التَّنظِيمات الجهاديّة الّتي تحركت منذُ الستينات وإلى انصرام القرن العِشرين هو باختصارٍ: (إسقاط الحُكُومَات المرتدّة القائمة في بلادها، وإقامة النّظام الإِسْلَاميّ وتحكيم الشّريعة عَلى أنقاضه).

وأما وسيلتها في ذلك فكان العمل المُسلّح ضدّ تلك الحُكُومَات عبر تنظيمات ؛ (قطرية المجال - سرية الأسلوب - هرمية البناء).

وباختصار أوصلت التَّجَاربُ الجهاديّينَ عبر نصف قرن من المحاولات، ولاسيما بعد تفاقم أزَمَات العقد المنصرم إلى الفشل في تحقيق تلك الأهداف، وثبوت عقم تلك الوسيلة لأسباب كثيرة، أسباب أغلبها خارجي، نتيجة تكالب قوى الكفر العَالَمِيّة والردة المِلِّيَّة عليها، ونتيجة وقوف أكثر علماء الأُمّة إما في مواجهتها مثل ما فعلت جبهة علماء السُّلطَان، وإمَّا موقف المتفرِّج الّذي لا علاقة له في ذلك الصِّرَاع، وكذلك نتيجة إعراض عامة الشّعوب الإِسْلَاميّة عن القيام بواجبها في مُوَاجَهة كلّ أمواج الظُّلم والظُّلمات الّتي طغت عَلى واقع المُسلِمِين، بالإضافة للإشكالات والأزَمَات الداخليَّة الّتي ابتُلِيَت بها التَّجَارب الجهاديّة.

وهكذا فشلت كافّة التَّجَارب كما مر معنا في الاستعراض التّاريخي لأهم تلك المحاولات، فشلت جميعها في تحقيق ذلك الهدف، وكان آخرها فشلا التَّجربة الجَزَائِرية الّتي ختمت وبشكل مأساوي تلك التَّجَارب، كما أثبتت الوسيلة وهي (التَّنظِيمات القطريّة السرية الهرمية) عقمها، وعدم إمكانيتها في تحقيق ذلك الهدف، ولاسيما بعد ما قام النّظام العَالَمِيّ الجَدِيد، الّذي أوصل أساليب تلك الوسائل للانهيار وجعلها من مخلفات الماضي، في عالم العولمة، الّذي عَولَمَ عمليَّة المُوَاجَهة وجعل تلك الأساليب والمحاولات والأهداف وتكتيكاتها من أرشيف التّاريخ.

- **المتنفس في رحاب طالبان والإمارة الإِسْلَاميّة(١٩٩٦-٢٠٠١) والفرصة الضائعة:**

اجتمع في أفغانستان في ظل طالبان منذُ مطلع ١٩٩٧ عدد لا بأس به من أبرز كوادر التّيار الجهاديّ من قيادات التَّنظِيمات والشخصيات التارِيخِيَّة وطلاب العلم وأصحاب الخبرة والرّأي والدراية فيه من مختلف الأقطار العربيَّة، وكان جو الأمن والبحبوحة والاسترخاء وكل معطيات الأجواء المناسبة فرصة تارِيخِيَّة وذهبية لكي يتفكر أولئك الرّجال في حلحلة تلك الأزَمَات والخروج بتصوُّرات تشكل بداية مرحلة جديدة من الانطلاق، فقد اعترف الجميع بوجود الأزَمَات وضرورة التطلع إلى حلها، وتعتبر المدة الّتي قضيناها آنذاك وهي زهاء خمس سَنَوات كانت كافية نسبيّاً لتحقيق عمليَّة إعادة البِناء.

ولكن المفاجأة كانت في أنّ (الفكرة القطريّة) و(الحزبية التَّنظِيمية) برزت لتسيطر عَلى المَرحَلَة الجَدِيدة أيضًا عبر مُعَسْكَرَاتٍ ومضافاتٍ وجماعاتٍ بنت تصوُّراتها عَلى أساس (قطري - سري - هرمي) مرّة ثانية، حيث جعلت معظم التَّنظِيمات هدفها هو نفس الهدف الّذي أثبتت الأيّام منذُ ١٩٩٠ وعلى الأبعد منذُ ١٩٩٥ وما جرى في الجَزَائِر وغيرها استحالة تحقيقه في ظل النّظام العالم العَالَمِيّ الجَدِيد.

ولست هنا بصدد التفصيل عن المَرحَلَة، ولكن أشير هنا إلى أن تلك العقليَّة (القطريّة - الحزبية التَّنظِيمية) أضاعت فرصة ذهبية عَلى التّيار الجهاديّ، ولم يستطع دعاة الفكرة الأممية في المُوَاجَهة، لا الشَّيْخ أُسَامَة والقَاعِدَة ولا غيره إقناع تلك الشرائح والكوادر باقتناص الفرصة وضم الجمع في حالة موحدة أو تنسيقية عَلى الأقل، ورغم أن الشَّيْخ أُسَامَة كانَ المرشح الأساسي لإقناع الآخرين بذلك إلا أنه فشل بذلك، وذلك لأسباب تعود عديدة كانَ من أهمّها تصوُّراتهم القطريّة والتَّنظِيمية من جهة، وافتقار القَاعِدَة للمنهجيّة الواضحة بحسب مقاييس الجهاديّين وكذلك عم وضوح البنية المؤسساتية فيها، فكان هذين العاملين أهمّ العوامل في ضياع تلك الفرصة، فقد كانَ من الممكن أن تقوم جهود لمراجعة المناهج والأساليب والأهداف والوسائل في ظل فهم الواقع الجَدِيد، مستغلين الظّروف المواتية، والالتفاف جميعا حول مشروعية أمير المُؤمِنِين (الملا محمّد عمر)، ورمزية الشَّيْخ أُسَامَة العَالَمِيّة، ولكن ذلك لم يحصل وفشلت جميع الجهود الساعية في ذلك والَّتي قام بها البعض من المستقلين الّذين كنت واحداً منهم - حيث دعوت كبار القوم ولأكثر من مرّة في عدّة مناسبات لإقناعهم بذلك دون جدوى، وكان أمر الله قدراً مقدورا.

وجاء سِبتَمبر ليضع حداً لتلك الفرصة الذهبية ويطوى في كنف الغيب سرٌّ ما إذا كانت ستتاح فرصةٌ جديدةٌ للجهاديّين يكون الجيل القادم منهم قادراً عَلى تحقيق ما عجز عنه أولئك السَّلَف المُجَاهد الّذي أدى دوراً رياديّاً في مُوَاجَهة أعداء الإِسْلَام وحلفائهم من المرتدّين، ولكن الأزَمَات والمصائب كانت أكبر من إمكانيَّاتهم في تحقيق الأهداف، ولعلّ في القدر القادم ما يبشر بتحقيق ما فات من الفرص، ولكل أجل كتاب.

عاشراً: الأفكار الّتي طرحت لدى الجهاديّين للخروج من الأزمة منذُ ١٩٩٦-٢٠٠١:

مع انتصاف العقد الأخير من القرن العِشرين، كانَ التّيار الجهاديّ بمختلف تنظيماته ومكوّناته قد بلغ عمليا قعر الأزمة، وأيقن معظم قياداته وقدمائه أن المسارات الجهاديّة قد وصلت إلى طريق مسدود، وأن الأزَمَات المتنوعة قد وصلت قمتها، وأن السّير والاستمرار بذلك الأسلوب ومعطياته يبدو مستحيلاً.

فقد تتابع فشل المحاولات الجهاديّة، وانطفأت معظم شعلاتها الواحدة تلو الأخرى، وتفككت معظم التَّنظِيمات، وساح من بقى من عَلى قيد الحياة من قياداتها وكوادرها في مختلف الملاذات والمخابئ العلنية والسرية، مخلفين في بلادهم كميات كبيرة من الأسرى من العناصر المُجَاهدة، أو الأنصار والموالين الّذي ساعدوهم في حركاتهم بالإضافة إلى كمٍّ كبيرٍ من أسر الشّهداء، من النِّسَاء والأطفال في أحوال إنسانيّة بالغة المأساوية، كما تزايدت الأزَمَات الّتي أشرنا إليها سابقاً في كافّة المجالات الفكريّة والسّياسيّة والماليّة والتَّنظِيميّة، إلى آخر قائمة الأزَمَات الخانقة.

وكانت خاتمة الصّدمات والأزَمَات في الكارثة المروّعة الّتي آلت إليها تجربة الجِهَاد في الجَزَائِر بعد أن تمكّنت أجهزة الاستخبارات من تفعيل بذور التّطرّف والجهل في صفوف بعض المُجَاهدين الجَزَائِريّين، وذلك بزرع عملاء الاستخبارات، ليدفعوا بالقضيّة إلى متاهات التَّكفِير والإجرام والمجازر الدّمويّة، وشكّلت أخبارها المفزعة المحزنة صدمة هائلة للجهاديّين وأنصارهم وكل المُؤمِنِين بفكرة العمل المُسلّح.

وهكذا، بدأ كبار الجهاديّين ومن تبقى من تنظيماتهم يبحثون عن الحلول والمخارج، وقد شهدت مثل هذه المراجعات والمناقشات في الملاذ الآمن للجهاديّين في أفغانستان، بعدما هاجر معظم من تبقى من الجماعات والرموز الهامة في التّيار الجهاديّ إلى الإمارة الإِسْلَاميّة الّتي أنشأها طالبان.

ويمكن تقسيم المطروحات والأفكار ومحاولات الخروج من قعر الأزمة لدى الجهاديّين إلى ثلاثة مدارس تجلت كلّ واحدة منها في محاولات عمليَّة، ووجهة حركة جديدة، وكانت عَلى ثلاثة أقسام محركة سميتها كما يلي:

١ – مدرسة الاستسلام وإلقاء السّلاح والمبدأ.

٢– مدرسة الثّبات عَلى المبدأ والاستمرار في الأسلوب.

٣– مدرسة الاتجاه الأممي نحو جِهَاد الصّائل الخارجي أمريكا وحلفاؤها.

ولنتناول كلّ واحدة من تلك المدارس بشيء من التفصيل:

١ – مدرسة الاستسلام للخروج من الأزمة:

وخلاصة فكرة أصحاب هذه المدرسة: أن أزَمَاتنا كجهاديّين جاءت نتيجة لحمل السّلاح، ولا تزول إلا بزوال ذلك السبب، فالحلّ هو في إلقاء السّلاح والبحث عن طرق عمل أُخرى.

والحقيقة أن بوادر هذه المدرسة الّتي صرح أصحابها بفحوى دعوتهم صراحة مع منتصف التسعينات تود إلى أواسط الثمانينات منذُ بدأت الحركات الجهاديّة تتراجع وتواجه الأزَمَات والهزائم، وكانت غالباً ما تطرح في كلّ قطر إثر كلّ هزيمة عمليَّة لمحاولة من محاولات الجهاديّين، فقد كانَ أول من طرحها قيادة الإخوان المُسلِمِين في سوريا إثر (فاجعة حماة) سنة ١٩٨٢، وأسموها في وقتها؛ دعوة (الصُّلح مع النّظام)، وقد وسط الإخوان السوريون العديد من الوسطاء لمتابعة طرق أبواب (حافظ أسد) الّتي بقيت موصدة أمام تلك الدعوات عملياً، وتابع ابنه بشار من بعده إغلاق البَاب.

وكان من تبقى من حطام تنظيم الطليعة المقاتلة في سوريا قد خطى خطوات فعلية نحو الاستسلام تحت مسمّى الصُّلح، ونزل العديد من عناصرها تحت عروض الدّولة باسم (قانون العفو) ولم يكن لتلك العمليّة أي تفاصيل سياسيّة، فقد كانت عمليَّات استسلام وتوبة فرديَّة تقريباً، نزل فيها بعض العناصر من الطليعة، ثمّ من الإخوان بشكل فردي، ووقعوا بيانات (توبة) كتب في أعلاها:

﴿رَبِّ بِمَآ أَنۡعَمۡتَ عَلَيَّ فَلَنۡ أَكُونَ ظَهِيرٗا لِّلۡمُجۡرِمِينَ ١٧﴾ [القصص]

ولكن الإخوان المُسلِمِين في سوريا أرادوا الاستسلام بصيغة (نصف مشرفة)، فعرضوا عروضاً (للصلح) بشكل سياسي، بين جماعتهم كحزب معارضة سياسيّة والدّولة والنّظام، ولكن حكومة حافظ أسد، ووفق مشورة شيطانية من بعض علماء السُّلطَان فيها، وعلى رأسهم الشَّيْخ (سعيد رمضان البوطي) وغيره، اشترطوا عَلى الإخوان جملة من الشُّرُوط التعجيزية من ضمنها الاعتراف العَلنيّ بخطئهم في حمل السّلاح! وجرائمهم في مُوَاجَهة الدّولة ! وكتابة أبحاث سياسيّة شرعيّة يدللون فيها

بالآيات والأحاديث عَلى خطأ مسلكهم !! ثمّ النزول تحت قانون العفو بشكل فردي وليس بشكل يحفظ نصف الكرامة! ولم يكن الوضع ضاغطاً عليهم في ملاذاتهم في العراق والأردن والسّعُودِيّة والخليج والخارج كي يقبلوا، واستمرت عروضهم بالصُّلح وشروطهم بالتقلص إلى أن خرج المراقب العام للإخوان المُسلِمِين في سوريا (علي صدر الدّين البيانوني)على وسائل الإعلام وشاشات الفضائِيَّات يعرض الصُّلح ويعرض طلباته الّتي تقلصت إلى مطلب واحد وهو (حق المواطنة فقط في ظل الدِّيمقراطيَّة والتعددية السّياسيّة)!! والعودة إلى الوطن بلا شروط ولا بَرَامج، ومع ذلك ما زال النّظام يرفض ويقول أنه بصدد عرض عفو عام يطال الأبرياء، مع ضرورة إجراء محاكمات لمن يثبت تورطهم بجرائم في حق الدّولة والشعب والوطن، وأما أكثر الأفراد من المطاردين ومعظمهم ممن لم يقم بأي عمل وفعل في الثَّورة الّتي استشهد أو أسر معظم من شارك فيها فقد عاد أكثرهم بوساطة الاستسلام للسفارات السوريّة في أنحاء العالم، تحت قانون العفو وكتب كلّ واحد منهم تقريراً بتفاصيل حياته منذُ خرج من سوريا والجِهَاد إلى أن عاد، وجاءت الأخبار باعتقال بعضهم مرّة أُخرى، وباستجواب آخرين، ومنعهم من السفر وإلزامهم بمراجعة دوائر الأمن لتقديم ما يطلب إليهم من معلومات عنهم وعن أقربائهم وجيرانهم، وتحويل الضّعفاء منهم إلى مخبرين لأجهزة الأمن!!

وقد حصل شيء قريب من هذا تحت ما يسمى (مشروع التوبة) للملاحقين في تونس أواسط التسعينات، رغم أن معظمهم من المعارضات السّياسيّة الإِسْلَاميّة، وقد وضعت حكومة زين العابدين شروطاً مهينة قبلها البعض وتمرد عليها آخرون، ورفضها الشَّيْخ راشد الغنوشي وكتب في ذلك كتابات جيدة تؤكد عَلى استراتيجية الثّبات في مُوَاجَهة النّظام التونسي وأشباهه من الحُكُومَات الطَّاغوتية ولو سياسيّاً عَلى الأقل !

وفي الجَزَائِر عرض النّظام أواسط ١٩٩٦ بعد أن فكك المجموعات المُسلّحة واخترقها وحرف مسارها إلى التَّكفِير والإجرام والمجازر، وورط بعض فصائلها فيها، وقام هو بنفسه بعض المجازر وألصقها بهم، فقام بعرض العفو العام عبر ما سمي مبادرة (الوئام الوطني)، حيث تبرع العديد من

فُقَهَاء السّلاطين في السّعُودِيّة وغيرها لدعم المبادرة والإفتاء للمسلمين بالاستسلام والنزول من الجبال، حيث نزلت فصائل كثيرة وألقت السّلاح لمبادرات فرديَّة.

ولكن أكبر وأخطر تلك الممارسات والطروحات الاستسلامية من ضمن التّيار الجهاديّ كانت عبر ما عرف (بالمبادرة) الّتي قامت بها الجماعة الإِسْلَاميّة في مصر، وما عرف بمبادرة إلقاء السّلاح ونبذ العنف من طرف واحد، دون طلب مقابل من الدّولة إلا دعوتها للإفراج عن الإِسْلَاميّين وإنهاء الأزمة واستمرت المبادرة بين مد وجزر من سنة ١٩٩٦ وإلى أواسط ٢٠٠٣ حيث بدت بوادر تجاوب الحكومة المصريَّة معها، وقد سبق أثناء استعراض تجربة الجماعة الإِسْلَاميّة في مصر الإشارة لتلك المبادرة الّتي كانَ أخطر ما فيها قيام الرموز الكبار من القيادات التارِيخِيَّة للجماعة بالتأصيل للاستسلام وكتابة العديد من الكتب والأبحاث يدينون فيها منهج الجِهَاد المُسلّح واصفينه بالعنف، ومعلنين سلسلة من الانتهاكات الفقهيّة والفكريّة للفكر الجهاديّ والسّياسيّ الشَّرعيّ لأصول التّيار الجهاديّ يطول شرحها والتعليق عليها، ويعبر عما فيها من تردي أنها وصلت لاعتبار اغتيال أنور السادات خطأ تاريخياً ووصفه بأنه كانَ شهيد الفتنة، فصار الطَّاغوت المرتدّ شهيداً !! وصار جِهَاد أسياده اليَهُوْد فتنة، وسأحاول إن شاء الله العثور عَلى سلسلة تلك الكتب والأبحاث لدراستها والرد عليها وتفنيد ما فيها إن أعان الله ثمّ سنح الوقت وكان في العمر بقية، فسد هذه الذرائع من أهمّ مواطن الدّفاع عن التّيار الجهاديّ بصرف النَّظر عن احترامنا لتاريخِ الّذين أقدموا عليها وعذرهم في ضروراتهم، ولكنه ردٌّ فكريٌّ عَلى فكرٍ مطروح بصرف النَّظر عن قدر أصحابه، حيث أنهم عرضوا ما عرضوا وهم أسرى، خرجوا من السّجون من الأسر الأصغر للأسر الأكبر، ولا عبرة لآراء فاقد الإِرادَة، وأعانهم الله في محنتهم، وتقبل منهم ما أحسنوا وتجاوزوا عما قصروا به أو أكرهوا عليه.

ثمّ تتابعت طروحات هذه المدرسة واستعلن أصحابها بعد سِبتَمبر ٢٠٠١م والهجمة العَالَمِيّة لمكافحة الإِرهَاب بقيادة أمريكا، متخذين من مبادرة الجماعة الإِسْلَاميّة وكتاباتها نموذجاً يحتذى في نقض الغزل والإرتداد عَلى الأعقاب عن ثوابت الفكر الجهاديّ والأسس العقدية للسياسة الشَّرعيَّة، تحت ضغط الآلة الإعلاميَّة الرَّهيبة لأمريكا وأذنابها.

وقد حصل مثل هذه التراجعات عندما قبضت الحكومة السّعُودِيّة عَلى مجموعة من فُقَهَاء الجهاديّين وعلمائهم في السّعُودِيّة، وأكرهتهم أو أقنعتهم بالتراجع وبدعوة المُجَاهدين لها وللقوّات الأمريكيّة عَلى أرض الحرمين بإلقاء السّلاح، حيث جندت وسائل الإعلام السّعُودِيّ عشرات العُلَماء وكبار الدعاة للترويج لهذه الطُّروحات وهذه المدرسة.

وهكذا تظهر هذه الطروحات دائماً كما أسلفت إثر الهزائم والانتكاسات حيث يبحث أصحابها عن الحلّ في إزالة سبب الأزمة بحسب تصوُّرهم، وهو (حمل السّلاح)، ومن الطّبيعي كما هو دأب الإنسان دائماً في ترقيع أفعاله وإيجاد المعاذير لعلله وتراجعاته، فإن أصحاب هذا المنهج لا يسمّونه باسمه الصريح، وهو(الاستسلام) أو (الهزيمة) وإنّما يبحثون له عن أسماء وصيغ ألطف ويطلقون سيل التّبريرات والفقه الّذي تتابع بعد ذلك لتبرير ذلك فيسمونه تارة (قانون العفو) وتارة (الصُّلح) وتارة (الوئام الوطني) وتارة (الهدنة) وتارة (المصالحة الوطنيّة) وتارة (مبادرة نبذ العنف)، وهكذا تعددت العناوين تحت دعاوى الحكمة والتعقّل والواقعيّة، تعددت الأسماء والاستسلام واحد.

وكانت المصيبة هيّنة لو أنّ أصحاب تلك الأحوال أعاذنا الله مما استعاذ منه رسول الله ﷺ؛ من الهمّ والحزن ومن العجز والكسل ومن الجبن والبخل ومن غلبة الدّين وقهر الرّجال[1]، كانت المصيبة هيّنة لو امتلك القوم الصّراحة والشّجاعة وخرجوا للنَّاس ليقولوا: (يا قومنا بذلنا وسعنا، وقدّمنا طاقتنا، وخَذلنا من خَذلنا ولم نستطيع إلا ما بلغ جهدنا، وها نحن ندعو للهدنة أو للسّلم أو حتَّى نعلن الاستسلام، فقد خسرنا الجولة وسيبعث الله لهذا الدّين من يقوم بأمره وينصره ولعلّ فيما تستقبل الأجيال من فرص خير مما عرض لنا)، فيحلّوا جماعتهم أو تنظيماتهم وينسحبوا من ساحة المُوَاجَهة.

ولكن المصيبة كانت أعظم عند ما أطلقت الأسماء الجذابة عَلى حقيقة الاستسلام ووجدت لها التبريرات، وبلغت الطّامة مداها عند ما بدأ كتّابهم وفقهاؤهم ينظّرون ويفتون من أجل الخذلان

---

(١) أخرج البخاري(٦٣٦٧) بسنده إلى أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَقُولُ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ العَجْزِ وَالكَسَلِ، وَالجُبْنِ وَالهَرَمِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ المَحْيَا وَالمَمَاتِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ القَبْرِ».وفي رواية أبي داود (١٥٥٥) : «وأعوذ بك من غلبة الدين، وقهر الرجال» لكن الألباني ضعفها.

والاستسلام للأعداء، وينقضون غزلهم وغزل غيرهم مما رسخه المُجَاهدون في سبيل الله وأثبتوه بدمائهم عبر السّنين عبر مسار العذاب والعناء عَلى درب الشَّهَادة والثّبات، حيث تقطع هذه الجهود المهينة الطّريق عَلى شباب الأُمّة القادم كي لا يسير عَلى خطانا كي لا يحاول الكرة تلو الكرة عساه يحقّق ما لم نوفق إلى تحقيقه، وهذا بالضّبط ما قصد إليه العدوّ الماكر وأجهزة استخباراته ومراكز دراساته النّفسيّة والأمنيّة، يريدون أن يقتلوا بذور الثَّورة عَلى الظُّلم والاضطهاد، ومحاربة الكفر والاحتلال، وأن يَئِدُوا أفكاره في مهدها، إنّها محاولتهم لإطفاء نور الله بأمواهم جاهلين أو متجاهلين بأنّ الله متمّ نوره ولو كره الكافرون.

وكم كنت أقف حائراً عندما أقرأ في آثار السّيرة، أنّ أبا جهل بن هشام لعنه الله، لما أُثخن في بدرٍ، وعلا صدره الصحابيّ الجليل عبدالله بن مسعود ليحزّ رأسه، فسأله أبو جهل وهو في النّزع الأخير: لمن الدّائرة اليَوْم ؟ فقال عبدالله بن مسعود له: لله ورسوله وقد أخزاك الله، فقال ذلك الجبّار العنيد: بلغ محمّداً أنّي ما ندمت عَلى عداوته ولا ساعتي هذه !! ثمّ هلك(١).

وكنت أعجب، كيف يأبى ذلك الكافر وقد هزمت رايته وأزهقت نفسه ورغم أنفه، وهو يرتحل إلى جهنّم، يأبى إلا أن يثبت كبرياءً وثباتاً، وعزة نفس وإخلاص لما كانَ عليه رغم أنّه الضّلالُ.

و أتمنى لو أسعفتنا رجولتنا ونخوتنا وكرامتنا، واحترامنا لدماء شهداؤنا، وعذابات أسرانا ومشردينا، ودموع أراملنا وأيتامنا، بل لو تأججت في صدورنا الحمية لديننا ورايتنا، والحق الّذين جاهدنا لأجله لنقول لأعدائنا إذ خسرنا بعض الجولات، وانهزمنا في بعض المحطات والمعارك في هذه الحَرب الأزلية المفتوحة، أن نقول لأعدائنا:

بلغوا فراعنتكم وأسيادكم، من الطواغيت، وأسيادهم من اليَهُوْد والنّصَارى: أنّنا ما ندمنا عَلى عداوتهم ولا في أشد ساعات الاندحار والتضحيات، وأننا واثقون من أن نصر الله قادم، وسيحمل راياته الظافرة من سيسير عَلى دربنا، ويهتدي بخطانا كما اهتدينا بخطى القافلة السائرة من قبلنا،

---

(١) قصة مقتل ابن مسعود لأبي جهل صحيحة فقد وردت في البخاري (٣٩٦٤، ٣٩٦٣، ٣٩٦٢، ٣٩٦١) وصحيح مسلم (رقم ١٨٠٠) لكن دون لفظة :" بلغ محمداً أني ما ندمت ..."

الموصولة بتتابع السائرين والمُجَاهدين منذُ قادها سيد المرسلين ﷺ، ونحن عَلى الحقّ إن شاء الله سواءً كنا منتصرين أو مهزومين في هذه المُوَاجَهة العقيدية.

فكيف لا نجد مثل هذا الثّبات والإباء الّذي بذله كافر يستقبل النار!! كيف لا نجده ونحن سنستقبل الجنّة إن شاء الله ؟! ونحن نؤمن أن الله مولانا ولا مولى لهم.

آه لو فقه الخائرون بشارته ﷺ لخباب رضي الله عنه حين جاءه يسأله أن يدعو لهم بالنّصر، وقد أنهكه ما نزل به وبإخوانه رضي الله عنهم من العذاب، فحدثه عن تضحيات من سلف وبشره، وقال له ولكنكم تستعجلون[1].

٢- مدرسة الثّبات والاستمرار عَلى درب الجِهَاد والمُوَاجَهة:

وقد تبنى هذه الطَّريقة معظم الجهاديّين، من التَّنظِيمات والجماعات الجهاديّة وكوادر ورموز التّيار الجهاديّ وقياداته وقواعده رغم مسار الغباء والعذاب، وقد كانَ هذا موقف معظم تلك الكتل والرّجال الّذين فأوَوا إلى أفغانستان في عهد طالبان، حيث عادت الهمم الشّامخة والنفوس التّواقة للعمل والعطاء عبر مسار الإِعداد والحركة الدؤوبة، وقد رأى هَؤُلَاءِ في الثّبات فريضة شرعيّة لا يسع المسلم التخلي عنها، ورأوا في الاستسلام عاراً وفراراً لا يجوز لهم السعي إليه.

ولكني لاحظت من أولئك الثَّابِتين تقبل الله منهم أن ثباتهم كانَ ذا شقين:

١- ثبات إيجابي ٢- ثبات سلبي.

فأما الثّبات الإيجابي: فهو الثّبات عَلى المبادئ والقيم والرّاية والأمانة، من أجل كلّ الدواعي الشَّرعيَّة الداعية لذلك، ولأجل ما تفرض دواعي الكرامة والعزة والإباء والحمية للمقدّسات.

وأما الثّبات السَّلبي: فهو ما لاحظته من ثبات أولئك الأخوة عَلى طرق عملهم السالفة، وأطر عملهم التَّنظِيمية بكل مقوّماتها وطرقها، فقد استمرت التَّنظِيمات بالعمل وفق مفهوم (القطريّة والسرية والهرمية)، وعملت من أجل نفس الهدف السابق، وهو الإطاحة بالأنظمة المرتدّة لإقامة أئمة

---

(١) رواه البخاري برقم (٣٦١٢) وسبق ذكره.

تحكم شرع الله في بلادها، وفق معظم الأساليب التقليدية في الإِعداد المنهجي وغير ذلك من مجالات عمل التَّنظِيمات.

وبدا وكأن كلّ التغييرات الهائلة الّتي أحدثها انطلاق النّظام العَالَمِيّ الجَدِيد وأنظمة مكافحة الإِرهَاب وانهيار الهوامش الأمنيّة والملاذات بين الدّول وكل ما أسلفنا من الدُّروس والعبر لم تترك كبير الأثر عَلى أساليب عمل معظم الجهاديّين!! رغم أن كثيراً من تلك الأساليب والأفكار إما أنها لم تعد تناسب المَرحَلَة أو أنها أثبتت عدم جدواها.

٣- مدرسة الاتجاه الأممي نحو جِهَاد الصّائل الخارجي أمريكا وحلفاؤها:

وكان خُلاصة هذه طرح المدرسة كما بينت بشي من التفصيل، أن المعارك مع الأنظمة لا طائل من ورائها، وأن أمريكا وحلفاءها من قوى الصّليبيّة واليَهُوْد هم المستفيدون من معارك الاستنزاف تلك رغم الحقّ الّذي فيها، وأنّ الحلّ في جِهَاد رأس الأفعى أمريكا الّتي سيؤدي زوالها إلى انهيار كلّ هذه الأنظمة، وبداية لاستواء الأوضاع وسيرها نحو الصواب، حيث يسهل بعد ذلك العمل عَلى إقامة الحكم الإِسْلَاميّ بعد تنظيف المنطق العربيَّة والإِسْلَاميّة من جبروتها وجبروت أتباعها.

وقد مثل الشَّيْخ أُسَامَة بن لادن وتنظيم القَاعِدَة أبرز من رأى التّحرّك في هذا الاتجاه من الجهاديّين منذُ ١٩٩٦م، وافتتح ذلك بإصدار بيان إعلان الجِهَاد ضدّ أمريكا كما حصل في تجربتهم الّتي لخصتها في الفَصل السابق، وأعتقد أن هذا الطرح بشكل عام بصرف النَّظر عن تفاصيل أداء من عمل له هو طرح صحيح وصائب ويتناسب جداً مع حجم المتغيرات الّتي شهدها العالم باستيلاء أمريكا عَلى قيادة النّظام العَالَمِيّ الجَدِيد وانفرادها بحكم العالم كقطب أوحد وقوة عظمى متجبرة.

نظرة في محاولات الجهاديّين تجاوز أزمة التّيار الجِهَادى خلال نهايات القرن العِشرين:

من خلال تقييم الأفكار المطروحة ومقارنتها بخلاصة ما تكون عندي من أفكار، خلصت إلى النَّتِيجَة التّالية في المدارس الثّلاثة آنفة الذكر وهي عَلى الشّكل التّالي:

أولا: أن طروحات مدرسة (الاستسلام) وإلقاء السّلاح وتنكب طريق الجِهَاد، تمثل مدرسة ساقطة الأفكار شَرعاً عقيمة النَّتِيجَة واقعاً، بما تدل عليه نصوص الشّريعة، وما تفيدنا به تجارب الماضي في بلادنا وفي تجارب الأمم كلها.

فما لم نحصله بالجِهَاد والسيف لن نحصل عليه بالهزيمة والاستسلام، لا عَلى مستوى الأهداف ولا حتَّى عَلى مستوى النجاة الشَّخصيَّة.

ثانياً: أن مدرسة الثّبات عَلى طريقة الجهاديّين، وبحسب طريقتهم القديمة، لن تقود إلا إلى ما قادت إليه في الماضي من الفشل المتكرر، فقد فشلت آنفا رغم أن ظروف عملنا ومعطيات واقعنا قبل قيام النّظام العَالَمِيّ الجَدِيد كانت أفضل وأكثر ملائمة، ومع ذلك لم تكن تلك الطرق ومناهج التَّفكير ووسائل العمل من تحقيق الأهداف، فما بالك وقد تغير الواقع المحيط ونشبت ظروف عالميّة لا يمكن العمل من خلالها بتلك الطرق بحال، وقد أثبتت السَنَوات الخمس (١٩٩٦- ٢٠٠١) عقم تلك الطرق وعدم تمكن التَّنظِيمات الجهاديّة القديمة أو المحاولات الجَدِيدة من البعض من تحقيق أي نتيجة أو تقدم، ولم تسفر إلا عن مزيد من الإنشطارات والانقسامات والخسائر والضحايا من الشّهداء والمأسورين، من خلال المحاولات المحدودة الّتي قاموا بها، بالإضافة لتفاقم آثار حملات تجفيف المنابع والتشويه الإعلاميّ والمطاردات الأمنيّة في عزل تلك الشراذم وما تبقى منها عن بلادها ومجتمعاتها، وتحول من تبقى منهم إلى مجموعات صغيرة تعيش عَلى الذكريات وآمال الماضي، وأحلام بالمستقبل تزداد خيالية يوماً بعد يوم.

ثالثا: أن الدّعوة الّتي طرحها الشَّيْخ أُسَامَة وعملت عَلى أساسها القَاعِدَة باتخاذ المَعْرَكة مع أمريكا تمثل بوابة إلى تصحيح مسار الجِهَاد وحشد الأُمّة والتّحرّك من خلال ذلك إلى ما يلي من أولويات في حلحلة إشكاليات واقع المُسلِمِين، وهي أسلم الطرق وأقربها للواقعية، ومناسبة ما استجد من ظروف النّظام العَالَمِيّ الجَدِيد.

وقد رأيت فيها أملاً وفرصة تجديد وانطلاقة قوية لتصحيح مسار الجِهَاد والتّيار الجهاديّ، إن وفقت إلى إحداث توجه جدي نحو التأصيل المنهجي اللازم لذلك، والتطوير في الإدارة والأسلوب بما

يتناسب مع المَرحَلَة، وأملت أن يوفقوا إلى الطرق المناسبة الصائبة في الوسيلة إلى تحقيق ذلك كما وفقوا إلى التحديد الصائب للهدف والطَّريقة، فقد كانَ هذا التجديد الكبير والتّحول في الهدف وطريقة العمل يحتاج إلى جهود كبيرة في تطوير منهج وأساسِيَّات التَّفكير كما يحتاج إلى تطوير كبير في أساليب وضع تلك الأفكار عَلى الأرض موضع التنفيذ، ولكن الأحداث كانت أعجل من أن يمكن تحقيق ذلك وهو أمر يحتاج لوقت أطول.

ومن خلال ذلك الواقع اقتنعت بضرورة إطلاق نظَرِيَّات عمل جديد ة لتسد جزءاً من الفراغ الكبير الّذي يقتضيه ذلك التّحول في المُوَاجَهة.

وبعد تفكير طويل واستفادة من مخزون تسلسل وتطور تلك الأفكار عندي عبر عشر سَنَوات كما بينت في المقدِّمة، طرحت في ساحة أفغانستان ما اعتبرته بداية مدرسة جديدة في محاولات إصلاح مسار التّيار الجهاديّ والعمل عَلى إخراجه من الأزمة وهو ما أسميته:

(**دعوة سَرايا المُقاوَمة الإِسْلَاميّة العَالَمِيّة**) الّتي تقوم نظرياتها عَلى أسس ثلاثة:

أولاً– **الثّبات**، ثانياً – **التصحيح**، ثالثاً – **التطوير**.

وعملت عَلى مناقشة تلك الأفكار مع من استطعت مدارسته من قدماء التّيار الجهاديّ وكوادره خلال فترة (١٩٩٨– ١٩٩٩) ثمّ اقتنت بضرورة إنشاء نواة تجمع جهاديّ جديد لبلورة أفكار هذه الدّعوة ووضعها موضع التنفيذ، وقد ابتدأت مع مطلع عام (٢٠٠٠).

ثمّ جاءت أحداث سِبتَمبر، وخلطت جميع الأوراق وبعثرت تداعياتها جميع الجهود وقلبت جميع الأوضاع ووضعت جميع الجهاديّين بل الإِسْلَاميّين بل جميع المُسلِمِين بل كلّ العالم، أمام مرحلة جديدة بمعطيات جديدة قسمت العالم كلّه إلى معسكريّن حددهما رئيس أمريكا وهي مرحلة (الحملات الصّليبيّة الجَدِيدة) بكل صراحة، فقد قَالَ باختصار: (**من ليس مع أمريكا في حربها فهو ضدها، ولا مكان للحياد**).

ثمّ قتل في تداعيات أحداث سِبتَمبر وأسر معظم من تبقى من كوادر جيل التّيار الجهاديّ الماضي فتلاشت الكيانات وتفككت، وتبعثر من بقى من الأحياء وتناثروا.

ثمّ غزت أمريكا العراق، ووضعت مخططات لاحتلال الشّرق الأوسط والسّيطرة عَلى العالم الإِسْلَاميّ وأوجدت أوضاعاً جديدة جعلت المدرسة الجهاديّة الوحيدة الممكنة عملياً هو جِهَاد صائل أمريكا وحلفائها كخيار وحيد وإجباري وأقنعتني بأن ما كنت قد توصلت إليه سنة ١٩٩١م، من ضرورة إحداث تحول في التّيار الجهاديّ نحو العولمة، وحصر الجِهَاد في مشروع مقاومة شاملة لأمريكا وأعوانها، وما تداعى لدي ولدى أمثالي ممن رأوا ذلك هو التصوُّر الصَّحِيح والّذي فرضه الواقع الجَدِيد كإمكانية وحيدة وإجباريَّة.

****

منطلقات دعوة المُقاوَمة وآلية استخراج نظرياتها

بعد أن غطى الجزء الأوّل الّذي نشرف عَلَى أواخر فصوله هنا، كافّة المقدمات التارِيخِيَّة والسّياسيّة والفكريّة والمنهجيّة الّتي تبرر وتوضح منطق ما سَيَلي من أفكارٍ سأفصلها في الجزء الثّاني من هذا الكتاب إن شاء الله، وهي خُلاصة نظَريَّات المُقاوَمة الإِسْلَاميّة العَالَمِيّة ودعوتها وطريقتها بحسب ما أعتقد أنها الوسيلة الناجعة للمُوَاجَهة في تلك المَرحَلَة إن شاء الله، سأبين في الفقرة التّالية الأصول الّتي انبثقت عنها نظَريَّات عمل المُقاوَمة الإِسْلَاميّة العَالَمِيّة كما أتصوُّرها إن شاء الله والله الموفق.

المنطلقات الثّلاثة لدعوة المُقاوَمة الإِسْلَاميّة العَالَمِيّة ونظرياتها (الثّبات، والتصحيح، والتطوير):

تنبثق كافّة نظَريَّات دعوة المُقاوَمة من خلال أسس ثلاثة خلاصتها ما يلي:

أولاً: الثّبات:

الثّبات عَلى طريقة الجِهَاد كحل أوحد لمشاكل المُسلِمِين عربهم وعجمهم في بلادنا وفي كلّ مكان، وقد أسلفت في الفَصل الثّاني من هذا الكتاب المبررات الشَّرعيَّة والمَنطِقيَّة والواقعية الّتي تثبت أن الجِهَاد المُسلّح هو الحل، وأكرر هنا رداً عَلى من زعم من (الجهاديّين المتراجعين) وغيرهم من الإِسْلَاميّين أن وضع السّلاح والعودة إلى الطرق الّتي يسمونها زوراً (مشروعة) أو (قانُونيّة) ! هو تصوُّر مردود شرعاً، ساقط عقلاً ومنطقاً، فليس لنا بعد أن أثبتت كلّ الأدِلَّة الشَّرعيَّة المستندة للواقع أن الجِهَاد ودفع هذا الصّائل وقتال الحملات الغازية وأعوانها من المرتدّين والمُنَافِقين هو فرض عين عَلى كلّ مسلم، ليس أوجب بعد توحيد الله منه، وهو أشد فرضية من كافّة فرائض الإِسْلَام الأخرى بعد الإيمان ؛ لم يعد في وسع مسلم أن يتمحك الأعذار ويبحث عن الحلول الأخرى إذ يقول الله تَعَالَى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا ۝٣٦﴾ [الأحزاب: ٣٦]

فأما وقد تعينت الفريضة فالثّبات عَلى أدائها هو فريضة شرعيّة ليست محل بحث وأخذ ورد بحسب أفكار العقول وأهواء النفوس.

وحتى عقلا ومنطقا، فكيف يسوغ رؤية الحلّ بإلقاء السّلاح وقد نشرت أمريكا أكثر من مليون ونصف جندي أمريكي في ما تسميه (منطقة العمليَّات الوسطى) الممتدة من الجمهوريّات الإِسْلَاميّة في وسط آسيا والقفقاس وأفغانستان شرقاً إلى سواحل المحيط الأطلسي في المغرب غرباً، عبر ما يقارب خمسة وعشرين بلداً تشتمل عَلى كلّ العالم العربيّ ومعظم الإِسْلَاميّ؟ وهاجمتنا بكل أَسْلِحة التكنولوجيا الحَربية، معلنة راية الحملة الصّليبيّة ومجاهرة بأهدافها صراحة، تلك الأهداف الّتي تشتمل عَلى احتلال الأرض ونهب الثّروات، وتقسيم الدّول وتبديل الأنظمة، وفرض تغير المناهج الثَّقافيَّة والفكريّة والدّينيّة والتارِيخِيَّة! يريدون دمار بلادنا، ونهب أموالنا، وسفك دمائنا، ومسخ مكوّنات شخصيتنا الدّينيّة والقومية والحَضَاريَّة! كيف يسوغ مع ذلك أن لا يكون الثّبات عَلى مبدأ الجِهَاد وحمل السّلاح هو مقتضى الدّين والعقل، هذه حقيقة تستوجب الإشارة والتأكيد ولا تستدعي الإثبات والبرهان، لأنها من المعلوم من الدّين بالضَّرورة ومن الثَّابِت بالعقل بإجماع كلّ العقلاء وأكثر المجانين.

كيف لا يكون الجِهَاد هو الحلّ والثّبات هو مقتضى الدّين ؟! وقد تسابقت الأنظمة المرتدّة العميلة إلى وضع كلّ إمكانيَّاتها العسكريّة والأمنيّة والسّياسيّة والاقتصاديَّة والإعلاميَّة وكل شيء في سبيل خدمة الغُزَاة، لهدف واحد فقط هو رضا الغازي عنها وإبقاء أولئك الفراعنة وأبنائهم الّذين يصطفون عَلى عروش ولاية العهد في الملكيات والجمهوريّات عَلى حدٍّ سواء ؟

كيف لا وقد اصطفت المعارضات السّياسيّة لتلك الأنظمة تريد إسقاطها، ليس لمقتضيات الدّين والشرف والإباء العربيّ والإِسْلَاميّ ! ولكن لكي تعرض عَلى المحتل الغازي خدمات جليلة أكبر من تلك الّتي تقدمها الأنظمة المرتدّة العميلة القائمة؟ ولو أردنا الاستطراد لإثبات مقوّمات الثّبات وما يفرضه شَرعاً وعقلاً لاحتاج المقام إلى مئات الصفحات، ولكن تكفي الإشارة وما مضى من أدِلّة شرعيّة وواقعية.

فالثّبات عَلى مبدأ الجِهَاد والقتال ورفع السّلاح في وجه العدوّ وأعوانه وعملائه من الكفّار والمرتدّين والمُنَافِقين، هو الأساس الأوّل لدعوة المُقاوَمة الإِسْلَاميّة العَالَمِيّة الّتي ندعو إليها.

ثانياً: التصحيح:

إن من أساسِيَّات معتقداتنا معشر أهل السّنّة والجماعة أن كلّ إنسان يؤخذ من كلامه ويرد إلا صاحب القبر الشريف ﷺ، فكل أفعال البشر وأقوالهم بمن فيهم خيار المُسلِمِين بعد رسول الله ﷺ خاضعة لهذا الميزان، وهناك ثوابت في منهجنا الجهاديّ هِيَ ثوابت من أصول ديننا ومعتقدنا، وهي غير قابلة للتبديل والتغير وليس لنا ولا لأحد أن يلعب بها، ثوابت تستند عَلى أصول عقائدنا كمسلمين، وأصول معتقدنا الجهاديّ كجهاديّين، مما استقر عليه منهاجنا، من أحكام توحيد الحاكِمِيَّة، وأسس عقائد الوَلَاء والبَرَاء، إلى آخر تفاصيل ذلك.

ولكن كلّ ما عدا ذلك من الأفكار والتصوُّرات والآراء الّتي طرحت في التّيار الجهاديّ والأحكام الاجتهادية والمفاهيم الّتي انبثقت عنها، وكل أساليب العمل الّتي جربت، من وسائل حركية وبَرَامج واستراتيجيات، فنجت حينا وفشلت حينا، كلّ ذلك التراث من المفاهيم والتَّجَارب، هو تراث يجب أن يخضع للتقييم والمراجعة الآن، بعد أن تراكمت لدينا معطيات الفشل، وحشرنا في قعر الأزمة بل الأزَمَات

فتكرار الأساليب وتبني المفاهيم الّتي تبين من خلال المراجعة أنها من أسباب النكبات والنكسات والفشل، إما لخطئها وإما لأنها قد صلحت في زمانها، ولم تعد تصلح لتبدل الزّمان والمكان والبشر، وطباعهم وقوانين حركتهم ومستوى تطور حياتهم؛ يجب أن تصحح أو تعدل أو تلغى، بحسب ما يقوم الدليل الشَّرعيّ أو العقلي المنطقي عَلى وجوب ذلك.

فالمسارات مثل الخطوط المستقيمة بين نقطتين، لا يمكن بتكرار السّير عليها إلا الوصول لنفس المحصلات والمحطات، والمقدمات المتكررة بحذافيرها، لا يمكن إلا أن تؤدي إلى نفس النتائج، وقد أمرنا الله سُبحَانَهُ وتَعَالَى بالمحاسبة والمراجعة إثر كلّ نائبة فقال تَعَالَى:

﴿أَوَلَمَّا أَصَٰبَتۡكُم مُّصِيبَةٞ قَدۡ أَصَبۡتُم مِّثۡلَيۡهَا قُلۡتُمۡ أَنَّىٰ هَٰذَاۖ قُلۡ هُوَ مِنۡ عِندِ أَنفُسِكُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ١٦٥﴾ [آل عمران]

فأعادنا إلى أنفسنا لنتفكر في أخطائنا ومسارنا، وهذا يصح عَلى كلّ سبيل ومسار، فردي أو جماعي.. ﴿مِنۡ عِندِ أَنفُسِكُمۡۗ﴾!

وفي السنة كما روي عنه ﷺ: «**الكَيِّسُ مَنْ دَانَ نَفْسَهُ وَعَمِلَ لِمَا بَعْدَ المَوْتِ، وَالعَاجِزُ مَنْ أَتْبَعَ نَفْسَهُ هَوَاهَا وَتَمَنَّى عَلَى اللهِ**»(١).

الكيس الذكي الفطن العاقل من بدأ بإعادة أسباب الخلل والفشل والخطأ إلى نفسه: فـ (دان نفسه) وتفكر في العاقبة والمآل، فعجل لما بعد الموت بالخير الّذي يرضى الله عنه، والله لا يقبل من العبد إلا ما كانَ خالصاً لوجهه وكان صوابا، إخلاص وإتباع للكتاب والسنة، واحترام لسنن الله في هذه الأرض وإعداد للاستطاعة وهذا منهج الكيس العاقل.

وأما العاجز فمن أتبع نفسه هواها، ومن أعظم دواعي الهوى إتباع المألوف، وتقليد الكبراء، والسير عَلى ما اعتادت عليه النفوس، وعدم حملها عَلى تغير مألوفها ومحبوبها، وبعد هذا العجز يتمنى عَلى الله الأماني، أماني الانتصارات والنجاحات، ولا يجنى من الشوك العسل، فالعجز لا يعطى إلا الفشل.

وهكذا اعتمدنا مبدأ التصحيح كأساس ثانٍ بعد الثّبات، كمنطلق لدعوة المُقاوَمة الإِسْلَاميّة العَالَمِيّة القادمة بإذن الله، كي تقارع هذا العدوان والغزو القادم، وتقاوم وتسقط هذا الطّغيان والكفر الحاكم.

ومن خلال مبدأ التصحيح وكأول حلقة في سلسلة مساره، يأتي الفَصل القادم كمساهمة أولى وطرح للحوار والمناقشة وهو (الفَصل السَّابع):

[حصاد التّيار الجهاديّ في أربعين عاماً (١٩٦٣-٢٠٠٣) إنجازات يجب أن تستثمر، وأخطاء يجب أن تصحح، وأساليب يجب أن تطور].

ثالثاً: التطوير:

إن من معجزات ديننا الحنيف، ولأن نبيه خاتم الأنبياء ﷺ، ولأن شريعته خاتمة الشرائع، جاءت قواعد أحكامه عَلى نوعين:

- **ثابتة مفصلة:** لا مجال فيها للتغير والتبديل والتطوير.

---

(١) رواه الترمذي (٢٤٥٩) وابن ماجة (٤٢٦٠) وأحمد (١٧١٢٣) وضعفه الألباني والأرنؤوط.

- **عامة مجملة**: جاءت بخطوط عريضة، وقواعد عامة يسع ضمن إطارها الاجتهاد والتطوير والتغير بحسب تبدل معطيات الزّمان والمكان والأشخاص والظروف.

فمثل أحكام العِبَادات وتفاصيلها ثابتة لا علاقة لها بتغير الزّمان ولا المكان ولا الأشخاص. ومثل أحكام المواريث لا تتبدل فالأب أب، والأم أم، وكذا الأخوة والأبناء ولا تتغير العلاقات يتغير الأزمنة، ولذا فصلت وثبتت أحكام الفرائض والمواريث، وكذا فصلت أحكام الطهارة، فالطّاهر طاهر، والنجس نجس، والحدث حدث، وحيض نساء آخر الزّمان كحيض نساء أوله، ولا تتبدل الأحكام، إلى آخر ذلك من الثّوَابِت، ولذلك جاءت أحكام هذه الأمور مفصلة جزئية كاملة تامة، ولكن كثيراً من أحكام العلاقات العامّة، وما يرتبط بحركة الإنسان ونشاطه مما تتغير ظروفه، قد ضبطت أحكامها بخطوط عريضة، ومن ذلك أحكام السّياسيّة الشَّرعيَّة.

فأحكام السّياسة الشَّرعيَّة:

أحكام مبنية عَلى شريعة وسياسة، والشّريعة ثابتة وحلالها حلال، وحرامها حرام، والسّياسة متحولة متبدلة، لأن مبناها عَلى حركة البشر، وبتبدل أحوالهم تتبدل الأحكام والمواقف منهم، وقضايا الحركة والإدارات، والتَّنظِيم والتدبير، وسياسة النّاس، وأساليب السلم والحَرب، كلها محل اجتهاد، وقد ملأ علماء الإِسْلَام عبر مئات السنين المكتبة الإِسْلَاميّة بنفيس الإنتاج والاجتهاد، وما يزال البَاب مفتوحاً للأكفاء.

فجِهَاد الأَعدَاء دين وفريضة ثابتة، ولكن كيفيته وأساليبه وأدواته ونظامه، كلها متغيرات تركت الشّريعة البَاب فيها مفتوحاً للإبداع والعطاء البشري وفق ما يفتح الله عَلى عباده، والعبث بثبات الثَّابِت لا يُؤَدِّي إلا إلى كوارث أقلها الفشل والهزيمة، وأسوأها البوار عند الله تَعَالَى جزاء عَلى اللعب بمحكمات دينه تبارك وتعالى.

وتثبيت المتحول بتعطيل سنن الله تَعَالَى في خلقه، والتضييق عَلى عباده، واختزال للآفاق الّتي وسعها الله سبحانه عَلى عباده.

فمثلاً عند ما قَالَ الله سُبحَانَهُ وتَعَالَى:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ ٱلۡكُفَّارِ وَلۡيَجِدُواْ فِيكُمۡ غِلۡظَةٗۚ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلۡمُتَّقِينَ ١٢٣﴾ [التوبة] تحرك رسول الله ﷺ بغاية الحَركيّة والسعة، فقاتل أعداءً قريبين وتجاوز عن بعضهم إلى بعيدين. وهكذا بدا أن الّذين يلونكم ليست تعني بالضَّرورة الأقرب مسافةً عَلى وجه الإلزام الشَّرعيّ، وإنما تشتمل قرب الزّمان وقرب الضرر والأذى، وهذا ما فهمه الفقهاء ولخصه الإِمَام الشّافعي بقوله:

[فَإِنْ اخْتَلَفَ حَالُ الْعَدُوِّ فَكَانَ بَعْضُهُمْ أَنْكَى مِنْ بَعْضٍ، أَوْ أَخْوَفَ مِنْ بَعْضٍ فَلْيَبْدَأْ الْإِمَامُ بِالْعَدُوِّ الْأَخْوَفِ، أَوْ الأنكى وَلَا بَأْسَ أَنْ يَفْعَلَ، وَإِنْ كَانَتْ دَارُهُ أَبْعَدَ إنْ شَاءَ اللهُ تَعَالَى حَتَّى مَا يَخَافُ مِمَّنْ بَدَأَ بِهِ مِمَّا لَا يَخَافُ مِنْ غَيْرِهِ مِثْلَهُ وَتَكُونُ هَذِهِ بِمَنْزِلَةِ ضَرُورَةٍ؛ لِأَنَّهُ يَجُوزُ فِي الضَّرُورَةِ مَا لَا يَجُوزُ فِي غَيْرِهَا، وَقَدْ «بَلَغَ النَّبِيَّ ﷺ عَنْ الْحَارِثِ بْنِ أَبِي ضِرَارٍ أَنَّهُ يَجْمَعُ لَهُ فَأَغَارَ النَّبِيُّ ﷺ وَقُرْبُهُ عَدُوٌّ أَقْرَبُ مِنْهُ وَبَلَغَهُ أَنَّ خَالِدَ بْنَ أَبِي سُفْيَانَ بْنِ شُحٍّ يَجْمَعُ لَهُ فَأَرْسَلَ ابْنَ أُنَيْسٍ فَقَتَلَهُ وَقُرْبُهُ عَدُوٌّ أَقْرَبُ»[(١)]].

فتجميدها عَلى مفهوم المسافة والتتالي المباشر تثبيت لمتحول لا يُؤَدِّي إلا إلى الضيق والعنت، وهذا ما ألزم به البعض أنفسهم وقالوا لا نقاتل أمريكا وأعوانها حتَّى نقاتل العدوّ الأقرب وهم الحكَّام، وجوبا ونصا، ولم يكن الأمر كذلك.

وقل أكثر من ذلك عَلى الأدوات والأساليب والأَسْلِحة والوسائل وطرق المُوَاجَهة...إلخ، فهي ليست ديناً ثابتاً، وإنما وسائل متحولة متطورة.

ومن هنا كانَ الأساس الثّالث لدعوة المُقاوَمة الإِسْلَاميّة العَالَمِيّة الّتي طرحناها هو التطوير، تطوير فكرة الجِهَاد وأساليبه ووسائله، وهذا المنطلق هو الّذي ولد نظَريَّات المُقاوَمة في مناحي الحركة كلها والَّتي تشتمل على:

ا- الفكرة.

ب- الوسيلة.

ج- الأسلوب.

---

(١) الأم (٤/ ١٧٧)

وبتفصيلها اشتملت عَلى نظَريَّات مطورة للعمل في المجالات الثمانية الّتي يقوم عليها العمل والحركة:

١ - المنهج والعَقِيْدَة القتاليّة.

٢ - السّياسة وآفاقها.

٣ - التّربية وأبوابها وأساليبها.

٤ - المُوَاجَهة العسكريّة وأساليبها.

٥ - التَّنظِيم والحركة وبناء الكيانات الجهاديّة.

٦- التّدريب والإِعداد وطرقها المناسبة.

٧ - تمويل الجِهَاد وطرق تحصيله.

٨ - الإعلام والتّحريض وأدواته وأساليبه.

وهي النَّظريَّات الّتي سنفصلها في الجزء الثّاني من هذا الكتاب إن شاء الله.

وقد ولدت تلك النَّظريَّات من خلال آلية توليد ما نعتقده صواباً من خلال دُروس وتجارب الماضي، وعبرة ما ثبت لدينا خطؤه، أو عدم صلاحية استمرار العمل به.

وعلى كلّ حال وطالما أنّنا أثبتنا مبدأ التصحيح والتطوير لما سبق من تجارب وأساليب عمل وحركة ومفاهيم ومناهج ومبادئ اجتهادية، فالمبدأ يبقى سارياً حتَّى عَلى ما نطرح من أفكار وأساليب عمل وإدارات، نفترض صلاحيتها للمرحلة الحالية والمقبلة في المدى التطور، وهي أفكار من باب (الرَّأي والحَرب والمكيدة) قابلة للتصحيح والتصويب أيضا.

وعلى السائرين عَلى درب المُقاوَمة والمُجَاهدة لأعداء الله أن يراجعوا أعمالهم في كلّ مرحلة ويحسب ظروف كلّ بلد أو مكان ويحسب زمان وتاريخ العمل ويحسب الأشخاص والأقوام العاملين ومن حولهم ويحسب تحول أحوال من حولهم من دوائر الأَعدَاء وأنصار الأَعدَاء والمُجَاهدين وأنصار الجِهَاد والعاملين المُجَاهدين وكل هذه متحولات تقتضي ديناميكية الحركة ورحابة الاجتهاد والتطوير.

وهكذا ونحن نتنسم هذه الرّوح وعبر دُروس تجاربنا السَّابقة، أرجو أن تتسع الصدور، وتتفتح الأفهام للحوار، وألفت النَّظر إلى أن هذه الطروحات تمثل دراسة نقدية من داخل الصف الجهاديّ،

فالحَمْدُ لله فإني ابن هذا المسار وأحد جنوده وأحد العاملين فيه وأرجوا أكون أحد شهداءه في سبيل الله إن شاء الله.

وقد حملت هذه المحاولة النقدية حنان المشفق وهو يتناول العلل، مع جدية الباحث الّذي يلتزم الإنصاف والموضوعية والعمليّة، وارجوا أن أكون قد وفقت لما قصدته من الخير، فما كانَ من ذلك فهو من الله تَعَالَى وما كانَ من قصور فهو من نفسي القاصرة والكمال لله.

وقد حرصت عَلى منهج التقييم العام وتجاوزت عن ضرب الأمثلة المحرجة المباشرة قدر الإمكان. كي يؤلف هذا الكتاب أكبر كمية ممكنة من القلوب ولا يحرج أحداً وخاصة أخوة الجِهَاد ورفاق السّلاح والمسار الطويل، فرحم الله من مضى، وثبت من بقى وأعاننا عَلى نكاية أعدائه وجمعنا وإياهم عَلى خير.

وأعتقد أن هذه الطروحات ستصادف صدوراً رحبة حانية تغفر الزلة، وتأخذ بالنصيحة وتتجاوز عما تعتقده إساءة غير متعمدة، وأرجوا ألا يحمل الكتاب من ذلك شيئاً.

كما أعتقد أنه سيصادف صدوراً ضيقة ستتعامل معها بالتشنج، إما لرفض مبدأ النقد، وإما لمواقف مسبقة من المُؤلّف، فسامحهم الله سلفاً ومن أحرى بالمغفرة والسماح من الإخوة المُجَاهدين في سبيل الله.

وأسأل الله تَعَالَى العون عَلى اقتحام هذه العقبات الصعبة في مثل هذه الأبحاث، وأسأله الهدى لما يرضيه، ويجعل منه زاداً للمُجَاهدين في سبيله ويكتب لنا مثل أجور من انتفع بشيء من هذه النصائح ومضى لجِهَاد أعداء الله، لا ينقص وأجورهم شيئاً.

****

دعوة المقاومة الإسلامية العالمية

الفصل السابع

حصاد التّيار الجهاديّ في أربعين عاماً

«١٩٦٣-٢٠٠٣» م

﴿ رَبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعۡنَا مُنَادِيٗا يُنَادِي لِلۡإِيمَٰنِ أَنۡ ءَامِنُواْ بِرَبِّكُمۡ
فَـَٔامَنَّاۚ رَبَّنَا فَٱغۡفِرۡ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرۡ عَنَّا سَيِّـَٔاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ
ٱلۡأَبۡرَارِ ١٩٣ رَبَّنَا وَءَاتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلَا تُخۡزِنَا يَوۡمَ
ٱلۡقِيَٰمَةِۗ إِنَّكَ لَا تُخۡلِفُ ٱلۡمِيعَادَ ١٩٤ فَٱسۡتَجَابَ لَهُمۡ رَبُّهُمۡ أَنِّي لَآ
أُضِيعُ عَمَلَ عَٰمِلٖ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰۖ بَعۡضُكُم مِّنۢ بَعۡضٖۖ
فَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ وَأُخۡرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِمۡ وَأُوذُواْ فِي سَبِيلِي وَقَٰتَلُواْ
وَقُتِلُواْ لَأُكَفِّرَنَّ عَنۡهُمۡ سَيِّـَٔاتِهِمۡ وَلَأُدۡخِلَنَّهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي
مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ ثَوَابٗا مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِۚ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسۡنُ ١٩٥ ﴾

[آل عمران]

رَوَى أبُو دَاود والتِّرْمِذِيّ من حَديث أبي ثعلبة الخُشَنِيّ ﷺ قَالَ:

سَألتُ الرَّسُول ﷺ عَن هَذِهِ الآية:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَيۡكُمۡ أَنفُسَكُمۡۖ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهۡتَدَيۡتُمۡ﴾

[المائدة: ١٠٥]

فقالَ رَسُولُ الله ﷺ:

«بَلِ ائْتَمِرُوا بِالمَعْرُوفِ، وَتَنَاهَوْا عَنِ المُنكرِ، حتَّى إذَا رَأيْتَ:

شُحًّا مُطَاعًا...

وَهَوى مُتَّبَعًا...

وَدُنْيَا مُؤْثَرَةً...

وَإعْجَابَ كلّ ذِي رَأيٍ برَأيهِ...

فعليكَ بخاصّةِ نفسِكَ ودَع عَنْكَ أمرَ العوامّ، فإنَّ مِنْ وَرائِكم أيّام الصَّبرِ، الصَّبرُ فِيهنَّ مِثلُ قبضٍ علىَ الجمرِ، للعَاملِ فيهِنَّ أجرُ خمَسينَ، قلُتُ يارَسُولَ الله: أجرُ خَمسينَ منهُم، قَالَ: أجرُ خمسِين مِنكُم»[1].

(١) أبو داوود (٤٣٤١)، التِّرمِذِيّ (٣٠٥٨)، ابن ماجه (٤٠١٤)، وقال الألبانيّ: ضعيف لكنّ فقرة أيّام الصّبر«فإنَّ مِنْ وَرائِكم " أيّام الصَّبرِ" ...» صحيحة ثابتة (السلسة الضعيفة ١٠٢٥).

الفصل السابع

حصاد التّيار الجهاديّ في أربعين عاماً (١٩٦٣-٢٠٠٣)م

مبدأ المراجعة والتقييم ومعوقات حصوله :

لا شَّكَّ أن هذا المبدأ هو من منهج القرآن، وطروحات السنة، وأساسِيَّات الدّين. كما أنه مسلك ثابت للصالحين، وطريقة معتمدة لدى كلّ العقلاء من كلّ ملة ودين، فقد نبه القرآن الكريم المُؤمِنين جماعات وأفراد، في أكثر من آية إلى اتباع هذا المنهج، ولاسيما بعد الأزمَات ودلالات الواقع عَلى وجود أخطاء واعوجاجات، أدت لنتائج من البلاء والنّوازل أو العقوبات، فردهم إلى مراجعة أنفسهم، قَالَ تَعَالَى يخاطب صحابة رسول الله ﷺ بأسلوب صريح.

﴿أَوَلَمَّآ أَصَٰبَتۡكُم مُّصِيبَةٞ قَدۡ أَصَبۡتُم مِّثۡلَيۡهَا قُلۡتُمۡ أَنَّىٰ هَٰذَاۖ قُلۡ هُوَ مِنۡ عِندِ أَنفُسِكُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ١٦٥﴾ [آل عمران]

﴿وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً أَوۡ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ ذَكَرُواْ ٱللَّهَ فَٱسۡتَغۡفَرُواْ لِذُنُوبِهِمۡ وَمَن يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمۡ يُصِرُّواْ عَلَىٰ مَا فَعَلُواْ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ ١٣٥﴾ [آل عمران]

﴿لَآ أُقۡسِمُ بِيَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ ١ وَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلنَّفۡسِ ٱللَّوَّامَةِ ٢﴾ [القيامة]

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ إِذَا مَسَّهُمۡ طَٰٓئِفٞ مِّنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ تَذَكَّرُواْ فَإِذَا هُم مُّبۡصِرُونَ ٢٠١﴾ [الأعراف]

﴿فَلَمَّا رَأَوۡهَا قَالُوٓاْ إِنَّا لَضَآلُّونَ ٢٦ بَلۡ نَحۡنُ مَحۡرُومُونَ ٢٧ قَالَ أَوۡسَطُهُمۡ أَلَمۡ أَقُل لَّكُمۡ لَوۡلَا تُسَبِّحُونَ ٢٨﴾ [القلم]

﴿فَلَوۡلَآ إِذۡ جَآءَهُم بَأۡسُنَا تَضَرَّعُواْ وَلَٰكِن قَسَتۡ قُلُوبُهُمۡ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ٤٣﴾ [الأنعام]

والآيات كثيرة في هذا السياق، ومما في السنة الشريفة:

«الكَيِّسُ مَنْ دَانَ نَفْسَهُ وَعَمِلَ لِمَا بَعْدَ المَوْتِ، وَالعَاجِزُ مَنْ أَتْبَعَ نَفْسَهُ هَوَاهَا وَتَمَنَّى عَلَى اللهِ»[١]،

وقد قَالَ عمر ﵁: (حَاسِبُوا أَنْفُسَكُمْ قَبْلَ أَنْ تُحَاسَبُوا وزنوا أعمالكم قبل أن توزن عليكم).

(١) رواه الترمذي (٢٤٥٩) وابن ماجة (٤٢٦٠) وأحمد (١٧١٢٣) وضعفه الألباني والأرنؤوط.

وها نحن نرى اليَوْم هذا المبدأ معتمداً، لدى جميع الدّول والحُكُومَات، والأحزاب السّياسيّة، والشركات الاقتصاديَّة، وسوى ذلك من مختلف المؤسسات، فكل هذه المؤسسات إثر كلّ مرحلة أو خُطّة مرحلية، تقيم أعمالها، ونسب التقدم والتراجع، وتجري حسابات الربح والخسارة، وتدرس مستوى الأداء في المراحل الّتي انقضت، وغالباً ما يفعلون ذلك من أجل التطوير والتحسين بشكل دوري وطبيعي، حتَّى من غير مرورهم بأزَمَات أو خسارات، وأما في حال ذلك، فإن أجراس الخطر تدق للشروع في البحث في أسباب ذلك، فتبدل البَرَامج، وتغير الإدارات، وتحدد أماكن الخلل والتقصير والمسؤولون عن ذلك، فيستقيلون أو يقالون، أو حتَّى يحاكمون في حال ترتب عَلَى تقصيرهم ما يضر بالآخرين، بل إن التطرف يصل ببعضهم إلى الانتحار تعبيرا عن الشعور بالمسؤوليّة، أو للهروب من تبعاتها أمام أوساط لا تغفر التقصير وتبعاته عَلَى المجموع، ومن أهمّ ما يدعو العقلاء إلى عمليَّات المحاسبة وتقييم المراحل الماضية، تغير الظّروف المحيطة ببرنامج عمل ما، بشكل ينذر بعدم صلاحية البَرَامج والخطط الّتي وضعت لظروف سابقة تغيرت معطياتها، أو في حال حلول كوارث ومفاجئات تقتضي ما يسمى في علم الإدارة بخلايا الأزمة أو إدارات الأزمة، ويقصر المجال هنا عن ضرب الأمثلة الكثيرة، من تجارب المُسلِمين وغيرهم، وهي شواهد يعرفها كلّ من يعيش عصره ويحتك به ويطلع عَلَى ما يدور من حوله، خاصّة من المثقفين، بل حتَّى من عوام النّاس في عالم اليَوْم.

الصّحوة والجهاديّون ومبدأ المراجعة والتقييم:

إذا ما عدنا لواقع الصّحوة الإِسْلَاميّة عموماً بمختلف مدارسها، وإلى التّيار الجهاديّ خُصُوصَاً نجدهم أنهم من أبعد النّاس عن هذا المنهج، فقد بدأت مساري في الإخوان المُسلِمين، وعشت في هذه الصّحوة وفي تيارها الجهاديّ خاصّة، واحتككت بالكثير من شرائحها، واطلعت عَلَى كثير من دوائر الصّحوة، وخاصة بسبب كثرة أسفاري وعملي في مجال الفكر والكتابة والإعلام، ورأيت وللأسف كيف أن أكبر الكوارث والانتكاسات والأخطاء، وخصوصاً تلك الّتي أدت إلى فواجع عَلَى صعد كثيرة، كانت تبرر ويغلق ملفها بأربع كلمات بكل برود: (**قدر الله وما شاء فعل**)، وهكذا تستخدم

هذه الجملة المقدّسة الدالة عَلى أحد أركان الإيمان، بأسوأ طريقة لإطلاق كلمة حق يراد بها البَاطِل وتبرير العجز والفشل والتخلف.

ولست هنا أيضاً وأنا بصدد التَّقديم لهذا الفَصل في مقام ضرب الأمثلة في مسار الصّحوة الإِسْلَاميّة والتّيار الجهاديّ، وهي كثيرة ومريرة، وتستأهل دراسةً مستقلة هادفة، ولكن الّذي أريد أن أشير إليه وأؤكد عليه وهو ما فعلته في كثير من الكتابات والمحاضرات والمناقشات، ولاسيما منذُ انصرام الجِهَاد الأفغاني وانطلاق النّظام العَالَمِيّ الجَدِيد سنة ١٩٩٠، وقد كانت خُلاصة ما اقتنعت به ؛ أنه إن كانَ قد أمكن تجاوز هذا المبدأ الشَّرعيّ والدّيني والمنطقي العقلي عبر مسار الصّحوة الّذي أخذ عقوداً من الزَّمن منذُ ١٩٣٠ وإلى انصرام القرن العِشرين، وعبر مسار الصّحوة الجهاديّة عبر نصف تلك العقود أيضاُ، وهي مدّة غير قليلة، فإن من غير المقبول أن نتجاوز ذلك، وقد قام النّظام العَالَمِيّ الجَدِيد، وغيَّر موازين السّياسة والواقع، وابتدأ في الدُّنيَا واقع جديد، ولكن وللأسف فإن القليل جداً من أوساط الصّحوة، والتّيار الجهاديّ فعل مثل تلك المراجعات اللازمة.

ثمّ جاءت فرصة الشوط الثّاني في أفغانستان كما أشرت لذلك، وكانت هناك بوادر لمثل تلك المراجعات لم يتم منها إلا المراحل الأولى، وهي الاعتراف بوجود أزَمَات وخلل والاعتراف بالحاجة للإصلاح والتغيرات، ولكن القدر كانَ أعجل من ذلك في سِبتَمبر ٢٠٠١، وما زال المبدأ قائماً بعد أن بدأت مرحلة جديدة من مراحل النّظام العَالَمِيّ الجَدِيد، وهي المَرحَلَة الّتي دعيت (عالم ما بعد سِبتَمبر) حيث انطلق (القرن الأمريكيّ) كما أراد المتطرفون الأمريكان وأعوانهم من اليَهُوْد والصّليبيّين في أوروبّا والعالم.

الصّحوة والتّيار الجهاديّ والحاجة الماسة للتقييم والإصلاح:

فالحاجة جد ماسة اليَوْم، لأن يقوم المعنيون من شيوخ الصّحوة الإِسْلَاميّة وقياداتها، وخاصةً العاملين في جهازها العصبي من الكتاب والمفكرين والعُلَماء، بتلك المراجعات، وبدراسة الأوضاع المستجدة، وتحليل أسباب الأزَمَات والنّوازل الخارجيّة والداخليَّة، ووضع الحلول الناجعة لها بحسب ما يفتح الله عليهم.

وفي هذا السياق أضع هذا الفَصل من كتابي هذا مساهمة من قلب التّيار الجهاديّ، لتقييم هذا الواقع وأزَمَاته، بحثا عن الحل، راجياً من الله أن يتقبله برضاه ويهديني فيه للإخلاص والصواب والقبول، ويدخره لي ذخراً وأجراً ويتجاوز عن تقصيري وزللي.

فأظن أن الأمر أوضح من أن يدلل اليَوْم عَلى أن الدُّنيَا قد تغيرت وتبدل كلّ شئ بعد سِبتَمبر وانطلاق الحملات الأمريكيّة، وأظن أن معظم الحلول والأساليب الّتي طرحت في الصّحوة الإِسْلَاميّة والجهاديّة لم يعد واقعياً ولا صالحاً، رغم أن قطاعات كبيرة من أنصار الجمود والتخلف ما تزال تعمل به وللأسف حتَّى يقضي الله أمراً كانَ مفعولاً.

معوقات عَلى طريقة منهج التقييم والمراجعة والإصلاح والتطوير:

هذه مشكلة قديمة قدم وجود الإنسان عَلى هذه الأرض، فمنذ أن بدأ العوج وفسدت الأحوال وأرسل الرسل والأنبياء مبشرين ومنذرين ليصلحوا ما أفسد النّاس، فدعوهم إلى دعوة الحقّ والفلاح الواضحة الصريحة الّتي يشهد بها العقل وتنساق من إليها الفطرة بقولهم ﴿ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓ﴾ [الأعراف: ٥٩]، وجدوا القطاع الأكبر من بني البشر يقودهم الملأ والأعوان والكهان الّذين استخفهم طغاتهم يجيبونهم: ﴿إِنَّا وَجَدۡنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٖ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّهۡتَدُونَ ٢٢﴾ [الزخرف] والشواهد في دعوات الأنبياء كثيرة جداً عَلى هذا الخلل الكامن في طباع أكثر النفوس البشرية الأمارة بالسوء إلا ما رحم ربي.

- **فالمعضلة الأولى**، والمعوق الأكبر هو إصرار النفوس عَلى البقاء عَلى ما ألفت، والتمسك بالواقع وتراث الماضي رفض التغير والتطوير، ولاسيما عند ما يتعلق بموروث معتقد أو منهج عمل وسلوك.

- **وأما المعوق الثّاني**، فهو تقديس الرّجال وتقليدهم في منهج الدّين والدُّنيَا، والتعصب لأفكارهم ومسارهم وأساليبهم، وتقديس الهياكل والمؤسسات، سواءً كانت قبيلة أو قوماً أو تنظيماً، على حساب الحقّ، وكم شهدت من هذه الشواهد في مسار الصّحوة الإِسْلَاميّة، وحتى الجهاديّة وكم

تشكى منها المصلحون في الدّعوة، فقد احتج الأستاذ العلم الشّهيد سيد قطب عَلى هذه الظَّاهِرة واحتج عليه بقول يكتب بماء الذهب فقال: (**إن تبرئة الأشخاص لا تساوي تشويه المنهج**).

وقد صاح شيخ الجِهَاد ومؤسسه في سوريا الشَّيْخ مروان حديد بقيادة الإخوان المُسلِمِين في سوريا، الّذين رفضوا جِهَاد البعثيين والنصيرية، فقال لهم: (**لقد جعلتم من مصلحة التَّنظِيم وثناً يعبد من دون الله**)، وكثيراً ما كررها الشَّيْخ عبدالله عزام ﷺ في وجه قيادة الإخوان المُسلِمِين الّذين وقفوا عائقاً في وجه توجه الشَّبَاب للجِهَاد في أفغانستان ...

- **وأما المعوق الثّالث**، فهو ممانعة المستفيدين من الأوضاع القائمة لمبدأ التغير والإصلاح والمراجعة، لأنه سيحملهم نتائج أعمالهم، ويغير أحوالاً، ستذهب عَلى الأقل بمكاسبهم ومراكزهم فيستغلون المعوقين السابقتين من حب البشر لتقديس الموروث ورموزه، وإلفة النفوس لواقع حالها، وما شبت وشابت عليه، ويحشدونهم للدفاع عن مراكزهم الّتي تكفل استمرار الفشل والكوارث، إلى أن تغرق السفينة بالكل، وتغمر الأحزان الجميع، إلا القبطان المتشبث بدفة القيادة يدير عجلتها في أعلى المقصورة، أملاً بأن تسلم قمرة القيادة، غير عابئ بمعظم السفينة الّتي غمرتها المياه بما حملت من خلق ومتاع.

تطبيق مبدأ التقييم والمراجعة عَلى واقع التّيار الجهاديّ منذُ ١٩٦٠ وإلى أحداث سِبتَمبر٢٠٠١:

بكل موضوعية وجدية واختصار أقول ؛ لو أنّنا وضعنا تلك المعوقات جانباً، لا سيما وقد وصلنا إلى قعر الأزمة والكوارث كجهاديّين بعد سِبتَمبر، وبكامل التسليم بقضاء الله تَعَالَى والرضا بقدره خيره وشره، ثمّ التفتنا إلى تحليل واقعنا وأسباب ما جرى لنا ونحن نعتقد أنّنا نحمل خُلاصة دعوة الحقّ ورايته الصافية، وقد قدم المئات من قياداتنا، والآلاف من كوادرنا ومن قواعد هذا التّيار الجهاديّ المبارك، جهودهم بكل إخلاص وتضحية، فلما ذا كانت النَّتِيجَة هكذا ؟! وما هيَ حصتنا من قوله تَعَالَى: ﴿أَوَلَمَّآ أَصَٰبَتۡكُم مُّصِيبَةٞ قَدۡ أَصَبۡتُم مِّثۡلَيۡهَا قُلۡتُمۡ أَنَّىٰ هَٰذَاۖ﴾ ؟! ﴿قُلۡ هُوَ مِنۡ عِندِ أَنفُسِكُمۡۗ﴾ [آل عمران: ١٦٥]

وإلى أي مدى من المنطقي والصَّحِيح ألا نحتمل مسؤولية هذه النتائج ؟! وهل بإمكاننا إلقاءها صادقين محقين عَلى عوامل خارجية؟! ونردد مستريحين: قدر الله وما شاء فعل !!

وإلى أن مدى نحن مسؤولون لمخالفتنا السنن ولعدم أخذنا بالأسباب الممكنة ؟!

ليس من هذا من أجل تحديد مسؤولين عن ذلك ومحاكمتهم ومحاسبتهم ومطالبتهم بالتنحي أو إنزال العقاب بهم أو مطالبتهم بالانتحار!! وإنما من أجل فعل إيجابي، يحفظ للسابقين منزلتهم، وللعاملين عملهم، متخذين من هدى ربنا سبيل رشد إذ يأمرنا بأن نكون من الصّالحين: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٞ رَّحِيمٌ ١٠﴾ [الحشر]

أنّنا نجد في خُلاصة مسارنا عبر أربعين سنة ما يمكن تلخيص بكلمتين: **(لقد كسبنا معارك كثيرة ولكننا خسرنا الحَرب في كلّ الميادين).**

لقد كانت نتيجة عمل التّيار الجهاديّ وتنظيماته هيَ الفشل في تحقيق الأهداف، وانكسار المُوَاجَهة، وقائمة هائلة من الخسائر، وثبوت الفشل في تحقيق الأهداف، والعقم في الوسائل، وهذا يقودنا لسؤال كبير.

هل يجب علينا أن نعترف بالهزيمة؟ ونستسلم للواقع ؟! وأجيب عن ذلك بالتعرض لفلسفة العلاقة بين الفشل والهزيمة والفارق بينهما.

فإني أعتقد أن الفشل هو عدم تحقيق الهدف في إحقاق الحقّ، وأما الهزيمة فهي التخلي نتيجة الفشل عن السعي لإحقاق الحقّ، وبالتالي فإن الانتصار منزلتان، انتصار ظاهر وهو تحقيق الأهداف في إحقاق الحقّ، وانتصار باطن وجوهري، وهو الإصرار والاستمرار في السعي لتحقيق الحقّ، والدأب في السعي إلى ذلك، إلى أن يوافق من يختارهم الله من السائرين عَلى الدّرب قدر الله، ويجتمع لهم الإذن بحصول النّصر الظَّاهِر، بأن وفقهم إلى الإخلاص والصواب، خلوص السرائر له وحده سبحان، وصواب في المنهج، وتوفيق في اختيار وتطبيق الوسيلة.

فإذا ما اجتمع القدر بالنّصر إلى صواب المنهج وتوفيق الوسيلة، تحقيق النّصر الكامل التام الشّامل وهو حصول النّصر الظَّاهِر في الدُّنيا والقبول للعمل في الآخرة:

قَالَ تَعَالَى: ﴿فَٱنتَقَمۡنَا مِنَ ٱلَّذِينَ أَجۡرَمُواْۖ وَكَانَ حَقًّا عَلَيۡنَا نَصۡرُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٤٧﴾ [الروم] وقد جاء في الأثر: (إن الله لا يقبل من العبد إلا ما كانَ خالصاً لوجهه وكانَ صوابا)، ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنۡهُمۡ أَحۡسَنَ مَا عَمِلُواْ وَنَتَجَاوَزُ عَن سَيِّـَٔاتِهِمۡ فِيٓ أَصۡحَٰبِ ٱلۡجَنَّةِۖ وَعۡدَ ٱلصِّدۡقِ ٱلَّذِي كَانُواْ يُوعَدُونَ ١٦﴾ [الأحقاف]

وبهذا نجد الآن أن أهل الصّحوة الإِسْلَامية ومنهم الجهاديّون قد انقسموا فريقين.

فريق منتصر أثخنته الجراح ولم تنحن هامته ولم تنكسر همته، يناطح القرن الحادي والعشرين ليجعله قرن الإِسْلَام وسيكون إن شاء الله كذلك.

وفريق منبطح طأطأت هامته، فانكسرت همته، فانبطح تدوسه سلاسل دبابات أمريكا وأحذية جنودها، ويصم أذنيه هدير طائراتها وصواريخها، عن سماع صوت الحقّ تَعَالَى يصدح: اللهُ أكبَر.. حي عَلَى الفلاح ﴿وَلَا تَهِنُواْ وَلَا تَحۡزَنُواْ وَأَنتُمُ ٱلۡأَعۡلَوۡنَ﴾ بشرط مهم: ﴿إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ١٣٩﴾ [آل عمران] ولكنه خائر القوى مهدود العزيمة! وهَؤُلَاءِ يستسلمون الآن، لقد سلموا بأنه القرن الأمريكيّ، والأمثلة صارخة الوضوح عَلَى استسلامهم.

ففي الصّحوة الإِسْلَامية عامة، كما في التّيار الجهاديّ، ظهر مستسلمون، وفي قطاع الأُمّة الكبير، أكثرهم مستسلمون.

ولذلك ولعلمي بمنهجيّة التّيار الجهاديّ وبنيته ومساره، بعد إيماني بموعود الله أقول باختصار..

نعم لقد فشلنا معشر الجهاديّين، ولكننا لم ننهزم، وإن كانَ في محصلة نتيجة مسارنا، إلى جانب قائمة الشّهداء والأسرى والمشردين والمعذبين، بند أسودٌ قد سجل فيه بعض المستسلمين المهزومين من الجهاديّين أسماءهم، كما حصل من بعض قيادات الجماعة الإِسْلَامية في مصر، وبعض التائبين من الجِهَاد في السّعُودِيّة! ومن إخوان سوريا وغيرهم.

ولكن هذا لا يغير من محصلة النَّتِيجَة الّتي يدل عليها دبيب الحياة في جسد الأُمّة الّتي خصها الله بوعد جليل:

﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَيَوۡمَ يَقُومُ ٱلۡأَشۡهَٰدُ ٥١﴾ [غافر] فذلك قدر الله كتبه من قَالَ تبارك وتعالى: ﴿كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغۡلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِيٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٞ ٢١﴾ [المجادلة] ﴿وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلۡغَٰلِبُونَ ١٧٣﴾ [الصافات] ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسۡتَخۡلِفَنَّهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ كَمَا ٱسۡتَخۡلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ

وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا ۚ وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَـٰسِقُونَ ﴿٥٥﴾ [النور]

وكل ذلك لسبب عظيم جليل مقدّس، لخصه الشّعَار الجليل:

(اللهُ أكبَر..اللهُ أكبَر.... لَاإِلٰهَ إِلَّا الله). ولأن اللهُ أكبَر، ولأنه لَاإِلٰهَ إِلَّا الله.. فليعل هبل.. فالله أعلى وأجل.

أسباب فشل التّيار الجهاديّ في تحقيق أهدافه خلال (١٩٦٠-٢٠٠٠):

أعتقد أن فشل التّيار الجهاديّ في تحقيق أهدافه يعود لثلاثة أسباب ؛ اثنان خارجيان عنه، سأذكرهما بإيجاز، وثالث متعلق به وهو ما سأفصل فيه في الفقرات التّالية وهذه الأسباب هيَ:

١ - شراسة هجمة الأَعدَاء عَلى الجهاديّين واختلال ميزان القوى بشكل صارخ:

فقد استباح أعداء الإِسْلَام في الداخل والخارج كلّ وسائل البطش والتنكيل بالجهاديّين وجماعاتهم وقياداتهم وعناصرهم، وتجاوزوا ذلك إلى البطش بأسرهم، والتنكيل بآبائهم وأمهاتهم وأقربائهم ونسائهم وأطفالهم، وقد قام بالقسط الأكبر من هذا الجهد والبلاء أنظمة الرِّدَّة الحاكمة في بلاد العالم العربيّ والإِسْلَاميّ، ثمّ انضمت إليها قوى الكفر من الصّليبيّين واليَهُوْد وأنواع الملحدين بشكل صريح معلن، بعد أن دعمتها وقدمت لها الخدمات والأدوات والدعم العسكريّ والأمني والإعلاميّ والمادي، فقد حارب أولئك الحكّام الكفرة المرتدّون وما زالوا، كلّ من وقف في وجههم مُجَاهداً بكل وسائل القتل والتعذيب والتصفية، بالقتل وبالسّجون، وبالتّشريد والمطاردة، وبهتك الأعراض، وبأخذ الأقرباء رهائن للضغط عَلى المُجَاهدين، وبالتجويع والحصار... إلى آخر ما هو معروف.

ومنذ انطلاق المواجهات بدا ميزان القوى بين الجهاديّين وهَؤُلَاءِ الأَعدَاء مختلا، وما زال بالغ الاختلال عددا وعدةً ووسيلة، ولاسيما في ظل ما أشرنا إليه في الفَصل السابق من انبطاح معظم الصّحوة الإِسْلَاميّة وقياداتها عن خوض المُوَاجَهة، وفساد القطاع الأكبر من العُلَماء أو انقماعهم وخورهم في جحور الرخصة، وخوارهم في زرائب النِّفَاق والخذلان، إلا من رحم الله وقليل ما هم،

وكذلك في ظل إعراض الأُمّة وعموم الشّعوب المسلمة عن البذل والتَّضحِيَة في هذه المعارك المصيرية، وهكذا أدت الحملات العسكريّة والأمنيّة الطَّاغية مما أشرنا لطرف من وسائلها آنفا إلى اختلال ميزان القوى وعدم تمكن الجهاديّين من تحقيق أهدافهم وكان هذا أحد الأسباب الخارجيّة.

٢- الواقع المنكوس للأمة وحالة الخذلان الّتي أحاطت بالمحاولات الجهاديّة:

ويمكن تلخيص هذا الواقع المنكوس في ثلاثة مناحي ساهمت بمجموعها في خسارة الجهاديّين، طليعة هذه الأُمّة، لكافة المواجهات حتَّى الآن، وهذا الواقع المرير يتجلى في ثلاثة ظواهر قاتلة:

أ- فساد الشريحة العظمى من علماء المُسلِمِين:

توزع أكثر علماء المُسلِمِين في هذا الزّمان عَلى قسمين ؛ إما علماء سلطان وفقهاء ضلالة، وإما علماء منكفئون في جحور العجز متعذرين بالرخصة والضّعف وقلة الحيلة.

والشواهد عَلى ذلك أسود من أن يشار إليها، وأكثر من أن تحصى، وقد أشرنا لبعض أطراف هذه الظَّاهِرة آنفا، فماذا أسوأ من أن يتولى علماء هذه الأُمّة بأنفسهم مُوَاجَهة أبنائها من المُجَاهدين، ويشهدون عليهم بأنهم مجرمون إرهابيون خوارج، وبغاة مفسدون في الأرض، ويفتون بأنهم كلاب أهل النار في الآخرة، وأما في الدُّنيَا فحكمهم أن يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو ينفوا من الأرض! حيث يشهدون عَلى حكامهم الفراعنة الطغاة، المشرعون من دون الله، الحاكمون بغير ما أنزل الله، المظاهرون لأعداء الله بالسنان واللسان والجنان، بأنهم أولياء أمور شرعيون ! مسلمون مؤمنون ! تجب طاعتهم ! وأنهم أهدى من الّذين آمنوا وجاهدوا سبيلاً ؟!!

بل هل هناك أدهى وأنكى من أن يسبغ علماء المُسلِمِين الخونة، الشَّرعيَّة عَلى قوى الاحتلال الغازية ويعطونهم صفة المستأمنين والذميين، بل الموادعين والمناصرين، هَؤُلَاءِ الّذين جاؤوا بخيلهم ورجلهم يحتلون البلاد وينهبون العِبَاد ويحاربون الله ورسوله ويظهرون في الأرض الفساد، حتَّى قَالَ العلامة السّعُودِيّ المنافق (عبد المحسن العبيكان) فض الله فاه: **أن الأمريكان لا يضربون إلا من يعتدي عليهم في العراق ! وأن الكفّار لو عينوا عَلى المُسلِمِين حاكما، فهم ولي أمر شَرعِيّ !!**

والشواهد السوداء المُنكرة تحتاج إلى كتب كثيرة لا تستوعبها المجلدات، من أقوال وشهادات وفتاوى الضلال الّتي يستعلن بها علماء السوء، وفقهاء البنتاغون اليَوْم في كلّ بلاد وأقطار العالم العربيّ والإِسْلَاميّ.

وأما شريحة القلة الصّالحة من علمائنا، فهم الساكتون عن الحقّ الشياطين الخرس، أصحاب أعذار الذلة وقلة الأعوان، والرخصة بأن لا يكلف المرء نفسه مالا يطيق.

وهكذا ترك العُلَماء واجبهم في الأمر والنهي والبيان، وتقلبوا بين منازل كتمان الحقّ وأو تبديله وتغيره والشراء بدين الله وعهد الله ثمناً قليلاً.

وهذا نكص العُلَماء عن قيادة الصّحوة، وقعدوا عن قيادة الجِهَاد، فتاهت الصّحوة الإِسْلَاميّة بسببهم، فراحوا يعيبون عليها تيهها ! وخرجت الأُمّة من المَعْرَكة تبعاً لذلك، وكان هذا السبب القاتل في تعطل صمام الصلاح والأمان في الأُمّة من أهمّ أسباب انفراد العدوّ بالجهاديّين وخسارتهم للمعركة،

ب- فساد معظم قيادات مدارس الصّحوة الإِسْلَاميّة:

أحجمت الغالبيّة السَّاحقَة من قيادات الصّحوة عن دخول المَعْرَكة، بل لقد دخلوا بدلا عن ذلك الميادين الّتي رسمها لهم العدوّ نفسه، ليصبح أكبر دعاة الصّحوة، دعاةً للدين الأمريكيّ باسم الدِّيمقراطيَّة والإعتدال، والسعي إلى تبديل المناهج لتنافي العنف والتطرف، وليصبح العديد أكبر رموز الصّحوة جزءاً من مؤسسات السُّلطات المرتدّة الحاكمة الكافرة وللأسف، وزراء ومشرعين في البرلمانات، وجلساء موائد السّلاطين في كلّ مناسبة.

وهكذا ومنذ أواخر الثمانينات ومطلع التسعينات ولاسيما بعد انطلاق النّظام العَالَمِيّ الجَدِيد، وخاصة منذُ انطلاق عالم ما بعد سِبتَمبر، صار معظم قيادات الصّحوة الإِسْلَاميّة من أهمّ مرتكزات ذلك العدوان في تحقيق الغزو الفكريّ، وفي نصرة أوليائه من الحكَّام المرتدّين وأنظمتهم، وفي إنجاح خُطّة عزل الأُمّة عن تأييد المُجَاهدين لهَؤُلَاءِ الأَعدَاء.

ج- انغماس أكثرية الشّعوب الإِسْلَاميّة في الفساد وعدم نصرتهم للمُجَاهدين:

تتميز حياة عامة المُسلِمِين في هذا الزّمان بالبعد عن الله، وفي الانغماس في حياة العبث والفسوق والعصيان، وفي البعد عن طاعة الله، واستحقاق أكثرهم لسخط الله وعقابه، فكيف تنتظر نصرتهم للمُجَاهدين وقيامهم بفريضة جِهَاد أعداء الله ؟!

وقد أسهبت في الفَصل الأوّل في وصف أحوال وواقع المُسلِمِين اليَوْم بما يغني عن التكرار هنا.

والخلاصة أن واقع حياة أكثر المُسلِمِين هو واقع الفسوق والعصيان والجبن والخذلان، والوهن ؛ حب الدُّنيَا وكراهية الموت، بسبب ضلال أمرائهم، وفساد علمائهم، وعجز وتردي أحوال أكثر من يوصفون بقيادات صحوتهم، فأنى لهم أن يرتقوا إلى ذروة سنام الإِسْلَام ليجاهدوا في سبيل الله وينصرون الله ورسوله.

أنى للساهرين عَلى بَرَامج (الفيديو كليب) و(ستار أكاديمي)، أن يدفعوا أعداءهم ؟ أنى لجمهور يتربى عَلى بَرَامج القنوات الفضائية، مثل (روتانا) وأشباهها أن ينصروا دين الله، أنى لهَؤُلَاءِ الّذين نسوا الله فأنساهم أنفسهم أن يقفوا إلى جانب المُجَاهدين ويبذلوا التضحيات ؟!

إن وصف واقع المُسلِمِين المخزي يحتاج للمجلدات الكثيرة، وإن وصف طريق الإصلاح والنجاح يحتاج لبَرَامج جادة لا صلاح ما فسد من أحوال المُسلِمِين في كلّ مجال.

فأكثر المعتقدات فاسدة، وغالب الأفكار ضالة، وسلوك الأكثرية منحرف، والعادات والتقاليد مستوردة من الكفّار، وأكثر المكاسب من الحرام، وقد عم الزنا والفجور، والخلاعة والاختلاط والسفور، وتقنن أكل الربا، وفشا أكل أموال النّاس بالبَاطِل، وظهر الغش والخداع والرَّذِيلة والتبرج. وغدا التسابق في ميادين الميوعة والسفه مألوفا، وصار التيه في ميادين الرفاهية والعبث والبذخ طابع حياة الميسورين، والحسد والضغينة والنِّفَاق طابع أكثر المعوزين.

وصار المصلون في النّاس قلة، وأكثر الصائمين يفطرون في رمضان عَلى موائد المرح والسهر عَلى المعاصي والفوازير وبَرَامج الكفر بالله، وآخر مخترعاتهم فيما أسموه الخيام الرمضانية، حيث تفطر الجموع عَلى ألحان الاوركسترا، وهز بطون الراقصات، والمسابقات الفنية والجوائز، إلى قرب السحر،

حيث يأكلون ما لذ وطاب ثمّ ينقلبون نائمين جيفا، يفتتحون نهارهم بترك صلاة الفجر بعد ما ملؤوا ليلهم بالموبقات !! وصار لا يُؤَدِّي من النّاس الزّكاة إلا أقلهم، ولا يحج فهم رغم الاستطاعة إلا النادر منهم، وأكثرهم نزهة وفخرا وتجارة.

فأين القوم الّذين يسمون (مُسلِمِين)، من حقيقة شهادة أن لَاإِلَٰهَ إِلَّا الله وأركان الإِسْلَام ؟! وأين هم من منازل الإيمان بالله وأسمائه وصفاته، وملائكته وكتبه ورسله ؟! وماذا بقي مما يدل عَلى إيمانهم بالله واليوم الآخر وقضاء الله خيره وشره؟!

ولا يظن ظان، أو يدلس مبطل، أنا نعتقد كفر أمثال هَؤُلَاءِ الفساق من المُسلِمِين، كلا ! ولكنه توصيف لأحوال أتت بهذه النتائج، فهم بشكل عام مُسلِمِين، والله أعلم بحال كلّ منهم، وليسوا إلا ضلالا فجارا مناكيد، أصلحهم الله أو أراح منهم.

وهذه حالة أكثرية المُسلِمِين مع الأسف، وهو ما أخبر بحصوله رسول الله ﷺ في آخر الزّمان، (انظر مسك الختام، في آخر الكتاب)، ومهما تكن هذه الحقيقة مؤلمة ومهما أنكرها وأنكر واقعتها علماء السوء والمَشَايخ العصريون من أصحاب القبة البيضاء وربطة العنق الأوروبية! واللحى المنتوفة، من دعاة الإِسْلَام الأمريكيّ، والجمهور المعجب بـ (ولا ويل) العلامة الحليق المهرج عمرو خالد.

و إلا فما ذا تحتاج هذه الشّعوب الإِسْلَاميّة حتَّى تتحرك ؟!

هل تحتاج جوعاً أكثر مما هيَ فيه حتَّى تتحرك ؟ فهذا أول ما يحرك الإنسان أي إنسان للثورة، وهَؤُلَاءِ لا يخرجون يقاتلون عن جوعهم وجوع أبنائهم !! ولله در أبي ذر رضي الله عنه عندما قَالَ: عجبت لرجل يبات جائعا ولا يخرج بسيفه عَلى النّاس !

أم يحتاجون ذلاً أكثر مما هم فيه، وهم في حالة من الذّل تأباها حتَّى فطرة أكثر الحيوانات، فتجدها تركل وتنطح أو تهبش أو تعض ! إذا ما أوذيت تدافع عن نفسها، وهَؤُلَاءِ لا يتحركون من ذلهم !!

وهل يحتاجون انتهاك للأعراض أكثر مما حصل ويحصل؟! أم هل يحتاجون غزواً خارجياً واحتلالاً ؟! أم عسفاً وظلماً وقهراً ؟! وهل ينقص الأُمّة من كلّ هذا شيء حتَّى تتحرك؟!

والعجيب اليَوْم، أن المظاهرات ومسيرات الرفض لاحتلال بلاد المُسلِمِين من قبل شعوب الكافرين هيَ أكثر مما خرج في بلاد العَرَب والمُسلِمين الّذين غزا الكفرة ديارهم! فهم في أوربّا بالملايين، وفي بلادنا بالآلاف، أو المئات والعشرات غالبا !

بل تندهش لما تجد المصادمات بين عشرات آلاف المتظاهرين في اليابان وكوريا وغيرها مع شرطة بلادهم حتَّى لا يذهب جنودهم لاحتلالنا، في حين ينزل هَؤُلَاءِ الجنود في مطارات بلادنا المجاورة للعراق وفلسطين وغيرها من البلاد المختلفة وينعمون بكل الهدوء والدعة، بل بالترحيب أحياناً لا أقول من الحكَّام فحسب بل من بعض الشّعوب! بل وحتى بالتمتع بعاهراتنا المرخصات بنص القانون والدستور.

وحتى لا يستغرب مستغرب، فقد جاء في الأخبار خبر طريف، مفاده أن مجموعة من راقصات مصر المسجلات رسميا (كفنانات) وعددهن يربو عَلى ٥٠٠٠ راقصة، تظاهرن احتجاجا عَلى سماح الحكومة المصريَّة للراقصات المستوردات من روسيا ودول أوربّا الشرقية، بالعمل في (كباريهات) مصر، لرخص أجورهن، وأكثرهن بالطبع عاهرات كحال تلك المتظاهرات.!!

وقد رد وزير مصري عَلى احتجاج أحد الإِسْلَاميّين عَلى أخذ ضريبة الدخل، من العاهرات المسجلات رسميا، فقال الوزير باللهجة المصريَّة: (**ما هيه بتكسب ؟ والقانون عندنا بيقول: في كلّ كسب ضريبة!!**).

وتحتج منظمات حقوق الإنسان الكافرة العلمانيّة الأجنبيّة عَلى منع المسلمات من الحجاب في فرنسا، غيرة عَلى الحريَّة الشَّخصيَّة، ويقوم كبير علماء المُسلِمِين شيخ الأزهر في مصر، المنكوس طنطاوي ليفتي بأن منع الحجاب شأن فرنسي داخلي لدولة ذات سيادة ولا يجوز التدخل به!! وأن الحجاب واجب عَلى المسلمات في بلاد المُسلِمِين وليس في البلاد الأجنبيّة !! ثمّ يعتمد حسني مبارك هذه الفتوى في خطابه، ويطلب من المُسلِمِين في فرنسا الموضوعية والحوار! لا بارك الله فيه ولا في شيخه الحمار،

أنّنا اليَوْم من أمة وقف كبير هيئة كبار علمائها ابن باز يفتي بجواز بالتطبيع مع اليَهُوْد، حتَّى قام (بيريز) في الكنيست ينوه باعتداله ويثني عليه، وأعضاء الكنيست من الحاخامات والمجرمين يصفقون له!

وهاهي مآسي الإنتفاضة في فِلَسطِين لم تقدم لها الأُمّة إلا بضع تظاهرات ما لبثت أن قمعت، ولم تتكرر، ثمّ تكرر المشهد في احتلال العراق!! ومن قبل ذلك ذبحت البوسنة أمام سمع المُسلِمِين وبصرهم، واغتصبت أكثر من ٦٠٠٠٠ مسلمة، وضعت منهن من الزنا ٣٠٠٠٠ ابن سفاح، أخذتهم مؤسسات التنصير ! في حين كانَ الحوار دائرا عَلَى صفحات جريدة (المُسلِمُون) السّعُودِيّة حول جواز أن تضرب المغتصبة بطنها حتَّى تسقط جنينها، وحرمة وحل ذلك !! والشِّيشَان، وكشمير، ووزيرستان..و !!

وهاهي الفضائيَّات اليَوْم تضع الأحداث بحذافيرها في كلّ بيت من بيوت المُسلِمِين، فماذا تحتاج هذه الشّعوب حتَّى تتحرك ؟!

فهل يرجى من مثل هذه الشّعوب اليَوْم نصرة لدين الله حتَّى ينصرها الله تَعَالَى، وهو القائل ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرۡكُمۡ وَيُثَبِّتۡ أَقۡدَامَكُمۡ ۝٧﴾ [محمد]﴿فَمَالِ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلۡقَوۡمِ لَا يَكَادُونَ يَفۡقَهُونَ حَدِيثٗا ۝٧٨﴾ [النساء] ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلۡقُرۡءَانَ أَمۡ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقۡفَالُهَآ ۝٢٤﴾؟![محمد] والله إن عَلَى أكثر القلوب اليَوْم أقفالها وسلاسلها ﴿كَلَّاۖ بَلۡۜ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ۝١٤﴾ [المطففين] ونعوذ بالله من أسباب سخطه.

ذات يوم سألت أحد قادة جماعة الجِهَاد في مصر، أيّام جمعنا الجِهَاد ضدّ الرُّوس في أفغانستان؛ لم فشل الجِهَاد في مصر؟ فقال: (يا أخي أنت تعرف أن من أهمّ مقوّمات حرب العِصَابات معطيات الأرض ومعطيات الشعب، والمشكلة عندنا في مصر، أن الأرض مسطحة والشعب المصري أيضاً شعب مسطح، فكيف تقوم حرب عِصَابات جهاديّة ؟!)، ومع العذر من صلحاء المُسلِمِين في مصر وأرجو أن لا يحزنوا لهذا الشاهد، لقد أثبتت كلّ الشّعوب في مصر كما في غيرها، أنهم شعوب مسطحة، قد سطح حكامُها علماءَها وصحوتَها بالسيف والسوط والذهب، وسطحت الصّحوة والعُلَماء شعوبَها، فلم يبرز فيها مقاوماً إلا قلة ممن أنعم الله عليهم.

وها هيَ بلدي العزيزة سوريا المنكوبة، بلاد الشّام، عقر دار الإِسْلَام، قد حول النصيرية عاصمتها دمشق إلى ماخور للزناة باسم السياحة، لتوفر الاستجمام لعرابيد الزناة القادمين من أطراف الأرض ولاسيما من دول الجوار، كي لا يتكبدوا عناء السفر إلى بانكوك، ويضربوا لها أكباد الـ(بوينغ)، ولا داعي لمزيد من الإحراج !

وقل مثل ذلك عن المغرب، وتركيا، وفنادق دبي، ومواخير جزر المالديف، وغيرها وصولا إلى جَزيرَة بالي الأندونيسية !

وتبقى الحقيقة كما قَالَ تَعَالَى:

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡۗ وَإِذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ سُوٓءٗا فَلَا مَرَدَّ لَهُۥۚ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَالٍ ﴿١١﴾ ﴾ [الرعد] إن الحقيقة المرة تثبت كلّ يوم، أنه لم يعد لأكثر المُسلِمِين من الإِسْلَام إلا اسمه ومن الدّين إلا رسمه، ولم يعد من المُسلِمِين، على ما كانَ عليه رسول الله ﷺ وأصحابه، ممن وصفهم بالفرقة النَّاجِيَة إلا القلة، ولا ينتسب إلى طائفتهم المَنصُورَة المُجَاهدة الّتي تقاتل عَلى هذا الدّين إلا قليل الآخرين من الرّجال والنِّسَاء المتناثرين هنا وهناك يعبدون الله قابضين عَلى الجمر معزولين متهمين مطاردين، فأنى لمثل هذه الشّعوب أن تنصر الله ورسوله، وأن تجاهد مع المُجَاهدين ؟!

رغم أَنّي لا أنسى أن أنوه بكثرة المقهورين الرافضين لهذه الأحوال، المحصورين لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلاً، يطيعون الله في أنفسهم، ويجأرون إلى الله من جور الحكّام وحصار فتاوى العُلَماء الضالين لهم، ففرج الله كربتهم، ولكن ما وصفت هو حال الأكثرية السّاحقَة.

فهناك حقيقة مؤلمة يجب الإشارة إليها ؛ وهي أن انتصار المُجَاهدين علىَ الأعداَء، وانتصار الجهاديّين في مشاريعهم وتحقيقهم أهدافهم بالحكم بما أنزل الله، هو في حقيقته انتصار للأمة والشّعوب، ونعمة من الله عليها لما تستأهل ذلك أحوالها.

فهل أحوال هذه الشّعوب المسماة (إسلاميّة) اليَوْم، تستأهل فرج الله بنصر طليعتهم المُجَاهدة لتعمهم هذه النعمة ؟ اللّهم كلا!

وهل أحوال علمائهم وقادة صحوتهم، تستأهل مثل فرج الله هذا ونصره لهذه الأمّة؟ اللّهم كلا!

وهل واقع حكامهم المرتدّين الظّالمين الكافرين الفاسقين يستأهل الفرج والعون ؟ اللّهم كلا!

وأعتقد أن هذا يفسر ما نحن فيه ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٖ لِّلۡعَبِيدِ ٤٦﴾ [فصلت: ٤٦]

وهكذا انتصر معظم الجهاديّين حيث قام جِهَاد نصراً خاصاً بهم، لقد استشهدوا ولاقوا ربّهم شهداء ﴿فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦ وَيَسۡتَبۡشِرُونَ بِٱلَّذِينَ لَمۡ يَلۡحَقُواْ بِهِم مِّنۡ خَلۡفِهِمۡ أَلَّا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ١٧٠﴾ [آل عمران]**، إن شاء الله تَعَالَى.**

لقد أعطى الله المقبولين المخلصين منهم النّصر الأعظم، وقربهم إليه، وخلصهم من هذا الواقع المنكود.

فالنّصر الظَّاهِر المشهود، بهزيمة الأعداء الكافرين، وانهيار الطغاة المرتدّين، واندحار الظُّلمة والفاسقين، وتحكيم شرع ربّ العَالمِيّن في الأمّة ؛ هو نعمة تتنزل من الله علىَ هذه الشّعوب لما تستأهلها وهذا ما تقتضيه السنن، وتدل عليه شواهد التّاريخ.

لقد عم الخطب والعطب، ونحن نسير إلى أن يعم الظُّلم والفساد الأرض ومن عليها حتَّى يقيض الله لها الّذي يملؤها قسطاً وعدلاً بعد أن سارت وتسير اليَوْم لتمتلئ ظلماً وجورا، وهكذا وقف المُجَاهدون في سبيل الله وحيدين في ساحة المُوَاجَهة وخسروا معاركهم وهزموا في مواجهاتهم، وهذا الوصف ليس عذراً الأحد كي يقول ؛ إذن ما الفائدة في الجِهَاد إذا كانت أحوال الأُمّة تستأهل الهزيمة؟

فهذه الفكرة نزغة شيطان ونفس ضعيفة، وهذا يوضحه أمران:

أولها: أن الجِهَاد فريضة متعينة اليَوْم، وهي عبادة شخصية، عَلى كلّ فرد مسلم أن يؤديها، طائعة نفسه أم كارهة، مثلها مثل الصّلاة والزّكاة والصّيام وكل عبادة، فهو مثاب عَلى أدائها، مآخذ عَلى تركها، آثم بالإعراض عنها، كافر بجحودها.

بل إن مُوَاجَهة صائل الكافرين والمرتدّين وأعوانهم اليَوْم آكد في فرضيته من كلّ الفرائض بعد توحيد الله كما سبق وأسلفنا البراهين في الفَصل الثّاني.

والأمر الثّاني: أن أداء المُجَاهدين لهذه الفريضة يحرك مكامن الصلاح في قطاع الصّحوة وقواعدها، ثمّ في قادتها وعلمائها، ثمّ يبدأ مسار الصلاح حتَّى يتعدى عبر طريق التضحيات الجسام،

ومسار العذاب، والثَّمن الّذي يجب أن تدفعه الأُمّة، فيسري الصلاح، وتبدأ الأُمّة خطاها الصَّحِيحة إلى أن تستأهل نصر الله.

وما أظن إلا أن يشاء ربي، أن تنصر الأُمّة ويتنزل بها الفرج، وتعلوا راية دينها وتحكم شريعة ربها، لمجرد تضحيات من سموا إلى علا المجد، وارتقوا إلى مستويات الشَّهَادة من الاستشهاديين والمقاومين هنا وهناك، من أولئك الّذين يقدمون أنفسهم قرابين لهذا الدّين حيث وفقهم الله.

إن هَؤُلَاءِ يتتصرون نصراً شخصياً ذاتياً عاجلاً، ويمهدون الطّريق لنصر الأُمّة، لما تتحرك الأُمّة! بفعل عمل متراكم سيأخذ زمناً طويلا، عَلَى مسار مرير تعطره دماء الشّهداء، وترويه دموع الأيّامى والثاكلات، وتحدوه آهات المعذبين المضحين في سبيل دينهم وأمتهم.

لا أقول دماء آلاف، ولا مئات آلاف، وإنما دماء ملايين الشّهداء من هذه الأُمّة، حتَّى نستأهل الفرج والنّصر والظفر، ونستأهل موعود الله.

لقد قدم زهرة شباب جيلنا وسعهم، وقدمنا معهم وسعنا، والحَمْدُ لله ونسأله القبول.

أذكر الآن أنني عندما كنا في كابل أيّام طالبان، لطالما ردّدت عَلَى مسامع زوجتي، وهي تودعني عَلَى باب الدار باكية وقد أحضرتْ أطفالي الأربعة لأقبّلهم قبل أن أخرج إلى خط القِتَال الطاحن قرب كابل الّتي كنا نسكنها وندافع عنها، حيث يُسمع دوي القنابل، وأزيز رصاص المعارك من البيت الّذي يبعد ١٢ كيلومتر فقط عن ساحتها ! فأقول لها:

إنه ليعز علي بكاؤك، ويقطع قلبي هذه النَّظرة الحائرة في عيون الصغار، ولكني راض مرتاح الضمير لأني أعلم أن خروجي وخروج أمثالي، سيجعل دموعك ودموع مثيلاتك تختصر وتوفر علينا دموع ملايين الباكيات القادمات، وهذه الحسرة في عيون أبنائي ستوفر عَلَى ملايين أطفال المُسلِمِين تجرع مرارة اليتم ولوعة التَّشريد إن شاء الله، أنّنا نحمل عن الأُمّة عبئ مصائبها لعلها تُختصر عليهم.

وكم مرّة انسللت من فراشي قبيل أذان الفجر لأتابع أعمالي في التّدريب والإِعداد والرِّباط، فتمسك زوجتي بِكمي قائلة: انتظر واصبر قليلا فالوقت مبكر جدا، فأقول لها: لو علمت أن أعداءنا ينامون ويُنظِروننا لانتظرت، ولكنهم دائبون في حربنا ولسنا أقل منهم، وقدوتنا ﷺ من قَالَ الله له:

﴿وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ مَقَاعِدَ لِلْقِتَالِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٢١﴾﴾ [آل عمران]

فقاتل الله الرياء، وأعوذ بالله من الفخر، وما أذكر هذا من كثير من الذكريات العزيزة إلا لتحفيز المُسلِمِين بإعلامهم بأحوالنا، وتشويقهم إليها، ولأنها صور رائعة قرأنا عن مثيلاتها في أخبار من سلف فحفزتنا، ثمّ عشناها – والحَمْدُ لله – فأود أن أصفها لمن فاته فلعلهم يتحفزون.

وإلا فأنا أقل من أعرف من المُجَاهدين حالا وسعيا وقد خاب من افترى، ولا أقول إلا ما كانَ يقوله السُّلطَان المُجَاهد نور الدّين زنكي (الشّامي – الحلبي)، لما كانَ يرى رحيل الشّهداء من حوله في جِهَاد الصّليبيّين، فيتحسر ويقول: (**لو كانَ لله بي حاجة لأخذني، وإنما الأعمال بالنيات**)، وكم أنا حقيق بهذا القول وقد مضى جلُّ من أعرف ومن أعددتهم للجِهَاد وبوأتهم مقاعد للقتال، أو صحبتهم فيه !

و لكني كاتب وعليَّ أمانة، ولو كانَ من أعرف من المُجَاهدين المخلصين كتابا وأدباء، وكتبوا عن أحوالهم، لأطاروا البَاب من كانَ له قلب أو ألقى السّمع وهو شهيد، فليس هذا محل فخر، وأي فخر ؟! وهل يمكن لرجل من هذه الأُمّة أن يرفع رأسا بفخر، وقد خرج صبايا المُسلِمِين ونساؤهم يفجرن أنفسهن باليَهُوْد في فِلَسطِين وبالرُّوس في الشِّيشَان؟!! ألا لا نامت أعين الجبناء، ولا تهنأ القاعدون عَلَى فراش، ولا متع الله الخونة بطعام ولا شراب ولا ولد.

نعم.. لقد خرج ابراهيم ذات يوم من مخبئه ليلا يتجول في أحياء الكوفة متخفيا، وكان قد خرج وأخوه محمّد الملقب بالنّفس الزكية وهما إمامان جليلان من آل البيت – عليهم رضوان الله – خرجوا عَلَى أبي جعفر المنصور يقاتلون عماله الظُّلمة في المدينة والكوفة، ثمّ تواريا اختفيا عن أنظار عماله وجواسيسه.

فرأى ابراهيم ذات ليلة وقد خرج يتجول امرأة تنبش في المزبلة، وتأخذ منها طائرا ميتا، فسألها عنه، فقالت أنها ستطعمه أيتاما عندها، فقال لها: قد علمتِ أنه ميتة حرام، فقالت له: قد حلَّت لنا.

فبكى ﵁ وقال لها: **إن أمثالك سيخرجونني غدا لتضرب عنقي !**

وهذا ما كانَ، ولم يكف خروجه لحل المشكل ! فخرج وقتل شهيداً ﵀.

ومثل هذا بل أشنع منه هو الّذي أخرجنا لتضرب أعناقنا، ولنتلظى بحر دمع نسائنا، وحرمان أطفالنا. وليس عندنا لهم إلا قول الله تعَالَى: ﴿ إِنَّ وَلِـِّۧيَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي نَزَّلَ ٱلۡكِتَٰبَۖ وَهُوَ يَتَوَلَّى ٱلصَّٰلِحِينَ ١٩٦ ﴾ [الأعراف] عملا

بأمره سبحانه: ﴿وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافًا خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ۝٩﴾ [النساء] وليس عندي قول أسدُّ مما أسلفت، عندما يسألنا النّاس لمن نترك أهلنا ؟!

ولكن هل كفت جهودنا وجهود أمثالنا لحل المشكل ؟ بل المشاكل المتراكمة من الكفر والمظالم؟!

لا، لم تكف، لم تكف جهود أمثالنا، وليست بكافية والله أعلم.

إن جيلنا هذا ومن سيأتي بعدهم، سيدفعون فواتير هائلة من تبعات القعود والنكوص ومسار الفساد في كلّ منحى عبر مئات السنين الّتي مضت، وخاصة في هذا القرن الأخير، حتَّى وصلنا إلى ما وصلنا إليه اليَوْم من حال أسود لا يرضي الله ولا يرضي رسوله ﷺ ولا المُؤمِنِين.

ومهما ظن الظانون من المصلحين المزعومين، والعُلَماء الواهمين القاعدين ؛ مهما ظنوا وزعموا، أن حملاتهم العَالمِيّة الكلامية لدحر العدوان ستحل المشكل، وأنه بغير الجِهَاد والتضحيات يمكن للأمة أن تنهض، فهم واهمون، لأنّهم تركوا مقتضى شواهد كتاب الله وسنة نبيه ﷺ ودروس التّاريخ، وراحوا يبحثون عن الحلول في متاهات الفكر والفلسفات الضالة !!

بل العجب أنهم يبحثون عن نصرة دين الله في ميادين سخطه والشرك به !! في أجهزة حكم السّلاطين ! وإدارات المحتلين الغُزَاة الكافرين ! وبحمل أفكارهم ودعوتهم، ولله الأمر من قبل ومن بعد.

والله غالب علىَ أمره ولكن المُنَافِقين لا يعلمون.

وهكذا تضافرت الأسباب الخارجيّة الثّلاثة ؛ قوة بأس الأَعدَاء وهجمتهم، وفساد أحوال أكثر العُلَماء والدعاة ونخبتهم، ثمّ انتكاس أحوال غالبية الشّعوب المسلمة، لتكون سبباً رئيسياً في عدم حصول النّصر والفرج وعدم انتصار مشروع الجهاديّين، وعدم تحقيق أهدافهم.

لقد ُخذل ذلك الرهط المبارك، وأحيط به، وخسر المعارك والحُرُوب السالفة، وفي موعود الله أمل فيما نستقبل من أيّام إن شاء الله.

ولكن هل لنا بصفتنا جهاديّين أن نلقى أسباب الخسارة والهزائم والفشل المتكرر فقط عَلى تلك الأسباب الخارجيّة آنفة الذكر؟! كلا!! هناك أسباب داخليَّة خاصّة بالتّيار الجهاديّ ذاته، بسبب القصور والخال الّذي اعتراه، ساهمت بشكل رئيسي في النتائج الّتي حصلت، وهو ما سنتناوله في هذا الفَصل، إن شاء الله.

وقبل أن نخوض في وجوه الخلل وأسباب الفشل الداخليَّة في التّيار الجهاديّ يجدر بنا أن نذكر إيجابيات ذلك التّيار وإنجازاته عبر تلك السنين العامرة بالإنجازات والتضحيات.

الحصاد الإيجابي وإنجازات التّيار الجهاديّ في أربعين عاماً مضت:

على مدى أربعين سنة من تراكم الجهود والبذل والعطاء، لمختلف الجماعات والتّنظِيمات والأفراد في مختلف أنحاء العالم العربيّ والإِسْلَاميّ، أنجز الجهاديّون إنجازات عظيمة، وحققوا انتصارات كثيرة تسجل في سجلهم المشرف، وإن كانوا قد فشلوا في الوصول إلى الأهداف النّهائيّة الّتي وضعوها لأنفسهم كما أسلفنا، ويمكن تصنيف هذه الإنجازات في المناحي التّالية:

١ - الإنجازات الفكريّة والمنهجيّة:

فقد استطاع التّيار الجهاديّ عبر علمائه وقادته ومفكريه، وعبر مجموع الجهود الأدبية والإعلاميَّة المختلفة، أن يقدموا التّيار الجهاديّ كمدرسة رئيسيَّة ومتميزة في الصّحوة الإِسْلَاميّة المعاصرة، وتمكنوا من تحديد ملامح منهجها، عبر الكتب والمُؤلّفات والمحاضرات، وأن يخطوا بمداد أولئك العُلَماء والمفكرين والقادة معالم الطّريق للسائرين خلفهم عَلى ذلك الدّرب المنير، وقد أضفت دماء آلاف الشّهداء ممن قدموا أرواحهم في سبيل الله في مختلف الميادين عَلى تلك الأفكار وذلك المنهج حياة، وجعلوا لها نماذج وقدوة يستلهمها السائرون إلى مرضاة الله عَلى طريقتهم.

٢ - الإنجازات الدعوية والجمهور:

وبفضل الله أولاً، ثمّ بفضل تلك التَّجَارب، وما قدم الشّهداء والصابرون في سبيل الله عَلى ذلك الدّرب، وما لعبه التراث الفكريّ والجهود الإعلاميَّة والدعوية للجهاديّين عَلى مختلف الأصعدة،

وعلى مدى تلك العقود الأربعة الماضية، صار للجهاديّين جمهور متميز في الأُمّة عامة وفي الصّحوة خاصّة، وصارت عطاءاتهم مثلاً ونبراساً لكل المسارعين الآيبين إلى ربّهم من جموع هذه الأُمّة.

٣ - الإنجازات العسكريّة:

وهي الجانب البارز والملموس من إنجازات الجهاديّين، فقد استطاع المُجَاهدون في سبيل الله في هذا الزّمان سواءً من الجهاديّين من التّيار الجهاديّ، أومن مختلف مكوّنات الظّاهِرة الجهاديّة من المُجَاهدين لأعداء الله الخارجين والمحليين، وعلى مختلف الأصعدة الجماعية والفرديَّة، استطاعوا أن يكتبوا بدمائهم وبعناء أسراهم والمشردين في سبيل الله منهم، أن يقدموا إنجازات لا يستهان بها في المجال العسكريّ.

فقد قدمت بعض التَّجَارب نموذجاً للثورات المستمرة الطويلة المدى، كتلك الّتي حصلت في سوريا والجَزَائِر وطاجيكستان، وقدموا نماذج لمواجهات نوعية واستطاعوا أن يطيحوا بالعديد من رؤوس الكفر ومرتكزات الأَعدَاء.

فقد تمكن المُجَاهدون من إعدام الكثير من أعداء الله من الطواغيت، كانَ فهم الرؤساء والوزراء وكبار أعوان الطواغيت وصغارهم، واستطاع جند الله المُجَاهدون أن يردوا صاع العدوان بما يكافئوه في بلدان عديدة.

كما استطاعوا الجهاديّون أن يلعبوا دوراً هاماً في مُوَاجَهة الهجمة الصّليبيّة المعاصرة عَلى المُسلِمِين في عدد من القضايا، كانَ من أهمّها الدَّور الّذي لعبوه في الجِهَاد في كلّ ساحات المواجهات المفتوحة مع الأَعدَاء الخارجين، من الفلبين إلى إندونيسيا إلى كشمير إلى إريتريا إلى الصّومال، إلى العراق حاليا. وكان من أبرزها وأهمّها ما قدمه الجهاديّون من مشاركتهم الظافرة في الجِهَاد في الشِّيشَان ضدّ الملاحدة الرُّوس، حيث ما تزال المَعْرَكة مستمرة، وكذلك بلاؤهم الحسن في البوسنة ضدّ الصّليبيّين الصّرب والكروات المدعومين من مختلف القوى الصّليبيّة العَالَمِيّة حيث تمكنوا من إجهاض مشروع الإبادة الّذي استهدف المُسلِمِين هناك.

ولكن نجاحهم الأكبر كانَ في المشاركة في الجِهَاد في ساحة أفغانستان حيث استطاعوا أن يطيحوا بنظام حكم شيوعي دموي عميل، ثمّ أن يطيحوا تبعاً لذلك بالدّولة العظمى الكبرى (الإتحاد السُّوفيتيّ) ويفككوا أوصالها ويطووا علمها، ويجعلوها أثراً بعد عين، حيث أسفرت تلك الجهود عن ولادة نواة لدار الإِسْلَام من جديد، بقيام الإمارة الإِسْلَاميّة في أفغانستان، وتنصيب أمير للمؤمنين، رغم كلّ محاولات المنع والإجهاض، حيث قدمت الإمارة وأميرها عَلى مدى ٦ سنين نموذجاً للحكم بالشّريعة رغم أنف النّظام العَالَمِيّ الجَدِيد، ونموذجاً للحصن الّذي يمتنع به المُؤمِنُون ويعيشون حياتهم وفق قواعد دينهم وأوامر ربّهم، ثمّ ما كانَ من النموذج الفذ الّذي أفتتح به المُجَاهدون القرن الحادي والعشرين قرن أمريكا المزعوم، بنقل المُوَاجَهة إلى عقر قلبها النابض.

ثمّ كانَ صمود المُجَاهدين الأبطال من الأفغان العَرَب في معارك أفغانستان وساحات المُوَاجَهة المفتوحة مع القوى العظمى وأتباعها عبر العالم فيما أسموه بالحَرب العَالَمِيّة عَلى الإِرهَاب.

وهاهم المُجَاهدون ثمّ ما تبع ذلك اليَوْم يتابعون في ساحات المُوَاجَهة مع الصّليبيّن وأعوانهم في أكثر من مجال، وهاهي ساحة الجِهَاد في العراق مستعرة وبوارق الأمل في أكثر من مكان قادمة، وإن غداً لناظرة قريب.

وسيستمر العطاء والإنجازات العسكريّة الجهاديّة حتَّى يتحقق موعود الله لهذه الأُمّة بالظفر والتمكين ورفع رايات هذا الدّين إن شاء الله تَعَالَى.

وقد حفل ذلك المسار الطويل من المواجهات عبر ما يزيد عَلى أربعين سنة، بآلاف المعارك والمواجهات، الّتي أثبت فيها أولئك الأبطال لأعداء الله من الداخل والخارج أنه ورغم مرحلة الانحطاط الّتي يعيشها عموم المُسلِمين، إلا أن معجزة رسول الله ﷺ وإخباره بأنه ما تزال عِصَابة من أمته ظاهرين عَلى الحقّ، لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم حتَّى يأتي أمر الله وهم عَلى ذلك، هيَ معجزة مستمرة، وما تزال متحققة، ولها رجالها حتَّى في أسود مراحل تاريخ هذه الأُمّة، ولو عرف الجهاديّون كما ينبغي قدر تراثهم وقيمة تاريخهم وتجاربهم، وشمر القادرون فيهم عن ساعد الجد لكتابة ذلك التراث المجيد، لخلفوا لهذه الأُمّة تراثاً مجيداً زاخراً بتاريخ التَّجَارب، وعبر الدُّروس، وقصص

الأبطال الميامين، ونماذج الشّهداء الربانيين والمُجَاهدين الصابرين، ولكن وللأسف لقد طوت الأيّام تلك الصّحف، واندثرت عبر الأيّام كثير من القصص الرائعة والنماذج الفريدة، فرحم الله أصحابها وأجزل لهم المثوبة، وكما قَالَ عمر رضي الله عنه عندما سأل عن شهداء الفتوح فقصوا عليه قصص من عرفوا، ثمّ قالوا وآخرين لم يعرفهم أحد، فقال رضي الله عنه ما ضرهم أن لم يعرفهم النّاس إذ عرفهم الله تَعَالَى.

٤ - الإنجازات السّياسيّة:

رغم أن الهدف النّهائيّ الّذي رفعه الجهاديّون وهو إسقاط أنظمة الجَاهِليَّة وإقامة النّظام الإِسْلَاميّ عَلى أنقاضها لم يتحقق في كافّة الساحات الّتي عملوا بها كافّة، ولكن وعلى طريق ذلك الهدف وإلى جانب تلك المسارات، حقق الجهاديّون إنجازات سياسيّة كثيرة، من أهمّها:

- تهديد مشاريع أنظمة الحكم الجَاهِليَّة، وكشف بطلانها ونزع الشَّرعيَّة عنها.
- فضح مشاريع التطبيع مع اليَهُوْد والغرب الّذي سعت فيه الأنظمة الّتي همت بذلك، ولاسيما مشاريع التغريب ونشر الإِسْلَام عَلى الطَّريقة الصّليبيّة.
- كذلك استطاع الجهاديّون مُوَاجَهة انحرافات الصّحوة منهجياً وعملياً وإعلامياً.
- واستطاعوا بفضل الله، الإثبات للغزاة المحتلين أن الأُمّة رغم انهيارها ليست لقمة سائغة.

و من الإنجازات السّياسيّة الّتي تتضافر نتائجها مع الوقت حتَّى توافق قدر الله تَعَالَى في قيام المؤهلين لتحقيق الإنجاز الأكبر في إقامة نواة دار الإِسْلَام الزائلة والدّفاع عنها وتوسيع رقعتها حتَّى تقوم الخِلافَة الرّاشدة الموعودة الّتي بشر بها رسول الله ﷺ وهي لا شَّكَّ ولا ريب قائمة وآتية وعبر الجِهَاد ولا شَّكَّ وليس عبر الحوار والمنتديات الإلكترونية ولا المعارك البرلمانية.

فإن الجد لا يولد من العبث، والحق لا يولد من الضلال، والفضيلة لا تتأتى عن طرق الرَّذِيلة، وصدق رسول الله ﷺ: «بُعِثْتُ بَيْنَ يَدَي السَّاعَةِ بِالسَّيْفِ حَتَّى يُعْبَدَ اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَجُعِلَ رِزْقِي تَحْتَ ظِلِّ رُمْحِي، وَجُعِلَ الذِّلَّةُ وَالصَّغَارُ عَلَى مَنْ خَالَفَ أَمْرِي، وَمَنْ تَشَبَّهَ بِقَوْمٍ فَهُوَ مِنْهُمْ»[1].

---

(١) رواه أحمد (٥١١٤، ٥١١٥، ٥٦٦٧) وضعّفه الأرنؤوط، وصححه شاكر، وأورده الألباني في صحيح الجامع- (٢٨٣١) ولأطراف الحديث شواهد في البخاري.

الأخطاء والثغرات والحصاد السلبي للتيار الجهاديّ عبر أربعين عاماً:

قد يسأل سائل؛ إذا كنتم تعتقدون بأن التّيار الجهاديّ قد تمكن من كلّ تلك الإنجازات الّتي وردت في الفقرة السالفة؟ فلم ذكر الأخطاء إذن، وأقول: أن ذلك بقصد العافية، وكما قَالَ المتنبي:

ولمْ أرَ في عُيُوبِ النَّاسِ عَيْبَاً ✿ كَنَقْصِ القَادِرِينَ عَلى التَّمَامِ

ولكي نقترب أكثر من تحقيق الهدف المنشود الّذي انطلق الجهاديّون من أجله، وهذا لا يكون إلا بالتصحيح والتطوير وتحسين المسار بعد توفيق الله.

وقد يعترض معترض بأن في سرد العيوب والنقائص كشف للأسرار والعورات مما قد يفيد العدوّ، وأقول بأن هذه الثغرات معروفة للعدو وللأسف أكثر مما هيَ معروفه لأبناء الصف ذاته، وهم المعنيين بالإصلاح فيه، فليس فيها كشف سر، لاسيما وأن أكثرها دُروس قد مضت ومضى أصحابها، والحَمْدُ لله الّذي لا يحمد عَلى مكروه سواه، ولم يترك علماء السّلاطين وأجهزة إعلام الطواغيت والأجهزة العَالَمِيّة نقيصة حقيقية أو مختلقة، إلا ونسبتها إلينا لتشويه سمعتنا.

ونحن نذكر هذه الأخطاء لتفاديها وإصلاحها، ونذكر الأساليب البالية المستهلكة من أجل تبديلها، كما نذكر تلك المفاهيم الخاطئة ومعظمها طارئ عَلى التّيار الجهاديّ كي يتم تصحيحها، وهي معرفةً واجبة حتَّى عَلى قواعد التّيار الجهاديّ فضلاً عن كوادرهم والكبار منهم، وهذا لا يكون همساً ولا سراً.

إن عمليه النقد الهادف يجب أن تمارس في جو من الحريَّة والصدق والمصداقية والمصارحة، بين قيادات واعية وقواعد تستأهل المشاركة في المعرفة، لأَنّهم رجال.. رجال في قمة الرجولة، امتلكوا القرار بالمُوَاجَهة في زمن نكصت فيه الهمم، فلا يجوز أن يزج بهم ويضحى بهم، وفق أساليب بالية جربت وثبت فشلها، أو مفاهيم خاطئة أدت إلى الفشل بل إلى الكوارث أحياناً.

إن العلاج من الأمراض يمر بثلاث مراحل أساسية، بعد التوكل عَلى الله وطلب العافية والشفاء منه.

أولها: الاعتراف بحالة المرض ونية العلاج.

وثانيها: مراجعة الطبيب الثقة الأمين المؤمن، وكشف العيوب والعلل والنقائص عليه، بلا وجل ولا استحياء منها، حتَّى ولو كانت فيما يستحيا منه من العورات.

وثالثها: تناول الدَّواء ولو كانَ مرا، بهمة وصدق وعزيمة عَلى بلوغ العافية.

إن هذه المراحل يجب أن يقوم المعنيون بأمر شفاء العمل الجهاديّ من علله بها، وكذلك عَلى مستوى الصّحوة كلها، مدرسة مدرسة، وجماعة جماعة، وعلى مستوى المسؤوليّة الكلية عن الصّحوة، وبدون هذه الموضوعية لا يتم - والله أعلم - شفاء، لأنها السنن الّتي لا تحابي أحداً.

فما الفائدة في أن يأخذ الأبوان ولدهما المريض للاستشفاء من مرض عضال يكاد يأتي عَلى بدنه، ثمّ لما يسأل الطبيب عن بأسه، يبدؤون بتعداد خصاله الحميدة ! ولما يسألهم عن علته، لا يذكرونها أو يذكرون بعضها ويخفون بعضها، حباً وحناناً ولدوافع كلها طيبة!

إن مثل هذا الولد مرشح للفناء إن لم تتداركه رحمة الله، لأن الحنان والحب الّذي مورس عليه هو من النوع القاتل، حنان جاهل ومتخلف.

وقد يكون لفت النَّظر إلى العيوب والنقائص من خارج الصف مزعجاً، بل قد يكون مرفوضاً إذا ولد شعوراً بنية غير صالحة، فلو قَالَ لك الطبيب أن ولدك قد ألم به (الجرب)، ستتألم وتتقبلها بصدر رحب وتسأله عن العلاج وتنفذه، ولو كانَ الطبيب صديق من الأسرة لكان أهون لأنك متأكد من العطف وحسن القصد، وهذا غير أن يقول لك جارك البعيد أن (ابنك جربان)! ستجد نفسك متحفزا لرفض الملاحظة، وربما أعدت إليه صفة الجرب، وإلى نصيحته ولم تتقبلها منه.

إن عمليه عرض النقائص والثغرات يجب أن تتم داخلياً وعلى مستوى كلّ تجمع ومدرسة والفقير إليه تَعَالَى ولله الحمد، واحد من أبناء هذا التّيار الجهاديّ، وهو من بقية من تبقى من جيل قد تحطم وقضى أكثره، وأسأل الله أن يكون ذلك لخير أراده الله لمزيد من العطاء ولأداء الأمانة وليس لأنا سقطنا من عينه تبارك وتعالى فلم يختارنا فيمن اختار.

ولطالما كنت وما زلت محامياً ومدافعاً وبكل حماس بل وشراسة أحياناً عن هذا التّيار ورجاله وأعماله، وذلك في مواجهات غارات الخصوم من أعداء هذه المدرسة المباركة (التّيار الجهاديّ)، وفيما

كتبت وحاضرت أكبر برهان عَلى ذلك ولله الحمد، ولكني هنا لست في ذاك المقام، أَنّي هنا في مقام النصيحة الداخليَّة، والنقد البناء لمدرستنا وعملنا وطريقتنا، بنية استنباط طرق أقرب للصحة والصواب بحسب ما أعتقد، والله الموفق وهو يهدى السبيل.

وهو ما سأحاول استخراجه بحسب ما يوفق الله تَعَالَى في الجزء الثّاني من هذا الكتاب، إن شاء الله تَعَالَى.

لقد انتقدنا نحن- معشر الجهاديّين - مدارس العمل غير الإِسْلَاميّ الأخرى، ورفضنا ها، ووقفنا منها موقف الرفض والعداء، ثمّ انتقدنا كافّة مدارس الصّحوة الإِسْلَاميّة غير الجهاديّة، من دعوية وإصلاحية، وإخوانية، وسلفية، وغيرها، بدافع التناصح ومن خلال حقنا كأعضاء في عموم الصّحوة، لنثبت أن الجِهَاد هو الحل، أو من باب دفع الغارة المغرضة.

الآن جاء دورنا لنضع أنفسنا أمام المرآة، ونراجع أعمالنا ونتائجها، ونحاسب أنفسنا قبل أن نحاسب، ولنزن أعمالنا قبل أن توزن علينا، قبل أن يحاسبنا الله تَعَالَى عَلى التقصير في المراجعة والعبرة من أنفسنا وغيرنا، وقبل أن تحاسبنا الأجيال والأُمّة، ولاسيما من يأتي بعدنا لأَنّنَا لم نبصرهم بأخطاء مرحلة مرت، ولم نعطهم دُروس تجارب دفعنا زكي الدِّماء ثمناً لها.

ويجب أن نزن أعمالنا بميزان الإخلاص والصواب، فأما الإخلاص - اللّهم عونك - فكل بحسب ضميره ﴿بَلِ ٱلْإِنسَٰنُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ بَصِيرَةٌ ۝١٤ وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِيرَهُۥ ۝١٥﴾ [القيامة]

وأما الصواب فهو ميزان كتاب وسنة، ثمّ منطق عقل ودروس تجارب، لعلّ الله وعسى أن يوفقنا لما يحب ويرضى ويتقبل منا، ثمّ يقربنا من النّصر عَلى أعدائه.

أنواع الأخطاء والثغرات الّتي طرأت خلال مسار وتجارب التّيار الجهاديّ بحسب تصوُّري والله تَعَالَى أعلم:

لو تخيلنا رجلاً يسير في درب نحو هدف معين ووجدناه يسير ويترنح، ويسقط تارة ويقوم أُخرى، ويحيد عن هدفه حيناً ويسير في دربه الصَّحِيح أحياناً، ويضعف تارة ويشتد أُخرى، ثمّ نجده

لا يصل إلى هدفه في النهاية، ستقودنا ملاحظته لمعرفة أسباب عجزه وسوء أدائه إلى أحد ثلاث أسباب عامة:

١- خطأ في طريقة التَّفكير وتصوُّره للمسار (خلل التَّفكير).

٢- خطاء وخلل في بنية جسمه وقصوره عن الأداء الصَّحِيح **(خلل البنية)**.

٣- خطاء في أسلوب السّير ورسم الخطوات غير المتناسب مع الطّريق **(خلل الأسلوب)**.

وهذا ما حصل غالباً لمعظم تجارب العمل الجهاديّ وتياره عبر نصف القرن المنصرم تقريباً، وأشير هنا إلى أَنّي بصدد التقييم العام، وليس التعرض لتجربة جماعة معينة أو تنظيم معين أو أشخاص معينين أو تجارب بلد معين، ولكني أحاول التقييم، معتبراً التّيار الجهاديّ، وحدة اعتبارية بصفته مدرسة وتجارب، وسأذكر أنواع الخلل والأخطاء الّتي حصلت في مسار التّيار ككل وغني عن الحاجة للشرح أن هذا لا يعني أن تنظيماً معيناً أو تجربة معينة قد تلبست بكل تلك النقائص أو بعضها، ولكن قد تكون بعض التَّجَارب قد حازت نقيصة أو ثلاث أو أكثر أو أقل مما سأذكر.

وقد يتصوُّر البعض من (الجهاديّين) أنه كانَ عَلى عافية تامة، ولم يتلبس بأي من تلك العلل ولكنه الحظ العاثر، أو كما يرددون كثيراً «قدَّر اللهُ ومَا شَاءَ فَعَل»، فليحمدوا الله إذاً عَلى العافية التَّامَّة الّتي كانوا عليها ولينعموا بحسن الظن بأنفسهم ويستريحوا.

فأنا هنا بصدد عرض أخطاء وإشكالات تلبس بها معظم مدارس التّيار الجهاديّ، ولو كنت بصدد ضرب الأمثلة لبدأت بنفسي والتَّجَارب الّتي خضتها حتَّى لا يحزن أحد، ولكني بصدد التعميم للفائدة.

فإذا ما عدنا إلى حيث كنا أكرر أن الأخطاء والخلل في مسار التّيار الجهاديّ كانت عَلى ثلاثة أنواع:

(١) - أخطاء في المنهج والتَّفكير.

(٢) - أخطاء في البنية والهياكل.

(٣)- أخطاء في أسلوب المسير وطريقة العمل.

ولنتناول بالتعداد والتفصيل وشيء من الشرح ما يتيسر من البيان لتلك الأخطاء الّتي تلبسنا بها معشر العاملين في التّيار الجهاديّ عبر مسير مبارك استمر زهاء أربعة عقود وأسأل الله أن يتقبل من كلّ منا ما أحسن ويتجاوز له عما أساء إن أهل التقوى وأهل المغفرة.

أولا- أخطاء المنهج والتَّفكير:

ولعلّ هذا أحد أهمّ المجالات الّتي قل فيها مجال الخلل بشكل عام، وذلك بفضل الله تَعَالَى عَلى المُجَاهدين وبركة قوله تَعَالَى: ﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ۝٦٩ ﴾ [العنكبوت]

وقد سبق أن عرضت لأهم الأساسِيَّات الفكريّة المنهجيّة لدى التّيار الجهاديّ وجماعاته المختلفة.

ولكن بعض الجماعات والتَّنظِيمات والتَّجَارب الجهاديّة قد عرض لها شيء من الخطأ والخلل في الجانب الفكريّ المنهجي، بحسب ما أعتقد والله أعلم، ومن أهمّ تلك الأخطاء وجوانب الخلل المنهجيّة الّتي كانت من المعوقات الداخليَّة للعمل ما يلي:

١ - تسرب أفكار التشدد إلى مناهج بعض الجهاديّين:

فكما سبق وعرضت فإن التّيار الجهاديّ مر فكرياً بمرحلتين بشكل عام.

أ - المَرحَلَة الفكريّة الحَركيّة.

ب - مرحلة الفكر الجهاديّ السلفي.

وقد ذكرت كيف أن المَرحَلَة الثّانية قد أكملت الثغرات العقدية والفقهيّة الّتي كانت قائمة في الفكر الجهاديّ، وذكرت إيجابيات ذلك التكامل، ولكني هنا أشير إلى أن تلك الإيجابيات قد صاحبها في بعض الأحيان سلبية كبيرة من خلال سوء التطبيق لدى بعض الجماعات أو الأفراد في بعض التَّجَارب، مما أدى إلى جنوح بعض شرائح الجهاديّين إلى مستويات من التشدد والتطرف في الطرح العقدي والفقهي السّياسيّ الشَّرعيّ، وجعل بعض أدبيات مناهج الجهاديّين تحتوي عَلى تعميمات وقواعد عقدية، صارت مع توافرعوامل الجهل والحماس والضغوط النّفسية لدى بعض الجهاديّين متكأً لأفكار «تكفيرية» تجاوزت الضوابط الّتي قام عليها الفكر الجهاديّ، ولا أقول هنا أن الفكر

الجهاديّ قد مزج بالفكر التكفيري، لا، وإنما أقول أن تلك الطروحات من مثل بعض رجالات التّيار الجهاديّ السلفي، أو الّذين لحقوا به من بعض العُلَماء أو طلاب العلم المرموقين كانت إما شديدة ومتطرفة، وإما صيغت بشكل عموميات جعلت بعض المتأخرين من الجهاديّين يجنحون إلى التجاوز والتوسع في التَّكفِير.

كما جعلت بعض المنتمين إلى (التّيار التكفيري)، يعتمدون تلك النّصوص متكأً لهم، ويستشهدون بأقوال أصحابها في كتاباتهم، مما جعل الهامش في تلك المواضيع بين (الفكر الجهاديّ) و(الفكر التكفيري) رقيقاً، ومكن الخصوم من أجهزة الاستخبارات أو علماء السُّلطَان أو أجهزة إعلام الأنظمة من جعلها شواهد لوصم الجهاديّين بالتكفير، وهو كما بينت من أنجح الوسائل الّتي استخدمت لضرب الجهاديّين، فكيف تمّ ذلك ؟!

لقد تمَّ ذلك عندما جرى الخلط (بين **العَقِيْدَة السّلفيّة**) و**المنهج لسلفي** المعاصر وأساليبه، هذا المنهج الّذي اختاره غالبية التّيار الجهاديّ منذُ أواخر الثمانينات كما أسلفت في مرحلة الشوط الأوّل للأفغان العَرَب، وبين (**منهج التّيار السلفي المعاصر**) وفقهه وأسلوب علمائه ورواده المعاصرين، ولاسيما من علماء السّعُودِيّة ومن تربي عَلى مدرستهم، ثمّ ما تفرع عن هذه المدرسة الّتي تعود بأصولها في أغلب الأحيان إلى تراث الجيل الثّاني والثّالث من علماء الدّعوة الوهابية.

والحقيقة أن دراسة (المدرسة السّلفيّة التقليدية) وعقائدها وفقهها، ثمّ مقارنتها مع (السّلفيّة المعاصرة) وأصولها ومدارسها الفكريّة والعقدية، يجد فوارق هامة.

فقد تتابع تأثير السّلفيّة المعاصرة وفروعها في العالم العربيّ والإِسْلَاميّ، ثمّ تشعبت في العقدين الأخيرين إلى مدارس وطرق ومذاهب، تصل في تنوعها وتراثها الفُقْهيّ وآراء أصحابها إلى حد التضارب والتضاد في كثير من الأحيان، ضمن ما عرف (بالتّيار السلفي).

وهذه مسألة شائكة معقدة وهامة، ويجب دراستها وتمحيصها وهذا يحتاج كتاباً وبحثاً مستقلاً ليس هنا مكانه، وإنما أشير إلى مؤثرات ذلك التّيار السلفي المعاصر عَلى الفكر الجهاديّ ومسار التّيار الجهاديّ سلباً وإيجاباً.

فأما إيجاباً فقد مر في الفصول السَّابقة، وذلك أن التّيار الجهاديّ الحَركيّ مطلع الثمانينات قد وجد ضالته في حلّ إشكالاته الفقهيّة الحَركيّة كما قلت في الفقه السلفي والعَقِيْدَة السّلفيّة.

وأما سلباً وهو موضع الفقرة الحالية، فقد أدى إلى لحاق كوادر علمية من التّيار السلفي من غير الجهاديّين الحَركيّين بالتّيار الجهاديّ الحَركيّ الّذي نشا عَلى الفكر الإخواني والقطبي، كما أدى إلى نشوء طبقة من طلاب العلم في الجهاديّين تتلمذوا عليهم في مرحلة الجِهَاد الأفغاني في شوطها الأوّل، وما تبع ذلك من مرحلة الملاذات، وأخذوا بمنهجهم من دون أهلية في البحث والفتوى والتّصَدّي لعظائم المسائل.

ولأن أحد أكبر بلاءآت الأُمّة في هذا العصر هيَ إعراض العُلَماء الراسخين عن الجِهَاد وعن مواقف الحقّ، وعن التّصَدّي لنوازل الأُمّة السّياسيّة الشّرعيَّة الكبرى من مسائل الحاكِمِيَّة والوَلَاء والبَرَاء وتطبيقها عَلى واقع هذه الحُكُومَات والمجتمعات وظروف الغزو والاحتلال، مما انعكس عَلى التّيار والظَّاهِرة الجهاديّة بأنه كانَ تيارا يخلو من علماء كبار راسخين في العلم أو حتَّى متوسطين إلا في النادر.

وهكذا تسرب إلى التّيار الجهاديّ ظاهرة قاتلة، ولدت أصلاً في التّيار السلفي المعاصر الّذي قام عَلى عَقِيْدَة صحيحة وفقه أصيل، بالإضافة لممارسات تطبيقية أدت إلى كوارث انتقلت إلى التّيار الجهاديّ، وزاد الطينة بلة أن الجهاديّين أصلاً هم في الغالب من الثوار والمتحمسين للدفاع عن دين الله، فأضيف إلى حماسهم وحماس بعض طلاب العلم فيهم، إلى تلك الأسس غير المنضبطة للطريقة السّلفيّة المعاصرة، ففتحت البَاب لأعاصير عاتية من الفوضى الفقهيّة في بعض الأحيان، أدت إلى بروز ذلك عَلى شكل فتاوى وآراء بالغة الشدة والتطرف سواء كانت خاطئة أو كانت صحيحة صيغت بشكل معمم، فأمكن أن يستخدمها جهال التّيار الجهاديّ أو التكفيريين ويجعلوها متكأً للتطرف والتشدد والتكفير بلا ضوابط، وساعد هذا عَلى هدم حاجز يعتبر وجوده مهم جداً بين الفكر الجهاديّ والفكر التكفيري.

وإن إعادة إبراز هذا الحاجز من أهمّ أولويات عمليَّات الترميم في التّيار الجهاديّ في المَرحَلَة المقبلة إن شاء الله.

٢- غلو بعض الجهاديّين المتأخرين في التعصب المذهبي لمفهومهم عن (السّلفيّة):

هذه المشكلة فرع من سابقتها، وقد اتسمت بعض الأوساط والأفراد من الجهاديّين أو من لحق بساحاتهم من المنتمين آنفاً للتيار السلفي بهذه المشكلة.

فالأصل الّذي قام عليه التّيار الجهاديّ هو حشد الأُمّة للجِهَاد في سبيل الله، ودفع مختلف أنواع الصّائلين عنها، ومع أن الواجب عَلى المُجَاهدين وقيادتهم وهم يسعون إلى أن يكونوا عَلى منهج الطَّائِفَة المَنصُورَة علماً وعملاً، وبالتالي أن تكون عقائدهم عَلى ما كانَ عليه النبيّ ﷺ وصحابته ومن تبعهم بإحسان، وهم سلفنا الصّالح الّذين يجب أن نقتدي بعقيدتهم ومنهجهم، وأن تكون أصولنا ونهجنا مستندة إلى أصولهم وأصول منهجهم.

إلا أن هناك لفتة في غاية الأهميّة، وقد أسقطها غالب الّذين يزعمون انتماءهم للسلفية في هذا الزّمان من سلفيين جهاديّين وغير جهاديّين من الّذين يحتكرون هذه الرّاية وهذا المسمى الشريف، هذه اللفتة هيَ أن واقع الأُمّة بمئات ملايينها هو ليس كواقع الصّحابة وما تلا ذلك من خير القرون، بل ولا يشبه واقع معظم التّاريخ الإِسْلَاميّ، فضلا عن بعده عن مقاييسنا معشر الجهاديّين والسلفيين.

لقد ألم بنا واقع في غاية التعقيد بعد سقوط الخِلافَة وما شهده الواقع العربيّ والإِسْلَاميّ من التغريب والأزَمَات الداخليَّة والخارجيّة.

والأصل أننا معنيون كجهاديّين باستيعاب الأُمّة، وجمهور سواد الأُمّة، وتوجههم لأداء فريضة الجِهَاد ضدّ مختلف أنواع الصّائلين من الأَعدَاء الخارجين وأذنابهم من الحُكُومَات الطَّاغوتية، ومعلوم أن الملتزمين بدينهم من هذه الأُمّة وغالبية علماءها وأوساط الصّحوة والمتدينين فيها عَلى مستوى الأُمّة ليسوا بأغلبيتهم عَلى المنهج السلفي، رغم أنه منهجي ورغم اعتقادي أنه الأصح عقديا.

فمعظم الملتزمين وعلماء الأُمّة (بسعتها كأمة إسلاميّة)، وغالبيتهم السَّاحقَة هم من أتباع الفقه المذهبي وليسوا من أتباع الفقه السلفي، كما أن كثيراً منهم هم عَلى غير المنهج السلفي في الاعتقاد

وغالبهم من الأشاعرة هذا في أوساط العُلَماء وطلبة العلم، وأما في أوساط العوام المتدينين فهم مقلدون لتلك للأوساط، وهذا حال أهل السّنّة منذُ أكثر من ألف سنة، ومن المعلوم أن التّيار السلفي المعاصر غير الجهاديّ، قد دخل في مساجلات وإشكالات عقدية وفقهيّة كثيرة مع هذه الأوساط، وصلت إلى حد الجدليات البيزنطية عبر العقود بل والقرون.

ولا شَّكَّ أن مشكلة نزول الصّائلين بنا وفرضية دفعهم تقتضي منا السّير مع عَقِيْدَة أهل السّنّة والجماعة في الجِهَاد مع أمراء المُسلِمِين وعامتهم برهم وفاجرهم، عالمهم وجاهلهم، وأن مصلحة تأليف القلوب وجميع الصفوف عَلى الجِهَاد مقدمة بلا شَّكَّ ولا جدال عَلى المصلحة من إثارة أكثر تلك الجدليات الفقهيّة والعقدية، خاصّة الآن ونحن في هد الحال، وهذا من صميم منهج السَّلَف الّذي يدعيه هَؤُلَاءِ، وشواهد ذلك كثيرة جدا.

إلا أن بعض الجهاديّين ورؤوس طلاب العلم منهم أو من اللاحقين بهم، جروا الوسط الجهاديّ للدخول في حالة من الشجار مع تلك لأوساط الإِسْلَاميّة والمتدينة، واشترطوا شروطا تعتبر قياسا لأحوالهم تعجيزية، وغدت عائقا حقيقيا في التعامل معهم ودعوتهم للجِهَاد، وقد لعب هذا دوراً كبيراً في إفقاد التّيار الجهاديّ شعبيته، وجعله نخبوياً، وأدخلت كثيراً من شرائحه وشخصياته في معارك جانبية طبقوا فيها قواعد الوَلَاء والبَرَاء عَلى كثير من المُسلِمِين، متبرئين منهم بدل أن يستوعبهم التّيار الجهاديّ في صف واحد، أو عَلى الأقل في حلف واحد ضدّ أنواع الصّائلين لدفعهم، أو عَلى الأقل جعلهم في دائرة الحياد.

ولكن كثيراً من الجهاديّين بسبب هذا المنحى المنهجي ضاقت صدورهم بذلك، وأفسد الكثير منهم علاقات ومصالح كانَ يمكن أن تدفع بالأُمّة قدماً بشكل أفضل نحو أداء فريضة الجِهَاد، وذلك بسبب عدم استصحاب الواقع وفقه الأولويات والمصالح والمفاسد في فقه حركتهم الّذي اتسم بكثير من الجمود مع النّصوص وتطبيقها في غير واقعها.

وأذكر أنّي دخلت في كثير من المساجلات والمحاورات مع بعض الجهاديّين من بعض القيادات والقواعد مؤكداً لهم ضرورة الجمع بين كوننا من السّلفيّة الجهاديّة، وعلى منهج السَّلَف الصّالح، وبين

كوننا محتاجين أن نترفق بالمُسلِمين ونجاهد معهم، وندعوهم للجِهَاد معنا عَلى ما هم عليه من المذاهب الفقهيّة والعقدية الّتي هيَ فيها النهاية ضمن دائرة أهل السّنّة والجماعة، ولكن وللأسف، فإني كثيراً ما كنت اكتشف أنّنا في واد وإخوتنا هَؤُلَاءِ في واد آخر، بل سمعت في هذه المجالات تهما وتجريحاً وأفكارا عجباً..ولاقيت عنتا.

ومن يقرأ كتابات الشَّيْخ عبدالله عزام يقرأ الكثير عن معاناته من هذه المشكلة وأصحابها وهو يخلقون الأزَمَات مع الأفغان بسبب مشكلة المذهبية والعقائد حتَّى مع عوام النّاس.

ومن عجائب ما أذكره في هذا السياق، أن أحد هَؤُلَاءِ الجهاديّين السلفيين جداً! قَالَ لي يوماً في سياق الحوار: (**إن الجِهَاد يجب أن يكون سلفي الرّاية، وأن تكون قيادته سلفية التركيب، وأحكامه سلفية المنهج، وأن يكون كلّ شيء بالدليل، ولو قبلنا أن يجاهد معنا من ليس سلفيا فمن باب الحاجة، ولكن ليس لهم أن يكون لهم من القيادة شيء وإنما نقودهم مثل البقر لأداء فريضة الجِهَاد!!**)

ولم أستطع أن أفهم حقيقة كيف سنجاهد مع إخوة الدّين والعَقِيْدَة إذا كانت علاقتنا بهم علاقةً بقرية تقوم عَلى الجذب من هَؤُلَاءِ والركل والنطح من الآخرين!!

ولكن هذه الظَّاهِرة لم تكن ضمن دوائر ضيقة وللأسف، حتَّى أن بعض الجهاديّين رفض العمل معنا ذات يوم في مشروع جهاديّ لأنني كنت مسؤولا عنه قائلاً: كيف نجاهد مع رجل لا يرفع يديه في الركوع ويصلى عَلى البِدَعة! ولا أدري من قَالَ لهم أن من لا يرفع لدليل عنده هو مبتدع ! ناهيك عن أن كلّ ما في الأمر أَنّي كنت آخذ بفتوى من قَالَ من العُلَماء بمجاملة أهل المحلة في مذهبهم تأليفاً للقلوب كما قَالَ الإِمَام ابن عبد البر وغيره، وكنت لا أرفع في الركوع والرفع منه يدي عند ما نصلي مع الأفغان، ومعلوم أنهم من الأحناف وأكثرهم متعصب وجاهل، ونحن وإياهم في وئام كبير وجِهَاد دفع متعين، وكان كبار قادة المُجَاهدين العَرَب من أمثال الشّهِيد عبدالله عزام ﵀، والشَّيْخ أُسَامَة حفظه الله يطلبون ذلك ويحثون المُجَاهدين عليه وقد لاقوا في هذا المجال الكثير من العنت، وهذه أمثلة لإيضاح الفقرة وإلا فالأمثلة كثيرة.

فكم كانَ يتعرض من الأئمة الإعلام، من تلبس بشيء من التَّأويل أو سوى ذلك من أئمة أهل السّنّة الكبار كابن حجر والنووي وسواه في تلك الأوساط، وكم انتهكت حرمة المذاهب الأربعة وبعض أئمتها ولاسيما الإِمَام الجليل أبو حنيفة رَحِمَهُ اللهُ وغيره بدعوى الانتصار للمنهج السلفي والعَقِيْدَة السّلفيّة، ورغم أَنّي في ذات اعتقادي عَلى منهج السَّلَف من دون تعصب وتضييق وكنت معروفا بهٰذا، إلا أن كثيراً من إخواننا هَؤُلَاءِ كانوا يضيقون ذرعاً حتَّى بذلك.

ومعلوم أن هذه المشاكل من مشاكل التّيار السلفي وليست من مشاكل التّيار الجهاديّ ولكنها تعدت إليه، حتَّى أن أحد كبار المُجَاهدين من الأفغان العَرَب وكان سلفيا جدا، وهو سروري سابق، نهرني لأني قلت بعد ذكر الإِمَام النووي (رحمه الله)، وقال: لا تقل رَحِمَهُ اللهُ، فقلت وماذا أقول ؟ فقال: قل غفر الله له، فإنه لم يكن عَلى السنة!

وذات مرّة، عاتبني إثر بعض محاضراتي بعض هَؤُلَاءِ المُجَاهدين وبعضهم قادة في جماعاتهم، لأني ذكرت في السياق الإِمَام حسن البنا، وكذلك الشَّيْخ سعيد حوى، والشَّيْخ عبد الفتاح أبو غدة بقولي رَحِمَهُ اللهُ، وهم يعرفون انتقاداتي لمنهج الإخوان، وقالوا لماذا تترحم عَلى أهل البِدَع ؟! فقلت إن مذهب أهل السّنّة الترحم عَلى من مات وظاهرة من المُسلِمِين، فرد عَلى أحد الإخوة الكبار حفظه الله قائلا: كانَ الإِمَام سفيان لا يرى الترحم عَلى من مات عَلى البِدَعة!! فقلت له رَحِمَهُ اللهُ وكان غيره من أئمة السَّلَف يرى ذلك، ويجب أن ينظر للبدعة ونوعها ومستواها وقرائن إحسان المخطئ ومقام ذكر الرحمة، ولكن لم يكن هناك أي فائدة من الحوار الّذي لو طال فستسجل عندهم مع المبتدعة، بل مع المحامين عن البِدَع ! ولله الأمر.

لقد كانَ من أبسط الأمور عَلى أحدهم أن ينهي الحوار بقوله: لقد أبلغتك مقتضى دعوة التّوحيد! وأنا أدين الله بكذا وكذا وأنكر كذا وكذا.

وكم انقطعت من علاقات، وقامت من خصومات بين هَؤُلَاءِ وبين كثير من المُجَاهدين فضلا عن المُسلِمِين بسبب هذا النهج، وكان هذا من أكبر العلل الّتي طرأت عَلى المنهج الجهاديّ بسبب التأثر بسلبيات التّيار السلفي.

وأكرر قولي الآنف الذكر، بأن الفوائد العظيمة الّتي جناها التّيار الجهاديّ فكرياً من المنهج السلفي أكثر من أن تحصى، ولكن لم يخل ذلك من آثار جانبية سلبية كانَ هذا بعضها، ولم أتخيل حقيقة كيف يمكن هَؤُلَاءِ الّذين لم يستطيعوا التفاهم حتَّى مع الجهاديّين، والإِسْلَاميّين، كيف يمكن أن يقودوا مقاومة يجب أن تكون شعبيَّة، بكل ما ستحتويه كلمة شعبيَّة من التعدد واختلاف والمشارب.

٣- أحادية الطرح في المنهج الجهاديّ وعدم شموليته واقتصاره عَلى مسائل الوَلَاء والبَرَاء والحاكِمِيَّة وضيق أفق المكتبة والإنتاج الأدبي في التّيار الجهاديّ:

بالقياس إلى عموم مدارس الصّحوة الإِسْلَاميّة المعاصرة وبالنَّظر إلى مكتباتها الشّاملة، نجد أن مكتبة التّيار الجهاديّ، وهي مجموع ما كتب فيه من المناهج والكتب والأدبيات، وحتَّى ولو أدخلنا فيها النشرات الخاصّة بالجماعات والتَّنظِيمات المختلفة والبيانات الدَّورية أو سواها، نجد أن المكتبة الجهاديّة صغيرة الحجم كماً، وأحادية الطرح نوعاً، فالكتب معدودة، والنشرات محدودة، ولا يتناسب حجم هذا الإنتاج مع عظم العطاء والأداء، وضخامة التضحيات وكثرة التَّجَارب، وما كانَ يمكن أن يكتب فيها، تاريخاً ودروساً وتحليلاً وعبراً، وقصص مشاهد، وسير رجال وشهداء، ولكن وللأسف فالإنتاج ضئيل جداً وشبه معدوم لدى كثير من الحركات، وإذا نظرنا إلى نوع ما طرح فيه نوعاً سنجده مقتصرا عَلى مسائل الحاكِمِيَّة وأصول قواعد الوَلَاء والبَرَاء والعقائد، فالإبداع فيه قليل، وأكثره إعادة وتكرار، وأكثره يعتمد عَلى النقول والإعادة لفقه الإِمَام ابن تيميه وبعض أئمة المدرسة السّلفيّة وتراث المدرسة علماء الدّعوة الوهابية رحمهم الله تَعَالَى.

ومع أن النّوازل كثيرة، والمجالات السّياسيّة الشَّرعيَّة والسّياسيّة الواقعية واسعة، والحاجة إلى الكتابة فيها كبيرة، وكذلك في مجالات الفقه وأحكام الجِهَاد المعاصر، وكذلك في علوم تابعه كعلوم السّياسة والإدارة والتّربية، والثّقافة العامّة الّتي تلزم المُجَاهد، ومناقشة مسائل الأُمّة الحاضرة والمستقبلة، وحوار المستجدات والمواضيع الحوارية المطروحة في ساحة الواقع العربيّ والإِسْلَاميّ، ولكن التّيار الجهاديّ عموماً تميز بقلة كتابه، وانشغال المؤهلين من قياداته ورموزه والقادرين عَلى الكتابة بالعمل الميداني، وقد حالت المطاردات الأمنيّة، وظروف عدم الاستقرار، بينهم وبين العطاء في

هذا المجال، ولذلك اقتصرت مكتبة الجهاديّين إما عَلى الكتب العسكريّة ومناهج التّدريب والعمل وإما عَلى ما أشرت إليه من مسائل الحاكِمِيَّة وقضايا الوَلَاء والبَرَاء.

٤ – ضعف المادّة التربَويّة في مناهج التّيار الجهاديّ:

يعتبر مجال التّربية لقواعد التّيار الجهاديّ من أكبر المجالات الّتي اعتراها النّقص وانخفاض المستوى، خُصُوصَاً بعد التسعينات، ومنذ ابتدأت المطاردات الأمنيّة شغل القوم بهجوم لباس الخوف والجوع، ومستهم البأساء والضراء والنقص في الأموال والأنفس، وتقاذفتهم المهاجر والملاذات في أقطار الأرض الأربعة.

وعلى عكس الجيل الأوّل والثّاني من الجهاديّين الّذين تمكنوا قبل تلك المواجهات من تحقيق مستوى لا باس به من التّربية لكوادرهم الأولى ما بين الأعوام ١٩٦٥–١٩٨٥ تقريباً، لم يسعف الظّروف الجهاديّين بعد ذلك من تطبيق بَرَامج تربَويّة شاملة إلا في نطاق محدود، والملاحظ أيضاً أن اعتماد التّيار الجِهَاد في التّربية لم يكن عَلى مكتبة ومناهج معاصرة وضعوها وفق احتياجاتهم الحالية، وإنما عَلى كتب التراث، أو عَلى بعض كتب مدارس الصّحوة الأخرى، والّتي لا تخلوا في كثير من الأحوال مما يتناقض مع المنظور الجهاديّ لكثير من المسائل،

وبعد ١٩٨٥ غلب عَلى الأوساط الجهاديّة من المُعَسْكَرَات والتَّجَمُّعات وأماكن النَّشَاط مناهج تربَويّة ذات بعدين كما أسلفت، إما عسكريّ في حدود المواد العسكريّة والدَّورات التّدريبية القتاليّة، وإما بعض المواد في مسائل الحاكِمِيَّة والوَلَاء والبَرَاء والعَقِيْدَة والمنهج السلفي.

وقد لاحظت خلال الشوط الثّاني للأفغان العَرَب في ظل طالبان، أن الجيل الثّالث من الجهاديّين بدأ يميزه الجهل والفاقة التربَويّة في أكثر شرائحه، وقد زهد بها كثير من الجهاديّين في هذه المَرحَلَة ١٩٩٦–٢٠٠١ رغم توفر الإمكانية والمُعَسْكَرَات والملاذ الآمن، بل والمرفه جداً في كنف طالبان قياسا بملاذات الشتات ومرحلة المطاردة، إلا أن معظم القوم نشطوا في المواد العسكريّة واقبلوا عليها، ولم يعطوا الجوانب التربَويّة الأخرى الأهمّيّة الّتي تستأهلها، ولذلك انعكس هذا عَلى تلك المَرحَلَة بكثير من المشاكل والأزَمَات الداخليَّة الّتي أعتقد أن مردها لانخفاض مستويات السُّلُوك والأخلاق العامّة،

وأدى تدفقه الكثير من الشَّبَاب من قطاع عوام المُسلِمِين العاديين، المعبئين بالعَوَاطِف والحماس والإخلاص مع انخفاض مستويات العلم الشَّرعيّ، والالتزام الدّيني، وأصول الأخلاق والمعاملات الإِسْلَاميّة وحتى مستوى العِبَادات، وتميزت كثير من الأوساط الجهاديّة بمستوى ضحل جداً من المواصفات في هذه المجالات، وانعكست الضغوط النّفسية، وآثار المطاردات الأمنيّة، ومشاكل الواقع العام للعرب والمُسلِمين عموماً، والمشاكل الداخليَّة في أوساط الصّحوة الإِسْلَاميّة، ومنابذة قياداتها للجهاديّين، وانغماس أكثرهم في ركاب علماء السّلاطين وأجهزة الطواغيت.

أدى كلّ ذلك إلى أن تكون كثير من أوساط الجهاديّين مع غياب منهج التّربية متميزة بالقسوة والجفوة وقلة الرحمة، وغياب النماذج الّتي طالما تحدثت عنها كتب الرّقائق وقصص السَّلَف والخلف من الصّالحين في مجالات العِبَادة والنسك وحسن الخلق، ولين الجانب مع المُسلِمِين وعذرهم ورحمتهم والأخذ بيدهم.

فقد كانت كثير من الأجواء مشحونة، وتميز العديد من الجهاديّين بسلوك أقرب إلى الحالة العِصَابية منه إلى السُّلُوك المفترض بالمُجَاهد المؤهل التربي علماً وخلقاً وعبادةً وسلوكاً.

وكان هذا انعكاسا لضعف منهج التّربية مادةً وتطبيقاً، وحسبنا الله ونعم الوكيل.

وهكذا كنت ألاحظ أن كثيراً من الجهاديّين قد اختصر الإِسْلَام وعقائده وشعائره في فريضة الجِهَاد، وظنها كلّ الدّين، واختصر الجِهَاد بأحكامه وآدابه وسلوكياته ومواصفاته الّتي تقتضيها منزلة ذروة سنام الإِسْلَام، اختصره بالقتال، واختصر القِتَال بما يقضيه من صبر ومصابرة وإعداد وأخلاقيات، بشهود المعارك ذاتها، وحتى أثناء شهود المعارك كنت تلاحظ قلة الصّبر والمصابرة، وتحمل الرِّبَاط الطويل، فقد اختصروا مفهوم القِتَال عَلى إطلاق النار.

وكنت وكثير من قدماء الأخوة، نلاحظ الأجواء في الأوساط الجهاديّة قد بدأت في أواخر القرن العِشرين ومطلع الحادي والعشرين تشير إلى قرب امتحان وبلاء سينزل ليعيد تلك النفوس الطيبة المخلصة إلى صفائها وحاجتها إلى ربها وإلى أخلاقيات دينها ومكوّناته التربَويّة، وهذا ما جاء مع أحداث سِبتَمبر وتداعياتها من بعد.

﴿وَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ شَرّٞ لَّكُمۡۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ٢١٦﴾ [البقرة]

٥- غياب أثر فقه الواقع في المنهج السّياسيّ الشَّرعيّ لدى كثير من الجهاديّين:

وقد سبب هذا في نظري ضعف المواد التربَويّة والدراسات الّتي تعين عَلى ذلك أو انعدامها، وبالتالي اختلال الموازين في تحديد من معنا ومن علينا، والخلط بين دوائر الأَعدَاء والمحايدين والمناصرين، وحقوقهم وطرق التعامل معهم.

ففي خلال العقد الأخير من القرن العِشرين تعقدت معطيات الواقع بكل إبعاده السّياسيّة والاقتصاديَّة والاجتماعيَّة والثَّقافيَّة في العالم العربيّ والإِسْلَاميّ، بل وفي العالم أجمع، وشهدت عموم مجالات النَّشَاط البشري في كلّ تلك العوالم تعقيداً وتطويراً وتشعباً هائلاً.

وتعتبر المجتمعات في العالم العربيّ والإِسْلَاميّ وللأسف مجتمعات متخلفة عموماً عن مواكبة مستويات المعرفة الحَضَاريَّة، إلى حدود مؤسفة.

وقد تميزت الصّحوة الإِسْلَاميّة عموماً، وهي ظاهرة منبثقة عن ذلك الواقع بالكثير من مؤثرات ذلك التخلف العام، وعدم إدراك العصر الّتي هيَ فيه، وفي الوقت الّذي تقدمت فيه الأحزاب والجماعات الإِسْلَاميّة من مدرسة الصّحوة السّياسيّة وكثير من قياداتها وكوادرها بحكم الوعي والممارسة السّياسيّة، تقدمت في مجالات المعرفة وإدراك الواقع، فإن باقي مدارس الصّحوة الأخرى الدعوية والإصلاحية وما اصطلح عليها بالسّلفيّة، وكذلك المدرسة الجهاديّة، تميزت بانخفاض مستوى المعرفة والوعي الحضاري وإدراك الواقع، فأما المدارس اللاسياسيّة فلانعزالها عن عيش الواقع، وأما التّيار الجهاديّ، فلأن غالبيته من قطاع الشَّبَاب الّذين لم يأخذوا بحكم صغر السن في الغالب وبحكم الظّروف الأمنيّة الصعبة، لم يأخذوا حظهم من المعرفة الحَضَاريَّة وإدراك الواقع إلا في حالات نادرة في بعض الجماعات والكوادر والشخصيات.

وعلى اعتبار أن المَعْرَكة اليَوْم أصبحت تدار ليس فقط في المجال العسكريّ والأمني حيث يمكن للجهاديّين والإِسْلَاميّين عموماً أن يبلوا بلاءً حسناً، وإنما في مجالات السّياسة والإعلام والاقتصاد، وحتى في عالم المُوَاجَهة العسكريّة والأمنيّة أصبح للمستوى المعرفي والعلمي في المُوَاجَهة دور كبير،

ولذلك فإن انخفاض المستوى العام عند غالبية الجهاديّين في فقه الواقع بكل معطياته وأبعاده انعكس عَلى مناهجهم وأدبياتهم وإعلامهم وفحوى خطابهم وأسلوبه وطريقة إيصاله، ونتج عن هذا اختلال في موازين الأولويات وفهم معطيات الواقع، وخلط بين دوائر المهم والأهم وما تقتضيه النّصوص العامّة، وما يضطر إليه الواقع، وكذلك حصل خلط في تصنيف شرائح النّاس، من معنا ومن علينا، واضطراب في تحديد أولويات المَعْرَكة.

ونظراً لهزال البنية المؤسساتية في التّيار الجهاديّ عموماً، وضيق مجالات الشورى والإستفاده من الكوادر، وتفضيل كثير الأمراء للإمعات، انضم هذا الجهل لذلك الخلل ليخلف نتيجة مأسوية تجلت في ضعف مستوى إدارة المَعْرَكة، وفشل في تحديد سبل المُوَاجَهة، والمواءمة بين مجالات المنهج الفكريّ والعمل العسكريّ والسّياسيّ والإعلاميّ، وغاب أثر الواقع في إصدار الأحكام واتخاذ القرارات السّياسيّة والعسكريّة والمصيرية، ومعلوم أن صحة الفتوى يعتمد عَلى مرتكزين لازمين معا وهما: معرفة الشَّرع وفهم الواقع، وعلى افتراض وجود الفهم الشَّرعيّ الصَّحِيح في كثير من الحالات، فقد أدى غياب فهم الواقع إلى قرارات أقرب للعرج من وصفها باستقامة المسار.

٦- عدم تبني مفهوم جِهَاد الصّائل الخارجي والدخول في دوامة مُوَاجَهة الأنظمة:

وقد جر لهذا ابتداء استفزازات الأنظمة، ثمّ حمل عَلى تبنيه أصل منهجي نتيجة الفهم الحرفي لقوله تَعَالَى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ ٱلۡكُفَّارِ ﴾ [التوبة: ١٢٣] وحمله عَلى الأنظمة المرتدّية الحاكمة، مما أدى للدخول في صراعات حدد العدوّ طبيعتها ومسارها وصارت الخسائر فيها تنفق من مخزون الأُمّة دون طائل ولا نتيجة مرجوة.

فقد انطلق التّيار الجهاديّ أصلاً بسبب أزمة المُوَاجَهة مع الجَاهِلِيَّة الجاثمة عَلى صدور المُسلِمِين والمتمثلة بأنظمة الحكم المرتدّة، وتطور الأمر كما بنيا من الفكر الجهاديّ المجرد إلى التطبيق العملي.

وقامت التَّنظِيمات الجهاديّة واشتبكت في ساحات كثيرة مع أنظمة الحكم تلك، وقد أيد هذا الإتجاه حكم شَرعِيّ وواقع قائم، فأما الواقع القائم فهو أن البأس والنكال الواقع عَلى المُسلِمِين عامة والإِسْلَاميّين خاصّة والجهاديّين عَلى وجه الخصوص، هو من الأنظمة الحاكمة وأجهزتها الأمنيّة، وهو

يقتضي ويوجب المُوَاجَهة عقلاً ومنطقاً، وكذلك فإن الحكم الشَّرعيّ والأمر بالجِهَاد هو من مقتضى نصوص كثيرة، منها قوله تَعَالَى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَـٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ ٱلۡكُفَّارِ﴾ [التوبة: ١٢٣] ومن خلال هذا الفقه وهذا الواقع عملت منظمات الجِهَاد، قرابة ثلاثين سنة ١٩٦٠-١٩٩٠.

ولكن ومع قيام العولمة في كلّ شيء مع انطلاق النّظام العَالَمِيّ الجَدِيد، وتطور مستوى الغزو الخارجي والترابط والحلف المتين بين قوى الكفر العَالَمِيّة والمحليَّة المرتدّة الحاكمة والدّولية، وقوى النِّفَاق المرتبطة بها، ومع تطور ميادين المُوَاجَهة، وتطور أساليب مطاردة الجهاديّين من المحليَّة إلى الإقليمية إلى العَالَمِيّة، كانَ عَلَى الجهاديّين أن يدركوا ذلك ويطوروا مناهجهم، وأسلوب عملهم ولا يبقوا يدورون في حلقات مفرغة، رسمتها القوى الدّولية اليَهُوْدية الصّليبيّة العَالَمِيّة وحلفاؤها، بحيث صارت حرب استنزاف لا طائل من ورائها، ولكن جمود المناهج والفهم، في معظم التّيار الجهاديّ، لم يسمح بتلك النقلة الّتي توجب إعطاء فقه مُوَاجَهة الصّائل حقه المتوجب، وبقي المستند أن الأمر هو بقتال الّذين يلونكم من الكفّار، وكأن هذا يعني أقرب رجل أمن، وأقرب حكومة مرتدة جاثمة في منطقة عمل الجهاديّين، وكان في هذا من ضيق الأفق ما فيه، سواءً في فهم تفسير النّص، أو في فهم السنة الحَركيّة الّتي تبينه، من مقتضى حُرُوب الرَّسُول ﷺ، وتوجهه لحرب الرُّوم وحوله من الكفّار من هو أقرب منهم، وكذلك الجهل بأقوال صريحة للعلماء في عدم إلزامية هذا الأمر بفهمه الحرفي، وانعكس هذا الجمود المنهجي عَلَى ممانعة أكثر الجهاديّين في الاتجاه نحو الجِهَاد الأممي وعولمة المُوَاجَهة عند ما طرحت من قطاع محدود من الجهاديّين أواخر القرن العِشرين.

٧- عدم القدرة عَلَى تحديد المضمون الشَّرعيّ والحَركيّ لعدد من المفاهيم الأساسيّة:

طرح المشروع الجهاديّ المعاصر عددا من المصطلحات والمسميات الأساسيّة الّتي أعتمد عليها في البناء التَّنظِيمي والسُّلُوك الحَركيّ للجماعات الجهاديّة، ولكن هذه أوجد إشكاليات لم يستطع الجهاديّون حلها وتبيينها، ومن ذلك:

**** الجماعة المُجَاهدة:** ما هيَ؟ وما هو تعريفها ؟ ما طبيعة علاقتها مع ما حولها من الجماعات ؟ وما مشروعية تعدد تلك الجماعات المُجَاهدة وغير المُجَاهدة ؟ وما نسبة صلاحياتها وفحواها إلى جماعة المُسلِمِين العامّة؟ وما مسوغات وشرعيّة وجودها؟

****الإمارة والشورى والقرارات:** ما حدود صلاحيات الأمير في علاقاته مع من حوله من القواعد والقيادات ومؤسسات الجماعة ؟ وبالتالي طريقة اتخاذ القرار في الجماعة ؟ والشورى وطبيعتها وإلزاميتها ؟ وهل هيَ إمارة خاصّة أم عامة ؟

****البيعة والسمع والطاعة:** ما هيَ طبيعة هذه البيعة ؟ وما فحوى عقدها ؟ وبالتالي الحقوق والواجبات المتبادلة بين الأمير والفرد أو بين الفرد والجماعة؟ وكيف تنحل ؟ وبناءً عَلى ماذا؟

وما ذا يترتب عَلى نقضها؟ ومتى يكون مشروعاً ومتى يحرم ؟ إلى آخر تلك المسائل، الّتي لم يتم تحديدها في التّيار الجهاديّ بدقة واختلفت من تنظيم لآخر، وفي حين اعتبر أكثير الجهاديّين في مناهجهم أن جماعتهم هيَ جماعة من جماعات المُسلِمِين، وأنها إمارة جِهَاد، وأن البيعة محدودة بتلك الواجبات، إلا أن واقع الحال جعل بعض تلك الجماعات يتصرف عملياً كأنها جماعة المُسلِمِين في قطرها، وصرح بعض أكابر التّيار الجهاديّ بأن جماعتهم هيَ الجماعة الشَّرعيَّة الوحيدة في البلد الفلاني، وبالتالي قاوموا بشتى السّبل ميلاد جماعات أُخرى، أو استمرار وجود سابقات عليها، بل ذهب البعض إلى السعي باستخلاص فتاوى تبيح للجماعة المُجَاهدة توحيد صف الجِهَاد بالقوة والعنف لتصفية وجود جماعات أُخرى! ووجد بعض الشواذ الّذين يفتون بذلك ضمن ما لحق بالتّيار الجهاديّ من بعض طلاب العلم ممن تصدروا للفتوى في التّيار الجهاديّ نتيجة غيبة العُلَماء عنه، كما اتخذت بعض الجماعات سجوناً وعقوبات ومحاكم تنظيمية دونما تحديد لتلك الحدود والصلاحيات، فقد ولدت إشكالات واقعية في التَّنظِيمات، وقد أضافت السرية والأوضاع الأمنيّة وضعاً شاذاً عقد من تلك المسائل.

فقد سألت البعض من طلاب العلم من أصلا التّيار الجهاديّ حفظه الله، عن مشروعية ترك الفرد لجماعة ما إذا لم يناسبه المسار أو رأى عقمه بعد أن دخل فيها، فقال لي لا يجوز إلا أن يرى كفراً بواحاً عنده فيه من الله برهان !! وبالتالي سحب عَلى أمير الجماعة حقوق الإِمَام الأعظم! فلما سألته

ماذا لو رأى عقماً بواحاً، أو فوضى بواحة، أو إفلاساً بواحاً، وتيقن أن ما توخاه من الالتحاق بالجماعة الفلانية لن يحقق أهدافه؟ هل يستمر طول عمره هكذا ! ولا يحل له أن يتحول الجماعة أُخرى أو يسعى في جماعة جديدة!؟ فحار الرجل في الجواب لما تفكر بأبعاد المشكلة.

فإذا كانت الجماعة تستطيع فصل عنصر فيها، وإخراجه من الجماعة، فلم لا يحق له فصل نفسه والانسحاب ؟ وكيف نحل في هذه الحالة مشكلة الأسرار الّتي عنده؟ إلى آخر ذلك من المسائل.

لقد كانَ هناك إشكاليات حقيقية في تقنين ذلك والإفتاء فيه ؟ وفي العمل عَلى أسس لم تتحدد.

وهي مشاكل ليست موجودة في جماعة المُسلِمِين العامّة بشكلها الطبيعي، فأمير المُؤمِنِين لا يستطيع فصل مسلم ما من جماعة المُسلِمِين حتَّى ولو لم يبايعه ما لم يخرج عليه، ولا يستطيع العنصر في الأُمّة أن ينسحب منها، ولا يترتب عليه بحكم بيعته وطاعته العامّة لأمير المُؤمِنِين من الحقوق والواجبات ما يترتب عَلى العنصر في جماعة ما جهاديّة أو سواها.

لقد فتحت إشكالية غياب الإمامة العظمى وزوال الهيكل السّياسيّ للأمة إشكاليات كثيرة، ولما قامت جماعات لحل تلك الإشكالية واضطرت للسرية بفعل بطش الأنظمة، انفتحت إشكالات أُخرى لا حلّ لها، وكان هذا بعض مظاهر ما فيه الأُمّة بسبب غياب دار الإِسْلَام والإمامة والشّريعة وتوابع ذلك، وكانت هذه الإشكاليات بعض مظاهر خلل المناهج الّتي طرحت وعجزها، ليس في التّيار الجهاديّ وحسب، وإنما عَلى مستوى تنظيمات الصّحوة كلها.

(ثانياً) – أخطاء وخلل في البنية والهياكل التَّنظِيمية في التّيار الجهاديّ:

النوع الثّاني من الأخطاء والعلل الّتي ظهرت في أساليب عمل التّيار الجهاديّ هيَ الخلل والقصور في البني التَّنظِيمية وطبيعة الهياكل، وما أفرز من إشكاليات وعلى رأس ذلك، الإشكالية الكبرى الّتي بدت أبعادها في العقد الأخير من القرن العشري بعد انطلاق الحملة العَالَمِيّة عَلى مكافحة الإرهَاب، وأثبت الواقع استحالة استمرار العمل الجهاديّ مع وجود تلك المشكلة البنيوية وهي مشكلة أن كلّ التَّنظِيمات والجماعات الجهاديّة بنت بناءها عَلى أساس أنها تنظيمات **(سرية – هرمية – قطرية)**.

١: المشاكل الّتي تأتت عن السرية:

كانَ اختيار طريقة العمل السري أمراً إلزامياً ومنطقياً لمُوَاجَهة قوى طاغية باغية ظالمة لم يرقب فراعنتها وأعوانهم في مؤمن إلا ولا ذمة، ولست هنا في معرض انتقاد مبدأ السرية في العمل الإِسْلَاميّ، فهو مبدأ شَرعِيّ له أدلته وسابقاته التارِيخِيَّة بدءاً من السيرة النّبويّة ومروراً بتجارب كثيرة عبر التّاريخ الإِسْلَاميّ، كما في لست معترضا عليه حركياً، لأنه كان أسلوباً إجبارياً مارسناه خلال حقبة اضطرارية كما لا يخفى، ولكني هنا بصدد ذكر الإشكاليات الكبرى الّتي تأتت عنه بحكم طبائع الأشياء وبحكم انتقال مستويات المُوَاجَهة الأمنيّة إلى مستوى توحشت فيه الأنظمة المرتدّة ومن ورائها من قوى الكفر العَالَمِيّة، بطريقة جعلت تلك الإشكاليات تجعل الاستمرار في ذلك الأسلوب ضرباً من الإصرار عَلى الفشل العبثي في نهاية المطاف، فقد أدت تلك الأساليب الوحشية إلى إغراق الجماعات المُجَاهدة في السرية، فقد ولد هذا لها إشكاليات في التّربية والإِعداد، وفي التَّجنيد التمدد، وفي ضعف الدعاية العامّة واتساع الجمهور، وفي محدودية مجالات الحركة بالإنتاج والعطاء.

فمعلوم من تاريخ دعوة الإِسْلَام منذُ ظهورها وعبر تاريخ المُسلِمِين، أن منهج التّربية قام أساساً عَلى علاقة المربي بالأتباع، والَّتي تقوم عَلى التماس المباشر، وهو الوسيلة الأساسيّة لنقل العلوم والمعارف، وشرح المنهج وتقديم القدوة والسمت والسُّلُوك، ونقل مختلف مجالات التّأثير، وهكذا كانَ الرَّسُول ﷺ للصحابة، والصّحابة للتابعين، وهَؤُلَاءِ لتابعيهم من العُلَماء وورثة الأنبياء، ثمّ هَؤُلَاءِ بتلاميذهم وجمهورهم وصولاً للعامة.

ولكن أسلوب العمل السري لا يسمح بهٰذا، فكيف تتم التّربية؟! وإذا استحالت التّربية فكيف يستمر العمل بقواعد لم تتربي عَلى المنهج ولا عَلى بَرَامج الإِعداد؟! فالخلايا السرية تعتمد في التّربية عَلى لقاء المسؤول عن خلية ما بأتباعه وإعدادهم في مختلف مجالات ما يلزمهم من المعارف الشَّرعيَّة والفكريّة والمنهجيّة والسّياسيّة والإِعداد العسكريّ والأمني..الخ، وهذا اللقاء يكون دورياً وغالباً ما يكون أسبوعياً، ويقل مع توتر الأوضاع الأمنيّة إلى أن ينقطع أحياناً، وهكذا توفرت الطلائع الأولى للجِهَاد عَلى مستوى راق لأنها أعدت قبل مرحلة السرية، فقد أعدت في المساجد أو في الجماعات

الإِسْلَاميّة العلنية أو شبه العلنية، فكان أداءها الجهاديّ عالياً يتناسب مع مستويات التّربية الّتي تلقاها أولئك الكوادر، ولكن مع انقراض الطّبقة الأولى والتالية تمَّ التّالية من الكوادر نتيجة أن مسار الجِهَاد يستهلك كوادره بالاستشهاد والاعتقال والهِجرَة من السَّاحَة، تلتحق بالصف كوادر وخلايا غير مؤهلة، وغالباً ما كانت من عوام النّاس ومن جيل الشَّبَاب الّذي غالباً لم يسبق له أن تربي في حركة إسلاميّة، خاصّة وأن الحركات الإِسْلَاميّة من المدارس الأخرى غالباً ما تحصن أعضائها ضدّ اللحاق بالعمل الجِهَاد! لأن قياداتها لم تدخله!!

وقد تكررت هذه المأساة في كلّ التَّجَارب الجهاديّة، إذ سرعان ما استهلكت الكوادر واضطرت التَّنظِيمات إلى الاعتماد عَلى الكوادر الجَدِيدة غير المؤهلة تربوياً، وخاصة من بعض من يثبتون الشجاعة والكفاءة القتاليّة ميدانيّاً، وهكذا تفقد الجماعة مستواها ثمّ هويتها، لعدم استمرار مشروع التّربية، ويكفي في هذه الإشكالية ونتائجها الكارثية بلاءً لإثبات عقم الطَّرِيقة بكاملها، ولكن للأسف لم تكن هذه هيَ المشكلة الوحيدة!

كما تفرض الأجواء الأمنيّة والسرية الإجبارية أجواءً لا تسمح باتساع التَّجنيد، فمعظم الجماعات الجهاديّة بنت نفسها وكياناتها قبل الصدام واشتعال المَعْرَكة، فكونت هياكلها وجندت معظم أفرادها، ثمّ ابتدأ الصدام غالباً قبل اكتمال الإِعداد له، نتيجة اكتشاف أجهزة الاستخبارات لمراحل الإِعداد لأولى، أو نتيجة تفجير الأوضاع نتيجة تفاقم الأزَمَات، حيث يجد التَّنظِيم الجهاديّ نفسه مجبراً إما عَلى دخول المَعْرَكة والاستمرار في الإِعداد والبناء من خلالها، وإما عَلى أن تصفيه الحملات الأمنيّة دون مقابل، فيدخلون المَعْرَكة، ومع دخولها يبدأ استهلاك الكوادر والأعضاء، ويحتاج التَّنظِيم للتجنيد، ويحتاج التَّجنيد للدعاية والحشد والجمهور، كما يحتاج حتَّى يكون محكما لرصد العناصر المرشحة للتجنيد ودراسة أهليتها وظروفها، ولكن السرية والمشاكل الأمنيّة لا تسمح بهذا فيضعف التَّجنيد وتقل الإِعداد، ويتحول التَّنظِيم بعد تقطيع أوصاله إلى خلايا عِصَابات متفككة تستهلكها المَعْرَكة شيئاً فشيئاً، إذا لم ينجح التَّنظِيم في تطور حرب عِصَابات ينقلها من مرحلة إلى أُخرى حتَّى يتسع التَّجنيد، ولكن الّذي حصل في كلّ التَّجَارب السَّابقة بلا استثناء، أن إعداد الكوادر الجهاديّة

والأعضاء كانَ قليلاً، ولم يتمدد نتيجة أسباب كثيرة، أهمّها الإشكال الأمني وأسلوب السرية، وعلى سبيل المثال لم يتجاوز عدد المُجَاهدين في سوريا وهي أطول المحاولات (نحو عشر سنين) لم يزد في أحسن الأحوال عن ١٥٠٠ مُجَاهد عامل، هذا غير الأنصار، في بلد يبلغ تعداد سكانه في ذلك الوقت زهاء ١٢ مليون نسوة، وفي مصر لم يزد تنظيم الجِهَاد عن ٢٠٠٠ عنصر، والجماعة الإِسْلَاميّة ربما عن ضعف ذلك من الأعضاء العاملين غير جماهير المساجد، هذا من أمة كانت تعد أكثر من ٦٠ مليون نسمة، وفي ليبيا، لم يزد عدد المُجَاهدين عن رقم متواضع من تعداد سكاني هو في حد ذاته محدود لم يبلغ الـ ٤ مليون نسمة، وفي بعض البلدان كتونس، لم يجاوز العدد خانة العشرات وهكذا.

وإما عن ضعف الدعاية وانكماش الجمهور، وانعكاس ذلك عَلى ضعف الحشد نتيجة السرية أيضاً فهذا لا يحتاج لكثير شرح إذا لم توفر الأساليب السرية ما يلزم للحشد الّذي يقوم أساسا عَلى الاتّصال بالجماهير بالوسائل العلنية.

٢: المشاكل الّتي تأتت عن البنية الهرمية والإشكالية الأمنيّة:

بنيت جميع التَّنظِيمات الإِسْلَاميّة السّياسيّة والجهاديّة وما شابها بأسلوب هرمي، فغالباً ما تبدأ الدّعوة بأفراد قلائل، يحددون أسس منهجهم وأهدافهم، وبرنامج عملهم، ويبايعون واحداً منهم أميراً عليهم، فتكون الكوكبة الأولى قيادته ومجلس شوراه، وهكذا يبدأ رأس الهرم، تستمر عمليّات التَّجنيد والحشد، ويكون كلّ واحد من هَؤُلَاءِ مسؤولا عن جهاز أو خلية أو مجموعة، ويتتابع النّظام، وهكذا يتشكل من المجموع ما يعرف بالهرم التَّنظِيمي.

إن هذا الأسلوب في البناء الحَركيّ يتمتع بصفة القوّة من حيث الإحكام والسّيطرة، لأن الأوامر تصدر والبَرَامج تقرر، وتنزل من الأعلى للأسفل، ثمّ تتابع بعض الطَّريقة، وترجع التقارير أو النصائح والمقترحات وغير ذلك بالعكس بمرونة وسرعة.

ولكن مثل هذا البناء يتميز بالضّعف الأمني، وبعدم صموده للمواجهات الأمنيّة الاستخباراتية خُصُوصَاً بعد ما أثبتت أجهزة الأمن والحُكُومَات الطَّاغوتية، ثمّ قوى الكفر المحاربة للظاهرة الجهاديّة استعدادها لكل أشكال البطش والتعذيب الجسدي والنّفسي، وحتى لاستخدام المخدرات والعقاقير

لاستخراج المعلومات! وهكذا لم يصمد معظم المعتقلون عن الاعتراف بأكثر ما لديهم من معلومات أو بكلها، أو بالإضافة عليها لإرضاء الذئاب الضارية من الجلاديين المتحفزين لانتزاع ذرات المعلومات من قعر ذاكرة المعتقل، بل من تحت أظافره لو احتاج الأمر وبسلخ جلده إن لم يكف ذلك.

وهكذا كانت في كلّ التَّجَارب، عدّة ساعات فقط كافية لانتزاع كمية من المعلومات سرعان ما تعمم عَلى أجهزة الأمن لتتسع دائرة الاعتقال، وتعاد الكرة ثمّ تعاد، لتشتمل الحملة الأمنيّة الجسد الأعظم من التَّنظِيم السري خلال مدد قصيرة.

وهكذا صار الهرم التَّنظِيمي أشبه بكيس من البلاستيك المنفوخ، الّذي يحتوي سائلاً سيؤدي ثقبه من أي جهة لا فراغ محتواه طال الوقت أم قصر، ولقد حاولت التَّنظِيمات الجهاديّة الّتي خاضت مواجهات أن تطور من أساليب عملها بشيء مما يسمى بالبنية الخيطية أو العنقودية، حيث يستقل العناصر العاملون بعناقيد منفصلة من الخلايا ولكنها في مجموعها تضطر للتحول إلى مجموعة أهرامات تنظيمية تشكل عبر وسائل الاتّصالات معالم الهرم الرَّئيس مرّة ثانية.

ولم تنحل المشكلة داخل القطر الواحد، وأدى هذا لاسيما حيث لم توفر معظم البلدان طبيعة جغرافية وعرة تمكن من تحصن القيادات التَّنظِيمية فيها لإدارة أعمالهم، وحتى مع توفرها اضطروا للاتصال بالخلايا العاملة الّتي عملت أيضاً بنفس الأسلوب، ثمّ اضطرت التَّنظِيمات الجهاديّة مثلها مثل كلّ العِصَابات والجماعات السرية إلى أن يهاجر قياداتها إلى مناطق أمان في دول مجاورة، حيث وفرت لها بحكم الهامش القديم للنزاعات الإقليمية بين الدّول ملاذاً آمناً أدارت منه أعمالها، ولكن التّعاون الأمني كما سبق وبينا، وانتقاله من المجال الإقليمي إلى الدّولي، ضيق ثمّ الغى تلك الملاذات، ولم تحل المشكلة الهرمية مع عمليَّات البطش والتعذيب والخطف والتسليم، وأدت إلى تآكل التَّنظِيمات للأسباب المجتمعة مما وفر في النهاية كلّ عوامل الاضمحلال والتفكك.

٣: مشكلة القطريّة:

معظم إن لم يكن كلّ التَّنظِيمات الجهاديّة والجماعات المكونة للتيار الجهاديّ الّتي عملت خلال الصنف الثّاني من القرن الماضي قطرية في ميدان عملها وأهداف حركتها، وذلك نتيجة الظّروف

السّياسيّة والاجتماعيَّة والواقعية الّتي كانت سائدة قبل تفشي العولمة في كلّ مناحي النَّشاط البشري ومنها الجماعات الجهاديّة ذاتها.

وقد كانت قليلة تلك البلدان الّتي تتوفر عَلى مساحة واسعة تساعدها وعورة جغرافية وتنوع بالإضافة لكبر عدد السّكّان واتساع الحدود والمنافذ بحيث تتوفر لها العوامل المختلفة لإيجاد معطيات حرب عِصَابات جهاديّة يمكن أن تنتقل مراحلها وصولا إلى النجاح، فقد فتت مخططات التجزئة الّتي قام بها الإستعمار الغربيّ خلال الحملات الصّليبيّة الثّانية العالم الإِسْلَاميّ والعربي إلى كيانات معظمها صغير عاجز يفتقر إلى معطيات جغرافية أو بشرية أو اقتصاديَّة.

ولكن التَّنْظِيمات الجهاديّة رسمت عملها في حدود مُوَاجَهة الطَّاغوت الخاص بها ضمن السياح الّذي نصبه سيكس وبيكو مطلع القرن العِشرين، وهكذا وجدت معظم التَّنْظِيمات الجهاديّة نفسها أمام معطيات لا تمكن في الحقيقة من نجاح ثورة ولا انطلاق حرب عِصَابات متكاملة في غالب البلدان، فماذا يعمل تنظيم جهاديّ عَلى مستوى البحرين أو قطر أو تونس أو الأردن أو سوريا أو ليبيا، ضمن المعطيات القطريّة ؟! وحتى تلك الدّول الكبيرة كمصر والسّعُودِيّة، لم توفر لها المعطيات القطريّة العوامل الكافية لنجاح مواجهات سرية منظمات هرمية في حدود القطر، وكانت النَّتِيجَة النّهائيّة نتيجة تضافر الأسباب متناسبة مع هذه المعطيات، وصفيت كلّ تلك المحاولات بلا استثناء عبر ٤٠ سنه ومن خلال عشرات التَّجَارب.

وبعد هذه الثلاثية الأساسيّة من مشاكل البنية والهياكل، كانَ هناك إشكالات بنيوية أُخرى من أهمّها.

٤ - مشكلة القيادات غير الميدانية:

كما ذكرنا، اضطرت القيادات الرَّئيسيَّة للتنظيمات، الأمير وكبار أعوانه لمغادرة البلاد والهِجرَة قسراً تحت ضغط الحملات الأمنيّة، واستقروا في الملاذات القريبة أو البعيدة عن مواقع قضيتهم، وتعاملوا معها عبر المراسلين أو الاتّصالات الخارجيّة، المراسلين، الهاتف، الفاكس! وأوجدت هذه الطَّريقة مقاتل للتنظيمات، ونقاط اختراق من قبل الإستخبارات لها.

كما أوجد هذا تلقائياً قيادات ميدانية عاملة عسكريّة، وتحولت القيادات الخارجيّة إلى قيادات سياسيّة وإعلاميَّة وسرعان ما خلق هذا الواقع مشاكل لا تعد ولا تحصى، ولقد شهدت بنفسي عدداً من التَّجَارب كانت هذه الإشكالية في طليعة ما ساهم في دمار القضايا الجهاديّة وكانت (الثَّورة الجهاديّة في سوريا) الّتي عايشتها من الداخل نموذجاً عَلى هذه المشكلة، فقد استقرت القيادة السّياسيّة للإخوان المُسلِمِين في بغداد وعمان وفي جوار سوريا، وراحت تضع الخطط والبَرَامج لواقع سياسي وعسكريّ وأمني داخل سوريا، وهي لا تعرف عن واقعه إلا النزر اليسير، وسرعان ما تبدلت الأوضاع وقلت معرفتهم بالمستجدات وصاروا يرسمون الخطط في الفراغ، ووجدت القيادات الميدانية نفسها مضطرة للحركة والتصرف، ولكنها كانت مقيدة برباطين غليظين ؛ البيعة والسمع والطاعة لقيادة الخارج، والحاجة الماسة لما ترسله من أموال مع الأوامر.

كما شهدت عدداً من القضايا الجهاديّة من خلال احتكاكي بأصحابها وقياداتها في عدد من الدّول العربيَّة، وقد وجدت لديهم نفس المشكلة، لقد كانَ عَلى تلك القيادات أن تتحول إلى رموز شعبيَّة تحرك الجماهير وقيادات سياسيّة إعلاميَّة، تاركة المجال للعمل العسكريّ والقرارات الميدانية للقيادات الميدانية، ولكنها تشبثت بتفاصيل القرارات، ولم تثق بقيادات ميدانية شابة، وكان لديها الحقّ في بعض الحالات، ولكن هذا لم يلغ مشاكل لم تجد حلاً، وكانت بسبب طبائع الأشياء لتنظيمات تعمل بتلك الأساليب في تلك الظّروف

٥- مشكلة التّمويل:

كانت التَّنظِيمات الجهاديّة محدودة العدد نخبوية غير جماهيرية في معظم أوكل الحالات، وبالتالي لا توفر لها قواعدها أو جماهيرها ما يكفي من الموارد المالية، فاضطرت إلى اللجوء لمصادر خارجية، وولد هذا إشكاليات كبيرة، ولم تستطيع تلك الموارد في النهاية من جهات ليست أصيلة في تلك القضايا أن تسد الاحتياجات الّتي تضخمت مع انطلاق العمل وتضخم فواتير المصاريف العسكريّة والأمنيّة، واحتياجات أسر الشّهداء والمطاردين والأسرى...إلخ.

فقد اعتمدت التَّنظِيمات الجهاديّة إما عَلى دعم جماعات وتنظيمات سياسيّة دخلت المُوَاجَهة مضطرة نتيجة توسيع الأنظمة لدائرة الحَرب نتيجة غبائها وطغيانها (كما حصل في سوريا)، وإما لاستغلال ثورة سيموت فيها الشَّبَاب ويستشهد المُجَاهدون، وستحتاج لقيادات جاهزة لاستلام الحكم بحسب الأحلام في انهيار تلك الأنظمة الّتي لم تنهار في نهاية المطاف!

وإما اعتمدت التَّنظِيمات الجهاديّة عَلى دعم بعض الجماعات الإِسْلَاميّة من أقطار أُخرى أو بعض شخصيات المحسنين المؤيدين للجِهَاد في غير بلادهم غالباً كما كانَ حال معظم المحسنين للجماعات الجهاديّة من المصدر الأساسي لمعظم تلك الحركات وهي دول مجلس التّعاون الخليجي ولاسيما السّعُودِيّة والكويت !

فإما وجدت نفسها مضطرة لتقبل المساعدات من بعض الحُكُومَات والأنظمة ذات الأغراض الخاصّة في ذلك الدّعم.

ولا أريد التفصيل في إشكاليات كثيرة سببها هذا الحال ودخول الجماعات الجهاديّة للعمل تحت شعار لله يا محسنين، ولكن المحصلة أن بَرَامج تجفيف المنابع، وعدم انتظام تلك المنابع حتَّى قبل قيام هذه البَرَامج، سار بالتَّنظِيمات الّتي اتسعت مصاريفها إلى الإفلاس عمليا، وكان هذا أحد الأسباب الرَّئيسيَّة للفشل.

٦- مشكلة الشورى وغياب المؤسساتية وتعذر قيامها مع المشكل الأمني:

كانت إشكالية الشورى وطريقة اتخاذ القرار من أكبر الإشكاليات الّتي رافقت العمل في معظم التَّنظِيمات الجهاديّة، وأدت في كثير من الأحيان إلى الانشقاقات والانقسامات في التَّنظِيمات وتفشي الظَّاهِرة الّتي أسميتها (التَّنظِيمات الأميبية) الّتي تنقسم وتنقسم وما تلبث أن تنقسم.

فقد اعتمدت أكثر التَّنظِيمات الجهاديّة مبدأ الشورى غير الملزمة، حيث تعني أن الأمير مفوض في اختيار ما يرى من قرارات بعد الإطلاع عَلى آراء قياداته ومعاونيه، واتخذ القليل منها مبدأ الشورى الملزمة حيث يلزم الأمير بالأخذ برأي أغلبية مجلس القيادة أو الشورى في مسألة ما، وهذه مسألة يطول شرحها وتبيان سلبيات وإيجابيات كلّ طريقة وليس هذا مكان التوسع والبسط، وقد تلاقت بعض

التَّنظِيمات الجهاديّة هذه الإشكاليات بجعل الشورى عَلى نوعين ؛ ملزمة في القرارات الاستراتيجيّة العامّة والهامة، وغير ملزمة في تكتيكات تنفيذ تلك الاستراتيجيات، ولكن كلّ هذه التقسيمات والجهد الإداري مع العواصف الأمنيّة وتشرد قيادات التَّنظِيمات الجهاديّة إما في مخابئ داخل بلادها، وإما في مختلف الملاذات في دول مجاورة علناً أو سراً، حيث آل الجميع للاختفاء وكثرة التنقل ولم يعد بالإمكان ممارسة أي نوع من أنواع الشورى، وصار الأمير العام والأمراء الفرعيون يصدرون ما تيسر من الأوامر اللازمة، متوكلين عَلى الله في ظروف بالغة المأسوية، وتحطمت المؤسسات والإدارات وتحولت إلى بعض المسؤولين عن أمور فرعية يتصرفون بحسب مقتضيات الضَّرورات الأمر الواقع، وتحول العمل لمجموعة من اليوميات بشكل إجباري عَلى كافّة الأصعدة.

٧- مشكلة ضعف الأمن الداخلي في التّيار الجهاديّ:

إن مبدأ العمل في تنظيمات سرية تأخذ شكل عِصَابات تعمل بأسلوب أمني، هو مبدأ ونموذج عمل وافد عَلى المجتمعات العربيَّة والإِسْلَاميّة الّتي عملت بسبب مكوّناتها التارِيخِيَّة والاجتماعيَّة بطرق تقوم كلها عَلى أسس معاكسة لمبدأ هذا الأسلوب الّذي اضطررنا إليه اضطراراً نتيجة القمع، فالمجمعات العربيَّة والإِسْلَاميّة مجمعات مفتوحة، تعتمد التّربية فيها عَلى التماس مع الجمهور، ويعتمد الحشد فيها عَلى الخطابة والجهر بالدّعوة والتّأثير في النّاس، وتتناقل الأخبار في مجتمعاتنا بنظام الإشاعة، وجب إشاعة الأخبار موروث اجتماعي قديم، والمواجهات العلنية والمبارزات والمقابلات وعرض البطولات كذلك موروث تاريخي وحضاري، وهدر الوقت، وحرية الحركة، وحضارة البداوة والعفوية، ما تزال تطبع مجمعاتنا رغم التّحولات الصناعية والمدنيّة.

فأسلوب التخفي والعِصَابات والسرية، وطريقة عمل المافيات، والمواعيد الدقيقة والمقابلات القصيرة والأوامر الصارمة الموجزة، والتنفيذ الحرفي دون التوسع في الإجتهادات، وعقوبة المخطئ، بل وتصفية المفسد في نظام عمل العِصَابات، كلها أساليب لم تلق استجابة من قبل مجمعاتنا، ولم تستطع التَّنظِيمات أن تعد لأداء هذه الأساليب إلا كوادر محدودة جداً ضمن تنظيمها، وطبعت الصفات

الاجتماعيَّة العامّة والعلل الموروثة عمل تلك التَّنظِيمات وأدت إلى كوارث نتيجة عدم الانسجام مع هذا الأسلوب،

وكان عَلى رأس تلك الإشكالات انعدام الحس الأمني، وعدم إمكانية ترقية العناصر والقواعد العاملة في معظمها إلى ضرورات هذا الأسلوب، وقد لاحظت أن معظم المُجَاهدين الأبطال الّذين عرفت الكثيرين منهم، ورأيت أداءهم الرائع في المواجهات الميدانية المفتوحة والجبهات في أفغانستان، كانوا من أفشل العناصر أداءً عندما أوكل إليهم مهام سرية أو اضطروا للحركة الأمنيّة بعد خروجهم لعالم المطاردات.

فالإشاعة ورواية الأسرار، وكثرة الثرثرة، وعدم دقة الحركة، وعدم احترام أمن الاتّصالات المختلفة، من الحركة والهواتف والفاكسات، والإنترنيت من بعد، وسوى ذلك كانت أمراضاً عضالاً لم يمكن حلها ودمرت كثير من الخلايا عَلى مر مختلف التَّجَارب، حتَّى كدت أجزم بأن هذا الأسلوب لا يناسب قومنا، وأن علينا أن نجد لهم أسلوباً يفجر طاقاتهم بحسب إمكاناتهم وطباعهم ولا يحتاج أساليب لم أر كثيرين استطاعوا أن يعملوا بها ويأخذوا بأسبابها.

(ثالثا) - أخطاء في أسلوب العمل وإدارة المُوَاجَهة:

وسأعتمد في ذكر هذه الأخطاء عَلى التعداد للاختصار ولوضوحها وعدم حاجتها للشرح والتفصيل والله تَعَالَى أعلم فمن ذلك:

١- العجز عن إمكانية وضع استراتيجيات عمل نتيجة عدم توفر معطيات ذلك لأسباب إما خارجية وإما داخليَّة وتحول العمل لمجموعة من اليوميات والقرارات العشوائية أحياناً.

٢- فتح معارك جانبية مع شرائح من مدارس الصّحوة الإِسْلَاميّة أوقع قطاعات مختلفة من الشعب ومكوّناتها السّياسيّة أو الاجتماعيَّة دون ضرورة لذلك، معارك جانبية من قبيل الإشكالات المذهبية والعقدية والسّياسيّة وعدم التحكم في وحدة اتجاه المَعْرَكة تجاه العدوّ الأساسي المتمثل في الحُكُومَات الطَّاغوتية والصّائل الخارجي المتحالف معها.

٣- التورط في أسلوب مواجهات طويلة المدى مع أجهزة الحُكُومَات الأمنيّة تحول إلى حرب استنزاف القاتل والمقتول فيه، والمحق والمبطل، والعدل والظَّالم، هو من مخزون الأُمّة، ولم تعجز الحُكُومَات عن الزج بأبناء الشعب من قوّات الأمن والجيش ومعظمهم إما من الجهلة أو المكرهين، في هذه المَعْرَكة اللامتناهية، فيما بقيت قوى ومصالح الصّائل الخارجي سليمة لا يهم فيها أن تستهلك تلك المعارك أبنائنا السنين الطوال، فصار اللعب في ملاعب حددها العدوّ الأكبر وبطرق رسمها هو وحقق فيها أهدافه، واستنزف الجهاديّون قواهم فيها دون جدوى.

٤- الفشل في أكثر الأحيان في تحديد مفاتيح للصراع وشعارات للمُوَاجَهة، يمكن حشد النّاس عليها ضدّ الحُكُومَات الّتي يواجهها الجهاديّون، واقتصر الموضوع عَلى تفاصيل الحاكِمِيَّة وشعاراتها، وكانت معركة خسارة نتيجة صعوبة محتوى الطرح، وتصدي علماء السُّلطَان له، ونجاحهم في إسقاط أساسه الأساسي وهو إثبات كفر الحاكم ووجوب الخروج عليهم، حيث اثبتوا للشعوب إسلامهم ووجوب طاعتهم، وأننا مجموعة خوارج، كلاب أهل النار، ومفسدون في الأرض، بغاة مجرمون، ولم يتمكن الجهاديّون في الغالب من رفع ستارات تبرز مفاتيح صِرَاع شعبيَّة سهلة الفهم تثير تأييد العامّة، فقد كانَ هناك مواضيع هامة جداً من الممكن تعبئة الشّعوب بها حول الجهاديّين، من قبيل مشاكل الجوع والظُّلم، وهدر الكرامات واحتلال المقدّسات، والنهب الاستعماريّ، والاحتلال السّياسيّ والاقتصادي، إلى آخر ذلك من الشعارات الّتي أحسن الوطنيون والقوميون واليساريون وحتى بعض مدارس الصّحوة السّياسيّة استغلالها وتحولوا لتيارات شعبيَّة، وكلها مسائل شرعيّة في أساسها ويمكن طرحها بأسلوب إسلامي وجهاديّ، ولكن الجهاديّين وخاصة بعد تداخل المعطيات الفكريّة للتيار المسمى (سلفي!) في منهجهم اختاروا الطرح الأحادي لمشاكل الحاكِمِيَّة والوَلَاء والبَرَاء، وهي مواضيع كما أسلفت تحتاج لفهم النُّخبَة ويصعب عَلى العوام هضمها.

٥- أسلوب خطاب أكثر الجهاديّين لم يكن شعبياً، فقد كانت وسائل الاتّصال محدودة ومتخلفة في الغالب نوعاً وكماً، فقد اعتمد الجهاديّون عَلى المنشورات والبيانات وبعض الكاسيتات في حالات

محدودة جداً، ولم يكن لكثير من الجماعات الجهاديّة رسالة إعلاميَّة أصلاً، بل إن كثيراً من شعوب بعض الدّول لم تكن تعرف عن الجهاديّين فيها شيئاً ولا لما ذا يقاتلون ويستشهدون وما هيَ أهدافهم،

كما تميز خطاب أكثرهم وخاصة بعد التمازج مع الفكر السلفي غير الجهاديّ، بالاستعلاء والقسوة وافتقاره للرقائق والمؤثرات العاطفية، وما يثير الرحمة والشفقة والتعاطف، واعتمدوا نبذ النّاس م ومفارقتهم في كلّ شيء مما عزل الجهاديّين وساعد الحملات الإعلاميَّة عَلى رسم صورة كاريكاتورية منفرة للشخصية الجهاديّة أكدتها ممارسات الكثيرين منهم عملياً.

رابعا – أخطاء وإشكالات ومعوقات وأنواع خلل أُخرى في أسلوب عمل التّيار الجهاديّ:

وهذه أيضاً سأذكرها كرؤوس أقلام بإيجاز أيضاً وبسبب تنوعها سأذكرها متفرقة عَلى غير ترتيب مقصود فمن ذلك:

١- افتقار التّيار الجهاديّ لعلماء يقودون مسيرته فسيدون ثغرة التّربية والفتوى والكتابة والتوجيه، ويكونون رموزاً شعبيَّة تحشد العامّة، مما ساعد عَلى ظهور ظاهرة المفتي الشاب مما اصطلحوا عليه بالإسم الفضفاض: (أخ عنده علم)! وهو مصطلح يصدق حتَّى عَلى أي جاهل أو عالم، فما من مسلم إلا وعنده علم.

٢- انخفاض مستوى العلم الشَّرعيّ عموماً في التّيار الجهاديّ وعلى كافّة المستويات، حتَّى ولدت تجمعات جهاديّة لتعمل في بعض البلدان في المراحل المتأخرة عَلى أيدي كوادر شبابية تتصف بمستويات بالغة التواضع في هذا المجال الأساسي بالنسبة لتيار جهاديّ أصولي إسلامي.

٣- انخفاض مستويات التّربية العبا دية والسُّلُوكية والأخلاقية في كثير من المتأخرين ممن لحقوا بالجِهَاد من الشَّبَاب، وبسبب انعدام وجود بَرَامج للتربية ظهرت ظواهر مؤسفة في بعض التَّجَمُّعات الجهاديّة، وكان يمكن أن يلاحظ الفارق الهائل من عاش جيل الجِهَاد الأوّل وكتب الله أن يرى تلك النوعيات من متأخري الجهاديّين.

٤- تفشى الجهل عامة في مختلف مستويات المعرفة فضلاً عن الجهل البشري وانخفاض مستويات التّربية السُّلُوكية، فقد طبع كثير من اللاحقين بالتَّجَمُّعات الجهاديّة، حالة من السطحية

والجهل بالواقع السّياسيّ والأمني والعلمي، ومعظم مناحي مستجدات الواقع، بل إن المستويات المتواضعة أو حتَّى السيئة الّتي ميزت العديد من عوام من لحق بالجِهَاد من الشَّبَاب، تجاوزت لتكون حالة بعض من تصدى للقيادة والإدارة في بعض التَّجَمُّعات الجهاديّة الناشئة أواخر القرن العِشرين،

٥- اقتصار مناهج التّربية والإعداد في الجبهات والميادين المفتوحة مثل أفغانستان في المرحلتين عَلى بَرَامج التّدريب العسكريّ شبه المحض، حيث غابت بَرَامج الإعداد العلمي الشَّرعيّ والتوجيه السّياسيّ والتأهيل الفكريّ والتّربية السُّلُوكية عن تلك المناهج، رغم توفر الظّروف من الملاذ والأمان والإمكانيَّات المادية، فقد اعتمد الغالبيّة (التّربية الإنكِشَارِيّة) وثقافة المدافع عَلى الطَّريقة العُثمَانِيّة، وساهمت تلك الطَّريقة ومن أشرف عليها بزراعة الجهل وتخريج عينات لا تنتمي إلى التّيار الجهاديّ الّذي عرفناه قبل عقدين من الزَّمن، إلا بالعاطفة والحماس والإخلاص الّذي تذهب تلك العلل بمعظم نتائج فضائله هذه.

٦- بروز ظاهرة التنطع والتشدد في المراحل الأخيرة من التّيار الجهاديّ، بعد منتصف التسعينات، فقد أدت الظّروف العامّة، من المطاردات والقهر والكبت والظُّلم، وعلل الصّحوة الإِسْلَامية وبلاء علماء السُّلطَان، وطغيان الحُكُومَات، وغزوات الأَعدَاء الخارجين، وما يجري في الأُمّة من نكبات، مع إعراض أكثرها عن دينهم، أدى إلى ردود أفعال طبعت الكثيرين من قواعد الجهاديّين بالعِصَابية، وحب التشدد والتنطع، والتعبير عن التدين بالتشدد، وعن الالتزام بالعنف والتطرف في أبسط الأحكام والمسائل، وكنت أرى مع بعض قدماء الجهاديّين بعد أن كتب الله لنا أن نرى بعض هذه النماذج المتأخرة، أن الفجوة بين هذه النماذج ومجمعاتها الّتي انسلخت عنها أصبحت من الهوة بحيث لا يصلحون إلا لمحاربتها، ولا يمكن لهم أن يلتقوا مع مكوّنات السواد الأعظم من شعوب بلادنا عَلى شيء من القواسم المشتركة.

٧- تفشى روح الإمعة وانخفاض مستويات الإبداع، وظهور ظاهرة الإدارة النخبوية النشطة في كلّ تجمع وتحول الباقين لأتباع تفصلهم فجوة كبيرة من حيث الإمكانيَّات والتأهيل عن النُّخبَة المحدودة بالدّائرة الأولى في بعض التَّجَمُّعات الجهاديّة.

٨- تدني روح الأمر بالمعروف والنهي عن المُنكر، وقلة ظاهرة النقد الذاتي الهادف، وتدني القدرة عَلى إصلاح الخلل داخل التَّجَمُّعات الجهاديّة إلا في دائرة محدودة جداً، وانعدام تحقق الشورى في الأوساط العامّة، وانحصارها بالنُّخبَة في معظم التَّجَمُّعات، عَلى عكس ما كانت عليه في السنة النّبويّة ومنهج السَّلَف الصّالح.

٩- تفشي ظاهرة (المُجَاهد عَلى كيفه) في المتأخرين من الجهاديّين، وهذا من آثار منهج (هم رجال ونحن رجال)، خاصّة في أفغانستان في شوطيها، لا مذهب، لا جماعة، لا أمير، لا منهج، لا ضوابط، حر مطلقاً، لا منتمي، متمرد لا يمكن ضبطه، ولا مرجع لديه.

١٠- تفشى ظاهرة جهاديّين لم يجاهدوا!! ومع ذلك تصدروا كرموز وموجهين ومفتين للجهاديّين! وظهور ذلك في أوساط اتباع وأنصار للتيار الجهاديّ متعصبين جداً لمنهجه ورموزه بالكلام، ولكن لا يجاهدون بالفعل، وخاصة في أوساط الصّحوة في بلاد الغرب، وأوساط أُخرى.

١١- تفشي ظاهرة من أرادوا الإعداد ولم يريدوا الخروج ! عَلى عكس من لو أرادوا الخروج لأعدوا له، ولكن هَؤُلَاءِ أعدوا ولم يخرجوا، آلاف المتدربين بلا فائدة، لا يمكن معرفة مصيرهم بعد أن تلقوا ارفع التّدريب، وسبب ذلك أنهم تدربوا ولم يربيهم من دربهم ولم يزرع فيهم أي عَقِيْدَة قتالية.

١٢- العمل لحساب الآخرين في قضايا تقاطع المصالح الدّولية والإقليمية وعدم قدرة القيادات المرحلية عَلى صناعة مشروع ذاتي، كما حصل في تجربة أفغانستان الأولى، وتجربة البوسنة.

١٣- نسيان الأسرى: وهذه من كوارث التّيار الجهاديّ، فقد تراكم الأسرى بالآلاف في سجون الطواغيت، وفيهم العُلَماء والدعاة وكبار الإِسْلَاميّين وقادة المُجَاهدين وخيرة كوادرهم، ثمّ تراكم مئات الأسرى في سجون أمريكا والدّول الغربيّة كذلك، ولم يبد التّيار الجهاديّ أي حراك في اتجاه القيام بعمليَّات تهدف إلى سراحهم !! وكأنهم نسيا منسيا.

١٤- فقدان القدرة عَلى (الردع) ردع مختلف صنوف الأَعدَاء حتَّى آل أمرنا لأن نكون مرهوبين رغم أنهم يسموننا إرهابيين!

وهكذا..

طويت مرحلة تارِيخِيَّة هامة من مراحل أهمّ مدارس الصّحوة الإِسْلَاميّة وأكثرها أثرا في واقع المُسلِمِين، وهي مدرسة التّيار الجهاديّ، الّتي استغرقت تجاربها وعطاءاتها زهاء أربعة عقود من الزَّمن، وقد حاولت في هذين الفَصلين السَّادس والسَّابع، أن أسجل خُلاصة مسارها وخصائصها، ودروس تجاربها، وعرضت لخلاصة حصادها الإيجابي وإنجازاتها العظيمة، وكذلك عرضت للأسباب الداخليَّة والخارجيّة الّتي أدت لفشل تلك المحاولات في الوصول لأهدافها في النهاية بقدر الله.

وباختتام هذا الفَصل ينتهي الجزء الأوّل من هذا الكتاب الّذي تعرض لجُذُور ما نعيشه من أحاث، وخلاصة تاريخ ما مر بهذه الأُمّة من تجارب الصِّرَاع مع الرُّوم، بلاء هذه الأُمّة ومحنتها الأزلية.

وخلاصة مسار صحوتها الإِسْلَاميّة والجهاديّة وما حفلت به من تجارب وعبر، تجب معرفتها واستلهام دروسها ونحن نستفتح القرن الحادي والعشرين، ونلج عالم ما بعد سِبتَمبر، عالم الحملات الصّليبيّة الصّهيونيّة الكبرى عَلى عالمنا الإِسْلَاميّ الكبير.

هذا القرن الّذي يريدونه أمريكيا صهيونيا، حيث تداعت علينا الأمم تداعي الأكلة إلى قصعتها، تماما كما أخبرنا الصادق المصدوق.

هذا القرن الّذي علينا أن نفتتحه بَاطِلاق المُقاوَمة الإِسْلَاميّة العَالَمِيّة لهذا الصّائل عَلى الدّين والمقدّسات والأنفس والأعراض والأموال، وكل مقوّمات وجودنا كأمة مسلمة.

هذه المُقاوَمة الّتي لا تنطلق عَلى هدى وبصيرة، بغير معرفة جُذُور هذا الصِّرَاع وتاريخه وتجاربه وهي ما كتبت الفصول الماضية لسد بعض ثغرته.

هذه المُقاوَمة الّتي يجب أن تنطلق عَلى أسس من الهدى والبصيرة والأسس المُتكامِلة، الّتي تبني عَلى ما مضى من عبر ودروس، وتنطلق وفق ما يناسب المَرحَلَة من منهج وأساليب، في ضوء ثوابت هذا الدّين والعَقِيْدَة الجهاديّة القتاليّة لهذه الأُمّة، وأسس منهج حركي منضبط يناسب ما استجد بنا من نوازل وظروف، وهو ما سأحاول أن أضع عَلى طريقه بعض المعالم في الجزء الثّاني من هذا الكتاب والله الموفق وهو الهدي إلى سواء السبيل.

الفهرس